[illegible]

تاريخ الملك الظاهر [illegible]

السلطان محمد بيبرس [illegible] مصر والشام وما [illegible]

مثل فداوية جبال [illegible] أولاد إسماعيل وغيرهم من الفرسان [illegible]

لهم من الأهوال والحيل [illegible] على [illegible]

(الطبعة الأولى)

المجلد الثالث

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

المتقدم لضرب السيف قال الملك ومن الذى يصلح لذلك قال إبراهيم أخاف أن تكن تسبق لغرض وأنا والله ما أتكلم إلا بشفقة على دين الاسلام قال تكلم والك الامان الثانى فقال ارسل يا ملك حضر خليل بن قلاوون يغلب ذلك الملعون فاذا انقلب ذلك الملعون على يده فتكون انت وخدامك تصطفل إن شئت تعفى عنه وإن شئت أعدته السجن ثانيا

قال الملك وخليل يلعب هذا الملعون قال إبراهيم نعم يا ملك خليل بن قلاوون واحد هذا الزمان فى ضرب السيف وطعن السنان وأنا ضامن له يا ملك الزمان قال الملك وحق الاله الحنان المنان إن كان خليل ابن قلاوون يغلب هذا الملعون اعفى عنه وعن أبيه واعيدهم إلى أماكنهم وأزيدهم مرتب ثم إن السلطان أمر باحضار خليل قال له إبراهيم كيف يحضر هنا مقيا

قال السلطان أنا حالف لا ينفك قيده إلا على دكة الغسل قال إبراهيم نجيب دكة من حانوت ونوضعه عليها ونفك قيده قال الملك هاتوه أولا لما أشوفه فعندها حضر خليل وهو مقيد فاعلمه السلطان قال يا مولانا وحياة رأسك ما لاعبه إلا وأنا بالقيد لأجل أبق إذا لم أقصر خصمى أكون كما كنت حتى لا يحنث مولانا السلطان فى يمينه فعند ذلك أحضر الملك ذلك الكافر قال له الوزير اعلم أن مولانا السلطان حاكم على بساط عدله وفى هذا اليوم يريد أن ينزل اليك واحد سياف فان الذين لاعبوك ما هم أهلا لضرب السيف وهذا الذى نازل لك حقيقة سياف فان انت علمت عليه ينعم عليك السلطان ويردك إلى بلادك بأمان

قال المقدم غريب رضيت بذلك فامر الملك إلى خليل أن يلاعبه فنظر الملعون إلى خليل وقال له إيش اسمك يا غندار قال له يا ملعون تسألنى عن اسمى هل أنا جاى أناسبك أنا اسمى خليل بن قلاوون الالفى

قال يا غندار عود واترك الجدل فان أبوك فى مقدونية عندنا وأنا علمت عليه قبل ما أجى هاهنا قال خليل دع عنك كثرة المقال ودونك وضرب السيف الفصال حتى ترى منى العجب والاهوال قال البطرنى إذا كنت تلاعبنى فالدماء بيننا حلال وكل من ظفر بخصمه يقتله وينزل به النكال

قال خليل كذلك لكن حتى أنظر ذلك السيف الذى معك قال له وما يخصك بسيفى خذ انت أى سيف أردت قال له خليل لا بد من نظر السيف وانت كان إذا أردت خذ سيفى وانظره قال السلطان احق ما تقول فعندها اعطى الملعون سيفه الى الامير خليل

ففرح عليه ونظر الى قبضته وتمعنه حتى عرف مافيه قال له ياملعون خذاى سيف آردت ولاعبنى به الا هذا السيف فانه مجوف قال الملك مجوف يعنى إيه قال الامير خليل اتأذن لى يامولانا حتى أوريك تجويفه قال الملك نعم لابد من ذلك فعندها كسر خليل السيف نصفين فوجد فيه شريط من البولاد بحدين قال الملك بق ق هيا نصرانى هيا العب بغيره فعند ذلك أخذ سيف آخر وهجم على خليل وضربه الضربة وبطلها بمعرفته وكان فى يد الامير خليل نمشه امضى من القضا والقدر فرفع بها ذراعه وفتح باعه وضربه بيت فى الحزام وكانت ضربة مشمة بتمام فقسمه نصفين وسار على وجه الارض دلوبين فصاحت الامراء صل على النبي قال السلطان هاتوا الذين مع الكافر فكان معه اربعين فقال لهم الملك رأيتم الذى جرى فقال نعم رأينا فقال السلطان لابد ان تحكوا لى على سبب مجيء هذا الملعون وعمايل ذلك السيف وقدومه الى بلاد الاسلام فاحكوا له على القضية فقال خليل يامولانا السلطان اذا كان أبى فى مقدونية فان الملعون مقدمين يقتله اذا علم بقتل ذلك الملعون قال السلطان اطلقوا خليل على دكة غسل حتى يفتدى يمينى فقال خليل وعز رأسك يامولانا السلطان ماأطلع من السجن الا اذا حضر أبويا والتمس رضا امير المؤمنين فأمر بتجهيز العساكر بعد ثلاثة أيام ـ برز الى العادلية عمل مولد لسيد المرسلين وثالث يوم ضرب مدفع الختم واليوم الرابع ضرب مدفع المنبية وبعده ضرب مدفع ورحل بعساكر الاسلام حتى قرب من مقدونية هذا ماجرى قال البرتقش وأنت إيش عامل الدنيا فقال جوان ياسيف الروم أنا وبينك أصنع معى جميل واطلع سوف متى يحضروا المسلمين وأنا أملكك تقبض على ملك المسلمين أو على أحد منهم أو مكيدة تعملها فيهم قال البرتقش واذا فعلت ذلك ايش يكون لى عندك قال له خذ هذا عقد جوهر يساوى خمسة آلاف دينار ولك على جوان اى بنت أعجبتك من بنات ملوك الروم تعملها جناقات قال البرتقش بعد الظلام نائم على قفاه يشاهد مولاه فالقى على وجهه المنديل مطلق بالبنج رافه بعيد عن العرضى ولما قرب من الصور اعلم الملك ففتحوا له الباب واخبر الملك بقدوم البرتقش معه ملك المسلمين فركب وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

[قال الراوى] فقال مقدمين هذا ملك المسلمين عندى فدخل اليه ووضع يده على [illegible] وطقة [illegible] تمام الـ[illegible] وقبض على [illegible] يا ملعون [illegible] الا عمالك [illegible] الاسلام [illegible] أعناق الكفر [illegible]

المدينة وجلس السلطان على تخت البلد وأما جوان فانه لما طلع فالتقاه محمد السابق فضربه برغيف رصاص من القلاع دقلجه عن الحماره ونادى يا برتقش اقبض على استاذك وكتفه والا وعزة الله أرميك جبينه قال البرتقش حاضر وكتف جوان وحمله على أكتافه ودخل به قدام السابق حتى أرماه قدام السلطان قال السلطان جوان قال مالك جوان كم جلبت لكم الاموال وكم فتحتم على يدى بلاد نصارى عادت اسلام وكم بنات عملتوها جناقة بالحلال ولا تقروا لجوان بجميل الا عندكم يامسلمين مثل الشعير مأكول مذموم

قال له الملك ياملعون لابد من قطع راسك قال جوان راسي مايمكنش قطعها ياملك المسلمين وانما إذا كان تعمل معروف وتعتقني امضي الى حالي وان كان معروف ما عندكش اضرب الف علقة وخليني اروح أتسبب لكم فى حاجة ينتفعوا بها غير هذه لان هذه مقدونية بطالة فقام شيحة وعرى أبزازه وضربه بالسوط خمسمائة وقال هاتوا البرتقش قال ابراهيم قدم يابرتقش فقال البرتقش فى عرضك ياأبو خليل حط يدك فى عينى خذ عقد جوهر بألف دينار وأعطى الملقتين لجوان فأخذ إبراهيم العقد وقال ياحج شيحة البرتقش رجل خدام جوان اضرب علقته لاستاذه جوان وهو يتحاسب معه قال جوان ان لم يبنى وبينه حساب كل من هو يأخذ حقه فلم أحد يسمع كلامه وضربه شيحة علقة ثانية وبعدها أخذه البرتقش وقال القيام وأما مقدمين أراد السلطان يقتله فاشترى نفسه بخمس خزنات وتضاعف عليه الجزية سوى واطلقه السلطان لاجل يعمر بلاده ويقعد فى أدبه وبعد ذلك طلب السلطان السفر حتى وصل الى مصر أطلق الامير خليل بن قلاوون وأنعم على قلاوون وجعله وزير ميسرة والاغاشاهين وزير الميمنة وبعد أيام قلائل شكى خليل الى المقدم إبراهيم حب بنت الامير عليان الكردى الذى هو أصل ضربه بسببها فقال إبراهيم على أبوك يسأل السلطان يكلم أبوها فى شأن الزواج وانا اساعدك فى ذلك ولما كان ثانى الايام وتكامل الديوان قام الامير قلاوون وقبل ابك الملك وقال ياأميرنا [illegible] عليك الملك الصالح أيوب أنك تكلم لنا عليان الكردى أن يزوج ابنته لابنى عبدك [illegible] خدمك أحمد فان الامير عليان كما [illegible] له [illegible] لدى غيظ [illegible] ياملك [illegible] ولم لنا من يفك هذه الدعوة الا مولانا انا جميعا عبيدك [illegible] غير مولاه فقال ابراهيم يا امير قلاوون ان مولانا السلطان يحب الخير لدولته لاسيما لدولتك خليل [illegible] صار من أشراف السلطان [illegible] أمير [illegible] فى [illegible] فقال السلطان يا ابراهيم خليل [illegible] بك [illegible] فقال [illegible]

يستحق أمير على جيش ألف ومائة مقدم ونحن جميعا مترغدين فى حماية مولانا السلطان فعندها التفت السلطان إلى الأمير عز الدين الحلبي باشة الأكراد وقال له يا أمير عز الدين

ما إن شاء بيتا فى العلا متجددا   إلا عليه الحكم المتقدم

وأنا ما أعلو عليك إلا بجلوسى على الكرسى فقط ولا أنسى فضل سيدى الملك الصالح ابن عمكم فالمراد أن تكون واسطة فى زواج خليل بتلك البنت قال عز الدين الحلبي الله يا دايم العفو يا أمير المؤمنين المقدم من قدم الله تعالى وأنا وجميع أولاد عمى تحت طاعتك وأمرك مطاع وحق سيد العرب والعجم لم لنا شىء نحكم عليه حتى رؤوسنا بين يديك قوم يا عليان فقام عليان الكردى وختم ودعا الملك بدوام العز والنعم فأجاب بالسمع والطاعة فأمر الملك قاضى الديوان أن يكتب الكتاب وأخلع الملك على جميع الكراد والامراء وأمر الخزندار أن يعطى عليان الكردى خمسين ألف دينار مهر ابنته وشرع السلطان فى الفرح لخليل بن قلاوون شهرا كاملا وبعد ذلك دخل عليها وجدها درة ماثقبت ومطية لغيره ما اركبت فاغتنم الفرصة وافتض ذلك الغزل وتملى بالحسن والجمال وحظى بالوصال [قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه رأى فى منامه أن أمه فى غاية الالم تقول له يا ولدى ها أنا زرتك فى المنام فزورنى أنت فى اليقظة بغير احتلام من قبل ما يدركنى الموت وأشرب كأس الحمام فأفاق الملك وهو مشغول فلما كان عند الصباح وتكامل الديوان فأراد أن يقص ذلك المنام على قاضى الديوان فاستحى لكون أنه ملك ويذكروا والدته تبقى مقصرة فى حقه فلما كان فى الليلة الثانية قص المنام على الملكة تاج بخت قالت له يا أمير المؤمنين إن الوالدة لها على الولد حق التربية لكون إنها حملت به وأرضعته حتى كبر ومشى وتزحزح وانتشى الصواب أنك تروح إلى بلاد أبيك وتزور أهلك وأبيك وتنظر أمك وتنظرها حتى تنطفى نيران الفراق بحلاوة التلاق فلما سمع السلطان ذلك الكلام صبر إلى ثانى الايام واحضر ولده محمد السعيد وأمره بالجلوس على الكرسى والحكم وقال له يا ولدى أنت خليفتى حتى اعود إلى مملكتى لكن يا ولدى احكم بالعدل والانصاف وإياك أن تتبع الجور والاسراف فالظلم إن دام دمر والعدل إن دام عمر

لا تظلمن إذا ما دمت مقتدرا   إن الظلوم على حد من النقم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

ثم إن السلطان ركب وركب المقدم إبراهيم وتبعهم المقدم سعد [illegible] على [illegible] وركب على ظهر هجين ثلاث [illegible] فى المسير طالبا البر [illegible] [illegible] واحدى

والحجر من يصلى على النبي يستفيد ويكسب ليس يختضر ولما تمادى بهم المسير فجعل
الملك الظاهر يحدث المقدم إبراهيم بن حسن عن سبب خروجه من عند أبوه وأمه
وكيف أن أعمامه سرقوه وكتفوه ووضعوه فى مغار وسدوا عليه بالأحجار وأن محمود
العجمى المسارع أتى إلى المغار فالتقاه فيه وأخذه وبعده ودعه إلى على بن الوراقة
بعد ما علمه الصراع وأن على بن الوراقة ودعه والقصة التى جرت فى منشأ ظهوره
وجعلها الملك سيرة يحكى فيها طول مدة السفر حتى انهم قربوا إلى بلاد خوارزم العجم
فنظر السلطان إلى مغار خارج منه وحوش وداخل فيه وحوش قال يامقدم إبراهيم
إن هذا المغار الذى وضعونى فيه أعمامى وأنا صغير وسدوه على بالحجارة سير بنا حتى
ندخله وننظر خارجه وداخله قال إبراهيم الأمر أمرك ياملك الزمان فسار السلطان
ودخل المغار فوجد أربعة عجم رفض يذبحوا اثنين عجم أخر فلما اقبل الظاهر رأى
واحد إفرنجى انذبح وأما الثانى ضربوه بحربة فى صدره نفذت من ظهره فتأمل الملك
الاثنين المقتولين فرآهم أعمامه الذى أصل اخراجه من عند والديه وتغريبه وتربيته فى
بلاد العرب فتعجب الملك الظاهر وضرب واحد قتله وإبراهيم قتل الثانى وسعد قتل
الثالث وعثمان قبض الرابع وقال له قف يامولانا لما تحكى للأشقر على الذى جرى على
أهله احسن إن قلت له أنا فما يصدقنيش وانت على كل حال صاحب فهم عنى ثم قال
عثمان اسأله ياقلاوون وخليه بلا بقبقة لما نعرف الذى جرى اول وآخر قال السلطان
للعجمى انت من أى الناس وإيش الذى اتى بك إلى ذلك المكان ومن هؤلاء الذى
قتلوهم والذى استرجبوا عليه القتل ومن الذى امركم بقتلهم من الملوك قال له العجمى اعلم
ان هذين المقتولين اخوات القان شاه جك ملك خوارزم وهو ابو الملك الظاهر ملك
العرب وسبب قتلهم فى ذلك المكان وهو ان القان هلاوون ابن منكطمر صاحب
ملك نوريز العجم توفت زوجته فغسلوها وكفنوها ووضعوها فى بيوت النيران حرقوها
فقالوا له أرباب دولته ياقان الزمان تزوج غيرها فسأل من الذى عنده من الملوك بنت
حتى اعطيها فقالوا له عنه قالوا إن القان جك شاه له بنت اسمها الست آيق خاتون
فان أردت ان تأخذها فاطلبها منه فانها بديعة حسن وجمال ومثلها لا يوجد فى جميع
المدن فأرسل له رسول يطلبها منه فما رضى وقطع مناخير الرسول ورده خايب وعاير
القان هلاوون لكونه يعبد النار فأقسم القان هلاوون انه لا يأخذ هذه البنت إلا
غصبا وينهبها نهبا ويقتل اباها ويخرب بلاده ويسبى حريمه واولاده وركب فى
عسكره وأجناده وأتى خوارزم العجم بالاوناض ودار الحرب اربعين يوم وانجرح
القان جك شاه وأراد القان هلاوون ان يكبس البلد بعد جرح القان جك شاه فنصحه

وزير الميمنة رشيد وأما وزير الميسرة ثقلون فانه أحضر أربعين طواشين هباق وأمرنا أن ندخل صيوان القان جنك شاه فاذا رأيناه نسرقه ونأتى به إلى ذلك المغار ونخنقه فعملنا كلما أمرنا ودخلنا فلم نر إلا هذين الاثنين فقبضناهم وأتينا بهم إلى ذلك المكان فسألناهم فقالوا لنا إنهم أخوات القان جنك شاه فقتلناهم وأردنا أن نأخذ رؤوسهم نعطيهم إلى ثقلون وزير الميسرة فأتيتم أنتم وفعلتم معنا

فلما سمع إبراهيم وضع يده على شاكريته وضرب العجمى أرمى رقبته وقد سعد وفجر فى المغار قبرين وأحضر المياه وغسلوهم وكفنوهم ودفنوهم فى ذلك المغار وسدوه بالأحجار وركب الملك الظاهر وتبعه إبراهيم وسعد وما زالوا سائرين حتى نظروا إلى خوارزم العجم ورأوا على أبواب عروس المنايا شمرت على ذراعها ومدت الفرسان طول باعها قال السلطان سوق يا مقدم ابراهيم قال له ابراهيم يا ملك خيلنا تعبانة من السفر ولا تقدر تحملنا إلا إذا قحمناها وسيبناها فى ذلك العسكر قال له سعد والله يا ابن خالتى ما أنت الا مثل الردى لا تستر ولا منك دفا اذا كان خوفك على حجرتك أنا أجيب لك حجرة والاحصان وكذلك مولانا السلطان أنا أجيب له حصان واعطوا خليكم الى هذا الاسطى عثمان وارموا أرواحكم وأنا معكم وفرجوا عن أهل الاسلام الأبرار ودوسوا فى هؤلاء الكفار عابدين النار قال السلطان صدقت ياسعد ياابن جبل فانطلق سعد كانه الغزال أو الظبى العربين بسرعة الى عرضى المجوس الملاعين وأتى بجوادين جيدين ممددين مسرحين فركب السلطان واحد وركب المقدم ابراهيم على ظهر الآخر ونظر الى غبار الواقعة فقال السلطان والله ما هى الا فجعة وأى فجعة ثم أن الملك الظاهر حط يده على نمشة ابن الحاكم وصاح الله أكبر

اذا زحفت جيوش الكفر زحفا ... على الاسلام صفا بعد صفا

وثار غبارهم من كل فج ... وعاد النور عنهم مستكفا

حملت بهمتى من فوق مهر ... له فى محفل الهيجان الفا

وسيف حده سيل المنايا ... أفرّ به الجماجم والأكفا

وقنطارية بن أباديس ملكي ... بسن يخطف الأرواح خطفا

أنا بيبرس محمود الفعايل ... مقارش للجهاد كون وقفا

وابراهيم حقا عن يمينى ... يكر وينسف الأعداء نسفا

وسعد على يسارى مثل طير ... يسوق الرق حربا مستخفا

فى دولة الاسلام ملكا ... طراز الملك كالذهب المنصفا

وأوعدنى الاله كل نصر ووعد الله لا يتبعه خلافا

ثم إن السلطان انفرد وفحم الغبار بقلب قد من جباله وعزم شديد لا يفتر بكسله ونظر ابراهيم بن حسن إلى فعاله فصرخ بملء رأسه صوت يفلق الحجر وقال حاسى الله أكبر

إذا هاجت الفرسان والنقع اسودا ... وبحر المنايا زاد موجا وأزبدا

وقامت عروس الحرب ترقص بكأسها ... وفيه حمام كل من شاء أوردا

ودارت رحاة الحرب فوق رؤوسنا ... وكان سنان الرمح للحرب شاهدا

وغنا اليمانى تحت مسحر القنا ... وفرق ما بين النفوس واجسدا

دعونى أوفى الشاكرية حقها ... أخوض المنايا قدا بعد فدا

وانى أنا ابراهيم حوران موطنى ... واصبحت للهيجاء والحرب مفردا

تعودت خوض الحرب مذكنت يافعا ... وكل أمرى جار على ما تعودا

وصلى المهى بكرة وعشية ... على المصطفى من جاء بالنور والهدى

[يا ساده] وانفرد المقدم إبراهيم خلف أمير المؤمنين وطلب ميمنة الصفوف وترك السلطان للقلب كالاسد الموصوف ونظر سعد إلى فعلهم فاستحلى القتاله واستلذبه وبقى عنده كالماء الزلال يروم أن يشربه فصاح الله أكبر

أنا الذى زاد سعدى ... على الفرسان من قتلى وبعدى

أخوض من يومى بحر المنايا ... واقتحم المنايا بكل جهدى

أكر على بنى الكفار كرا ... بسيف ماضى الحدين هندى

ولا أخشى الحمام إذا اتانى ... وارضى باحتكام الله وعدى

وكم ليل قطعت دجاها سيرا ... على قدمى وبالساقين أجدى

بنو الانذال دونكم قتالا ... لكى ما تنظروا هزلى وجدى

خدمت الظاهر المنصور حقا ... نعم لا خيب الرحمن قصدى

وعندى شاكريات ثقال ... نقد العظم قدا أى قدى

سافنى الكافرون ولا ابالى ... واوفى فى حقوق الله عهدى

[قال الراوى ا وكلا من هؤلاء الثلاثة أبطال انتحم الحرب وأجاد فى الطعن والضرب وكانت هجمتهم من خلف الاعداء عباد النار فصاروا يرموا رؤوسا كالاكر وكفوف كاوراق الشجر وهبروا الكفار هبرا وجزروهم جزرا ونثروا جماجم خمسة خمسة وعشرة عشرة ونظروا عساكر القان جمك شاه إلى فعالهم فاستظهروا على اعدائهم وايقنوا بالنصر من مولاهم وتلاغوا على بعضهم اضربوا أعداءكم

بالحسام ولا تبقوا على شيخ ولا غلام وابشروا بالنصر من الملك العلام
ونظروا الرفض إلى ما جرى فرارا أكثرهم تبدد وملقى على الثرى وتشتتوا
فى الصحراء ونظر ثلاون إلى ما جرى وقال النار غضبت على أبناء العجم وأكابر
الديلم فصار يصيح على العساكر ويردهم إلى القتال فنظره المقدم إبراهيم وهو
يعمل ذلك الفعال فعارض ومیل نحوه وصرخ فيه أذهله ومد له يد كأنها رقبة
الأسد وطوق فى جلباب درعه والزرد وصاح يا سيدى غوث يا ساكن حلب
وجذبه من على ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد فصاح رشيد الدولة عليه وحمل
على المقدم إبراهيم وأراد أن يحاربه فرأى أن الموت من طعناته فلوى عنان
الجواد وطلب البر والمهاد وأما الملك الظاهر فانه خاض فى الصفوف وطير
الجماجم والقحوف وبرى بسيفه الاعناق والكفوف وما زال حتى أنه وصل
إلى الموكب الكبير وساق الارفاض بين يديه سوق الحمير حتى وصل هلاوون
ذلك وضرب حامل العلم بالسيف على وريده أطاح رأسه من على كتفيه فمال
العلم ووقع وعاين هلاوون ذلك الحال فأيقن بخيبة المآل ونظر على وجه الملك
الظاهر وهو معبس مغضب ورأى السبع جدريات ظاهرة على وجهه والسبع
اللحم بين عينيه فاندهل وحار فى أمره وتخبل فألفت عنان جواده وانهزم وتبعته
أكابر الاعجام والديلم وتفرقوا فى البرارى والآكام وتبعتهم عساكر القان جمك
شاه حتى تفرقوا فى أقطار الفلاة وعادوا من خلفهم آخر النهار وهم فى غاية
الفرح والسرور وعاد الملك الظاهر فتلقوه أكابر دولة القان جمك شاه وسألوه
النزول عنهم حتى أنه يأخذ الراحة فأعلمهم أن محمود بن القان جمك شاه وقد
أتيت إلى زيارة والدى ووالدتى فرأيت ما أحاط بكم من جيوش الاعداء فقاتلت
معكم . فلما علموا الوزراء به وارباب الدولة أنه ابن القان فتقدموا اليه رسموا فى
الخدمة بين يديه وارسلوا أعلموا القان جمك شاه بقدوم ولده فانسر سرورا
عظيما وكان مجروح أشرف على الهلاك فلم يعبأ بذلك الجرح وقام إلى ملتقى
ولده وما دام سائر حتى وقعت عينه عليه هنالك ترجل الملك الظاهر من على
جواده وتقدم إلى أبوه فاعتنقه وضمه إلى صدره وقبله فى عارضه ونحره
ووضعوا أيديهم فى أيادى بعضهم البعض ودخلوا إلى المدينة حتى وصلوا إلى
الديوان ولم يطلق السلطان الظاهر الصبر بل أنه قال لأبوه يا أبى اما تهدى أن
أرى والدتى وأسلم عليها فالمراد أنك تدخل معى حتى أنظرها فقال له يا ولدى كذلك
فقال إبراهيم بن حسن وأنا كان أسلم على الملكة حتى يصير لى أيضا الزيارة [illegible]

المقدم سعد وأنا يامولانا قال عثمان وسر المبرقعة ما يدخل أحداً منكم إلا وأنا معكم
ثم إن الملك الظاهر وضع يده فى يد أبوه اليمنى واليد اليسرى فى يد المقدم إبراهيم
ويد الملك الظاهر الثانية فى يد عثمان ويد القان جمك شاه الثانية فى يد المقدم وساروا
حتى بقوا من داخل السراية ولما بقوا داخل السراية أعلمهم القان جمك شاه أن الملكة
حاصل عندها سقام من مدة أيام فدخل الملك الظاهر إلى أمه وحده وقعد إبراهيم
وسعد من وراء الحجاب ولما نظرت الملكة آبق إلى وجه ولدها فاستيقظت من عياها
وسلمت عليه فقال لها يا أماه كيف حالك فقالت له ياولدى أنا طيبة بخير وإنما يعترينى
مرض فى بعض الأوقات فسمع إبراهيم وسأل من كبير الطواشية وقال العادة انه إذا
كانت ملكة مثل هذه الملكة يأتى لها ولدها من بعيد البلاد فيبقى عندها همة الأفراح
وهذه الملكة لم حصل لها شىء من ذلك فقال له الطواشى اعلم يا هذا أن الملكة عيانه
وما هذا سيدى محمود كلامنا فرح بقدومه وهو ابن ملكنا واحسن من هذا اليوم لم
ير لنا فسأل المقدم إبراهيم هات أثرها وأنا أقرأ عليه وهى تطيب فدخل الطواشى
وأعلم الملكة فأعطت له الشرويش الجوهر من على رأسها فأتى به إلى المقدم إبراهيم
فقرأ عليه الفاتحة سبع مرات وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وأعطى الأثر للطواشى
فطلعه للست فلما وضعت الشرويش ثانيا على رأسها فحست بالعافية فأمرت له بالف
دينار فاتى الطواشى اليه وقال له يا شيخ ان الست أمرت لك برشوة ألف دينار فقال
إبراهيم الحمد لله لأن الست إذا نزلت بالسلامة يحصل السرور قال له هذه رشوتك
الصغيرة ولكن الرشوة الكبيرة لما تنزل قال إبراهيم هاتوا الكبيرة بالمرة لما انزل يبقى
كل من هو ياخذ حقه ولا يطالب بشىء كل هذا يجرى والملك الظاهر قاعد قدام أمه
حتى أفاقت وقالت للطواشى إن هذا الحكيم مبروك قال السلطان انده عليه فطلع
الطواشى وطلب إبراهيم حتى يراه ابن الملكة فقام إبراهيم ودخل ونظره السلطان
قال له متى عملت حكيم انت يا إبراهيم قال إبراهيم أمى كلها عيشة فضحك عليه السلطان
وقال أنت يا إبراهيم دائما متولع بحب الدرهم

قال المقدم إبراهيم يا سيدى أنت تعلم أن النفع مقدم ويجب على الانسان أنه يجتهد
فى كل ما فيه النفع وبعد ذلك رأت الملكة وسلمت على الملك الظاهر باشتياق وقالت
الملكة ياولدى والله أنا من حين جرى على وعدمت طلعتك فلم تهنيت
بمنام ولا تلذذت بطعام والحمد لله يا ولدى الذى رأيتك سالم وأقام الملك الظاهر مدة
ثلاثين يوم فاخبره بجميع ما جرى بينه وبين هلاوون فكتب السلطان كتاب وسلمه

لسعد وقال له سلم هذا إلى هلاوون فى الطريق وهات لى منه رد الجواب فقال سمعا وطاعة وطلع المقدم سعد طالب عرضى هلاورن حتى أدركه وكان بينه وبين توريز مسافة يومين فسلمه المقدم سعد الكتاب ففرده فرآه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالسعد والعلم إلى بين أيادى القان هلاوون بلغ من مقامك يا ملعون أنك تغتنم الفرصة وتركب على بلاد أبى وتروم تاخذ أختى بدون حق مع أن الارفاض لايجوز أن يدخلوا بالبنات السنية هذا فى ملة الاسلام حرام وها أنا حضرت فى ملك أبى وعرفت أصل العداوة ولو كنت أعلم قبل ذلك ما كنت إلا أتيت بقوم عندهم الحياة مندم والموت مغنم وكنت أهدم أبوابك وأزلزل مكانك فحال وصول هذا الجواب تجمع كل أكابر دولتك وبعد ذلك تسأل منهم إن كان عندك أسير سنى ترسله لنا حالا بدون تاخير ولا أعذار فان فعلت ذلك كان وإن لم تفعل ذلك وتظن أن مكر الرفض ينفعك فها أنا أمرت العساكر أن يفتشوا فى القتلى على من عدم منهم فاذا ظهر بعد ذلك أن عندك أسير وأنكرته قسما بمن مرج البحرين وأنار الكونين اركب عليك بالعساكر الذى تعرفهم . لم أعود عنك حتى أهدم ابوابك على راسك وأقطع كل من حواليك واخيرا انشرك من رجليك بعد ما ألعن والديك والحمد على الختم حجة فيه والسلام على نبى ظللت على راسه الغمام

[ياسادة] فاعاد الجواب على مقلون جاز قال له إن الراى عندى انك تصل إلى بلاد وتتقوى بعساكرك وتعود اليه فترك كلامه والتفت الى رشيد الدولة قال له ياقان انا عندى القان بهرمان اخو القان جك شاه الصواب ان ترسله هدية منا اليه وتعتذر الى قان العرب وتدعه يرحل من هذه البلاد فان اهراق الدم حرام فى جميع الاديان .

قال القان هلاوون يا رشيد الدولة أنت من أين وصل اليك بهرمان شاه

قال له سعادتك أمرت العيارين الاربعة وقلت لهم طوفوا بالعرضى وخذوا أكابر دولة السنية فطافوا ودخلوا صيوان القان جك شاه واتونى باخوته الاثنين وانت امرتهم ان يأخذوهم الى بعيد ويقتلوهم فكان عندى اسير سنى فاعطيته لهم واردت ان أجعل هذا بهرمان قربان للنار فابقيته عندى الى الآن واما العيارين فانهم اخذوا حسن شاه اخوه قتلوه وأدركهم قان العرب فقتلهم وكانوا قتلوا الامير الذى صحبة حسن شاه واما بهرمان شاه فهو عندى الى هذا الوقت باقى .

فقال هلاورن احضره فلما حضر سلمه الى بعض العيارين وقال له سر مع المقدم

سعد العرب إلى قان العرب حتى تسلم اليه القان بهرمان واتقيني برد الجواب بتسليمه ثم قال له سر إذا بقيت فى الطريق وأمكنتك الفرصة اقتل بهرمان واقتل سعد فأجاب بالسمع والطاعة ولما سار بالمقدم سعد أول يوم حتى أمسى عليه المسا ونزلوا على عين أخرى أرادوا البيات نظر سعد إلى عين العجمى فرأى أنه غدار فأعرض عليه الاسلام فأبى فقتله وأخذ بهرمان وتوجه به إلى الملك الظاهر وسلمه كتاب القان هلاوون وأعاد عليه العبارة ففرح بحضور صحة بهرمان شاه وأماعه فانه اعتذر اليه وسلم فعفى عنه وأقام الملك الظاهر بعد ذلك ثلاثة أيام واستأذن أبوه فى العودة إلى مصر لأن مملكة العرب واسعة ويجب على الملك أن يدارى حكمه على رعيته ويخشى العواقب فقام أبوه وأحضر له من أصناف الهدايات التى خفت أحمالها وغليت أثمانها شىء كثير وتوجه مع القان جنك شاه يوم كامل والقان بهرمان شاه وبعده حلف عليهم وردهم وتوجه الملك الظاهر فرحان مسرور بمقابلة أهله واجتماع شملهم بشمله ولكنه عنده اشتغال على مملكته ومازال يجد المسير وفق المشيئة والتدبير حتى وصل إلى أرض العادلية أرسل بطاقة إلى مصر زينت بغير مداد وثانى الأيام انعقد للملك الظاهر الموكب مثل العادة وكان إبراهيم على اليمين وسعد على اليسار حتى وصل إلى قلعة الجبل وضربت المدافع شنك لقدوم السلطان وبات فى أمان ولما كان عند الصباح ظهر الملك وجلس على تخت الحكومة يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الأشراف إلى ليلة من الليالى رأى السلطان منام وهو كأنه فى بلاد الروم ودخل مدينة وتفرج فى شوارعها رآها مدينة عامرة كاملة البنيان عامرة السكان وفى درراته فيها رأى كان البحر محاط بها ولها على البحر مينتين مينة عامرة ومينة خراب فلما طال عليه الحال اعتراه العطش فالتقى فى هذه المدينة مكان من جملة الأماكن فدخله فرأى بير فنظر فيه لعله يجد مايشرب فوجد إنسان جالس على سرج من الرخام وهو قد اعتراه البلا والسقام وهو ينشد قصيده بأحلى كلام كأنه اللؤلؤ فى الانتظام فحفظ منها بيتين وانتبه من المنام وهو يقول كما سمع وتأمل القائل المسجون وإذا به معروف بن جمر أخوه الذى كان ملكا وسلطانا على القلاع والحصون

ولم أحد من بنو إسماعيل يدركنى ... ولا كان حكمت فيهم مدى عمرى

وأين عينيك يا ابن الأخت يا عدمهم ... يا فارس الملتقى يا ... النظر

ولما رأى الملك الظاهر ذلك المنام هاف فى غاية من الضنك والآلام وتذكر

صداقته مع المقدم معروف بن حجر وكيف أنه تصادق معه وبينهم عهد الله انهم اخوة على الصداقة والوفا ولما طلع إلى الديوان التفت إلى إبراهيم بن حسن وقال له يا ابراهيم أنا رأيت معروف بن حجر مناما فى هذه الليلة وتذكرت صحبته ووداده القديم وهو على قيد الحياة ولكنه مسجون فعند ذلك بكى المقدم ابراهيم وقال يا ملكنا لو اعلم أنه هو فى أى البلاد كنت سرت اليه ولا أعود إلا به ولو كان آخر يوم من عمرى وها أنت يا ملكنا تخبر أنك رأيته مناما وأنت معصوم من الشيطان لأنك لا تنام إلا وأنت طاهر فياهل ترى رأيت صورة البلد التى هو فيها قال السلطان نعم فقال ابراهيم أما البلاد التى على البر فما تخفى علينا وأما الذى على البحر فما يعلم بها إلا القبطان الذى يورد عليها قال السلطان قبطان الاسلام أبو بكر البطرنى وهو الذى عنده كتاب البحر ويعرف المدائن والقرى والسواحل والمدن لا بد من حضوره ثم انه كتب كتاب إلى أبو بكر البطرنى يأمره بالحضور وقال لا تقرأ هذا الكتاب إلا وأنت قادم على مصر دون عايق يبقيك وأرسله مع المقدم سعد إلى الاسكندرية فخرج مثل الطير الطائر ووصل إلى الاسكندرية ودخل على أبو بكر البطرنى وأعلمه بان السلطان طالبه فقال سمعا وطاعة وتوجه من وقته وساعته على البر وطلع إلى قدام المؤمنين وخدم وترجم وفصح ما به تكلم فرفع السلطان رأسه وقال له أى مدينة لها ميناتين مينة عمار ومينة خراب اعلمنى عنها فصار يكرر عليه البلاد السواحل فتضايق السلطان وقال له أين كتاب الفهرست الذى فيه صور البلاد التى على المالح بلد بلد فقال يا مولاى موجود وغاب وعاد ومعه كتاب كبير فيه جميع ما حول المالح من البلاد عرب وعجم وافرنج وروم وغيرهم فقال له اقرأ لى بلد بلد فصار البطرنى يقرأ حتى يأتى على حد القيطلان فقال السلطان لم رأيتها فى هذه المدن فعاد الكتاب ثانيا وثالثا وهو يخفى مدينة القيطلان فاغتاظ السلطان وأخذ منه الكتاب وقرأ ورقة ورقة حتى أتى إلى مدينة القيطلان وقال يا قبطان الاسلام هذه المدينة التى رأيتها فى المنام ورأيت المقدم معروف بن حجر فيها مسجون فقال أبو بكر البطرنى يا مولانا هذه مدينة القيطلان وأنا يا ملك الاسلام لا أقدر على دخولها الآن لى فيها خصم وغريم وهم أولاد الزير القيطلانى والسبب فى ذلك يا مولانا السلطان أن الزير القيطلانى أنا قاتله ولى حديث عجيب والسبب فى ذلك أن الزير القيطلانى كان جبارا وكان لمولاى أبو بكر البطرنى خصما للزير القيطلانى حتى انه أحرمه أن ينزل البحر وضاقت عليه الدنيا حتى تربت له على قلبه علة كبيرة وأقام ملازم الوسادة مدة طويلة وكان أبو بكر

صغير ولما راى ابوه انقطع عن البحر فشاوره ان يعمل له شوطية فى البحر لاجل انه يصطاد فيها سمك فقال له يا ولدى اخاف عليك من الزير القيطلانى فقال له يا ابى يحمينى منه ربى واصطنع له شوطية وبقى يتصيد واجتمع عليه جماعة مثالة من اولاد المغاربة حتى بقوا ثلاثين نفر وصاروا يتصيدوا فمدة ايام الى يوم هم فى البحر يتصيدون واذا بغليون الزير القيطلانى اخذهم اسارى واخذوا مراكبهم وارموهم فى العنبر لانهم اطفال وعادوا طالبين القيطلانى فانتبه ابو بكر ليلة من الليالى فراى النصارى نايمين سكارى فعاد الى اصحابه وقال لهم يا اولاد عيشة بعتوا روحكم فى الجهاد فقالوا بعنا يا سيدى فامرهم يطلعوا من عنبر الغليون وكلا منهم اخذ له سيف من سيوف الكفار واول ما فعل ابو بكر ذبح الزير القيطلانى وذبحوا بعده كلما كان فى الغليون وعادوا فرحانين الى بطرنه وقدم الراس ابو بكر لابوه خطاب فشفى من علته وكسر الغليون وصنعه غراب وسماه الغراب المنصور وجرى ما جرى والى الآن ابو بكر البطرنى يتوقف من سفره على القيطلانى وهذا سبب عدم سفرى يا مولاتى الى تلك المدينة ولما سمع الملك الظاهر ذلك الكلام قال له يا خاين اذا كان هذا عذرك لاى شىء لم اعلمتنى به حتى كنت اقله واقدب فيه غيرك ومن حيث انك والست على وتنكر معرفة البلد ونافقت ولولا انا عرفت البلد والا كنت دايما تنكرها عنى هذا يدل على انك منافق وانا وحق من اولانى رقاب العباد اذا لم تسير الى القيطلان وتكشف لى اخبار المقدم معروف بن حجر فى هذه البلد حتى اننى اتسبب فى خلاصه والا اقطع راسك قال البطرنى يا مولانا اسافر على الراس والعين مطيعا لامرك

إذا ما اتقنا المنية بلادنا سعينا ورحنا المنية بلادها

ثم ان البطرنى خرج من قدام السلطان وتوجه الى الاسكندرية واصلح شأن الغراب المنصور واقب المراسى وطلب مأوات البحر العجاج ايام طويلة حتى وصل الى جزيرة المرانص فخرج عليه ريح اسمه قاسم جون فكسر عرنوص من بعض عرانيص الغراب فمال على تلك الجزيرة لاجل ان يأخذ له منها عرنوص ولاجل القضاء والقدر ان كبير القيطلان كان فى تلك الجزيرة رابط بأربع غلايين حربية فاحتاطوا به من يمين وشمال وخلف وامام حتى ان الغليون منهم يضرب جله واحده وابو بكر يضرب اربعة ولا يمكنه الخلاص منهم لكون الغراب ناقص عرنوص وفرغت منه الجبخانة واطبقوا عليه وشكوا فى الغراب الكلاليب فقاتل ابو بكر والمغاربة حتى اسخن بالجراح اخذوه اسير واخذوا الغراب المنصور وجميع من فيه المغاربة اسارى وسفروهم الى القيطلان ووضع ابو بكر فى مطمره وسجن باقى المغاربة فى سجن

وحدهم لما علم انه قاتل ابوه فأراد ان يجمع اخوته كنوبر وعبد الصليب يحضرهم ويذبح ابو بكر بين ايديهم فى ثار ابيه وفضل البطرنى فى المطمورة على راى الذى قال :

يامن غره جهله وزود فى الدجى نوحه　　كان خالص صبح حوالك اشتكى روحه
سيقع له كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[قال الراوى] واعجب ما وقع ان الملك الظاهر يوم من الأيام بالديوان واذا بنجاب طالع من باب الديوان يقول نعم يا ملك الاسلام الله حافظك الله ناصرك الله يأخذ بيدك الى جنات النعيم قال المقدم ابراهيم من اين يا نجاب قال :

عرج ركابك عن دمشق فانها　　بلد تذل لها الأسود وتخضع
ما بين جبهتها رباب يريدها　　قمر يغيب والف شمس تطلع

انا من دمشق ومعى كتاب الى ملك الاسلام والكتاب يغنى عن الكلام فاخذ ابراهيم الكتاب وقدمه السلطان فامر بقراءته فاخذه مقرىء الديوان وفرده وقراه واذا فيه :

مهد القلب حبكم　　واشتها دوم قربكم　　لو رايتم مكانكم
فى فؤادى لسركم　　قصروا مدة الجفا　　طول الله عمركم

من حضرة العبد الأصغر والمحب الأكبر خادم الركاب كاتب الجواب الى ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالبند والعلم اعلم يا ملك الاسلام أنا عبدك عيسى شرف الدين الناصر باشة الشام من أمس تاريخ هذا الكتاب حضر لنا واحد تاجر يذهب معاملة خلاف معاملة السلطان وصكة مختلفة فسالت عنه من أين ذلك فعرفنى أن واحد فداوى أرسل اثنين بذلك الذهب فنزلت بنفسى صحبة الخواجة الى السوق وهجمت على الاثنين قبضت واحد والثانى هرب ووضعت الذى قبضته فى السجن وفى الليل أتانى واحد ضربنى الف سوط وأخذ منى الف دينار وأمرنى أن أطلق تابعه فى الصباح بعد ما أخلع عليه وان خالفت حلف انه يأتى الليلة القابلة ويذبحنى فاطلقت تبعه خوفا منه وكتبت هذا الكتاب لحضرة مولانا أدركنا بسيفك المسنون وامرك المكنون وجوادك الميمون أدركنا والا فارسل لنا من يدركنا الامر أمرك أطال الله عمرك والسلام فلما سمع الجواب امتزج بالغضب وقال هكذا يجرى فى بلاد الاسلام فى زمن دولتى ولكن ان شاء الله الرحمن الرحيم لابد لى أن أروح الشام وانظر ذلك الفداوى كيف يتجارى على تلك الفعال واجازيه بما يستحق باذن

الملك المتعال ثم انه أحضر السعيد ولده واجلسه على تخت مصر واوصاه ان يحكم بالعدل والانصاف وأخذ ابراهيم وسعد فقط وركب فى عصارى ذلك النهار هذا جرى للملك الظاهر وأما النجاب فان السلطان أمره أن يعود إلى من أرسله ويعلمه أن الملك قادم عن قريب وكان السبب فى ذلك شىء عجيب وأمر مطرب بديع غريب وهو انه لما حكم شيحة الحيل على رجاله كتب حجة وبعد ما أطاعته الرجال ظهر فداوى من الاجج مقدم على الخير يقدم فارس غشمشم بحرمدان مهندم معه الابرة والمرهم لتقطب الجرح المعظم فداوى كالأسد يفاوى كم جد تقاوى صدر من صدور بنو اسماعيل الفالك الأفخر اسمه عماد الدين دلقم وهو ابن أخت معروف بن حجر وابن خالة المقدم ابراهيم بن حسن والمقدم سعد ولما وصل إلى حصن صهيون ونظر إلى القلعه وشاف أثر المقدم جمال الدين شيحة فسأل من رجال الحصن عن خاله فاعلموه أنه لم ظهر وسأل عن السلطنة فأخبروه بالمقدم جمال الدين وأوصافه قال معزول ومن لم يقول معزول ادعور قرعته

فقالوا جميعا معزول يا خوند قال والظاهر كان معزول لكونه يولى على القلاع مثل هذا الرجل ثم انه أحضر جانب ذهب وأمر الحدادين صنعوا له سكة لاجل المعاملة وبعد ذلك دق جانب ذهب من مصاغ وأرسل اثنين أتباع وأمرهم أن يشتروا بضاع من الشام وأن يدفعوا تلك الدنانير للتجار فراحوا إلى الشام والتجار أعلموا الباشا فركب بنفسه وقبض واحد والثانى ركب وهرب ووصل صهيون وأعلم المقدم عماد فأتى إلى الشام ودخل ليلا وطلع على الباشا من خلف سرايته على المفرد وقبض عليه وضربه الف كرباج على ظهره وقال له بعد ذلك هات الف دينار وأنا أنزل وأتركك بلا موت ولكن بشرط انك تصبح تنعم على تبعى وتطلقه بامان وان ما طلقته والاسم الأعظم اجيبك الليلة الآتية اذبحك ولو تكون فى حصن حريمك يا ذن ... تركه ونزل فقام الباشا الصبح احضر التبع وانعم عليه واطلقه وكتب للسلطان كما ذكرنا وسافروا السلطان قاصد الشام معه ابراهيم وسعد حتى وصل إلى ... على ابن علمم ونزل لاجل الراحة فى تلك الغابة ... الظليلة فى ظلها نظر السلطان إذا برجل فى قلب الغابة يقلع الأشجار ... ياتى إلى الشجرة البالغة الجسيمة ويهزها بهمته يمينا ويسارا ويرفعها برجله ... من ... إلى الأرض قال السلطان ما شاء الله انظر يا مقدم ابراهيم الى عزم ... يا ملك ... الذى نحن قاصدين اليه هذا المقدم عماد ... هذا الظاهر ... شيحة يبيع ... أو حصن ... يقرى اولاد فى مكتب ... الأسد الغشمشم المقدم

عماد الدين علقم فقال السلطان إذا خرج علينا ونحن واقفين نهرب يعني منه وتهرب أنت وسعد وأنا اتلقاه واصبر إلى ملتقاه فقال المقدم إبراهيم يا ملك كيف نهرب أنا وسعد ونترك خادم الحرم يلتقي كلب مثل عماد الدين علقم والله ما يقدر يصل اليك ما دام فينا خافقة تخفق فقال السلطان أنت ما خفت منه قال إبراهيم فشر والله لو اجتمع هو والف من أمثاله أنا لهم كفيل وحق رب البريه مع أنه ابن خالتي ولكن ما دام عاصي على مولانا السلطان والحاج شيحة فانا خصمه ولا أعرفه والقرابه تدخل في العداوة وأما أنا عبدك يا ملكنا اضرب بين يديك ولم اتأخر ولم أبخل بروحي عليك بينما هم كذلك وإذا بالفداوي نظر اليهم فلما رآهم تقدم إلى ناحيتهم وابداهم بالسلام فردوا سلامه عليه فقال للملك الظاهر بالسلامة يا دولتلي قال الملك الله يسلمك فقال له شرفت ارض الشام ثم تقدم وسلم على ابراهيم وسعد وقال ياملك الدولة إلى أين العزم قال السلطان إلى حضرتك لانه بلغني عنك انك اغراك جهلك يا عماد وعملت مسكة معاملة واردت أن تمشيها في الشام وتجاريت على باشة الشام فلما علمت ذلك قلت اطلع اتسلى أنا وأولاد خالتك وإذا قابلتك امنعك عن فعل القبيح لاني أعلم انك عاقل وثانيا يجب على اكرامك لانك فيك روايح خالك المقدم معروف ابن جمر هذا كان سبب قدومي إلى هذا المكان فقال المقدم عماد الدين ياملك إذا كان قدومك لاجلي أنا بقي سير معي إلى حصن صهيون حتى استأنس برؤيتك واتسلى بمنادمتك واتشرف بخدمتك ولا تؤاخذني ياملك في ذلك فان المثل يقال لايعاد ولاندم سعي الموالي إلى الخدم وربنا يحب جبر الخواطر فقال الملك وهو كذلك سير قدامنا فسار عماد الدين والسلطان وابراهيم وسعد حتى قربوا من حصن صهيون وطرد عماد حجرته حتى وصل إلى حصن صهيون ودخل القلعة وأمر الطبجي أن يضربه مدافع شنك لقدوم ملك الاسلام بقا هنا القول يختلف على شرطين اول أن المقدم عماد أمر البطجي ضرب ثلاث مدافع على الثلاثة القادمين واول أن الطبجي ادرعي وفعل ذلك بغير أمر المقدم عماد وأخذ نيشان على الثلاثة وضرب المدافع سوى فكان ابراهيم باله من الصوز فجذب السلطان وقال انزل يا ملك فنزلوا الاثنين الى الارض كان ذلك سببا لنجاتهم واما الدانتين اخذوا السرجين من على ظهور الخيل هذا جرى للسلطان وابراهيم واما المقدم سعد فقز قدام الجله واخلى لها طريق وتبعها في البر حتى لحقها وصبر حتى بردت وحملها واتى بها ولما افاق السلطان على نفسه نظر الى ابراهيم وقال له أين المقدم سعد فقال ابراهيم تعيش يا ملكنا أن الجلة الثالثة أخذته واظن انه ما حملته كفنة فقال السلطان لاحول ولا قوة الا بالله

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهم كذلك وسعد مقبل والجلة في يده باردة قال إبراهيم بالسلامة يا سعد قال سعد الله يسلمك هذه ضيافة ابن خالتنا الله لا يرحم خالتنا ولا اللي خلفت خالتنا فقال السلطان دعونا من هذا الكلام وأنا مرادي أتوجه إلى الشام ولا بقيت أجي على هذا الخائن إلا بالعساكر والرجال حتى أوريه عقب بغيه فقال المقدم إبراهيم يا ملكنا كيف نروح الشام وليس لي مقدرة على ركوب حجرتي من غير سرج قال السلطان وأنا كذلك لكن يا إبراهيم روح دور لنا على سرج تركب عليه واحد لي وواحد لك قال إبراهيم يا ملك أين يكون سوق السروجية من حصن صهيول ولكن لأجل الضروريات أنا أسير لأني أعرف أن هنا قريب نجع عرب لعلي أرى أحدا عنده سرجين حتى نشتريهم منه بالثمن ثم سار إبراهيم حتى بعد عن السلطان فاعترضه بدوي راكب على ناقة ومعه سرجين مثل الذين عدموا منهم فقال إبراهيم كأنهم سروجنا ثم أنه نظر إلى البدوي وصاح عليه فأقبل وهو راكب على الناقة وقال له يا شيخ غلامك فقال ابراهيم اعطيني هذين السرجين فقال البدوي اشتري وأنا أبيع لك فقال إبراهيم سر معي إلى المشتري وأنا سمسار فاذا سألك المشتري عن ثمنهم فقل له بألف دينار يعطيك ألف دينار اعطيني النصف وخذ أنت النصف خمسمائة فقال البدوي طيب يا شيخ فقال له إبراهيم أنت ظاهر عليك أنك رجل صالح يكفيك ربعمائة وأنا ستمائة فقال البدوي طيب فقال إبراهيم يكفيك مائتان وأنا ثمانمائة فقل لي طيب قال إبراهيم أنت خذ مائة وأنا تسعمائة فقال البدوي طيب ومادام إبراهيم ينقص حتى انتهى الحال على دينار واحد للبدوي وتسعمائة وتسعين للمقدم إبراهيم هذا والبدوي يقول طيب يا شيخ حتى بقي قدام السلطان فوضع سرج على حصان السلطان حكم قدره لا زاد ولا نقص والثاني على حجرة إبراهيم كذلك على قدرها فقال السلطان اطلب الثمن يا بدوي حتى اعطي لك كلما طلبت فقال البدوي اطلب ألف كرباج فقال السلطان لاي شيء فقال هذا نذر علي لا أبيعهم إلا بألف كرباج فلا تبطل نذري والا أعطيني سروجي فقال السلطان وهو كذلك أمسكه يا سعد حتى اضربه ألف كرباج فقال البدوي أنا لي واحد والباقي لشريكي فقال ابراهيم فسخت الشركة يا شيخ اقبض أنت حقك ما بقيت أشاركك فقال البدوي يا عجب شاركتني على طبرية فقال ابراهيم اسم الله على العرب اللي أنت منها يا حاج شيحة من أين جبت السروج ومتى وصلت إلى ذلك المكان فقال المقدم جمال الدين وإيش الذي جاب مولانا السلطان الى هنا فأحكي له على عماد وأفعاله بالشام ولما أتيت غرضي أن أدخل معه الى قلعته

وضربني بالمدافع فقال شيحة يا ملك الخصم لا يؤتمن وانما عود يا ملك الى الشام وارسل هات عسكرك وحط على حصن صهيول فان عماد ما هو طالبني وحدي بل طالبني وطالبك لانه طالب خدمة الحرمين وسلطنة الحصونين فقال السلطان وهو كذلك وكتب كتاب واعطاه لسعد وامره أن يوصله للوزير يأتيه بالعساكر على قلعة صهيول فأجاب بالسمع والطاعة ورجع الملك الى الشام وأقام حتى أتى له المقدم سعد واعلمه ان العرضى قدم من مصر فركب السلطان وأخذ المقدم ابراهيم وسعد وسار قاصد العرضى وركب وسار حتى حط على حصن صهيول ونظر المقدم عماد الدين عرضى السلطان قادم عليه فصبر حتى نصبت الخيام وأركزت الاعلام وفتح باب القلعة وخرج وهو غايص فى لامته ومقفل فى عدته ومتقلد بشاكريته ودفع حجرته حتى سار قدام العرضى وصال وجال ولعب على ظهر حجرته يمينا وشمالا ونادى وقال ميدان يا ظاهر ميدان يا امارة ظاهرية ميدان يا مقادم اسماعيلية وأدرعية ميدان يا أكراد أيوبية ميدان يا دولة الظاهرية يا محاذرين أديانكم بكميا تكم فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس الف لفارس وان أردتم الجور والاسراف وتركتم الانصاف احملوا جميعكم فرد حملة حتى القاكم صفا صفا وافنيكم الفا الفا من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فاني خفى أنا المقدم عماد الدين علقم الحرب يا طلابة قال الملك قم يا أمير أيدمر فقال الوزير يا ملك أين يروح أيدمر مع هذا الفداوى الجبار تريد تقاتل السبع بالغنم هذا غير واجب هذا لا يقاومه الا أمثاله فقال له الملك يا دولتى وزيرأما تعلم ان الحرب غالب ومغلوب قال الوزير صدقت يا ملك ولكن ايش الفائدة تبهدل عسكرك مع هذا الجبار فقال السلطان وإيش تريد أنت ان أعمل فقال هذا لا يقاومه الا بنو إسماعيل قال السلطان أنا أقول أن بنوا اسماعيل يخشوا بأسه لكونه انه ابن عمهم وكذلك ابراهيم يقول هذا ابن خالتى فقال ابراهيم لا يا ملك الاسلام أنا ما أقول ان لى ابن خالة اصى لى دولتك [illegible] الحاج شيحة والاسم الاعظم ان أمرتنى فما ينزل اليه اولا الا أنا قال السلطان [illegible] وقت والحرب حتى يبان لى صدق قولك قال ابراهيم سمعا وطاعة حجرتى يا ابن الشباح فقدم له الحجرة فركب على ظهرها بعد ان البس عدته وتقلد شاكريته وخرج الى [illegible] الميدان [illegible] كأنه جلة من الجلال وقطعة من جبل أو قضاء الله اذا انحدر وقال [illegible] الميدان [illegible] له [illegible] اذا به ابن خالته فقال عز مهلك وأنت يا مرازق تريد تحاربنى [illegible] كان [illegible] من الرخاوة يا [illegible] نجم عليك [illegible] فى الخلا [illegible] غالك [illegible] القاني [illegible] بالغوى [illegible] نعلقمه

بشيء من الفروسية ولكن أين الثرى من الثريا هذا أمل بعيد فقال ابراهيم بطل كثرة الكلام والله مالم تطيع الحاج شيحة ماأعرفك ولاأعرف خالات ولا أعمام ولا لك عندى الا الحرب والصدام وضرب الحسام فقال عماد الدين والله يا ابن حوران لقد لعب العجب بطغيك في هذا النهار لابدلى ان أخرج هذا العجب من رأسك وأفضل بهذا الحسام رأسك وأهدم أساسك ذلك انطبق المقدم إبراهيم على المقدم عماد انطباق وتساووا في الحرب والصدام وبطل العتب والملام وقل بينهم الكلام واشتد بينهم الخصام وتهمروا كأنهم أسود الآكام وزادت نيران الحرب بينهم وقود واضرام وتماسكوا السيوف وضربوا بعضهم بلا رعب ولاخوف وشخصت لفاعلهما الصفوف وبقى على أشداقهم كالقطن المندوف وجاءت منهم الحين وزعق على رؤوسهم غراب البين وتجاذبوا بالزندين وزاد بينهم الطلاق وجرى على أجسادهم العرق وتمنا كلامنهم انه لا يخلق وطال بينهما المطال ويقنوا لاعمارهم بالزوال ونظرا عماد الدين ملقم الى المقدم ابراهيم ابن حسن فوجده نار لانصطلى وجبلا كلما قاربه شمخ وعلى فعلم أنه مخاطر بنفسه معاه ولولا أنه ابن خالته والا كان المقدم ابراهيم قتله وأعدم مهجته فعندها أخفى المقدم عماد الكمد وأظهر الصبر والجلد ووقف فى ركابه وضرب ابراهيم بالشاكرية ضربة مصبعة تمام فضيعها سبع الاسلام ووقف فى ركابه وقفة الاسد الغضبان ومد الى عماد زند ملان تقوى وايمان وقبض على خناقه كما يقبض الجارح أضعف الحمام وصرخ ياسيدى رسلان ياغفير الشام وتمطى بعزمه والاجتهاد وأراد ان يأسر المقدم عماد واذا بالمقدم جمال الدين جنب ركابه وهو يقول له لاتفعل ذلك ياأبو خليل وتكسر حرمة هذا الفارس بين الابطال المسميه وان كان صدك فاتركه لى مثل الهدية فرفع ابراهيم يده من خناق عماد الدين وانحنى على قربوص حجرته وصاح هى طاعة الخوند لك حتى تقوم الجبال فى مارات البحار أناعدو لمن تعادى وصديق لمن تصادق اى والاسم الاعظم فقال له عماد الدين مرحبا بك مرحبا وأهلا وسهلا حيث أنك أطلعتنى وضربت الاطاعة لى فما بقى يصيبك الا السلامة فقال المقدم ابرهيم اصحى من عقلك أنا ماضربت الاطاعة لك أنا أطيع الذى فى هذه الليلة يسلخك ويحشى جلدك ساس ويعلقه على حصن صهيون لاعقل يامجنون قال له المقدم عماد من الذى يسلخنى قال إبراهيم الذى سلخ من قبلك كل أدرعى جبار قال عماد مين هذا قال الذى ضربه النسر بن عجبور سبع علق رمات وأراد ان يدفنه سرق الكفن ومرق وعاد عليه أخذه بنى على أكتافه سور القيقيول عماد مين هو قال ابراهيم الذى ضيعته أنا فى حوران وأخذ رأسه لصقه على جثته وعاد كأنه جنى أو شيطان قال عماد حيرتنى ايش اسمه قال ابراهيم لاتكثر حكيك

كم ضيغم خاف بأسى صارمن خيلى   وصوروني النصارى فى كنايسهم
اسمى المقدم جمال الدين أبا الحيل

قال له المقدم عماد أنت شيحة الذى يقولوا عنك قال له نعم قال عماد يا حاج شيحة أنا ما كنت أظن فيك إلا أنك شيء كبير ومن حيث أن هذا فعالك بقيت كلا شيء بحق أتيت مثل كنجى ودققت الحيلة وأنا عنك غفلان وأما لو كنت حاذر منك لم كان يمكنك تقبضنى ولو كان تلحق ماتلحق وإنما إن كان فيك همة اقبضنى ثانيا وأنا مستيقظ منك وافتخر بقبضتى قدام بنى إسماعيل وأما أول أنا لم كنت عارفك ولا مستيقظ منك فقال المقدم جمال الدين يامقدم عماد أنا أقدر أقبضك فى ليلة واحدة ثلاث مرات

فقال عماد اشرط فقال شيحة يا ملك الساعة قدر إيش قال الملك أول الثالثة قال شيحة أنا أقبضك ياعماد سبع مرات فى سبع ساعات ولا تفرغ هذه الليلة إلا وأنا ماسكك سبع مرات فقال عماد إذا فعلت ذلك أطيعك قال شيحة وأنا إن لم أقبضك سبع مرات ابقى أنا معزول وانت تكون سلطان القلاع فقال عماد أول أطلقنى فأطلقه وقام عماد الدين من قدام السلطان يتعجب من فعل شيحة وما دام سائر حتى وصل باب القلعة فطرق الباب .

فقال البواب من الطارق فى جنح الليل الغاسق فقال ماهو المقدم عماد ففتح الباب وقال له قبضته قال من هو قال البواب الذى كان على الباب فى هذا الوقت دخل رجل وقال افتح لى أنا شيحة ومراى أدخل القلعة والعب مع المقدم عماد ملعوب فقال عماد وأين مرق قال له على جهة البستان فقال إلى حيث ألقت رحلها ام قشعم أنا هنا أقعد حتى يطلع النهار ثم انه قعد وإذا بالبواب طلع جربنديته وأخرج منها دجاجتين محمرتين ورغيفين خاص وقعد ووضعهم بين يديه وأراد أن يأكل فقال عماد إيش هذا ياشيخ

فقال البواب يا خوند هذا عشايه

فقال عماد هات منه أنا كان لهذا الوقت ما أكلت .

فقال البواب احنا أكلنا أكل فقرا مايصلح للملوك وأنت ملك .

فقال عماد لاتكثر الكلام يا قرن ومد يده أخذ الدجاجة ورغيف وكسر لقمة وقطع قطعة من الدجاجة وأكل فالوانقلب فكتفه البواب وأخذه وسار به إلى عرضى السلطان قال إبراهيم من عندك يا بواب قال على رسلك ودخل إلى قدام السلطان وفيق عماد فنظر إلى شيحة وقال أنت كنت البواب وأين وديت البواب قال له نايم ورا البوابة فقال هى واحدة اطلقنى فاطلقه عماد وسارا إلى باب القلعة فرآه مفتوح فدخل رأى البواب مبنج خلف البوابة فتقدم اليه فيقه وقال له يا قرن ينجك شيحة وقعد لى

فى صفتك حتى أوقعنى بسببك فقال البواب والله ياخوند أنا شيحة مايغيب على ولكن ما كنت واخذ بالى وأما من الآن إذا أراد الدخول فى القلعة لا بد من قبضه .

فقال عماد وها أنا ذا عندمك فقام البواب وأحضر منقد نحاس وولع فيه نارا وأراد أن يتدفا فقال عماد النار فاكهة الشتا وتقدم إلى النار وإذا بالدخان طلع عليه فتبنج وقبض عليه وعاد به إلى المرضى رفيقه وقال له هذه الثانية وأطلقه فصار إلى باب القلعة فوجده مفتوح فدخل ولم يسال البواب وسار إلى ان دخل حريمه وطلب الابريق ليزيل ضرورة فطلعت الجارية وناولته الابريق وقالت ياسيدى مارايت الابريق تكلم إلا فى هذه الساعة .

فقال لها إيش يقول قالت يقول امسكينى طيب اناسلطان القلاع فقال عماد معزول يا قرن وطرق الابريق فى الأرض كسره فخرجت منه رايحة زكية فشمها عماد انقلب كتفته الجارية وحملته إلى عرضى السلطان قال إبراهيم من عندك يا جارية .

قالت على رسلك وقدمه قدام السلطان قال عماد بقوا ثلاثة فاطلقه فعاد إلى القلعة رأى القلعة مقفولة فجاء من خلف القلعة وارى المفرد وطلع راى بعض الفقرا نايمه والبعض قايم فسال كبير الفقرا وقال له كيف طلعت انا وما منعتنى

فقال يا خوند انا اعرف المفرد بتاعك فكيف امنع سلطاننا من طلوع اسوارنا وانت لأى شىء جئت من الصور قال عماد اما دخولى من الصور فانه من هذا القصير الذى كلما اتى إلى الباب ارى شيحة قاعد فيه وهذا مضايق حطيرق

قال له يا خوند وهذا شيحة يعيقك وانت سلطان الدنيا قال عماد لا بد من قبضه قال له ماقال لك انا شيحة عند ماقابلك قال عماد قال ولكنى انا مابفتكر فى كلامه واراد عماد يجلس قال له الفقير يا خوند إن كان تريد تغلب شيحة اقعد معى حتى يطلع النهار ويكون شيحة ما قبضك تاخذ السلطنة منه فقعد المقدم عماد قدام الفقير يكي للنوم وميل فخذه وسيب ريح لكن بصنعة ورائحته منتنة قال عماد فكتفه الفقير ووضعه قدام السلطان فلما افاق عماد وراى شيحة قال له حتى من جيبك تطلع البنج ياشيحة قال شيحة اى ء اغلب به العب به وانت ياحى قلب دماغك إلاذلك الجبص الذى اوقعك بقوا كام قال عماد أربعة فأطلقه فترك عماد القلعة وقال هذه كلها شرح ما أدخلها ثم انه ســـار إلى بستان جنب القلعة ودخل البستان رأى البستانى معه ثور بإيماقه ليحرث به الأرض قال عماد يا شيخ حتى يطلع النهار وابقى احرث قال يا خوند هذه الأرض التى أريد أحرثها البقلة وان ايام الحراث

قرب فراغها وأنا قصدى اتمام هذه القصبة قال عماد رأيت أحدا جاز على البستان
فى هذه الليلة قال ياخوند لم مر على إلا رجل مرق قاصد نحو القلعة ويقول انا شيحة
وهو عماد ولا بد من قبضه على أى حال كان قال عماد ليش ما قبضته قال ياخوند
إذا أردت اقبضه ما الحقه لأنه مرق بالجرى قال عماد انا الحقه وجرى عماد قاصد
القلعة فسمع صوت البستانى مكتف ومضروب فى رأسه ضربا قاسيا والدم سائل على
بدنه قال من ضربك قال ياخوند ذاك الذى قال أنا شيحة اسقينى دخيلك قال عماد
سقاك البلاء يا قرن انت وشيحة سوى ثم تقدم عماد ليقطب له رأسه وإذ بالجرح
يخرج دما سائلا غابر والبستانى مد يده على وجهه بتعفينة بنج أرماه وكتفه وأخذه
للسلطان وفرقه وقال له بقوا خمسة قال عماد الدين خمسة وعاد عماد ودخل حريمه
فالتقى أمه اللبوة والكاسرة فقال لها يالبوة انت والدتى ولا احتفلتى فقالت له أمه
كأنك جنيت ياعماد حتى ما بقى لك عقل أيش هذا الكلام فقال يالبوة شيحة قبضنى فى
هذه الليلة خمس مرات فقالت يا ولدى أنا شيحة لا أرضى لك أن تعارضه فانه
طاعته الرجال قهرا عنهم وإن عارضته تتعب أدخل انعس فى هذا الفراش حتى
يطلع النهار أنا شيحة أنده عليه وأصالحك معه على أى حال قال عماد فشر والله ما
أطيعه ولا أقبل كلام أحد ما دمت أملك شاكريتى بيدى اسقينى يا لبوة فأعطته
القلة فشرب وقع كتفته وأخذته للسلطان وفرقه نظر عماد إلى شيحة وقال له كان
الحريم يا قرن فقال شيحة أنا أدخل بين اللحم والعظم بقوا كام نوبة قال ستة
فأطلقه وسار حتى دخل قاعة الحريم فرأى الحريمات كلهم نائمين فنزل على زوجته
وقال الصواب أنى أجامع زوجتى فان كانت شيحة يكون لها ذكر ثم جامعها
فلم يجد إلا هى فقام من على صدرها ودخل الحمام فالتفت فرأى جارية واقفة
بين يديه فقال لها انت شيحة قالت له يا سيدى أنا جاريتك خداع كيف
تجعلنى أنا شيحة فقال عماد أما من جهة اسمك خداع صحيح ولكن أنا ما يدخل
على وإنما أنا لم أقدر اتلفظ وأنا عرفتك يا قرن فكبت الجارية الماء على
وجهه فساح على رأسه وفمه فانقلب ازال عنه ما كان به من الحدث الأكبر
وأخذه القدام السلطان ولما أفاق قال يا شيحة لولا عذرى كنت حلفتك
وقبضت عليك قال شيحة هذه السابعة يكفى هذيان والساعة التاسعة قال لا
وحق من مرج البحرين وأنار القمرين ما أطيعك قط يا شيحة إلا اذا لاح بك
ملعوب من الغيب يظهر فان افترست بى أطيعك وان افترست بك أخذت السلطنة

منك وتبقى انت من رجالى فقال المقدم جمال الدين رضيت بذلك ان كنت أنت تصدق فقال السلطان يامقدم عماد إذا كان الشرط يصير عليك وعلى المقدم جمال الدين فالرأى عندى أن تزيلوا من بينكم الأحقاد وتصفوا الوداد وتسير أنت معى إلى مصر تقيم عندى حتى يأتى من الغيب منصف وتبقى أنت والمقدم جمال الدين تلعبوا مع بعضكم وكل من افترس كانت السلطنة له والثانى يصير تبعا له فقال عماد يامليكنا أنا ايش بينى وبين شيحة من العداوة حتى أحقد عليه غير السلطنة

كل العداوة يرجى بها ظنك إلا عداوة من عاداك فى فنك

فقال السلطان يا مقدم جمال الدين أنا ضامن لك المقدم عماد الدين من الخيانة والغدر وانت كان لا تغدر به ولا تؤذيه فقال شيحة نعوذ بالله من المكر السيء والله لم أتسبب له بضرر أبداً ولا أغدر ولا أخون والله على ما أقول وكيل فقال عماد وأنا والاسم الأعظم لم أخون أحدا من دولة الاسلام لا شيحة ولا غيره فاصطلحوا على يد السلطان فقال عماد سيروا معى إلى القلعة حتى تأكلوا ضيافتى قال السلطان ضيافتك أكلناها سابقا مدافع قال عماد والاسم الأعظم لم كان ذلك إلا من الطبجى وأنا قطعت رأسه عندها سار الملك الظاهر معروف بأكابر دولته ودخلوا حصن صهيول وتذكر الملك الظاهر معروف بن جمر فبكى على فقده من هذه القلعة ثم ان عماد فتح له قاعة خاله معروف بن جمر ودخل السلطان والوزير وقلاوون الألفى وأيدمر البهلوان والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وكل من كان مع السلطان وجلس كلا فى مرتبته من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس ثم إن المقدم عماد الدين أمر باحضار الطعام أكل منه الخاص والعام ودار الحديث والكلام حتى اظلم الظلام طلبوا راحة الأجسام واتوضع الفراشات للمنام فكلا نام فى محله وأما الملك فكان فى قاعة معروف بن جمر ونام دونه الوزير وحولهم الامارة وبنى اسماعيل وأما عماد الدين فانه نام ما بين المقدم إبراهيم والمقدم سعد ولما نامت كل عين يقظانة ودنى الديجور وظهرت النجوم وأطلع على عباده الحى القيوم وصاح الديك فى القائه يا نائما مستغرقا فى المنام قم وانتبه ووحد الحى الذى لا ينام وهو الدائم على الدوام يدعوك لطاعته وأنت مشغول بطيب المنام وإذا بالمقدم عماد علقم قائما على قدميه وصاح جيتك يا خال معروف إيش بالخلاص أنا ابن أختك عماد الدين علقم ثم صوت عماد الدين دويت القاعة أو كادت أن تتزلزل ونام كل من كان

نايم من الأمراء وكذلك السلطان والوزير وأما بنو اسماعيل البعض أفاق والبعض نايم فقالت الاماريه ده فلاح خاين صل على النبي يافداوى عماد الدين على شان آيه تزعق كده هذا ونظر إبراهيم إلى عماد وقال يا ملكنا أما وهو باكى العين ودموعه على خدوده مثل حب اللجين

فقال السلطان يامقدام إيش الخبر فقال عماد يا ملك الاسلام من كان نايم وافق عماد الدين وهو باكى العين ودموعه على خدوده مثل حب اللجين

فقال السلطان يا مقدم ايش الخبر فقال عماد يا ملك الاسلام إيش اقول أنا فى هذه الليلة رأيت خالى المقدم معروف بن جمر وهو مسجون فى سجن مظلم تحت قاع البحر المالح فى بلد كبيره واسعة وبها ثلاث ملوك وهى على البحر ولها مينتين واحدة خراب والثانية عمار وفى سررانى فى اماكنها رأيت مطبخ وفيه حاق بير مظلم فنظرت فى ذلك البير خالى معروف وهو ينشد قصيدة كلها اللؤلؤ المنظوم فما حفظت منها إلا بيتين أو ثلاثة وهم

والليـل عندى تساوى ولا انظر بعينى ضياء شمس ولا قمر
ولم أحد من بنو اسماعيل يدركنى ولا كانى حكمت فيهم مدى عمرى
وأين عينيك يا ابن الاخت ياعلقم يا فارس الملتقى يا قرة النظر

فلما سمعت ذلك ناديته جئت يا خال فانتبهت كما ترانى وأنا فى أسوأ حاله فقال السلطان آه

ياحسرتى بعد أحبابى ويا ندمى صابت فؤادى سهامات المنايا فرمى
وأصبح الحى خالى بعد فرقة من لى كان ركننا فعاد الركن منهدمى
يا دار هل تجمعنا بعد فرقتنا وهل أرى فيك جيران بذى سلم
أسألك يا خالق الدنيا باجمعها يا من يدوم وغير الله لم يدم
إنى دعوتك مضطرا ومبتهلا بجنح ليـل شديد الداج والظلم
بحق أحمد رسول الله سيدنا خير الخلائق من عرب ومن عجم
تنعم على بوجه الاخ انظره معروف يامن هو معروف بالكرم
وأطلقه يا رب من أعدائه كرما وأعتقه من شدة الاسقام والألم
واجعله فى نصرة الاسلام مجتهدا مجاهدا فى سبيل الله مقتحمى
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا من جاءنا بالهدى والعلم والحكم

ثم ان السلطان قال يامقدم عماد ان المنام هذا أنا رأيت منام مثله وأنا فى مصر فارسلت

أبو بكر البطرنى يكشف أخباره وإلى الآن ما عاد وأنا والله مشغول على أبو بكر البطرنى وإنما الرأى عندى ان تسير معى إلى مصر حتى أنا نرسل خلف البطرنى من يقتفى أثره لعل الله سبحانه وتعالى يخلق الفرج من كبد الضيق فان الله على كل شيء قدير ثم انهم قضوا باقى ليلتهم بالحديث بمثل ذلك ولما أصبح الصباح أمر الملك العساكر بالرحيل وسافر وهو مشغول القلب على أبو بكر البطرنى فركب عماد الدين علقم صحبة السلطان حتى وصلوا إلى مصر ودخل السلطان فالتقاه الملك السعيد وقبل يده وجلس الملك على تخت المملكة إلى آخر النهار وكان ليلة جمعة وعاد إبراهيم وسعد يباتوا فى القاعة فاختشى إبراهيم أن يعزم عماد الدين قدام السلطان وعماد الدين نفسه عزيزة فلم ينزل مع إبراهيم فدخل السلطان قاعة الجلوس ودخل عماد معه

فلما حضر الطعام أكل عماد والسلطان سوى وبعد صلاة العشا كان السلطان قصده ان يطلع حريمه فقال يامقدم عماد انبسط انت هاهنا فأنا قصدى دخول قال عماد يا ملكنا خذنى معك الحمام قال الملك سر فسار معه حتى بقوا الاثنين فى الحمام عادة السلطان ان تأتيه الجوار يخدموه ولكن مع حضور عماد فما أمكن نزول الجوار من الحريم فأخذ الحجر الخفاف بيده واراد ان يحك رجليه فتقدم عماد واخذ الخفاف ليحك رجلين الملك فاراد ان يمنعه فقال عماد والاسم الأعظم ما يحك رجليك إلا أنا فسلمه السلطان فحك له لكن حك جبروت مع الحك وهز عماد رجل السلطان ارتخت المحرمة من على صدر السلطان فنظر عماد سبع حصرات على قلب السلطان كل حصرة قدر الريال بلون الجمرات فصاح يا سيدى غوث يا ساكن حلب ايش هذا يا ملك الاسلام فنظر الملك إلى عماد وصرخ فيه صرخة جبار فقفز عماد الدين فدخلوا الطواشية اخرجوا عماد من قدام السلطان لبس ثيابه وطلع إلى برا السراية وأما الملك نزلوا الجوار خدموه حتى استحمى وطلع إلى محل نومه وقضى ليلته ولما كان عند الصباح احضر عماد الدين

فلما حضر قبل الأرض بادب فامر له الملك بالجلوس جلس وبعدما جلس مازجه السلطان لكون انه غريب وقلت قلعته واقام عنده فلما علم عماد الدين ان السلطان يمازجه قال يا دولتلى سالتك بالله العظيم الذى خصك بالملك وصورك من ماء مهين ان تعلمنى عن هذه الحصرات ما السبب فى ترتيبهم على بدنك وأنت ملك الاسلام وخادم البيت الحرام وترس قبر سيدنا محمد المظلل بالغمام

فقال السلطان يامقدم عماد الدين لأى شيء تسألنى فقال عماد يجب على يا دولتلى كون انى بقيت خدامك ولا بد ما اسعى فى إزالتهم ولا ابقى لهم اثر فقال السلطان

والله يا مقدم عماد ان كان تقدر على ذلك لم يبق لك نظير أبدا وأنا أعلمك أول حصرة
تربت لى لما اخذونى أعمامى من عند أبى وأمى فتربت لى حصرة والثانى لما اخفنى محمود
المسارع العجمى وباعنى إلى على بن الوراقة تربت لى حصرة وعلمت أنى بعد الملك صرت
مملوك والثالثة من على الدين لما رفسنى برجله وأنا ضعيف فى حمام برصة والرابعة
اذا كنت أنا وحريمى فى الفراش أصبح أرى ورقة مكتوب فيها عما فعلناه أنا والملكة
ولا اعلم من كتبها والخامسة هو أن منكطمر ملك العجم يقول ان قان العرب الظاهرى
لعب قدامى فى الصراع وأخذ البقشيش منى والسادسة إذا كنت فى الشام وصليت
فى جامع الامراء اطلع اركب الحصان أرى فردة ركابى مطبقة وفيها تذكرة يا ظاهر
اليوم طبقت ركابك وغدا أطبق اضلاعك وأهلك جيوشك وانصر اعداك وأما السابعة
منك يا مقدم لما ضربتنى بالمدافع من حصن صهيون بلا ذنب فعلته معك وأنت مؤمن
لم يكن لى يد تمتد عليك بسبب إسلامك وأما لو كنت كافر كنت حاربتك وجازيتك
على ما فعلت وها أنا أعلمتك بسبب هؤلاء الحصرات

فقال عماد الدين يا ملك إذا طيبت لك هؤلاء تعطينى سلطنة الحصون فقال السلطان
كلما تريد ولو تطلب خدمة الحرمين فقال عماد يا دولتلى اين أعمامك

قال أحدهم مات وأنا قتلت الذى قتله والثانى سامحته بعدما اعتذر واعترف بذنبه ومحمود
المسارع قتلته وأخذت الصرة التى كان أخذها من على بن الوراقة ورديتها إلى مولاى
الملك الصالح

فقال له وها أنا بين يديك إن قتلتنى فان دمى لك حلال وأنت برىء مما فعلت
معك وإن عفوت عنى كانت الحصرة الثالثة زالت فقال الملك عفوت عنك فقال عماد
أتمنى يا دولتلى ان تعطينى الحكم يوم واحد نصفه فى الديوان ونصفه فى سرايتك فقال
السلطان لك ذلك ثم قام الملك وثانى الايام يوم السبت أجلس عماد

فقال عماد يا دولة الملك الظاهر رضيتونى أن أكون ملكا عليكم فقالوا له نعم إذا
ملكنا رضيك احنا كان رضيناك

فقال عماد الدين أول حكمى أعزل علاء الدين البيسرى وأحطه سايس طوالة حتى
يتأدب ويكون عاقل فقال علاء الدين انت فلاح تعزل وتولى قال عماد امسكوا هذا
الرجل يا بنو إسماعيل فجذبه إبراهيم قال عماد اقطع راسه يا حوارنى قال إبراهيم
حاضر وحط يده على شاكريته وجذبها وقال دستور قال علاء الدين أنا فى عرض
مولاى السلطان الملك الظاهر فقال عماد انت تعرف الظاهر يا قرن وانت الذى تعديت
عليه وهو مريض فى حمام برصة فقال عماد الدين توبا يا بعض شاه فأمر السلطان

الوزير أن يقوم يشفع فيه فقام الوزير تشفع فيه وفكه وأخذه وقدمه للملك الظاهر فقبل رجله وبكى فعفى عنه السلطان

فقال عماد الدين مضى حكم الديوان وبقى حكم السراية يامولانا السلطان فجس السلطان على صدره فرأى زال أربع حصوات عن قلبه فقال أحسنت يا مقدم عماد ثم أخذه وطلع السراية أجلسه فامر عماد جميع النساء التى فى السراية تفوت من قدامه ففاتوا جميع وبعدهم فاتت جارية عليها بدلة جوهر وهى بديعة فى الجمال والجوار يحادوها فتطمع المقدم عماد وضربها بالشاكرية قسمها نصفين قال السلطان ليش يا مقدم عماد هذه بنت الملكة فقال عماد يا دولتلى انت خلفت بنات قال لا فقال الملكة تزوجت غيرك قال لا فقال عماد وكيف هذه تكون بنت الملكة على أى وجه فقال الملك هذه أصلها هدية من عند القان هلاوون فنظرتها الملكة صغيرة وجميلة فادخلتها من تحت ذيلها وجعلتها بنتها فقال عماد أين محلها ومتاعها فأدخلوه إلى أوضتها وإذا ما ينوف عن ثلاثين كتات من عند هلارون وبالجملة حق ملان سم خارق

فقال عماد يا ملكنا هذه بنت الملكة قال السلطان أعوذ بالله وأمر أن يحرقها وبعد ذلك قال عماد يا ملكنا اركب حتى أروح معك إلى الشام حتى أمسكك الذى يطبق ركابك وأجيب لك هلاوون يلعب قدامك وتعطيه انت الصدقة فقال إبراهيم أنا معك أروح حتى أتفرج قال سعد وأنا فأخذ السلطان الثلاثة عماد وابراهيم وسعد وتبعهم الاسطى عثمان وساروا حتى وصلوا إلى الشام وضربت المدافع لقدوم السلطان وأقام إلى يوم الجمعة وراح على الجامع الاموى وتبعه عماد الدين ودخل السلطان وعماد وقف ملازم باب الجامع ومنتظر حتى نظر الذى طبق الركاب وتبعه فرأى هذا فارس جبار طويل القامة إذا وقف إبراهيم بن حسن جنبه يحصل حزامه فقال المقدم عماد يا ماخاق ربنا جبابرة ثم تبعه فرآه طلع إلى باب الشام وحمل حزمة حطب كبيرة وقدم بها إلى منزل واحد حطاب أدخلها البيت فاعطاه الحطاب أربعين درهم فضه فسار عماد يتبعه حتى وصل إلى دكان طباخ أعطى له عشر دراهم فاحضر له قصعة ملانة ثريد وفوقها نصف خاروف فقعد على ركبتيه وصار يأكل حتى مسحها وقام تمشى وعاد إلى الطباخ فكشف له طابق فى الارض فحط يده على حلقه وتقايا كلما أكله وبعده قدم له الطباخ نصف خاروف محمر فى السمن قطع فاكله وسار فى طريقه جهة الخلا فعاد عماد الدين وقال يا دولتلى ها أنا عرفت خصمك فى غداة غد يفعل الله مايريد وبات عماد وأصبح طلع الخلا احتطب حزمة حطب بقدر مايشيل الفداوى ثلاث مرات ووضعها فنظر الفداوى إلى عماد وقال له من أين أنت يا صبى .

فقال ياخوند أنا رجل فقير وقصدى أتعيش من الحطب فقال هذه الشغلة لم أحد اختص بها غيرى وأنت ايش الذى أقدمك لها أما أحد خوفك من المقدم نصير النمر فقال ياخوند أنا أكون غلامك فقال مرحبا بك السوق كبير ثم قال له شيل حزمتك وتعال معى حتى أنفعك فشال عماد حزمته وشال الفداوى حزمته ودخلوا الى بيت الحطاب فأعطى الفداوى ثمن حزمته أربعين درهم وأعطى عماد عشر دراهم فقال الفداوى اعطيه ثانى عشرة فقال حاضر يا خوند وأعطاه عشرة ثانية فقال الحطاب يا خوند اذا كان فى غداة غد تعال بدرى لاجل أن تكسر لى الحطب الذى عندى حتى أبيعه وروح الفداوى وعماد جاء الى السلطان وأعلمه بالخبر فأرسل باشة الشام احضر الرجل الحطاب وأمره أن يأخذ السلطان وابراهيم وسعد ويخفيهم فى بيته ولما كان ثانى الايام أدخل الفداوى بعد ما اجتمع مع المقدم عماد ومسك كل واحد فاس وارادوا تكسير الخشب فوقف عماد الدين خلف ذلك الجبار ورفع يده بالفاس وضربه ضربة صادقة وظن أنها تكون بعمره قاضية فلم يعبأ بها ولا التفت اليه بل قال له صبي أعدل يدك لان الفاس وقعت من يدك فوقى قال طيب ياخوند وصبر برهة وضربه ضربة مثل الاولى فلم يلتفت له ولا عول عليه وفى الثالثة التفت وقال له كانك عامد باقرانى وهذا ماهو فعل غلط وضربه بالفاس على صدره فأرماه وأراد أن يقضى عليه فأدركه المقدم ابراهيم والمقدم سعد والسلطان وصاحوا عليه الثلاثة فقال لهم لغير اليوم يا قرون والتقاهم بالفاس الذى فى يده ضرب ابراهيم فزاغ عن الضربة فأخذه لسلطان بالملت الدمشقى وأخذه على الفاس وضربه ابراهيم بالشاكرية فأخذها على الفاس وهاج الفداوى كما تهيج فحول الجمال وما دام يأخذ معهم ويعطى تمكن من باب الدار وضربه بالفاس فانكسر وطلع منه على حمية فتبعه السلطان وعماد الدين والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وهم يطاردوه وهو يطاردهم حتى طلع من الشام وطلب [illegible] والآن [illegible] سعد [illegible] فرأى شخص [illegible] [illegible] السلطان [illegible] لا انا [illegible] جمال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

شريكك على طبرية فقال ابراهيم بايش وقعت هذا الجبار حتى هكذا صار فقال أنا عارضته وهومقبل وبيدى قدح الماء فقال لى اسقينى فاسقيته فوقع فلا تطالوا الخطاب دونكم شيلوه حتى إلى محل ما أطلب بوضعوه فعندها دخل بهم شيحة إلى الشام وشبح الفداوى من يديه ورجليه فى أربع جهات المكان وفيقه وعرض عليه الاسلام والطاعة فلم يقبل منه كلام قام شيحة وخلع عدة ذلك الطاحون الذى فى هذا المكان ثم أخرج العامود الحديد الذى يدور عليه الحجر ووضعه على زر المقدم نصير النمر بين الحق والسكرجه وأمر إبراهيم أن يدق بالفاس على العامود بعزمه فدق إبراهيم ثلاث دقات فانخلع زر الفداوى وغشى عليه وتركه مرمى فى ذلك المكان على ما قيل إنه يقعد سنة يداوى فى فخذه ويظهر له كلام وأما عماد الدين قال للسلطان يا دولتلى ما بقى غير واحد وهو هذا المقدم هلاوون الذى افتخر بانك لعبت قدامه مسارع وأنا والاسم الاعظم ما العبه قدامك الا لعب الدب ولا أخليك تعرفه إن كان دب أو بنوا ادم وتبقى تقول أنا سارعت قدام هلاوون قم المسارعين وهو لعب دب قدامى وبين أكابر دولتى اجمعين ثم أن عماد ركب على ظهر حجرته وطلع من عند الملك الظاهر قاصد البرارى والمحاجر وصار يدور على الاجم والغابات حتى انه اصطاد دبه كبيرة من ديب البر وذبحها وسلخ جلدها ودبغه وأخذه معه وسار حتى دخل إلى ملك تبريز العجم واختلط بالناس حتى عرف من أين يدخل ومن أين يخرج وصبر إلى الليل حتى تمكن من ظهر القصر بتاع هلاوون وأرمى مفرده وطلع ملك الصور ونزل على هلاوون وهو نايم وضع الاكرة فى فمه وكتفه بعد ما بنجه وخذه وطلع من محل ما نزل وطلب البر وهو رادفه خلفه على ظهر الحجرة ثلاث أيام فقال له القان هلاوون يا فتى ايش الذى تريد منى حتى فعلت هذا الفعال معى فقال له عماد اعلم ياهذا انى رجل سواح اصطاد الدب وأدور م على الناس أشحت عليهم وكان معى دبه وماتت فدورت على غيرها فلم أجد فنزلت عليك سرقتك ومرادى أن أعلمك لعب الدب واشحت عليك فان تعلمت كان ، وان لم تتعلم أقتلك وأسرق غيرك واعلمه فقال القان هلاوون أنا أعطيك ثقلى عشر مرات ذهب وأغنيك عن الشحاتة بلعب الدب فقال عماد أنا ما أستغنى عن كارى ولو تعطينى ملك تبريز وغيرها وإذا ما كنت تتعلم عرفنى من هذا الوقت حتى أقتلك وأسرق غيرك فقال هلاوون علمنى يافتى وأنا افعل كلما تقول لى عليه فصار عماد علمه مثل ما يتعلم القرود حتى بقى القان هلاوون

ماهر الا كانه دب معلم كل هذا وهو ساير به يوم بعد يوم حتى دخل به الشام
ولبسه جلد الدب وقال له هذا اليوم آخر لعبك وهذه شاكريتى فى يدى فان قلت
لك انقلب على رجليك ويديك أو قلت لك امشى مشى الحرامى أو حيات أسيادك
فين وخالفتنى واهملت فى شىء من ذلك فما لك عندى جواب غير الضرب بالشاكرية
على وريدك ارمى رقبتك من على كتفك ثم أخذه ودخل به على السلطان فى القصر
الا بلق وعماد ضارب اللثام على وجهه وماسك سلسلة الدب فى يده وصا يلعبه
الدباب واضراب حتى تحيرت منه الشيوخ والشباب وبعدها رفع لثامه وتقدم باس
أنك السلطان ثم قال يامالك الدولة اعلم أن هذا لم هودب هذا بنو آدم وهو ملك
العجم القان هلاوون بن منكطمر الذى يفتخر فى تخته ويقول كما قال فعند ذلك قام
السلطان على حيله وأخذ هلاوون من وسط الديوان وأمر بدخوله الحمام والبسه
بدلة ملوكية وانعم عليه فقال له يا قان هلاوون لا تغتر بالزمان فان الله سبحانه
وتعالى يختبر بالامتحان وما هو رجل فلاح قد احتال عليك وأخذك من بين عسكرك
ورجالك وفعل بك هذه الفعال وقال هلاوون وحق النار ومن أوقدها ومن سجد
لها وعبدها عمر هلاوون كله لم حكم عليه بالذل قدر ما جرى له مع هذا الرجل
كانى قاتل أبيه وأنا فى عرضك يا قان العرب سامحنى فيما جرى منى فقال له
سامحك الله .

ثم انه أكرمه فى أرض الشام ثلاثة أيام وبعد ذلك جهزه وسفره إلى بلاده هذا جرى
لهلاوون وأما عماد الدين عاد فانه بات وأصبح دخل على الملك الظاهر وقال
يامالك الدولة أوعدتنى بوعد جميل والعين منتظرة اليك عجل بوعدك يا فى الراية
البيضا عليك فقال السلطان ايش تطلب يامقدم عماد فقال يادى اتى انا طالب سلطنة
القلاعين والحصونين فقال السلطان والله انك تستاهل ولكن هذا الجميل الذى عملته
كان لى أنا وأما يا مقدم سلطنة القلاعين بمناصب وملاعب وشيحة ما هو حاضر
فالعب أنت وياه أن غلبته خذ السلطنة وان هو غلبك يبقى لما أو تعلمه أى أنا امنع
عنك لاجل ماصنعت معى من الجميل فقال عماد فى أى شى تلعب فقال السلطان يامقدم
جمال الدين ايش تريد تلعب مع عماد الدين فقال شيحة حتى فتح الله باب وتلعب
فيه سوى اما يكون له والا لى أنا بينما هم كذلك وإذا باثنين أتباع مقبلين قدام السلطان قالوا
يامالك الاسلام اننا مرينا على مدينة القيطلان فرأينا الغراب المصور مكسر على المينة
الغراب تبع أبو بكر البطرنى مسجون هو ورجاله عند كبار القيطلان فاتينا واخبرنا

مقدمنا موسى بن حسن القصاص فقال لنا سيروا إلى الملك الظاهر فى الشام وأعلموه بهذا الكلام وهانحن قدمنا إلى ما بين يديك وأخبرناك والسلام فأمر لهم الملك كل واحد بدلة والف دينار وانصرفوا إلى حال سبيلهم فقال شيحة يا مقدم عماد الدين هذا مطلوب ظهر لك فيه الحظ الأوفر إذا سافرت إلى القيطلان وخلصت الغراب المنصور وأبو بكر البطرنى قبطان السلطان فتكون تستحق السلطنة ولذلك إذا لقيت خالك معروف وخاصته كان فيكون ذلك افتخار على كل انسان فقال عماد راحت السلطنة منك ياشيحة أنا أسافر إلى القيطلان ولا أعود إلا بالغراب المنصور والبطرنى وان وجدت خالى معروف أخلصه وإذا خلص خالى فما هى محتاجة إلى شىء بل تبقى السلطنة له وأنا وأنت معزولين فقال شيحة يا مقدم عماد إذا كان بالحرب مولانا السلطان سيفه طال بل ولا هو محتاج لك ولا لى أبدا وانما المقصود خلاص الغراب والمنصور والبطرنى وخالك المقدم معروف إن كان هناك ولكن لا أحدا يضرب سيف ولا رمح وإذا كان طالب لك نهب أموال القيطلان تهبه عن ملك الشرط من غير حرب ولا قتال فاذا قتلت ذلك تأخذ السلطنة وان عجزت عن ذلك أفعله أنا باذن الله وسير أنت قدام وتوكل على الملك العلام وأنا ما أسافر إلا بعد ثلاثة أيام فقال عماد ولكن بشرط أنك لا تمكر بى وتسلط على أهل الكفر من خوفك منى تروم بذلك تهلكنى فقال شيحة لا وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم عدد الرمال ما أتسبب لكم باذية أبدا وإنما إذا وقعت فى ضيق ولم تقدر على خلاص نفسك يا بطل الزمان انده على أنا أجيك وأخلصك ولكن تعدها لى نتيجة وان كنت ما أخلصك تبقى السلطنة القلاعين على حرام فقال والله يا حاج شيحة ان كلامك هذا مقدرة لما احتاج اليك فيها فرج ثم ان عماد تودع من السلطان وركب حجرته وسافر قاصد أرض القيطلان وأما شيحة أقام مع الملك ثلاثة أيام وقال له يا ملك الاسلام توجه إلى مصر فان البلاد لم يمكن أبقاها خالية على قدر ذلك فقال السلطان صدقت وتوجه الملك إلى مصر يقيم فى قلعة الجبل هذا ما جرى .

[قال الراوى] وأما المقدم جمال الدين شيحة فانه طلب الدعاء من السلطان وتودع منه وطلب السفر إلى مدينة القيطلان فاسمع ما جرى للمقدم عماد الدين علقم فانه توجه قاصد مدينة القيطلان فسافر ثلاثة أيام واليوم الرابع على التمام وهو يقطع الربا حتى قطع أرض الشام وقابل على مدينة انطاكية فقال فى نفسه يا عماد يعنى شيحة بقى يمكنه الوصول الى هنا فهذا أمل بعيد ثم انه وجد ميقات بطيخ فنزل بجانبها وأخذ

بطيخة منها وقسمها نصفين ووضع نصف قدام حجرته والنصف الآخر وضمه قدامه حتى انه يبرد ويأكل منه واذا بعجوزة افرنجية أقبلت ونظرت إلى عماد وفرحت وضحكت وقالت أهلا وسهلا ووضعت يدها فوق أفخاذها وهرشت باظفارها وقالت ياغندار أنا جئتك قوم فى هذه الساعة اعملها حناقة والميقات يبقى بتاعك وكل ما كان فيه بتاعك فقال عماد الله لا يرحم أبوكى يا ملعونة وضربها بالشاكرية فقسمها قسمين وجعلها على الأرض دلوين فتصايحت عليه خدامين الميقات ووصل الخبر الى الفرنتماكوس ملك انطاكية فارسل من ساعته الى قتال عماد عسكر واى عسكر ضرب طبلها ونفر ونظر المقدم عماد فرأى عروس المنايا شرعت ذراعها ومدت الفرسان الوعاطول باعها فصاح عماد الدين حاس الله أكبر :

إذا قرب جيوش الكفر منى	نهار الحرب سوف يرون فنى
أكر بشاكريتى فى يمينى	تقد الهام والزرد المثنى
إذا ناديتم الله اكبر	وشاع الذكر فى الهيجان عنى
فكم من فارس أضحى قتيلا	بدم جراحه أضحى محنى
وكم قرم تركت الطير يهوى	على أعضائه وقد عدم المثنى
أنا اسمى عماد الدين علقم	عروس الخيل ضرب السيف فنى
أنا وحدى أعد بالف فارس	ولم أخشى ألوف من يمتحننى
وسيفى يقطع الهامات عمدا	ويخرق فى صدور الكفار سنى
وكل عجاجه اطفى لظاها	وأرجع بالمسرة والتهنى
أصلى على النبى فى كل وقت	وأمدح فضله عند التجنى

ثم انه تكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كل المشركين بمراود العمى قرأ عليهم آيات الله العظما ابلاهم بالويل حقا والنكال وتكرر عليه دست الخيل فى المجال فصار يعطى الضرب حقه ويطعم الوحش من لحم القتلى رزقه وكان المقدم عماد من الأبطال المعدودة فداوم القتال الى آخر النهار وقصرت حجرته فنزل عنها وقاتل وهو راجل حتى كل ومل ووهى جلده واضمحل وداس فى بطون القتلى فجاءت رجله على جمجمة قتيل نزلقت فوقع فاطبقوا عليه الكفار وشدوه كتاف بعد ما اشرف على التلاف فقادوه بين ايديهم الى قدام ملك انطاكيه فصار يتعجب من طول قامته وكبر جثته وقال للذين اتوا به علقوه على باب البلد من بطاطه واضربوه بالسهام حتى يموت فقال له البيباظ ايش عمل هذا من الأعمال حتى تفعل به تلك الفعال فقال الفرنتماكوس يا ابونا كان عندنا عجوزة اسمها سمكرينة مرتبة صدقات للفقراء فجاء هذا المسلم منترها

فقال البيباظ إيش كانت عاملة من الصدقات فقال الفرنماكوس كانت بانية خمارتين جاءلة فى واحدة عشرين بشنينة والثانية عشرين فليون فكانوا فقراء البلد الهراب يروحوا يسكروا عندها ويعملوا خناقة فى بشنينه أو فى فليون فلما قتلها هذا المسلم باطول عذاب البلد ما يباتوا بذكورهم ينقروا عليهم لا يلاقوا فليون ولا بشنينة إلا ان كانوا بحطوا دواقيت فقال البيباظ هذا تفحت له فى الارض على قدر نصفه وتملوا النقرة شخاخ وتوقفوه فيها وتضربوه بالنبل فى عينيه فان امتثل للنيلة نفذت من قفاه آتمنطار وان غطس برأسه غرق فى الخرى قال عماد والله يا خنزير ما قلت إلا بالمحال لعن الله لحيتك ما أرذل فتوتك فعند ذلك دوروا البحث فى تلك الارض ونظر عماد نفسه عادم فقال أنت فين ياسلطان القلاع والحصون أدركنى ياحاج شيحة كما وعدتنى وإذا تذكرة وقعت فى حجر الفرنماكوس فرآها وإذا فيها من حضرة المقدم جمال الدين إلى الملعون الفرنماكوس ملك انطاكية اعلم يا ملعون ان هذا عماد الدين من طرفى اطلقه واعطى له عدته وحجرته والف دينار وجهزه يسافر بسلام وان كنت تفعل غير ذلك والله ياملعون أسلخ جلدك على باب بلدك وها أنا أعلمتك فلما نظر الفرنماكوس من ذلك قام على حيله وجرى حتى لحق الذين ماسكين عماد الدين وأطلقه من يدهم وأمر بحضور حجرته وسلاحه وعدته وبعد ذلك أعطاه كيس فيه الف دينار وقال له ياغندار أنت لم أعلمتنا أنك من توابع شيحة حتى كنا نكرمك قال عماد انتو اتعرفوا شيحة قال الفرنماكوس نعرفه ياسيدى فاخذ عماد نفسه وصار يتعجب وقال ياهل ترى شيحة أدركنى صحيح أو حكمت صدفه لكن إيش جاب شيحة انطاكية لاشافنى ولاشفته ومازال سائر حتى قطع المفازات وخرج منها وقدم على بحر الفرات الذى بين العرب والروم فرآه متسع ولم يجد محل يعدى منه ولا فيه مراكب فوقف عماد محتار وإذا بقارب صغير وفيه اثنين واحد اختيار هرم والثانى غلام أمرد وهم يقدفون بالمقاديف ويغنوا بالرومى صاح عماد يا ملعون فقال الغلام مالك ياراجل فقال عدونى إلى البر الثانى وخذوا خزنة فقال له الغلام اصبر لما اسأل الرئيس ثم انه قال له ياغندار المركب لم تحملك بفرسك فاذا أردت أن تعدى اما أن تخلى فرسك فى البر وتعدى أنت واما تعدى الفرس أول وتعود تأخذك قال عماد طيب فأقبلوا عليه بعد ما قطعوا الأجرة مائة دينار وحلفوه أنه لا يغدرهم ولا يخونهم فنزل الحجره معهم ووقف حتى عدرها للبر الثانى ووقف بها الغلام وعاد الرحل اليه فنزل فى المركب وسار يقدف حتى وصل به الى البر طلع عماد إلى البر وأراد أن يصل إلى حجرته فرأى الغلام ركب ظهرها وطردها فى البر فتبعه عماد فمال بها إلى جهة البحر وقفزت به وهو فى ظهرها حتى بلغت إلى البر الاول فاخرج من تحت باطه سوط وضربها على

أجنابها فطارت به الى ناحية بلاد الشام ونظر عماد الدين الى ذلك الحال فايقن بالخيال
وعاد إلى المراكبى وهو ملهوف فرآه عدا إلى البر الثانى فصاح عماد يا معلم يامعلم
فقال له مالك ياراجل فقال له هذا الصبى الذى كان معك ماتعرفه فقال كان عندى عملوا
جناقة وراح فقال له أخذ حجرتى فقال له حجرتك عادت إلى حصن صهيول فالرأى
أنك تروح القيطلان ماشى فقال عماد ليش هذا فقال له أدركتك فى أنطاكية وأدركتك
على البحر عديتك يبقوا إثنين ورديت حجرتك إلى قلعتك يبقوا ثلاثة أنا صاحبك
الذى تعرفنى وأما اذا راحت حجرتك للقيطلان تلخمك قال عماد صدقت ياشيحة
ثم إنه سار يدق الكعب على أحجار الطريق حتى دخل الليل فاحتاج إلى المبيت وجاع
وعطش فصاح أنت فين ياسلطان القلاع فنظر إلى صومعة على رأس جبل فطلع
فرأى راهب قاعد وقدامه نار موقدة وغزال مربوطة جنب النار فقال له ياغندار
إذبح لى هذه الغزالة قال عماد طيب وتقدم ذبح الغزالة فقال له أسلخها وركبها على
النار ونأكلها سوى قال عماد ومن أين نشرب فقال هاهى قدامك القربة إشرب إن
عطشان فنظر عماد الى قربة الماء فشرب حتى ارتوى وبعد ذلك سلخ الغزالة ووضعها
على النار وقلبها حتى أستوت وأكل منها والراهب ينظر اليه وبعد ذلك بات تلك
الليلة ولما أصبح الصباح قام عماد فرأى نفسه وحده والراهب ماهو عنده فقال مرق وفتش
فى الصومعة فلم يجد فيها غير طاجن فخار ملآن شخاخ فقال عماد الله يلعن دقنه ثم انه
سار حتى أمسى المسا فدخل على دير فيه رجل بترك أكرمه وعشاه وبات عنده إلى
الصباح وسافر من ذلك الدير وما دام كذلك حتى وصل الى القيطلان وكان دخوله
فى ضحى نهار وسار الى خان من الخانات فالقاه الخانجى وسلم عليه وترحب به فقال
له أريد محل أقيم فيه ففتح له محل وقال له هذا محلك أخذ مفتاحه وطلع الى السوق
فرأى رجل كبابجى فدخل الدكان وقال يامعلم هات كباب ولبن رعيش فأتاه بكل يريد
يأكل حتى اكتفى وقام وغسل يديه ووضع يده فى جيبه ليخرج كيس المصروف
فلم يجده فقال له الكبابجى ياغندار أنا عارفك أنك مفلاق لكن إذا أردت أنك
تأكل تعال عندى كل بلاش وقول أنا مفلاق ومرحبا بك فقال عماد ضرت والله
ما أنا مفلاق فقال له الكبابجى هات حق الذى أكلته إذا كنت غير مفلاق فقال
عماد ما أنا لاقى كيس المصروف قال له روح ياسيدى فخرج عماد ومشى فالتقى
الكيس نعاد للكبابجى وقال انت مفلاق وأنا سلطان ياقرنان ووضع يده ليطلع
الكيس فلم يجده وعاد راجعا والكبابجى يضحك عليه
فالتقى الكيس فلم يرجع مرة ثانية لانه لايأمنه فسار عماد حتى دخل شارع البلد فرأى الحمام

فدخل لاجل إزالة غبار السفر فقلع ثيابه ودخل استحمى حتى نظف بدنه وطلع خدموه الحامية ومد يده ليلبس ثيابه فلم يجد إلا بدلة واحد افرنجي أصله طباخ وهي لباس ممزوج بالدهان وعنترى مثله والقلنسوة مغموسة بالزيت والدهانات وقلت اللباس ملان دم ورائحته كريهة فاراد عماد أن ياخد غير هذه البدلة فلم يمكنه من الحامي بل تهاجمت عليه الحامية وسحبوا عليه الفوط المبلولة فما كان منه إلا انه خلع دريزين الديوان ومال به عليهم حتى اضعف عزمهم وبعده استنظف بدلة طيبة واخذها لبسها وطلع من الحمام فلم يجد فيها معاملة فاحتار لعدم المصروف وضاقت به الدنيا وتاه عن الخان الذى فيه باقى متاعه وما دام سائرا حتى وصل إلى سوق البسيسة فنظر بياعين السمن والعسل يورد عليهم الناس ياخذوا العيش سخن ويدسوه فى السمن ويضيفوا عليه العسل وياكلوا وعماد لم يكن معه شيء حتى يشترى مثلهم وإذا بواحد مكسح مقبل برغيف على يديه ويبكى فقالوا له الناس مالك يا بونا بواص فقال يقطع أبوكم واللى خلفه أبوكم بموت فى الدير ولم أحد يقدم له شيء ياكله فقالوا مرحبا بك ثم تقدم كبير السوق واحضر قصعة كبيرة ووضع فيها ماينوف عن العشرين رغيف والق عليهم سمن وعسل حتى غطاهم وقال يا ابونا يكفى هذا قال يكفى والتفت إلى المقدم عماد وقال له يا غندار شيل هذه معى إلى الدير والك فيها قسم قال عماد طيب ورفع تلك القصعة على راسه وقال سير قدامى فسار المكسح قدامه ولما خرج من السوق مد عماد يده فى قلب القصعه وكبب لقمة وأراد أن يرفعها فالتفت اليه المكسح وقال له يا غندار ما تاكلش لما ترح الدير فحصل لعماد خجل ومشى ساكت حتى وصل إلى الدير فدخل المكسح بعده عماد ووضع القصعة بين يديه

فقال له كل يا غندار لانى أنا شبعان وما فعلت ذلك إلا من اجلك لانى رايتك جيعان فقال له يا معلم والله ما انت إلا مكاشف ثم ان المقدم عماد اكل جميع مافى القصعة وقال الحمد لله

فقال له المكسح ترم خذ القصعة رجعها لاصحابها فاخذ عماد القصعة وعاد إلى السوق فاحتاطوا به الناس وقالوا له اين البترك المكسح فقال فى الدير فقالوا له ولاى شيء ماجاء معك انت قتلته فقال على اى شيء اقتله ايش ذنبه معى فقالوا له ماشاش معك سير معنا حتى نراه طيب مثل ما كان فسار معهم إلى الدير فرأى المكسح جسد بلا روح فمالوا على عماد قبضوه لانه من غير سلاح ولما قبضوه نزل لهم البترك الكبير وقال ياخسارة يابولص يا غدار اربطوا الغندار فى عمود السموم بظهره فربطوه وكان هذا العامود رخام مرصود إذا ربط عليه انسان يخرج منه نقيع مسموم يهلك المربوط عليه فلما ربطوا عماد قفلوا باب الدير وتركوه فاستحس عماد بنقيع خرج من العامود فعلم المقصود

وعرف أن هذا مهلك وان سكت صار مفقود فصاح من قلب مجروح أنت فين يا سلطان القلاع والحصونين أدركني فانفتح باب الدير ودخلت العجوزة وهي تتوكا على عصاة وقالت له أنت الذي منترت بواص فقال عماد لاتكثر كلام عرفتك فكني واكتبها على شيحة قال له بس دى قال عماد هل خلصتنى من شيء غير هذه قال له المقدم جمال الدين شيحة لا يا مقدم عماد

كم من جميل زرعناه راح في بحور التهاوى

والمبتــلى حين يبرا ينسى جميــل المداوى

يا عماد في أنطاكية أنا البيباظ الذى حكمت عليك بالقتل وأنا الذى حكمت على الفرتماكوس يطلقك ويعطيك ألف دينار وسلاحك وحجرتك

قال عماد فكنى من هنا يبقوا اثنين قال شيحة وانا الخانجي الذى مسكته فى القيطلان فقال عماد يبقوا ثلاثة قال له وانا الراهب الذى كنت فى الصومعة قال عماد يبقوا أربعة فقال له وأنا الكبابجي قال عماد يستر على حريمك خلصنى يبقوا خمسة قال له وانا الحمامي قال عماد هذه ماتحسب فانك سرقت ملابسى قال شيحة وانا الراهب الكسيح هديتك قال عماد يبقوا ستة خلصنى قال شيحة وخلاصك من هنا قال عماد الدين حسبنا ما فكنى يا شيحة فحط يده على كشافيه امضى من القضا والقدر وقال يا عماد الدين اهو مفتوح اطلع وشك الكتافية بالكشافية فانقطع وغاب شيحة عن عيونه فخرج عماد وهو يقول آه يا قصير هذه أفعال تعجز عن مثلها أبو مرة يعنى [ابليس] وصار حتى دخل البلد هذا ما جرى للمقدم عماد

[قال الراوى] وأما ما كان من المقدم جمال الدين شيحة فانه دخل القيطلان فرأى أفرورى البلد مكتف واحد ودابر يقول جزاه واقل من جزاه يأكل اموال الملوك ويدعي الفلس فسأل من بعض الناس فأخبروه ان هذا حمار الملوك كنيار وكنوبر وعبد الصليب ملوك القيطلان وعنده ثلاثة آلاف دينار ولم يكن عنده شيء فأمروا بقتله ومرادهم يفتخبوا حمار عوضا عنه فتقدم شيحة للافرورى وقال هذا ابن عمى وكلما كان مطلوب منه انا ورده عنه فالتفت الافرورى الى الحمار وقال له يا كاوبركو هذا ابن عمك فقال شيحة يا كاوبركو انا ابن عمك دمليكا

فقال الحمار صحيح ابن عمى لكن على ثلاثة آلاف دوقاته فقال دمليكوا أنا ادفعهم فعاد الافرورى بهم الى قدام الملوك واحكى لهم فقالوا اين دمليكوا

فقال شيحة انا دميلكو فقالوا الملوك يا دميلكو كل واحد منا له عند ابن عمك ألف دوقاته فوضع يده دميلكو فى عبه وطلع عقد ثمنه عشرة آلاف دينار وقدمه بين ايديهم

وقال الثلاثة آلاف حقكم خدومهم والسبعة آلاف من أجرة الخمارة كل سنة ألف دوقاته وأنا أورد للثلاث ملوك كل واحد سنويته ألف دينار ولا أقبض إلا بعد تمام السنة فقالوا الملوك للافروري بعد ما أخذوا من دميلكوا العقد انزل معه سلمه الخمارة بما فيها وابن عمه سلمه له إن أراد يعتره يعتره على باب الخمارة وإن عفى عنه بخاطره هو وإياه نزل الافروري سلم دميلكوا وقال له أنت ابن عمي من أين

فقال له أنا من مدينة البرتقان وكنت خمار البب مغاوين وزمان بطلت ولم بقى معى دواقيت كثير ومريت على القيطلان فرأيتك فأمان على أن خماراك مثلى ويحصل ذلك الاهانة على ثلاثة آلاف دينار ففعلت ذلك رغبة منى فى دين المسيح الدين الصحيح وأنا متعجب كون انك خدام ملوك القيطلان ويبقى عليك ثلاثة آلاف دوقاته فقال كوركوا لا تخاف أنا عندى أموال كثيرة لكن ما ارضاش أورد للملوك وكل سنة أفعل مثل ذلك ثم قام وفتح له عن مطمورة فيها أربع صناديق أموال فقال له دميلكو أيوه كده فرحتنى على كل حال ثم قام دميلكو فرح وقال له مالك محفوظ عليك والدواقيت بتوعى أسامحك فيهم وانت لا يصعب عليك شىء وخمارتك لك وأنا أبقى تبعك فقال كاركو مرحبا بك وأما دميلكو غاب وعاد ومعه قزازة بالخمر وكاس ملآن من الماء الصافى وشربه قدام كاوركو وملا الكاس من القزازة وأعطاه له فشربه فمال إلى الارض قبل باب الخمارة وأوثقه كتافا قويا منه السواعد والأطراف وشحبه وسط الخمارة وأعطاه ضد البنج فأفاق يعوى ونظر إلى دميلكو وهو واقف بصورة غير الأولى وهو يتباهى بنور الاسلام على وجهه وأما كاوركو على رأى من قال

كم ذا تبرطع يا خنزير وسط الهجير ولا أحد خافك بادى
ورؤيتك أقبح من زير واقع بيسير وصار شقافة جرادى
واليوم قد هان الصبر وبقى يسير وعارضك سبع الوادى
إيش لك كلام أو لك ملام لما يقع فيه الضرغام
لا بد ما رأسك يقطع
وإن جزت فى دين الاسلام نلت المرام وفى الحياة حقا تطمع

فقال كاركو أنت يا دميلكو عملت إيه وماسكنى مكتفنى على ايه قال دميلكو يا أخى أنا عاوزك تسلم واحكى له على شيحة انه وقال له ان أسلمت نجيت من الضرر وان أبيت الاسلام فما لك الا القتل والضرر فقال ما يسلمشى فقتله وارماه فى البحر وقام دميلكو نقش الخمارة وأصلح شأنها واقام بها وتكلف بمطاليب

الثلاث ملوك من الخمر يومى وأقام على ذلك الحال إلى يوم دميلكوا مقيم بالخمارة وعماد الدين مقبل فرأى هذه الخمارة مليحة الزينة والنقش فدخل ليشرب فعرفه دميلكوا فتقدم اليه وقال له أهلا وسهلا ووضع له كرسى وأجلسه وقدم له سفرة طعام سمك مقلى فى الزيت ودجاج محمر فى السمن وقدم له صحبة المدام فأكل عماد حتى اكتفى

وبعد ذلك قعد يتسلى فى أوانى الخمر هذا ودميلكوا أقبل عليه وقال له أظن أنك خايف لا تسكر من البيبار أجيب لك شراب قرفة قال عماد هات فجاب دميلكوا شرابات مختلفة وصار يمازح عماد طول النهار حتى دخل الليل فقال له كأنك يا غندار غريب من هذه البلاد فقال عماد نعم فصار يحكى له على أبواب الغربة والمشقة وقال فى آخر كلامه وأنا كنت فى مدائن البرتقان خمار الملك مغلوبن فتعبت منه لما كثر مالى وأتيت أخذت ذلك الخمارة وأقمت فيها أتفرج على حكم القيطلان وأتجسس على ذلك البلدان وأبيت فى كل بلد ليلتين أو ثلاثة أعرف أهوية البلاد وأنت إيش الذى غربك وأتى بك إلى ذلك الوديان فقال عماد يا معلم أنا لى حديث عجيب قال له انا حكيت لك على حالى احكى لى أنت الآخر وهى كلها تسالى فقال عماد لو كنت ممن يكتم السر يا معلم كنت أحكى لك فقال له يا سيدى السر عندى مكتوم غير معلوم فقال له احلف لى فحلف له بيمين النصارى فقال يقيل عماد وقال له احلف لى بالاسم الاعظم فحلف له فأحكى له على قصته من أولها والشرط الذى جرى بينه وبين شيحة والسلطان وسفره إلى القيطلان فقال دميلكوا يا سيدى اذا كان مرادك الدخول إلى سراية القيطلان هذه الليلة يأتينى أربعين أسير لاجل شيل الخمر للسراية مشروب الملوك فان أردت أشيلك برميل معهم وسير رلما تبقى فى السراية باعرف شغلك قال عماد الدين اسم الله عليك والله يا معلم دميلكوا ان فعلت معى ذلك الجميل تكون زرعته فى أجود الارض فقال له مرحبا اصبر الى الليل

فلما أقبل الليل أتت الاسارى الذين يحملون الخمر وكانوا أربعين يحملون أربعين برميل فأخذ دميلكوا وأدخله مخدع واعطى له مغراق وقال له اقل البيبار من محل إلى محل وتركه وطلع محل باقى الاسارى كل واحد برميل وعماد الدين فى الجملة

ولما شال المقدم عماد البرميل مشى مع الاسارى حتى طلع إلى مكان الشربدار فسلموا البراميل الى الوكيل واما الاسارى فانهم دخلوهم جميعا على الزنزانة وعماد غيهم . ولما بقى فى الزنزانة ونظر ما ينيف عن خمسمائة اسير فى ذلك المكان

وانقفل الباب على الجميع قال عماد رفعه فشرت يازعر بوجهله وزود فى الدجى نوحه كان خالص صبح مشبوك حواط اشتكى روحه انا كنت خالص وانحشرت فى هذا المكان بقى انده باعماد على شيحة انت فين يا سلطان الحصون والقلاعين واذا باب الزنزانة فتح والوكيل قال للاسارى قوموا للحطب فطلع عماد فى الاول ومادام سائر حتى بقى فى الجبل اخذ حطب مع الاسارى وعاد الى المطبخ فالتقاه اجير الطباخ اخذ منه الحزمة وقال هذه صغيرة فقال عماد انت اعطينى حقها صغيرة والا كبيرة ودخلوا باقى الناس بالحطب واما عماد زاغ ودخل على الطريق النافذ الى اود الخدامين ومادام سائر حتى رأى مخدع مهجور فاختفى فيه حتى اظلم الظلام وطلع عماد وهو يقول يامن سميت الستار لا تكشف الاستار فهو كذلك فرأى جارية مقبلة تسب الزمان على ماحكم عليها وتقول ضاقت حيلتى من خدمة هذين الاسيرين وهم الاسير القديم والاسير الجديد فتقدم عماد قبض على رقبتها وقال لها الاسير الجديد مين والقديم مين وانى مين فقالت له وانت من الذى مسكتنى فى هذا الليل فقال لها أنا جورى ارسلنى الراهب زرارة اطوف البلاد باجازة واذا رأيت مظلوم اخلصه من ظالومته وسمعتك بتقولى هذا الكلام فسألتك فقالت دستور ياجورى أما أنا جارية من جوار كنيار للقبطان واما الاسارى فالجديد واحد مغربى اسمه أبو بكر البطرنى البب كنيار انه قاتل ابوه ومراده انه إذا قدم عيد الشعانين يذبحه هو وجميع من معه من المسلمين معه مركب كبيرة اسمها الغراب المنصور مرمية فى المينة الخراب وباقى المغاربة اتباع البطرنى اسارى فى الحبس فى حال الكلاب فقال عماد هذا الاسير سيرى معى حتى انى اتفرج عليه فصارت الجارية وفتحت مكان فنظر عماد فرأى ابو بكر البطرنى وهو مغلول فى السلاسل يديه وعنقه ورجليه فقال عماد ابشر بالسلامة ياقبطان الاسلام فقال البطرنى انت ايش فقال انا عماد الدين علقم اتيت خلصتك واحكى له على ماجرى بينه وبين شيحة من الشروط وقال فى آخر كلامه ولما اخلصك ابقى انا سلطان الحصونين واعزل شيحة فقال البطرنى فاذهب الى حالك ان كان خلاصى عليه اعزل جمال الدين من منصبه انا ماابد اخلص فقال عماد يا قبطان خلاصك ماهو احسن من سجنك فقال البطرنى اغدوا فى دربك ولا اصبح عليك تنقبض وتبقى مثلى قال عماد الله لا يجعلك تخلص يا قران وتركه حتى اعطته الجارية قرص ناشف وقليل من الماء بل ريقه وقال الحمد لله على كل حال ثم اشار يقول هذه الابيات

صلوا على كثير المعجزات

اقول إذا ليل الدجى سبل الحجى   ولا راحما اشكو اليه سوى ربى
والمنى قد الكتاف وغلى   وقيد حديد ثقله يجرح الكنى
اذا فتح السجان قلت بغيتى   وان قفل السجان اقول قضى ربى

واما الجارية خرجت من عند البطرنى فتبعها عمادالدين حتى بقت فى وسط الطريق وقال لها هذا الأسير الجديد قالت نعم فقال لها ومن هو الأسير القديم

فقالت الأسير القديم واحد مسجون من زمان اسمه معروف بن حجر لكنه نشف جلده وهو مضمر على سرج من الرخام فى سجن الحمرات ولم احد سأل عنه لا يموت ولا يخلص فلما سمع عماد الدين ذلك الكلام كاد ان يغشى عليه ولكنه صبر نفسه ومشى خلف الجارية حتى اقبل الى مكان فيه كوانين حديد مثل المطابخ ودورت لولب فاجتمعوا الكوانين فى بعضهم فرفعت من تحتهم لوح رخام فانكشف عن طابق بخرزة رخام ونزلت تلك الجارية وغابت قليل وعادت ردت اللوح كما كان وقد سارت من محل ما اتت فتقدم بعدها المقدم عماد الدين علقم ردور اللولب فاجتمعت الكوانين فكشف الطابق ونظر فيه وسمى باسم الله تعالى ونزل فوجد سلالم مثل البير فصار ينزل عليهم حتى انتهى الى قاع ذلك المكان والمحل ظلام فبقى عماد حاير ولم يعلم اى جهة يسير فان الغريب اعمى ولو كان بصير فوقف عماد وقال الهى وسيدى ورجائى انى دعوتك فأجب دعائى ولا تخيب قصدى يامولاى اللهم ساعدنى فى هذه الليلة فانى عبدك عماد قليل الحيلة ثم ان المقدم عماد وقف يتصنت هذا ماجرى له واعجب ماوقع ان المقدم معروف بن حجر فى هذه الساعة تفكر فى احكام الله عز وجل وتقلبات الايام وتغيير الدهر كيف أنه بعد الملك والسلطنة جرى عليه القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر فجعل يذكر الله ويحمده ويشكره ويتردد بكلمات متفعة على خاطره فقال

سبحان مزين الروض بالشجر   وزين النخل والاشجار بالثمر
سبحان ربى تعالى جل خالقنا   منشى الخلائق من جن ومن بشر
واحمد الله مولانا على نعم   وفضل مولاى لم أحصى له حصر
قلبى هداه الى الاسلام معترفا   بلطفه ووقانى ظلمة الكفر
وكم ذنوب جرت منى على جهلى   واغتررت بما قد خان من دهر
فعافانى خالقى من لطفه كرما   بما يكفر من ما كان من وزرى
وقد رمتنى يد الاقدار فى خطر   والدهر ليس بمأمون من الخطر
وصرت فى قلب سجن مظلم عمق   وسرج راكب منحوت من الحجر

وطال سجني وحلك الغل ألمني | وزاد سقمي وطال البؤس والضرر
والليل عندي تساوي بالنهار ولا | أنظر بعيني ضيا شمس ولا قمر
من بعد ما كنت ملكا حائزا ملكا | أصبحت ممتلكا في شدة الاسرى
ولم أحد من بني اسماعيل يدركني | ولا كأني حكمت بهم مدى عمرى
كذاك بيبرس حقا كان لي ركنا | فصار لا يعترف حالي ولا عذري
هل ذا أرى من بعد شدتي فرجا | وبعد عسر يأتي الله باليسرى
وهل لكم يا بني الاعمام معرفة | بما أقاسيه من أيدي بنو الكفرى
وأين عينيك يا ابن الاخت يا علقم | يا فارس الملتقى يا قرة النظرى
يا علقم الحرب يا من لا نظير له | بين الرجال فانت السمع والبصر
يا علقم الحرب أدرك خالك اطلقه | من الوثاق ولا تخشى من المطر
يا رب ذكر عماد الدين واجعله | يأتي بقدرة جبار ومقتدرى
واعلمه يا رب في أي البلاد أنا | لعله يقتفي بين الورى خبرى
فانت تقدر يا مولاي تنقذني | مما أنا فيه من سجني ومن عسرى
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدى | واحسن خلاصي فقد قل مصطبرى
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا | محمد الهاشمي الطاهر الطهرى

ثم أن معروف ينشد هذه الابيات وعماد الدين علقم واقف وسامع ما قاله معروف ابن حجر خاله فصاح من شدة فرحه جيتك يا خال معروف وكان معروف مع طولة السجن ثقل سمعه وأظلم بصره وداب جلده ولم يبق فيه غير اللسان فقط يحركه لذكر الله تعالى فلما صاح عماد فلم يسمعه فصاح ثاني وثالث فتصور المعروف أن الصايح من عمار السجن فقال معروف يا عمار هذا المكان أنا عند نزولي عليكم عاهدتكم على عظم الاذية ولاي شيء بعد هذه المدة تصيحون صيحات كانها الرعود أتريدون أن تنقضوا العهود أما تخافون أن ينتقم الله منكم ويفعل بكم كما فعل بقوم عاد وثمود اذهب عني بسلام بحق دين الاسلام فقال عماد لاحول ولاقوة إلا بالله ثم صاح بملء رأسه وقال يا خال معروف أنا ابن أختك عماد الدين علقم فقال له إذا كنت كما تقول إنك عماد الدين فاتيني وكن لي قرين فقال له من أين آتيك يا خال فقال له طريق الخير عن اليمين فاخذ عماد على يمينه ومازال سائرا حتى وصل إلى خاله ووقف بجانبه وقال له يا خال الدنيا ظلمة فقال له خذ شاكريتي من قربوص السرج وجردها فانها تنور المكان فمد يده عماد أخذ الشاكرية وأراد أن يجردها فلم يمكنه فقال معروف اوضع يدى على

قبضتها فوضعها عليها فانجذب منها مقدار شبر فاضاء السجن ونظر عماد خاله وهو على السرج فرفعه من عليه وأراد أن يخرج فقال له معروف ياعماد فتلت الجارية فقال لا ياخال فقال معروف ابقيني فانى حالف لا أخرج حتى تموت الجارية فما تم كلامه حتى انقفل باب السجن فقال عماد ياخال باب السجن انقفل علينا سوى فقال معروف ليش انت ما فتحت مدينة القيطلان قبل ما تدخل الى عندى وكيف وصلت الى ذلك المكان فاحكى له عماد على اصل ظهوره واجتماعه على السلطان وما جرى بينه وبين شيحة وكيف كان سفره الى ذلك المكان وقال فى آخر كلامه ان شيحة من كثرته على الفضول قال لى قدام الظاهر اذا وقعت فى ضيق انده على وانا أحضر إلى عندك وأخلصك فقال معروف إذا كان كذلك انده عليه ياعماد هل يا ترى جربت نجداته سابقا فقال عماد يا خال عيب إذا كنت أنده عليه واطلب منه الخلاص فقال معروف أنده عليه يا عماد لعل الله سبحانه وتعالى يجعل لنا الفرج على يده وإذا حصل منه نجدة والاسم الاعظم أطيعه واكون من جملة رجاله فقال معروف انده عليه لاجل خاطرى فقال عماد يا خال ان كان لاجل خاطرك انا انده عليه قال المقدم معروف ياعماد انده على شيحة الذى تذكرعنه لعل ان يكون لنا على يديه فرج فقال عماد الدين يا خال أنا لاجل خاطرك انده عليه ثم ان المقدم زعق انت فين يا قصير فقال معروف هو اسمه قصير فقال يا خال هو قصير فقال معروف انده باسمه فصاح انت فين يا قصير وهكذا يا مقطى فلم ياتيه شيحة واخيرا لما ضاق به الحال فقال معروف والله يا عماد ان ما جانا ذلك الرجل الذى ذكرته لابد من قعادك معى فى السجن إلى ان يشاء الله فصاح انت فين يا سلطان القلاعين والحصونين يا من انا عبدك وخدامك فانفتح باب السجن ووقعت راس الجارية على عماد فقال عماد يا خال باب السجن انفتح احذك اطلمك فقال معروف يا عم ردنى على السراج الرخام فانا حالف ما اطلع من هذا المكان إلا ادوس فى دماء عباد الصلبان فقال عماد ياخال ايش هذا الكلام فقال معروف لا يمكن ان احنث فى يمينى ابدا فسمع القايل يقول يا مقدم عماد قابل القادمين عليك واضرب رقابهم وخضب رجلين خالك من دمائهم فقام عماد فرأى نورا ظهر وطاقة فتحت فى ارض السجن وداخل منها نحو عن عشرين كافر فحط يده على شاكريته وانفرد على الجميع قطع رؤوسهم وأوقف رجلين خاله فى دمائهم ورفعه بعد ذلك على اكتافه وطلع من تلك الطاقة التى فتحت فرأى نفسه من مكانه تحت سراية كنيار فقال معروف احنا

قين يا عماد فقال ياخال تحت سراية كنيار فقال معروف هل قادت فى السراية النار قال له عماد لا ياخال قال معروف رجعنى الى السجن فأنا حالف ماأطلع حتى تقاد النار فى سراية كنيار واذا بحريقة ثارت فى السراية فقال عماد ياخال نفذ يمينك وهاهى النار قادت فى السراية بينماهم كذلك واذا بجماعة من الكفرة عارضوا عمادفى الطريق وكان هذا أفرورى البلد دائر يطوف فلما نظروا عمادفى الطريق مالوا عليه وجذبوا سيوفهم وطابوه فوضع معروف على مصطبة وتلقاهم بقلب أقوى من الجحروجنان مثل البحر اذا زخر وقطع الرؤس كالاكر والكفوف كاوراق الشجر فافنى منهم عدد فذاقوا العذاب ونفروا من بين يديه كانهم الكلاب وعاد المقدم عماد الدين كأنه أسد الغاب وهو يمسح شاكريته من الدماء ولما وصل الى محل ماوضع خاله لاجل أن يحمله ويعود به فلما وصل يجد كما قال القائل

ساروا وسار الربع يندبه الثرى ان قلت بانوا أين مثلك بانوا
فاسأل منارا لهم تجيبك يافتى كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فلما وصل ولم يجد خاله لحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه ولم بقى له همة ولا جلاد فما كان منه الا أنه عاد الى الخمارة ثم دخل على دميلكوا الخمار وهو باكى العين فقال له دميلكوا مالك ياغدار فحكى له على ماجرى وكيف أنه خلص خاله وعارضوه النصارى فى الطريق فوضع خاله على المصطبة وقاتلهم حتى ردهم على اعقابهم وعاد الى خاله فلم يجده وراح تعبى بلا فائدة فقال له دميلكوا الخمار يعنى خالك بيجو كبير ضعيف قال عماد نعم فقال هذه الساعة واحد جاب رجل ضعيف بيجوا لقاه مرامى فى الطريق وقال لى يا معلم دميلكرا خليه عندك حتى يطيب او يموت ادخل انظره ان كان خالك اقعد عنده فدخل عماد الدين الى داخل الخمارة فوجد أبو بكر البطرنى جالس وخاله مطروح على ظهره فلما نظر عماد ذلك فقال للبطرنى من الذى أتى بك الى ذلك المكان فقال له لما ثارت النار فى سراية كنيار فدخل السجان فكنى وقال لى قدم لاتتحرق فخرجت هائما على وجهى فى الليل فرأيت ذلك الخمارة مفتوحة فدخلت فيها فرأيت هذا الاختيار مطروح كما ترى فقال عماد هذا خالى بقى يدنا الخلاص والسفر به من تلك البلاد فقال البطرنى وايش يكون السفر اذا كان فخالك هكذا مريض فقال عماد أحمله من محل الى محل على أكتافى حتى أدخل به الى الحصون وأدخله يقيم بحصن صهيون ثم ان عماد أتى الى عند خاله وصاح به ياخال احنا خلصنا عن السجن وبقينا فى البلد وهانحن مقيمين فى خمارة دميلكر الذى ذكرت لك عنه انه رجل فقال معروف ياعماد أنا أشتهى منك ان تسأل

صاحبك هذا الحمار على حكيم يكون شاطر يداوى عيونى ابقى على كل حال أشوف الدنيا قبل موتى فان النظر هو غاية الانسان فقال عماد ياخال إن هذا غريب لم اعرف أحد ولكن انا أسأل المعلم دميلكو صاحبي ثم ان المقدم عماد قام واقبل على دميلكو وقال يا معلم دميلكو تعرف واحد حكيم يكون يعرف يداوى النظر ثم اشار له على عينه بيده فقال ادخل وأنا ارسل لك حكيم فدخل عماد وقعد ساعة وإذا بحكيم قادم له عين عمشة والثانية عليها زر فقال له عماد لما انت حكيم داوى عيونك فلم يلتفت لكلامه فقال البطرنى ياعماد سلم الأمر لصاحب الأمر ولا تتعرض لمن له الامر والنهى فتقدم الحكيم ونظر لمعروف وقال إيش تعطينى اجرة حتى أطيب عينيك فصاح عماد على خاله وأعلمه بما قال الحكيم فقال معروف وإيش معى اعطيه النظر غالى ولا اقدر اجازيه ولكن إذا كان يطلع من يده أن يفتح لى عيونى وأسوف بهم اكتب له الثلث فى سلطنة القلاع والحصون فاخبر الحكيم عماد بذلك فقال الحكيم أنا لم أعرف القلاع ولا الحصون ولا أدرى إلا بمال فقال عماد يا معلم اقبل هذه الاجرة وأنا أشتريها منك بكل ما طلبت من المال فطاوعه الحكيم فقال له عماد قبل كل شىء خليه يكتب لك حجة بشهادتى وشهادة أبو بكر البطرنى وختمه وكلا منا يختم بعد ختمه فقال الحكيم اعمل زى ما تعرف وأنا أرضى فكتب عماد حجة وختمها بختم خاله معروف بالثلث فى سلطنة القلاع والحصون للحكيم نظير ما يداوى عيون المقدم معروف بن حجر فأخذ الحكيم الحجة وعماد فرحان ويقول له يا حكيم أنا أشترى منك هذه الحجة بكل ما طلبت من الاموال وتقدم الحكيم ومسح عينين معروف بماء يعرفها حتى نظفت ووضع له كل خمس معروف ان السما انطبقت على الارض ولكنه تجلد حتى بردت عينيه فسغلهم له وكحله ثانيا وثالثا وكان هذا فى ثلاثه أيام واليوم الرابع رفع الرباط عن عينيه فنظر ابن اخته عماد الدين واقف بين يديه فسلم عليه باشتياق وقال له يا عماد أما هذا الحكيم لا نظير له فى الحكماء لينك يا عماد تسأله على دواء للاذان ربما كان عنده فهم بذلك فقال عماد ياخال أنا أسأل المعلم دميلكو ها هو صديقى ثم ان عماد الدين قام إلى الخمارة وقال له يا معلم دميلكو مرادنا حكيم يطيب الآذان فقال له إيش الآذان فأشار له على أذنه فقال له ادخل وأنا أرسل له حكيم فدخل عماد وقعد وإذا بحكيم مقبل ونظر إلى معروف وقال كم تعطونى أجرة حتى اطيبه فسال عماد خاله معروف فقال أعطيه الثلث فى السلطنة وكتب له حجة مثل الاولى فاشتغل الحكيم بالعدد والادوية والمراهم حتى طابت آذان معروف وقال يا عماد إذا تكلمت بشفقة فقال

عماد نهار مبروك يا خال فقال معروف ياعماد اسأل على حكيم يعرف يداوى العظم من الوهن ويشد الركب ويصحح البدن فطلع عماد وأخبر دميلكوا فأرسل له حكيم ولكنه ماشى على خشب وله فردتان لم يخرجهم نبات فقال عماد الدين أعوذ بالله الرحيم الرحمن يا حكيم داوى عظمك وداوى بيضاتك فلم يلتفت إلى كلامه فقال له البطرنى ياعماد اسكت ان الله يوضع سره فيمن يشاء من خلقه ثم نظر الحكيم إلى معروف وطلب له الأجرة فكتب له معروف الثلث فى السلطنة حجة وختمها فقام الحكيم غاب وعاد ومعه أربعة رجال ينقلوا قزان نحاس فصنع كانون عالى ووضع ذلك القزان فوقه وقاد تحته بالخشب حتى صفى على ثلثيه وأمر بوضع المقدم معروف فيه فقال عماد تريد نطبخه يا حكيم فقال ما أعرف شغلى فوضع عماد فى القزان مقدار ساعة وبعدها تحركت أعضاء معروف وقال إن المية المرية دافية وما دام كذلك حتى لانت أعضاؤه وقد انسلخ الجلد الميت من على بدنه وطلعه الحكيم ولفه فى صوف ناعم ولفه فى لوح لباد كبير وغطاه وبات معه ولما كان فى الصباح فكه ودهن جسمه بدهان ولفه ثانيا وهكذا سبعة أيام حتى إن معروف وقف على قدميه وقال له يالك من حكيم شاطر لكن يا عماد اسأله أن يدخلنى الحمام حتى البس بدلتى فقال عماد ياخال بدلتك هنا ولكن عليها صديد كثير لما أطلع إلى دميلكوا والخامورجى واسأله على ذلك ولما وصل إلى دميلكوا فقال له طاب خالك يا غدار فقال طاب ولكن يا معلم مرادنا واحد غسال يغسل له بدلته ويدخل الحمام فقال دميلكوا بدلته أنا أغسلها له وأدخله الحمام ثم قام وأتى مع عماد إلى داخل الحارة وأوقد نارا تحت القزان ووضع البدلة وأرمى عليها شيئا من عنــــده وهزها فى الماء وطلعها فطلع جميع الزرد مغموس بالذهب البندقى وكذلك فعل بقبضـــــة الشاكرية والجراب وأحضر قماش وأخذ معروف ودخل به إلى الحمام وصحبته عماد والبطرنى فاستحموا جميعا وأما المقدم معروف فانه لما استحمى قدم له دميلكوا بدله من أحسن القماش فلما لبسها قدم له بدلة فلبس البشت الزرد والتبان ووضع الخودة على رأسه وألبسه على بدنه درع دوادى وقلد بشاكريته ذوى الحياة وعقد المنطقة على وسطه ووضع فيها خناجر اثنا عشر على اليمين واثنا عشر على اليسار ثم انه نظر الى نفسه نظر الفرح واتسع صدره وانشرح وقال معروف أين شيحة الذى تقول عنه يا عماد حتى أتفرج على حيله فقال عماد ياخال الحمد لله الذى ربنا سلمك ولما يقع شيحة ندقه دق الكبة فى الهون فقال لهم دميلكوا ياغادرة انتوفاتا كلوا لحم الخنزير والالحم غنم فقال معروف لا يا دميلكو ما آكل إلا لحم غنم وأذبحه أنا بيدى فأتاهم دميلكوا بكبشين غنم سمان

وذبحهم معروف بيده وسلخهم عماد والبطرني غسل القزان لهم ووضعوا فيه اللحم أوقدوا عليه حتى استوى وأتاهم دميلكوا بقرصين خبز بدائرد قعدة الطاحون وكسرهم في المنصف فتذكر معروف أكل المنصف في القلاع والحصون فاكل ذلك اليوم حتى أكتفى وقام وتمشى في قلب الخارة فنظر الى عامودين حاملين سقف فقال يا عماد ياهل ترى حدثات الحياة على أصله ماضى أم يكون اختلاف ثم انه جذب الشاكرية في يمينه وضرب العامود الاول فانقسم كالخيارة وأراد ان يضرب الثاني فقال له دميلكوا تهد الخارة ياغندار فقال معروف لاتخاف يامعلم دميلكوا هل عندك شراب قرفة فقال عندي ثم انه غاب وعاد ومعه ابريق ملان من شراب القرفة فشرب معروف وعماد والبطرني سوى مع بعضهم فانقلبوا مبنجين فانفرد عليهم وكتفهم وقيدهم فاول ما أفاق معروف فنظر الى نفسه والى ابن اخته والبطرني مكتفين فتذكر يوم بنجه كنيار القيطلاني مدة ماسجنه فضاقت عليه الارض وقال آه

مايبلغ الامال كل مؤملي	صبرا على من القضا بتحملي
واصبر فان الصبر أعذب مهلي	قلوب ليل في الهموم كدملي
عالجته حتى أوصلت لفجره	واصبر لما فاتك وماهو قد أتى
مثلا كحر مصيف أوبرد الشتا	واحذر تحذرها تحت أومتى
ولقد تمر الحادثات على الفتى	وتعود حتى لا تزول بفكرتي

[ياسادة] ياكرام وقال معروف يامعلم دميلكوا أنت لاى شيء غدرت بنا وبنجتنا وقبضتنا بعد جميلك الذى فعلته معنا كان الواجب تمام الجميل فان الجميل لا يضيع الا عند مفقود النسب واحنا ناس أشراف نعرف حق الجميل طيب فقال دميلكوا لما علمت انكم مسلمين وأنا مابقى يمكنني أن أوالس عليكم حتى أعلم لكم البيب كنيار القيطلاني يبقى ان منطرتم بخاطره وان اطاقكم بخاطره وتركهم بعد ساعة قبل كنيار القيطلاني فنظر البطرني وقال لاحول ولاقوة الا بالله والتفت كنيار الى ابو بكر البطرني وقال له انتظر أبونا الزير القيطلاني وبعد ما أقبضك مرادك تخلص من عندى حتى تعود سالم الى بلاد المسلمين فقال أبو بكر ان شاء الله تعالى أعود سالم يا ابن الكافرة يا عدل كذاب لابد لك من المنطار وأنت يا بيجو امعروف تريد بعد سبعة عشرة سنة انك تطلع من عندى سالم وتروح لبلاد المسلمين هذا أمر بعيد فقال معروف اذا اراد الله لي بالسلامة يا لعين فانه على كل شيء قدير فقال كنيار أما انتم مالكم ذنب بل الذنب للذى أتى من بلاده وقصده يخلصكم وما اعلم أن كنيار يقبضكم ثانى مرة فقال عماد عشرت والله ياقرن لولا أنى اخشى

الملاعة لكنت انده الحاج شيحة يحرق بيتك ويخلصنا منك فقال كنيار فشرت فى دقنك ودقنه فصاح عماد أنت ياسلطان المجاهدين ويامقدم بنو اسماعيل ياسلطان سلاطين الحصون يامن هو على القلاع كالجوهر المكنون أدركنا ياصاحب الحايل يامن أنا أعبدك وخادمك نخلصتنا قبلت مواطى أقدامك فضحك كنيار القيطلانى ورفع من على وجهه الغطا فبانت صورته الاصلية فقال عماد اقعد ياقصير بهذه القلعة تريدان تجعل الك على جميل وتكتبنى مملوك أنا ولا أنك صاحبى وعامل هذه الحيلة ودخلت فى صفة الخمار دميلكو اما كنت تقدر تقبضنا لكن اخبرنى فين دميلكو افقال ياعماد دميلكو أنا والحكيم الاول أنا والثانى أنا والثالث أنا والحامى أنا والافروري الذى جاربك أنا والذى حرق سراية كنيار انا والذى خلص البطرنى أنا والذى أتى بمعروف انا وقتلت الجارية وفتحت الطابق هذا كله فعلى وأنتم هل تعرفون حق الجميل فقال معروف ياشيخ شيحة وحق من حكم على بالسجن هذه المدة وجعل خلاصى على يديك لوكنت أخذت الاموال والارواح قليل فيما فعلت فى حقى ياأخى من الجميل فتقدم شيحة فك معروف وبعدها فك البطرنى فقال معروف هى طاعة الخوند لك حتى تقوم الجبال والرمال فى مارات البحار عدو لمن تعادى صديق لمن تصادق أى والاسم الاعظم وكل من كان يعصى عليك يكون معرص وزوجته يفعل بها الناس على حسه ثم التفت الى المقدم عماد الدين عاقم وقال له ياابن الاخت اعلم ان المقدم من قدمه الله وها أنا أطعت شيحة بقى أنت تريد تعصاه وتكون سلطان على أنا والاعلى شيحة والاسم الاعظم ان طلبت السلطنة لاقتلك فقال عماد ياخال لا أطلب سلطنة ولكن ما أطيع هذا القصير فقال شيحة يامقدم معروف اتركه حتى العب أنا واياك رتم الملعوب ونطلع من القيطلان حكم ما اشترط اقدام السلطان وبعده كل من بلغ مقصوده أخذ السلطنة والاطاعة ما تكون الا بالرضى وانما ياجماعة اعلموا ان التفتيش داير فى البلد عليكم وانا قصدى اقبض على الثلاث ملوك وأحكمكم أنتم على ملوك القيطلان حتى تنهبوا أموالها وجميع ذخائرها وناخذ ملوكها معنا الى بلاد الاسلام فقال معروف ياحج شيحة ياأخى اما أنا فما أخالفك فى جميع ما تامرنى به افعله وهذا عماد والاسم الاعظم ان اخالفك اقتله وأما قبطان الاسلام فهو وشانه أخبر فقال البطرنى أنا خدام المقدم جمال الدين ولوكنت اعدم مهجتى ومالى وأنا لى ألف وستمائة مغربى مسجونين فى سجن القيطلان عند هذا الملعون ابن الكافرة كنيار القيطلانى وكما تعلموا ان الغراب المنصور امام مراكب أمير المؤمنين الملك الظاهر ها هنا مكسور مربوط على مينة القيطلان الخراب وانا لم يمكنى حتى اذا حصلت التوجه الى بلاد الاسلام الا اذا كنت فى الغراب المنصور ويكون آلاته كاملة وتمام رجالى

صحبتى والا لا حاجة لى بسفرى بلاد الاسلام وموتى تحت سيوف الكفار والا اتوجه
إلى أمير المؤمنين من غير الغراب المنصور وها أنا يا مقدم جمال الدين بين يديك وكلما
تأمرنى به أفعله ولا أبخل بروحى عليك فقال المقدم جمال الدين يا قبطان الاسلام ان
الشرط الذى وقع بينى وبين عماد علقم على خلاص الغراب المنصور وخلاصك وخلاص
المقدم معروف بن حجر واقبض ملوك القيطلان الثلاث ونهب القيطلانية جميعهم وقدومنا
بالجميع إلى بين أيادى السلطان بشرط لا ينضرب سيف ولا تثور فتنة والحمد لله أنتم
خلصتم وما بقى الا قبض الثلاث ملوك ونهب مال القيطلان وسفرنا من ذلك المكان
والرأى عندى أن تقيموا انتم ها هنا ثم ان المقدم جمال الدين أدخلهم فى مكان وأجلسهم
فيه وطلع وقفل الخمارة وسار الى سراية القيطلان فوجد الملوك الثلاثة قاعدين فتقدم
ووضع المنسرة فى يده فقال كنيناو القيلانى ما لك يا دميلكوا فقال يا بب أنا اتيت
لما القيت الافرورى والكندار وكل أرباب الولايات يفتشوا فى أماكن الناس فسألت
على سبب هذه الفعال فقالوا ان الملوك ضاع لهم ضلع فى البلد وهذا التفتيش من أجله
فلما سمعت ذلك أتيت اليكم أسأل منكم ان كان هذا صحيح اطلب منكم انكم انتم تنزلوا
على البلد خلف المفتشين وتدخلوا خمارتى تفتشوها بانفسكم على اسم انكم معزومين
وبعد التفتيش عندى اذا كان فى البلد أحد من العاصين لابد أن يحضر عندى وأنا
إذا رأيته اقبض عليه وأحضره الى عندكم فقالوا الملوك يا دميلكوا انت عندنا عزيز
ولا أحد يفتش خمارتك لأنها خمارتنا فقال دميلكوا أنا فى عرضكم لأجل ينكشف
عنى الوهم وتبقى الناس تدخل عندى بامان وبعده انا أعلمكم على مسك الغريم عند
ذلك ركبوا الثلاثة ملوك مع دميلكوا وصاروا صحبته الى الخمارة فاجلسهم على الفراش
وأرادوا الوراء أن يدخلوا ويهجموا على الخمارة فقال لهم دميلكو ادخلوا فتشوا
واطلعوا فان الملوك لهم عندى عزومة فقالوا الملوك لا أحد يدخل خمارة دميلكو
أبدا غيرنا فامتنعوا الناس جميعا ولم يبق فى الخمارة سوى الملوك فقط ودميلكو نديمهم
فلما جلسوا غاب وعاد لهم وصحبته ولد جميل الصورة على راسه طربوش من الجوهر
يساوى خراج القيلان وملك البردقان فلما نظروا الملوك الى صورة ذلك الغلام ووجهه
الذى كأنه البدر التمام وملبوسه الذى كأنه كنز مرصود من عالم الاقلام فانبهروا من
حسن طلعته وكلا من الملوك تولع بمحبته فامره دميلكوا أن يمسك الكاس ويملأ ويناول
الملوك وقف الغلام على رأى من قال

ومهفهف يسعى الى الندما بعقيقة فى درة بيضاء
والشمس مالت للغروب كأنها دينا يلمع فى قرار الماء

ومديدها عقد الشراب لسانه ... وحديث بالرمز والايماء
حركته شجنا وقلت له انتبه ... يا فرحة الجلساء بالندماء
فاجابني والخمر يخفض صوته ... يتلجلج كتلاجج الهيفاء
انى لا أفهم ما تقول وإنما ... غلبت على سلافة الصهباء
والبدر فى أفق السماء كرهم ... ملق على ديباجة زرقاء
لما رأيت مسامرى قمر للسما ... ومنادمى قمر بغير سماء
فحمدت ربى ساعة الانس التى ... جمعت لنا القمرين فى الخضراء

وكان هذا الغلام محمد الساقى بن شيحة فدار عليهم قدر الخمرة وغنى لهم بالرومى حتى زادهم هياما وحسرة وأسكرهم سكرة واى سكرة وأدخل لهم البنج فشرف كلا منهم وانطرح فقام دميلكوا واحضر ثلاث براميل ووضع كل واحد منهم فى برميل ووضعهم فى محل وأحضر معروف والبسه بدله كنوير وجعله فى صفته بدهان من حكمته ومعرفته والبس البطرنى بدلة كنيار القيطلانى وأطعمه ذبيبة فغارت عينه الشمال كما كان كنيار أعور بعينه الذى قلعها عرنوص فقال البطرنى يامقدم جمال الدين أنا فى عرضك أين راحت عينى فقال لا تخاف عليها عينك عندى أنا لما أتمم شغلى وخدها منى فسكت وكذلك عماد الدين علقم لبسه شيحة ملابس عبد الصليب وأطعمه عشب فاخرج له صندوق على صدره وحدفه على ظهره فسكت ولم يتكلم خوفا من خاله معروف فقال شيحة قوموا واخرجوا واركبوا الخيول بتوع الملوك أما عماد فانه يطرد الحصان إلى حد السراية وأما كنوير يعنى المقدم معروف فانه عندما يركب يقطع رأس السايس وأما البطرنى محل كنوير فانه يمشى يتعجب بنفسه على مهله حتى يصل إلى الديوان ومتى جلستم فى الديوان ارسلوا لى طالب حتى أحضر إلى عندكم وأدبركم على نهب أموال البلد وخلاص الغراب المصرى والمغاربة والسفر من هذه البلاد فعند ذلك خرجوا أول ماركب عماد الدين على حصان عبد الصليب وطلع رايح إلى السراية وأما معروف فركب على جواد كنوير وجرد ذوى الحياة وضرب فى النصارى الذى بين يديه إلى حد السراية فقالوا النصارى يادميلكوا انت عملت إيه فى الملوك اسكرتهم سكرة غامضة فلم يلتفت لكلامهم وأما البطرنى فانه ركب على حصان كنيار القيطلانى وصار يتعجب فى مشيته حتى وصل إلى السراية فقالوا جميع الوزراء أجلسوه فلما جلس قال هاتوا دميلكو الخمار فتجارت الخدم إلى دميلكو وقالوا له كلم الملوك

فقال انهم هذا الوقت كانوا عندى فقالوا مانعرفش قوم وأخذوه إلى السراية فلما بقى بين أيديهم قال له كنيار القيطلانى يا دميلكو مرادنا منك تحضر لنا الغريم الذى سرق

أبو بكر البطرني ومعروف بن جمر والاخربت بلادنا فقال لهم تطاوعون على ما أقول وأنا أظهر لكم الغريم وان جرى بتاع ملك على البلاد ضرر منظروني قال له قول واحنا نطاوعك فقال لهم قبل كل شيء الغراب المنصور المسلمين تخرجوه من المينة الخراب الى المينة العمار ويتولى أمره البب كنيار حتى يصلح آلاته وعدده وتخرجوا المغاربة من بعد ما تشدوا السلسلة على فم البغاز وتقفلوا أقفالها في الابراج على الدقة فان نزلوا المغاربة اليسرى في الغراب لم يبقى لهم مسلك الى الهروب والذي يتولى أمرهم البب كنيار وبعد ذلك لما يتم تنظيم الغراب المنصور تنزلوا فيه جميع ذخائركم وأموالكم الذي تخافون عليها ثم تأمر وا تجار البلاد كل من كان له أموال يخاف عليها ينزلها في الغراب المنصور فاذا فعلتوا ذلك تبقى البلاد خالية من الاموال فالغريم لم يلاقي شيء يسرقه فلا بد أنه يريد ان يتحايل على وصوله الى الغراب المنصور يسرق منه فتكون ناظرة له الغفر فيقع ويكون منطاره على المينة فقالوا له الملوك صدقت وفي الحال نزل كنيار القيطلاني الذي هو أبو بكر البطرني أمر بحفظ أطراف السلسلة وتحصين أبراجها وفتح الحبوس واخرج المغاربة ورتب لهم المأكول من لحم الغنم والسمن البقري والرز الابيض ودوروا الملوك في نقل خزنهم وأموالهم وذخائرهم مع ذخائر حريماتهم ونادوا على التجار كل من له أموال يخاف عليها ينزلها في الغراب المنصور والوكيل دميلكوا الخبار والضامن لدميلكوا البب كنيار فصاروا والوزراء ينقلوا أموالهم والملوك حتى نزلوا البلاد في الغراب المنصور واحد تاجر اتى دميلكوا وقال انا عندي عشرة آلاف دوقانو الخذهم تسليمك ولا ألزمهم الا منك انك نظير غفرهم مائة دوقانو فقال له دميلكوا أنا لم آخذ شيئا الا منك ولا غيرك أنا مالي كثير وأطلب من المسيح مالا ولا أريد غيره من أموال الناس والعشرة آلاف دوقانو بتوعك شيء ما تسلمهم لي تستلمهم مني فشاع بذلك الخبر ان دميلكوا لم يقبل من احد اجرة ولا رشوة والنصارى [illegible] بيت الطماع حتى امتلا الغليون بالاموال وبعد ذلك أمر الملوك باحضار دميلكوا وقالوا له الاموال قلناها مثل ما قلت لنا والغريم لم يقع فقال بحيث ان الاموال في الغراب المنصور والغراب [illegible] على بلادكم الرز [illegible] كم [illegible] بلاد [illegible] عكم قدر [illegible] قال بلاد القدس طهروا أموالكم [illegible] مريم لوكية [illegible] أمان فقالوا صدقت يا دميلكوا [illegible] دميلكوا وقبل [illegible] ثلاث [illegible] الذي [illegible] حتى [illegible] الملوك الثلاث [illegible] في وسط الغراب [illegible] يا ناس أنا [illegible] فقال

قصدى اكشف على هذه أبراميل فقال له أنت مجنون الملوك اثنين وهذا بيبارهم فقال له لابد عن كشفه فان الملوك يحكموا على بلادهم الذى أنت أخربتها وأنا أحكم على الجرك والا أخليك تخرب المينة فعلم شيحة أن هذا يريد يكشف ستره فقال ادركنى ياسابق فقال هاأنا السابق وأنت عجزت عن ملعوبك يا أيها الجركشى على المينة فها أنا قتلته ووقفت مطرحه فقال له لكن قطعت ولدى فى هذه الساعة فقال السابق يا أبى القائل يقول

قبل ان تفصل قيس واقطع　　واحسب حساب القطيعة

اصح تكون جوال صنعه　　تقطع ذراع تتلف ميه

فقال له أبوه صدقت ياولدى وبعد حياتى السلطنة ما تصلح الا لك فقال السابق نزلوا البراميل فى الغراب المنصور كل هذا يجرى وأبو بكر البطرنى يقول والله لو خلق ربنا أربعين قصير مثلك لاخربوا جميع الممالك ولم يخلوا فيها لاعمار هذا ما جرى وأما الملك كنيار القيطلانى فانه أمر المنادى أن ينادى فى كنيار القيطلانى كل من أراد أن يزور القمامة العتيقة القدسية فلينزل معنا فى الغراب المنصور فاجتمع من اكابر القيطلان مقدار مائتين نفس وأمروا الذين فى أبراج السلسلة ان يرخوها روقف البطرنى بالصارى بعدما أعلم المغاربة وصاح عليهم كل من كان له رتبة تولى عليها ورفعوا المراسى وفردوا الشراعات وطاب لهم الهوى ومسكوا مارات البحر العجاج الواسع الفجاج وساعدهم المولى باليسر والافراج من غير شدة ولا تنغيص وثالث يوم نزلوا الى جزيرة العرانيص فميل أبو بكر البطرنى بالغراب المنصور على الجزيرة وأمر الناس بالطلوع فيها فقال معروف ياحج شيحة أنا تضايقت من لبس ملابس أهل الكفر ومن القليطة هذه التى جعلتها تحت خدها وريحى منها فقال شيحة خذ هذه الملبسة كلها فاكلها وتكرع فراحت كلها فقال البطرنى هات عنى ياجمال الدين عال له كل هذه الملبسة فأكلها فعاعت عينه كما كانت فقال عماد وهذه الصناديق مابقيت تأخذهم ياشيحة فقال شيحة يامقدم عماد ان هؤلاء الصناديق الك نيوم ما امع كثيرة أولا ظهرك رسرك وقوابهم عاليين وثانيا تفتخر بهم قدام بنو اسماعيل ان واحد منهم له صناديق الا انحر أما أنا لا آخذ ولا أحط الك عليهم اما اذا كانوا اصفا يريد ان يكبروا انا الملك على دو يكبروا عليه واما ان اردت انك ترتاح منهم فهذا غير ممكن مادمت انك عاصى عن طاعتى فقال له معروف ياعماد اعلم ان الحاج شيحة مطيع لله عز وجل أما تنظر ياعماد كيف ان عظمك خرج وتعوجت اضلاعك من شىء اكلته من يده ياعماد طيع شيحة واترك اللجاج والا سم الاعظم والا فتلتك او ابيح له دمك يفعل كلما اراد و يحرسك فى الحصون والقلاع بهذه الصناديق وكلما دنى يريدون حتى يبقى

كل واحد مثل البرنجي وهذا شيم الأشيا عند الرجال فقال أبو بكر البطرقي طيع شيحة
يا أبو صناديق الله يكسر صناديقك فقال عماد أنا أطيع لكن بعدما يطيب لى شيحة
هذه الصناديق فقال شيحة يا عماد هذه أقل حاجة حيرت فكرك فكيف تعاديني على
السلطنة وتطلبها مع انى والله لو يكونوا كل الرجال لهم مثل هذه الأشياء لابد لى أن
أطيبهم فى أقرب وقت فقال عماد الله ملا قلبك أيدالله سيادتك الملكية وهى طاعة الخوند
الملك حتى تقوم الجبال فى مأوات البحار عدو لمن تعادى صديق لمن تصادق أى والاسم
الأعظم فقال له شيحة اقلع شوا كرك حتى أكتب اسمى عليهم فقال معروف والاسم
الأعظم الا تكتب شاكريتى قبل شاكرية عماد فعندها طلع المقدم جمال الدين البودقة
وسبك الذهب وحفر شاكرية معروف وكتب على وجهها طبع هذا السلاح بنية الغزى
والجهاد لسلطان القلاع والحصون المقدم معروف بن حجر المتنزه عن السلطنة لأخوه
المقدم جمال الدين شيحة عز نصره وكتب على شاكرية عماد طبع على ذلك السلاح
المبارك لنية الغزو والجهاد فى طاعة رب العباد للمقدم جمال الدين شيحة عز نصره وأعطى
كل شاكرية لأهلها فقال معروف لماذا ما كتبت انى أنا تابعك فقال المقدم جمال الدين
شيحة القائل يقول :

ما شان بيت فى العلا متجددا   إلا عليه الحكر المتقدم

والعين يا مقدم معروف ما تعلو عن الحاجب

تم الجزء الحادى والعشرون ويليه الجزء الثانى والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثانى والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ثم ان عماد الدين قال له ايش تقول فى تلك الصناديق عايز منى شىء غير الاطاعة وها أنا اطعتك فاطعمه المقدم جمال الدين أعشاب ماجتمع صدره وظهره كما كان وبعد ذلك فتح شيحة الصناديق وطلع الملوك أطعمهم وأسقاهم ، مسح البراميل ونظروا النصارى الدين معهم فرأوا الذين موجودين غير ملاركهم فسألوا بعضهم عن الخبر ونظروا إلى دميلكوا فرأوه على حاله فقالوا له يا دميلكوا ايش الخبر فقال لهم اعلموا أن هؤلاء معروف بن جمر الذى كان عندكم فى سجن كنيار القيطلانى وهذا أبو بكر اليطرنى وأماهذا عماد الدين علقم الذى سعى فى خلاص خاله معروف من حجر وأما سلطان القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحة فقالوا له وأين ملوكنا فقال ملوككم فى قلب ثلاث براميل قصدى أوصلهم الملك الظاهر ملك الاسلام فقالوا له واحنا لأى شىء أخذتنا فقال لهم انتم كان طالب منكم الاسلام فان اسلمم نجيتم وإن لم تسلموا قتلتكم عن آخركم فقالوا لم نسلم أبدا فاخبر شيحة معروف فقال ياحاج شيحة هم كام فقال له مائتين فطلع معروف للجزيرة وجردوا ذر الحيات ضربها يمين قتل مائة وضربها يسار قتل مائة وعاد وهو كانه شقيقة الارجوان يفتخر بدماء الغزاة على درعه فقال له شيحة قبل الله منك الغزاة ياخوند فقال والله يا شيحة من زمان ما هريت شاكريتى ولكن ان طال عمرى حملت بقيته جهاد فى طاعة رب العباد ثم انهم ارموا جثة القتلى إلى البحر وطبخوا فى تلك الجزيرة أكلوا وبعد ثلاثة أيام فكوا مراسى الغليون ومسكوا أموات البحار طالبين الاسكندرية وتلك الديار فنظر شيحة إلى جهة البر فرأى واحد واقف رافع منديل على الجبل وهو ينادى مينا يا قبطان فدخل إلى البر وأرسى الغراب وطلع شيحة غاب وعاد وطالب من المطرى السفر فقال معروف ياحاج شيحة إيش هذا الصبى قال هذا ولد اسمه محمد السابق فقال معروف ايش قال الك بالاسم الاعظم

فقال قال لى أن ظهر غلام من بلاد البرتقان وصحبته أربعين ملك أولاد ملوك البرتقان وهو قائم إلى بلاد الاسلام يريد الحرب والصدام فقلت له امض إلى مصر اعلم الملك الظاهر قال معروف إيش اسم هذا الصبي ياحاج شيحة الذى تقول عليه وليدك فقال شيحه اسمه عرقرص بن مغلوين وصحبته أبطال بدر وعهر وخود وهم أولاد ملوك البرتقان وهم أربعون ملك أعيان فقال له وهذا الصبي ابن مين من الفرسان فقال شيحة بن مغلوين ملك ملوك البرتقان قال معروف اقعد ياشيحة هذا وليدى أنا وهو وهو الذى سبب خروجي من القلاع والحصون وأقاموني فى القيطلان سبعة عشر سنة ونصف وأنا مسجون وأنا والإسم الاعظم ما بقيت أسافر معكم ولا أروح القلاع من بعد ما سمعت خبر وليدى يا حاج شيحة فقال له المقدم جمال الدين ياأخى وإيش مرادك أن تفعل فقال معروف مرادى أطلع من هنا إلى البر وأفتش على وليدى ولا أدخل القلاع إلا وهو معى وأما إذا لم تطلعونى إلى البر والاسم الأعظم أرمى بنفسى فى البحر ولا أسير من هنا أبدا فقال شيحة لا حول ولا قوة إلا بالله ثم انه أمر البطرنى أن يدخل البر وقال لمعروف قوم اخو نداطلع وكتب شيحة جواب وسلمه لابى بكر البطرنى وألزمه بالملوك وهم الثلاثة ملوك القيطلان ومال القيطلان نسلمه إلى الملك الظاهر وهاهو معك عماد الدين محافظا فقال عماد الدين أنا ما أروح للظاهر ولا لغيره أنا لابد لى من رواح القلاع وأخبر بنو إسماعيل بظهور خالى وإنما أنا مع البطرنى إلى عند الاتقية فقال شيحة طيب وأنت يا بطرنى كل هذا تسليمك فقال البطرنى على الرأس والعين وتسلم البطرنى من شيحة الاموال والملوك وأما شيحة فانه طلع يراعى لمقدم معروف ابن جمر خوفا عليه هذا جرى . وأما المقدم معروف بن جمر فانه لما طلع من البحر قعد طول ذلك اليوم وطول الليل حتى أصبح الله بالصباح ومع تولعه بولده لم فتسكر لافى تعب ولا فى جرع فنظر معروف فى البرارى فرأى راكب على حمارة ولما أتى فى وسط الطريق نظر يمينا ويسارا فلم يرى أحد فنزل من على الحمارة ورفع ذيلها وحل لباسه وأتى بها فلما نظره معروف من بعيد تقدم اليه وقال له يا ملعون إيش الذى تفعله فقال له حمارتى وأنا أعمل فيها ما شاء احسن ما يعملها حمار فضربه معروف بالشاكرية قسمه نصفين وركب تلك الحمارة فسارت به الحمارة وهو راكبها فدخل عليه النوم فسارت به الحمارة وأدخلته دير صاحبها فلما أفاق على نفسه إلا وهو فى وسط الدير فرأى راهب لكنه مكسح وجالس ولم يقدر يقوم فقال معروف ياملعون هل عندك شىء تأكل فعل لى له عندى ولكن أين الراهب صاحب هذه الحمارة فقال معروف قتلته فقال أى شىء

فقتله فقال رأيته يحشك هذه الحرة وهذا حرام فى دينكم فقال له صدقت أنت على دين المسيح الدين الصحيح قال معروف نعم فقال له ما أقدر وإن كان قصدك أن تأكل فعندك الدقيق والعسل والسمن واللحم اعمل فطير بمعرفتك وكل قال معروف وهو كذلك ثم انه وجد دقيق وعجنه وطرحه على الفحم حتى استوى وأضاف عليه السمن والعسل وأكل حتى اكتفى فثقل عليه النوم فقام ذلك الكسيح كانه الذئب الامعط ووضع على وجهه البنج وهو نائم وبعده كتفه وفيقه فقال اشهد ولا اجحد أنا فين فقال له أنت مسلم ومنظرت الراهب العوعو بن جرير وركبت الحمارة وأتيت بصدغك التخين تتغدى من عندى تبقى تقتل أخويا وتجى أطعمك فقال معروف يا ملعون اطلقنى خلينى أمضى الى وليدى فأنا مستعجل حتى الحقه والا انده لأخى المقدم جمال الدين يحرق اجلك ويقصر عمرك انت فين يا اخى ياحاج شيحة وإذا بالراهب لما سمع هذا الكلام حط يده على خنجر امضى من القضاء والقدر واراد ان يقتل المقدم معروف وإذا بالطاش على منبت شعره واقعت رأسه فنظر معروف للضارب وإذا به صاحب الهمم

فان قالات الحصون وعزها   شيحة جمال الدين يعنى الظاهرى
سلطان من شد الشواكر فى الوغا   يوم الغزاة وللاعادى قاهر

فقال معروف يا اخى خلصنى فأطلقه وقال له لاى شىء دخلت هذا الدير وأمنت لذلك الملعون قال معروف حل على تعب المسير لما ركبت تلك الحمارة فدخلت ذلك الدير فقال شيحة إذاجعت أو عطشت انده على ولكن أنف حتى آتيك بجواد تركبه ثم غاب ومعه جواد أدغم كانه الغراب الاسحم فركبه معروف وسار طالب وادى الزهور ومنبع النهور ومرتع الغزلان فأتى على قلعتين على جبلين وتلك القلعتين ساكنهم رجل كافر جبار يقال له عبد الصليب وذلك الملعون مادد سلسلة من القلعة اليمين إلى القلعة اليسار ومعلق ناسوه فى تلك السلسلة لأجل العابر مايفوت إلا من تحت ناسومته فلما نظر معروف ذلك ضرب السلسلة قصها بذو الحيات وبلغ الخبر إلى الملعون عبد الصليب فطلع عليه وهو راكب على حجرة من أفخر الخيول الاصائل وأطبق على معروف بلا سلام ولا كلام فالتقاه معروف بقلب غير ملهوف قد تعود خوض المعامع والصفوف وتقاتلا ساعة من النهار وبعدها قام معروف فى ركابه وضربه بذى الحياة على وريديه اطاح رأسه من بين كتفيه واخذ حجرته فخرجت عليه النصارى من القلعتين فتلقاهم كما تتلقى الأرض العطشانة اوائل المطر ومال عليهم بالحسام وسقاهم شراب الحمام فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وسار معروف قاصد وادى الزهور ومنبع النهور

طال أن يرى ولده ليطفى برؤيته نيران كبده هذا ما جرى ما هنا اسمع ما جرى من أمر عرنوص الذى قاصده المقدم معروف فانه كان مقيم فى وادى الزهور مدة أيام وسبب ركوبه على بلاد الاسلام انه كان خطب بنت مغلوبن ملك البرتقان فحكم عليه جوان انه لا يتزوج بها إلا إذا احضر رأس ملك المسلمين مهرها فركب وأخذ معه اربعين ملك أولاد ملوك البرتقان وقسم لهم بلاد الاسلام إذا أخذ تخت مصر فيكونوا ملوك فى الشام وحلب واسكندرية ورشيد وساروا معه على ذلك الترتيب فلما وصلوا إلى وادى الزهور أقام فيها مدة مستطيلة إلى تلك الايام فكتب له مغلوبن يقول له يا ولدى إن كنت عجزت عن حرب المسلمين فارجع واكتفى وأنا أجوزك ابنتى بلا مهر معدود فاغتاظ عرنوص من ذلك الكلام وحلف بدين النصارى انه لا يعود حتى يخرب بلاد المسلمين ويأخذ ملكهم برقبته ويعود إلى البب مغلوبن وينول الملكة شموسر ابنته [قال الراوى] وكان سبب مجىء عرنوص إلى تلك البلاد كما ذكرنا فى كلامنا الاول لما كنيار القيطلانى سجن معروف فى سجن الحصرات فكان عرنوص صغير فليوم من الايام اجلسه على حجره فنظر عرنوص عينين كنيار فرفع يده واتكى على عين كنيار قلعها فاراد الوزراء أن يقتلوه فقال لهم لا احد يكلمه فان كنيار لم له أولاد واشترى ذلك الولد بعينه فلا أحد يعارضنى فيه وبعد وفاة الشريفة التى ربته فى ايام والده كنيار واخذه قسيس يعلمه قراءة الانجيل فصار مدة أيام فتعلم وصار له من العمر اثنى عشر سنة منهم ثلاثة قبل سجن ابوه وتسعة بعد سجنه فاتفق أن القسيس الذى يعلم عرنوص نظر إلى بنت البترك وهى ماشية فعشقها وهى بنت وكلمها بكلام يوجب قلة الادب فحكت لابوها وابوها حكى لكنيار وكنيار حكى لعرنوص علم القسيس بتاعك الادب فاتى عرنوص وقبض على القسيس وضربه خمسين سوط وقال له بعد ما ضربه إذا كان عندك عقل كنت أخذت ووجهها كنت على كل حال أنا ارد عنك من يطالبك فسر القسيس فى سره لما كان بايام نظر البنت داخله الكنيسة فدخل خلفها وازال بكارتها وعاد إلى عرنوص واعلمه فقال عرنوص لاتخف من شىء وكل من عارضك أنا اقتله فارسلوا الملوك طلبوه فوقف عرنوص وحماه سبعة أيام فقامت القيطلان على قدم وعيطوا على كنيار وطلبوا منه عرنوص فاراد كنيار أن يمانع فلم يقدر ولا بقى الا يسلمه والا يقتلوه وفى تلك الايام اقبل جوان دخل على القيطلان تعلق فى اذياله كنيار وقال يا أبونا لم أقدر على موت ولدى فقال له أنا أخلصه لك ولا تخاف عليه ودخل واحضر جواب بخط مغلوبن ملك ملوك البرتقان يذكر

فيه انه كان عنده جارية حملت من البب مغلوين فلما هربت مسكها وسألها عن ابنه فقالت انه وضعته فى الحون والدير المسكون ولما بلغنا أن كنيار والقيطلانى عنده ولده اتابه من الجون فعلم أن هذا ابن البب مغلوين فقادم لكم البركة جوان عالم ملة الروم تسلموه اليه فلما قرأوا ملوك القيطلانى ذلك الجواب خافوا من البب مغلوين لانه يحكم على ملوك القيطلان وله عليهم الجزية فاستشاروا بعضهم وقالوا لكنيار اكفينا شره وارسله لابوه فاخذه جوان وعاد به إلى مغلوين واعلمه أن المسيح الحى انى من السماء وعرفه أن مغلوين جامع جارية والجارية بعد ما حملت منه هربت وأخذوها السواحين ودخلوا بها جزيرة العرانيص فوضعت غلام فى قلب الجون والدير المسكون ولما علمت أن الديابر وعرنوس ولذا كتبت عنك جواب وروحت القيطلان وأتيت به اليك وقدم عرنوص إلى مغلوين فنظر إلى حسنه والى جماله فانبهر مغلوين وقال هذا ابنى يا أبونا جوان فقال جوان نعم ابنك وكان أخذه كنيار القيطلانى ورباه وعمله ابنه ففرح به وكان يحكم على أربعين مدينة وكل مدينة لها ملك وكل ملك له ولد فأمر البب مغلوين أن الاربعين ملك الذى تحت حكمه أن يأتى اولادهم ويكون من تحت يد ولده الديابر وعرنوص فارسلوا أولاده تعلموا معه الخط والحساب وبعدها تعلموا الصيد والقنص ففاق عرنوس عليه وظهر فيه روايح أبوه فصار يكبس الاجات والغابات ويعاقر السباع الضاريات وأخيرا نظر إلى بنت البب مغلوين فأراد زواجها وكان مغلوين يريدها لنفسه هو فلما طلبها عرنوص فخاف أن يمنعه يصعب عليه ورأى بنته راغبة عرنوس لحسنه وجماله وباغضة لابوها لكن انه كبير عليها وعرنوس خده ناعم وأوماخذه هشن فلما علم ذلك أرسل خلف جوان وقال له دبرنى تدبير فقال له جوان أنا اريحك ودخل على عرنوس وقال له يا عرنوس إذا أردت زواج الملكة شموش أختك فلا يجوز لك الا إذا عازيت بلاد المسلمين وملكتها وواسرين المسلمين مهرها فرضى عرنوس بذلك الشرط وأمر أولاد ملوك البرتقان يكونوا معه فأحضر له البب مغلوين أربعين ألف من عسكره وأما ملوك البرتقان كلا منهم جهز ولده بألف عسكرى من عنده فكمل عرضى عرنوس أربعين الف عسكره وأربعين ألف عسكر توابعه بقوا ثمانين الف مقاتل غير توابعهم من خدامين وفراشين وخيمه وسياس ومثل ذلك وتوجه إلى وادى الزهور ومنبع النهور ومرتع الغزلان وأقام معه هناك أيام حتى عبر عليه ابراهيم بن حسن وهو قادم من رومة المدائن ومعه ابراهيم وسعد وجرى ما جرى وأقام عرنوس مدة ومما وقع من الاتفاق انه هجم على غابة فاصطاد منها لبوة بالحياة فأمر الحدادين اصطنعوا لها قفص حديد ووضعها

فيه وجعل يتفرج عليها وكل ما يسافر يأخذها معه إلى يوم أمر أولاده ملوك البرتقان أن يكونوا خلفه وأكابر العساكر من خلفهم وقال أنا مرادى أن أطلق هذه اللبوة وكل من هربت من ناحيته أ منظره له ذروا على أنفسكم ثم أطلق تلك اللبوة فما يكون لها مسلك إلا من تحت جواد الملك عرنوص فقالوا له الملوك يا أب لو كانت خرجت من عند أحد منا كنت منظرته وها هي راحت من عندك بقى منظر روحك فقال لهم ان رجعت لكم من غيرها ابقوا اعملوا خلاصكم فيا ثم ان الاشكال كل سبع شعرات لون صنعة مدبر مكون

فلما طرد خلف تلك اللبوة فدخلت منه فى أجمة ودخل خلفها فصاحت بصوت مزعج فوقف الجواد ونشر ناصيته وشخر فلم يصبر عرنوص بل نزل عن ظهره ودخل خلف اللبوة فصاحت فاجتمعت سباع الأجمة على صوتها وارادوا أن يفترسوا بعرنوص وإذا بصوت مزعج من خلف ظهره كانه الرعد القاصف يقول شد حيلك يا ولدى روحى فداك ولا أرى فيك يوم مكروه ثم جرد ذات الحياة ونزل عن حجرته وضرب أول سبع بين عينيه أخرج السيف من بين فخذيه وضرب الثانى على ظهره قسمه نصفين والثالث أطاح رقبته والرابع شق جبهته فنظر الملك عرنوص الى أعماله فاحتار من اعماله وقال فى نفسه ان كان هذا رجل كبير ويفعل هذا العمل المنكر فلابد انه صبور على الحرب والقتال ثم انه جرد قاسم الحديد سيفه وضرب مثل ماضرب المقدم معروف وقد اجهد نفسه بلا جزع ولا خوف مقدار ساعتين فأهلكوا جميع السباع وتركوهم امم على وجه الأرض والبقاع ولما هدت تلك النيران نظر الملك عرنوص إلى المقدم معروف وقال له انت من اين يا بياجو فقال له معروف اعلم يا ولدى انى انا ابوك وانت ابنى ولما كنت فى سجن الكتلان وقد كان خلاصى على يد عمك المقدم شيحة جمال الدين وابن عمتك المقدم عماد الدين علقم بن فخر الأهبل ولما خلصت علمت انك فى هذا المكان فلم نقدر على بعدك يا ولدى لأن فراق الأولاد نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وها انا يا ولدى اعلمتك لانك تنسب للامام الذى كسر الأصنام وحمى البيت الحرام وزمزم والمقام وامك الملكة مريم الزنارية بنت الرين حنا صاحب مدينة جنوى فان طاوعتنى يا ولدى اترك هذا الجنون وسر معى إلى القلاع والحصون وانظر إلى اولاد عمك فهم كل مقدام كانه اسد الآجام واترك معاشرة اللئام فقال له عرنوص يا بياجوا انا لى مدة ايام كثيرة لم سمعت هذا القول إلا منك واما انا ابن مغلوين واولا كان ابى كنيار الكتلانى ما هانت تقول انى ابوك وهذا شىء عجيب وإنما هذا عالم ملة الروم جوان

إذا كان يصدقك فى كلامك فأنا اصدقك وان كان يقول ابن مغلوين كيف تقول يا ياجرا
قال اقول كذاب قال عرنوص إذا قلت كذاب كذلك هو يكذبك ولكن لما توصلوا
إلى العرضى وتشوفوا ما يقرله حوان ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى العرضى ونظر
البرتقش إلى وجه معروف بن حجر قال آه يا خوان هات البشارة فقد اجتمع السيف
مع غمده والحق إلى اصحابه وظهرت الامارة وقد بانت الدلايل والاشارة واجتمع
الملك عرنوص بأبيه المقدم معروف ونال المكسب من بعد الخسارة ولابد فى هذا
العام من خراب بلاد النصرانية فطاوعنى خلينى اجيب لك الحارة من قبل ما تلحقك
الخسارة وتروح تحت سنابك الخيل والمهارة ولا ينفعك المارى حنا ولا المعمدان
ولا الراهب زرارة فقال جوان إيش هذا الكلام يا برتقش ببقى جوان يهرب ويخلى
معروف يأخذ عرنوص منى فان هذا الأمر لا يتم ابدا فقال له البرتقش دونك وما
تريد فقال له جوان قم على حيلك وتلقى عرنوص وقل له بالرومى متى اجتمع عليك
هذا الرجل ازرق العيون اصحى منه يا دبابر وهذا كل ما يشوف فليون جميل يدعى انه
ابنه ويجيب له دلايل وبراهين بالكذب وما قال لك فقام البرتقش وتلقى عرنوص
وبلغ له ذلك الكلام بالرومى فقال له عرنوص انه يقول ابى وانا ابنه فقال له كذاب
ولكن اين اللبوة التى طلعت خلفها فقال ماتت مع جملة من مات من السباع فى الغابة
بعد ما كانوا رايحين يقتلونى ولا ينفعنى إلا هذا الرجل ولكنه يقول انه ابى وانا
محتار من كلامه وكلامك فقال جوان ان قفص اللبوة الآن خالى وان سألوك اولاد
الملوك تقول لهم ما قدرتش اجيب اللبوة وانما أمر هذا الرجل يدخل القفص محل
اللبوة وإذا سألوك قل لهم ضاعت اللبوة وها انا اتيت بهذا الرجل من البرعوضاعنها
قال عرنوص صدقت ثم التفت إلى معروف وقال له ان كنت انا ابنك صحيح كما تقول
فادخل فى هذا القفص وانا اعلم انك ابى صحيح فقال له يا ولدى إذا دخلت اتق ابوك
قال نعم نبقى ابريا لا كلام فتقدم المقدم معروف ونزل من على ظهر حجرته وقال
بسم الله ودخل ولكن لسانه لم يغفل عن ذكر الله فقام جوان وقفل القفص وقال
وقعت يا بيجوا هذا قبرك ولا بقى لك منه خلاص فقال معروف يا قرن هذا يعنى
يماثل سجن القطلان هذا فى محبة ولدى اما قال مجنون ليلى فى شعره :

عذبونى فى هواكم واهجرونى واستحلوا من دمى مالا يحل

وانا يا ملعون إذا كان ولدى قدامى وانا فى ذلك القفص احسن ما يكون بعيدا
عنى واتجرع لفراقه كاس الغصص واما عرنوص فانه جلس فى ميدانه وجعل القفص

قدام عينيه وعصارى النهار أتاه نجاب ومعه كتاب وتقدم إلى بين يدى الملك عرنوص بالسلامة يا زرارة إيش عندك من الاخبار فقال له أبوك يسلم عليك وأرسل اليك هذا الكتاب فاخذ عرنوص الكتاب فرأى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب أما بعد من حضرة اليب مغلوين ملك ملوك البرتقان إلى بين أيادى ولدى الديابر وعرنوص طال مقامك فى وادى الزهور ولا سافرت ولا رجعت وهذا كان برأى جوان مع انى أنا عندى إقامتك عندى أحسن من كل بلاد المسلمين وما فيهما فاذا قرأت هذا الكتاب يكون رجلك فى الركاب تأتى إلى ها هنا اجلس على مملكتى وأنا أحارب ملك المسلمين وآخذ بلاده وأملك عساكره وأجناده وها أنا أعلمتك وانت ورأيك وارسل لى رد الجواب فتعجب الملك عرنوص وقال شوف يا جوان كيف يكاتبنى أبوبا مغلوين وشوف كلامه قال جوان أحسن ما تقول أبوبا معروف وتكذب جوان فقال النجاب هات لى رد الجواب قال عرنوص اصبر بقية هذه الليلة عندنا وبكره أعطيك رد الجواب وسافر فقال وأنا أبات فين وأنا تعبان من الطريق فقال جوان نام على هذا القفص فحط النجاب حرابه وعصاه فوق القفص وقعد فوقه كل هذا ومعروف صابر على حكم الله ولما أمسى المساء ونامت العيون تحرك ذلك النجاب وقال يافلى أنا رايح اتمنطر وكشف نفسه وقعد على قرافيصه فقال معروف قوم انزل تحت وبول فقال أنا ما نيش قادر فقال معروف دى ميته فقال ماهى نجسة قوم بعيد وإذا بالنجاب سيب بالوصه فنزل الماء فتلقاها معروف فى يديه فامتلأت كفوفه فرآه شربات سكر ممزوج بالعنبر فقال معروف كان يا شيخ قال له افتح كفك ففتح كفوفه ملأها له شربها وثانيا وثالثا وبعدها قال كان فقال معروف لا خير المعدة فلم يرد عليه بل حكم نفسه بين سناويل القفص وارخى حاجة تجى أقتين فتلقاها معروف بيديه وإذا بها حلاوة عجمية من السكر اليابس فأكلها معروف وقال لهذه ما هى صفة نجاب لا شك أنك أخى الحاج شيحة فقال له قم على حيلك اركب حجرتك واطلع الخلا فطلع معروف وركب حجرته وأما شيحة فانه كتب تذكرة وحطها على رأس عرنوص وراح ولما طلع النهار أفاق عرنوص وطلب القفص ورآه خالى من معروف ونظر التذكرة فرأى فيها إلى حضرة الملك عرنوص أنت اسجنت أبوك فى القفص وأنا خلصته والذى أغراك على دخوله القفص جوان فالمراد منك أن تضرب جوان علقة الف كرباج وان ما ضربتوش أضربك أنا بدالة الف كرباج وها أنا أعلمتك فتكون على حذر السلام فلما قرأ التذكرة الملك عرنوص قال هو تواجرا فلما حضر قال له عرنوص يا جوان

معروف خلصه شويحات وأنت مكرك ماتقع حد اقرأ هذه التذكرة قال جوان ياابني
دا شيحة مسلم وأنت إذا ضربتني أغضب عليك فقال عرنوص إذا غضبت على إيش
ينفع غضبك فقال جوان يمكن أقدف قدفة اجعل الدنيا كلها بحر والناس سمك وأنت
تصير كلب تعوى على شط البحر فقال عرنوص أنزق لما أشوف قال جوان لم يهون
على أن أتلف النصارى وهم أولادى قال عرنوص كذاب هاتوا العدة إضربوا جوان
الف قال المرتقش تفضل كلها يا أبونا ارتمى جوان أكل الف كرباج وبعد العلقة قال
عرنوص يا جوان أنا عايز معروف البيجو قال أقف يا ولدى من خارج العرضى
وقل يا أبونا معروف يجى قال عرنوص وان ماجاش أضربك الف ثمانية كرباج
ثم إن عرنوص خرج إلى الخلا قال إتنافين يا أبونا معروف رد عليه معروف قال
ها أنا ياولدى حاضر ولا أقدر أغيب عنك قط فقال من أطلقك فقال أطلقنى أخويه
الحاج شيحة فقال عرنوص أقعد عندى ولا تفارقنى ابدا ثم انه أمر باحضار الطعام
فلما حضر قال معروف ياولدى أنا ماأقدر آكل من ذلك الطعام فانه نجس وذبح
الكافر عندنا حرام فقال عرنوص يابيجوا وحق رب المسيح أنا أعلم أنه إذا تفرقت
المال علمت ان الرب واحد فان الاكل الذى يحضر قدامى لم فيه لحم خنزير ولا يطبخه
الا أسارى المسلمين فكل معى ولا تخاف من شيء فقال معروف يا ولدى إذا أردت
أن آكل معك فلا آكل إلا فطار بالسمن فقط وخلاف هذا لم آكل فأمر باحضار
سمن بقرى ودقيق وعسل نحل وتصنع قدام معروف فأكل منه وأكل معه عرنوص
هذا وجوان قاعد ينظر وفؤاده يتمزق وخايف أن الأعضاء تحس بعضها فقال جوان
ياديار يا أنا قلبى عليك قال عرنوص لاى شيء قال قل للبيجوا يدخل القفص فى
عرضك ياابنى خايف يسرقك ويتفكر فى عكرسته ومكايده وأما إذا كان فى القفص
يبقى محبوس فقال عرنوص يخلصه شيحة إذا حبسناه فقال جوان أنا أكون غفيرا
عليه ولا تلزمه إلا منى وان خلصه شيحة أضرب جوان ألف كرباج قال عرنوص
يابيجوا ان كنت أبويا وأنا ابنك أدخل فى قلب القفص قال معروف إيش يجرى
إذا دخلت فى القفص ثم دخل معروف القفص فقفل جوان باب القفص وقال أنا
غفيرك وفى تلك الساعة أقبل الناس الى عرنوص وقالوا ياب ارذات النور بيعرج
برجله اليمين فلما سمع عرنوص ذلك طار عقله لان الحصان لم له مثيل فى الخيول وعرنوص
لم يركب غيره أبدا فقال عرنوص ان كان فيك بركة طيب لى رجل الحصان فقال جوان
ياولدى هذه صنعة البيطار فقال عرنوص وأين البيطار فقال جوان أنا أعرف فى دير
الظهور رجل بيطار لكنه صاحب معرفة وفى هذه الساعة أحضره بين يديك

قال عرنوص قوموا هاتوها فانفرد جوان وأخذ البرتقش وسار الى الدير وطرق الباب فقال
البيطار مين قال له جوان فقال له إيش الخبر فقال الحقنا حصان الديابر بيعرج تعال
ياأبي طبه فقال البيطار ياأونا ما أقدرش أروح معك لأني صاير شارب شربة
فقال جوان طب إفتح ففتح له الباب وقال ياإبني أنا لا أقدر أعود الا بك فان كنت
عيان أنا أحملك وأراد جوان أن يحمله فرأى له قليطة كبيرة فجعل [illegible]
وحط القليطة على رأسه وخرج به من الدير وكان البرتقش أخذ مقدف العدة وسار
معهم وفي نصف الطريق انخرقت القليطة وخرج منها دم أسود مثل الدم ونزل على وجه
جوان ولحيته وصبغ جميع جثته ومادام سائراً حتى وصل العرضي ونزله كان بطانه ماشية
عليه فكمل شغله على جوان ونظر عرنوص هذه العبارة فضحك وضحكت على جوان
جميع النصارى ثم قدموا الحصان للبيطار فكشف عليه فلقاه ما به ضرر [illegible] الحصان
سالم فقال عرنوص مالك من بيطار وحكيم أطلب منية فقال ياسيد ما اقدرش أروح
خلي جوان يروحني مثل ماجابني قال جوان بات هنا وأنا في الصباح أروحك فقال
وأين أبات قال جوان بات فوق هذا القفص ثم رفعه ووضعه على القفص وقال في
باله يفعل بمعروف كما لي ولما أمسى المساء كان هذا البيطار المعدم جعل [illegible] يحرك
وفعل كما فعل في الليلة الاولى ولما أصبح الصباح قرأ التذكرة عرنوص وطلب جوان
قال البرتقش قوم كل الملقة البيطار كان الراجل الذي مابسماشرع [illegible] عرنوص
ألف وطلب منه معروف فقال اقده عليه فنزل عليه [illegible] ووضع يده في يده ودخل
الديوان ووضع الطعام أكل عرنوص ومعروف ودار الحديث بينهما وقال عرنوص
خلي معروف ياديا روا يدخل القفص وان خلص يأكل [illegible] فقال جوان
عرنوص يا ابي معروف أدخل القفص فدخل معروف ولم يخالفه فقال جوان
وقفل القفص فقال معروف أنت قفلت القفص [illegible] شيخ يخلصني [illegible] وأنا أنت
ياملعون ماينفعك الا ضرب الكرابيج فقال جوان [illegible] يوم [illegible] الدرة
حتى نتبرك بالمبروك [illegible] فان ذلك المبروك [illegible] الا ان كان جوان
فعند ذلك قال له عرنوص اذا حنا [illegible]
معنا أو نتركه لا يحضر شحة يخلصه فقال [illegible]
وضع القفص على أخشاب ممدوح مثل الجارق [illegible]
جوده ذات النور وركبت معه جماعه من [illegible] سائرين
حتى دخلوا إلى ذلك الدير [illegible] الانجيل [illegible]
ولما جن الليل نزل لبترك على القفص وقال يا معروف انت [illegible] مايقنعيش
انك تدخل في قفص [illegible] الكافر عليك [illegible]
القفص ولا تروح [illegible]

واحرمنك منه فقال معروف ياأخي لم اروح اليه إلا إذا استأجرتك ولكن ساعدني
سأقعد محاذي العرضي فقال شيحة بخاطرك اطلع معروف ووقف قدام العرضي
يستنشق اخبار ابنه عرنوس ولما طلع النهار نزل عرنوس فوجد القفص خالي وضاق
صدره فأى ضربه اف وقال له اين معروف قال له انده عليه فنده لم يحضر معروف
فرجع وضرب جواب اف ثانية ولما اعياه الحيل في حضور معروف قال سأنتقم من
جواب هذا ما جرى ما هنا أسمع ماجرى من امر الريس ابو بكر البطارني صاحب الفخر
والتني فانه لما وصل إلى الآتقيا طلع عماد الدين علقم يعلم اهل الحصون بظهور خاله
معروف بن جمر فلما سمعت المقادم ان معروف بن جمر ظهر شاشة الوجوه اما المقدم
الكبار مثل المقدم حسن الحوراني ودبل البيسان والمقدم دجور والمقدم جبل والمقدم
حسن بن موسى القصاص فانهم راسخين على ماهم عليه واما الصغار مثل صوان بن
الافعى وسيف الساعي وخالد وامثالهم تحركوا من اماكنهم ولكن خائفين يكون
معروف مع شيحة صحبة سوى فما ينوبنا إلا سواد الوجه وبعضهم قام بجهله واما
ابو بكر البطارني وصل الى الاسكندرية ضرب المدافع من القراب المنصور فجاوبته
المدافع من المينة ودام الشك ساعة كاملة وطلع باشة اسكندرية فاقى سلطان الاسلام
وسلم عليه فأمر بنقل مافي القراب المنصور على ظهر الخيل والجمال إلى البحر الحلو ففعل
كما امر القيطلاني وتقدمت مراكب في البحر الحلو وسافر إلى بولاق وامر رجاله ان
تحفظ الأموال والملوك وطلع البطارني الى ملك الاسلام قبل الارض واعطاه كتاب
المقدم جمال الدين واعلمه بكل ماجرى فما كان عند السلطان احسن من ظهور معروف
فراح وامر شنك ومهرجان وقال لابد لي ان اسير اقابل معروف وكيف خليته يطلع من
من الفليور فقال البطارني طلع غصب عني وطلع وراءه المقدم جمال الدين وها انا جئت
اعلم امير المؤمنين فقال السلطان رفي اي موضع كان طلوعه قال البطارني طلع قبال جبال
الرهان ومن خلفه وادي الزهور ومن هناك ينزل على عرضي فقال ابراهيم يامالكنا
اما عرضي الذي تذكر فانا اعرف محل ماهو نازل فقال السلطان صار من الواجب
علينا اننا نروح نقابله ثم ان السلطان امر عثمان ان يحضر له الحصان وامر ابراهيم ان
يحضر للسفر وسعد يكون معه ومن الغد ركب السلطان وابراهيم وسعد وطلعوا
يقطعون الاودية الخوال اياما وليالي حتى اشرفوا على ذلك الوادي الذي هم طالبينه
فنظر ابراهيم على بعد فرأى المقدم معروف قاعد تحت شجرة جوز وهو يتولول من فراقه
لولده ويقول آه واحسرتاه

امر ما القاه من ألم الجوى   قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

فصاح إبراهيم إيش الزول فى ظلام الليل ويلك اسرع قول فصاحة عمادى كل فصاحة برجال من جاء سالم راح فقال له معروف ياقرن أنا قاعد استنشق أرياح ولدى ولو كنت أنا أحسب حساب قرن مثلك يزعق على فى الليل فما كنت أقعد فى هذا المكان وأجاور الوحوش فى البرارى والقفار ثم انه قفز بقى على حجرته وقال له جيتك قال له إبراهيم وأنا تلقيتك انطبقوا الاثنين على بعض دوت أصواتهم مثل الرعد خرجوا من الهزل إلى الجسد وسعوا المجال طولا وعرض ساعة من الزمان وقف إبراهيم فى ظهر حجرته وضرب خصمه ثلاث ضربات بشاكريته فضيعها المقدم معروف وحط يده على شاكريته فر الحيات وضرب إبراهيم صفحا فحس إبراهيم بأن الدنيا انطبقت عليه ولم يمكنه الثبات فصاح أدركنى يا سعد قال سعد جيتك وأطبق على معروف فضربه معروف فزاغ سعد عن ضربته بخفة عصبته فقال له أنت طيار ياقرن وحذفه بالترس فى أقصابه فوقع على وجهه فقال سعد أدركنا يا ملك الدولة قال الملك حاس عن رجالى وصدم معروف صدمة تزعزع منها الجبال وهمهموا الاثنين كهمهمة أسود الدجال وأوسعوا فى المجال وتضاربوا بكل حسام فصال فعندها وقف الملك الظاهر فى ركابه وضرب معروف سبع لطوشات بالات الدمشقى فالتقاهم معروف بعزمه الموصوف وحط يده على ذو الحيات وضرب الملك الظاهر سبع ضربات والملك الظاهر يتلقى ضرباته ويصبر لحلاته فقال معروف الله أكبر والله أكبر لم أعرف أحدا يتحمل منى سبع لطوشات الا الملك الظاهر وكان فى شبوبيته للملك الظاهر فقال السلطان وأنا لم أعرف أحدا تحمل منى سبع ضربات إلا معروف بن جمر لعله أنت فعند ذلك قبضوا الاثنين فى أيادى بعضهم ووقفوا على الارض وما أحسن الملتقى بعد البؤس والشقا وبعد السلام قال السلطان يا أخى أنت قاعد لأى شىء فى ذلك المكان قال معروف أنا قاعد أنتظر وليدى فقال السلطان ياأخى وكل من له ولد يقعد فى الخلا هكذا وهذا ابنك كافر ملعون قال معروف يا ملك لم يكن تحت قبة السما أجمل ولا أفصح ولا أفهم من وليدى هذا أبدا قال السلطان ادخل بنا عليه حتى نستخبره فى الحكم ان كان عنده فهم وإدراك أو يكون خالى من ذلك قال معروف هيا ياملكنا ياحاج شيحة عن اذنك أنا رايح لولدى مع السلطان ثم انهم ساروا الاربعة ودخل السلطان قابض معروف بعد ما ساروا فى الكلام مع بعضهم فقال الملك الظاهر مظلوم يابا قال عرنوس إيش طارمتك فقال أنا اشتريت فرس من هذا الرجل على أنها حبلة فطلعت فارغ ومرادى أردها عليه فلم يقبلها فقال لمعروف لم لا تقبلها فقال أنا بعت بغير خيار وقبضت حقى ورحت لحالى فلا أرجع ولا أرجع فقال عرنوس للسلطان انت عندك شاهدين يشهدوا لك بشرط الحمل قال نعم وأحضر إبراهيم وسعد فقال لمعروف تقبل شهادة دول قال معروف

ان كان تصح شهادتهم عندك اقبلها قال عرنوس طيب وقام على حيله وقف واحد على
يمين الصوان بمائة خطوة ومسك سعد وقال لا تسيبه حتى أجى اناوآخذه وكذلك
فعل بابراهيم وأخذ السلطان ودخل محل الحكم وقال للسلطان الفرس الذى اشتريتها
بكام دينار فقال بمائة دينار فقال له دفعت الثمن قال له نعم قال له ولون الفرس ايش
قال شهبة فقال له فيها عيوب قال لا وانما عجوزة وفشلانة اللحم وقام السلطان وأخذه
وسار به إلى محل سعد وأوثقه وأخذ سعد وعاد به إلى الديوان وقال له الفرس الذى
تشهد عليها ثمنها كام دينار فقال سعد ثمنها عشر دنانير فقال له ولونها ايش فقال شقرة
فقال هل تعلم لها عيوب قال سعد عرجه وعوره وملعونه ولا تنفع الا للطاحون فأخذه
وقام وداه محل إبراهيم وجاب إبراهيم وقال الفرس الذى تشهد عليها ثمنها كام دينار
فقال إبراهيم ألف دينار فقال وايش لونها فقال فرس دهمه كالليلة الظلمة فقال له هل تعلم
لها عيوب قال ابراهيم ايش العيوب كحيلة كاملة الوصف صادقة فى حملاتها تفوق
الطرف وتكر على العدا صفا بعد صف فعند ذلك قام عرنوس وجمع الاربعة السلطان
ومعروف وإبراهيم وسعد وقال إن دعواكم بغير حق فتستاهلوا عليه الأدب ولكن
أنتم تكرموا لكونكم من ذوى الرتب أولكم هذا ملك المسلمين الذى وصفه لى
جوان وهذا ابراهيم وهذا سعد أعرفهم من مدة ما فاتوا على وهم قادمين من رومة المدائن
وهذا معروف بن جمر له أيام مقيم لا باع فرس ولا عنده خيل فقال معروف اسم الله
عليك ياوليدى لقد نظرت موضع النظر وانما يا وليدى قوم على حيلك أدب اقدام ملك
الدولة عمك الملك الظاهر بيبرس سيد ملوك الاسلام وخادم الحرم وترس قبر النبى المظلل
بالغمام فقام عرنوس بحيا وأدب وقبل يد بن السلطان وسلم على المقدمين إبراهيم وسعد
وأدخلهم فى قلب الصيوان وطلب عرنوس الطعام فحضروه الخدام والغلمان واذا
بالاسطى عثمان أقبل وقال يا أشقر إذا جاءتك عزومة تأكلها وحدك وتركت عثمان عن
قلبك ونسيت العهد الذى بين ايادى أم البيت ولكن ياجلالى إذا فتنى أنا ما افوتك فقال
الملك الظاهر أهلا يا عثمان وفى تلك الساعة تقدم بين ايادهم السماط فشمر الملك عرنوس
عن ساعديه ومراده أن يأخذ شيئا من الطعام فقال عثمان ارجع يا جدع هذا الطعام
كل من أكل منه يتقلبق فقال عرنوس ايش هذا الكلام فقال عثمان قلت لك لا
تقدم نفسك فعند ذلك طلع الملك الخنجر ومسكه وقطع لحمه ومسح ذباب الخنجر
بلقمة عيش وأعطاها الكلب فأكلها الكلب وصوخ ووقع وتفرقت أعضاؤه وانصرع
فقال الملك كذا يا عرنوس فقال عرنوس يا ملك الاسلام وحق الذى يعلم الغيب
وأحصى كل شىء عددا أن هذا السم فى الطعام لا أعلم به ولا أمرت به ولا وكلت
من يفعله ثم أمر الطباخين وقال لهم لاى شىء سميتوا الطعام فقالوا له احنا لم سميناه

وانما جوان هو الذى دخل علينا وبقى يكشف الحال ويقرأ قداس البركة فقال عرنوس قداس البركة كان مراده أن يبركنا جميعا ومن الذى أمركم أن تدخلوا جوان مطبخى مع انه كان قصده قتلى وقتل الناس ثم انه ضربهم ضربا بالعصا ولولا منعه السلطان كان قتلهم وجوان طلبه فلم يجده فأمر باحضاره وقال ابراهيم يا سعد أدركنا بجوان فقال سعد سمعا وطاعة وطلع سعد على قارعة عالية تكشف الطرقات فرأى جوان طالع من العرض قاصد الدير فانفرد عليه سعد قبضه

وقال للبرتقش سير معه فقال البرتقش حاضر فلما أوقفه قدامه عرنوس قال له يا ملعون ايش أغراك على قتل الناس وقتلى معهم فقال جوان أنا ما كان مرادى إلا موت المسلمين فقط فأمر عرنوس بضرب جوان الف والبرتقش الف فقال ابراهيم انا أتولى ضرب الاثنين ثم ان ابراهيم بن حسن قدم جوان اعطى له الف وبعد طلب البرتقش فقال البرتقش يا ابو خليل أنا ائ عرفتك معى عقد جوهر بالف دينار خذه [illegible] من هذه العلقة فأخذ المقدم ابراهيم وقال يا ملك عرنوس ان البرتقش [illegible] قدام جوان وضرب الحمام لم ينفع واما علقة البرتقش [illegible] جوان [illegible] بعض ويأخذ كل منهم حقه فقال عرنوس صدقت يا مقدم ابراهيم فاقصر [illegible] جوان اقعد كرباج ثانية فقال له عرنوس اطلع من [illegible] جوان [illegible] الدير وبعدها أمر عرنوس [illegible] الاثنين [illegible] غير ذلك الطبيخ ووضع الطعام [illegible] الاثنين قابضين فى [illegible] عرنوس [illegible] اعلم يا ب ان هذ كبجى [illegible] عسكرى [illegible] وقال له اعطنى ربع [illegible] وهو لم [illegible] الكتاب فعلت [illegible] فقال لى انت اكلت [illegible] [illegible]

زوجى قال البياظ ما يصحش فاخذوا المرأة واعطوها للخمار غصبا عن زوجها فقال السلطان إيش هذا الحكم الفاسد يا بيباظ فقال له البيباظ هذا حكم دين الكرستيان وقد أشر السلطان انه شيحة فقال السلطان حكم عرنوس مع انه لم يعلم الشرع الشرعى وحكمك أنت يا أخى قد جاز عن الحد فقال شيحة هذا حكمهم فى ملتهم فقال معروف يا ولدى يا عرنوس قم على حيلك سلم على عمك شيحة فقام عرنوس وسلم عليه وقال له أنت الذى كلما أحبس معروف تطلقه منى فقال شيحة يا ولدى تخلد يدك فى النار ان كنت تمدها على أبيك [illegible] ذلك قعدوا يتحدثون فطلب عرنوس المدام فقال له أبيه يا ولدى استحى تشرب [illegible] السلطان بل الزم الأدب لأن الخمر فى دين الاسلام حرام فاختلا عرنوس فى الخمر [illegible] ابراهيم ولما طاب لابراهيم الخمر ونظر إلى النصارى وهم واقفين قدام [illegible] فى الجو فوضع يده على شاكريته وضرب الساقى أرمى رقبته وبعد ذلك [illegible] واغتاظ الملك عرنوس وقال يا ابن الحورانى أنا ما أقدر على أذيتك [illegible] أين الشهامة وهذه الشجاعة أيام ما قابلتنى وانت [illegible] أعطيتك [illegible] ومنديل ليغفروك إلى حد بلادك فلما سمع ابراهيم [illegible] البيسانى هيا يا على هات المندل

[illegible] قال ابراهيم يا [illegible] عرنوس لو كان اشانتك ومنديلك [illegible] إلى [illegible] الكفار ولا تشدايت على جسر

[illegible] المنديل شرمط وقال بأهفدم ابراهيم

[illegible] لله شهرة تخفى [illegible] وعدت أجتمع

[illegible] كلامك كلام غيرك فعند ذلك

[illegible] دينار وعطاها إلى ابراهيم

[illegible] رجله

[illegible] وقال يا [illegible]

[illegible] تترك تكلم [illegible]

[illegible]

[illegible] هذه [illegible]

فلما سمع عرنوس قال صدق جوان قال السلطان فى أى شىء صدق جوان قال عرنوس لان جوان يقول ان المسلمين إذا رأوا غليون جميل يقولوا ابنا أو مكان مليح يقوله ملكنا وانت ملك البرواش حكمك فى البحر فنادى السلطان على سعد فقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال له السلطان أوصل إلى جهة البحر ونادى ليأتى بالريس أبو بكر على غراب المنصور فسار سعد يجرى حتى وصل إلى شاطىء البحر وزعق مينة يا بطرنى

[قال الراوى] وان الهوى حمل هذه الكلمة فى أذن أبى بكر البطرنى فقال يا أولاد عيشة قالوا نعم يا سيدى فقال هل سمعتم نداء المقدم سعد وهو يقول مينة وأظن ان مولانا السلطان فى هذا المكان هيا دوروا الغليون وندخل إلى المينة ثم انه أدار وجه الغراب المنصور إلى جهة المينة ودخل إلى جهة القلعة العالية وطلع أبو بكر البطرنى إلى قدام السلطان وقبل له الأرض بين يديه فقال له السلطان يا قطاس الاسلام هذا الغراب لمن قال لسيادتك وأنا ومن يتمنى لك من جملة العبيد رقة تحت قبضة سيفك فقال السلطان سمعت يا عرنوس فقال ملك المسلمين يا عرنوس تفضل عندنا فقام عرنوس ومعروف والملك الظاهر والمقدم إبراهيم وسعد وكبرا الجميع خيولهم فقال لهم السلطان لابد من مسيرنا إلى الغراب لنتفرج عليه وساروا حتى وصلوا ومادام السلطان راكب حتى نزل فى الغليون ورقى على باب المقعد ونزل المقدم عرنوس وباقى الجماعة يتفرجوا وأما المقدم معروف فانه أقبل على البطرنى وقال له أنا فى عرضك يا أمير افرد القماش وسافر فان السلطان فى الغليون ولم له فى البر حاجة وأنا لم أجد فرصة فى أخذ ولدى غير هذه الساعة اعمل معى جميل وسافر فلقف المراسى وافرد القماش وسافر كل هذا وعرنوس يتفرج مع السلطان حتى خلصوا من الفرجة أراد عرنوس أن يطلع إلى البر فرأى الغراب مسافر والبر بعيد فقال يا ملك المسلمين أما تخشى من العار عوض ماتسفرنى من قلب العرضى تداعى بهذه الحيلة خذنى من بحرسرجى الحرب والقتال يبقى لك الفخر على كل حال فامتزج السلطان بالغضب ثم أحضر البطرنى وقال له من الذى أمرك تسافر بنا قال أمرنى المقدم معروف فقال يا أخينا انت خدامى والا خدام معروف عود بالغراب محل ما كنت فعاد بالغراب ثانيا لحد المينة فقال عرنوس اطلع هات عسكرك وتعال قابلنى على حلب وإن كنت ما تجىء جئتك انا وأخذتك بالسيف قهرا واتى ما فى خيولك اركب واحمى مافى طعامك اشرب والتفت إلى معروف وقال له يا اخى ان كان ابنك مسلم يدخل دين الاسلام وان كان كافرا فماله إلا الضرب بالحسام سر معنا إلى مصر حتى يفعل الله ما يريد فعند ذلك ترك ولده وسافر مع السلطان حتى وصل إلى اسكندرية وطلع من البحر وركب إلى مصر انعقد له موكب مثل عادته اذا حضر من السفر وجلس على قلعته اطلق ما فى

الجموس وبطل المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ حقوق الرعية وعدم الاذية وأما عرنوص فانه لما عاد الى العرضى فوجد العساكر فى ضجة وهم هايفين فلما رأوه تباشروا بالافراح وسلموا عليه فسأل عن جوان فأحضروه من الدير فحكى له على ماجرى فقال جوان أنا نصحتك وكان قصدى قتلهم بالسم وأريحك من حربهم فكان التدبير فاسد ونجاهم المسيح وهذا الوقت ما بقى الا الانجاز قال عرنوص ما بقى الا السفر الى حلب حتى أعرف ملك المسلمين مقامه قال جوان وأنا معك فأمر عرنوص بالرحيل بعد ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع رحلت العراضى وانحدرت تلك العساكر كأنها السيل اذا سال والطل اذا مال ومادام العسكر مسافر حتى بان لعرنوص أصوار حلب وموادن حلب فسأل جوان عنها فأخبره ان هذا حلب وان أخذتها تاخذ بعدها وبعد الشام تزحف على غزة العريش وتملك مصر وأقطارها وتسقى خيلك من الروضة والمقياس ودير النحاس فأمر عرنوص بنزول العساكر فنزلت ونصبوا الخيام فلما نظر عماد الدين أبو الجيش باشه حلب الى تلك العساكر حصن أبراج البلد بالمدافع وقفل الابواب ونظر ذلك عرنوص الى ذلك فكتب كتاب وأرسله الى باشة حلب مع نجاب فسار النجاب الى تحت الصور ونادى بالغفرة وقال لهم انا نجاب رحال كتاب من عند البب الديابروا عرنوص فقام أحد الغفراء واستأذن الباشا فأمر باحضاره بين يديه فلما حضر أعطاه الكتاب فقرأه فوجد فيه من عند البب الديابروا عرنوص الى باشة حلب اعلم أننى أنا قاصد حرب ملك المسلمين فان أخذت منه الكتاب كنت انت على ما أنت عليه من قبل وان أسرنى ملك المسلمين أبقى أنا مثلك تحت حكمه فلاى شىء تقفل البلد فالرأى عندى ان تفتح البلد وتخلى الناس تبيع وتشترى على عساكرى بالامان وان أعدم لاحد خيط فى ابره أنا الملزوم فامر باشة حلب بفتح الباب والبيع على العرضى وبعدها كتب للسلطان كتاب وارسله مع نجاب الملك فكان الملك جالس فى الديوان واذا بالنجاب يقبل الارض قال الملك من اين والى اين قال النجاب يامولانا

حلب الشهبة قالت   سائر المدن عبيدى

وانا على تخت عزى   بين سعد وسعيدى

فعلم الملك انه من حلب اخذ ابراهيم الكتاب اعطاه لم يقرأه واذا فيه

ان الذى كتب الكتاب بيده   يقرى السلام على الذى يقراه

وعلى الذى يقرأه الف تحية   ممزوجة بالمسك حين يراه

أما بعد فمن حضره الاخ الاحقر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب عماد

الدين أبو الجيش الى بين أيادى ملك الاسلام وترس قبر النبي عليه السلام اعلمك
لا أعلمك الله بسوء ان يوم تاريخ الكتاب كنا مقيمين واذا بالغبار غبر وعلا وتكدر
وانكشف عن عسكري واى عسكر ضرب طبلها وتقرقمنا الحصار وضربنا بحلل النار
ومنعناهم عن الاضرار واقمنا تحت الحصار وكل محاصر مأخوذ ادركنا بسيفك المذون
وجوادك الميمون فأنا في ريب المنون وأرسلنا جاسوس فاتانا وأعلمنا ان صاحب هذه
الركبة اسمه عرنوس بن البب مغلون ملك ملوك البرتقان وصحبته أربعين غلام أولاد
ملوك البرتقان فكان الحذر يوافق عن ثمانين الف مقاتل وصحبهم جوان والبرتقش أدركنا
والا أرسل لنا من يدركنا الامر امرك الله يطيل لنا عمرك والعمد على الختم فيه حجة
والسلام فلما سمع الملك ذلك الكلام قال يا مقدم معروف اسمع قول القائل

في ذا النهار يا ناقتي اشتدى   فات النهار ولم يبق الا الجد

هذا عرنوس تسافر معنا أو تر تاح هنا لما أجيبه لك أسير قال معروف أروح معك يا ملك
الاسلام هذا عين مرادى فبرز الملك بعرضه الى العادلية أقام ثلاثة ايام حتى تم العرضى
بعدما أجلس السعيد على تخت مصر وأوصاه بحفظ الرعية وعدم الاذية وسافر أمير
المؤمنين أياما حتى وصل الى حلب ورأى عرضى الكفار فجعله ميسرة وجعل الملك عرضيه
ميمنة وبعدما انتصب عرضى السلطان كتب الملك كتاب وأعطاه لابراهيم وقال روح به
لعرنوس هيا رعود لى برد الجواب فاخذ ابراهيم الكتاب وركب حجرته وسار حتى وصل
الى عرضى الكفار وترجل ونزل من على ظهر الحجرة وحط يده على شاكريته وجردها
فطعت ولمعت وصاح طريق يا كلاب الكفر

كلاب الشرك لا تقفوا قبالى   فانى من لقاكم لا أبالى
وادخلوا الى الطريق أسير فيها   أسلم ماحملت من المقال
وان خالفتمونى رأيتم   لفتح الطرق دونكموا قتالى
أنا ابن حسن وابراهيم اسمى   وسروان اصل نسبي باتصال
فاخلوا وترون اليوم ضربا   يقلقل وقعه صم الجبال

ومال على اليمين أرمى نحو عشرة من الكفرة ومثلهم من اليسرة فتجارت السياكرال [illegible] عرنوس
وجوان قاعد فقالوا الطريق يا باب الديابر وطريق يا أبو اجوان فقال عرنوس [illegible]
فاعلموه بقدوم ابراهيم فدخل ابراهيم خالفهم قال قاصد ورسول الزواج [illegible]
القبول بسيف اسد الله الغالب الامام على بن أبى طالب ظاهر العجائب كرم الله وجهه ورضى
عنه لا فرقة لهم نفس الاصنام حتى البيت الحرام لا ابع من هزم وانتسك حرم [illegible] بسيفه

فى الارض كبرت ملائكة السماء سمع الندا من الملا لا سيف إلا ذو الفقار القسطلى ولا أمير
إلا الامام على ياعزيز ياقوى يامذل كل جبار القدرة الامام أخرب خيبر وقاتل من كفر
وابن عم النبى محمد القمر فقال الملك عرنوس هات كتابك وخذ رد جوابك فقال لما
تثور على خيلك وتأخذ كتاب السلطان بأدب وتقرأه بأدب وتعطينى رد الجواب
بأدب وحق الطريق بأدب أطاع أنا الآخر بأدب وإن فعلت قلة أدب وكان السلطان
كاتب المكتوب فى ساعة غضب تلاقى كلمة تعكر مزاجك تمتزج بالغضب يغرك الشيطان
أو عقلك الفاسد تقطع الكتاب والاسم الاعظم ماانقطع قطعة ورقة من الكتاب فى
الأرض وراس جوان تكون قبلها قال جوان يا بب الدبابر واصحى تمزق الكتاب
عيب فى حقك لأن الشطارة فى الميدان لم هى فى الديوان فضحك عرنوس على خرف
جوان وقام على حيله أخذ الكتاب فضه يقرأه بعد طالعه الصلاة والسلام على من
اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الملك العلى الأعلى ولعنة الله على من كذب
وتولى أما بعد فمن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالبند والعلم من كتب
على بيرقه لاظلم إلى بين أيادى الملك عرنوس اعلم ياولدى أن العاقل من اعتبر بغيره
ولا بد ما بلغك مافعلت بملوك الروم والافرنج حتى رتبت عليهم الخراج والعداد فى
كل عام وأنت ياعرنوس لم أنت كافر بل على الحقيقة أنت ابن المقدم معروف بن جمر
سلطان الحصون وصاحب قلعة صهيون فاتراك هذه اللجاجة الذى ما لك بها حاجة
واقبض على جوان وتعال عندى وهو معك اسلم وأحسن إسلامك وهذه العساكر
الذى معك من أسلم منهم سلمناه ومن عاند قتلناه وأنت تبقى عندنا فى أعز مكان
ويظهر عليك نور الايمان فان فعلت ذلك فهو الحظ الأوفر وإن خالفت فمادونى إلا
ضرب الحسام والحرب والصدام والسيف أصدق أنباء من الكتب وحامل الأحرف
كفاية كل خبر والعمد على الختم فيه حجة والسلام على نبى ظللت على راسه الغمام فالتفت
إلى جوان وقال له تقرأ الكتاب قال جوان اكتب بالحرب وأنا أقرأه لأى شيء فأعطى
الكتاب إلى إبراهيم وكتب له رد الجواب قال إبراهيم هات حق الطريق قال عرنوس
لك قدر إيش حق الطريق قال إبراهيم لى على كل ملك من ملوك الروم ألفا قبرصى
فقال عرنوس وأنا قدركم ملك قال إبراهيم أنت قدر عشر ملوك فقال عرنوس اعطوا
ابن الكوراني عشرة آلاف دقاقة قال أنت قدر مائة ملك قال عرنوس مابقاش ينفع
لو كنت أول كنت أعطيتك قدر مائة ملك ولكن كل ملك من أولاد ملوك الزنقان يعطى
ابن الحوراني السدقاقة فقبض إبراهيم خمسين ألف دينار عشرة من عرنوس وأربعين
من الملوك الذى صحبته وعاد سبع الاسلام وهو يرقص حجرته طرب ويتمايل على
ظهرها عجب حتى بقى قدام صيوان السلطان ترجل ونزل واعطى الحجرة لعلى بن

الشباح ثم تقدم إلى السلطان وباس الكتاب الاول وقال يا ملك هذا كتابك والموهذا رد الجواب فأخذ الملك رد الجواب فقرأه وإذا هو بالحرب فمزقه وأرماه وقال شعر

ما يفيق الكوز إلا من تأمله يشكو له الماء قا ا من النار
لو كل ب كا هوى ألقمته حجرا لاصبح الصخر مثقالا بدينار

ثم أمر بدق الطبل حربي فجاوبته طرنبيطات الافرنج وبات الطبل يدق حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس من على رؤوس الروابي والبطاح وسلمت على فبر لنبي زين الملاح اصطفت العساكر قبل بعضها بعض تريد الحرب والطفاح قرعت الطبل من سائر النواح خرج من عرضى الكفرة فارس فى الحديد غاطس وهو بطريق عرفه الكفر تمزيق راكب على حصان عتيق أشقر ومتقلد بسيف أبتر وعلى كتفه رمح أسمر يتخطف الارواح ويقرى الارض ألواح صار وجال فى أربع ا جنبات المجال ومد واستطال ونادى بصوته وقال هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم المزاهز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفى ما فى حومة الميدان ومحل الحرب والطعان إلا البطريق العوعو من جر بوع باطلا به قال الملك قوم يا أمير ايدمر فركب ايدمر وأطبق على ذلك الملعون وحاربه وأكر به وزعق فيه أرعبه وضرب بالحسام فى وسط جبهته شقه إلى حد صرته فوقع قتيل وكبرت الاسلام نزل الثانى ماخلاه والثالث دحاه والرابع أرماه والخامس الحقه برفقاه والسادس والسابع كانوا لما قبلهم توابع والثامن والتاسع والعاشر جعل طان الميدان لهم مقبر والحادى عشر والثانى عشر جعلهم عبرة لمن اعتبر وموعظة للبشر ودام الامر إلى آخر النهار قتل خمسين فارس كرار ورجع على ذلك العيار قبل الأرض قدام السلطان وجلس محله فقال له الملك قبل الله منك اقراءة يا أمير ايدمر فقال تقبل ورضوان يا ملك الاسلام وإذا بالحسين حصان مقاين محملين أمتعة وملبوس وأسلحة والذى أقربهم جماعة نصارى ومعهم كتاب أخذ السلطان الكتاب رأى فيه أن ايدمر البهلوان قتل خمسين فأرسلنا له متاعهم وإذا نزل واحد منكم تبقوا تعطونا سلبة فقال السلطان خذهم يا أمير ايدمر فأمر الامير ايدمر سياسه تسلموا الخيل وما عليها ونظر إبراهيم اليهم فتحسر وقال يا سيدى أنا كره أنزل إلى الميدان وأقتل الف كافر وآخذ اموالهم من المال ولا اعود الا بما يغنى الرجال ثم انه بات تلك الليلة ولما كان عند الصباح تقدم ابراهيم وقبل الارض قدام السلطان فقال السلطان وقد عرف قصده مالك يا ابراهيم فقال ابراهيم يا ملكنا انا قصدى تأذن لى انزل للجهاد فى طاعة رب العباد فقال الملك يا مقدم ابراهيم هذا ما هو مقامك انك تنزل فى هذا الميدان فقال ابراهيم يا ملكنا المقامات فى الجنة فلما سمع السلطان كلامه ورده من مرامه وقال له هيب عليك إذا نزلت إلى اوباش العسكر ونزل المقدم حسن النسر بن عجور فعل فعال ف

الحرب والقتال تعجز عنها صناديد الرجال وعاد فرأى خلفه من الخيل ما تزيد عن ثمانين وكل حصان عليه سلب صاحبه ونظر إبراهيم إلى ذلك فزاد به الجنون ودخل على الملك وقال له أنا سايق عليك الملك الصالح فى قبره لم تحرمنى من كسب الجهاد فقال له فى غداة غد انزل إلى القتال حتى تبلغ الآمال فبات إبراهيم يحلم حتى طلع النهار ولما طلع النهار دخل فى عدته وركب حجرته وقفز إلى الميدان ونظر جوان اليه فعرف المقصود فأرسل له واحد قتله وبعد ساعة أرسل له ثانى فقتله وبعد ساعة أرسل له الثالث فقتله وبعد ثلاث ساعات أرسل له الرابع فقتله وبعد أربع ساعات أرسل له الخامس فقتله ودق طبل الانفصال فصاح إبراهيم ابرزوا يا معشر الكفرة فرد عليه جوان وقال له روح لبكره فعاد إبراهيم وهو فى أشد الكرب الآلام وقعد فى مرتبته وإذا بثلاثة حمير شايلين قربتين معططين والحمير عليهم مشاعل مكسرين وكتاب من عرنوس مضمونه أن إبراهيم ابن حسن نزل فى هذا اليوم قتل اثنين سقايين وثلاثة ضوية فقادم لكم سلبهم يعطره له

قال سعد تقبل الله منك الغزاة يا مقدم إبراهيم فقال الملك هذا طيب يا إبراهيم قال إنه يلعب دقن جوان وباتوا تلك الليلة ودام حرب البراز مدة عشرين يوم بين الكفار والاسلام يقتلوا ويأسروا منهم حتى ضجت الافرنج وشكرا للملك عرنوس وقالوا كل من نزل انعطروا احنا لم جينا للنطار فقال جوان يا ابى هذا شىء يطول شرحه آمر العساكر تحمل حملة واحدة حتى تبلغ الارب فقال عرنوس حتى انزل أنا وأبارز المسلمين وألتقط فرسانهم وبعدها آمر العساكر يحملوا عليهم ثم انه بات تلك الليلة وهو يصلح فى عدته ويجتهد فى نفسه ولما كان عند الصباح ارسل أعلم الملوك أن لا أحد يبرز إلى الميدان فى ذلك اليوم حتى ينزل الديابر وعرنوس يلتقط من المسلمين فرسانهم فامتنعت العساكر عن الخروج وبعدها خرج عرنوس وهو راكب على جواده ذات النور وعلى بدلة من الجوهر تأخذ بالبصر ولما توسط الميدان صال وجال فى أربع جنبات المجال وقال ميدان يا مسلمين ميدان يا مسرجلين ميدان يا ميرانه ميدان يا ملك المسلمين اليوم ولا كل يوم دونكم والقتال ومعاناة حرب الابطال فارس لفارس اثنين لفارس عشرة لفارس مائة لفارس ألف لفارس كلكم على بعضكم لفارس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا من تعرفونه الديابر وعرنوس بن مغلوبن ملك ملوك البرتقال دونكم القتال والطعن والنزال قال السلطان قم يا أمير أيدمر فقام أيدمر الهلوان وبرز إلى الميدان وقال له جيتك يا علق يا بتاع البشت انت تقول على فرقع ابتاع اللوز دونك والقتال انطبقوا الاثنين على بعض دوت أصواتهم مثل الرعد وسعوا المجال طولا وعرض وما كان إلا قدر نصف ساعة حتى أن عرنوس أتعب أيدمر البهلوان وأكربه ومال عليه بالطعن حتى ألهبه وأوعده بالطاش فوقانى فستر على رأسه حايت المنطقة فطبق يده فى منطقته وصرخ

فيه تمتمه وزفمت على زنده وأرماه إلى الأرض وقال له أنا ما قلت لك أنك فرقع لوزوه مرخ على البطارقة شدوه كتاف يا سادة وسبب ذلك تبقى العداوة دائما بين أيدمر البهلوان وعرنوس فصرخ عرنوس غيره قال السلطان ينزل غيره قال علاء الدين غيره يا ناس قال السلطان وأنت قاعد تعمل إيه قال علاء الدين يا ملك أنا ضعيف قال الملك قم على حيلك قال حاضر يا بعض شاه مات يا جمباص الحصان طبق ركب وساق الحصان لقدام عرنوس مد يده الملك عرنوس أخذه من فوق الحصان سلمه للخدامين كتفوه وبعده الامير بشتك وبعده الأمير سنقر والجاولي خمس أمارة في يوم واحد أسرهم الملك عرنوس وفي ثاني الأيام كان الحرب على بني إسماعيل نزل المقدم حسن النسر بن مجبور وتقاتل مع عرنوس ساعة فعرفه أنه بطل شجاع وقرم مناع فاستلب من تحت فخذه حربة ماضية أمضى من القدر وزرقه بها حكمت في صدره والتقاها الفداوي في الدرقة وهي جلد حيتان فخرقتها وساقت في صدره قدر متر فتمتع الفداوي فقال له عرنوس عود داوي جرحك وابقى تعال حارب فعاد حسن النسر خاطره مكسور ونظر معروف إلى فعال ولده ففرح فرحا شديدا وبعده نزل سنقر اللوالي وسنقر الحجار جرحهم وأسرهم عرنوس وكذلك المقدم سيف السباعي وخالد البزاغي وفرغ النهار ودق طبل الانفصال فاغتاظ السلطان وأحضر إبراهيم وقال له أنت راحات الحرب انزل بكرة هات عرنوس فقال المقدم إبراهيم سمعا وطاعة فسمع المقدم معروف بذلك فخاف على ولده من إبراهيم فادعى به إلى عنده وقال له يا ابن أختي أنت كسرت ومديت وولدي لساع ما كسر ولا مد وأخاف أنك تفترس بعرنوس ابني في الميدان وتكسر نفسه قدام المسلمين والنصارى يبقى عيب عليك وهو ابن خالك على كل حال فقال إبراهيم يا خوندا الحرب لم يكن فيه رحمة كما قيل فيه

جونا بحرب وقالوا اليوم نكرمكم ... لقربكم كي نحاربكم برحمة
لما سمعت كلام الزور قلت لهم ... أنتم كذبتم فما في الحرب مكرمة

والله يا خال ان الميدان ما ينفع فيه إلا الضرب بالسيف اليماني وأما إيش ولد مثل هذا نصراني يعادي السلطان ونحن بين يدي الملك ولنا جماكي وديوان أقول للملك ما أقدر أجيبه اليك وعجزت عنه في الميدان حتما إذا هو قدر علي وقهرني يبقى عذري مقبول فقال معروف صدقت وأخرج له من عبه جوهرتين يتام وقال يا أبو خليل خذ دول هدية

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... تهدي اليه جرادا كان فيها
قالت له يا نبي الله اقبلها ... ان الهدية على مقدار هاديها
لو كان يهدى إلى الانسان قيمة ... لكان تهدي لك الدنيا بما فيها

يا ابن أختي افعل بأصلك مع ولدي في الحرب فاني ان رأيته أسير قلبي يذوب فقال

إبراهيم ياخوند ابنك من يقدر على أسره ابنك فارس لايطاق وفى الحرب علقم لايذاق ثم
ان إبراهيم برز إلى عرنوس وصار يحاربه طول النهار ويكشف عن صدره وعن
محلات فى جثته لاجل أن يطعنه ومن فهم عرنوس وذكاوة عقله يظن أن هذا جدال
وخداع ولا يرضى يطعنه لما يعلم منه أنه فارس جبار ولما علم منه إبراهيم هذا فخاف أن يرجع
من قدامه بلا فائدة ورفع يده بالخنجر وضرب عرنوس على الخودة وزحلق يده عمدا فنزل
ذلك الخنجر بذبابه على فخذ إبراهيم فصاح آه جرحتنى يا ملك عرنوس قال عرنوس
كذاب انت الذى جرحت نفسك فعاد إبراهيم مجروح فامتزج السلطان بالغضب
وقال لغلمان حضر الحصان وأراد الملك أن يركب وإذا بباب الديوان قد استدوا المقدم جمال
الدين مقبل فالتقاه الملك وأحكى له على عرنوس فقال وأبوه لم ينزل يأسره فقال الملك أبوه
أظن مايزاش له فالتفت شيحة إلى معروف وقال له ما أنت من جملة المجاهدين قال له نعم
فقال له قدم انزل الميدان مثل غيرك يا اما يأسرك أو يجرحك أو تنصر عليه فقال معروف
ياحاج شيحة هذا ولد جاهل وجبار وأخاف أن يأسرنى فقال شيحة أنت تخاف من جرح
ياخوند أما أنت مثل غيرها فعندها ركب معروف حجرته وخرج فقام شيحة يامقدم
معروف والاسم الاعظم إن جاء وقت الظهر ولم تأتينى به أسير لم أبيته هذه الليلة إلا جلده
مسلوخ ومحشى شش وأحرمك منه وأريح الناس من قتاله فامتزج معروف بالغضب
وقال ياحاج شيحة ولما ماقدرتش عليه فكيف العمل فقال شيحة وبطلت الاسباب
والحيل فسار معروف لما بقى قدام عرنوس وقال له سلامات ياولدى فقال عرنوس انت
يا بياجور تعرف تحارب فقال معروف أنا جيت أعلمك الحرب افعل كذا وافعل كذا
لما ركبت الشمس فى قبة الملك تذكر معروف اليمين الذى حلفه شيحة فصاح فى وجه ولده
أرعبه ومد له زند ملآن تقوى وإيمان وقبض على منطقة عرنوس وهزه أقلعه من سرجه
وصرح على سعد ما أقبل فقال له خذ حصانه وسار معروف لقدام السلطان بولده وقال
ياملك الاسلام هذا ولدى أشفق عليه ثان الذى تفعله معه من الجميل كأنك تفعله معى
أنا فقال له السلطان أن أسلم قبلناه وإن كان كافرا قتلناه اعلم يا معروف ان دين
الاسلام حلو ولا يمتنع عنه الا الجاحد المطرود من رحمة الله اقعد والله يفعل مايشاء
هذا جرى وأما جوان لما راى عرنوس أسر أراد أن يأمر العساكر بالحملة فقالوا له
اولاد ملوك الرتقان كيف تحمل وملكنا مأسور مع المسلمين لما نشوف يجرى له ايش
وصبروا وأما إبراهيم فانه تسلم عرنوس ووضعه فى محل الاهانة قدام السلطان
فتسبلت عيناه وغشى عليه ساعة فقال إبراهيم يا مقدم معروف دلك البشارة ان
ولدك يسلم فى هذه الساعة فقال معروف كما طلبته فقال ياخوند أريد بعدهم طويل

إذا سبقتني إلى الجنة تعطيني ذات الحيات قال معروف وعشرة آلاف دينار فقال الملك ومن عشرة آلاف دينار وكل من كان حاضر التزم بانعام للمقدم إبراهيم قال إبراهيم الذى قال على شيء يحضره وتقدم ووضع يده على جبهة الملك عرنوس فافاق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال معروف إيش علمك الاسلام يا ولدى فقال أنا رأيت شجاع بيده سيف يزيد عن باع وذراع وقال اعلم يا هذا أن أباك معروف من أولادنا وانت ولده فاسلم فقلت له وانت من يازين الاطايب فقال أنا على بن أبي طالب فاسلمت على يديه وهو سبب اسلامى فقال له الملك تمنى فقال لا يمكنى أتمنى حتى أسير إلى العرضى الذى معى وأقبض على جوان وأعلمه انى أسلمت وبعد ذلك لا بد لى أن اعرض على الذين معى جميعا الاسلام فان اسلموا فقد اهتدوا وإن خالفوا وضعت السيف فيهم وتلحقنى انت بعساكر الاسلام فقال له السلطان افعل ما تريد عندها خرج عرنوس على ظهر جواده فالتقاه جوان فقال له البرتقش يا جوان أجيب لك الحارة اعلم ان عرنوس اسلم وهاهو قادم ونور الاسلام على جبينه يتلألأ كتلألىء الشمس فى قبة السما فما أتم كلامه إلا وعرنوس قدامه فقال له جوان ياسيدى نهار مبارك الذى وجهت لأصلك فقال عرنوس يا جوان ادخل عند السلطان فقال جوان أنا فى عرضك تعتقنى من العلقة فقال أعتقك لكن اصدقنى ان قلت الصحيح اطلقك وأما ان خالفت انت وشأنك فقال جوان ياسيدى فقال عرنوس انا ابن مين قل جوان ابن معروف فقال والكلام الذى كنت تقوله قال جوان كله كذب منى وأما معروف فهو أبوك وأمك مريم الزنارية بنت الربن حنا صاحب جنوى وحكى جوان لعرنوس على أخذ مريم القدس وإسلامها وجوازها وسرقتها وسفر معروف وكل ما جرى إلى هذا الحد فتعجب عرنوس من هذه العبارة وقال له روح لحال سبيلك ومشى حتى دخل العرضى فوجد الاربعين ملك واقفين له فى الانتظار فلما أقبل نظر اليهم فقالوا له لا تسألنا عن شيء فان المنام الذى رأيته أنت نحن رأيناه فان كنت اسلمت اليوم نحن أسلمنا قبلك بخمسة أشهر فقام النداء فى العرضى بالاسلام فاسلموا عن كرة أبيهم وعاد عرنوس إلى السلطان فقال السلطان تمنى يا ملك عرنوس فقال عرنوس أتمنى أن يكون لى كلمة لا ترد ومجلس لا يعلوه غيرى أحد ويد لجمع الطالب تمتد ولم يكن فرقها د. . يف طارق ورفعة إلى فوق ولم يحكمنى مخارق فقال السلطان إيش معنى ما تقول فقال كلمة إذا سألت مولانا فى شفاعة فلا يرد كلمتى ويد تمتد إذا حضر لى لا كتاب وكنت حاضرا قرأته فلا يفتاظ مولانا السلطان ومجلس لا يعلوه غير كرسى فى الديوان مخصوص فان شئت طالع فداوى

أو أميرا لا مانع وسيف مطلوق إذا مسكت مستحق القتل اقتله وإذا أخذت يد بالسيف وفحتها وأعجبتني أسكنها فقال الملك دستور مكرم كلما قلته لك فتقدم شيحة اليه وأخذ في محل وطهره وقال له هذه طهارة الاسلام فلما نظر ذلك قال وأولاد الملوك الذين معي فقام شيحة وأخذ ولده السابق وأمر عرنوس بحضورهم فلما حضروا طهرهم شيحة وطالع شيحة والسابق واجتهدوا في المرضى مابنوف عن شهر كامل طهروهم جميعا ودخل الملك حلب أقام فيها ثلاثة أشهر وهو يأمر لكل ملك من الملوك الذين تابعين لعرنوس أن يلعبوا قدام الامراء في الميدان حتى عرف مافيهم وقال ماشاء الله هؤلاء يكونوا مجاهدين في سبيل الله رب العالمين ثم انه أمرهم بالرحيل مع عساكرهم صحبة الملك عرنوس وأبوه المقدم معروف فقال المقدم معروف يا دولتلي احنا كلنا أتباعك لكن اعطيني أجازة قبل توجهي في خدمة ركابك آخذ ولدي وأسير به إلى جنوى أفرجه على والدته التي لها ثمانية عشر سنة لم نظرته وقاعدة بحسرة قال صدقت فعند ذلك ركب الملك الظاهر بالمرضى وتبعه أولاد ملوك البرتقان وسافروا صحبة السلطان أمر لهم السلطان أن ينزلوا في قلعة الكبش بعساكرهم وأخلى الملك عرنوس بيت ابن اباديس السبكي وانتهى حالهم وأما المقدم معروف فانه ركب على حجرته الحمامة القطشة وركب الملك عرنوس حجرته وساروا من حلب وصحبتهم الخدم وآلة ما يحتاجون للسفر حتى دخلوا مدينة جنوى فبلغ الخبر إلى الرين حنا بقدوم الملك معروف فركب إلى ملتقاه ولما وقعت عينه عليه ترجل من على الحصان إجلالا لقدره ونظر إلى الملك عرنوس وإلى حسن صورته فتعجب من رؤيته وضرب المدافع وزينت جنوى لقدوم معروف ابن جمر والملك عرنوس ولم يقدر على الجلوس بل قال يا حنا أين زوجتي الملكة مريم فقال له والله ياسيدي إن زوجتك لم طلعت من قاعة الاحزان طول هذه المدة فسار معروف وابنه في صحبته إلى قاعة الحسرات وصاح معروف فين انت يامريم فقالت من أنت قال أنا معروف وهذا ولدي الملك عرنوس فقالت له ياسيدي يامقدم معروف أنا قلبي ذاب من فراق الاحباب وعميت من البكا والانتحاب وأظن انك اتيتني بولد من أولاد الناس وتقول انه ولدي مع ان لي فيه علامة وهي في وسط خدوده كل حد شامة وأنا ما دا ناظرة اليه حتى أحقق البرهان ثم انها قامت تجري فرحانة باللقاء فكان باب القاعة موارب وهي مقبلة فخبطت الباب فبالقضاء والقدر لا يحكم الخبط إلا في عرق الغشاوة فسالت الدماء فتفتحت عيناها ونظرت إلى ولدها الملك عرنوس وهو متكامل بالجمال على رأي من قال

وتركى تباهى بالجمال وضوء جبينه فاق الهلاله
سبانا بالمحاسن والدلال بفم كخاتم وثنا لآلى
وخال أخضر فى خد احمر سطا على العاشقين برمح قد
وأبذل بالهوى هزل وجد يمارى بالتجا فى كل حد
له خال على تفاح خد كنقطة عنبر فى صحن مرمر
الا يا ليته يحفظ ودادى وينصفنى على كيد الاعادى
غزالا صادنى وأسر فؤادى باللحاظ كاسياف تنادى
على عاصى الهوى الله اكبر .

[يا سادة] فلما نظرت الملكة مريم الزنارية إلى الملك عرنوس ولدها ضمته إلى صدرها وباست خدوده وفرحت بالملتقى وزال عنها لم البؤس والفرق وخرجت من قاعة الاحزان إلى قاعة مملكتها وجلست واحتاطوا بها خدمها الذين لها وانفرشت الفراشات وانوضعت الطعامات والشرابات وما أمسى المسا حتى انجلت الملكة مريم وانبلت فى خلع البها والجمال وانقلبت من حال إلى حال واحضرت إلى ولدها الملك عرنوس خمسة جوار نهد ابكار وأدخلته فى مقصورة معهم ودخلت هى وزوجها وتذكروا ما كان لهم ايام الصفا والوفا وظهروا من بعد الاختفا وباتوا أحسن مبيت ولما كان عند الصباح طلب المقدم معروف من الزين حنا مايليق لزوجته من الملبوسات والمصوغات والحلى الفاخر واللؤلؤ والجواهر والفرش والاوانى وأموال زائدة فاحضر الزين حنا كل ماطلبه المقدم معروف فى الحال ونزلت الملكة مريم فى التخت واحتاطت بها الخدم وسار بها المقدم معروف بعد ما قدم له الزين حنا هدايات من أفخر الجواهر ومايليق له من الخيول فلم يقبل معروف شيء من هذا وودعه وسار إلى حصن صهيول فوجد بنو إسماعيل مقيمين فى انتظاره فلما أقبل سلموا عليه وقالوا له الحمد لله ياخوند على سلامتك فقال معروف يا بنو إسماعيل الذى طابع شيحة يسلم على والذى يكون ماطاع شيحة لايدخل حصن صهيول ولا يعرفنى أبدا فانقطع عزم الرجال عما كانوا عازمين عليه ودخلت الملكة مريم حصن صهيول وبات معروف وعرنوس ليلته وثانى الايام عمل فرح ومهرجان لهجت فيه الرجال فرحا وطربا باجتماع شمله بولده وخلاصه مما كان فيه وبعد عشرة أيام أخذ ولده وتوجه إلى مصر لخدمة أمير المؤمنين الملك الظاهر والاقامة عنده ولما وصل إلى مصر أمره الملك بالنزول فى بيت ابن ابادرس السبكى وأرسل له فيه الهدايات الغاليات ولما كان ثانى الايام طلع الملك عرنوس الديوان فأمر الملك بقفطان وأخلعه على

عرنوس وقال له أنت ملك من تحت ملك وأولاد الملوك الذين معك كل واحد منهم يستحق سلطان أمير مائة مقدم على جيش ألف من تحت يدك وأنت الملك عليهم وأقام عرنوس يطلع الديوان مع أبوه وأما أيدمر البهلوان كلما رأى عرنوس يتغاظ منه ولم يقدر أن يراه فكتب استدعى العلماء يقول ما قولكم ياسادتنا العلماء فى رجل أسلم بعد الكفر ولم يقلع ثياب النصارى فقالوا العلماء يقلعهم قهرا وإلا إن ارتد ثانيا يحرق وثانى الأيام اجتمعت العلماء قدم الافتا بين أيديهم فحكموا على عرنوس بقلع بدلته لكون أنها طقم أهل الكفر فانغاظ السلطان من أيدمر البهلوان وعلم أنها عداوة من زمان فأحضر إلى عرنوش بدلة من افخر ملبوسه وأخذ بخاطره وقضى نهاره مع السلطان ولما كان تلك الليلة بات عرنوس وهو يشكى من الأسقام وأبوه واقف معه على حيله حتى النهار فلم يطلع الديوان فسأل الملك عن معروف وولده وأرسل يستخبر عن عدم حضورهم الديوان فعاد الرسول وأعلمه بما جرى على عرنوس فبينما هو كذلك وإذا بالمقدم قطب الدين أقبل فأعلم السلطان فنزل صحبته إلى بيت ان اباديس السبكى ودخل على عرنوس ونرظه شيحة وقال له لأى شيء قلعت بدلتك فأخبره بالفتنة التى حصلت من أيدمر البهلوان فقال شيحة لاتلبس الاهيارغما عن انفه هات البدلة والشربوش فأحضرهم فلعب فوق لوالب هلال الشربوش فدار انقلب تاج كسرى لبس ملوك العجم ولعب فيه ثانيا فصار تاج مثل تاجات ملوك الاسلام ثم لعب فيه فانقلب شربوش وكذلك الشايات بالمثل ونظر الملك عرنوس إلى ذلك ففرح وقلع ملابس الملك الظاهر ولبس بدلة على هيئة ملوك الاسلام وانزاح عنه الأسقام وقد ودعوا شيحة والسلطان أخذه وركبه معه للديوان ونظر ايدمر البهلوان فانكمد وقام عرنوس وهو يطلع الديوان أيام فداوى وأيام أمير مدة أيام وليالى إلى يوم تكامل الديوان بالملك ودولته فطلع نجاب يقبل الأرض مقبل من ناحية حلب وقدم كتاب من باشة حلب يذكر فيه ان يوم تاريخ الكتاب وردعلينا ملكين احدهم يقال له سطرون والثانى ترس النصرانية ولهم عسكر مقدار عشرين الف فارس يعبدون الصليب دون الملك القريب المجيب وان هذين الملكين ارسلهم ملاوين ملك ملوك البرتقان أراد الملك أن يركب فقام عرنوس قبل يد السلطان قال الملك ماتريد يا ملك عرنوس فقال يا ملك الاسلام أوعدتنى وعد جميل والعين منتظرة اليك انجز بوعدك سيدى الراية البيضاء عليك وأنا ياملك الاسلام طالب منك ومن فضلك انى أسير إلى هذين الملعونين وهم سطرون وترس النصرانية وأمحقهم بالكلية وأجعلهم عبرة لكل البرية فقال الملك ياعرنوس بانى أنا راكب سائر وابنا فقال ياملكنا أنا انوب عنك هذه النوبة فقال معروف اعطى وليدى طلبه وأنا اروح معه وإذا كنت أنا معه بنفسك

يادولتى فلا يحصل إلا كل خير فالمولى ينصر الاسلام على أى حال كان فعندها خلع الملك على عرنوس وقال له أنت صارى عسكر الركبة على أولاد ملوك الجزائر ونزل الملك عرنوس أهبته وتوجه أبوه صحبته وما زال سائر يقطع البرارى والقفار حتى أشرف على حلب وقد وجد عرضى الكفرة فجعله ميسرة ونصب عرضته فى الميمنة وكتب كتاب إلى ملوك النصارى سطرون وأخيه سيف النصرانية واراد أنه يرسله مع اولاد ملوك البرتقان فقال معروف أنا آخذ كتابك وأكون نجابك وأخذ الكتاب وتوجه إلى عرضى الافرنج فنظره جوان وكان جالس مع الملوك فقال يابيات هذا الذى أغرى الديابرو عرنوس على إسلامه وإسلام أولاد الملوك معه فان قتلتموه يخاف الديابرو وأولاد ملوك البرتقان يعودوا إلى دين النصارى فصاحوا الملكين على معروف ومى فقال معروف إلى اليوم يا كلاب الروم الله اكبر ثم انه انشد يقول

إذا دارت بنا جمع الأعادى	وقد جذبوا المهندة الحدادى
واموا مسرعين وأنا فريدا	وحيدا فى فعال الخير بادى
ومنهم بان لى كل التعادى	فان الله يلطف بالعبادى
تعالوا ياكلاب الكفر نحوى	لكى ما تنظروا فعل الأيادى
أنا معروف جرأنى حقيقا	صبور فى اللقا عند الجهادى
سأحق جمعكم وأصول فيكم	بقلب قد من صخر الجمادى
لحرب الكافرين على فرضاً	فان الكافرين لنا أعادى
وصلى ذو الجلال على محمد	نبينا الهاشمى زين العبادى

وجرد شاكريته ذات الحياة فى يمينه وترسه فى شماله ومال على الافرنج كل الميل ونزل عليهم نزول السيل وكالهم كيل رأى كيل وساقهم من الصيوان وأخرجهم إلى بر الخلا والوديان وضرب فيهم بحد اليمان حتى بقوا القتلى حواليه كيمان ونظر عرنوس إلى ماجرى على أبيه فركب وصاح على أولاد ملوك البرتقان والتقى الجمعان وانطبقت اهل الايمان على عباد الصلبان وغنى السيف الهندوان على نواعم الأبدان ودام الأمر على ذلك الحال حتى أذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال لكن كانت ليلة مقمرة فلم يدقوا طبول الانفصال بل انفاظ الملعون جوان وخلع القلنسوة وقال قاتلوا يانصارى واحموا ملككم فى هذه الغارة واطلبوا النصر من مارى حنا المعمدان والبطرق زرارة فقاتلوا الملاعين وأرموا ارواحهم إلى الهلاك والعذاب المهين ن تلك الليلة قاتلت أولاد ملوك البرتقان وطعنوا بكل سنان وكم ضربوا بكل سيف هندوان وقطعوا الجماجم ن على ميا كل الأبدان وكلا منهم هاج فى الكفرة كانه السبع الغضبان أو النمر

الخردان وجعلوا القتلى حولهم كيمان ودام الأمر كذلك حتى انتصف الليل وقد كلت الخيل وذاقوا الكفرة الحرب والويل ولولا ضرب النبال من الكفار الاقتدال لما كانوا خطروا المسلمين على بال فانصاب ذات النور حصان الملك عرنوس بنبلة حكمت فى فخذه فشال بركابه وطلب البرارى والكثبان والملك عرنوس يحوشه فما ينحاش حتى خرج من براة الصفوف ونظره المقدم معروف فتبعه حتى لحقه وقال له ياولدى حرام على المؤمنين إذا ولوا الأدبار من حرب الكفار فقال معروف والله يابنى أنا ما أولى من الميدان وتطرد حصانك فقال عرنوس حاشاه أن أولى الأدبار وانما جوادى أصابه سهم فثار فى البرارى والقفار وهذا الذى أخرجنى من قدام حرب الكفار فعند ذلك وقف المقدم فى عروض الحصان وقبض على رقبته حتى انه أوقفه ونظر السهم الذى أصابه فقال ياولدى حصانك معذور ونزل المقدم معروف ونشف دم الحصان ودهن الجراح بدهن استقطاب ومرام حتى قطبت جراحاته وقال له اركب بنا ياولدى حتى نلحق عساكرنا التى قدام أعداها فركب عرنوس ومعروف على ظهر الخيل وكان آخر النهار فمادوا طالبين مدينة حلب ليساعدوا عسكر الاسلام فبينماهم سائرين وإذاهم نظروا إلى رجل شيخ واقف وعلى كتفه ابريق مليان بالماء فقال عرنوس أنا عطشان فلما سمع المقدم معروف من ولده ذلك تقدم إلى الشيخ وأخذ منه الابريق وشرب منه عرنوص ومعروف فتبنجوا الاثنين فى ذلك المكان وكان ذلك الشيخ الملعون جوان وصاح بعدها فأتى اليه البرتقش الخوان ولما أتى له البرتقش فشدوا معروف على حجرته وشدوا عرنوس على جواده وسار بهم ليلا

ولما طلع النهار دخل بهم إلى مغار فى الطريق وفيقوهم وأطعموهم وسقوهم وسافروا بهم وهكذا أيام حتى دخلوا بهم إلى ملك الأفلاق فلما نظرهم الانجرت قال لجوان ياابونا إيش مرامك ان تفعل فيهم فقال جوان تنظرهم وتكسب ثواب قتلهم فى دين المسيح والبترك زراره لأجل ان يرتاحوا منهم النصارة الانجيرت فقال لهم وإيش مرامكم منا يا ملاعين فقال جوان غير القتل لم يصبكم شىء من الدنيا فقال معروف يا ملاعين إذا كان سجن القيطلان سبعة عشرة سنة ونصف لم قتلت فيه تقتلوني انتم وولدى معى فقال البرتقش للانجرت يا اب لا تغتر بجوان وكلامه واعلم ان دولة اركان المسلمين وان قتلتهم تخرب بلدك والرأى انك تسجنهم فان خفى خبرهم موتهم يبقى قريب وان جاءهم احد من المسلمين يطلبهم فادى بلدك بهم فقال هذا صواب ثم انه وضعهم فى السجن يقع لهم كلام واما اولاد ملوك البرلقان وعساكرهم فانهم قاتلوا فى عساكر سطرون وترس النصرانية إلى آخر النهار وعند المساء افترقوا عن القتال وانتظروا

وأبوه صحبته وكلما جن الليل يتعديسلي نفسه ويغني بالروم وتارة بالعرب لكن لسانه سالك في القوة الرومية أكثر من العربية فما يشعر إلا وجوان داخل عليه وقال له أبشرك أنا جبت لك واحد مسلم يقعد معك يسليك اسمه قار اصلان المغربي من برصة وقدمه له وقال لهم آنسوا بعضكم وكان البرتقش لما دخل على جوان أخذه ودخل به على الانجبرت ياابو ناني هذه الأيام قرب عيد الصليب نبقيهم في السجن إلى يوم عيد الصليب ان دري بهم رين المسلمين وجاء يحاربنا على شانهم ورأينا الغلبة فديت للادى بهم وإن جاء أيام عيد الصليب ولم يعلم ملك المسلمين قتلتهم فقال البرتقش كذا طيب ياجوان فقام جوان دخل قار أصلان السجن كما ذكرنا وقام طول يومه إلى الليل فقام تيمم بالتراب وصلى فرضه يتلو القرآن بصوت كصوت الكروان فحصل للملك عرنوس حاسة بالقرآن وقال يا أخي إيش هذا فقال له هذا كلام الله القديم فقال علمني يا أخي يحصل لك ثواب فصار الملك قار اصلان يعلم عرنوس القرآن فما سمع سورة إلا حفظها مدة أيام حتى حفظ عرنوس تلك الختمة إلى يوم مر جوان على السجن فرأى قار أصلان يقرىء عرنوس فخرج عقله وتمطى في دقنه مزقها وقال يبق جوان ما جاء بكم إلا في مصلحة نفوسكم ثم انه أخرج الملك قارأصلان إلى محل بعيد عنه وافرق بينهم فأما قارأصلان لما رأى نفسه بعد عن عرنوس فاجتهد في العبادة وحده بنفسه وأما الملك عرنوس فأعد ليلة يدندن وكان له صوت حسن يشجي كل من يسمعه وكان للبب الانجبرت بنت جميلة الصورة يقال لها الملكة تحفة الروم فكانت يوم من الأيام فائتة تتنقل في وسيع السراية فمرت على السجن فسمعت صوت الملك عرنوس فوقفت واضطربت وامرت السجان أن يفتح باب السجن حتى ترى ذلك الذي يغني ففتح لها السجان ونظرت إلى عرنوس وهو على رأى من قال

ما أحسن محبوبي وما أجمله   ما أرشق قده وما أعدله
لا يسمح بالوصال إلا غلطا   في النادر والنادر لا حكم له

فلما نظرته نظرة أعقبتها النظرة ألف حسرة فقامت من عنده وقلبها مشغول بمحبته فلما طلعت إلى محلها اشتغل الحب بها فصبرت إلى الليل ونزلت إلى السجن ومعها جواريها وأخذت عرنوس من قلب السجن وطلعته معها إلى مكانها وأجلسته إلى أحسن الفراش ووقفت في خدمته وقالت له ياغندار انت اسمك إيه فقال لها لأي شيء تسأليني عن اسمي وابوكي هو الذي يعلم وأنا الملك عرنوس واخبرها بقصته فقالت له وما قولك أن تكون عندي دائما ولا تفارقني أبدا فقال لها ‌أبوكي إذا رآني خرجت من السجن وماذا يفعل إذا كنت عندك ثم انها قامت واحضرت الطعام قدام

الملك عرنوس فأكل معها من خاص المربات وبعده أحضرت صحبة المدام فتناولت الملكة بعد ما شربت على وجهه ولما دارت الخمرة فى رأسها وتأملت فى وجه الملك عرنوس وإذا به فى غاية الجمال الفتان على رأى من قال

يا لحظ هذا الريم وقد الرشيق	أما كفاكم هاتف من قيس رشاق
جردتموا الهندى وصحتم طريق	وها أنا واقف وناصب طراق
يشهد لكم دمى بروض الشقيق	كفوا لهيب وجدى وقلوا الشقاق
إن تنتهوا يغفر لكم عن يقين	فاصغوا لقول الله ان تنتهون
قالوا سمعنا فى الكتاب المبين	دعهم فى خوضهم يلعبون
ذلوا لمن تهوونه يا رجال	وإن بدا صده فصبر جميل
ما حيلة العاشق سوى ذى الجلال	فحسبه المولى ونعم الوكيل
وارضوا بما يرضى مليك الجمال	لا ترشدوا الأعدا طريق السبيل
وإن بدا يحضر بيته الدلال	كفوا مدامعكم واحلوا العيون
واحلوا درصبركم وصيغ الكمال	تحظوا بما كنتم به توعدون

ولما رأت الملكة تحفة الروم إلى الملك عرنوس وهو بذلك الجمال فمالت بكليتها عليه وأرادت أن تقبله بين عينيه فلم يمكنها الملك عرنوس من ذلك وغالطها وأخذ القبلة بكفه من فمها فزادغمها وقالت له لأى شىء لم تخليني أبوسك فقال لها فمك ينجس خدى لأنك على غير دين الاسلام قالت له إن كنت ماتحبش إلا المسلمين علمنى وأنا أسلم فعلمها طريق الشهادتين فاسلمت على يده وأعطاها خنجرا بقبضة من جوهر كان فى حزامه مقدم صداقها وزال بكارتها فحملت منه بغلام له فى ظهوره حديث عجيب إذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يصلى عليه اسمع ماجرى من أمر الملك مسعود بك فانه لما طلع النهار وافتقدوا على الملك قار أصلان فلم يجدوه الخدام ورأوا فى محله كتابة التذكرة التى وضعها البرتقش فاخذوها الخدام ومضوا إلى الملك مسعود بك ووضعوها بين يديه وأعلموه بفقد قار أصلان المغربى ولما علم بذلك كتب كتاب إلى أمير المؤمنين ووضع التذكرة فى قلب الكتاب وأرسل به نجاب فسار النجاب حتى وصل إلى حلب ودخل على الملك الظاهر وقدم الكتاب فاخذه الملك وسلمه لافندى الديوان قرأه وسمع الملك الظاهر بان معروف وعرنوس وقار أصلان المغربى الثلاثة بقواعند الانكبيرت مسجونين فارسل للعساكر بالرحيل على ملك الافلاق فسافر الوحى هذا ماجرى أما ما كان من الانكبيرت ملك الافلاق فان الأيام طالت وأقبلت أيام عيدهم كما أوعدوا جوان بقتل معروف وعرنوس وقار أصلان فدخل جوان على الانكبيرت وقال له قدم هات المسلمين الثلاثة الذين عندك أقتلهم هذا وقت العيد فان دم المسلمين فى العيد فيه

ثواب فعندها أحضرهم إلى بين يديه وأمر بقتلهم فعند ذلك قال معروف اصبروا يا كفار لما أطلب الفرج ورفع قامته الى السماء وقال الهى سيدى ومولاى أنت سامع دعائى

الله لنا عونا وحجا وعيانا اذا ضاق الحرجا
يا خالقنـــا يا رازقنا يا من لجميع الخلق رجا
قد قلت ادعونى فدعونا ك بكل فؤاد ملتهجا
وقلوب تشهد أنك حق بصدق مثبوت الحدجا
يا رب أجرنا من ضيق وافتح لنا ربى فرجا

فما تم دعواه المقدم معروف بن جمر الا وقد ظهرت حول مدينة الافلاق بيارق اسلامية وعساكر محمدية وهم مقبلين على عجل ولهم ضجيج وقد زعزعوا السهل والجبل ودخلوا البطارقة على الانكبيرت وأعلموه بذلك الجيش المقبل فتخبل فى نفسه وقال لجوان ياابونا ايش الخبر فقال جوان لا تخاف النهاية ملك المسلمين قادم عليك يطلب منك هؤلاء الثلاثة الذين عندك وان طاوعتنى أقتلهم وأرتاح من نزاعهم فقال البرتقش ان قتلتهم ترتاح من رأسك ومالك وعيالك وملك الافلاق فقال الانكبيرت صدقت يا برتقش ثم انه أمر بنزول الملك عرنوس فى قلب السجن وكذلك معروف وقار أصلان فنزلوا فى السجن وأرسل الانجبيرت من يكشف الخبر فغاب المرسال وعاد وقال ان ملك المسلمين قد أتى فى عساكر لا تحصى بعدد الرمل والحصى فالتفت الانجبيرت الى جوان وقال له هذا منك لانى لا كنت أعرف معروف ولا أعرف عرنوس ولا قار أصلان وانت الذى جلبت لى هذه المحنة فقال جوان لا تخاف وأنا أسأل المسيح أن ينصرك على المسلمين هذا ماجرى هاهنا وأما ملك المسلمين فانه كتب كتاب وسلمه لابراهيم أتى به الى ملك الافلاق بالتهديد والوعد والوعيد فأتى ابراهيم وأعطى الكتاب بعدما فعل من عاداته وأخذ رد الجواب وحق الطريق وعاد الى السلطان فقرأ السلطان رد الجواب فرآه بالحرب شرمطه وأمر بدق الطبل حربى وثانى الأيام دار الحرب بينهم وثالث يوم أتت الملكة تحفة الزمان الى السجن وأطلقت الملك عرنوس ومعروف وقار أصلان ولما طلعوا من السجن فرأوا بطريق واقف على باب السجن ماسك ذات النور وحجرة معروف وحصان من أفخر الخيل الجياد للملك قار أصلان فركبوا الثلاثة ووضعوا السيف حتى أنهم خرجوا من البلد وجاءوا من خلف الكفرة اللئام وأسقوهم كاس الحمام ومادام الملك عرنوس يضرب بسيفه حتى وصل الى الشنيار الكبير وكان الانجبيرت تحته فضرب حامل الشنيار قتله والمقدم معروف قبض على خناق الانجبيرت ورفعه على قائم زنده ودفع حجرته حتى سلمه لعساكر الاسلام وعاد يكر على الملحدين ويضرب فى أعناق أعداء الدين وكذلك أبطال الاسلام وأمراء المجاهدين حتى أن أهل الكفر

المارقين طلبوا الامان فرفع السيف عنهم السلطان وقعد الملك على تخت مدينة الافلاق فقدموا بين يديه الانجبيرت وكان الملعون جوان هرب فادركه المقدم جمال الدين وحضره قدام السلطان فاراد الملك أن يقطع رأسه فقال الملك عرنوس يا ملك الاسلام اصبر على قتله حتى أسأله ثم ان الملك عرنوس قال للانجبيرت اعلم يا ملعون ان ابنتك اسلمت على يدى وهى التى تكون سببا لنجاتك من يدى فان كنت تمثل ذلك لا بأس وإن كان صعب عليك ذلك فلابد لك من المخالفة لامير المؤمنين وبهذا تخرب بلادك فقال الانجبيرت يا سيدى إذا كانت بنتى اسلمت وأنتم أخذتموها فلاجل ذلك أكون أنا تحت ظل سيفك فى أمان من سيف ملك المسلمين وبنتى أسلمت بخاطرها إن أردت أن تبقيها عندى فتكون معززة مكرمة وإن أردت اخذها فانا أجهزها بكل ما أمتلك من أعلى المتاع ولكن إذا كانت بنتى بقيت زوجتك فأكون أنا معتوق سيفك لاجل بنتى فقال الملك قار أصلان والله يا ابن الكافرة ما يمكن اطلاقك حتى تزن كلفة الركبة للملك ملك الاسلام أو يقطع رأسك بالحسام وكذلك قال المقدم معروف فقال الملك الظاهر يا ملك عرنوس لما بقى نسيبك الانجبيرت أنا أسامحه فى جميع ما فعل وإن عاد لمثل ذلك خربت بلاده قال يا ربن المسلمين أنا ما كنت لا أحاوب ولا أضارب وهذه من جوان وأنا يا ملك تبت ولا أعود أبدا فعندها أطلقه الملك الظاهر وحد عليه الجزية سوى وأما عرنوس طلب زوجته فأحضر لها تخته وركبت فيه وسلمها عرنوس إلى ابن عمته عماد الدين علقم يوصلها حصن صهيون تقيم هناك يقع لها كلام وكان الذى أحضر الخيل لمعروف وقار اصلان وعرنوس المقدم جمال الدين وتبع أثر جوان فما عاد إلا وهو معه ضربه ثمانين سوط بالقضبان وأخذه البرنقش وتوجه به يقع له كلام وطلب السلطان أن يأخذ الملك عرنوس والمقدم معروف وقار اصلان المغربى فحكى له عرنوس على عداوته مع أيدمر البهلوان وكذلك قار اصلان فقال السلطان سيروا بنا إلى برصة فسافر الملك من على الافلاق حتى وصل إلى برصة فتلقاه الملك مسعود بك وضربت المدافع لقدوم السلطان وعمل الملك مسعود عزومة لامير المؤمنين وأقام على برصة ثلاثة أيام وبعدها تقدم الملك عرنوس للسلطان وقال له يا ملك الاسلام أنا ما أقدر أسافر إلى مصر فاسمح لى بالاقامة فى برصة وكذلك قار اصلان فاقاموا فى برصة وأما الملك الظاهر فانه توجه إلى مصر يقع له كلام وأقام معروف وعرنوس وقار اصلان فى مدينة برصة مدة أيام إلى يوم من بعض الايام ومعروف جالس وإذا بفداوى مقبل عليه وقبل يده تأمله المقدم معروف عرفه وكان هذا يقال له المقدم خالدى ويكنى بالقادرى فاستقبله المقدم معروف وقال له يا خالد قبل أن تعطينى باطناطيع شيحة فقال يا خوند والاسم الاعظم أنا لم أخاصم شيحة ابدا ومتى ما وقعت عليه أطيعه وأنا يا خوند قاصد اليك فانى لما أقمت فى

الحج هذه الايام كسبت مالا بكثرة ولما عدت الى القلاع حكمت عودتى فى البحر غرق الغليون الذى كنت فيه فطلعت على لوح وجميع ما اكتسبته فانه غرق منى ولم يبق شىء ابدا معى وانا خايف ان ادخل القلعة بتاعتى وعلى جماكى رجال ومصاريف ولما ضاقت بى الحيل وعلمت انك فى برصة اتيتك ياخوند وجعلت اعتمادى على الله وعليك واما من جهة طاعة سلطان الحصون اشهد على انى طايعه ولم اخالف له امر وان خالفت فانت تفعل بى مهما اردت وان اردت القلاع اسأل الرجال المساعدة فقالوا لى جميعا عليك بساحة سلطاننا المقدم معروف وها انا اتيتك فقال معروف مرحبا بك ايش قدر ما كان معك من المال فقال له كان معى خزنتين فقال معروف جا. لك منى خزنة قال مسعود بك وانا قال اعطيك خزنة فقال هرنوس وانا اعطيك خزنة وقار اصلان قال له ومنى انا الآخر خزنة ففرح المقدم بذلك واقام عندهم ثلاثة ايام حتى انهم اعطوا له جميع ما قالوا عليه وفى ليلة من ذات الليالى تحدث الملك هرنوس مع الفداوى وقال له ايش رأيت فى غيبتك هذه من العجائب فحكى له على ما لاقى فى غربته وقال فى آخر كلامه انى مريت على بلاد الانجبرت ورأيت بها ملكا يقال له البب ذو الجواهر واقمت فى البلد مدة ايام حتى انى اكتسب شيئا منها فنزلت ليلا على على سرايته لاجل ان آخذ مكسبي منها فرأيت له بنت اسمها الملكة كرمة ولكنها ذات حسن وجمال وقد وبهاء واعتدال والله يا ملك هرنوس لما رأيتها لم قدرت امد يدى على شىء من مال ابيها كرامة لها لان لها فى الشمس لون وفى الظل لون صنعة مدبر الكون الذى يقول للشىء كن فيكون والله يا ملك لو يبلغها احد من ابطال الاسلام ويحظى بذلك الغصن المعتدل القوام وما زال ذلك الفداوى يوصف للملك هرنوس فى هذه البنت وحسنها وجمالها حتى تعلق آمال الملك هرنوس بحبها فاغتاظ المقدم معروف من المقدم خالد وقال له يا خالد اما تخاف الله حتى انك اشغلت قلب ولدى بوصف هذه البنت بين يديه والله يا قرن لولا انك قاعد بجانب ولدى ويلزمنى انى اكرمه من اجله لاضربك بالشاكرية ادعو رقبتك ثم انه صاح فيه اسكت فسكت وبعد ذلك اخذ الاموال من المقدم معروف بن جمر وقار اصلان ومسعود بك وشكرهم على احسانهم اليه وتوجه الى قلعته وفرق الاموال على رجاله وسالهم عن السلطنة فاخبروه بالمقدم جمال الدين شيحة فلما سمع منهم هذا الكلام قام وركب حجرته وسافر الى مصر وسال عن المقدم جمال الدين شيحة فارشدوه عليه فلما وصل اليه اخبره بما قال له المقدم معروف بن جمر ففرح جمال الدين وطلب منه الاطاعة فطاع وكتب اسمه على سلاحه وكتبه فى دفتر الفداوية وامره بالتوجه الى قلعته والاقامة فيها تحت طلبه الجهاد فاجابه بالامتثال وراح الى قلعته يقع له كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال

النبي يكثر من الصلاة عليه [وأما] الملك عرنوس فانه لعب به الهوى والغرام فما كان منه الا انه استغفل أبوه وصبر الى الليل وشد على ظهر جواده ذات النور وركب عليه وطلع قاصد مدينة الانجرس وهو يقطع الاودية والقفار ويسال عن الطريق من السفار حتى وصل الى الانجرس وكان وصول عرنوس ضحى نهار فدخل الى بستان بجانب البلد وسار الى الفسقية وجلس بجانبها وطلع بعض ماكول وأكل وترك ذات النور واقف ياوك فى لجامه ولما جلس عرنوس أدركه النوم فانضجع على ظهره وجعل وجهه الى السماء واعجب ماوقع ان بنت اليب ذو الجرابر التى أتى بسببها كانت اعتراها التولع باللعب والطرب فاخذت جوارها وهم جوار بيض روميات وسارت الى البستان من قبل وصول الملك عرنوس فى قصرلها مخصوص ولما كانت وقت الظهر أكلت الطعام وشالوا السفرة الخدام فاقبلت جارية تنفض السفرة من طاقة القصر فوجدت الملك عرنوس ووجهه مقابل الطاقة فوقفت باهتة اليه ساعة من النهار فقالت لها ستها مالك يابنت طولتى بالنظر الى البستان فقالت لها ياستى تعالى اتفرجى على الذى ظهر فى هذا المكان فقامت الملكة كرمة ونظرت الى الملك عرنوس فوجدته فتنة للناظرين على رأى من قال

يامن تركنى فى هيام	وراح الى فرشه ونام
قتلتنى يا ابن الكرام	ولم أرى لى راحما
دمعى على خدى يسيل	ونار قلبى فى شعيل
والجسم منى عليل	يشكوا الجوى والالما
يا مفرد الحسن الحسن	أحرمتنى طيب الوسن
ألبستنى ثوب الحزن	شوقا الى رشف اللما
جل الذى صور صفاك	وبالمحاسن قــد كساك
وما اريد أبدا سواك	اسمح وكن لى منعما

[ياسادة] فلما نظرت الملكة كرمة الى الملك عرنوس تولع قلبها بالمحبة ولعب الهوى فى أعطافها واحتوى الحب على جميع أعضائها ولبها فوقفت منتظرة اليه حتى أفاق من منامه فلما فتح عينيه الملك عرنوس حكم جهه فى وجهها فتعلق آماله برؤيتها واعتدل وهو ناظر الى رؤيتها فقالت له ياغندار أنت من أين وايش اتى بك الى ذلك المكان ودخلت فى قلب البستان فقال لها أنا حورى من الحور العين فقالت له وايش اسمك فى الحواريون الطيارون فقال لها ان اسمى الحوارى لكاعات فقالت له ياحورى لكاعات اطلع عندى فى قصرى اقعد عندى ثلاث ساعات فقال عرنوص طيب افتحى لى الباب فنزلت وفتحت

له الباب وقد أدخلته البستان ووضعت بين يديه آلة المدام فسارت تملأ وتسقيه وهو يملأ ويسقيها حتى لعبت الخمرة بعقولهم وطاب لهم الحظ فمالت تيرسه فمنعها وأعلمها بالدين فبالاختصار أسلمت وأعطى لها عقد جوهر مقدم صداقها واسترضاها على مذهب أبي حنيفة وأزال بكارتها وبلغ قصده منها وأقام عندها مدة أيام الى يوم من بعض الايام كان البب ذو الجواير في الصيد والقنص ولما عاد فات على قصر بنته ودخل القصر فوجد بنته نائمة في فرشها والملك عرنوس بجانبها وطابقين الزندين على بعض والفم على الفم كمثل الذى قال في حقهم

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا　　من عاشقين على فراش واحد
متلفلفين عليهم حال الرضا　　متعانقين بمعصم وساعد
واذا صفا لك من زمانك واحد　　نعم الصديق وعش بذاك الواحد
واذا تألفت القلوب مع الهوى　　فالناس تقطع في حديد بارد

فلما نظر البب ذو الجواير ذلك فنيق بنته فافاق الملك عرنوس فقال له البب ذو الجواير أنت ومن أمرك بالدخول هنا ونومك مع بنتي من غير اكليل فقال له أنا ما أتيت الى هاهنا الا بامر المسيح فانه أمرني أن انزل على بنتك واحط جيادي في ماكودها لاجل أنها تحمل باني فليون منها يصير نائب على ملك المسيح فقال البب دستور والتفت الى بنته وقال يا بنتي هنا شيء مامنه مضرة طاوعي الحوارى لكاعات على ما أراد وتركها ونزل الى مملكته مدة أيام وبعد ذلك أتى كتاب للبب ذو الجواير من عند ملك في مدينة يقال لها مدينة السمرقندو ملكها يقال له اسرافيل فبلغه خبر الملكة كرمة وحسنها وجمالها فكتب الى أبيها يطلبها فقال البب ذو الجواير يهودى وبنتي نصرانية فلا يجوز أن أجوزها له ثم أنه رد الرسول بلا فائدة فعاد الرسول الى الملك اسرافيل وأعلمه بذلك فجمع من طائفة اليهود عشرة آلاف يهودى ولما جمعهم سار بهم الى مدينة النجريس وضيق على البب ذو الجواير فخرج اليه وحاربه وطال الجنك بينهم مدة عشرة أيام حتى أفنى من عسكر ذو الجواير خلق كثير وبعد ذلك أراد البب ذو الجواير أن يفدى نفسه وبلده ببنته ويعطيها لذلك الجبار فما يشعر ثاني الايام الا والملك عرنوس أقبل من البر الاقفر وخاض في عساكر اليهود بجواده ذات النور وضرب فيهم بالحسام حتى أورثهم البلا والاعدام ومازال يضرب بالسيف في اليهود حتى وصل الى تحت البنود وضرب حامل العلم على وريده أطاح رأسه من بين كتفيه ومال على من تحته من اليهود ففروا من بين يديه فهجم على ملكهم وقبض على خناقه

وعصره على أزباته ورفعه على زنده وجلد به الارض أدخل طوله فى العرض وبسطه نصفين بقاسم الحديد ونظر اليهود إلى ملكهم قتيل وحامل العلم قتل ومال فتفرقوا فى البرارى والتلال ونظر البب ذو الجوابر إلى فعال الحوارى الذى اسمه لكاعات فزادت به الافراح والمسرات وسأله الوزير عنه قال له هذا حوارى أرسله المسيح ليقى يعملها جناقه وهو قد أحمى بلادى من اليهود ولم بقى منهم أحد الينا يعود ثم انه سار الى القصر فرأى الملك عرنوس جالس مع ابنته فقال له باحوري لكاعات أريدك أن تكون عندى فى ديوانى كل الاوقات ولا تقطعش قيامك من عندى فقال له سمعا وطاعة وأنا أبقى عندك كل ساعة وتودع وسار الى قصر زوجته هذا ماجرى

وأما ما كان من المقدم معروف بن جمر فانه لما أفاق يوما من الايام فلم يجد ولده عرنوس فضاق صدره وهبل صدره فتذكر أن ابنه لم يكن توجه الا الى التجرس عند ذلك ركب على ظهر حجرته وطلب عرضى البر ومادام سائر حتى وصل الى الانجرنن واستقص خبره فلم أحد يعلمه به فصار يدور حول البلد لعله أن يعلم حال ولده ولما كان فى الليل وسار الى البستان وأراد أن يدخله لاجل البيات وإذا بواحد طالع من البستان وحامل على كتفه جدان وهو خارج ينفخ كما ينفخ الثعبان فتأمله المقدم معروف وأمعنه بالنظر فرأى صورته تدل على أنه عايق وسارق والذى هو حامله مسروق لان المقدم معروف على عياق الاسلام ولا يخفى عليه هذا المرام فصاح فيه صيحة تفلق الحجر وقال له أنف مكانك فلما سمع صوته عرفه أنه من الابطال المشهورة والفرسان المذكورة فأراد أن يخدعه فقال له يا سيدى أنا رجل بستانى وأخذت أثمار من هذا البستان وقصدى أن أدخل المدينة قبل طلوع النهار حتى أبيع التمر وأعود إلى خدمة البستان أول النهار وحط يده طلع له سباطة موز وقشر منها واحدة وقال له آدى سيى وإن كنت تشترى دونك وما تريد فظن معروف أن هذا عايق صحيح سراق وان الذى معاه سارقه من ثمر البستان فأخذ المرزة المقشرة وأكلها ثقلت دماغه برم وارتمى فتقدم اليه كتفه وشممه ضد البنج فتأمل معروف يجد نفسه كمثل من قال

لاتعتب الدهر بعد النطق إن أسكتك ولا الليالى الذى أحنك عن سكتك

وإن شكتك الليالى فهى ما شكتك قد أضحكتك فلا تعجب إذا بكتك

فقال معروف أشهد ولا أجحد فقال إيش الذى تشهد ضربة تأكل قلبك مالك رمال الرايح والجاى أنت مسلم ودابر تعربد فى بنى إسرائيل اليهود فقال له المقدم معروف أنت يهودى قال نعم يهودى وأتيت إلى هذا النصرانى الذى

فقتل ملكنا اسرافيل صاحب السمرقند وبنجته من عند بنت البب ذو الجواهر وأخذته وخرجت طالب السمرقند ولما رايتك عارضتنى بنجتك وأنت واياه على فرسك وأسرقكم بين يدى البب شوميل بن البب اسرافيل الذى قتل أبوه هذا النصرانى يقتلكم فى ثأر أبيه وها أنا قضيت حاجتى وبلغت منيتى عند ذلك اتذكر المقدم معروف أن بنت ذو الجواهر هى الذى سبب خروج ابنه وقدومه إلى هذا المكان فقال معروف فى نفسه والله إن هذه الساعة إذا أراد الله بنجاتى أنا وابنى من هذا الكافر فما يكون الاعلى يدين أخى الحاج شيحة وها أنا تذكرته فما تم معروف هذه الكلمة الا ورجل خاخان مقبل من داخل البستان وهو على أكتافه مرشحة صوفة بيضة يتلو فى التوراة ويروى كلام بنى اسرائيل فكلمه ذلك الملعون بلغة اليهود المغاربة فجاوبه وتساير معه ساعة زمانية وقال له يا ولدى هذا مسلم فا مرادى منك أن تشاركنى معك فى الثواب وتاخذنى معك أحضر قتلهم لاجل ما آخذ لى قطرة من دم هذا المسلم أمزج بها فطير العيد وادعى لك بالنصر على اعدائك فقال له العايق وكان اسمه مردخ العيد فحمل معروف وعرنوس على حجرة معروف وبعدها أراد مردخ أن يسير فقال له ذلك الخاخان أنت تعرف طريق ملك السمرقند فسار معه حتى انى الظهر فوردوا على غابة ودخلوا فيها فقال العايق مردخ للخاخانات القرا نظركم يا خاخانات حتى انام قليل ثم انه انضجع فتقدم الخاخانات والقى على وجهه منديل مبنج فالقى النوم على النوم وتقدم خلص معروف وعرنوس وكتف ذلك الملعون وساله عن سبب مجيئه إلى هذا المكان بعد ما عرفه بنفسه فاحكى له أن الملك عرنوس قاتل اسرافيل ملك السمرقند وله ولد اسمه شوميل جالس محل ابيه وارسلنى اسرق هذا الفارس لياخذ ثار ابيه منه فاتيت واقمت اراقبه فى البستان حتى ملكت الفرصة وأخذته وقابلنى هذا الاختيار فاخذته وبعده أنت قبضتنى وهذا الذى جرى فقال له شيحة ما قولك فى دين الاسلام فامتنع فقتله والتفت إلى عرنوس وقال ايش هذا اللعب وايش الذى اوقعك فى يد ذلك الكافر فاحكى له على القصة التى جرت ولما كسرت اليهود جعلنى ومرامى ياعم أنا أقيم معه حتى أرى لى بلاد اسلام أنا بسيفى وأقيم بها أنا بعسكرى فقال معروف يا أخى يا حاج شيحة خليه على عقله وأنا كل اقعد معاه ولا أفارق ولدى أبدا فقال شيحة وإذ دخلت أنت وأبوك فقال عرنوس دا أمر سهل أقول عليه هذا عزم المسبح ويقيم معى على الرحب والسعة فودعهم المقدم جمال الدين وسار عرنوس وأبوه صحبته ودخلوا مدينة الانجرس فقام ذو الجواهر وسلم على عرنوس أجلسه إلى جانبه فى مرتبه وسأله عن أبوه فقال هذا شربكى كان فى

السياحه واسمه عزم المسيح القاطع فقال أهلا وسهلا حصلت البركة يا حوارى الكاعات بقدومك وقدوم عزم المسيح معك وأقام الملك عرنوس على هذا الحال مدة أيام فصار المقدم معروف يتسلى كل يوم فى الخلوات ويعود آخر النهار للبيات وأما عرنوس فى النهار يقيم بالديوان والليل عند زوجته الملكة كرمة إلى يوم من الايام كان الملك عرنوس عند زوجته وذو الجوابر فى الديوان وإذا بضجة ارتفعت سأل ذو الجوابر عن الخبر فقالوا له أقبل عالم الملة جوان فقام اليه وسلم عليه واجلسه وفرح بقدومه وأحكى له على الحوارى الكاعات وعلى عزم المسيح القاطع وأعطى له وصفه فقال جوان هذا الديابروا عرنوس مسلم وأما الثانى أبوه معروف ولكن اخفينى عندك حتى أقبض عليهم وصبر حتى اقبل معروف ودخل فى مكانه وكذلك عرنوس نزل وأقام قليل وراح إلى زوجته وصبر الملعون جوان حتى أقبل الليل دخل على معروف الذى فى مكانه المعد له فوجده واقف محرم للصلاة بين أيادى مولاه فأطلق بخور عليه بنجه وتقدم اليه كتفه ووضعه فى السجن وطلع إلى قصر الملكة كرمة فوجد عرنوس نائم معها فى الفراش فتجه وأخذه ونزل بالليل وضعه بجنب أبيه وفوق الاثنين فأفاق وكلا منهم يقول أشهد أن لا اله الا الله وبالاقرار أن محمدا رسول الله فقال جوان هكذا يا مسلمين تدخلوا فى صفة نصارى وتتاطموا وتأخذوا بنات الملوك ما أسرع ياديابروا ما عملت بذنب الرين حنا فقال الملك عرنوس ياملعون وايش تريد أن تفعل فقال جوان ياأب ذو الجوابر منظرهم فأمر ذو الجوابر السياف أن يقطع رؤسهم فانتدب السياف على رؤوس الاثنين فنظر عرنوس إلى الاب ذو الجوابر وقال له ياملعون أنا أتجازى منك وأنا أتيت اليك وخلصتك من اليهود وأهلكتهم ورددتهم عنك ولكن لم يكن ذنب أقبح من ذنب الكفر فقال جوان أنت عمالك تعانيه مقصودك انه يطافك وهذا لا يكون أبدا فقال ذو الجوابر اما بقى الا المنظار أما لو كنت ما انتاش مسلم كنت أحفظ جميلك فقال معروف ياقرن فى هذا الوقت لا بد من حضور الحاج شيحة يخلصنا ياملعون ولا ينوبك الاسواد وجهك فارتعد جوان عند ما سمع بذكر شيحة وأما البرتقش قال للبب ذو الجوابر ياأب إذا قتلتهم تخرب بلادك وانما أسجنهم حتى تنظر عاقبة مسكهم أنا أقول إن اقتتهم فندك لا بد من علم رين المسلمين وشيحة بهم فقال جوان منظرهم أصوب فقال ذو الجوابر تبقيهم الليلة وغداة غد يكون قتلهم على اى وجه كان ثم انهم وضعوهم فى السجن وسلموهم للسجان ووضع القيود فى ارجلهم وأقاموا فى السجن حتى امسى المسا ولما كان فى الثلث الثانى فى الليل تذكر معروف فى نفسه وقال الله يا اخى ياحاج شيحة

أين الحبيب الذى أرجو عوائده ... فى شدتى ورجايا منه متصل
ماعودونى احبائى مقاطعة ... بل عودونى إذا قاطعتهم وصلوا

أنت فين يا سلطان القلاعين والحصونين ياحاج شيحة أدركني يا أخي على عوايدك خلصني وخلص وليدي حتى تتم جميلك علينا فقال له السجان مرحبا بك يا خوند أنا ما افوتك ولا افترعنك أبدا ثم انه دخل فكه وفك الملك عرنوس وأحضر لهم خيلهم فقال عرنوس وزوجتي فقال له زوجتك تقعد عند أبوها في الهنا والامان غصبا عن الملعون جوان على رؤوس الاشهاد وانما استنوني لما أجيب لكم ذو الجوابر والملعون جوان وانفرد المقدم جمال الدين وطلع إلى السرايه فوجد البب ذو الجوابر وجوان والبرتقش قاعدين على آنية المدام فأرمى عليهم دخنه بنجهم ورفع ذو الجوابر سلمه إلى عرنوس وعاد أخذ جوان سلمة لعرنوس ورجع جاب البرتقش ودخلوا بالجميع قصر الملكة كرمه وفيقوهم ونظر البب ذو الجوابر إلى ابنته وقال لها اش الخبر يا بنتي فقالت له لا اعلم الخبر فقال له المقدم جمال الدين اصبر حتى اريك الخبر وطرح جوان على وجهه ومال عليه بسوط العذاب حتى مزق جلده وبعد ذلك دمنه بدهن الاستقطاب قطب جراحه ومد البرتقش فقال البرتقش أنا في عرضك وفي عرض سيدي الديابروا عرنوس وفي عرض ستي كرمه فقال الملك عرنوص يا عمي شفعني في البرتقش حيث انه وقع في عرض زوجتي فقال له شيحة أنا لا افوت علقتي أبدا فقال معروف يا أخي إذا كنت لا تفوت علقتك أعطيها للشيخ جوان واما البرتقش اكرمه لاجل ولدي وزجته فقال له شيحة وهو كذلك ثم انه حضر جوان ثانيا ومال عليه حتى انه بالوغيط على نفسه وسال من دمه سائر جسده وكتف البرتقش وقال أنا اقسم بالله الذي مرج البحرين وانار القمرين ان رأيتك مع جوان في مدينة الانجرس في هذا العام لا بد ان اسلخك واجعل جلدك محشي بالتين واعلقك على باب مدينة لانجوس فقال البرتقش وانا والاسم الاعظم إذا كان جوان يدخل مدينة الانجرس في هذا العام كما ذكرت لاقتله بالخنجر واقول الكلمة التي يعرفها وهي كلمة المسلمين فقال له شيحة خذه واخرج فيها أنا طاقته من اجلك من السلخ واما البب الانجيرت لا بد أن اجعله شهرة على باب مدينة الانجرس ادبا لغيره ثم ان المقدم جمال الدين غاب وعاد وهو لابس كسوة السلخ فقال البرتقش الجوان قم يا أبونا قبل أن يمسنا نصيب من المقدم شيحة فقام جوان وطلع في ظلمة شنيعة والبرتقش على اعقابه واما شيحة فانه كتف ذو الجوابر وسن الكشافية على المسن فسقط منها شرر النار فقال ذو الجوابر أنا عرضك ياسيدي الدمابر وعرنوس لم تفوتني وانت ياسيدي نقيت سيفي وأنا بقيت من رجالك واتوب وعلي يدك وعلى يد سيدي معرف ابن جمر وادفع الجزية سنوية مثل ملوك الروم الذين يدفعون الخراج لملك المسلمين ولم اخرج من تحت طاعتك أبدا وان حصل مني ادنى خلل تكون أنت في حل مني ودمي لك حلال فقال له الملك عرنوس يا كلب إنا نعرف حقيقة العفو اعفوا عليك فقال له

ياسيدى انا في عرضك وضامنى المقدم شيحة فعند ذلك أطاقه المقدم جمال الدين وقال ياملكة كرمة اذا حصل لك من أبوك ما يكدر خاطرك اندهى على في الليل أو في النهار وأنا آتى اليه واحرمه ان يشم نسيم الهوى ثم ان المقدم جمال الدين سلم له ابنته في يده وقال له هذه زوجة الملك سيف الدين عرنوس فقال له على رأسي وعيني وبعد ذلك ركب عرنوس والمقدم معروف وسار الى مدينة برصة ومكث عرنوس هناك وكان دابه الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص الى يوم من بعض الايام طلع الملك عرنوس والمقدم معروف ومعه بعض الرجال فلم يجدوا صيدا في ذلك النهار حتى حمى الجو فنظر عرنوس الى غزالة مكسية بثوب حرير وعليها حلية مرصعة بحجارة الياقوت الاحمر وفوق رأسها فص من الجوهر وقرونها مكسية بالذهب وهى سائرة في البر ومعها غلام فطلب الملك عرنوس ان ياخذ تلك الغزالة فصاح عليه الغلام وقال له ارجع عنها يا كناس فاغتاظ عرنوس وهجم على الغلام وضربه كاد ان يعدمه مهجته واخذ منه الغزالة وعاد الى ابيه ومن معه فهذا ما كان منه [قال الراوى] واما ما كان أمر الغلام فانه عاد يبكى على غزالته وقد سار الى محله ودخل على امه وقال لها ان المسلمين أخذوا غزالتى وضربونى وكانت أم هذا الغلام عجوزة كهينة ساحرة لعينة يقال لها الكهينة مشمشينة وكان مسكنها في مدينة تسمى مدينة الرخام فلما شكى لها ولدها من أخذ غزالته فدخلت الى محل سحرها وطلبت اوهاط الجان فحضروا بين يديها فسالتهم عن الذى أخذ غزالة ولدها من المسلمين فقالوا لها أخذها الديابروا عرنوس فامرتهم ان ياتوا به حالا الى بين يديها وكان في تلك الوقت عرنوس ومعروف قاصدين مدينة برصة واذا بيدين رفعوهم وصعدوهم قدام تلك الكهينة فنظرت الى عرنوس وبداعة جماله فهرشت في نفسها وقالت أنت الديابروا عرنوس قال لها نعم أنا هو عرنوس فقالت له انا كنت ناوية على قتلك ولكن لما رأيت هذا الجمال موتك خسارة ولكن تعمل جناقة للكهينة وتقيم عندى أحسن من موتك وانا أحسن نفسى اليك بباب من السحر فقال لها انا عرنوس الله يلعنك ويلعن أبوكى والله ان الموت احسن من النظر الى وجهك الميشوم فاغتاظت منه وصنعت له دولاب من السحر وعلقت عرنوس وابوه معروف في ذلك الدولاب يتبع شم كلام [قال الراوى] واما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه كان يوم جمعة فصلى الجمعة مع الامام وعدوا ابراهيم وسعد فانهم مشوا من القراءة حتى طلعوا الى قلعة الجبل فنظر ابراهيم من أبراج القلعة وانه يرى مرضى من الاعجام حاطت في بركة الحاج فقال لسعد انظر ياسعد انا تنيف مرضى أعجام لكنهم اسلام في الظاهر وأرفاض في الباطن وهم قادمين من بلادهم وقصدهم ان يعملوا مكيدة في بلاد الاسلام والله تعالى يرمى كيدهم في نحرهم ولكن سير بنا ياسعد الى عندهم فقال له سعد وايش

الفائدة انا منهم فقال له سوف ترى ياسعد من الفائدة ومن الفتنة ثم انهم ساروا الاثنين
حتى دخلوا إلى المرضى فرأوهم أعجام ومعهم ملك عليه هيبة الملوك فتقدم المقدم
إبراهيم اليه فقام له على قدميه ورفع قدره وأكرمه إكراما زائدا وقال له ياأخي انت من
تكون من سادات العرب فقال له أنا إبراهيم بن حسن ساعي يمين السلطان وهذا أخي
سعد ساعي الميسرة فقال لهم أهلا وسهلا ومرحبا بكم ثم انه قام على حيله وطلع صندوق
وفتحه وطلع منه عقدين إساور واما ة الف دينار وأعطى واحدا إلى المقدم إبراهيم والثاني
إلى المقدم سعد وسألهم قبولهم فقبلوهم وسألوه عن سبب مجيئه فقال لهم انا أخو الملكة
تاج بخت زوجة السلطان فقال له إبراهيم أهلا وسهلا وقام من عنده وأتى إلى الديوان
وقد اخبر السلطان فلما سمع السلطان ذلك الكلام قال لوالده محمد السعيد اطلع إلى السراية
واسأل والدتك هل عندها أخ أم لا وبعد ذلك انزل قابله وهاته معك فقال سمعا
وطاعة وطلع محمد السعيد واخبر امه فقالت له أنا ليس لي أخوات مطلقا فعاد محمد السعيد
وأعلم ابوه فلما سمع منه ذلك الكلام وطلع إلى السراية بنفسه وسأل الملكة عن ذلك فقالت
له يا ملك انا مطلقا لم اعلم لي اخوات وإنما كان القان هلاوون أهدى إلى والدي جارية
فاحتضى بها وبقت في السراية بعد موت امي وأنا كنت صغيرة فرأيتها تحضر المماليك وتقعد
معهم وتقول لهم إن الحمل الذي في بطني من الملك بركخان فأعلمت أبي بذلك فأتى لها ونظرها
على ذلك الحال فأرسلها إلى هلاوون ثانيا وتوجهنا على جهة الحجاز فكان النصيب أنك
تزوجتني وإلى الآن لم اعلم ما كان من تلك الجارية وماجرى لها فظن السلطان ان الملكة
خائفة من أخيها ان يطلبها في تركة أبيها فأمر السعيد ان يركب ويلاقي خاله فركب محمد
السعيد وطلع إلى لقائه وكان اسمه شهر شاه الهلاوي ولما وصل إلى مصر طلع وقبل يد
السلطان فأمر له بالنزول في دار الوزير أحمد بن اباديس السبكي فنزل هناك هو وجماعته
وأنعم عليه وأراد أن ياخذ إذن ويدخل يسلم على اخته فقالت الملكة لم ينظرني ولا أنظره مطلقا
فليس هو اخويا ولا اعرفه وأقام تمرشاه في منزله وكل يوم يطلع إلى الديوان فلما رآه الملك
مواظب الديوان فأراد السلطان أن يلبسه امير مائة مقدم على جيش الف فقال له المقدم إبراهيم
أعوذ بالله يا ملكنا إن هذا لم يصلح لأنه رفضي فقال تمرشاه صدقت والحق معك فاني
ماعرفت مقامك فقال له إبراهيم والله لو تعطيني ملك الدنيا ما أقول الا كافر تعبد النار من
دون الملك الجبار فانحمق السلطان وقال له لما كنت رأيته في بركة الحاج وأتيت أعلمتني لأي
شيء ما قلت لي شي عنه انه كافر فقال له ابراهيم وها أنا قلت في هذا الوقت فقال السلطان لا يخصك
به شيئا ابدا فقال ابراهيم اذا كان الخديم ما له دعوة بمحل خدمته فكيف يقيم في مرتبته فلا
حاجة ابراهيم اذا كان الخديم ما له دعوة بمحل خدمته فكيف يقيم في مرتبته فلا حاجة بخدمته

فقال السلطان مانيش عايزك فقال إبراهيم وهو كذلك ثم أخذ نفسه ونزل فقال سعد إيش الخدمة دي ماهو الحق بيد إبراهيم وأنا من غيره لا أقيم فقال له الملك وأنت ايضا الحقه كان فنزل سعد وهو فى غاية الغيظ حتى لحق بالمقدم إبراهيم فقال له جيت ياسعد فقال له سعد وانا اقعد من غيرك هذا لا يكون أبدا فراح سعد وإبراهيم إلى قاعة الحوارنة وقال المقدم ابراهيم ياسعد لا يمكن اطلع انا من مصر واترك هذا الملعون يشمت فى الملك الظاهر او فى اولاده فهذا لا يكون ابدا وفى تلك المدة اتى الملك الظاهر من مدينة برصة من عند الملك مسعود بك جواب يقول فيه بعد البسملة الشريفة والسلام على النبى زين الحنيفة ان المقدم معروف بن جمر وابنه الملك عرنوس اسارى فى مدينة الرخام عند الكهينة مشمشينة الساحرة معلقين فى دولاب فى الهوى من داخل مدينة الرخام فأدركنا يا ملك الاسلام والسلام فعند ذلك امر الملك تمرشاه الهلاوى ان يكون وكيله على تخت مصر ومعه محمد السعيد وجهز الملك وبرز بالعرضى الى العادلية وبعد ثلاثة ايام سافر طالب مدينة الرخام ولا زال سائر حتى حط على البلد فبلغ الخبر إلى الكهينة فقالت لرجالها لا يتحرك احد من مكانه وانا انفصل مع السلطان وعساكره واما الملك الظاهر لما نزل بالعرضى كان المقدم ابراهيم قال لسعد ياسعد لابد لك انت تتبع السلطان وانا انتظر هذا الملعون هنا فى مصر ولما حط السلطان على مدينة الرخام تقدم اليه المقدم سعد فقال له السلطان جيت يا سعد قال سعد نعم يا امير المؤمنين جيت طالب الجهاد فقال له والمقدم ابراهيم قال سعد لا بل انه فى مصر فقال له السلطان مرادى أكتب لك كتاب وتدخل به على هذه الكهينة قال سعد اكتب فكتب السلطان كتاب وأخذه سعد وسار به الى مدينة الرخام ودخل على الكهينة واعطاها الكتاب فأخذته وجعلت تقرى فيه وسعد امامها واقف فقال سعد فى عقله هذه ملعونة ساحرة والصواب نطع راسها ونريح الاسلام منها ومن شرها ثم انه وضع يده على شاكريته وضربها ضربة ارمى رقبتها واخذ راسها واراد ان يخرج فلم يجد باب يخرج منه ونظر الدم خارج من رقبتها كافواه القرب وملأ المكان حتى وصل الى السقف فنظر سعد الى حلقة فى السقف فقبضه بيده واذا بالدم نزل يهوى واجتمع الرأس كما كان ورأى الملعونة قامت وقالت له انت سعد قال سعد لعن الله وجهك يا ملعونة فقالت روح سعد مع معروف وعرنوس فما يشعر سعد بنفسه الا وهو فى دولاب الهوى واما الكهينة احضرت وزيرها وقالت ياوزير انا ضربت رمل رأيت فى علوم الاقلام انى لم ابلغ مرادى من هؤلاء المسلمين فقال لها انت علومك سفلية فان اردت ان تبلغى المراد منهم فاحضرى جوان فأمرت وزيرها بجوان فلما حضر اخبرته بالحال فقال لها ان ملك المسلمين فرحا ولا تلزميه الا منى انا وكتب لها اسماءهم فأحضرتهم جميعا بأعوان الجان وقعدت تهددهم بالقتل

من تحته موكب إسلام وكان هذا الغبار غبار مسعود بك فرأى عرضى السلطان كالغنم بلا راعى فقعد ينظر وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فقال له مسعود بك ادخل يا أخى انظر لنا حيلة فى هذه الملعونة فدخل المقدم جمال الدين على صفة بترك يونانى وكان جوان جالس بجانب الملعونة فأعلمها انه شيحة فقالت له اصبر فتقدم اليها فقالت يا أبونا أنا مرادى أن تكون عندى حتى تساعدنى لأجل أن أنال النصر على المشركين فصدق شيحة هذه الحيلة وقعد بجانبها حتى هود الليل ونامت وزاد شخيرها فضربها على صدرها بخنجر ففارق وجهه دما كافواه القرب فأراد أن يهرب وإذا بالباب استد وعلى الدم حتى صار مثل البحر العجاج فتعلق شيحة فى السقف وندهت على جوان وقالت يا أبونا تعال تفرج على شويحات فطلع جوان ونظر إلى شيحة وقال له قلبى عندك وكان المقدم جمال الدين تعبت يداه والأرض بعيدة عنه ونظر إلى نخلة من البولاد تحته كلها سكاكين فقال يا جوان اعمل معى معروف وقل للملعونة تنزلنى إلى السجن أحسن لأنى ما بقيت فى أيادى لاشدها وخذلت سواعدى فقال له جوان وعلى إيش أنت ماسك فى السقف مع أن الارض تحتك مثل الحرير ارمى نفسك وان جرى لك شىء ضمانك على جوان فقال له شيحة الحق بيدك وأنا قليل الأدب الذى أطلب منك الراحة ولكن إن شاء الله تعالى يأتى الفرج من مولاى ثم ان شيحة بقى هناك إلى ان جن الليل وقد تذكر تغاليب الزمان فقصد باب الرحيم الرحمن وأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا	وبت أشكو الى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة	يامن عليه لكشف الضر نعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها	مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد بسطت يدى بالذل خاضعة	اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروى كل من يرد

يارب الارباب يا مسبب الاسباب يا معتق الرقاب يا من خلقت آدم من تراب تجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا يارب العالمين فلما تم دعاءه المقدم جمال الدين هذا والملعونة راقدة على فراشها وإذا هو يرى شخص مقبل من باب المكان وداخل قاصد إلى تلك الاعينة فنظر شيحة اليه وإذا به ابنه محمد السابق فقال له بالاشارة امتنع إلا تصير مثلى فلم يلتفت إلى كلامه دون أن تقدم إلى الملعونة وضربها بخنجره فى صرتها أنفذه من ظهرها فتصارخت عليه جوان الجان لا شلت يداك ولا شمتت فيك أعداك [illegible] من [illegible] من خدمة هذه الملعونة فعند ذلك [illegible] السابق من على [illegible] فطرحات [illegible] مراتب [illegible] وقال له [illegible] شيحة وخرجا إلى السجن ففتحا بابه وأخرجا

السلطان ومن معه وقبضوا على جوان والبرتقش وملكوا مدينة الرخام وجلس الملك على التخت وكان هذا كله فى الليل فلما طلع النهار وفتح شيحة باب البلد وكتب تذكرة لعساكر الاسلام فقدموا وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ودام السيف يعمل حتى تضاحى النهار فصاحت أهل الكفر الأمان فرفع عنهم السيف فلما فرغ الحرب وإذا بالوزير الأغاشاهين الافرم مقبل وهو قابض على غلام صغير جميل الصورة وتقدم به إلى قدام السلطان وقال يامولانا هذا الولد أتعبنى فى القتال وما أخذته الا بالجهد فقال الملك عرنوس هذا أصل كل بلية وموته خير من حياته فقال السلطان اقطعوا رأسه وإذا بامرأة مقبلة وقالت أنا مظلومة ياملك الاسلام والذى ظلمنى وزيرك هذا فقال له الملك لأى شىء ظلمتها يادولتلى وزير فقال الوزير ياملك أنا مارأيتها إلا فى هذه الساعة فقالت له ياوزير أنا الملكة اسكندرونة الذى تزوجتنى وأنت مهاجر من أبيك التركانى وإلى الآن مارأيتك وتركتنى وأنا حامل وأعطيتنى هذا التعويذ ونسبك مكتوب فيه وهذا الولد هو ابنك وأنا سميته اسكندرون خوفا عليه من النصارى وناولته ذلك التعويذ ففرح الوزير بذلك وأطلق ولده وأعلمه بأنه مسلم وأمه مسلمة فأسلم وطهره المقدم شيحة وأراد السلطان أن يخرب مدينة الرخام ويهد أصوارها بالمدافع فقال له الملك عرنوس ياملك الاسلام أتمنى على الله ثم عن مولانا السلطان أن يعطينى هذه البلاد واعمرها اسلام وأقيم بها فقال له خذها وهى منى اليك ففرح الملك عرنوس بذلك وأما أموال البلد كلها ان تاخذها الوزير اكراما لابنه احمد سكندرون وزوجته الملكة سكندرونة وبعد ذلك امر الملك بالرحيل إلى مصر وإذا بنجاب من مدينة مصر ومعه كتاب فقدمه إلى السلطان فأخذ الملك الكتاب وإذا من الأمير تمرشاه الهلاوى الى بين ايادى مولانا السلطان اعلم يا امير المؤمنين ان الملك محمد السعيد ابنك ضاع من مصر ولم نعلم من هو الغريم فأرسلت اعلمتك والسلام فاغتاظ السلطان على ولده وامر العساكر بالرحيل ومن حرقة قلب السلطان على ولده سبق العرضى ورحل الى مصر ودخل من غير موضع وطلع الديوان فتلقاه تمرشاه الهلاوى وهو يبكى ويشتكى على فقد ابن اخته محمد السعيد فبكى السلطان على ولده وقعد فى الديوان وهو ملان بالغيظ وامر المقدم سعد ان يأتيه بالمقدم ابراهيم حالا فنزل سعد واحضر ابراهيم فدخل وقبل الارض قدام السلطان وسلم عليه فقال له السلطان يامقدم ابراهيم انت سرقت محمد السعيد فقال لا والاسم الاعظم انا ياملك اسرق ابن ملك الاسلام يبقى عيشك على حرام وأما السعيد ما سرقه إلا تمرشاه الهلاوى ولاتجارى عليه غيره فقال له ياشيخ استحى من هذا الكلام [ياسادة] كان نظر إبراهيم فى محله لان تمرشاه كان بعد مسير السلطان إلى مدينة الرخام جالس مع السعيد وهو يوادده ويرعاه وقال له باابن اختى ابتى تعال اتملى

عندى فى بيتى فسار السعيد فى الليل وصحبته جماعة من الخدم فقعد عنده فتقدم له آلة المدام وحلف على السعيد حتى شرب واقام عنده إلى الليل وسار الى السراية فشمت عليه الملكة رائحة الخمر فقالت له أنت كنت عند تمر شاه الهلاوى ثم انها تمكنت من خناقه وصاحت بالجوارى فساعدوها وأرمته على الارض وأعطته الحد الشرعى وقالت له ان عدت الى مثلها يباح دمك فصار السعيد يروح الى عند تمرشاه خفية الى ليلة من الليالى وضع له البنج فى الميدان وبنجه وسلمه الى عشرة من رجاله وطلعوا به الى الخلا حتى وصلوا به الى تررين العجم وسلموه الى القان هلاوون فتهدد عليه وقال له لم اقتلك الامع أبوك ووضعه فى قلب السجن وأخذ جواب تمر شاه وقرأه فرأى فيه ان القادم لك السعيد تبقيه فى السجن وعن قريب أرسل لك السلطان ولكن جهز ركبتك وتعال الى مدينة حلب أيضا وأكون أنا من داخل وأنت من خارج وأنا أملكك ملك العرب والسلام من النار عليك فلما قرأ الكتاب جهز عساكره ورحل طالب حلب فهذا ما كان من أمر هؤلاء [قال الراوى] وأما ما كان من الملك الظاهر لما قال له المقدم ابراهيم ما غريمك فى ابنك الا تمرشاه الهلاوى حصل عنده اشتغال فصبر حتى صلى العشا وتنكر ونزل وسار ولا زال سائر حتى وصل الى محل تمرشاه وهو على صفة درويش عجمى حتى وصل الى القاعة التى فيها تمرشاه وتأمل فرأى تمرشاه واقفا على محراب الصلاة يصلى فوقف الملك ينظر اليه حتى صلى أربعين ركعة وبعد الصلاة بسط يديه وقال اللهم أنت تعلم بحالى وانى رجل غريب والتجأت الى هذا الملك وأكرمنى وصادفت الامور بفقد ولده الملك محمد السعيد وهو ابن اختى وأنا غريب اللهم اكشف خبره واظهره لوالده لاجل تبريتى من ذلك انك على كل شيء قدير فلما سمع الملك الظاهر منه هذا الكلام قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم دخل عليه وقال له السلام عليكم ورفع عن وجهه اللثام فقام تمرشاه وقال عليك السلام ورحمة الله وتقدم الى السلطان وقبل يده فقال السلطان يا تمرشاه أنت رجل صالح فقال يا ملك الله ورسوله اعلم ثم ان تمرشاه وقف فى خدمة السلطان فأمره بالجلوس فباس الارض قدامه وقعد بعد ذلك ثم قام وأتى بالطعام وطلب من الملك ان يجبر خاطره ويأكل معه الزاد فمد يده السلطان وأكل أول لقمة والثانية فثقل رأسه ووقع بجانب الطعام فقام له تمرشاه وسقطه فى قلب السرير الذى يقعد عليه وكان ذلك السرير الصندوق موضوع فى قلبه فوضع السلطان فيه وعند الصباح شاع الخبر بفقد السلطان الظاهر وشاش الديوان فقال لهم ابراهيم لا أحد يتحرك فما غريمنا الا تمرشاه الهلاوى فبقت جماعة الدولة بين تصديق وتكذيب فبينما هم كذلك واذا بنجاب من حلب ومعه كتاب فأخذه تمرشاه الهلاوى وقراه واذا به من حضرة عماد الدين ابو الجيش المظفر باشة حلب الى بين

أيادي أمير المؤمنين أما بعد فانتا يوم تاريخ الجواب مقيمين واذا ورد علينا القان هلاوون ابن منكتم ملك توربز العجم بعساكر قد سدت البر والاكم فأقمنا الحصار وضربناهم بكلل النار فامتنع على قدرمي النار فارسلنا جاسوس يكشف الاخبار فسار وعاد وأخبر أن معه من العساكر ما يزيد عن ثلاثين الف ارفاض يعبدون النار وها نحن الآن تحت الانحصار أدركنا والا أرسل لنا من يدركنا والسلام على نبي ظللته الغمام فقال تمرشاه ارهذا الكلب هلاوون ابن ما أهرب منه يأتي خلفي وأنا لا بدلي من الجهاد في طاعة رب العباد فقال المقدم ابراهيم ما جابه الا انت يا تمرشاه ولكن الاسلام منصور ولله العاقبة فعند ذلك أمر تمرشاه بتبريز العسكر فقال المقدم ابراهيم للفداوية يا مقادم كل شيء الذي يطلع الى العرضي لا بد له من التفتيش فقال له الفداوية صدقت وصار كلما خرج شيء يفتشوه وأمر تمرشاه فانه جعل نفسه مريض وأمر خدامه أن يعلقوا سريره على جملين مثل التختروان وقعد فيه لاجل عدم تفتيشه فكل شيء فتشوه الا ذلك السرير الذي جالس فيه تمرشاه ومادام العرضي مسافر وتمرشاه على سريره كذلك حتى وصل الى حلب وفعل كفعل الملوك ونزل على اليمين وترك عرضي هلاوون على الشمال وأقام حتى أخذ الراحة للعسكر والخيل ثلاثة أيام وبعد ذلك أراد ان يكتب الكتاب واذا بعرضي العجم شخص وخرج منه طومان عجمي وطلب القتال فأراد ايدمر البهلوان أن يخرج ويقاتله فقال تمرشاه الهلاوي لا ينزل أحد الى الميدان حتى استشهد وأنا في طاعة الملك الديان ثم انه ركب على ظهر الحصان وخرج الى الميدان فاطبق على العجمي قتله ونزل اليه الثاني قتله والثالث قتله ومادام على ذلك العيار حتى قتل من العجم خمسة أنفار واندق طبل الانفصال وعاد تمرشاه الهلاوي من الميدان فقالت الامراء هكذا يكون الملك المحارب بنفسه أما ابادي شاه يقول قوموا يا أمراء حاربوا وكذلك في ثاني الايام ركب تمرشاه وحارب مثل اليوم الاول ودام الامر على ذلك عشرة أيام وليلة الحادي عشر أتى له جواب فاخذه وقرأه واذا مكتوب فيه من حضرة هلاوون الى تمرشاه اما بعد يا تمرشاه أنت من حين أرسلت لي ولدتان العرب وعرفتني انك لا بد تقبض على أبيه وها أنا منتظر الى قضيته وفي هذه الايام لما حضرت بالركبة أراك كل يوم تنزل الى الميدان وتحارب فنزلت اليك بعض الساقيين والسياس تقتلهم حتى تتم حيلتك وها هو عشرة أيام وكان العرب القني أنه مفقود فان كنت قبضت عليه سلمه الى حامل الجواب لانه عايق من أكبر العياق حتى أنه يبلغه الى عندي وان كنت لم قبضته عرفني كيف يكون العمل والسلام من النار عليك فقال النجاب اعلم أن قان العرب عندي مقبوض واريد ان اسلمه اليك حتى توصله الى القان فقال على الرأس والعين فاعطاه اياه فحمله على ظهره وكان السلطان مبنج فسار به واستقبل الطريق وكان المقدم ابراهيم مقيم الحرص فما يشعروا الا وهذا الملعون خارج من عرضي المسلمين قاصد الى

وأراد الهروب فادركه المقدم ابراهيم وضربه بالشاكرية على وارديه أطاح رأسه من كتفيه ونزل ذلك إلى الجدان وهو يظن أن به مالا فوجدوه كما قال القائل هذه الابيات :

قال لى العذول المستهزىء بكره تواصل من تعشق
صادقت حبيى واصلته جاء الفال مؤكد بالمنطق

ففتح الجدان وإذا فيه السلطان فاعطاه المقدم ابراهيم ضد البنج فعطس وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فقال له المقدم ابراهيم الحمد لله على السلامة يا ملك الاسلام فقال له السلطان قتلت تمرشاه فقال المقدم ابراهيم أنا أقدر أقتل وكيل السلطان فعند ذلك قام الملك وسار مع المقدم ابراهيم حتى دخل إلى محل إقامته وتقدم إبراهيم وقبض على تمر شاه وأمر الحورانة والبياسنة قبضوا على توابعه وكانوا قدر الفين ووقعت فى المسلمين الأفراح بقدوم السلطان وقد شاع الخبر بان تمرشاه رفضى وأمر الملك أن يحفروا حفرة بين عرضى الاسلام وعرضى الكفار ويرموا فيها ذلك القوم ووضعوا فوقهم أخشاب وأوقدوا فيهم النار ففعلوا مثل ما أمر الملك وطلعت منه رائحة كريهة فنظر هلاوون إلى هذا الحال فخاف على نفسه من الهلاك وعلم أنه إذا وقع فى يد الملك الظاهر أسكنه المقابر ولا ينفعه أحد من تلك العساكر فما التقى له شىء أحسن من الهزيمة لأن طعم الموت مر لا يرضاه لاعبد ولا حر وأما الملك فانه أخذ المقدم ابراهيم والمقدم سعد وكذلك جماعة من أبناء اسماعيل مقدار أربعين مقدم وأمر العرضى بالتوجه إلى مدينة مصر وسار هو والمقادم إلى بلاد تورين العجم وكان قدامه المقدم جمال الدين هو دليله من طرقات يعرفها وفى أيام قلائل دخلوا إلى تورين العجم وقصدوا إلى دار تورين رشيد الدولة فترحب بهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن قصدهم فاخبره المقدم شيحة بسجن محمد السعيد فقال له ياسيدى انه مسجون فى قصر القان هلاوون فقال شيحة أنا أطلقه منه وقام المقدم جمال الدين قاصد السراية هذا ماجرى هنا [قال الراوى] وأما ما كان من الملك محمد السعيد فانه لما أخذه القان هلاوون خاف أن يسجنه فى سجن الديوان ويتسبب المقدم شيحة على خلاصه فما كان له إلا انه سجنه فى السراية بجانب حريمه وكان الملك محمد السعيد جميل الصورة فلما بقى فى السجن فما كان له فرج إلا تلاوة القرآن فصار يقرأ فى القرآن وقد كان صوته زكى حنين وكانت له نغمات جميلة وكان للقان هلاوون بنت اسمها جوهر غالى ذات حسن وجمال فسمعت قراءته فتعلقت بمحبته فصارت تتفرج عليه كل ساعة وتمر على الطريق الذى هو فيه ثم سألت بعض الخدام عنه فأعلموها انه ابن قان العرب فنزلت وأخذته من السجن وسارت به إلى قصرها [illegible] عندها تحدثه معه وسألته عن سبب مجيئه إلى ذلك المكان فاعلمها بتمر شاة [illegible] كيف أنه أمسكه وبعد ذلك [illegible] وهذا عن أب [illegible] فقالت له اعلم ياملك ان [illegible] ثم انها قامت وأتت له بالطعام وأكلت معه وبعد ذلك

قالت له أريد أن تعلمني هذا الكلام الذي تقوله فقال لها هذا قرآن لا يقوله إلا أهل الايمان فان كنت تسلمي علمتك القرآن فمنذ ذلك أسلمت على يديه فأعطاها سبحة لؤلؤ مقدم صداقها وأزال بكارتها بعد أن عقد معها عقد النكاح وأقام عندها في انشراح إلى وقت الصباح وبقي الليل والنهار عندها ما عدا الساعة التي يكون القان مار فيها يكون هو في السجن وأما هلاوون كان غائب في الركبة ودام الأمر كذلك أيام وليالي إلى ليلة الملك السعيد قاعد مع زوجته والكاس بينهما داير وإذا بالقصر امتلى بالسلطان والفداوية والمقدم جمال الدين والسبب في ذلك أن شيحة لما قام من دار رشيد الدولة وطلع إلى السراية وفتح أبوابها ونزل أعلم السلطان بعدم العايق فطلعت الفداوية والمقدم جمال الدين أمامهم والملك الظاهر معهم فنظر إلى السعيد وهو قاعد مع بنت هلاوون وبينهما آلة الخمر فقال لولده هكذا يا سعيد فعل أولاد الملوك فقال له شيحة لما توصل إلى مدينة مصر عاتبه وأما هنا ما في كلام فقال الملك وحق دين الاسلام لابد ما أحده الحد الشرعي ثم انه أخذه ونزل من سراية هلاوون وأخذ جميع ما هناك من الذخائر وكتب للسلطان تذكرة ووضع عليها طابع ملوكي وارماها على فراش هلاوون ونزل الملك ورجاله من السرايه وطلعوا من مدينة تورين العجم وسافر بهم المقدم جمال الدين شيحة من طرقات يعرفها حتى وصلوا إلى مدينة حلب ومن حلب إلى الشام ومن الشام إلى مصر فانعقد للسلطان الموكب ودخل إلى البلاد أعظم زينة وطلع إلى قلعة الجبل وأقام على تخت مصر وأطلق من في الحبوس وأبطل المظالم والمكوس ونادى المنادي بحفظ الرعية وقلة الأذية وقعد يتعاطى في الأحكام مدة من الأيام ويحكم بالعدل والانصاف فهذا ما كان منه [قال الراوي] وأما ما كان من القان هلاوون فانه لما انهزم حكمت هزيمته على غير طريق ومازال سائر وهو يقول إذا كان قان العرب حرق ابن أخي فأنا لا بد لي إذا وصلت إلى بلادي احرق ولده محمد السعيد وأحرق عليه كبده ولازال سائر وهو ينفخ كما ينفخ الثعبان بالأرقم حتى دخل تورين العجم وقصد السجن الذي فيه محمد السعيد من شدة غيظه وما به من التنكيد فرأى كما قال القائل :

سار وا وسار الريح يندبه الثرى ... أن قلت باتوا أين مثلك باتوا

فاسأل منازلهم تجيبك يا فتى ... كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فازدا غيظا على غيظه ولطم على وجهه وانكمد ونظر إلى الأرض فوجد التذكرة فحلها وقراها وإذا مكتوب فيها من حضرة ملك الاسلام إلى القان هلاوون ملك الأعجام أما بعد يا قان هلاوون اترك ما أنت فيه من هذا الضلال ما ينوبك منه إلا الوبال كيف أنك يا كلب تعمل هذه المكيدة وأردت أن تغدر في بابن اخيك تمرشاه وترسله يدعي أنه خيالي محمد السعيد ابني بالزور والمحال حتى أن الله تعالى أظهر فيه عجائبه وأرمى كيده في نحره وانحرق هو والقمين وقضى أمثاله وهذه عاقبة أهل الكفر

والعناد ولو كنت ثبت قدامى كنت أوريك ما يحل بك أنت ومن يتبعك من الكافرين الملاعين وها أنا حضرت فى بلادى وأخذت ولدى من سرايتك وكنت أردت كنت ملكت بلادك ولكن أنا أريدلك العمل وأنت يا كلب ماتريد لنفسك إلا الخراب فان أردت أن تحقن دمك ودم عسكرك فالحال وقوفك على هذه التذكرة يرسل خراج العام الماضى وعامنا هذا الآتى وفى كل عام اربعة خزاين من المال وكلفنى أنا ورجالى مدة وصولى من مصر إلى حلب عشرين إقامة كل خمسة إقامات بخزنة فيبقوا جملة الجميع عشرين خزنة فان أرسلتهم كان الذى كان وإذا تغافلت عن إرسالهم وحق الذى علا واقتدر أركب على بلادك وأهدم سرايتك وأنشرك بمنشار وأجعلك شهرة تعتبر بك جميع الأقطار فالحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام فلما قرأ هلاوون تلك التذكره تمطى فى دقنه مزقها وقال النارغضبانة على أبناء العجم والتفت إلى الوزير ثقلون والوزير رشيد الدولة وقد شاورهم فى ذلك .

فقال له رشيد الدولة اعلم أيها القان أن العساكر الذى رأت تمرشاه ومن معه انكسرت قلوبهم فالصواب أنك تصالح قان العرب وترسل له كلما طلب وبعد ذلك تجتهد أنت فى تجهيز ركبة ثانية وأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وهذاماعندى من الكلام فقال يا وزير أنا ما أرتاح إلا إذا رأيت قان العرب قتيل .

فقال له الوزير النار تنصرك عليه يا قان الزمان فعند ذلك فتح الخزاين وأخرج المال وجمع العشرين خزنة ورتب لهم واحد طومان من طوامين العجم وأمره أن يتجهز فى مائة فارس وسلم له المال وقال له توجه بهذا المال إلى قان العرب الملك الظاهر وسلم له المال وهات لى منه ردالجواب بالتسليم وكان اسم هذا الطومان ضفور ابن راده فأخذ المال وسار إلى أن قطع بلاد العجم ودخل إلى عرب جستان وهو سائر أيام حتى بقى فى ارض الشام فمر فى طريقه على قلعة الكهف والقدموس وإذا بغبار غبر وبعد الصفا تكدر وانكشف الغبار عن حجرة دهمة كانه الليلة المظلمة وعلى ظهرها فارس جبار كانه اسد هدفر وهو غارق فى آلة حربه كانه قلة من القلال او قطعة فصلت من جبل ارقضاء الله إذا انحدر ونزل غائص فى الحديد والزردالنضيد وصاح على الطومار ضيفور وقال له انت إيش وإيش الذى معك يا عليش ومن اين أتيت ولاى شىء هؤلاء الناس الذين معك مزدقين وايش الذى معك فى هذه الصناديق قول واسرع فى الكلام والا ضربت رأسك بهذا الحسام .

فقال له الطومان هذه عشرين خزنة قادمين بها من بلاد القان هلاوون ملك ملوك

العجم الى قان العرب فلا تتعرض الى هذه الاموال وسر فى حالك ولا تطلب شيء فيه هلا كك ووبالك فما تم كلامه حتى ضربه ذلك الفارس بالحسام على وارديه اطاح راسه من بين كتفيه ومال على المائة عجمى كل الميل وكالهم كيل واى كيل واجرى دماءهم كالسيل وقتل منهم نحو اربعين وانهزموا الباقين ثم ان الفارس احتوى على ذلك المال وعاد ذلك الفارس الى قلعة الكهف والقدموس واما المنهزمين فانهم عادوا الى الملك ثوربن واعلموا القان هلاوون بما جرى على الاموال وانها لم وصلت الى السلطان فاغتاظ القان هلاوون .

فقال رشيد الدولة يا قان الزمان اعلم ان هذه الاموال ماانتهبت الا فى بلاد الملك الظاهر واما انت فقد اوفيت له بما طلب منك وارسلت الاموال فما عليك فى ذلك ملام وانما اكتب كتاب الى قان العرب واعلمه بما جرى وهو يخلص ما بمعرفته

تم الجزء الثانى والعشرون ويليه الجزء الثالث والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثالث والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال القان هلاوون اكتب يا رشيد الدولة اليه بمعرفتك فعند ذلك كتب رشيد الدولة كتاب يقول فى أوله الذى نعلم به مولانا خديم الحرمين الشريفين ملك الاسلام وخديم قبر النبى المظلل بالغمام اعلم ان القان هلاوون أرسل لك كما قلت عليه من الاموال فلما وصل المال إلى بلاد الشام طلع عليه واحد فداوى قتل الطومان الذى أرسلنا معه المال وقتل لنا جماعة كثيرة من رجالنا وأخذ المال نهبا ودخل به إلى قلعة الكهف والقدموس وحيث ان المال خرج من بلاد العجم ولا أصابه ضرر وصار نهبه فى بلاد العرب وأنت ملك العرب فيلزمك أن ترد اللصوص وتخلص مالك منهم ولا تؤاخذنا بذنب غيرنا وهذا قول خديمك كاتب الجواب خادم الركاب رشيد الدولة يقبل الاقدام ويدعى للدولة الظاهرية بدوام العز والانعام ثم ختم الكتاب وسلمه إلى نجاب وتوجه به إلى بلاد الاسلام ودخل إلى ديوان أمير المؤمنين وقدم الكتاب فأخذه منه المقدم إبراهيم وسلمه إلى كاتب الدولة قرأه ولما سمعه السلطان امتزج بالغضب وقال يكون الخراج مقبل إلى بلاد الاسلام من بلاد العجم وينهب فى زمانى ثم انه أمر تجهيز العساكر وركب السلطان واجلس ابنه محمد السعيد على تخت مصر وأوصاه بالعدل وسار يطوى فى الارض ومن غيظ السلطان سبق العرضى ولا زال ولا زال سائر حتى قرب قلعة الكهف والقدموس وإذا به نظر إلى فارس مقبل من الطريق وتعرض اليه وقال له انت ملك الاسلام الملك الظاهر الذى عملت شيحة سلطان على القلاع والحصون أنا جيتك قال له الملك وأنا اتلقيتك ثم إنه تقاتل مع الملك ساعة فضربه السلطان بشمشة ابن الحاكم وكانت الضربة على بعد فحكمت على عنق الجواد ابرته فنزل الفداوى واقفا وحط يده على نبلة أدرها فى القوس وأراد ان يضرب بها السلطان فنزل السلطان إلى الارض من خوفه على الحصان وأخذ فى الدرقة فقمز الفداوى

وركب الحصان وطلب البر والصحصحان وبقى الملك على الارض فأقبل عليه إبراهيم
وسعد فقال لهم السلطان الحقوا هذا الفداوى فاخذ الطريق خلفه إبراهيم وسعد حتى
لحقه المقدم سعد فعرف الفداوى حق المعرفة فحط يده وأخرج المقلاع ووضع فيه
رغيف رصاص وضرب به الفداوى وألحقه بالثانى والثالث حتى أدركه المقدم إبراهيم
فتقاتل معه ساعة وبعدها تقابضوا على ظهور الخيل وكان سعد يعاون فى المقدم ابراهيم
حتى أن ذلك الفداوى رأى الغلب وعلم ان سعد طيار والمقدم إبراهيم جبار فأراد
أن ينزل ويرد مضارب سعد وهو على وجه الارض ولكن سعد نزل وأخذ حصان
السلطان ولما علم إبراهيم أن حصان السلطان خاص تقاتل مع الفداوى ساعة زمانية
ونظر الفداوى إلى المقدم إبراهيم فرآه جبار فانفرد فى البر كانه ذكر النعام وعاد إبراهيم
من خلفه وهو تابع أثر سعد حتى أدرك السلطان وكان راكب على جواده ولحقهم
العرضى وسار الملك معهم حتى أقبلوا على قلعة الكهف والقدموس فضربت عليهم
المدافع فنصبوا الخيام على قدر رمى النار

[قال الراوى] وكان هذا الفداوى ظهر من اللجج وهو صاحب قلعة الكهف والقدموس
وكان اسمه المقدم منصور العقاب بن كاسى وهو جبار من الجبابرة العظام وكان فى
اللجج يفتش عن المقدم معروف فلما ظهر سار إلى قلعته ودارت به رجاله فسأل عن المقدم
معروف يا هل ترى ظهر أم لا وعن السلطنة فاعلموه رجاله بأن السلطان على القلاع
والحصون هو المقدم شيحة جمال الدين فقال لهم شيحة معزول ثم انه ركب وكان قصده
أن يدور على المقدم شيحة ويتقاتل معه ويلتقى بالمال القادم من العجم فنهبه وأدخله إلى
قلعته وركب ثانيا وكان قصده أن يروح إلى مدينة مصر ويقتل المقدم شيحة فاجتمع
مع السلطان وهو سائر بالعرضى وجرى له مع السلطان كما ذكرنا وبعد ذلك نظر إلى
عرضى السلطان حط على قلعته فزاد غيظه وكمده وقال فى نفسه إذا ما أمت الملك الظاهر
وإلا ما أكون أنا منصور العقاب بن كاسى ثم انه صبر إلى الليل ونزل من قلعته وقصد
عرضى السلطان وجاء من خلف العرضى وخطى الخيام حتى وصل إلى صيوان السلطان
وجاء إلى ظهر الصيوان وقطع [illegible] ودخل فوجد السلطان نائم على ظهره ووجهه إلى
سقف الصيوان وهو يشاهد [illegible] فحط يده على شاكريته وهم أن يضرب
بها السلطان فتيقظ الملك [illegible] فى اللات العشرة الدمشقى فلقاه إلى الشاكرية
فجاءت الضربة فى اللات وصاح عليه السلطان فانتبه المقدم إبراهيم والمقدم سعد ودخلوا
على السلطان من باب الصيوان فخرج الفداوى من محل دخوله فوجد جواد السلطان

الابيض القرطاسى مشدد ملجم فقبض على ظهره بعد أن كسر قيده وطلب البر قاصد قلعته ولما دخل إبراهيم وسعد على السلطان قال لهم أنتم اللذين تزعمون انكم غفراء فى بيتى واقه ما يحفظ الخلق إلا الخالق واغتاظ السلطان فبينما هو كذلك وإذا بعثمان دخل عليه وقال له يا قمدى ان الرجل أخذ الجواد القرطاسى وركبه ولم قال لى خاطر فقال السلطان أى رجل يا اسطى عثمان فقال له عثمان الرجل الذى ناوى على قتلك وربنا قدر ولطف ولكن وافقت له الذى أكبر منه والولد ولدزنى منه قال السلطان إبراهيم قال إبراهيم نعم قال له إن قابلتنى من غير حصانى والله أرمى رقبتك فقال المقدم إبراهيم الحق فى يدك يعنى هذا المعرص ما أراد بكايدنى إلا بسرقة الخيل سر بنا يا سعد ثم ساروا الاثنين تابعين الغريم حتى خرجوا من العرضى وبطنوا فى الطريق وكان الزمان زمان شتاء فنزل عليهم المطر مثل أفواه القرب فقال سعد والله يا ابن الخالة ان هذا المطر لم نقدر نمشى فيه ولا لنا صبر على ذلك وإذا ابتلت حوايجنا فى هذه الليلة فان البرد يقتلنا والبرد أساس كل داهية فسر بنا ننظر مكان يأوينا من المطر ثم انهم دخلوا فى كهف تحت جبل يتداروا فيه والمطر شغال فقال إبراهيم يا سعد إذا قعدنا نخاف أن يدركنا اليوم فيدخل وحش والا سبع بكسر واحد منا وهو نائم هل تعرف حكاية نتسلى بها على النوم

فقال سعد والله يا أخى جرت على عبارة مثل هذه العبارة فى أيام المقدم جمر أبو معروف وكان أبوك وأبى فى خدمته وكان المقدم أسد الدين دعى عليه ومن جملة ذلك انه تقاتل معه فى الليل وهو سائر فسرق حجرته فحكم عليهم المقدم جمر انهم لا يروه وجوههم إلا بحجرته مثل ما جرى لنا نحن فى هذه الليلة فخرجوا من قدامه ليلا فنزل عليهم المطر فدخلوا إلى كهف مثلنا فخرج عليهم عفريت من داخل الكهف

فقال المقدم ابراهيم بطل يا سعد أنا ما أريد هذه الحكاية لانى أكره العفاريت فبينما هم كذلك وإذا بصائح صاح عليهم من داخل الكهف وقال يا انس انتم ايش الذى جاء بكم إلى هذا المكان وهو مسكن الجان فلجلج ابراهيم فقال سعد يا هذا نحن ما دخلنا إلا لما ضرتنا المطر ونريد منك أن تسامحنا

فقال لهم وأنتم من تكونوا فقال له أنا سعد وهذا المقدم ابراهيم خادمين الملك الظاهر

فقال لهم وايش الذى أخرجكم فى هذه الليلة فاحكوا له على ما جرى فقال لهم انتم طايعين شيحة أو عاصيين عليه فقال له سعد نحن طايعين فعند ذلك خرج عليهم

بوجه احمر وفم مشقوق الى فوق بانياب بارزين من فمه واسنان كالكلاليب خارجين
من فمه وقرنين طوال ورجلين تدق على الحجر كدق الحديد على الزبرة وبقى يجرى
قدامهم ورجليه تدق فى الارض فقال ابراهيم ياسعد اما انت شايف هذه الداهية الذى
ظهرت لنا فقال له سعد يااخى وايش قادرين تعملوا فقال ابراهيم غوث ياساكن حلب
وانكب على وجهه فقال سعد يالطيف اللطف حديد قصدير سبعة معادن وقد ندموا
على دخولهم الى ذلك الكهف فقال ابراهيم ما ينفعنا الندم يا سعد نسأل الله تعالى يسلمنا فى
هذه الليلة الله أعلم ان هذا عدو شيحة وانت قلت له نحن طايعينه يريد ان ينتفع منا فقال
سعد يا اخا الجان انت ايش قصدك تفعل معنا فقال له ما قصدى شيء لاتخافوا وإنما
الملك الاحمر ضعيف ووصفوا له الحكماء اثنان من الانس يكون احدهم سمين والثانى
رقيق وها انا رأيتكم نعم المقصود فقال له إبراهيم نحن الاثنين سوى فقال ان الملك كل ليلة
يأخذ واحد يعمله مسلوقة فواحد منكم يقوم معى الآن والثانى يبقى هنا فى الليلة القابلة
فقال إبراهيم يا سعد قوم أنت الليلة وأنا الليلة الثانية فقال له سعد قوم انت سمين
حتى يتمرق عليك الملك الاحمر لانه ضعيف وانا فى غد فقال ابراهيم يا سعد نعمل
قرعة بيننا فقال ذلك المارد لا أريد منكما الا السمين اولا فقال ابراهيم انا مستجير
برسول الله ﷺ فى هذه الليلة فقال لهم المارد انتم ما سمعتم الذى هو سمين فيكم يقوم
معى فبقوا الاثنين خايفين فعند ذلك ضحك ذلك المارد وقال لهم تكلموا قبل فراغ حجكم
فقال له سعد يا ملك العفاريت الله يطيل عمرك احنا ما بقى فينا احد يقدر على الكلام واعلم
لوان احدنا سمين والآخر هزيل لكن بقى بدننا مسموم لان الوهم هذا يسم البدن
وتغيرت قوتنا فقال المارد إذا ذبحكم ورآكم ما تنفعوه يرميكم ويأمرنى انتش له على غيركم
فقال ابراهيم لو فتشت هذا الوقت على غيرنا من قبل موتنا حتى تأتى باثنين ينفعوه احسن منا
فاننا والله عادمين فقال لهم إذا كنتم ما تروحوا معى كلوا من هذا الرجيع وانزل قدامهم
ربع الجمل فقال إبراهيم ليلة ميشومة من اولها فقال فتقدم سعد واخذ على صباعه وشمها واذ
بها رائحة زكية فأكل منها فوجدها حلوة ميمونية بالعسل النحل والسمن القرى فقال
سعد هذا رجيع طيب الله يلمك بيطنك ياشيخ العفاريت حتى تكون هكذا دائما تستنفع
منك المسافرين وكان هذا العفريت هو المقدم شيحة جمال الدين وهذه من جملة حيلته
ونرجع بالكلام الى المقدم منصور العقاب لما ركب حصان وسار طالب قلعته فمطرت
السماء فقال اما فى هذه الليلة اغتنم الفرصة من كل ماكان من دولة الملك الظاهر لان هذا
المطر يملخهم وانا اقليهم ثم انه مال بالحصان الى ذلك الكهف كان قصده ان يبرك هناك

الحصان ويعود إلى مرضى السلطان فكان المقدم شيحة تابع أثره فى البر حتى دخل إلى ذلك الكهف وأرمى عليه دخنة بنج ولما حضر المقدم ابراهيم والمقدم سعد علم أنهم أتوفى طلبه فتمنيك عليهم كما ذكرنا وقال لهم فى آخر كلامه أنا مقيم هنا من طرف المقدم شيحة الذى يكون طايع له أساعده وأخدمه وأما من كان عاصي عليه أقبض عليه وأرسله له فقال سعد نحن طايعين ومنصور العقاب عاصى وقد أخذ حصان السلطان ونحن أتينا فى طلبه فقال لهم ها أنا أجيب لكم حصان السلطان ومنصور العقاب سلموهم إلى السلطان وإذا اجتمعتم بالمقدم شيحة سلمولى عليه وقولوا له إن مشدودك قشقش بن دهنش يسلم عليك وأنتم ادخلوا الغار تجدوا حصان السلطان والفداوى فدخلوا الاثنين فوجدوا الحصان ومنصور العقاب ممدود على الارض كانه النخلة السحوق فقال إبراهيم قيموا على الحصان ياسعد لكن هذين الاسمين انت خذ واحد وأنا الثانى فقال له سعد أنا أخذت قشقش وأنت خذ دهنش وصاروا حتى وصلوا قدام السلطان وكان قد طلع النهار فنظر السلطان للمقدم إبراهيم والمقدم سعد والحصان معهم فسألهم عن الخبر فاعلموه بالعفريت فأمر السلطان بقطع راس منصور العقاب لكونه انه تجارى على نهب خزائن السلطان أولا وثانيا وتعدى على السلطان وجذب فى وجهه السلاح وثالثا كبس فى الليل محل السلطان وأراد قتله فهذا يقتل فأرماه المقدم إبراهيم فى نطعة الدم وأخذ الاذن لكن بعد ما فيقوه وهدده الملك الكلام فوجده عرق لا يلين فقال له المقدم ابراهيم ياملك الزمان قلعة الكهف والقدموس من قدامه والمال كله فيها الذى أخذه منصور العقاب كان الملك اقطع راسه واترك الفضول قال إبراهيم سمعا وطاعة ثم انه أقعد المقدم منصور العقاب من كامى وأخذ الاذن ثانيه فقال الملك اقطع رأسه يا إبراهيم فقال إبراهيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انه أنشد هذه الابيات

من لعب الثعبان فى كفه ... علمت ما يأمن من لدغته
ومن عاشر الجاهل على جهله ... فلابد أن يقع فى حفرته
من أعلم الناس على سره ... قد زحزح الناس عن [illegible]
من عاند السلطان فى حكمه ... أضحى قتيل السيف من [illegible]

[قال الراوى] ثم المقدم ابراهيم اراد ان [illegible] المقدم منصور لانه من اهله على كل حال فصار [illegible] صاحب [illegible] اذا بباب الديوان انسد والمقدم شيحة قادم فصاح [illegible] ارجال فقال

المقدم إبراهيم الحمد لله يا مقدم جمال الدين يسلم عليك شيخ العفاريت قشقش بن دهاش
فضحك المقدم شيحة من كلامه فقال السلطان ايش يكون دهاش فأحكى له المقدم إبراهيم
على جميع ماجرى فقال شيحة يا مقدم منصور أنت رجل وإذا كنت مرادك أن تحاول
على اخذ السلطنة ايش الذي أغرك على أخذ مولانا السلطان وتعديت على [illegible]
وأردت قتله قال له منصور أما مال السلطان موجود إذا كان نقص [illegible] شيء وأنا الزمه به
وأما تعديتي على السلطان من جهلي فان هو قدر أن يكون [illegible]
فيكون قد قدر وعفى ومثله من يعفو على الجاني فقال السلطان لابد من حضور المال
الذي أخذه حالا قال شيحة ضمانه على ونرجو من فضل مولانا السلطان أن يصفح عنه
ولكن يا منصور ايش قولك في الطاعة فقال منصور يا شيحة القلاع [illegible] منصور [illegible]
إلا أنا وتريد أطيعك من وسط الدنيا وهذا [illegible]
وإياك وإن غلبتني أطعتك يا شيحة [illegible] قال شيحة وهو
كذلك فقال السلطان رضيت يا مقدم جمال [illegible] رضيت قال السلطان [illegible]
الذي نهبه فقال منصور أنا احضره حالا [illegible]
طلع إلى قلعته وحضر جميع المال وسلمه إلى [illegible] خزندار [illegible]
بعد ذلك العساكر بالرحيل إلى مصر [illegible]
السلطان مرحبا بك يا شاعر المتمم منصور [illegible]
موكب السلطان ووصل الرقا [illegible]
بالعدل [illegible] عدم الاذية [illegible]
ومعه كتاب من أمين مدينة حلب [illegible]
السلطان ان [illegible] حلب [illegible]
خاتمين من ملك سيس أن يهجم [illegible]
وباشة حلب [illegible]
باشة حلب تساوي مع بعض التجار [illegible]
التجارة فطلعت [illegible]
وأعلمه [illegible]
الظاهر فاغتاظ ملك سيس [illegible]
ويتحايل على سرقة الباشة [illegible]
السلوك وصبر إلى أن طاح الليل [illegible]

وحضر بين يديه هدده بالقتل وقال له أنا لا أخاف من ملك الاسلام ولا من غيره وأقام بندبرة المصيان وكذلك المدينة كانت فى تلك المدة بها أتباع من اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص فلما نظروا الى ذلك الامر فعادوا الى حلب واعلموا أهلها بذلك فكتبوا كتاب الى السلطان ولما سمع السلطان اغتاظ وكان المقدم جمال الدين مقيم عنده فقال يا ملك الاسلام لاى شىء تغتاظ وأنا والمقدم منصور العقاب كل منا يسعى فى أخذ سيس والقبض على ملكها وكل من قبض على ملكها فى سيس وأحضره بين يديك فتكون السلطنة له والآخر يتبعه ويكون من رجاله فقال له منصور الآن خرجت منك السلطنة يا ممرص أنا اذا أرسلت جزمتى تفتح سيس وتأتى معى فقال له شيحة روح الله ينصرك فقال له يا شيحة أنا منصور كما اسمى منصور ثم ان المقدم منصور العقاب سار من قدام السلطان وطلب مدينة سيس وأما الملك فانه أمر برحيل العساكر فأخذت هيئتها للرحيل وبرز السلطان المدلية وعمل مولد سيد المرسلين وثالث يوم ضرب مدفع الى الجبل فساروا ولا زالوا سائرين بالعرضى يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى أنه قدم على مدينة سيس فخرجت عليه المدافع من الابراج والاصوار فنصب الملك العرضى على بعد مقدار رمى النار ولما جلس الملك بالعرضى أراد ان يكتب جواب الى ملك سيس ويرسله مع المقدم ابراهيم مثل العادة هذا ما كان من السلطان [قال الراوى] وأما ما كان من المقدم منصور العقاب فانه وصل الى مدينة سيس ليلا وأراد ان يدخل فى الليل بالمفرد فرأى السور عالى فدار حولها حتى أتى الى برج من خلف البلد وسار تحت الليل طالب محل الملك فى سيس ولما وصل اليه رأى راهب مقبل حامل طبق وفوق ذلك الطبق فطيرة بالسمن والعسل النحل وهو سائر قاصد الى محل مبيته فتبعه منصور حتى دخل محله ووضع ذلك الطبق بين يديه واراد ان يأكل واذا بالمقدم منصور العقاب دخل عليه فقال له البترك انت من أين فقال له منصور أنا شيطان نزلت هذا الوقت من الهوى فقال الراهب الشىء لله دستور يا عزازيل هذا أكل وأنت أخبرتنى أنك أبو مرة اللعين والشياطين لا يأكلان الا من أناخ الطعام فان كنت تأكل قدم كل فتقدم المقدم منصور وقال الشياطين ما لهم رزق وطبق الفطيرة بيده وفتح حنكه رمصع فمال الى الارض فكتفه وطلع الى البب فى سيس وقال له يا اب انه جاءنى رجل يدعى انه شيطان فقبضته وهو مسلم مراق فقال له البب دانه الى بين يدى فقدمه بين يدى فاراد ان يقتله فقال له الراهب يا اب اسجنه حتى يطلع النهار فأمر بسجنه هذا ما جرى لمنصور العقاب وأما ما كان من السلطان لما حط على سيس التفت الى ابراهيم وقال له يا مقدم ابراهيم هذه

البلاد أنت الذى ملكتها أول مرة بالسيف وأريدك فى هذه النوبة تجتهد فى فتحها بين يدى حتى أشهد لك بها فقال إبراهيم سمعا وطاعة وأخذ سعد وقام وإذا بالمقدم معروف ابن جمر مقبل وهو مذهول ودخل على السلطان ففرح به وقام له وأجلسه وسأله عن سبب قدومه فقال له أنا دابر على ولدى عرنوس ولم أعلم كيف حاله فقال السلطان لا تخاف عليه وإنما يا أخى لما افتح هذه البلد سيس ولما يكون دخولها وإن شاء الله يدبر الفرج ويجعل لنا من كل ضيق مخرج فبينما هم فى الكلام وإذا بالطعام قد حضر فأكل الملك وأكل معه المقدم معروف وبعد ما أكلوا وصلوا وافر يضتهم ثم ان المقدم معروف سأل السلطان عن سبب عصيان فرنسيس مع انه كان طائع فحكى له السلطان على باشة حلب والتاجر وطال بينهما الحديث والكلام وأما إبراهيم وسعد لما وصلوا إلى سيس فنظروا بالبعد منها دخان فقال إبراهيم ياسعد هنا واحد طبخ فى الليل سر بنا حتى نشوف ايش هذا الدخان ثم انهم صاروا حتى قربوا منه فنظر المقدم إبراهيم الى رجل مغربى طالق البخور على فحم وقاعد وهو يقرأ على العزيمة ويقول أقسمت عليكم أيها العمار الساكنين فى الأراضى والاقطار أن تجمعوا كل درهم ودينار وتأتوا به إلى هذا المكان والقرار والا وحق الملك الجبار احرق اسماكم بالنار وأسلط عليكم عذاب الملك القهار هيا هيا يا عمار اجمعوا مافى الكنوز والمطامير هيا اسرعوا فى قدومكم إلى عندى بحق الملك الكبير فنظر إبراهيم وقال ياسعد انظر هذا المغربى الذى قصده أن يأكل مال الدنيا وحده والله إن كان مايشاركنى اعلم به الملك الظاهر ثم تقدم اليه وقال له السلام عليكم يامغربى فقال له الله الله يقرب عيدك ويشرف الثانية ماتقول ياحاج لأنى أنا حاج بيت الله فقال له إبراهيم ياحاج ايش عمال تعمل هنا قال له المغربى أريد أن افتح كنزا فقال إبراهيم ايش فيه قال المغربى فيه الأموال قال إبراهيم وإن طلعتها على ايش تحملها فقال له الله تعالى يرزقنى بالرفيق الذى يساعدنى فى حملها فقال ابراهيم أنا أساعدك وأكون شريكك فقال له المغربى اقعد اشغل انا وإياك فقال ابراهيم اقعد ياسعد فقال له المغربى واحد ينفخ على النار وواحد يرمى البخور وإذا بالاثنين ينجو او خلع الملك فرانسيس والله قبضت على اثنين مراقين دزل معهم باب السرفرآهم عرفهم فقال هذا ابن الدورانى ورفيقه فادخلوهم الى السجن وقيدهم بزنكهم فنظر المقدم ابراهيم فرأى المقدم منصور العقاب فقال له يامنصور اتيت تأخذ السلطنة والله ماأسمع الا قهار اذا كان الظاهر من حرا وشيحة من برة ايش تكون لك سلطنة فاغتاظ المقدم منصور من كلامه فبطقه عاقر فى قيده كسره ونظر فى السجن فرأى شباك فاتكا على خلعه وخرج منه ردى

روحه الى الارض بالقضاء والقدر حكم بزوله الا فى هارب البلد وكان ذاك الهارب نافذ الى برا البلد فنظر منصور العقاب فرأى نور تبعه حتى طلع فى آخر الهارب لكن بعد جهد جهيد وحكم طلوعه قدام عرضى السلطان فنظروه الرجال وضحكوا عليه وأخذوه الى قدام السلطان فضحك عليه وقال له انت قلت تفتح سيس والا تفقح هاربها فقال يا مولانا القضا أرمانى بما رأيت فقال له روح غير ثيابك فاندار ليغير ثيابه فرأى تذكرة بخط المقدم شيحة جمال الدين يقول فيها يامقدم منصور وانت هربت من السجن والاسم الاعظم ان لم ترجع للسجن ثانيا فما يكون لك عندى الاسلخك كاسلاخ الادعية فقال منصور ايش هذه البلية ودخل فى قلبه وهم وما كان منه الا انه عاد الى سيس وأراد أن يدخل مثل ما خرج فلم يجد له مدخل فضاق صدره فصاح يا مقدم شيحة دلني من أين أدخل فسمع صوت يقول له انبعنى فتأمل واذا بغلام سائر قدامه فى باب سرداب فسار خلفه حتى دخل منه فدخل المقدم منصور خلفه فما طلع الا من الشباك الذى نزل منه فدخل فرأى المقدم ابراهيم والمقدم سعد فقعد وهو ساكت على مضض وأما المقدم جمال الدين فانه طلع الى فرسيس وقال له يا بب انه بقى الآن عندك ثلاثة من كبار المسلمين وأما مرادى ان ادخل الى الكنيسة واطلب من المسيح لعله يوقع فى يدك باقى اللصوص وبعد ذلك ادخل الى الكنيسة واقرأ لك شرح بواص وابخر الكنيسة لاجل نزول الحواريون لعله ينزل من جملتهم الحيارى مخطفون ويأتى لك ببقية اللصوص المسلمين كما ذكرت لك فقال له فراسيس يا ابونا خذنى معك فقال له يا بب ايش المقصود فقال له أريد اتفرج على الحواريون فقال له الراهب اذا اردت ذلك تمكن وحدك ولم يكن احد معك فقال له طيب فاخذه معه ودخل الكنيسة وصرف كل من فيها واطلق البخور فتبنج فرسيس وبعد ذلك كتفه وتركه وطلع الى الاسوار نبج الطبجية وعمال المدافع وذبح الحراس وكتب تذكرة ورماها قدام صيوان السلطان فاخذها على ابن الشيام وقدمها الى السلطان فقرأها واذا فيها من حضرة المقدم شيحة الى ملك الاسلام

اعلم ان باب البلاد مفتوح والقفل مكسور لاقدامك عايق يمنعك دون ذلك والجهاد فى طاعة [illegible] فصاح [illegible] فحصلت متون السروج أربابها [illegible] حتى وصلوا الى الباب [illegible] يقول [illegible]

أنا ملك الاسلام من فاز بالذكر | أنا الظاهر المنصور من شيم الغدر
أنا خادم قبر النبي [محمد] | حقيقا قاطعا ملة الكفرى
أخوض لقاء الحروب بهمة | واقتحم الهيجاء بالبيض والسمرى
أنا ترس قبرا لمصطفى أشرف الورى | نبيء أتى بالبينات وبالذكرى
وتحتى جراد أدهم شاع ذكره صبـ | ـور على الأهوال فى موقف الكرى
ولباديس قنطرية قد ملكتها | عليها سنان ماضيا يحرق الصدرى
ولى عشرة أرطال دمشق محكما | ولى نمشة ابن الحاكم مقدمة الذكرى
وخدمت سباع الحصون لأنهم | ابطال اللقا فى اللقا ذو اليثرى
وساهى أيمنى سبع حوران مابه اذلا | ت ملوك الكفر فى السهل والوعرى
كذا سعد ساعدنا وبالله نسعد | واسعدنا الرحمن بالعز والنصرى
وشيحة جمال الدين لم انسى فضله | بلغت به الآمال قد شد لى ازرى
فيارب تنصرنا بجاه [محمد] | نبي الهدى من جاء بالفتح والنصرى

[قال الراوى] وتقدم السلطان وضرب بالسيف اليمانى وجاهد فى اهل الكفر والطغيان فعند ذلك برز المقدم إبراهيم ونادى الله أكبر فتح ونصر واخذل من كفر بالدين المصطفى سيد البشر وانشد يقول صلوا على الرسول :

وإذا ضاقت مجالات البقاع | وحكم السيف فى يوم القراع
اجيكم فوق حجرة سلخطاية | كنمر نافر بين الضباع
ولى فى وسط كتفى شاكرية | تشط الراس شطا والصباع
خدمة الظاهر المنصور حقا | بهيبته علوت وطال باع
اذا ما اضرمت نيران حرب | اخوض عجاجها وسط الشعاع
ولم أخشى إذا كثروا الأعادى | واقتحم المداين والقلاع
وكم اهلكت جبارا عنيدا | وكم ارديت فى حرب شجاع
كلاب الكفر دونكم وحربى | فكم فرقت بعد الاجتماع
سيف حده سبل المنايا | ورمح يلتوى لى الاتباع
انا ابراهيم من حوران نسبى | ابى مقدمها حسن الشجاع

وبعده صاح المقدم سعد بن دبر وقال الله أكبر وانشد يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

انا سعد الفتى رد المدرع | اخوض الارض بالاقدام ساع

واقتحم الهجاء ولا ابالى ... وكم اورديت من بطل شجاع
بسيف كان من عهد ابن عاد ... يدارى الراس من ألم الصداعى
ورمح كل ما هزته كفى ... يلوح سنانه مثل الشعاع
خدمة الظاهر المنصور جهدى ... بقلب صادق حسن الطباع
كلاب الكفر هيا والتقونى ... فانى فى سبيل الله داع
انا ابن دبل وسعدى قد تناهى ... بعون الله عزنا وارتفاع
اكون فى محل الهجاء شهيدا ... فهذا نعم قصدى وانتفاع

[قال الراوى] وزحفت هؤلاء الثلاثة ابطال وطلبوا الحرب والقتال وخاضوا فى بحر الاهوال فنظر المقدم معروف بن جمر إلى ذلك الحال فاشتاقت نفسه إلى سوق الحرب والمجال فقفز على ظهر حجرته كالأسد الريبال وجذب سيفه ذات الحيات فلمعت فى يده كنار الاشتعال وترسم وقال الله اكبر وانشد يقول صلوا على الرسول

طالب القتل ونار الحرب مستعر ... ولا يخبا بجنب المهر الامرا
يا عصبة الكفار دونكم وحملتنا ... تحت العجاج إذا الحسام جرا
اناالذى شاع ذكرى فى الحروب وقد ... دا هلكت بالسيف من بالله قد كفر
اخوض بحر المنايا كلما حكمت ... وضارب الهندى على الخودة والطبرا
ادعى بمعروف والابطال تعرفنى ... ووالدى جمر من فاق الورى قدرا
كم لى حروب ووقفات مؤرخة ... عند الملوك مع السادات والامرا
سيفى يسمى بذو الحيات شيمته ... قطع الجماجم والهامات والصدرا
اهزم جيوش العدا فى حملتى كلما ... ومن دماءهم ادوى الصارم الذكرا
ثم الصلاة على ازكى الورى شرفا ... طه الذى جاء بالقرآن والبشرى

[قال الراوى] وزحفت عساكر الاسلام على ابواب سيس باهتمام وغنى الحسام وطال الخصام وفلق الهام وقل الكلام واشتد الزحام وزادت نار الحرب وقود واضطرام فلا بقيت للسيف إلا الرنين ومن الزحام الطنين ومن الرجال الانين ودماغ طاير ودماء فاير وجواد بصاحبه غاير وتفرقعت المرائر وكانت وقعة يالهامن وقعة تجلى عليها الملك القادر فبينما الملك يقاتل والاسلام خلفه تقاتل فى الاعداء وإذا به يسمع فى صوت المقدم جمال الدين وهو يقول ادركنى يا ملك الاسلام وكان الملك الظاهر فى هذه الساعة تمكن من البلاد وزاد عليه من الكفار العدد وهو يرمى الرؤس كالكور

والا كف كاوراق الشجر فما أمكنه أن يلتفت وكان المقدم جمال الدين فى هذه الصورة وهو ينادى يا معشر الاسلام جودوا الضرب بالحسام فى اعناق الكفار اللئام من عاش عاش سعيد ومن مات مات شهيد واما الملك الظاهر دام فى حملته إلى أن أهلك الكفار وذاقوا منه البلا والبوار وطلبوا الأمان فرفع عنهم سيف القتال وجلس الملك على تخت سيس ثم بدا منصورا وكان ابراهيم وسعد ومنصور العقاب لما خلصوا أمرهم شيحة أن يحتاطوا على فرسيس .

فلما أوقفوه قدام السلطان قال له يا ملعون أين المقدم جمال الدين فقال فراسيس أنا كنت مسجون ولم نعلم بما جرى فامر له السلطان بالسجن واقام السلطان يتفكر فيما جرى على المقدم جمال الدين فقال فى نفسه أقول ما أخذه إلا منصور العقاب لأجل العداوة التى بينهم ثم انه صبر ولما جن الليل سأل المقدم ابراهيم بن حسن وقال اقول ان الذى أخذ شيحة هو منصور العقاب فقال ابراهيم ما يصحش انه يغدره والغدر عيب عند الرجال فقال السلطان لابد من مسكه واسأله عليه فقال ابراهيم يا ملكنا وانت إذا أردت أن تأمر بمسك المقدم منصور العقاب فما يرضى يسلم نفسه وإنما ياملك إذا أمرت بمسكه فقريب فقال له السلطان صدقت

ولما كان عند الصباح واجتمع الديوان قدام السلطان فقال الملك يا مقدم ابراهيم يعنى سلاحك اثقل أم سلاح المقدم منصور أثقل قال ابراهيم سلاحى أنا اثقل قال له منصور كذبت ياابراهيم فقال له السلطان أنا أرزن سلاحكم هات ياابراهيم سلاحك فقلع ابراهيم سلاحه ووضعه قدام السلطان فعند ذلك قلع المقدم منصور سلاحه فقال هذا سلاحى وقلع جميع سلاحه ووضعه قدام السلطان وقال ياابراهيم أنت سلاحك بطال خذه واما سلاح المقدم منصور اثقل من سلاحك البس انت سلاحك حتى أنظر فى أولاد اسماعيل من له سلاح يضاهى سلاح المقدم منصور فلبس ابراهيم سلاحه فقال له السلطان امسك منصور فهجم ابراهيم وسعد وقبضوا على المقدم منصور وهو لا يعلم إيش الذى جرى فقال منصور على إيش هذا يا ملك الاسلام هى خونة فقال السلطان طالب منك المقدم جمال الدين أين هو

فقال وإيش الذى جرى بينى وبينه حتى تتهمنى به فقال له السلطان لا عندى غريمى فيه إلا أنت ولا له عدو غيرك فقال المقدم منصور والاسم الاعظم أنا ما سرقته ولا قبضته ولا سلط عليه ولا أعلم بالذى أخذه منه ولا أعلم له مكان فقال له الملك لو تحلف بألف يمين ما أصدقك أبدا ولالك خلاص من قدامى إلا بشيحة فقال المقدم معروف

للسلطان يا ملك الاسلام صدق يمينه فان بنو إسماعيل لا يحلفون بالاسم الاعظم كذب وإن كان يحصل من واحد منهم فانه مهروق الدماء ويقتل ولا دية له وهذا حلف قدام بنو إسماعيل وسامعين كلنا يمينه وإنما يا ملك الدولة اطلقه يدور على المقدم شيحة وضمانه على أنا

فقال السلطان يامقدم معروف انت إذا ضمنته وكان خاين فما يكون العمل وايش نعمل فيك أنا وأنت أعز المحبين عندى فقال له المقدم معروف يا ملكنا لا تأخذ البرىء بالسقيم والاسم الاعظم إذا كان يمينه كذب أول من يضربه بالسيف أنا وإنما يا ملك الدوله اطلقه ليدور على المقدم شيحة بضمانتى وأنا يامولاى ضمانى عليك ونحن كلنا رجالك وتحت حكمك

فقال السلطان وهو كذلك اطلقوا المقدم منصور النقاب فأطلقوه وأعطاه عدته وسلاحه فطلع المقدم منصور يطلب البر وهو يقول ياهل نرى أين راح شيحة فى هذه النوبة ولكن المولى إذا أراد يسعد شخصا نهيأ له من حيث لا يحتسب فبينما هو سائر وإذا به نظر إلى مراح غنم وراعيها سايق الغنم وهو يغزل فى الصوف فتأمله وإذا به واحد عايق يقال له شاجر الابرميل وهو من عياق بخاير يغيره وله من الصياغة مكانا عظيما فلما رآه وكان يعرفه من قديم الزمان فقال له أنت فى أى مكان كنت يامقدم شاجر لى زمان ما رأيتك فقال له شاجر وهو يتأمله إن كنت ياسيدى فى الاول عايق كما تعلم وفى هذه الايام بطلت الصياغة واشتريت هذه الاغنام أبيع صوفها وأقتات من لبنها حتى أقضى ما بقى من عمرى فقال له هل تعرف أين راح المقدم شيحة قال لا أعرفه ولا أعرف الذى سرقه فقال له ياملعون ومن الذى سرقك أنا سرق ومد يده قبض على خناقه وقال له والاسم الاعظم مالك خلاص من يدى إلا إذا أعلمتنى بالمقدم شيحة ثم انه ضربه وكتفه ولا يزال يضربه فيه الضرب الذى لا مزيد فيه فلم يقر مطلقا فجابه إلى بير حيان بالماء وكتف يديه وعراه من ملبوسه وربطه بسرباق من رجليه ودلاه فى قلب ذلك البير برأسه وصار يغطسه ويرفعه حتى أشرف على الهلاك فلما رآه على تلك الحالة قال له ياشاجر أنت تظن أن عادم [illegible] على شيحة بخلاصك منى وهذا شىء لا [illegible] تأتينى بصحيح الخبر من المقدم جمال الدين فلا أطلقك أبدا فقال له شاجر [illegible] منصور فقال له [illegible] أخبرنى [illegible]

المقدم منصور والاسم الأعظم اذا حكيت لى بالصحيح أسيبك من يدى ولم افعل فيك شيء ولاأضربك بسلاح فقال له اعلم ان شيحة محبوس فى بحيرة يغرة عند ابونا الراهب جوان فقال له المقدم منصور ومن اوصله الى بحيرة يغرة مع انه كان على سور سيس فقال انا الذى أخذته من على السور والسبب فى ذلك أنى خطبت بنت للبطرق لوقا فقال لا يكال اكليلها الا جوان فأحضرت جوان فقال لى قبل ما أكال لك اكليل زهرة المسيح اسرق لى شيحة المسلمين فاتيلت ورأيت شيحة على السور طامت فبضته وسلمته الى جوان وكال لى اكليل زهرة المسيح وعملت لها جناقة وبعد ذلك امرنى جوان اسرق رين المسلمين حتى يمنتره مع شيحة فانى عملت مسلم حتى عرفتنى انت وقبضتنى وعن ما كنت عزمت عليه عوقتنى فقال له منصور ياملعون وكأنك ما كفاك سرقة شيحة حتى اتيت لتسرق السلطان فقال انا ياسيدى ما حلفت انى اقول لك بالصحيح تسيبنى قال له منصور نعم وها أنا رايح أسيبك ثم انه ارخاه فى البير على رأسه وسيبه فى البير بعد ما عرف انه قضى عليه ولبس ثيابه وفيرزيه وبقى فى صفة شاجر البرميلى وتم سائر الى بحيرة يغرة ودخل على جوان فنظر اليه جوان وقال يابرتقش ان شاجر البرميلى تغير وأما هذا منصور العقاب فقال له البرتقش صدقت ياجوان وايش مرادك ان تفعل وهذا رجل جبار فقال جوان لابد من القبض عليه وقتله مع شيحة سوى فى يوم واحد فلما دخل المقدم منصور قال له جوان تعال يامقدم منصور شاجر انت رجعت بالعجلة من غير الذى رحت من شانه فقال له ياابونا أنا مالى شغل مرادى أقبضه وبعد ذلك أروح الى رين المسلمين وما أعود الا به فقال له جوان اقعد ارتاح فقال منصور ايش ارتاح انا مرادى أشتفى من شيحة قبل ان اروح الى رين المسلمين فقال له جوان ادخل فدخل المقدم منصور الى محل السجن فرأى المقدم جمال الدين فعرفه وعرفه بنفسه وأراد ان يفكه واذا هم بدخنة بنج تبنج منصور العقاب وشيحة سوى وكان الذى ارماها هو جوان وأراد ان يفيقهم حتى يشتفى منهم واذا بدخنة ثانية تبنج جوان والبرتقش وكان الذى أطلقها محمد السابق وقبض على جوان وأطلق ابوه والمقدم منصور فطلع المقدم جمال الدين الى بطرق بحيرة يغرة قبضه وعرض عليه الاسلام فأبى ان يسلم فذبحه وكذلك بنته أخذها منصور العقاب وذهب كل ما كان عند البطرق لوقا وأخذ جوان والبرتقش وطلع بهم من بحيرة يغرة ودخل به الى مغار وضربه بصوت المقدم [illegible] وتركه وتوجه شيحة والمقدم منصور الى [illegible] سيس ودخلوا على السلطان [illegible] بقدومه [illegible] جمال الدين [illegible] وسأله عن ما جرى [illegible] على شاجر وما فعل معه منصور العقاب ودخوله

إلى بحيرة بغره وقبضه وخلاصهم على يد السابق والذى جرى فقال السلطان والمقدم منصور طاعك فقال منصور يا ملك الدولة أنا ما أعصى على شيحة فعندذلك قال المقدم معروف يا سلطان الحمد لله ان منصور العقاب طلع برىء من التهمة والمقدم شيحة خلص وأما بقى قصدى أدور على ولدى وأنا مالى بقى صبر أكثر مما جرى لى فقال المقدم معروف شيحة يا مقدم معروف ابنك لا تخاف عليه فانه فى حصن السنجق عند الراهب بتركين فقال المقدم معروف يامقدم شيحة وإيش الذى أوصل ولدى إلى حصن السنجق حتى أخذه ذلك الملعون وسجنه عنده [قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن الملك عرنوس ركب إلى الصيد والقنص وهو يدور فى البر والخلا حتى طلع عليه الحر وهو حر عليه البر فأقبل على دير السنجق وهو قريب من الحصن فنزل بجانب الدير وأراد أن يستظل بحيطانه وكان فى قلب الدير بنات ذلك الحصن يتبركون بالدير وكانت بنت البترك بتركين فى قلب الدير مع جملة البنات وخرجت من الدير فى تلك الساعة وقصدها الرواح إلى الحصن مع أترابها فرأت عرنوس وحسن صورته فتعجبت عند ما رأته وقالت له بكلام حنين ياغندار أنت من أين وإيش جابك إلى هذا المكان

فقال لها أنا صياد أصطاد الغزلان من البر والوديان فقالت له وما اسمك فقال لها اسمى عزم المسيح القوى فقالت دستور يا عزم المسيح سير معى ادخل أنا وأنت إلى الدير نتبرك بك فقال لها عرنوس سيرى أنت قدامى أدخل أنا وراءك فدخلت ودخل الملك عرنوس معها فقال الراهب الذى يخدم فى الدير ياستى أنت رايحه تقعدى وحدك والا مع البنات الذين كانوا فى صحبتك فقالت خليهم يروحوا وأنا أقعد مع عزم المسيح القوى وأمر البترك البنات أن يروحوا وأما الملكة نور المسيح أخذت عرنوس ودخلت به إلى قاع الدير ولما دخلوا طلعت به إلى قاعة عالية وأحضرت له الطعام والمدام وطلبت منه الوصل فأعلمها بالاسلام فأسلمت فأعطاها خنجر مقدم صداقها وانعقد هناك وأقام معها فى الدير وأما البنات الذين كانوا معها عادوا من غيرها فسألهم أبوها عنها فأخبروه بأنها رجعت إلى الدير ومعها عزم المسيح القوى ثم إنه ركب من وقته وساعته وسار إلى الدير فراجل بنته مطلع فى الليل فرآها نائمة وعرنوس جنبها فنبح الاثنين وأخذهم وسار الى برج السنجق ودخل الى منزله وفيق عرنوس فلما أفاق قال أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا الهايبر وعرنوس فقال له الملك انت عرنوس وقد اخذت ابنتى وجونتها وفتحت بين ساقيها طاقة يا كناس نجست كسوتها ولا بقيت اطاقك حتى انك تقفل الطاقة التى فتحتها ثم انه وضعه فى السجن بعد ان اوعده بالقتل وهذا ما كان

السيف فى فقد عرنوس وأما المقدم شيحة فانه قال يامقدم معروف أقم أنت هنا مع السلطان على مدينة سيس حتى أسير أنا وأخلص لك الملك عرنوس فقال معروف ياأخى شيحة لابد أسير معك فقال له شيحة أنا عوضا عنك ثم ان المقدم شيحة سار وحده إلى حصن السنجق ودخل فى جيفة بترك يونانى وقرأ قداس من الانجيل بصوت حنين فاضطربت الروم من سماع صوته فالتقاه المقدم بتركين واستقبله وأجلسه بجانبه وقال له ياأبونا من أين العزم فقال ياابنى أنا أصلى من دير نجران ولكنى متعلق بالسياحة فى البلدان وفى هذه الأيام أتانى حوارى من عند المسيح يقول له مخربون وأعلمنى بأن فى حصن السنجق رجل مسلم من الفاجرين له بلوص يدوربه على بنات الروم وأمرنى أن أدخل إلى هذا الحصن وأنظر إلى ذلك المسلم وآمره أن يدخل فى دين المسيح ويكون معاون لأهل الكرستيان لأن فى هذه الأيام قام الملة المسيحية وينظرها المسيح بعين الرضا فلما سمعت ذلك أتيت إلى حصن السنجق بأمر المسيح ولا أعلم إن كان كلام الحوارى صحيح أو كذب وتلويح فقال بتركين ياأبونا كلام الحوارى صحيح وان الديابرو عرنوس عندى فى السجن ومرادى أن أقتله فى نظير ماهو مسلم فقال له ياولدى إذا كان عندك احضره واضع الدينار قدامه واشرب حتى تسكر ومنظره وانت سكران فى حب المسيح ومارى حنه فعندها أمر المقدم بتركين باحضار عرنوس فأتوا به إلى بين يديه وامر باحضار الخمر لاجل أن يسكر كما أمره البترك فأتوا له بالمدام وأقبلت بنت من بنات الروم لاجل الغنا على المدام فنظرها المقدم شيحة وعمل على سرقتها فغنت تلك البنت بالرومى وسمع صوتها فعلم أنها محمد الساق ابنه فما كانت إلا ساعة حتى ارتمى الكلب بتركين البنج فلما تبنج أطلق عرنوس وأحضر له عدته وجواده فدخل المقدم شيحة إلى سراية بتركين وأخذ منه زوجة الملك عرنوس وأخذ المقدم بتركين تحت الليل وطلعوا من الحصن وساروا ولم يزالوا سائرين من طرقات يعرفها المقدم جمال الدين حتى نزلوا فى اليوم الثالث على سيس وكان الملك والمقدم معروف مقيمين بالعرضى وإذا بشيحة وعرنوس وزوجته مقبلين ودخل عرنوس وسلم على السلطان وسلم على ابوه وشكر فضل المقدم جمال الدين فلما نظر السلطان إلى بتركين امر المقدم إبراهيم ان يقدم اليه فرسيس فلما حضر امر بضرب رقبته ورقبة بتركين صاحب حصن السنجق فضربت رقابهم وأقام على سيس بعد ذلك ثلاثة أيام قصده ان ينوب ملكا عليها عوض عن الذى قتل فلما كان فى اليوم الرابع ركب الملك وسار يتفسح فى البر وحده الى بداية آخر النهار وعاد إلى العرضى فسأله المقدم إبراهيم عن مسيره وحده فقال إبراهيم انا حاصل

عندى قبض فقال ابراهيم وهو كذلك ولما كان ثانى الايام مضى السلطان وهو يدور على البلد فرأى بستان فدخله ونزل من على ظهر الحصان وتوضأ من فسقية البستان وصلى صلاة الضحى وقعد يقرأ أوراده فغلب عليه النوم فأراد أن يقوم يركب فثقل عليه النوم فاضطجع بجانب الفسقيه فما أفاق الا وقد وجد نفسه مكتف اليدين ومعارض على ظهر الجواد ونظر الى رجل فداوى كأنه عون من أعوان الجان فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وجعل يقول

لا تعاتب الدهر ان نكايبه بالعرض تنزل الطير من كبد السماء الى الارض

اصغوا لقول ابن رومان ان قوله فرض نكايب الدهر أكبر من نبات الارض

والتفت السلطان الى ذلك الفداوى وقال له يامقدم ايش الذى جرى لك منى حتى قبضتنى وكتفتنى فقال له المقدم أما أنت الظاهر قال نعم قال له أنت ما تعرف ذنبك قال له لا قال ذنبك كون أنك أخذت السلطنة وانا غائب وما كفاك ذلك حتى أنك قدمت رجل بدرى جعلته سلطان على رجال القلاع والحصون كل هذا وأنا كنت غائب فلما حضرت من الحج وسمعت بذلك فما هان على كون أنك أنت سلطان وشيحة سلطان فاعتمدت انى أسرقك وأوديك الى قلعتى وبعد ذلك أفتش على شيحة حتى أضيعه وكل من أطاعنى صار تحت أمرى ومن عصانى قتلته حتى تبقى الدنيا كلها ملكى فقال السلطان يامقدم وايش اسمك وأين قلعتك فانى ما رأيتك الا فى هذه النوبة فقال المقدم أنا اسمى المقدم دم بن شمر الحصون صاحب قلعة دموية وها أنا رايح الى قلعتى ثم انه سار طالب قلعته حتى وصل اليها ودخل فى يوم عظيم ووضع السلطان فى السجن بعد أن هدده بالقتل هذا ما كان منه [قال الراوى] واما المقدم ابراهيم فانه نظر السلطان ان يعود آخر النهار فما عاد فزاد قلق ابراهيم وسعد فقال ابراهيم ياسعد سر بنا نكشف خبر السلطان فساروا على جرة الحصان الى البستان ثم دخلوا فرأوا محل ما كان نايم ومحل ما كان دخوله ومحل ما فعل به الغريم فقال المقدم ابراهيم ياسعد الملك أخذ من هذا المكان والذى أخذه ذهب به من هذا الطريق سر بنا ياسعد على الجرة لنكشف خبره فسار ابرهيم وسعد يقتفوا فى أثر السلطان فلم يجدوا له مسير الا على قلعة دموية فبينماهم سائرين واذا بالمقدم دم عرضهم فقال له السلامة المقدم ابراهيم الله الا يسلمك يامقدم دم اين الملك قال له عندى واصطلحت معه وها هو فى قلعتى سيروا معى حتى تأكلوا من ضيافتى فسار معه الى باب القلعة فدخل ابراهيم وسعد من باب القلعة سوى واذا بالارض انخفست تحت أرجلهم فنزلوا الى الارض ما يزيد عن خمسين قامة وقد

انطبقوا الأدعية عليهم فأخذوا إبراهيم وسعد قبضا باليد من ذلك الزوادب فالتفته المقدم إبراهيم وقال له هذه ضياتك يا عرص فقال له يا حوراني ما تستحيش كون أنك على هذه الصفة [illegible] طيع رجل قصير وثانيا تخدم عند رجل أصله عملوك عجمي وتلومني إذا فعلت أنا هذه الفعال وإيش تكون الصياغة التي أضيعكم اياها والله مالكم عندي جواب إلا ضرب الرقاب ثم انه نزل الاثنين إلى السجن عند السلطان فلما نظر السلطان اليهم قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبعد ذلك قام المقدم وأحضر أكابر كواخيه نظروا كف قبضت على الظاهر وإبراهيم وسعد وإيش بقي قدامي إلا شيحة وإن قطعت رؤوس هؤلاء يبقى شيحة مثل الطير الذي يغير ريشه أقل الشيء إذا أصابه أرقه

فعند ذلك أشاروا [illegible] قال له يا خوند هل أن تفعل شيئا اقرأ عاقبته والم أن هذا الظاهر له عساكر [illegible] وأبطال تذب عنه في الحرب والقتال وكذلك المقدم ابراهيم [illegible] المقدم [illegible] خاليين من الرجال حتى تكون [illegible] على قومهم بالرجال وحصن [illegible] من [illegible] الأبطال حتى [illegible] تلك الرجال تلقى بهم الحرب والقتال لا [illegible] هذا ملك الاسلام [illegible] المقدم [illegible] فيما [illegible] وأما كان [illegible] المقدم عاصي [illegible] المقدم [illegible] القضية [illegible] الشام وأنا أكون سلطان [illegible] قال [illegible] شرد [illegible] جردون [illegible] في قلعة [illegible] وراكب على ناقة [illegible] الشيخ [illegible] إلى اين قال له [illegible] وقال له البدوي [illegible] وأيح [illegible] البدوي إلى الطير [illegible] غزال مشوي [illegible] للشيخ [illegible] كان هذا [illegible] لم يسلم فذبحه ولبس ثيابه [illegible] الكتاب

فعرف المعنى وسار بالكتاب الى قلعة المرقب وتقدم قدام المقدم عاصى وسلم له الكتاب فلما قرأه وجد فيه من حضرة المقدم دم بن شر بن شر الحصون الى بين أيادى المقدم عاصى اما بعد يا خوند انى قبضت على الملك الظاهر وعلى ابراهيم وسعد وقصدى قتلهم وآخذ السلطنة بعدهم فأرسلت الك هذا الكتاب لتكون مساعدنى وتأتى برجالك حتى نأخذ السلطنة أنا وانت وأكرن على مصر والشام وانت ملك على القلاع وها أنا أعلمتك لتبادر بالحضور الى عندنا أو تعلمنى حتى احضر الى عندك ونكون يدا واحدة والسلام فلما قرأ المقدم عاصى الكتاب وفهم مافيه فعند ذلك التفت الى الذى اتاه بالكتاب وقال له يا قرن هو انا مجنون يرسل لى المقدم شر هذا الكتاب اما يعلم ان سيف السلطان طويل ومن اين لهذا المعرص حتى يمد يده الى ملك الاســــلام ويريد ان يفعل فعل اولاد الحرام ثم أمر بالقبض على الرسول

فقال له الرسول ياخوند انهذا الأمر إذا كان صعب عليك كن حليم حتى انى اعلمك بما يسرك فقال عاصى ايش الذى يسرنى الا قتلك يا كلب وقتل هذا الكلب دم وقتل كل من معه فى قلعته فقال شيحة بسم الله ما شاء الله عليك يامقدم والله انك عاقل لبيب فقال له عاصى كيف يا شيخ ما اكون عاقل وانا بينى وبين المقدم شيحة ايمان وعهود لا تقض وان رأيته ابى عاصى عليه فانا اقبضه واسلمه اليه فقال له شيحة صدقت يامقدم عاصى والله ماانت الا نعم الصاحب فقال له المقدم عاصى كان جاى عاقل تجاب يا مقدم شيحة لكن انا فى بالك اننى اغلط فى حقك وانت غايب او حاضر والاسم الاعظم الذى ما يحلفوا به الادرعية لم اخونك ابدا الا اذا حصل منك بداية واما مادمت على العهد لم اغلط فى حقك ولا فى حق الملك الظاهر ابدا فقال له شيحة يا مقدم عاصى اختم لى فرخ ورق ابيض وارتاح انت فى قلعتك وانا انفصل مع هذا قليل الادب الذى ظهر فى هذا العام حتى اعرفه شؤم افعاله

فقال له المقدم عاصى هل تريد اروح معك واخرب قلعته على راسه واساعدك على قطع اساسه

فقال له شيحة شكر الله فضلك ولكن اختم لى على هذا الفرخ الورق فختم له المقدم عاصى واخذ الفرخ الورق وكتبه بمعرفته وسار قاصد الى قلعة دموته ودخل على المقدم شر دم واعطاه الكتاب ففضه وقرأه فوجد فيه من حضرة المقدم عاصى سلطان بنو الادرع الى بين ايادى محبنا المقدم دم بن شر بن شر الحصون اما بعد فقد حضر عندنا تابعكم ومعه

كتاب فأرسلنا إلى قلعة بنى الادرع نعلمهم بما فمت فى حق الملك الظاهر والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وأمرناهم أن يحضروا عندنا فى قلعة المرقب لانها أوسع القلاع قال وحين وصول جوابنا هذا اليكم تأتى صحبة حامله ويكون معكم الظاهر والاثنين أتباعه ابراهيم وسعد حتى يكون قتلهم قدام بنى الادرع على رؤوس الاشهاد ونكون قد بلغنا القصد والمراد وأنا الضامن لك القبض على شيحة كما أنت قبضت على الظاهر فلا تقرأ الجواب إلا ورجلك فى الركاب على سرع العجلة ويكون قدومك وحدك لاجل عدم التعب للرجال ولا تعطى توانى فى الحضور ولك السلام والامان من الجبل الجربان .

فلما قرأ المقدم ذلك الكتاب مال على قفاه من شدة الفرح وقال له يا شيخ إيش اسمك فقال يا خوند أنا اسمى داهية الغفلة فقال له إيش هذا الاسم وايش اسم أبوك فقال اسم أبى داهية الوقت وإيش اسم أمك فقال اسمها أم الدواهى فقال له يا شيخ إذا ندهت عليك إيش أقول فقال له قول يا داهية الغفلة فانى أجيبك وأنزل عليك فقال له وهو كذلك وركب المقدم حجرته وأخذ السلطان على جواده بالعرض وكذلك المقدم ابراهيم على حجرته بالعرض وأما سعد رفعه على ناقة وسار والمقدم جمال الدين بجانبه سائر على أقدامه حتى تركبت الشمس فى قبة الفلك فاقبل إلى مغار وقال تعال يا داهية الغفلة فقال له جيتك يا خوند إيش تريد قال مرادى أنام فى هذا المغار حتى يبرد الهوى فخذ بالك من الاسارى حتى أنام أنا فقال له لا تخاف يا خوند اعلم انى انا داهية الغفلة محتاط بك فان نمت فانا فوق راسك وان قعدت فانا بين يديك فقال له اسقينى فناوله قدح ملآن بالماء فشرب رج انقلب تحت قلايد البنج فاوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف واطلق السلطان والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وشيح المقدم دم واعطاه ضد البنج فقاق على نفسه فالتفت إلى شيحة وقال له إيش هذا يا داهية الغفلة فقال له شيحة انا اعلمتك انى داهية الغفلة وها انا أتيت لك ولا بقى لك خلاص إلا بالاسلام والطاعة واما غير ذلك فما بقى لك إلا السلخ بهذه الكشافية كما فعلت بغيرك من الادرعية فقال له انت من حتى أعرفك فقال شيحة انا الذى قال فى حق القائل هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات :

انا الذى سائر الابطال تشهد لى   بالجود والفضل والاحسان والعدل
سائر ملوك البرايا يختشوا منى   وصورونى النصارى فى كنائسهم
اسمى المقدم جمال الدين انا الحيلى

وأنت يا مشئوم الناصية إيش أغراك على هذه الفعال التى فعلتها فقال المقدم ابراهيم الساعة يا مقدم شيحة تعاتبه بقلة عقله ضيعه فقال شيحة لما توصل إلى عرضى الاسلام فصلبه هناك ثم سار را وذلك الملعون مشدود على ظهر حجرته ولما وصلوا إلى العرضى ضربت المدافع لقدوم السلطان وفرحت الاسلام وباتوا ليلتهم وثانى الايام أحضروا المقدم دم وأعرضوا عليه الاسلام فابى واستكبر فغاب المقدم شيحة وعاد فى صورة جزار لابس المتتان الجلد والمنطقة وعدة السلخ وركب على أكتاف المقدم دم وساير الرجال واقفين ينظرون اليه على رأى من قال فى المقر أبيات :

رأيت على صخرة عقربة   وجملت ذيلها ديدنا
فقلت لها يا عقرب اقصرى   فطبعك من طبعها الينا
فقلت صحيحا ولكننى   أريد أعرفها من أنا

ثم انه طرق الكشافية على المستحد فتساقط منها شرار النار وشق الجبهة وعرى الراس والوجه والرقبة والاكتاف والصدر والظهر والافخاذ والاقدام وجمع الجلد على السرة وقال له يا مقدم إذا أنت أسلمت أداويك ثانيا وأرد جلدك كما كان وتكون من رجالى فقال له يا شيحة لو تكون الدنيا ملكى وأنت فيها فما أريدها فقال له شيحة بخاطرك وقطع سرته فخرجت روحه فحرق العظم ودفن اللحم ودبغ الجلد وأحشاه بالنخالة وكتب هذا جزاء من يتجارى على العصيان ويتبع البغى والعدوان وقال أنت فين يا سابق فأتاه حالا فقال له خذ هذا الجلد وامشى به إلى قلعة دموية وأعلقه على بابها تأديبا لاهلها فأخذه وسار وعلقه كما أمره أبوه هذا ما جرى هنا .

[قال الراوى] وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق ان الملك تبريز لذى قتله السلطان على سيس مع الملك فرسيس كما ذكرنا فانه اتصل خبره إلى كهينة ساحرة يقال لها الكهينة شم قربن وكان هذا بركين من جملة الذى تحت أمرها ولها قلعة حصينة فى أول بلاد الروم وجميع الملوك يخافوا منها ويحذروا سحرها وكان هذا بركين من جملة الفاسقين بها .

فلما بلغها موته كان لها واحد يقال له الطن وردونش باش كواخيها فجمعت له خمسة آلاف كافر وقالت له سير إلى مدينة الرخام واملكها وأنا أملك اقى بلاد الاسلام ولو أن مدينة الرخام مطلسم ما كنت أرسلتك اليها فسار الطن وردواش بالعسا كرحتى حط على مدينة الرخام وبلغ الملك عرنوس بنزوله فأرسل يستخبره من أين وكان الرسول الذى أرسله عرنوس هو أبيه المقدم معروف فقال له ياولدى لاتتعب نفسك ولاعسا كرك

حتى أنزل أنا إلى ذلك الكلب وانظره وآتيك بالخبر اليقين ثم ان المقدم معروف ركب على ظهر حجرته وخرج من مدينة الرخام حتى دخل وسط عرضى الكفار وقال لهم أين ملككم فاعلموه به فسار حتى وصل إلى الملك الطن وردونش ولما بقى بين يديه قال له وهو راكب على ظهر حجرته يا ملعون إيش الذى أغراك حتى أتيت بهذه الشرذمة كفار وحطيت على مدينة الرخام مع أن جميع ملوك الروم والافرنج يستعيذون من سيف ولدى وحربه فان كنت أتيت معضام من قوم ومرادك تستجير بولدى فان الله أجارك ولو كان حامك ملوك الروم جميعا وإن كنت محارب ابشر بالدمار وخراب الديار وقلع الآثار فقال الطن وردونش أنت أتيت برسالة أو بغير رسالة

فقال ياملعون وإيش الرسالة أنا ذات الرسالة والذى أنا قلته لك وهو عين الصواب وإن كنت تريد تجرب ماسمعت من الخطاب آمر عسكرك الذين حولك أن يحاربونى حتى يبان لك طمعك الذى جئت فيه فقال له الطن وردونش أنا باش كواخى الملكة شمقيرن الساحرة وأتيت إلى حرب الدباير وعرنوس والملكة ركبت على باقى بلاد الاسلام وفى هذا العام تأخذ أرضكم اما بالحرب او بعلوم الاقلام ولا يمكننى أن أتخلى عن الحرب والصدام حتى أفتح مدينة الرخام وها أنا نزلت فى هذا اليوم وفى غداة غد يكون الحرب والصدام وكل من انتصر منا ينال القصد والمرام فقال له معروف ان الحرب بكرة قال نعم فعاد معروف وأعلم ولده بما سمع من الاخبار فقال عرنوس من هنا إلى غد يفعل الله ما يشاء وأمر بدق طبل الحرب فجاوبته طبول الكفار إلى أركان ثانى الايام اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف فخرج المقدم الطن وردونش إلى حومة الميدان ونادى بأعلى صوته وقال يا معاشر المسلمين اسمعوا ما أقول أننى أنا الطن وردونش صاحب هذه الجموع وها أنا خرجت إلى حومة الحرب والطعان وتريد الملك عرنوس أن ينزل الى الميدان فان أنا أسرته فذلك هو المقصود وإن هو أسرنى يبقى يفدى نفسه به إذا أسرته الملكة شم فدعوه يبرز إلى الميدان وها أنا برزت إلى الميدان ومرامى أحقق قدام الفرسان من هو الفارس منا حتى يفتخر الغالب على المغلوب

[قال الراوى] كل هذا يجرى والعساكر وقوف وأرادوا ولاملوك البرتقان أن يخرجوا إلى حومة الميدان فلم يمكنهم من ذلك الملك عرنوس وقال لهم لا ينزل منكم حد وهذا الملعون طالبنى حتى أفتخر بحربى وقتالى فقال له معروف يا بنى دعنى آتى به إلى بين يديك

والا اقتله فى الميدان وريح أنت نفسك فقال له عرنوس لا يمكن ذلك أبدا ثم ان الملك عرنوس دفع جراده ذات النسور وسار به حتى وصل إلى حومة الميدان ونظر إلى الطن وردونش وقال له دونك والقتال ان كنت من الابطال ثم انطبقوا الاثنين على بعضهم بعض ودوت أصواتهم مثل الرعد ووسعوا فى المجال طولا وعرض تمايلوا واعتدلوا على السروج وتعلمت الفرسان منهم كيف الدخول والخروج ودام بينهما القتال حتى صمت منهم الأسماع وصرخوا صرختين سدت لها الخيل آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانها وداموا على ذلك الحال وهما فى قتال ونزال حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك فعند ذلك بان للملك عرنوس من خصمه التقصير وعرف منه ذلك معرفة الخبير فانحط عليه انحطاط السيل وأبلاه بالذل والويل وضايقه ولاصقه وسد عليه جميع طرائقه ومد له زنده وقبض على خناقه حتى كاد أن يخرج أحداقه وطبق فى جلباب درعه وزرده وهزه وأقلعه من سرجه فعند ذلك هجمت العساكر يريد خلاصه فصال المقدم معروف وحمل وتبعته أولاد ملوك البرتقان من كل بطل وغنى البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانبهار وأما النذل ولى وحار هنالك نظروا عساكر الملك الطن وردونش أن ليس لهم على عساكر الاسلام اطاقة ولا على حربهم استقامة فصاحوا الأمان وكان الملك عرنوس سلم الطن وردونش إلى أحد أولاد ملوك البرتقان وعاد على أهل الطغيان وضرب فيهم بالسيف اليمان وملكت خيامهم وأثقالهم وجلس الملك عرنوس على سرير الطن وردونش وأحضره الى بين يديه وقال له يا قليل الأدب كيف رأيت حالك فقال له ياسيدى الديابر وأنا وقعت معك فى محذور وأنا أريد أن تأخذنى لك غلام وأكون لك من جملة الخدام فقال له الملك عرنوس يا أخى اذا أردت ذلك أدخل فى دين الاسلام فان الاسلام نور فاذا أسلمت كان لك مالنا وعليك ماعلينا وأما إذا كنت على ملة الكفر فأنا برىء منك ومن كل فاجر فقال له الطن وردونش وإذا أسلمت يجوز قتلى قال عرنوس كيف يجوز قتلك وأنت مؤمن فهذا لا يجوز فقال علمنى حتى أسلم فقال له عرنوس تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم * صابون القلب التوحيد * سعد من عليها توفى * كلمة فى الميزان ترجح للانس عليها خفا * لوملوا جميع الاعمال فى كفة وهى فى كفة والجبال وثقل الأرضين ما يقوم ومايرجح الا هى * وهى لا إله الا الله محمد رسول الله

[ياسادة] يا كرام لما سمع الطن وردونش هذا الكلام فانشرح صدره للاسلام فأسلم على يد الملك عرنوس وثبت اسلامه فافتكر عرنوس فى هذه الساعة المقدم

شيحة لاجل أن يطهره وقال له اتمنى على الله وعلى كل ما تريد فقال قصدى أن يكون اسمى كاسم المسلمين فقال عرنوس اسمك محمد على اسمى أنا وتكون أخى ووزيرى مثل أبي شاهين عند عمى الملك الظاهر فقال له يا ملك عرنوس أريد أن أنادى فى عساكرى بالاسلام فمن أسلم قبلناه ومن لم يسلم ابعدناه فقال له عرنوس افعل ما ما بدا لك فركب الطن وردونش ووقف قدام عرضيه ونادى فى عساكره يارجال اسمعوا ما أقول لكم اعلموا أنى أسلمت وبقيت مسلم ورأيت ان دين الاسلام حق فاتبعته فمن اراد منكم ان يتبعنى ويسلم مرحبا به وأهلا ومن أراد الكفر على ماهو عليه فليتوجه إلى شمقرين يقيم عندها ولكم منى الامان فقالوا جميعا ونحن أيضا نسلم ونكون صحبتك ولا نفارقك ابدا فلما سمع الملك عرنوس ذلك فرح بهم وقال اهلا وسهلا بكتابهتهم فى ديوانى ورتب لهم الجوامك والعلوفات وقال لابيه يا أبي لا بد من طهارتهم ونحتاج الآن إلى عمى المقدم شيحة يطهرهم وإذا برجل خرج من وسط العرضى وقال له ايش تريد ها انا عمك شيحة فقال له عرنوس اريد ياعمى تطهير الطن وردونش وعسكره لانهم صاروا مسلمين فصاح شيحة أنت فين ياسابق فاتاه السابق فى الحال ودخل هو واياه للعرضى عصرية النهار فما اصبح الصباح الا والجميع مطهرين ودخل شيحة من العرضى والسابق مضى فى حاله ودخل شيحة على عرنوس وقال له ها قد طهرت لك الجميع فقال له عرنوس جزاك الله كل خير وإذا بيد انوضعت على حزام شيحة ومنطقة عرنوس ورفعتهم الى ان سمعوا تسبيح الاملاك فى مجارى الاملاك الافلاك وكان السبب فى ذلك الملعونة شمقرين لانها بعدما ارسلت الطن وردونش الى مدينة الرخام ودخلت الى بيت رصدها وضربت تخت فرأت ان المسلمين يغلبوها وان هى حاربتهم يقتلوها

فلما رأت ذلك التفتت الى وزيرها وقالت له يا وزيرى ان علوم الاقلام اورتنى انى لانبلغ من المسلمين مرام فقال لها الوزير ان علوم اقلامك سفلية وماتبلغى قصدك الا بالعلوم العلوية فقالت له ومن له علوم علوية فقال لها اذا اردت ذلك اطلبى عالم ملة الروم والامر المحتوم البركى جوان فهو الذى يبلغك اربك وتنال به طلبك ثم انها احضرت عونا من اعوان الجان يقال له برق الخاطف وامرته ان يأتيها بجوان من قلب الدير الذى بجوار بحيرة بغره راعجب ما وقع ان جوان فى ذلك النهار كان ركب على ظهر حمارته وأخذ البرتقش وقصد السياحة فى البلاد فاشتاقت نفسه الى الفساد ولم يملك الا الحمارة فتسلمها والبرتقش ماسك راسها ورفع ديلها

وضرب فيها بزبوزه وإذا بالبرق الخاطف رفعه هو والحجارة والبرتقش وهم على ماهم عليه ووضعه قدام الكهينة ولما رأت جوان على هذه الصفة قالت له ياأبونا الدامريات كثيرة ولاى شىء تفعل هكذا بالحجارة فقال لها ابنى كانت رزية نازلة على النصارى اتقيتها على بزبوزى وأدخلتها فى بطن الحجارة أحسن من نزولها على النصارى فقالت له دستور ثم انه حكت له على عزمها وكيف أن علوم الاقلام ما تساعدها لكن انها سفلية وإن الوزير عرفنى أنك أنت لك علوم علوية فاحضرتك فقال جوان مرحبا بك أنا ابلغك مقصودك فقالت له وانا قد ارسلت ياش كواخى قلعتى إلى مدينة الرخام لاجل قتال الديابروا عرنوس واخذها منه وانا افتح البلدان الذى دونها متاع الاسلام فقال لها الكلب جوان وهذا الكواخى الذى أرسلتيه إلى مدينة الرخام ايش يكون اسمه فقالت له يا أبونا هو اسمه الطن وردونش وهو من الذى تعتمد عليه فى الشدايد والاهوال فقال لها يا حكيمة الزمان اسرة الديابروا عرنوس واسلم وخدمه عنده هو والرجال الذين كانوا معه وطهرهم المقدم شيحة فلما سمعت من جران هذا الكلام صار الضيابين عينيها ظلام وحلفت أنها لابد من أخذ عرنوس وشيحة فى ذاك الوقت فعند ذلك ارسلت البرق الخاطف وقالت لههات عرنوس قبل دخوله إلى مدينة الرخام فقال لها جوان ياحكيمة الزمان إذا حضرتى عرنوس معه شيحة المسلمين لان اذا وقع شيحة وقتل ارتحنا من جميع المسلمين فانه هو رأس كل حيلة فسار العون وخطف عرنوس وشيحة واتى بهم الى الكهينة فنظرت الملعونة الى وجه عرنوس فوجدته على رأى من قال هذه الابيات

جايد من سنان لحظك جرحا — وعيونا تبدد الدمع سفحا
وسنان بعارضيك ووجه — يستمد منها وشرق اللحا
يا حبيبى افديك من كل سوء — مهج فيك ليست تقبلن نصحا
قم نجتلى المدامة بكرا — حيث طاب الهوى وسكن الجراحا
مالامى فى هواك محب — أنا فى وجد يا عزولى تنحا
سكر الكاس قد سكرت بقينا — فكان المدام منى اصحا

[قال الراوى] فانبهرت الكهينة لما رأت تلك المحاسن وقالت بتركين بخاطر بعنتر صحة وعافية والطن وردونش راح بخاطره والتفتت الى عرنوس وقالت له يا سيدى الديابروا عرنوس أنا كنت قصدى قتلك ولما رأيتك فما هان على أن

اقابلك على فعلك لانك خسارة فى الموت وانما أنت تعمل للكهينة جناقة وحدها ولم تنكح غيرها أبدا ولاتظن انها عجوزة بل أنها صغيرة عمرها قدر المائتين أو المائة وتسعين وتعرف أبوابا تصور بهم نفسا على مثل الذى هى عمرها أربعة عشر سنة وتقيم عندها دايم عمرك ولاعليك شغل الا الجناقة فقال لها الملك عرنوس ياملعونة ايش هذا الكلام الذى تقرليه مع أنى رأيتك بهذه الصورة التى يخوف الله بها عباده وكيف الانسان يرضى ان يدخل جهنم بسببك والله لارضيت بذلك أبدا الله يلعنك عدد ما فى راسك من الشعر فلما سمعت الملعونة هذا الكلام منه أمرت له بالتعليق فى التابوت والتابوت يدور فى الهواء كالدولاب واما المقدم جمال الدين قال لها ياكاهنة الزمان اعلمى ان دين الاسلام منصور فلاتجادلى فى الذى لاينفع فقال له جوان وايش التى تريد ياشيحة يعنى قصدك تنفذ وبقيت وبقيت تعيش فى الدنيا بعد هذا اليوم فقال له شيحة فرج الله قريب فعند ذلك رفعته الملعونة الى سقف المكان وجعلت يديه فى قيد من الحديد وقالت له خليك هكذا حتى تموت معلق ففرح جوان بذلك وقال يابرتقش افسد كتاب اليونان وشيحة يموت عند الكهينة فى هذه النوبة وجوان ما بقاش ينقطع على الصربية أبدا فقال له البرتقش حتى نشوف فهذا ما من هؤلاء

[قال الراوى] وأما ما كان من الملك محمد الطن ووردونش فانه لما نظر الى عرنوس انخطف اقبل على المقدم معروف وقال له انا لااتخلى عن سيدى أبدا وهذه الملعونة ثم قرين هى التى أخذت سيدى فعند ذاك أخذ معروف عشرين ملكا من أولاد ملوك البرتقانى وأخذ الملك محمد الطن ووردونش وطلب السفر حتى حط على قلعة الملعونة شمقرينة فلما رأت ذلك قالت ياجوانى ان لى ولد فى الدير يقال له المقدم نورود وانا قصدى ان احضره لاجل ان يساعدنى على المسلمين فلهم من يحفظ اسماء تمنع عنهم الاسحار ولالهم الا الضرب بالسيف البتار فهو يساعدنى على حرب العدا وتكون يده على يدى بالمساعدة فقال لها جوان هذا رأى طيب وأنا على ما أرسل له كتاب من عندى وأخليه يأتى الى حرب المسلمين منعى

فقالت له اذا كان كذلك ارسل كتاب انت ياجوان فعند ذلك كتب جوان كتب يقول فيه الذى نعلم به المقدم نوردا ين الدير حال وصول هذا الكتاب اليك تحضر تقابل المسلمين أعداءنا مع الكاهنة شمقرينة ويبقى لك الصواب من المسيح فالا حالا تحضر مع البرتقش ولاتتهاون فى ذلك والمسيح ينصرك ببركة جوان أخذ

الكتاب البرتقش وسار إلى دير المساوى جماص فرأى غلاماً جميل الصورة قصير القامة حلو الشمائل عليه من النظرة علائم ودلائل فقال البرتقش والله هذا الغلام ماهو إلا مسلم وقصرة الاسلام وموت هذه الملعونة ربما يكون على يده ثم انه تقدم إلى إعطائه كتاب جوان فلما قرأه قال يابرتقش المسلمين لاظلمونا ولاتعدوا علينا وأنا لاى شيء أروح إلى عندهم وأحاربهم بلاذنب أى جرى لى منهم فقال البرتقش هذا أمر البركة جوان ويجب عليك إطاعته فقال نورد وطلع إلى والدته وقال لها ياأماه إن جوان أرسل البرتقش يطلبنى أحارب المسلمين مع أنى ما بينى وبينهم عداوة ياهل ترى أحاربهم على إيش فقالت له أمه ياولدى روح ولكن إذا حاربتهم لاتقتل منهم فانهم كثير لربما تقع فى أيديهم فاذا كنت ماقتلتش منهم فانهم يبقوك وإذاقتلت منهم فانهم يقتلوك فقال صدقت فقالت له وخذنى معك إلى قلعة الكهينة حتى أكون حاضرة الحرب والقتال فقال لها بين الدير والقلعة مسافة قريبة وأنا لا آتى إلا عندك إذا انفصل القتال وكلما جرى أعلمك به قالت له هذا الذى أريد منك فعند ذلك طلع المقدم نورد وسار مع البرتقش وهو سائر على قدميه ولكن يفوق الحصان العربى فى الجريان فقال له البرتقش على مهلك فقال له نورد امشى قدامى فما انتصف النهار إلا وهم على القلعة ودخل المقدم نورد على الملعونة شمقريبة وجوان قاعد بجانبها ونظرت الملعونة إلى نورد وهو قادم عليها فقامت له وأجلسته إلى جانبها وفرحت برؤيته وقالت له أنت ابن مريم الخاينة قال لها نعم فقالت له وأنت تقدر تحارب المسلمين ولم تخاف منهم فقال نعم فأحضرت الطعام وأطعمته وبعد ذلك المدام وأسقته وقالت له الحرب اليوم طال فان المسلمين مشارين ولا تخشى بأسهم أبدا فأنا أقبض عليهم فأرهط الجار فقال لها والحرب متى يكون قالت فى غداة غد فأقام نورد وأما جوان فانه التفت للبرتقش وقال ياسيف الروم أنا قلبى نافر من هذا الغلام ولم لى عين تنظره لأنه يشابه الراجل مايتسماش فى الذات وأنا خايف أن يكون هو فقال البرتقش الراجل عند الكهينة فى الحبس وأما هذا الغلام أظن أنه ابنه فقال جوان وكيف العمل يابرتقش فقال البرتقش ماأنت الذى أمرتنى بحضوره وهذه الكهينة عشقته وإذا قلنا للكهينة انه عدوك لم تسمع كلامنا فان هواها تمكن منه ولا بقى ينفع العذول وإن طاوعتنى أجيب لك الحجارة وقوم بنا نرتاح من علاقة شيحة قال جوان اصبر يابرتقش هذا ماجرى هاهنا

وأما المقدم نورد فانه قام إلى عصارى النهار وطلع من عند الكهينة وطلب البر فما أمسى المساء إلا وهو عند أمه فى قلب الدير وأخبرها بما جرى فقالت يا ولدى

اعلم أني أنا لى عند المسلمين ثار فاذا قدرت أنك تأتيني بالذى عنده ثارى تكون أنعمت بلغتى قصدى وحقيقة تبقى ولدى فقال لها ومن فى المسلمين غريمك فقالت له غريمى شويحات فقال نورد إيش عمل شويحات فيك اعلميني وأنا أحضره اليك

فقالت ياولدى أنا كنت دخلت فى قلب ذلك الدير فرآنى شيحة بفرخ نشابه وجرحها ولهذا الوقت الجرح لم يطيب وأتمنى أن آخذ ثارى ولو يكون آخر يوم من عمرى .

فقال شيحة عند الكهينة محبوس وأنا بكره آتى به اليك فقالت تمنعك الكهينة ولم تحضر به إلى عندى فقال نورد انا رأيت هذه الكهينة مرادها تطلب منى المعانقة وأنا ماارضاش بذلك فقالت له وإن تماصيت عليها تقتلك وتعدمى حسك فان كنت تعجل لها قبل ذلك تكون بلغت الأرب وإن جيت بشيحة أنا احكم عليه إذا لم يملك جميع المسلمين وإلا تقتله فبات المقدم نورد وهو يهتف بمثل هذه الأمور وعند الصباح من الفجر خرج من الدير فما طلعت الشمس إلا وهو عند الكهينة وكانت الكهينة تلك الليلة معانقة لجوان فلما دخل المقدم نورد جان جوان انخمد فى النوم ونظرت الكهينة إلى المقدم نورد فقامت اليه وأخذت يده وأجلسته إلى جانبها وفرحت به وسالته عن غيابه فاعلمها انه كان مضى إلى الدير فقالت له لم بقيت تروح خليك دايما عندى حتى تخلص من حرب المسلمين فقال لها كذلك ثم انه قام وبرز إلى الميدان وطلب الحرب والطعان فنزل اليه الطن وردونش وتقاتل معاه وكان فارس كرار فلما علم نورد بفروسيته فتاخر إلى خلفه وقفز جاء على كفل حصانه وبيده خنجرين أمضى من القدر وقال له إذا لم تعود الى قلعة الكهينة والا نفذت هذين الخنجرين من منحرك ودار حصانه على القلعة وضربه بصوت على كفله فطار الحصان براكبه حتى أدخله القلعة ورأت الكاهنة فعاله فانشرح صدرها ولم بقت تملك عقلها ومادت على المقدم نورد وقالت له اقعد عندى وأنا آتيك بمن بقى المسلمين أسارى من غير تعب ثم إنها أحضرت جوان وقالت له اذكر لى أسماء أكابر المسلمين فاول ماذكرلها المقدم معروف فامرت البرق الخاطف فاتاها به فامرت بسجنه عند والده فى دواليب الهوى وطلبت الأسماء وبعده طلبت الأسماء من جوان فصار يذكرلها أولاد ملوك البرتقان واحد بعد واحد وهى ترسل تخطفهم حتى أخذت العشرين

كل هذا والمقدم نورد من فعلها فعلم أنه ان خالفها فى كل ما طلبته منه فانها تهلكه وعلم أنها فاجرة فصار يلاطفها حتى مضى ذلك ولما امسى المساء أمرت باحضار الطعام

المدام وصارت تشرب على وجه المقدم نورد وتسقيه حتى ان السكر غيب رشدها وتمكن الهوى منها فقالت له قم يا غندار اعمل الكهينة جناقات فانت الليلة أنيسى وأنا ريحتك من الحرب والقتال فقام المقدم نورد على حيله وحل ثيابه وسراويله فقامت الكهينة على ظهرها فركب على صدرها ورفعت رجليها له لاجل أن يعلوها فكانت يد نورد على خنجر أمضى من القضا وأحد من كل سلاح منتضى محكم ديابه فى نحرها واتكى عليه فخرج يلمع من قفاها ونفذ فيها حكم الذى خلقها وسواها فتصارخت أعوان الجان وقالوا له أراحك الله يامقدم نورد كما أرحتنا من خدمة هذه الملعونة فبطل السحر عن الملك عرنوس وبطلت الدواليب فتقدم نورد إلى السجن وفك المقدم جمال الدين وقال له أنت الذى عليك تار لوالدتى فقال له ومن هى والدتك فقال مريم سر معى حتى انى اسلمك اليها تفعل معك ما تريد وإن عصيت عن المسير فانى أعذبك العذاب الشديد فقال له شيحة أنا أسير طائع مختار ثم صاح المقدم جمال الدين وقال يا سابق أدرك يا ولدى الاسلام الابرار فهم فى سجن الكفار وسار المقدم جمال الدين وهو مكتوف اليدين حتى دخل الدير وطلع فيه المقدم نورد إلى أمه فلما رأته قالت له اربطه لى فى رجل السرير حتى أعذبه العذاب النكير وامض انت احضر لى باقى الاسارى المسلمين فربطه كما أمرته وعاد نورد المقدم فرأى قلعة شمقرينة ملكوها الاسلام والسبب فى ذلك أن المقدم محمد السابق كان اقبل قاصد جرة أبوه ونظر كلما جرى ولما رأى الملعونة قتلت والمقدم نورد أخذ شيحة وعاد إلى الدير فعرف المقصود ودخل على المقدم معروف وأطلقه وكذلك عرنوس والطن وردونش وأولاد ملوك البرتقان وفتح أبواب البلد ليلا وأرسل أعلم العساكر مع الطن وردونش وقال لها كبس البلد بعسكرى فكانت ليلة تعد بليالى غابت فيها الكواكب وهلكت الخيل والجنائب ولا أبقى السيف لا ماشى ولا راكب وعاد نورد فرأى عروس المنايا شرعت عن ذراعها فعاد على اثره طالب الدير وكان جمال الدين لما ربطه نورد فى رجل السرير وإذا بالست مريم أقبلت وهى فى ثياب الجمال وقالت يا مقدم جمال الدين هكذا تقع الملوك الغوالى بالنار وربات الحجال اعلم انى مريم بنت الخانجى الذى كنت تروجنى لما دخلت إلى تلك البلاد فى فتح السواحل مع الملك الظاهر وأوعدتنى انك تعود على وتأخذنى إلى بلاد الاسلام وكنت منك حامل ووضعت هذا الغلام وها هو رين المسلمين يتيم ولا أحد يكفله إلى الآن واحكت له على ربايته وتعانقا وسلما على بعضهما فى ذلك الوقت قدم المقدم نورد فرأى أمه تعاتب المقدم جمال الدين فسألها فاعلمته بالخبر وانه مسلم وأبوه المقدم

جمال الدين وقالت له ياولدى وانا سبب انى لم أعلمك خوفا من النصارى أن يقتلوك *
والحمد لله الذى جمعك على أبوك وأهدى الله قلبه إلى الاسلام على يد أبيه وتبع الحق
وترك ماكان فيه وأخذ الملك عرنوس كلما كان فى قلعة شمقرينة وأرسله إلى السلطان
وكتب له كتاب يعلمه بجميع الامور والاسباب هذا ما جرى هنا وأما ما كان من
أمر الملك الظاهر فانه كان فى مصر مقيم وإذا بنجاب يقبل الارض قال إبراهيم من اين
قال النجاب

عرج ركابك عن دمشق لأنها بلد تذل لها الاسود وتخضع
مابين جبهتها وباب بريدها قمر يغيب والف شمس تطلع

فأخذ إبراهيم الكتاب وسلمه للسلطان وإذا فيه من حضرة العبد الاصغر والمحب
الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب إلى بين أيادى ملك الاسلام وهو أن الذى ورد
علينا فى هذه الايام شيء يذهب العقول وهو أن أولاد الناس (١) ينعدم ولم
نعلم الغرايم فادركنا والا ارسل لنا من يدركنا الامر أمرك أطال الله فى عمرك والسلام
على البدر التمام

فقال السلطان لا حول ولا قوة إلا بالله ثم ان السلطان أحضر الملك محمد السعيد
وأجلسه على تخت مصر وأخذ إبراهيم وسعد وطلع قاصد أرض الشام وكان السبب
فى ذلك أن القان هلاوون ملك العجم عنده جارية عجمية لكن ذات حسن وجمال وقد
واعتدال وكانت ماهرة فى المكر والاحتيال إلى يوم من الايام أحضرها وكان اسمها
قمرستان فقال لها قصدى أرسلك إلى بلاد العرب وإن ملكتنى فان العرب جعلتك
زوجتى وفى الفراش ضجيعتى فقالت له ياقان الزمان أبلغك كل ما تريد واحكمك فى
قان العرب حكم المولى على العبيد فارفق معها اثنين عياق احدهم اسمه رمتح والثانى
اسمه شروين وامرهم ان يكونوا الى قرمسان على ما تأمرهم مطيعين وأعطاهم أموال
زيادة فساروا فى صفة تجار حتى دخلوا بلاد الشام لابسين ملابس اشراف ولما كان
بعد أيام صنعوا لهم مكان فى منزلهم وعمروا عمارات وجعل لهم أماكن ومكامن
حتى بلغوا قصدهم وسار يصبروا إلى الليل وتطلع قمرستان تتجنب الطريق مثل أهل
الزنا فيصبون عليها الشبان وأهل الشام غالبهم معاكس فتعبر بهم فى مكانها وتحضر
لهم الطعام المبنج حتى يأكلوا وينتخبوا فتعرضهم فى مطمورة ومصنوعة لأجل ذلك
ولما دار القنص فى أولاد الناس شكوا إلى الباشة فكتب ذلك الكتاب يعلم السلطان
هذا كان السبب وركب الملك الظاهر وركب معه إبراهيم وسعد كما ذكرنا قاصدين

(١) ومثل هذا اللفظ بنات الناس يعنى الضياع

الى الشام وأما باشة الشام فانه صار كل يوم يطلع له الناس تشتكى فقد أولادهم حتى ضاقت حضيرته وكان فى جملة من طلع الى باشة الشام نقيب الاشراف وقال له أنت حاكم فى هذه البلاد ومتى خرجت من الحمام رعدمت فى الطريق ما بين الحمام والبيت فكان قبرها فى السكة فقال له الباشا يانقيب الاشراف أنت وجميع أهل البلد تعرفوا الذى صاير من فقد أولاد الناس فكان الواجب عليك عدم خروج بنتك واما تطلقوا أولادكم للاخصام و لزموا بهم الحكام فقال له اذا لم تأتينى ببنتى والا ارسل اعلم السلطان عند ذلك اغتاظ باشة الشام وقال له أنا كان أرسلت الى مولانا السلطان وعن قريب يشرف ركابه وهو الذى يخلص الحق لاصحابه فقام نقيب الاشراف وهو مخنوق بعبرته ودموعه جارية على خده ولزم بيته وهو فى أشد ما يكون من شدة رزيته لفقد ابنته وكان سبب ذلك أن قمرستان الملعونة دخلت حمام الشام ونظر الى ذلك البنت فتسايرت معها وأحسنت المودة حبتها البنت ولما طلعوا من الحمام سارت معها الى نصف الطريق وقالت لها يا أختى اريدك تسيرى معى تعرفى منزلى وانا اروح معك اعرف منزلك حتى لانفارق بعضنا فسارت مع قمرستان الى المنزل المعهود

فلما سارت عندها قبضت عليها ونظروها الاثنين العيارين فقالوا لها لم يكن فى الشام من مثلك لا فى الرجال ولا فى النساء فقالت لهم لم يكن فى الشام أحسن منى الا ان كان حسن بن الامام فقالوا لها وأين هو واعلمتهم بمكانه فلما سمعوا منها ترقبوا له حتى قبضوه وآتوا به اليها فقالت لا حول ولا قوة الا بالله فعند ذلك نظرت البنت الى الغلام حسن ابن الامام محبته محبة زائدة فقالت له يا اخى وكيف يكون العمل فيما يوصل الخبر الى اهلنا حتى يأتوا ويخلصونا من هذا المكان فقال الغلام يا اختى الامر بيد الله هـذا والاثنين العياق الذى مع قمرستان داروا على سرقة العمل حتى تضايقت الناس وضجت اهل الشام واقبل الملك الظاهر فرأى اهل الشام فى شدة الضنك وصبر الى ان مضى الليل وسار هو وابراهيم وسعد يطوفوا ارض الشام فلا سمعوا خبر ولا وقعوا على اثر الى يوم فى عصارى النهار واذا بنقيب الاشراف طالع فانقبض على ولد ابن الامام فقال الملك ما الخبر فقال نقيب الاشراف مظلوم ياملك الاسلام فقال الملك ما ظلومتك قال ياملك ان بنتى عدمت بجملة اولاد الناس الذين عدموا وكانت لابسة هذه الجبه فما اشعر الا وهذا الغلام يصلى خلف ابيه فى الجامع وهذه الجبة عليه فقلت له يا ولدى ابن صاحبتها فلم

يعلمني فعلمت أن الذى يفعل فى أهل الشام هذه الفعال ويسرق أولادهم هو هذا الغلام فقال الملك يا ولد أنت ابن من فقال يا دولتلو أنا ابن الامام ولى حكاية عجيبة ولكن إذا حكيتها جهرا وشاع الخبر تندم أولاد الناس جميعا ويذهب الغريم وإنما أولا أرجو من مولانا السلطان ارسال من يثق به حتى أمسك الغريم

فقال السلطان قم يا إبراهيم وسعد وأنا وساروا حتى وصل الغلام إلى الخلا ودخل إلى كهف جبل نزل منه إلى سرداب أصله سكن الوحوش وما دام حتى دخل بهم من تحت الجدران وطلع بهم من داخل المكان فرأوا أولاد الناس وأموال الناس شيئا بكثرة رقبضوا على الملعونة قمرستان والاثنين العياق أحضرهم المقدم إبراهيم بن حسن من جامع الاموى وسأل السلطان الغلام عن سبب إطلاقه من يدى هؤلاء الكفار فقال وهو أنه لما احتالوا عليه وأدخلوه المنزل فأرادوا أن يغلوهم فى القيود فقالت بنت نقيب الاشراف لقمرستان ياستى على إيش تغليبى وأنا بنت مسكينة ثم وقعت فى عرضها فلم ترحمها وان الاثنين الذى مع قمرستان وهم رستم وشروين وأرادوا أن يفسقوا بها وبالولدين وأحضروا آنية المدام وقعدوا وسكروا فالتفت الولد الى البنت وكانت حبته محبة زائدة فقعدوا على ذلك الحال حتى ان الاعجام سكروا فسمع الغلام خرخشة فى قلب ذلك المطمورة الذى هم فيها وكان عريان أراد أن يلبس ثيابا من ثيابه فما لبس الاجوة تلك البنت وساررا وكانت هذه الخرخشة خرخشة ضبع ساكن فى وكر نافد على ذالك المكان

فلما وصل الغلام اليه فرأى من داخله نور فتبع النور وإذاهو من الخلا فطلع من بعد ماوسعه وعلم عليه وطلع وكان يوم الجمعة فدخل الجامع لعلم أبيه فالتقى به نقيب الاشراف وعرف جبة بنته فأخذه الى عند السلطان هذا كان الاصل والسبب فعند ذلك طلع السلطان العملة المسروقة وأعطاها لاصحابها وكذلك الاولاد أخذهم أهاليهم وقال الملك لنقيب الاشراف زوج بنتك إلى ابن الامام ومهرها الف دينار من عندى والف دينار أخرى تكلف بها الفرح وألف ثالثة تجهز بنتك وألف رابعة للغلام يستعين بها على معاشه فانعم نقيب الاشراف بالسمع والطاعة وتزوجت البنت الغلام ودخل بها على رؤوس الاشهاد وأما قمرستان والاثنين الذى صحبتهما فأمر الملك بحرقهم وكان يوم حرقهم مشهورا أدبا لاولاد الزنا وغيرهم وبعد ذلك توجه الملك الى مصر وأقام فى هناء واطمئنان مدة من الزمان الى يوم من بعض الايام الملك جالس واذا بنجاب مقبل

من الشام ومعه كتاب يذكر فيه ان فى يوم تاريخ الكتاب وردعلينا من بلاد العجم واحد بهلوان مصارع يقال له الامير قارغلول ابن ملك الدشت وصحبته عساكر يزيدون عن خمسة آلاف خياله وقرابته فمنعناهم من الدخول بالمدافع وأرسلت استعلم عن مجيئه وسبب قدومه فارسل يقول إنه بهلوان فى بلاد العجم وسمع بان عند مولانا السلطان الامير أيدمر المصخرات ويريد أن يتحارب معاه لاجل استخباره بفن المصخرة فقط ماهو على سبيل العداوة وأخبرنا أنه مؤمن ويقول اما ان أقهره ويبق العجم فى التمصخير أنا وانه هو يقهرنى ويبق الفخر له هو

فلما بلغنى ذلك كتبت هذا الكتاب الى دولة مولانا السلطان ليكون فى شريف علمك والامر أمرك أطال الله عمرك والسلام على نبى ظللت عليه الغمام

لما سمع السلطان ذلك قال يا أمير أيدمر سمعت هذا الكتاب قال ايدمر سمعته يامالك وأرجو من مولانا ان ينعم لى بالرحيل الى الشام حتى اتحارب معاه وأنظر حالى أنا واياه ويعطى الله النصر لمن يشاء قال الملك هيا خذ عسكرك وخذ معك بشنك وسنقر والجاوى والخطيرى وأنت صاحب الامر عليهم وأنتم الخمسة بخمسة آلاف من الترك فى عدد الذى مع خصمك وتوكلوا على الله فقام الامير وتبعوه الاربعة الامراء كما أمر السلطان وبرز الامير أيدمر بعرضيه وسافر يقطع البرارى والآكام أيام وليالى تمام حتى وصل الى الشام ونصب عرضيه مع الخيام وأقام ثلاثة أيام

وفى اليوم الرابع أرسل الى خصمه قارغول يقول له أنا حضرت اليك حكم طلبك فان كنت طالب الاختبار اركب حصانك وانزل الميدان حتى يتبين لك الربح من الخسران فلما سمع قارغول هذا الكلام طلب حصانه ونزل وركب الى الميدان وقال يا معاشر الامراء من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى مابى خفى أنا قارغول ابن ملك الدشت واريد الامير ايدمر البهلوان فدعوه يبرز الى الميدان فما تم كلامه حتى خرج الامير ايدمر وسار قدامه وقال له دونك وما تريد فانطبقوا الاثنين وتماشقوا السيفين وحان عليهم الحين وزعق غراب البين حتى صار كل من نظرهم بالعين وهم يتجاذبون على السروج بالباع والذراع وتارة بالحرب والقراع حتى أبهروا بفعالهم كل بطل شجاع وتارة بالصراع حتى فحرت أقدامهم الارض والبقاع وتارة يتجاذبون كل حسام بتار وتارة يتراجمون بالاحجار وداموا على ذلك المعيار الى آخر النهار وانفصلوا على

سلامه ولم يبلغ أحدهم من الآخر مرامه وثانى الأيام فعلوا كذلك وثالث ورابع الى غاية عشره أيام وفى اليوم العاشر طلع من خلفهم غبار وعلا وثار وسد الأقطار وكشف عن عساكر اسلامية وبيارق محمدية يقدمهم ملك الاسلام وعلى رأسه بيرق المظلل بالغمام كان السبب فى قدوم السلطان وهوان بعد مسافر الأمير أيدمر البهلوان قال الوزير يا مولانا السلطان اعلم ان الزمان خوان لربما يكون هذا الذى ذكر عنه باشة الشام انه طالب أيدمر يكون جاسوس وإذا افترس بأيدمر البهلوان يبقى العار علينا فانه على كل حال من رجالك وضرب الدابة صفحا لراكبها فالصواب ادراك ايدمر البهلوان من قبل أن يبلغ منه عدوه قصده فقال الملك صدقت يادولتلى وزير ثم أن السلطان برز عرضيه وسافر حتى لحق ايدمر مع خصمه فى اليوم العاشر كما ذكرنا ونظر السلطان الى قارغول مع ايدمر وهم مع بعضهم ولم ينفصلوا لقدوم السلطان فدفع العجل الأدهم وخرج من تحت الأعلام وصرخ على الاثنين وقرع رؤوسهم فى الميدان ثم انه قبض على ايدمر وقلعه من سرجه وأرماه الأرض وصاح على قارغول أدهشه وطبق فى خناقه كاد أن يخرج أحداقه وجذبه أخذه أسير وعاد به الى العرضى وهو على يده كالطفل الصغير وكان صيوان السلطان انتصب فنزل الملك وأمر إبراهيم أن يقطع رأس قارغول فقال قارغول يا ملك الاسلام أنا سمعت بك أنك ملك عادل ولاسبق عنك انك قتلت مؤمن سنى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال السلطان إذا كنت مؤمن لاى شيء تأتى من بلادك وتطلب رجل مؤمن مثلك وتقاتله من غير جناية سبقت اليك منه ولا لك عنده دم ولا ثار تستوفيه ياقليل الأدب ويا ناقص التربية فقال يامولانا أنا لى حديث عجيب وأنا أحكى لك بعد ما تطلقنى فان سمحت لى العذر وعفوت عنى من فضلك وان قتلتنى من عدالك لأنى تجاريت على خدامك وأوجب الأمر إلى نقل أقدامك وقدوم ركابك الشريف الى أرض الشام فأمر الملك باطلاقه من وثاقه وخلع عليه وسأله عن سبب ذلك وكان السبب ان ملك الدشت له بلاد واسعة وهذا قارغول بن ملكها طلع فارس كرار وبطل مغوار وكان فى آخر مملكة الدشت مدينة يقال لها مدينة الحصار وبها ملك اسمه درويش شاه فقطع الخراج عن ملك الدشت فأرسل له ولده هذا قارغول فحاربه حتى اتعبه واكربه وأسره وأتى به لأبوه وتشفع فيه وأطلقه ورتب عليه الخراج وقال له ان قطعته أتيت بك ثانيا ولا تبقى لك بعدها خلاص فقال درويش شاه ياأمير قارغول أنا بقيت رجل كبير وأما لو كنت فى صباى كنت افترست بك ولكن أنا بقيت طايع ومعتوق سيفك ولا يبقى يمكننى المخالفة فان العذر قبيح ولكننى أنا رأيت علام اسمه ايدمر البهلوان

وهو الآن عند ملك العرب على الشان ولو كان عندى ما كنت أنت ولا غيرك تقدر على أخذ بلادى فلما سمع قارغول أقسم أن يروح إلى بلاد العرب و يطلب أيدمر البهلوان ويتقارع معه فى الميدان حتى يبان الربح من الخسران وهذا كان الأصل فلما سمع الملك ذلك الكلام قال يا قارغول سير معى إلى مصر فقال سمعا وطاعة يا ملك الاسلام وأكون عندك من جملة الخدام ورحل السلطان من على الشام وأمر إلى قارغول ببيت نزل فيه ونزلت عسكره ورجاله وأقام إلى يوم دخل ابن الرزاز قدام السلطان وقال أوفى الله وزاد فأمر السلطان بنصب عرضى على فم الخليج وكان يوم مشهور بجبر البحر كجرى العادة فلعب قارغول وأيدمر البهلوان ذلك اليوم قدام السلطان وفعلوا فعال ابهلوا بها النواظر وكل من رآهم صار حايروداموا إلى آخر النهار عند ذلك كان الملك راكب وقصده المراوح ورأى هذين الاثنين لم لهم عن بعضهم براح فدخل بينهم وجذب أولا قارغول من رجله وصرخ على أيدمر خبله وقال لهم أنتم الاثنين مقاومين بعضكم بالسواء ولا أحد يزيد عن الآخر ثم انه طلب قفطانين وقال لهم البسوا سوى مع بعضكم مع انى انا أحق بلبس القفطان منكم فانى قمت فى فى مصراع من قبلكم اصطلحوا مع بعضكم فاصطلحوا وساروا تحت طاعة السلطان وزالت من بينهم العداوة والحسد كانه ما كان وبعد أيام قلائل حضر كتاب من أكابر حمص وحماه بأرض الشام ان باشهم توفى ويريدون تنصيب باشا عوضا عنه فعند ذلك أمر السلطان باحضار قارغول بن ملك الدشت وخلع عليه وقال له أوليتك باشا على حمص وحماه فخذ عسكرك وسافر وعليك بالعدل والانصاف وحفظ الرعية وقلة الاذية ففرح بذلك قارغول بن ملك الدشت وسافر وجلس فى سراية حماه وأقام على حمص وتسلم من طرفه فهذا ما جرى لقارغول

[قال الراوى] وأما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه يوم من الأيام طلع إلى السراية فوجد الملك محمد السعيد مع أحمد سكندرون بن الوزير قابضين مع بعضهم تسارعون كما تسارعوا أيدمر البهلوان وقارغول السعيد يقول أنا أيدمر وأحمد اسكندرون يقول أنا قارغول فارتكن السلطان مختفى عنهم لينفرج على فعلهم وهم عالقين مع بعضهم إذا هم يتقاربون ويتلاكمون بالبديز وإذا تباعدوا يحذفون بعضهم بالمخدات عوض الحجارة فبالأمر المحتم مع الملاكمة فجاءت رجل السعيد على مخدة فانبرمت تحت رجليه فوقع فركب أحمد اسكندرون على صدره ومسك يده فقال له السعيد قم عن صدرى يا ابن الكلب فقال له ما الكلب إلا انت وأبوك فصاح السلطان وقال سيبوا بعضكم داهيا تلعنكم وتركهم وسار إلى محله ولم يلتفت اليهم وأما أحمد اسكندرون

فانه علم أن السلطان سمعه وهو يقول للولد الكلب أنت وأبوك فخاف ليقتله السلطان وان هرب إلى بيت أبوه ويمكن أن السلطان يطلبه فركب على فرس من قبيل أبوه وطلب البر وقال بلاد الله لخلق الله

ونفسك فز بها ان خفت ضيما   وخلى الدار تنعى على من بناها
فانك واجد أرضا بأرض   ونفسك لم تجد نفسا سواها
مشيناها خطا كتبت علينا   ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كتبت منيته بارض   فليس يموت فى أرض سواها

[يا سادة] وصار يقطع الأرض والبلاد وكلما عبر على بلد يعلم أنها من تحت حكم الظاهر يخاف أن يرسل ياخذه منها وما دام كذلك حتى أرمته المقادير على مدينة برصة وحكم دخوله فيها بعصارى النهار فسار وهو ضارب على وجهه اللثام كلما ينزل فى أى مكان فقالوا له ان كنت درويش روح التكية فقال اين التكية فدلوه عليها فدخل فالتقاه العشى ونظر إلى صورته وحسن خلقته وهو كما قال القائل

وتركى له على الخد خال   كمسك فوق كافور نقى
تعجب ناظرى لما رآه   فقال الخال صلى على النبى
فقلت له ملكت نصاب حسن   فزكى عن ضيا الخد المضى
فقال أبو حنيفة لى امام   يرى أن لا زكاة على الصبى
كذاك الشافعى أفتى بهـــذا   بتصديق لقول المالكى
فقلت له أيالك من فقيه   أما تجب الزكاة على الملى
وان لم تاتها طوعا وإلا   أخذناها بقول الحنبلى

قال الناقل وكان ذلك العشى مفسود من الذين لهم شيحة على الأكل من الثنية فتقدم وسلم على الملك احمد وقال له اهلا وسهلا وادخله التكية فى اعز مكان وقد اتاه باحسن الطعام فاكل حتى اكتفى وفى هذه الساعة اتى شيخ التكية ودخل فرأى العشى ملخرم وكان ايضا شيخ التكية انجس من العشى وقيل انه كان فى الظاهر مسلم وفى الباطن رفضى فنظر إلى احمد سكندرون وقال للعشى انت لأى شىء اخذت هذا الغلام عندك وما اعلمتنى وانا شيخ التكية فقال غريب وانا آخذه عندى فتقاتل السدار مع العشى وكان مع العشى سكينة فاخرجها فى يده وهجم بها على السدار فحينئذ قام السدار عليه وشاله بيده وضربه فى الأرض واخذ السكينة من يده وضربه بها فى صدره قتله ونظر احمد إلى ذلك فخاف منه على نفسه وعلم انه لا يفعل تلك الفعال إلا

أهل الضلال فانحمق وهجم على السدار وشاله من حزامه ورفعه إلى فوق وجلده على الأرض كسر عظامه واسقاه كاس حمامه ونظروا أهل التكية إلى ذلك الحال فداروا باحمد من اليمين والشمال والبعض منهم طلع إلى الديوان واعلم الملك مسعود بك فركب واتى إلى التكية ونظر إلى الاثنين القتلى فسال عن الخبر فقالوا له ان هذا الدرويش جانا البارحة فاخذه المشى فتخاصم معه الصدار وقتله وهذا الدرويش قتل الصدار وهذا الذى جرى فالتفت الملك مسعود إلى احمد وقال له يا غلام لاى شىء قتلت شيخ التكية فقال له لانه فعل شىء قبيح قتل الشيخ بلا ذنب ولا جناية وقاتل النفس يقتل وثانيا هذا الرجل خنا وفساد فكان جزاءه القتل هكذا امر رب العباد فقال له وانت من اى البلاد فقال من مصر فقال وانت من اهل العلم قال نعم فقال له اهل العلم يكونوا عاقلين وانت غير عاقل فقال له إذا كان العلم موجودا فهو افضل من العقل لان العلم مفضل كما قالوا الافضلين فى هذا المعنى :

علم العليم وعقل العامل اختلفا   كلاهما يطلبان المجد والشرفا
العلم قال انا لى كل مكرمة   والعقل قال انا بالله قد عرفا
فانطلق العلم بحق العقل قال له   فى اينا الله فى تنزيله انصفا
بذا اتيت ان فضل العلم فى ثقه   فقبل العقل راس العلم وانصرفا

[يا سادة يا كرام] فقال الملك مسعود بك يا غلام انا اريدك ان تكون صدرا على هذه التكية لم لك فيها معارض ولا مانع وانت حاكم عليها من قبلى فقال الامير احمد إذا كان كذلك فلا يقيم فيها عندى إلا كل من كان [illegible] طاهر [illegible] واذا كان رفضى فاسد فلا ابقى عليه بل اطرده وان تعاصى اقتله قال [illegible] افعل [illegible] وتركه فى التكية بعدما انعم عليه فقعد احمد واصلح شان التكية [illegible] كل ما كان على غير طريق الرشاد ونظفت التكية من الفساد [illegible] فى قلب التكية ورتب لهم كل يوم من الظهر إلى العصر يقرى فى [illegible] العصر إلى المغرب يدرس فى النحو ومن المغرب للعشاء يقرى [illegible] بعد العشا يجمع الدراويش ويذكروا الله بطريقة النقشبندى والصبح قرى احاديث [illegible] الرسول من البخارى ومسلم حتى ان جميع اهل [illegible] انه لم يكن [illegible] الطلاب اعلم من حضرة احمد افندى هذا الذى فى التكية هذا جرى لاحمد [illegible]

واما ما كان من امر السلطان فانه افتكر [illegible] لم يراه فقال انه فى بيت الوزير احمد ابنه لا [illegible] ما يعلم [illegible] فلم [illegible] قام الملك

ياوزير قول للسعيد طالت الضيافة وروح سراية ابوك بتى فقال الوزير ياملك الدوله ولدى له كام يوم مقيم عنه السعيد ولم يأتى فقالى الملك وأين السعيد فقال الوزير انه لاأعلم وانى ايضا معه فقال السلطان انا كنت رأيت الاثنين وجرى كذا وكذا ظن انهم خافوا منى وهربوا فقال الوزير ياملك انا اظن ان ابى عندك مع السعيد فقال السلطان وانا اظن ان السعيد عندك مع ابنك ولكن إذا كانوا لم هم حاضرين كيف يكون العمل فقال الوزير انت عندك غير السعيد وأما انا لم لى خلاف ولدى فقال الملك والله العظيم انا لم اتش على ولدى السعيد إلا إذا رأيت ولدك احمد سكندرون ثم ان الملك ادعى بالامير حتى اجلسه على تخت مصر وأوصاه بالعدل والانصاف وأخذ الوزير ثم اخذ المقدم إبراهيم وسعد وطلعوا وهم ذاهلين العقل والسلطان والوزير وتموا سائرين إلى آخر النهار وثانى لايام رحلوا وداموا كل بلد دخلوها يستنشقوا الاخبار فلم يقعوا على اثر حتى دخلوا برصة فساروا لها حتى دخلوها ولم علموا مسعود بك فقال إبراهيم أنا وسعد ندور فى البلد قال الملك وهو كذلك بينما سائرين فسمعوا رجل فى برصة يقول لرفيقه سير حتى نصلى العصر ونسمع الدرس فقال له كذلك فقال السلطان انا ادخل التكية اصلى واسمع الدرس احسن من الديوان ودخل السلطان فرأى هذه التكية مليحة ورأى الناس قد احرموا لصلاة العصر فصلى هو والوزير وإبراهيم وسعد فقال الوزير والله ماهذا الشيخ إلا انه احمد ابنى فقال إبراهيم هو بذاته ثم تقدم اليه وقال له ياأمير احمد بعد الوزارة وحكم ابوك قعدت فى هذه التكية فقال احمد ياابو خليل انا فى عرضك فقال ابراهيم السلطان طالبك منى يا احمد انت ماعندك اموال حتى أرد غيبتك فقال له انا حشت الف دينار خذهم واصلح لى امرى مع السلطان فقال إبراهيم ماعندك غيرهم لكن هاتهم ثم عاد إلى السلطان بعدما اخذ الالاف دينار وجاء الملك وقال يادولتلى اعطيى امان لاحمد ابن الوزير فأعطاه المنديل وغاب إبراهيم وأتى ومعه احمد بن الوزير فقبل يدك السلطان قال الملك يأحمد انت ايش عامل فقال يامولانا اصلى هنا بالناس وأدرس لهم فى العلم فقال السلطان ما شاء الله وأين السعيد فقال يامولانا لم اعلم أنا لما كنت فى سراية مولانا السلطان وحصل منى ما علم به مولانا فخفت من نقمتك يا مولانا السلطان وهربت من مكان إلى مكان حتى نزلت فى هذا المكان وأما صاحب هذه المدينة اراد قتلى ولولا انه رآنى اهل علم وإلا كان قتلنى لاجل انى قتلت واحد رفضى كان مدار فى هذه التكية فقال الوزير ياولدى هذه كلها بلدك وهذا الملك الذى فيها عمك ثم انه اخذه من يده وطلع هو والسلطان وإبراهيم وسعد

حتى وصلوا الديوان فعلم الملك مسعود بك بقدوم السلطان فنزل إلى لقاه واستقبله وأتى يسلم على الوزير فقال له انت يانيك ولدى تجعله يقيم فى التكية كأنى مالى فى برصة لا أبيض ولا اسود فقال الملك مسعود بك يا أخى انا ما علمت به وأنا والله متعلق حبته محبة زائدة مع انه لم يحتاج إلى مراعية منى ولا من غيرى فقال الوزير ها هو عندك حتى أسير مع السلطان فقال السلطان يا دولتلى وزير خذ انت ولدك وتوجه إلى مصر فى امان واما انا ما بقى يمكنى اعود حتى الاقى ولدك السعيد فقال له الوزير يا ملكنا لا يمكنى أسير إلا اذا اطمانيت على السعيد واراه كما رأيت ولدى فقال له سير معنا ولما كان ثانى الأيام سار الملك وابراهيم وسعد والوزير ولم يزالوا الى ملك الافلاق فنظر ابراهيم فى الخلا فرأى رماة فى الخلا يرعوا خنازير ولهم واحد كبير يحكم عليه فتأمله المقدم ابراهيم من بعيد واذا به محمد السعيد فلما رأى ابراهيم ذلك قال يا ملك الاسلام هذا الذى أنت طالبه هذا ابنك والحمد لله الذى جمع به شملك فقال السلطان ابنى اسير ويرعى الخنازير قال المقدم ابراهيم يا مولانا لا تعتب على الزمان فانه لم له امان كم للدنيا نكبات وكم للدهر آفات وهذا ولد صغير وحدانى على كل حال وجارت عليه الايام والليالى كما قال القائل

ليش ياليالى الهنا والعز والليتى   وليش عزلت الاصيل والنذل وليتى
وليش حكمتى بذلتنا وحليتى   وليش جمعتى علينا السقم والامراض
وايش وسقتى الهنا مركب وحليتى

[يا سادة يا كرام] فقال السلطان يا ابراهيم بقى ابن الوزير يعمل شيخ تكية ويقرأ علوم ويدرس للناس مع انه تربى فى بلاد النصارى والسعيد الذى تربى فى بلاد الاسلام لما تغرب وحده صار يرعى الخنازير قال ابراهيم أحسن من الموت يعنى اذا كانوا النصارى قتلوه من كان يعلمنا بخبره وكان السبب فى ذلك وهو أن الملك محمد السعيد لما طلع من مصر طلع وحده ولا معه غير حصانه فسار الى الشام وفرغ منه المصروف فباع الحصان بمائة دينار وقبض ثمنه وخاف ان باشة الشام يعرفه ويرسل يعلم أبيه واستحى ايضا ان يشوفه وهو خالى فقير فخرج من الشام ورأى نفسه لم يقدر على مشى فسار الى السويدية فرأى مركب سائرة الى الافلاق فنزل فيها ولم يعلم من هو صاحبها وكانت مركب روم تجار فلما رأوه سكتوا عنه حتى نضف أمتعتهم وطلبوا السفر فلما خرجوا من مدينة السويدية قبضوا على نفسه ووضعوا فى رجليه قيد حديد فسكت ولم يقول لهم أنا فلان ولا علموا أنه

السعيد كانوا قتلوه لأن الملك الظاهر حارق قلوب الكفرة وذالهم فكان السعيد يخاف أن يقتلوه وامتثل لهم حتى طلعوا على ملك الافلاق فباعوه بخمسين دينار والذى اشتراه وزير الانجبيرت وسلمه إلى كبير الاسارى فاعطاه مائة خنزير لاجل أن يرعاهم فسار بهم صحبة الرعاه وعاد آخر النهار فعدوهم وإذاهم ناقصين واحدة فقال لهم كبير الاسارى يا ولد ابن الواحدة فقال له بكره أدور عليها فانى لما رجعت لم أعلم انها ناقصة فقال له هذه النوبة اسامحك لأنى مسلم مثلك ولكن إذا علم بك الوزير يقطع عقله من صوابع يدك وهكذا كل خنزيره يقطع فيها عقله فقال له أنا أحاسب فلما كان ثانى يوم سرح وعاد ناقص خمسة فكلمه كلام فاحش وثالث يوم اعلم الوزير فارسل بطريق من عنده امين وقال له خذ منه حق الذى ضاع منه فلما أقبل قال له هات الذى ضاع منك فقال له من أين أجيب لك خنازير فقال من أعضاك هات يدك حتى اقطعها ثم انه تقدم وطلع ساطور حديد وأراد قطع يد السعيد فقال بقى الموت أحسن من قطع اليد وهجم على ذلك الملعون وضربه فى رأسه بحد الساطور فمات فقال له الاسارى إذا علم الوزير يقتلك ويقتلنا معك وبلغ الخبر إلى الوزير ماريق فاتى بنفسه ونظر إلى السعيد فعطف الله قلبه عليه وقال له يامسلم لاتخاف وانت تكون كبير على الاسارى الذين يرعوا الخنازير لكى تحاذر أن يروح منهم شىء فقال السعيد أنا ماأعرف فقال له أنت مع الاسارى فسار السعيد وهو فى غم زائد فانضجع بجانب مغار فأخذه النوم فلما أفاق لم يجد من الخنازير ولاواحدة فدخل المغار فرأى خنزيرة فجذبها وقال إن رحت بهذه يقتلنى لأن قلبه ملان على غيظ ثم انه ربط تلك الخنزيرة ونزل عليها بعصا كانت معه فصرخت فاجتمعت عليه خنازير بكثرة فساق منهم مائة وترك الباقى وجعل هذه الشغلة شغلته ولم يعلم بها أحد وفى كل يوم يضرب تلك الخنزيرة فيجتمعوا الخنازير فيقل الرعاة كل من كان ناقص منه شىء يأخذ من تلك الخنازير فصاروا يفرحون بكلامه ودام على ذلك الحال حتى أقبل الملك والمقدم إبراهيم والمقدم سعد والوزير ونظر المقدم إبراهيم إلى السعيد وأخبر أن السلطان هذا كان الأصل والسبب ثم ان المقدم إبراهيم قال يامولانا اعطيه الامان حتى احضره بين يديك وإذا بالوزير مربن وزير الانجبيرت مقبل ونزل من على ظهر جواده وقبل يد السلطان وقال ياملك الاسلام وحق من أولاك على رقاب العباد لم أعلم أن هذا ولدك إلا فى هذه الساعة والسبب فى ذلك انى كنت نائم فرأيت رجلا لابس طليحية جلد وقال لى قم يا مغرور أولك النار وآخرك النار فان الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء قم قابل ولدى الملك الظاهر وسلم عليه فان ولده عندك أسير فسلمه اليه واتبعه لعلك

تفوز بالاسلام إذا أراد الملك العلام وها أنا أقول على يديك اشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمدا رسول الله

فقال له السلطان افلحت إن صدقت فقال يامولانا وأريد أن أكون تحت حكمك وفي خدمتك حتى أموت فقال السطان مرحبا بك يا وزير مارين فقال يا مولانا أنا مرادي أن أجمع اموالي وأسافر من هنا والحقك في بلاد الاسلام

فقال السلطان افعل ماتريد وتسلم السلطان ابنه وقال له ياسعيد كيف حالك وايش الذي أغراك حتى تسافر إلى هذه الارض ويحكموا فيك الكفرة ولكن والله الذي تعالت اسماؤه لم تسافر معي إلا ماشي على الاقدام ولم تقلع ثياب اليسر أبدا إلا في حمام مصر وركب الملك من الافلاق وسافر والسعيد يتجرع عذاب المشي حتى وصلوا إلى مدينة الرخام عند ذلك قال ابراهيم يا سعد اسبق وأعلم خالنا المقدم معروف حتى يطلع يعزم السلطان لاجل تأخذ السعيد الراحة قال سعد صدقت ثم ان سعد طار في الهوى حتى دخل مدينة الرخام وأعلم المقدم معروف بالقصة والملك عرنوس فركبوا واطلعوا السلطان والوزير وضربت المدافع لقدومه وكان يوم عظيم هذا والملك الظاهر متغير على ولده الملك محمد السعيد فقال الملك عرنوس يامك الاسلام أنا لي عليك من جملة انعامك كلمة لاترد وأريد منك ان تبقى ابن عمي الملك محمد السعيد عندي حتى تروح إلى برصة وتأتي باحمد ابن الوزير

فقال السلطان اخليه عندك لكن بشرط انه لم يقلع ثياب الصوف التي لابسها ابدا فاني حلفت عليه

فقال معروف يمينك تمشيه ولكن يا ملك انت الك اسباب وتريد تشمت الاعداء إذا رأوا ابنك بهذا الحال

فقال السلطان صدقت ولكن يا أخي كيف العمل فقال معروف يا ملك يمينك تمشيه ويلبس ثياب المملكة من فوقهم على كل حال

فقال السلطان كذلك ثم ان الملك ثاني الايام ركب وركب الوزير وابراهيم وسعد وأراد الملك عرنوس أن يروح معه فحلف عليه ورده وسار الملك إلى برصة فالتقاه الملك مسعود بك وأراد أن يعمل له الضيافة فلم يرض السلطان وعاد إلى مدينة الرخام وأخذ السعيد وسافر فسار معه الملك عرنوص إلى بر البلد فحلف السلطان عليه ورده وسافر حتى دخل الى مصر لكن احمد سكندرون راكب والسعيد ماشي حتى طلع قلعة الجبل وطلع السعيد الى القلعة ومن شدة كسرقه نام في السرايه لم ينزل ابدا مدة أيام الى يوم جلوس الملك في الديوان واذا بأ ر على البراج يقول سبحان هادي

الطير ومعه كتاب من اسكندرية قدمه للسلطان وإذا فيه من حضرة باشة اسكندرية إلى بين أيادى ملك الاسلام ان يوم تاريخ الكتاب مقيمين فاقبل من البحر غليون مستر بستار الروم فكشفنا خبره واذا به وزير ملك الافلاق اسمه مرين وهو يريد القدوم الى مصر يقابل مولانا السلطان والتمس الافادة بما يوافق

فلما سمع السلطان قال أين فلما سمع حضر قال له اركب وروح الى اسكندرية قابل سيدك الوزير مرين واحضره الى هنا ونزله فى بيت قرقطين الحاجب فنزل السعيه ممتثل أمر السلطان وسافر اسكندرية وسلم على الوزير مرين ونقله من الى الخلو وسافر الى بولاق وطامه الى بيت قرقطين حكم أمر السلطان وثانى الايام طلع الديوان وقبل اتك السلطان فالتفت الملك الى ابراهيم وساله عن اسلام مرين فقال يا ملك اسلامه صحيح فامر السلطان بقفطان أخلعه عليه وقال له انت أمير من جملة الامراء وأقام كذلك على هذا الحال وكان مرين هذا له زوجة اسمها مرينه وهى بنت خال الانجبيرت فلما باع أملاكه قالت له إيش مرادك فقال لها قصدى أروح القدس فامتثلت ولم تعلم أنه أسلم حتى بقى فى مصر وجرى ماجرى فاقامت معه وهى مغتاظة فقال لها إذا علم ملك الاسلام انك نصرانية يقتلك فسكتت ولم تحرك ساكن إلى يوم من الايام كان آخر النهار وروح مرين من الديوان قاصد بيته فرأى رجلا عالم راكب على بغلة ومعه طالب فقال الشيخ أنت مرين الذى أسلمت قال نعم فقال له يا ملعون لا يصح اسلامك حقا إلا إذا رضيت عنك علماء الاسلام فان القائل يقول

ان الاكابر يحكمون على الورى وعلى الاكابر تحكم العلماء

وأنت قضيت عمرك لم اجتمعت على العلماء فكيف اسلامك يكون وأنت ملعون فقال مرين يا سيدى من فضلك أريد أن تشرفنى فقال له سر قدامى إلى منزلك فسار به إلى البيت ونزله عن البغلة وأكرمه وأقام عنـــده ليلة وثانى الايام ركب مرين إلى الديوان وعاد آخر النهار رأى الشيخ مقيم فى المندرة سلم عليه وقعد معه وإذا بالشيخ أغمى عليه

فقال مرين للطالب ماحال الشيخ يا أخى فقال هذا له مرض يعتريه فى بعض الاوقات ولا يخلصه من ذلك الامر إلا شرب الخمر هل عندك يا أمير فقال مرين أما أنا فلم يكن عندى خمر وأما زوجتى فانه يوجد عندها لانها لم تكن اسلمت معه ثم قام وأتى بشىء من الخمر وسقى الشيخ فافاق من غشوته وقعد وملا الكاس بيده وشرب وقال يا مرين اشرب انت الآخر فقال له حرام يا شيخنا فقال له انت تريد أن تزود المسلمين باسلامك يا مرين اعلم ان الذى بيكلمك فهو جوان وان المسيح أتانى على الغمامة

القدسية وقال لى أنت عالم ملة الروم وكيف تخلى واحد من أمتى ينتقل الى غيرها فامضى اليه ورده الى دين النصارى وأنا أملكك بلاد المسلمين واجعله هو ملك المسلمين جميعا وها أنا مرين لما علمت فاهان على واحد مثلك نصرانى بن نصرانى عمله كله مدة عمره يقربه الى أبواب سقر وتقول كلمة تردك الى غيرها وأنت من أهلها وقد أتيتك بأمر المسيح ومارى حنا المعمدان والمسيح اعلم جوان انه يملكك جميع بلاد المسلمين ومادام الملعون جوان يغره وأخيرا صاح على زوجته فحضرت وبكت فلان قلبه الجاحد وانتقل الى الضلال بعد الهدى وقال يا أبونا كيف يكون العمل فارمى له الصليب سجد له دون القريب المجيد نسأل الله العافية وقال له جوان بكره اطلع الديوان واطلب من ملك الاسلام ان يأخذ مرينة عند الحريم عسى ان يلين قلبها للاسلام فاذا أخذها يقيم أيام قلائل وتسلم بالزور والبهتان فاذا قال لها الملك تمنى أكون شربدارة السلطان فاذا بلغى ذلك خذى هذا الحق علقيه فى شعرك فاذا أمكنك تعطيه للسلطان فى الشراب فاذا مات الملك أكون أنا جمعت لك ملوك الروم يساعدوك حتى املكك بلاد المسلمين وتبقى تحت يدك الدنيا كلها ولم يكن لك نظير فى جميع الملوك فأخذت مرينة حق السم وبات جوان تلك الليلة وعند الصباح قال يامرين افعل ماأمرتك وان وقعت فى محذور انده جوان يخلصك من عمرك بغير أوان ففرح مرين بكلامه وركب جوان بغلته وخرج الى حاله وأما مرين طلع الى الديوان ونظر اليه المقدم ابراهيم فصاح ياسيدى غوث ياسا كن حلب باملك الدولة الرين ارتد عن الاسلام وكفر بالملك العلام قال الملك أعوذ بالله صحيح يامرين أعوذ بالله من ذلك ولكن انا مالى مقدرة أكذب المقدم ابراهيم الله ينتقم من كل ظالم عمرك سمعت ان أحدا عرف حلاوة دين الاسلام وعاد الى الكفر ثانيا فقال الملك لا كفر بعد ايمان ولا ضلال بعد هدى فقال ابراهيم الحق على والله مافى بدنه ولا شعره توحد الله فقال الملك والبارحة قال كان مسلم فقال الملك ليش تقولوا ياعلماء الاسلام فقالوا احنا لنا الظاهر والله متولى السراير

قال الملك ياابراهيم ليس لك به دعوة فقال ابراهيم هذا ارتد على مكيدة يعملها فى الاسلام اعطينى منك سند عليك اذا حصل منه شىء أكون خالص العلاقة وأعطى له السلطان حكم ماطلب وثانى الايام طلع مرين أخبر الملك عن زوجته أنها لم ترضى تسلم وأريد تحضر فى السراية لعل الحريم يهدوها فأمر السلطان بدخولها السراية وهذا مكر ومحال كما ذكرنا من تدبير جوان وأما الملعونة فانها أقامت شهرا كاملا وبعده

زغرطت فى السراية وهى تقول أشهد ان لا إله الا الله فسأل الملك عن الخبر فقيل له ان مارينة أسلمت فأحضرها بين يديه وسألها عن سبب اسلامها فاعلمته ان الملك الصالح أتاها فى المنام وأسلمت على يديه كما علمها جوان وقالت ما أتقصمن نومى الا وأنا مسلمه وزغرطت من فرحتى ففرح الملك بها ويقول لها ولم يعلم ان هذا من مكايد جوان وتعليمه لها فقال لها تمنى قالت أتمنى أن أكون شربدارية الملك فاعطاها طلبها وصارت الحاكمة على المأكول والمشروب تعلق السلطان هذا ما جرى الى يوم من الايام اتى السلطان هدية من بلد يقال لها سوادة لما أتت الهدية وكان شىء كثير ففرقه الملك وبعضه طلع السراية ثم ان الملك أمر أن يقطعوا بطيخة وتكون مارى ففعلت مارية ما طلب السلطان وقطعت بطيخة مارى وصفت لبها ووضعت فيها قطعة بنفسج ووضعت الخردقة السم فى قلبها وغطتها وتركتها ومضت

[ياسادة] وبالبلا المقدر والامر المسطر عبر السعيد الى تلك الاودة التى فيها البطيخة فكشفها وأراد ان يشرب منها فاستحس بالملك مقبل فخاف السعيد من أبوه وغطاها كما كانت ومضى الى محله فجاس الملك وطلب البطيخة وسأل من الذى كان بالاودة فقالت له مارية ما كان غير السعيد وقدمت له البطيخة فملأ المعلقة وشربه فحس ان أمعاءه تقطعت فصرخ صرخة عالية فادركوه الدولة وقالوا ما الخبر فقالوا الاغوات الملك انسم وتمكن منه السم فطلع ابراهيم وسعد فقال المقدم ابراهيم ما غريمنا الا مارين فقال الاغ شاهين اندهوا على شيحة فصاح ابراهيم وقال أنت فين ياسلطان الحصون و ذا بشيحة قال له أنا حاضر وعاوز الخرزة من البترك كرسانون فى دير الطين فان معه خرزة بسبعة وجوه ولم يكن لها نظير الا الذى مع جوان ولكن الآن لم نلتق جوان فهات لى هذا الملعون حتى تأخذ خرزته منه فاراد ابراهيم يركب ويسير واذا بسعد مقابله بالبترك كرسانون وقال له خذ هذا البترك الذى أنت طالبه وكان سعد لما سمع من شيحة ذكر كرسانون وعلم ان دواء السلطان معاه فلم صبر بل انطلق فى البر وأقبل على باب الدير وطرقه فانفتح فهجم على البترك وحمله على كاهله وسار به من غير ان يعلمه حتى اوقعه قدام المقدم ابراهيم فقدمه لشيحة شق ذراعه بالكشافية وطلع الخرزة بعد ما كان انكرها وأمر شيحة باحضار سبعة البان غنم وعنز وجاموس وبقر وغزال وجمال ولبن الخيل وجعل يسقى الملك حتى أسقاه سبع مرات وكل مرة يرخى دما ومرات قيح ومرات أصفر وأخير اللبن فما شربه ابن ونزل جميع السم الذى كان فى بدنه فافاق الملك وقال أشهد أن

لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله فعند ذلك غطس المقدم الدين فقال السلطان يا مقدم ابراهيم قال نعم قال من فعل معى هذه الفعال قال ما فعل ذلك إلا مرينة فقال الملك كذبت أنا رأيت بعينى الذى فعل فقال ابراهيم إذا كنت رأيته يا ملك لا تسألنى فقال له أمرتك أن تأتى بالسعيد قال ابراهيم على الراس والعين لكن يا ملك تقطع راس ولدك والاسم الأعظم ان ولدك برىء من هذا الذنب ولم يعلم بذلك وان قتلته فانه مظلوم فقال الملك اطلع هات السعيد يا ابراهيم قال ابراهيم حاضر ونزل الملك قعد على التخت وطلع ابراهيم إلى السراية وطلب السعيد فقالت الملكة يا أبو خليل يهون عليك قطع رأس السعيد فقال لها إذا كان هان على الملك إيش اعمل أنا فقالت له ان قعد ولدى أعطيك ثقله مال فقال لها والاسم الأعظم لم ينزل منه قطرة دم إلا بعد قطع رأسى أنا وروحى فداه ثم أخذه ووأقفه أمام السلطان قال الملك كاس قال ابراهيم يا ملك هذا مظلوم ولم فعل معك شىء فقال أنا رأيته بعينى اقطع راسه فقال يا ملك ان كنت تأمرنى بقتل ولدك وأنا أعلم انه مظلوم وأنت لم تصدقنى اريد منك حجة شرعية انى نصحتك ولم تقبل نصحى تامر الملك أن لا يكتب له حجة فاخذها ابراهيم وقال يا ملك الولد قطعة من الكبد وأخاف بعد موته تطالبنى اكتب أنت لى بخطك واختم لى بختمك أنك أمرتنى بقتل ابنك السعيد محمد غصبا وأنا برىء من دمه .

فكتب له السلطان بيده تذكرة وختم عليها بختمه فقال ابراهيم يا ملك إذا كنت أنت رأيته بعينك وهذا أكبر شاهد عليه فالواجب أن تلف به البلد وينادى المنادى هذا جزاء من يتجارى على اتلاف السلطان قال الملك افعل لا مانع قال المقدم ابراهيم خذه يا سعد دوره فى البلد ونادى عليه كالعادة واضربه كف لخبطه فى بعضه اقطع راسه قدام أبوه فاخذه سعد وغاب ساعتين وأقبل وهو يقول هذا جزاء كل خاين فقال السلطان هاته بظهره وضربه المقدم إبراهيم على ورديه أطاح راسه من على كتفيه فقال الملك لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن قال ابراهيم مثل ما تعرف افعل هنالك حزنت السراية وأهل الديوان هذا ما جرى هنا وأما الملعون مرين فانه نزل آخر النهار من الديوان واعلم جوان بما جرى وان السعيد قتله أبوه قال جوان فى داهية اكتب لى كتاب إلى خالك الانجبيرت ملك الافلاق أن يركب على بلاد المسلمين فكتب له مرين كتاب بانه ارتد إلى دين النصارى ثانيا وها هو تمكن من بلاد المسلمين اركب فاخذ جوان الكتاب وسار من مصر قاصد ملك الافلاق يا عجب ما وقع أن الملك

عرنوص قال لابوه يا أبي عمى الملك الظاهر من يوم توجهوهو منغاظ على ابنه الملك محمد السعيد فالحد الآن لم نعلم بالذي جرى عليه ومرادى أن أسير إلى مصر وأنظر الذى جرى فانا والله ياأبي قلبي مشغول فقال معروف هيابنا ياولدى ننظر ماجرى فركب معروف وعرنوص وأجلسوا محمد الطن ودرويش على مدينة الرخام وسافروا الاثنين طالبين مصر حتى أتوا على مفرق الطرقات بين برصة والأفلاق وإذا بجوان والبرتقش قادمين عليهم فصاح الملك عرنوس يا برتقش اقبض على جوان وقدمه إلى عندى وان هرب والله أقتلك وأقتله فقال البرتقش ياابونا تفضل كلم الدبابر وعرنوس فقال جوان اهرب بنا قال البرتقش كيف اهرب وانا سامعه لما حلف كيف أسيبك قدم استوفى منه وعدك ولما بقوا بين يدى عرنوس قال الملك يابرتقش عرنوس جاى من اين قال جوان من الروم فقال البرتقش من مصر فقال عرنوس ياجوان وحق الذى تعالى فاقتدر إذلم تخبرنى بما فعلت فى مصر أنت والبرتقش بالصحيح إلا جعلتكم أنتم الاثنين اربعة بهذا الحسام قال البرتقش إذا انكر جوان احكى انا فقال جوان اعطينى الأمان وانا والله احكى لك بكل ما جرى فقال عرنوس لك الأمان الشافى والزمان الوافى امان من يامن ولا يخون فاحكى جوان لعرنوس من ابتداء دخوله مصر واجتماعه بعرين إلى عند سم السلطان وموت السعيد فعض الملك عرنوس على يده وقال له والسعيد قتله السلطان قال نعم قال لا حول ولا قوة إلا بالله وانت كنت رايح فين قال كنت رايح بكتاب إلى الانجبيرت وآمره بالركوب على بلاد الاسلام فقال له هات الكتاب فاعطاه الكتاب فاخذه منه وقال يا برتقش انا اعطيكم الأمان ولا بقيت اخون امانى وانما ان دخلتم الأفلاق جعلتكم شهرة فيها قال البرتقش هى الدنيا ضاقت ما نرحش إلا الافلاق فتركه عرنوس وسار حتى دخل إلى مصر وسار إلى قلعة الجبل وطلع فوجد الملك جالس فتقدم قبل يده وكذلك المقدم معروف سلم على السلطان وجلس الملك عرنوس وبعد ساعة سأل عن السعيد فاحكى له السلطان بما جرى فقال عرنوس قول من خاف لكن هذا جزاء من يخون والده ولكن يا ملك الاسلام هذه الافعال فعل من يكون من غير حلال واما السعيد من ظهر طاهر وماعونه طاهر فقال السلطان تلبيس الشيطان

فقال عرنوس ياعم لما كنت اتيت من بلاد النصارى ومنيتنى سبع تمنيات وكان من ضمنهم كلمة لا ترد هل ترى نسيت ام فاكر والا رجعت فى حقك وتقول ما اعطيش ان كنت رجعت لا مانع قال السلطان لا يا ملك عرنوس اتمنى كما تريد فقال اريد احكم على

تخت مصر يوم كامل ولم أحد يعارضنى فى حكمى فقال السلطان هذا اليوم تفضل وقام الملك وأخذه بيده وأجلسه على التخت وطلع السلطان إلى كشك يكشف على الديوان وقعد وأما الملك عرنوس فانه أمر بتكميل الديوان من أمراء وغداوية وعلماء وشيخ الاسلام ومفتى وقاضى وكل ما يكون فتكامل الديوان بوقته وقال عرنوس يا مقدم إبراهيم الديوان تكامل قال نعم فقال وأنت إيش صنعتك فى الديوان هذا .

فقال أنا يا دولتلى صيرفى الديوان فقال عرنوس الصيرفى عادته النقد وهنا لم يكن معاملة حتى تنقدها فقال أنا صيرفى رجال فقال عرنوس وهل تعلم أن هذا الديوان كل ما فيه منقود وفيه زغل فقال فيه الزغل فقال طالع الزغل وفرجنى عليه فوضع يده فى خناق مرين وجذبه وأوقفه قدام الملك عرنوس وقال ياملك هذا الزغل الذى فى الديوان ولم يكن فيه غيره قط فقال عرنوس ولأى شىء تاركه فقال بموجب أمر السلطان المتنزه وها أنا أحضرته بأمر السلطان المتولى

فقال عرنوس يا مرين من الذى سم السلطان وألقى هذه الفتنة بينه وبين ولده حتى قتله فقال مرين لا أدرى فقال عرنوس وجوان ما كان عندك ودبرك على قتل ملك الاسلام ولما مات الملك محمد السعيد كتبت كتاب الانجبرص تامره أن يأتى بركبة على بلاد الاسلام وأنت من داخل وهو من بره وهذا الكتاب خطك خذوا يا علماء الاسلام انظروا ما فعل هذا الملعون فقالوا العلماء لا حول ولا قوة إلا بالله ثم انهم أخذوا الكتاب وإذا به من الوزير مرين اعلم أنى أوصيت مرينة زوجتى بحيلة وأعطيتها حق سم فاسقت الملك فى بطيخة ولكن طبية شيحة وتهم فى ابنه السعيد وقتله والسلطان الآن مريض فهات عساكرك واملا بلاد الاسلام وها أنا مساعدك على بلوغ المرام حتى تقتل ملك المسلمين ، تاخذ بلاده وتهلك عساكره وأجناده وشكرا يارب المسيح

فلما سمع عرنوس ذلك قال يا مقدم إبراهيم هات مرينه طلع إبراهيم طلع مرينه كانت الملكة والجوار جملوها قطع فنزلها ولم فيها روح

فقال عرنوس اربطها مع زوجها واحفر لهم حفرة على قدرهم واضرموا فيها نار واحرقوهم فانهم كفار عند ذلك نزلهم إبراهيم وفعل ما أمره الملك عرنوس وعاد اليه وقال ياملك عرنوس يكونوا أعداءك مثلهم فقام عرنوس من على الكرسى وقال ياملك الاسلام تسلم محلك فانه ما كان للموالى يحرم على الخدام فاننا جميعا عبيدك وأنت المولى والامام ومنى عليك السلام فجلس السلطان على تخت مصر ودارت به الاحزان وأدركته الهموم والغموم وعلم أن ولده محمد السعيد قتل غلطا وهو فى

هذه الفتنة مظلوم وراح ابنه بسبب الظلم مع أنه برىء من هذه الدعوة فلا حول ولا قوة إلا بالله ثم انه سكت على غيظ حتى فرغ النهار وطلع إلى السراية فوجد الملكة تاج بخت وقفت بين يديه باكية العين وقالت يا ملك الاسلام هان عليك السعيد أكبر أولادك حتى يضربه إبراهيم بن حسن بالشاكرية وأنت تنظر اليه يبقى ابنك ونترك دمه هدر

فقال السلطان لا حول ولا قوة إلا بالله ثم ان السلطان قعد يتفكر في قول إبراهيم قدمه بظهره ياسعد وضربه أطاح راسه فقال والله ماتطفى هذه النار إلا إذا كنت أرى إبراهيم بن حسن مثله مقتول فانه هو الذى قتله وبات يتفكر بهتف بمثل ذلك ولما كان عند الصباح وتكامل الديوان التفت السلطان إلى ابراهيم وقال له اين السعيد يا ابراهيم قال ابراهيم انا لله وانا اليه راجعون قال السلطان هات السعيد يا راجل بلا هلس فارغ

قال ابراهيم الله يصبر قلبك يا ملكنا قال السلطان السعيد عاوزه منك وقام على حيله ومسك خناق المقدم ابراهيم وقدمه الى بين يديه وقال اطلع وانزل بالسعيد ولا لك خلاص منه فقال ابراهيم أنا معى حجة شرعية من علماء الاسلام والقاضى والمفتى وشيخ الاسلام فقال له أين هى لما أشرفها نطلعها ابراهيم فلما رآها الملك قال هل بقى معك غيرها قال ابراهيم معى خطك وختمك قال السلطان اذا كان معك خطى وختمى هاته فاطلع ابراهيم التذكرة بالأمر انه يقتل السعيد وهو برىء من دمه فقال السلطان دول بطالين وانما طالب منك السعيد حالا ولا أتعلق الا بك ولا أطلبه الا منك ثم انه شرمط السندات والحجة وقال له هل بقى معك شىء تمانعنى به عن دم ابنى فقال ابراهيم هكذا تفعل الأقوياء بالضعفاء كما قيل

بحياتك يا باشـــا قتلتنى فقلت مظلوم ومسكين
حاكم على ســـائر الناس والخلق له طايعين
الحكم بيدك وظالم ولم أجد لى عليك معين
لما انت حاكم وظالم المظلوم يشكى لمين

[ياسادة] فقال السلطان لا تكثر كلام توت بواضم هيا كاس والله ما يخلصك الا رجوع السعيد بالخيال فقال ابراهيم كانى أنا سيدنا عيسى الثانى حتى أحيى المرتى ولكن يا ملكنا الأمر بيد الله فقال سعد قلت لك بلا موتة قلت لى قدمه وضربته بالشاكرية قدام أبوه رميت رقبته موت بقى فيه ثم ان المقدم سعد تقدم وساعد السلطان وكتف ابراهيم قال ابراهيم كذا يا سعد قال ابراهيم قال سعد ياابن خالتى

إطاعة السلطان فرض على كل مؤمن وأنت تعلم ذلك ومن جملة كلامك ان طلب الملك الظاهر بن حسن الحوراني أقدمه بين يديه قال إبراهيم ما علينا قال سعد انت راجع الدنيا تعا نبي خذ لك موتة وفارقنا تقتل الملك محمد السعيد وتعيش حرام علينا فبينما على ذلك الحال وإذا بباب الديوان استد وستة وثلاثين كيخية واتباع مقبلين وطبلة تقرع وجاويش يزعق أكثر من الصلاة إلى العربي محمد قال السلطان الصلاة على أسعد الانبياء سيدنا محمد إمام المتقين وكان السلطان ممتزج بالغضب ولكن قام ومشى المقدم جمال الدين وأفرد السجادة وأجلسه بجانبه ونظر المقدم جمال الدين إلى إبراهيم فأمر سعد أن يفكه وقال له ياأبو خليل الذى غير مزاج السلطان منك وانت أعز الناس عنده وكم مرة وأنت تغير على السلطان وتود أن تفديه بروحك ولا شيء حصل هذا الغيظ منك اليه حتى تغير خاطره وأراد قتلك فقال إبراهيم ياحاج شيحة ها أنت حضرت وعينك كلما نظر اسأله وهو يحكى لك واحكم بما ترى فيه الصواب فقال شيحة إيش أصل الدعوى يا ملك الاسلام أنا قلت لك ألف مرة أن المقدم إبراهيم رجلي أنا وأنا الحاكم عليه وإذا حصل منه أدنى خلل فأنا المطالب بخلله فقال الملك إذا كنت أنت المطالب هات السعيد ابني فانه قتله فقال المقدم جمال الدين يامقدم إبراهيم انت هان عليك السعيد قتلته حقا ولا بقي لك وسيلة لرجوعه إلى دار الدنيا فقال إبراهيم ياحاج شيحة وإيش الوسيلة إذا كان الملك أمر بقتله من الذى يمنعه قال شيحة طيب والسعيد فى هذا الوقت فين أصدق فى الكلام قال إبراهيم والاسم الاعظم السعيد ماهو إلا عند ناكر ونكير فقال شيحة وناكر ونكير ما بقاش يمكن يعيدوه لنا ثانيا وانت لك طريقة معهم قال إبراهيم بقى رأيك وعينك كلها تنظر حقاش بجيب فقها وتأمرهم بقراءة القرآن وتخرج صدقات بكثرة لعل الله أن يسير الامور فاذا كان كذلك لا بأس فما تم المقدم إبراهيم هذا الكلام حتى أتى الأغا ريحان وقال يا مقدم جمال الدين ان المقدم إبراهيم إذا كان له وسيلة فى رجوع السعيد حي فله من المملكة خزنة مال وألف ومائتين كيس كل كيس ألف دينار

قال شيحة سمعت يا أبو خليل قال إبراهيم وأبوه الذى أمر بقتله

قال الملك وأنا خزنة عندها قال الوزير وأنا خزنة فهاج الديوان وبرز كل من كان حاضر وقال المقدم جمال الدين وأنا خزنة قال إبراهيم هاتوا الفلوس وأنا أتكلم مع ناكر ونكير كما أعرف عندها كل من قال على شيء دفعه ونزل المقدم ابراهيم والضامن المقدم جمال الدين بعد مضى عشرة أيام يحضر السعيد وشاع الخبر بأن ابراهيم يحي السعيد بعد ما انقطع رأسه فتكلمت أولاد البلد وقالوا هذا ان ملك الاسلام ما يموت ولا يموت الا أولاد الفقراء والبعض يقول ما سمعنا أن واحد مات ورجع استحيا ثانيا هذا كذب ولما مضت المدة طلب المقدم إبراهيم بدلة للسعيد وموكب نقدم له السلطان كلما طلب وطلع

ابراهيم بالموكب الى مقام السيدة نفيسة وعثمان يقول انسبكت العبارة بأم البيت عليك بأشقر ودخل المقدم جمال الدين وطلع السعيد من جنب مقام السيدة بعد ما قرأوا الفاتحة وركب السعيد وانعقد الموكب وكان له يوم مشهور طلعت البنت من خباها والشيخ من خلوته يتفرجون على السعيد كيف عاش بعد قطع رأسه

[ياسادة] وطلع السعيد الى قلعة الجبل وقال ابراهيم والاسم الاعظم ما ينزل الا اذا أخذت عليه النقوط فصار كمن كان حاضر يقول خذ يا أبو خليل حتى ملا طرف المعتبرية ذهب . قال الامير علاء الدين اشتا ربع ريال يا أبو خليل حلاوة السعيد وبعد ذلك طلع السراية ياما نزل على المقدم ابراهيم كساوى وأموال اكرامة لحضور السعيد بالحياة ثانيا وأعجب ما وقع ان أهل مصر كما كان من النساء لها ولد تزوج بالحورانية ويعرضوا مصاغهم على المقدم ابراهيم وهو يرد الناس ولم يرتدوا حتى شاع ذلك الخبر فأرسل السلطان ليلا وأحضر ابراهيم عنده بقاعة الجلوس وسأله عن حقيقة الحال وقال أنا بعيني رأيتك ضربته أطحت رأسه فهل أنت لك كرامة باحياء الموتى فقال ابراهيم يا ملك الدولة هذه شغلة اشتغلها سعد بن خالتي وكان فى سجن العرقانة ولد بدوى من لصوص العرب مستحق القتل فأخذه سعد وألبسه لبس السعيد بعد ما بطل لسانه وأتى به الى الديوان فقتلته فانه مستحق القتل وأما السعيد أرسلته قاعة الحورانية فقال الملك وكيف حامت انه عند نا كر ونكير قال ابراهيم سميت أتباعى بهذين الاسمين قال السلطان نعم ما فعلت ومثلك من يخدم الملوك وأقام الملك مدة فى أرغد عيش الى أيام وفاء البحر فحضر الملك عرنوس يتفرج على جبر البحر مثل عادته فى كل عام وبعد مضى جبر البحر أراد الملك عرنوس أن يتودع من السلطان ويسير الى محله بمدينة الرخام فأتى الملك كتاب من الاسكندرية يذكر فيه أنه ظهر عندنا لصوص يسرقون عمله ولم نعلم بالغريم رضاق صدر الباشا فكتب هذا الكتاب وأرسله للسلطان وأراد الملك أن يرسل أحدا من طرفه أو يسافر فقام عرنوس وقال يا ملك الاسلام أنا أروح الى هذه الجهة وأقبض على الغريم وأحضره الى بين يديك أراد الملك أن يمنعه فقال معروف يا دولتلى اعطيه طلبه فلانه ولدى وأنا أسير معه فخلع الملك على عرنوس ان يكون باشة الاسكندرية وتكون له قطاع بلا خراج فركب الملك عرنوس وسار معه ابوه حتى دخل على الاسكندرية فطلع الباشا وتلقاه وصار فى خدمته حتى وصل الديوان وحضرت الناس ان يشتكوا فأوعدهم الملك عرنوس برجوع اموالهم واقام ثلاثة ايام

فلما كان رابع يوم دخل ليصلي الجمعة الملك عرنوس ومعه أبوه فلما صلوا السنن قعدوا الناس يسمعون الخطيب فنظر عرنوس إلى رجل شريف قاعد بجانب المنبر فمد يده قبض على خناقه وجره طلعه برا الجامع فقال معروف ياولدى ايش ذنب هذا الرجل المسكين فقال يا أبى هذا ما تعرفه هو الذى سجنك فى القيطلان وربانى بجيراب فقال معروف كنيار يا قرن تقدم معروف وكتف يد مع رجليه وأبقوه حتى صلوا الجمعة ولكن أخذ علقة صرم أهل الاسكندرية لا نظير لها وبعدها قال عرنوس أين أموال الناس يا كلب فقال له ما معى شىء وانما أنا أتيت وحدى وما طلعت الاسكندرية الا فى هذه الايام فقال عرنوس وأين المركب الذى جيت فيها فقال كانت مركب تجار وسافرت لحالها وإذا برجل واقف بجانبه وكلمه بالرومى وقال له على ايش تنكر فقال اطلب منه الامان على نفسك وسلمه أموال الناس الذى سرقتهم والا اسلمه أنا فقال له عرنوس سلمنى أنت فقال له سير معه فسار عرنوس إلى كنيسة الروم وقال يا عرنوس هؤلاء رفقاء كنيار فى ذلك المكان فوضع عرنوس يده على قاسم على الحديد ووضع معروف يده على ذ الحياة ودخلوا من باب الكنيسة فلم يجدوا فيها احد ابيض ولا أسود فاحتار عرنوس ودخل الى داخلها فلم يرى ولا شخص فضاقت حضيرته وسار وهو يفتش فى جميع المخادع والاماكن فبينما هو كذلك وإذا هو به يرى طابق خشب مغلوق ولكن من غير قفل عليه فرفعه وإذا تحته سرداب أراد أن ينزل منه فقال له معروف يا وليدى تانى حتى نرى ايش فيه لربما يكون هذا مهلك واذا بدخنة ظهرت من ذلك المكان وشمها عرنوس ومعروف انقلبوا وطلع لهم أربعين كافر حملوهم وطلعوهم الى الى حوش الكنيسة واوقفوهم ونظر معروف الى ولده مكترف وهو كذلك مشدود بالكتاف فقال لهم انتم ايه فقالوا له يا كناس قل كلمتك ما بقى لك خلاص عن أربعين عايق من القيطلان ومن حيث انك قبضت على البب كنيار فما نطلقك الا اذا اطلقته فاذا بنار نجمه نحاس وقعت فى وسط الجميع وفيها نار وشرار ودخان فشموا جميعا وانقلبوا وكان الذى أرماها المقدم جمال الدين فاندك على الجميع ذبحهم واطلق عرنوس ومعروف وأخذوا كلما كان فى الكنيسة ووجدوا جميع العمله الذى سرقت فى هذا السرادب فطلعوهم وعاد الملك عرنوس وكنيار القيطلانى معه واعطى كل ذى حق حقه وبعد أيام قلائل قطع رأس كنيار القيطلانى فقال يادار وخافى أربعماية عليون قادمة من القيطلان وفيهم أخوانى كنوير وعبد الصليب ملوك القيطلان وصحبتهم جوان والمرقش سيف الروم قادمين الى حرب الا لام

فلما سمع الملك عرنوس ذلك الكلام فصار الضيا فى وجهه ظلام وقد احتار كيف يكون الحال فما كان منه إلا شاور أبيه فيما يفعل فقال له يا ولدى الرأى عندى أنك ترسل إلى عمك الملك الظاهر فاستحسن رأيه وأرسل كتاب يعلم السلطان فأرسل يأمره بحضور كنيار إلى بين اياديه فأخذه وسار به إلى مصر ودخل على السلطان فلما رقف كنيار إلى بين يديه أمر السلطان بقتله فقال ياملك المسلمين أنا قصدى أسلم قال الملك إن أسلمت حرم دمك علينا فعندها أسلم قال الملك أتمنى قال أكون مع البطرنى فى الغراب المنصور خادم السلطنة قال البطرنى والله يا ابن الكافرة ما تخطى الغراب مطلقا ولا تحط قدمك فيه فقال عرنوس إذا كان كذلك أنا اعمل لك غليون وتقيم عندى فى مدينة الرخام قال الملك روح يا كنيار الاسكندرية وعندك الأخشاب اعمل غليون بمعرفتك وسميه بمعرفتك فقال كذلك وكان المقدم إبراهيم ذلك اليوم غائب فاغتنم الملعون الفرصة وتسبب بذلك الحيلة وكتب له السلطان كتاب إلى باشة الاسكندرية يأمره أن يعطيه كلما احتاج من أخشاب ويكلفت له غليون على طرف السلطان وأقام فى الاسكندرية وهو يتزايا بالنفاق حتى ملك رشده واستدل وحضر له مركب سافر فيها وفرد القلاع وقد طاب له الهوى وصاح ياأهل الاسكندرية كنيار نصرانى خرج من المينة على حمية وأى حمية فأرسل باشة الاسكندرية أعلم السلطان وكان أبو بكر البطرنى فى مصر فبلغه الخبر إلى الديوان فلما رآه الملك قال له يا قبطان الاسلام أريد منك تلج بالغراب المنصور فى البحر وتأتى بهذا الملعون قال البطرنى على راسى يامولانا ثم أنه سار إلى الاسكندرية ونزل فى الغراب المنصور وأورد القماش وتبع كنيار القيطلانى يقع له كلام [ياسادة] اسمعوا ما جرى من أمر الملعون كنيار القيطلانى فانه لما وصل إلى بلاده دخل على اخوته وأعلمهم بما جرى وقال لهم لابد لى من حرب المسلمين وأنشىء عمارة فى البحر ولا ارجع حتى آخذ بلاد المسلمين وسار بجمع المراكب والعساكر على القيطلان ولزم أنه يحضر صوارى من جزيرة العرانيص فأخذ غليون وسار إلى جزيرة العرانيص وكانت قريبة من القيطلان ولأجل أمر يريده الله دخلها ليلا فرأى الغراب المنصور وأبو بكر البطرنى بالمغارة راسيين فأمعن النظر وحقق ذلك طيب وأخذ كلما يحتاجه من عياقه ونزل فى البحر وغطس وطلع من جنب الغراب المنصور وصار يجهد نفسه فى الليل حتى طلع على الدكة وسبح بمكره حتى بقى فى قلب الغراب ورمى دخنة بنج فبنج الجميع وفرد قماش الغليون بعد ما كتف الجميع هو وجماعته وطاد الى القيطلان وسجن الجميع هو وجماعته وكسر الغراب المنصور

وتركه على المينة الخراب واحضر البطرنى وقال له غليون رين المسلمين تكسر وانت لم بق
عليك شطارة روح لحالك معتوق كنيار القيطلانى أخبر ملك المسلمين بما فعل
كنيار وتكسير غليونه خليه يركب أ لى ما فى خيله ويشرب احمض ما فى طعامه
فقال البطرنى يا ابن الكافرة إيش أروح إلى مولاى الظاهر وإيش أقول له إذا
وحت بلاد الاسلام من غليون السلطان ما كان يخلينى أعيش ساعة واحدة فقال
كنيار بخاطرك الذى يخلصك اعمله روح عند غليون رين المسلمين المكسر واقعد
عنده شاهده قال البطرنى الامر بيد الله ثم ان أبو بكر البطرنى لما أطلقه كنيار قال
له ما تطلق باقى المغاربة فقال له دول أسارى أبيعهم بدوقيت للروم فقال البطرنى
أسلمت امرى وأمرهم للحى القيوم وأقام البطرنى فى المينة الخراب حزين على
ما جرى له من تكسير الغراب المنصور يقع له كلام وأما كنيار القيطلانى فانه أقام
يعمر مركب ويجمع عساكر مدة تسعة أشهر واذا بضجة ارتفعت سأل عن
الخبر فأعلموه بقدوم جوان فطلع اليه وتلقاه وأكرمه وحياه وأخبره بالذى جرى
قال جوان فى هذه النوبة نأخذ بلاد المسلمين وجوان الضامن لك وان مات من
عسكرك أحد يبقى الحق على ولكن أنت نسيت حاجة فقال كنيار إيش الحاجة
ياأبونا قال جوان لما كسرت غراب رين المسلمين كنت تعمل غراب احسن منه
وتخدم البطرنى فيه ويبقى من تحت أمرك انت وان تعاصى عليك اقتله ولا يبقى على
ظهر البحر ملوك إلا أنت فقط فقال كنيار صدقت لكن ياأبونا البطرنى يرضى يخدمنى
قال جوان ان ما رضيش منطاره فعند ذلك حضر أبو بكر البطرنى وكان فى هذه المدة
يصطاد سمك من البحر ويشويه على المينة الخراب ويأكله ومقيم على صلاته
وعبادته ويطلب من الله الفرج له ولرفاقه فلما طلبه الملعون كنيار قال أريد منك
أن تنشى غراب مثل غراب رين المسلمين الذى كسرته فقال له أبو بكر البطرنى إذا
اردت ذلك أنا أنشى لك طلبك لكن برجالى وأما وحدى ما اقدرشى فقال له أنا
أحضر لك رجالك فقال جوان كيف يا ابن تحضر له رجاله ربما أن يأخذهم ويهرب فقال له
كنيار ياأبونا من أين يهرب إذا كانت السلسلة مشدودة فى الابراج وكان بوغاز القيطلانى
ما كان صحيح وفى كل بر قلعة ذات اليمين وذات اليسار ومعمول للمينة سلسلة
حديد مربوط طرفها بالبرج اليسار والطرف الثانى فى البرج اليمين ملفوف على
عامود نحاس أصفر إذا أرادوا حصار المينة ومنع الداخل والخارج يدوروا
العامود فتلف عليه السلسلة وتشد على وجه البحر فتمنع المراكب من الدخول

والخروج ولما تكلم البطرنى مع كنيار القيطلانى وطلب رجاله فارسل كنيار شد السه . من البروج واطلق المغاربة وأمر البطرنى أن يشتغل غليون كما ذكرنا وأعجب ماذكر فى هذه السيرة أن الغراب المنصور كان أصله غليون الوزير القيطلانى وكسره أبو بكر البطرنى وصنعه الغراب المنصور وكان طوله ثمانين ذراعا استنبولى وعرضه أربعين فلما كان ذلك اليوم فانشا أبو بكر غليون طوله مائة وعشرون ذراع وعرضه ثمانين واجتهدوا المغاربة فى تجارة الأخشاب مدة ستين يوم حتى تكامل تسميره على اصطلاح أهل مصر وبعد ذلك قلفطوه ودهنوه فلما تم ثلاثة أشهر حتى تكامل وأرادوا نزوله فى البحر فقال كنيار القيطلانى يامسلمين أعماركم على نزول هذا الغليون فى البحر وكان قصد الملعون بذلك يتعالل على أبو بكر البطرنى وإذا ماقدرش على نزول الغليون يقتله وهذا من تدبير جوان فلما كان عصر النهار وكان أبو بكر صاف المغاربة صفوف ويرومون أن يجتهدوا فى الفلك فقط ومقبل المغاورى من البر وهو يذكر الله تعالى

[قال الراوى] ثم انه قال يا أبو بكر عوض الله ملككم يعنى ملك الاسلام ودبر الكفرة اللئام ولكن التدبير لله الملك العلام وتدبيره أعظم هذاك المنصور وهذا هو العظمى والعظمة لله ياصاحب الحى العظيم قوم معنا ودفع الغراب فصار الغليون يجرى على الارض كانه الجواد العربى حتى بقى فى البحر ففرح كنيار القيطلانى وعمل شنك عظيم وقدم له صوارى وقرايا بمعرفة أبو بكر البطرنى حتى تكاملت آلاته ونزلت فيه ثلاثمائة وستة وستون مدفع من النحاس ونزل جبخانه تقوم بمقامه شهر كامل فى الحرب ونزل فيه فروشات وعلوفات حتى لم يبق يحتاج إلى شيء ونزل هو وجوان والبرتقش يتفرجون عليه فانبسط جوان وقال يا برتقش ان هذا الغليون لم أحد حاز مثله إلا كنيار القيطلانى فقال له البرتقش والله ياجوان عمرك ماعملت جميلة للمسلمين إلا عمارة هذا الغليون ولاشك أن هذا من سعادة ملك الاسلام الملك الظاهر حتى أوصلك على عمارة هذا ويروح له بلا تعب وأنت لم ينوبك إلا علقة أنا كلها وإلا تهرب والليل أمسى

تم الجزء الثالث والعشرون ويليه الجزء الرابع والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الرابع والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وقال البرتقش لجوان هذا الغليون لابد أن يأخذه ملك المسلمين وانت تأكل علقة وتهرب ويضيق عليك فى وجهك كل مذهب فقال لجوان متى قال إن جوان قال لكنيار القيطلانى إذا كان الغليون تكامل بقى ايش مرادك بالبطريق عده إلى السجن كما كان فقال كنيار يا أبانا أما البطريق لابد من قتله فانه قتل أبانا الوزير القيطلانى ولكن يا أبانا قبل كل شىء أريد آمر أن يمشى الغليون من حد المينة إلى حد السلسلة حتى نعلم منه سفر ذلك الغراب وبعده اقتله قال جوان صدقت ولكن لما تريد تمشى الغليون على البحر خذنى معك حتى يحصل للغليون بركة جوان قال كنيار فى هذه الليلة ويكون نزولنا بكرة من أول النهار ولما كان ثانى الايام قدم كنيار القيطلانى راكبا على حصانه وصحبته مائة من أكابر أعوانه وجوان والبرتقش ونزلوا فى قلب الغليون وأمر البطريق أن يرفع المراسى وأن يمشى الغليون فى بحر البغاز من حد المينة إلى حد السلسلة وكانت مسافة ست ساعات فرفع البطريق المراسى طائعا ممتثلا لكنيار القيطلانى وقعد على دفة الغراب وصاح على المعلمين من المغاربة كل من هو فى مرتبته وفرد القماش وسار بالغليون حتى وصل إلى السلسلة آخر النهار فقال كنيار عد إلى المينة قال البطريق حاضر يا سيد ودار القماش وسافر به حتى وصل المينا وكان فات ربع الليل وكنيار وجوان والبرتقش ومن معهم قاعدين وبينهم صحبة المدام فمازجت الخمرة رؤسهم فقال كنيار يامسلم عد إلى السلسلة فقال مرحبا وعاد طالب السلسلة فرأى السلسلة غطست فى البحر والسبب فى ذلك ان البحر المالح يزيد مع الفلك ولما رأى البطريق أن السلسلة غطست تذكر زيادة البحر فطمع أن يفوت الغراب من جوفها وقال

لعل الذى نجى من الجب يوسف ... ومن على يعقوب إذ مسه الضر

وأنقذ ابراهيم من نار قومه ... وصبر موسى حين فارقه الخضر

يمن على ضعفى ويرحم ذلى   فقدضاقت الاوقات وانقطع الصبر

ثم ان القبطان ابا بكر صاح على المغاربة وقال يا أولاد عيشة كلكم روحوا الى مؤخر الغليون فراحوا جميعا وراءه فارتفع مقدم الغراب ثلثية على السلسلة فصاح كلكم عودوا قدام بسرعة فجاءوا بسرعة فانكبس المقدم وارتفع المؤخر فخرج الغراب من فوق السلسلة وكان قماشه ملآن بالهواء فطار كما يطير الجارح على وجه البحر وساعده المولى بالريح الطيب المعتدل [يا سادة] كل هذا والملعون كنيار قاعد يتعاطى الخمرة مع جوان والبرتقش هذا والبطرنى يقول هذه ليلتك ياسيدى عبدالله يامغاورى أدركنى يا أبا جابر ومادام الغليون طائرا حتى قرب الفجر فقال البطريق يا مغاربة قالوا له نعم ياسيدى قال اهجموا على أولاد الكفرة واقبضوا على جوان والبرتقش ومابقى ارموه فى البحر بعد ماتنحوا رأسه وفى ذلك الوقت قال كنيار للقيطلانى هيا يامسلم بنا الى المينة لما أطلع فقال البطريق خليك اطلع على مينة الاسكندرية والله ياابن الكافر ان خليتك تنظر القيطلانى فما أكون من ظهر أبى ياطحان ياابن الطحان والتفت البرتقش وقال ياأبانا هات البشارة اعلم اننا بيننا وبين القيطلانى بعد السماء عن الارض وطبقت عليهم المغاربة فذبحوا جميع النصارى الذى فى الغليون وارموهم فى البحر هذا وكنيار سكران يقول يا بطريق خش المينة فقال البطريق ايش المينة خش الزندلة ياابن الكافر وهجم عليه فشد كتفيه وقوى منه السواعد والاطراف ووضعوه فى قلب العنبر وسافر البطريق حتى وصل الى الاسكندرية فضرب المدافع من الغراب المنصور العظيمى رقام بيرق الاسلام ونظر باشة الاسكندرية الى ذلك الغليون فمسك النظارة ونظر فوجد قبطان الاسلام أبابكر البطريق فطلع اليه وتلقاه وفرح بملتقاه وكتب البطريق كتابا وسلمه للبراج بالاسكندرية فوضعه تحت جناح طير يوصله الى مصر [الملك جالس] وأبو على البراج طالع يقول سبحان هادى الطير وقدم الكتاب الى السلطان واذا فيه من قبطان الاسلام الى بكر البطريق الى بين أيادى ملك الاسلام الذى نعلم به مولانا انى لما سافرت خلف الملعون كنيار تغلب على وقبضنى وكسر الغراب المنصور بعده عملت له مكيدة كبيرة فأحضرته الى الاسكندرية ومعه جوان والبرتقش ويكون فى شريف علمك أن على ملك القيطلان عساكر لا تعد قادمة فى البحر على بلادنا فالحذر ياملك الاسلام وها أنا فى الاسكندرية منتظر قدوم ملك والسلام على النبى بدر التمام فلما سمع السلطان ذلك الكلام أمر بالتبرز الى جهة الاسكندرية فقال علاء الدين كل يوم حارب كل يوم سافر الله يقطع سنجق مصر والذى

يتجاوزون عليها والله ان بيع الفجل واليمون أحسن من كل سنجق وأما الملك سافر الى الاسكندرية [باسادة] وأما البطريق فانه سلم كنيار القيطلان لباشة الاسكندرية وأبق جوان والبرتقش فى الغليون عنده الى ليلة من بعض الليالى لعب جوان بعقل البرتقش وقال ياسيف الروم يمكنك أن تقرض هذا الحبل الذى فى يدى فاذا حيلتنى أحلك ونعمل طريقة تتخلص بها من هذا المركب قبل ماتقع فى يد كبير المسلمين يشتفى منا فقال البرتقش أنت مرادك تنفذ من العلقة فقال جوان يابرتقش الناس مشغولون عنا وهذه ليلة مباركة ننفذ فيها فتقدم البرتقش وقرض أكتاف جوان وفك الحبل باسنانه ولما خلص جوان فك البرتقش ونظر بعينه فرأى مركب تجار روم لاغاهم وهو من داخل الزندانة وعرفهم أنه جوان فجاء له القبطان وانزله ليلا وأراد ان يهرب به فقال جوان اصبر لما تأتى بالبب كنيار فصبر ودور الملعون جوان فلم يلق كنيارا وكان القبطان الذى مع جوان أصله من القيطلان فقال لجوان ياأبانا سفرك معى الى القيطلان من غير البب كنيار يصعب على اخوته فقال جوان أنا قصدى أسرق البطريق وبالامر المقدر ان البطريق فى هذه الساعة قام وأراد النزول فى البر والدنيا ليل فظن ان ذلك الوورق متاع المراكبية فنزل وقال طاهرنى البر ولم يعلم ما كتب له الغيب فكان الملعون جوان ملاحظه وادخر له البنج فبنجه ورفعوه الى غليونهم وسافروا الى القيطلان هذا ماجرى وأما ما كان من كندرو وعبدالصليب فانهم باتوا واصبحوا فلم يجدوا الغراب العظيمى ولاجوان ولا البطريق ولا كنيار فعلموا ان المكيدة دخلت على كنيار وأخذ هو وجوان فنزلوا الملكين فى المراكب وكانت ثلاثمائة مركب وسافروا قاصدين بلاد الاسلام فالتقاهم القبطان قريبة ومعه جوان والبرتقش وطلع جوان الى كنيار وعبدالصليب وأعلمها ان البطريق عمل حيلة وهاأنا عملت حيلة ونظيرما سرقنى وسرق كنيار أسرقته وأتيت به اليكم فقال كندرو اقتلوه وارموا رأسه وجثته فى البحر فقال البرتقش نخاف ان المسلمين يقتلوا كنيار وانما لما نصلوا بلادهم ونحاربوهم ونخلصوا كنيار منهم نبقى تقتلوا البطريق فقالوا الملوك كذا طيب ثم انهم ساروا طالبين الاسكندرية هذا ماجرى [وأما] الملك الظاهر فانه اقبل الى الاسكندرية وهو فرحان وتلقاه الباشا وسلم عليه وقدم كنيار الى بين يديه واعلمه ان جوان والبرتقش مع القيطلان أبوبكر البطريق فسأل السلطان عن البطريق واذا بجماعة من المغاربة طلعوا وأعلموا السلطان بهروب جوان والبرتقش وفقد قبطان الاسلام فقال الملك وماهذه الا أعمال جوان [قال الراوى] وكان الملك عرنوس لما بلغه ان كنيار هرب فسار الى مدينة الرخام ووضع له غليونا وسماه السحاب

السيار وأنزل فيه كلما يحتاج وأتى إلى اسكندرية وحكم حضوره يوم قدوم السلطان فطلع إلى الملك وسلم عليه فأخبره السلطان بفقد البطريق وأن ملوك القيطلان قادمون فقال الملك عرنوس يا مولانا انزل عساكرك أنت فى البحر وأنا بنفسك املكك القيطلان فعند ذلك أمر السلطان العساكر بنزول المراكب وفرد القماش على وجه البحر وسافروا اياما فلا نال إلى يوم طلع الملك عرنوس فرأى مراكب القيطلان لهم اجنحة كالطيور وقلوعهم كأجنحة النسور قال بغليونه إلى جانب الغراب العظيم وطلع إلى السلطان وقبل يده وقال يا ملك الاسلام قد اشرفنا على اعدتنا الكفار اللئام ثم ان الملك عرنوس مسك النفير بيده وصاح فيه بكلام البحارة فاجتمع المراكب اليه فصفهم صفوفا ثمانية كل صف خمسة وعشرين مركبا وأمرهم أن يكونوا حذو كل قلعة اربع صفوف وجعل الغراب العظيم بينهم والملك الظاهر فيه وأما بقية المراكب جعل فى كل منها اميرا والمقدم فداوى وما فرغ من الترتيب حتى اقبلت مراكب الأعداء ونظروا إلى صفوف الاسلام فقال جوان يا برتقش على الحساب إن المسلمين مايعرفون شيئا من حروب البحر وأنا رأيت ترتيبهم ترتيبا مليحا والقبطان الذى يعرف حرب البحر البطريق عندنا مسجون فقال البرتقش يا جوان المسلمون مثل موج البحر لا يفرغ عددهم ولكن انا اقول إن الذى رتب لهم ذلك الترتيب الديابلو عرنوس فعند ذلك صف كنوير مراكبه وكذا عبد الصليب صف مراكبه وكانوا أربعمائة مركب فصفهم ثمان صفوف وكل صف خمسين مركبا وكتب الملك كتابا وأعطاه إلى المقدم إبراهيم بن حسن فنزل فى غرقوط وسار إلى الغليون الذى فيه كنوير القيطلانى وكان جوان والبرتقش فى الصف الثامن مع عبد الصليب وأما كنوير كان فى أول صف فأعطاه الكتاب ولكن بغير تهديد لأن المقدم إبراهيم يخاف من البحر فأخذه كنوير وقرأه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الأعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام إلى بين أيادى ملوك القيطلان بلغ من قدركم يا ملاعين التجرى إلى هذا الحد حتى انكم كسرتم الغراب المنصور وفعلتم ما فعلتم والذى حصل إلى هذا الحد بان اردتم السلامة تقبضوا على جوان وغلامه البرتقش وتطلعوا قبطان الاسلام البطريق وأحاسبكم على ما تكلمت ركبتى إلى حد الآن وآخذ عليكم الجزية والخراج فى كل عام وأطأ رؤوسكم بقدمى فان فعلتم ذلك اطلقت لكم كنيار القيطلانى وإن خالفتم خربت بلادكم وأرملت نساءكم وأيتمت أولادكم وأهدم اطلالكم على رؤوسكم والسيف أصدق انباء من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والسلام

على نبي ظالت على رأسه الغمام فأعطى الكتاب لابراهيم وأعطى له رد الجواب بالحرب وعاد إبراهيم وما صدق أن يبقى عند السلطان فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقرأ الملك الكتاب ورآه بالحرب فزقه ورماه وقال

ما يقبق الكوز إلا من تألمـــه يشكو إلى الماء ما قاسى من النار

لو كل كاب عوى القمته حجرا لاصبح الصخر مثقالا بدينار

وأمر بدق الطبل الحربى فقال علاء الدين اليسير الله يا بشتك إذا نزل نصرانى وطلب حربنا واحنا كم احنا قادرين نقعد فى المراكب من غير حرب وبطنك تقول بقبق وإذا أكلنا لقمة تنزل من حلقنا والله العظيم ضرر قليل إن كنا بقينا نشوف وجه ستى جلسن [وأما] عمارة القيطلان فانها ماجت وخرج منها غليون وأراد أن يوصل فخرج الملك عرنوس بمركبه السحاب السيار وصاح على مراكب الاسلام لا أحد يتحرك من مكانه ولطم ذلك الغليون وقفريقا على شاطىء مركبه فصاح يا كلاب الروم ترون الملك عرنوس الديابلو فقال النصارى هو الديابلو وهنا البحر وصار العزيز فيهم يطلب البحر بثيابه وأما عرنوس فانه شك الكلاليب فى ذلك المركب وقفريقا فى قلبها وتبعه من أولاد ملوك البرتقان جماعة وكان معه ابوه المقدم معروف فما كانت إلا ساعة حتى أهلك كل من فى المركب وأسر نحو مائتى نفر والباقى راحوا على براشق السيوف وان الذى كان فى المركب الف نفر فأسر مائتين وقتل خمسمائة وغرق ثلاثمائة ولا فرغ النهار حتى جاء بالمركب فارغة والأسرى فى الحبال وثانى الأيام كذلك وثالث الايام أخذ مركبين فان الملعون جوان خلاه ملهى فى مركب وأرسل الثانية فما لحقت تصل حتى كان عرنوس مسك الاولى هو وأبيه والتقوا الثانية أهلكوا من فيها وعادوا آخر النهار والمركبين مقادين معهم ومعهم ثلاثمائة أسير وعاد عرنوس وطلع آخر النهار قبل يد السلطان ففرح به وقال والله يا ملك عرنوس لولاك وإلا كانوا افترسونا هؤلاء الكفار لان عسكرى كلهم ما يعلموا حرب البحر فقال عرنوس يا ملك الدولة ما أنا إلا عبدك وخادمك ومملوك دولتك فشكره السلطان على ذلك ودام الحرب كذلك مدة أربعين يوما حتى إن الملك عرنوس هدم نصف مراكب الكفار فضجوا النصارى وراحوا لجوان وقالوا له يا أبانا من الذى يقدر منا ثبت قدام الديابلو عرنوس وإن دام بحربه أفنانا ولا يبقى منا أحد فقال جوان أقول لكم على راى صواب وهو أن الذى علم الديابلو عرنوسا الحرب فى البحر كنيار القيطلانى فكاتبوا ملك المسلمين يطلق لكم كنيارا وتطلقوا له أبا بكر البطريق وهو الذى قتل الديابلو فاذا

قتل الديابلوا واسر فان المسلمين بعده فشار فقالوا له صدقت فعند ذلك كتب كنيار وعبد الصليب كتابا إلى ملك الاسلام يقول فيه اعلم ياملك المسلمين ان الحرب بيننا وبينك اتصل ولا بقى انفصال إلا ببلوغ الآمال ولكن انت عندك كنيار القيطلانى محبوس ونحن عندنا ابو بكر البطريق فرسل لنا كنيارا ونحن نرسل ابا بكر البطريق والحرب بيننا حتى ينتهى القتال .

[ولما] وصل الكتاب إلى السلطان عرف مكر جوان وعرف ان قصده هلاك الملك عرنوس فاحضر عرنوسا وقرا عليه الكتاب فقال عرنوس انا عندى الشعرة فى بدن القبطان تساوى كل اهل الشرك جميعا اطلبه يا ملك منهم واعطيهم كنيارا وان نزل كنيار وحارب أنا بعون الله ما أخليه يعود والحقه بقوم عاد وثمود ففرح الملك بكلامه ورد الجواب بالرضا والاجابة فاحضر جوان البطريق وحلفه أن يخلى السلطان مطلق كنيارا لخالف وما فرغ النهار إلا وأبو بكر البطريق عند السلطان ففرح به السلطان وأطلق كنيارا فلما كان ثانى الأيام قال البطريق يا مولانا إيش بدك بالاسارى اربطهم على المدافع واضربهم بالنار حتى تنكسر قلوب الكفار فامر الملك بربط الاسارى على المدافع وضربهم بالجلل ونظرت النصارى ذلك فدخلوا على جوان وقالوا يا أبانا المسلمون يضربون النصارى بالجلل على المدافع قال جوان افعلوا مثلهم قالوا ما عندنا شيء من المسلمين فقال لهم خذوا من النصارى الضعفاء الذين أضعفهم البحر واضربوهم بالمدافع بعدما تلبسوهم لبس المسلمين ففعلوا ذلك ونظر السلطان فاحضر البطريق وقال لهم عندى أسارى من المسلمين فقال يا ملك ما عندهم أحد ونزل البطريق ليلا واحضر من القتلى جماعة فرآهم نصارى لابسين لباس اسلام فاطمأن السلطان

[وأما] كنيار القيطلانى فانه لما انطلق من عند السلطان نزل فى زورق وسار حتى وصل إلى عمارة الكفرة وطلع على اخوته فتلقوه وفرحوا بقدومه وشكوا له من حرب المسلمين فقال لهم أنا الذى علمت الديابلو عرنوسا الحرب فى البحر حتى انه بلغ فى عساكرنا إلى هذا الحد وأنا أنزل بكرة وأطلبه فى القرفرط ولا يكون إلا أنا وإياه ولا ارجع عنه حتى اجعله طعاما للسمك فقال جوان يا بنى وأنا كان أساعدك واقرا لك شرح التعسة على قلة النصفة ولما كان عند الصباح أحضر قرفوطا من الخشب الهندى مصفحا بالحديد الصينى ووضع ثلاث مدافع وعباهم بالبارود وأخذ معه قبطان شاطر ولبس على بدنه بدلة من جلد السمك الاسود وأخذ قارورة ملانة من زيت النفط ونزل فى قلب ذلك القرفوط وسار حتى قارب عمارة الاسلام ونادى يامسلمين الذى مضى كان وانقضى وهاهو خرج كنيار القيطلانى فى وسيع الفضاء فدونكم والانصاف ان كان فيكم أحد له خبرة

بالحرب على وجه البحر فليخرج لمقام التلاق فأراد الملك عرنوس أن يخرج اليه فقال القبطان أبو بكر البطريق يا ملك عرنوس يكفى ما فعلت وأنا محبوس عند أولاد الكفرة وحياة رأس هذا الملك الظاهر ما عدت تخرج للحرب إلا إذا قتلت أنا هذا ابن الطحان وانحى راسه واهدم من الدنيا اساسه وأما إذا هو قتلنى فدونك وماتريد فقال الملك عرنوس يا قبطان الاسلام ماأنا إلا من بعض غلمانك وكنا طالبين الجهاد فى طاعة رب العباد وإنما على لأنك معذور لكونك كنت فى الحبس ولسمك ثعبان فقال البطريق ياملك عرنوس شكر الله فضلك وكذلك هذا الملعون كان مثلى محبوسا وإن شاء الله يكون هذا النهار آخر أيامه من الدنيا ثم ان الرئيس أبا بكر خرج فرقوطا من خشب البلوط مصفحا بصفائح النحاس الاصفر وأنزل فيه مدفعا واحدا وعبأ فيه ما يكفيه من البارود ووضع قلة مفلوقة فلقتين وبينهما سلسلة بولاد نصف باع اثنى كلاب ولبس على بدنه بدلة من جلد السمك الابيض وأخذ قارورة ملآنة روح الزيت المغربى فضرب الماء ونزل فى قلب الفرقوط وخرج إلى كنيار القيطلانى وقال له ها أنا جئتك يا ابن الكافرة وتصالحا الاثنان وتقابلا على ظهر البحر ساعة زمانية فعند ذلك اعتدل كنيار القيطلانى إلى أبى بكر وضربه بأول مدفع فبرم دفة الزورق فدار به كما يدور الحصان فى الميدان وراحت القلة خائبة بعدما كانت صائبة فضربه بالمدفع الثانى فدار الزورق وسار المقدم محل المؤخر وخابت الحلة الثانية فضربه بالمدفع الثالث فابطله كذلك وقال له إيش الآخر يا ابن الكافرة ووزن بينه وبينه على قدر عزم المدفع وضربه إلى العالى فنظر كنيار وقال البطريق ضرب الشماء فما تم تلك الكلمة حتى نزل القصاص قص الفرقوط فغطس كنيار فى البحر قال البطريق وراءك يا ابن القحبة وطب خلفه وغاب الاثنان وبعدها ظهر على وجه البحر بقعة دم قدر الرغيف واتسعت حتى بقت قدر الغربال وبعدها سالت على وجه البحر ثم ظهر واحد لابس جلد السمك الاسود وكان قريبا من مراكب النصارى فمطمطوا وفرحوا وأيقنوا انه كنيار القيطلانى فاغتاظ السلطان وقال لعرنوس انظر الخبر ماهو فقال إبراهيم ياملك الدولة أما الدم دم كافر وهذا الذى ظهر من البحر كانه قبطان الاسلام وهاهو غطس فى البحر ثانيا وسوف يأتى من عندنا قريبا فما تم المقدم إبراهيم كلامه إلا والبطريق تحت الغراب العظيم ظهر وصاح يا أولاد عيشه فأتوه المغاربة ورموا له حبلا وجذبوه حتى صار فى الغراب العظيم وراس كنيار القيطلانى بيده فعندها اشتعل ضرب النار بالمدافع بين الاسلام والكفار إلى آخر النهار

[قال] امسى المسا تقدم البطريق قبل ايادى السلطان وكان ذلك اليوم النصر للاسلام لأن

البطريق والملك عرنوس أخذا خمس غلاين من الأسارى خلاف الذى تكسر هذا والمقدم ابراهيم يتقبض من خوف البحر ويقول والله ماحرب البحر الانقمة فسأل السلطان وقال ياقبطان الاسلام إيش جرى بينك وبين كنيار القيطلانى فقال الرئيس أبو بكر يا مولاى عجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فقال الملك بايش قتلته ولم يكن معك سيف ولا خنجر فقال أبو بكر البطريق يامولانا لم أنزل البحر ونزلت وراءه أنا فحكم نزولى إلى قاع البحر من تحته فلما علم الملعون بى فانحنى على ومسك رقبتى وأراد خنقى بيديه فقبضته من بيضه وعصرت عليه حتى علمت أنه غمى عليه وساعدنى دخولى المياه وقدرة الله فقبضت عليه ولم أجد سلاحا أقطع رأسه فقطعتها باسنانى وطلعت من البحر فرأيت نفسى تحت عمارة الكفرة فخفت أن يعلموا بى فيضربونى بالنبال فاخذت نفسى ونزلت أدركت الكافر ثانيا وقلعت بدلته السوداء ولبستها لأجل إذا رأونى الكفرة يظنونى كنيار فلم يؤذونى وكان الأمر كذلك وطلعت قريبا منهم ولم يعرفونى بموجب لبس كنيار وبعدها صحت على رجالى وأخذونى فقال السلطان ما شاء الله عليك من قبطان وعلى وجه البحر سلطان ونعم سلطان ولكن كان إبن أخى الملك عرنوس تعب أيام بكثرة وأنت يادوب قتلت كنيار القيطلانى فقال البطرنى يامولاى فى الليلة هذه ترى العجب ثم أن القبطان قام على حيله وأخذ الملوينة البولاد ولبس بدلة البحر ورمى نفسه فى وسط الأمواج وسار حتى أنه وصل إلى عمارة الكفرة فتقدم إلى مركب وركب الملوينة تحت عنبرها ودورها وقرص عليها فاخلع منها لوحا ودخلت المياه فهاجت النصارى وقالوا غرقنا ياقريبة غرقنا يابواص ونزلت المركب بهم إلى قاع البحر فتركهم ومضى إلى غيرهم مركب بعد مركب حتى غرق خمسين مركبا وطلع النهار فنظروا أهل الصف الذى وراءهم فظنوا أنهم تأخروا وتركوا الحرب عليهم فتسارعوا وأرسلوا يعلمو البب عبد الصليب بذلك وسألوه عن كنوبر وكان كنوبر قتل مع جملة من كان فى المراكب الذى غرقهم أبو بكر البطريق وبطل الحرب ذلك اليوم وفى الليلة الثانية نزل القبطان أبو بكر البطريق وقال نويت الجهاد واشتغل بالملوينة مثل الليلة الماضية فاتلفت خمسين عليونا وغرق أصحابها وثالث ليلة كذلك سبع ليالى هلك سبع صفوف ولم يبق الاصف واحد وفيه البب عبد الصليب فقال لهجوان ياولدى اهرب بنا إلى مدينة القيطلان وأنا أدبر على هلاك المسلمين فعندها القفوا المرسى وفردوا القلوع فلما نظر السلطان قال يابطريق قال البطريق وراءهم يامولاى والله ماأرجع عن هذه البلدة حتى نخربها ونهلك كل من فيها من أولاد الكفار

ولفقوا المراسى وساروا على وجه البحر حتى وصلوا القيطلار فكان الملعون عبد الصليب دخل إلى المينا وشد السلسلة فمنع عمارة السلطان عن الدخول للقيطلار فقال السلطان ادخل يابطريق قال يامولانا من أين ندخل البغاز متمسك بسلسلة حديد قال السلطان اقطعها بالمدفع فقال البطريق لايمكن قطعها فقفز اليه رجل وقال له أى شىء يمنعك عن الدخول فقال لو أجد من يرخى السلسلة فى البحر قدر ثلاثة أذرع كنت أدخل المينة فقال أنا أفك لك السلسلة كلها وآخذ له جواب ونزل البحر وكان هذا سلطان الحصون المقدم جمال الدين شيحة ودخل إلى البر على البرج الذى فيه ملف السلسلة فنظر إلى إلى رجل فداوى واقفا فظن أنه كافر فلاغاه بكلام الافرنج ونزل عليه حتى بقيا فى وسط البرج وإذا بهذا الفداوى جذب شاكريته وهجم على شيحة وقال شيحة قاقرن وضربه بالشاكرية فقفز شيحة وطلع على العمود فقال الفداوى أنا أدقك دق الكبيبة وأعصرك عصر الحلفا وحط كتفه فى الناف ليحل السلسلة وقصده بعد حلها يرجع يلفها ثانيا فارمى عليه دخنة بنجه وارمى نبلة متذكرة فى الغراب المظيم أخدها سعد اعطاها للملك يذكر فيها إلى ملك الاسلام ادخل مينة القيطلان فان السلسلة نزلت فى البحر فكبست مراكب الاسلام وملكوا مينة القيطلان وطلعت العساكر إلى البر ونصبوا الخيام وحط السلطان على مدينة القيطلان فعند ذلك قفل عبد الصليب البلد وحصن الاسوار فالتفت اليه جوان وقال له لاتخاف من المسلمين فانهم جميعا تعبانين من البحر وضعفاء اركب واخرج إلى الميدان واطلب ملك المسلمين وهو تعبان من البحر قبل أن يتعافى ولا تطلب إلا هو فاذا قتلته تكون عساكره بعده فشارين وندور فيهم البتار

فقال له أمان يا أبانا بخرنى فقال البرتقش بخره يا ابانا جوان فبخره وخرج إلى الميدان وقال لا يبرز لى إلا ملك الاسلام قال السلطان من دعى فلجب هات ياعثمان الحصان فانزل إلى ذلك الملعون فركب السلطان الحصان وبارز الملعون وضايقه وضربه بالتمشة على وريديه فاطار رأسه من بين كتفيه وسارع إلى أبواب البلد وتبعه عرنوس ومعروف وإبراهيم وسعد ومنصور العقاب وحسن النسر وباقى بنو اسماعيل وهجموا على القيطلان فزلزلوها ودام الملك يضرب بسيفه حتى طلع إلى أعلى الديوان وجعل الدنيا كلها رمام وأما المقدم معروف فكم أبرى بسيفه أعناقا وأكفا وابنه الملك عرنوس كم أخرق صدورا وقطع رؤسا ولا فرغ النهار إلا والقيطلان بيد الملك الظاهر وصار يدور فى أماكنها وإذا بغلام مقبل وأخذ بذيل السلطان ووضعه على رأسه فقال الملك

أنت ابن من فقال يامالك أنا ابن عبد الصليب ثم قال يا دين المسلمين اعلم ان اباه واعمامه حاكرا وأريد أن أقيم تحت حكمك وأورد الجزية مثل ملوك الروم فى كل عام وإن حصل منى أدنى خلل فسيفك يامالك طويل فعفى عنه السلطان وأمره بالاقامة بمدينة القيطلان وأخذ عليه الشروط المعتادة ويكون تحت أمر ابى بكر البطريق وان اختلف يجرى له مثل ابيه وأعمامه فطلع الملك إلى عرضيه وجلس وإذا بشيحة مقبل عليه شايل حجران فقال السلطان أى شىء معك يا أخى

فقال شيحة هذا الذى أرخى لنا السلسلة

[قال الراوى] وكان هذا الفداوى يقال له المقدم سمعان المر وهو من بنى إسماعيل وكان عارس اللجج فورد على تلك المدينة وهى القيطلان فاما جلس فى القيطلان اقام يتلصص على مال يأخذه حتى انه يبلغ مقصده فاتى فى ليلة من الليالى وارمى مفرده على سراية كنيار القيطلانى فوجد بنتا نائمة فترلع امله بحبها فدخل على كنيار ومن عشقه لها قال له يا معلم كنيار تزوجنى بنتك والاقتلتك وكان كنيار مشغولا بحرب المسلمين فعاهده انه بعدما يخلص من حرب المسلمين يزوجه بها على شرط أن يكون غفيرا على برج السلسلة وضامنا عدم انفكاكها فاقام بها حتى حصر المقدم جمال الدين وقبضه من ذلك المكان وأتى به قدام السلطان واعرض عليه الاطاعة فقال لا أطيع إلا إذا أعطيتنى نور المسيح بنت كنيار القيطلانى واكون عبدك وخادمك فطلبها من عبد المسيح ابن عمها بوقته فاحضرها وكانت هى أيضا عشقت المقدم سمعان المر وكتب شيحة اسمه على شواكره وبعده قال المقدم معروف يا دولتلى سألتك بالله ما ترحل من هذه المدينة حتى تهدم سجن القيطلان الذى اقمت أنا فيه سبعة عشر سنة ونصف فان فى قلبى منه حسرة فقام الملك بنفسه ونظره وأمر أن يهدم فقال المقدم جمال الدين يامولانا هذا قطع فى الحجر ولا يمكن هدمه وإنما نهدم تلك الاماكن التى فوقه بالمدافع وأيضا فيه عامود إذا انخلع تهدم البلد والسراية فأمر السلطان بكسر ذلك العامود وضرب المدافع حتى جعلوه قاعا صفصفا وبعد ذلك فرح المقدم معروف بخرابه وبعده أمر السلطان بنزول العساكر فى المراكب بعدما أخذ أموال الثلاثة ملوك وفردوا القلوع وطلبوا بلاد الاسلام وسافروا مدة أيام حتى قاربوا بلاد الاسلام فطلع عليهم ريح عاصف ففرق العمارات يوم وليلة وبعده انكشف ذلك الريح فاما الملك الظاهر فدخل الاسكندرية بجميع رجاله وانتظر العمارة حتى أقبلت ولم تأخر إلا الغليون الذى فيه الملك عرنوس فاقام السلطان فى الاسكندرية مدة ثلاثين يوما ينتظر قدوم

عرنوس فلم يحضر فارسل أبا بكر البطريق فعاد البطريق الى حد الاتقية ولم يسمع له خبرا فطلع الاتقية وسلم على أهلها وأما السلطان لما طال غياب عرنوس رحل إلى مصر وقلبه مشغول بغياب عرنوس [وكان السبب] فى غياب الملك عرنوس وهو انه لما لما يغير عليه الهواء عبر على جزيرة فى جانب البحر المالح قريبة من رومة المدائن فطلع يتفرج عليها لاجل أن يريح نفسه من تعب البحر فسار حتى وصل إلى بستان ذا أشجار وأنهار وأطيار توحد العزيز الغفار فدخل إلى هذا البستان فنظر إلى قصر فجلس بجانبه وكان القصر فيه الملكة شموس بنت البب رومان ملك رومة المدائن فلما نظرت من الطاقة ورأت عرنوسا كمثل من قال

أيا من سبا عقلى ولم أك ذا ذنب ومن حبه فى داخل الحشا والقلب
هلم الينا نرتوى من وصالكم ونحظى بساعة من الوصل والقرب

فما نظرته نظرة حتى أعقبها الف حسرة فنزلت عنده وهى مسبية ووقفت بين يديه وقالت له أهلا بك وسهلا انت من أين أتيت فقال لها أنا حورى سواح فى البر الواسع واسمى عزم المسيح القاطع قالت له دستور يا عزم المسيح اطلع معى إلى قصرى لاجل أتبرك برؤيتها فطلع معها الى قصرها فأحضرت الخمرة وشرب وشربت على وجهه حتى ان المدام تمكن منها وحبه ملك جميع بدنها فارادت أن تبوسه فمنعها وأعرض عليها دين الاســلام فأسلمت فأعطاها فصا جوهرا مقدم صداقها وزال بكارتها وأقام عندها وترك أباه فى الجزيرة بجانب البحر وطال على معروف غيابه فاتى إلى ذاك البستان على أثره وطلع القصر فرآه ورأى زوجته معه فقال له ياولدى وأنا طول عمرى ما تزوجت غير أمك وانت كيف كل يوم تاخذ بنتا يعنى ايرك هذا من حديد فصعب على عرنوس ولكنه كتم غيظه وقال له يا ابت سافر انت الى مدينة الرخام وكن وكيلى على البلد فقال معروف كيف اسافر وأفوتك فقال عرنوس ان قعدت عندى قتلت نفسى فعاد المقدم معروف الى الغليون وأقام وقلبه مشغول على الملك عرنوس ولده هذا ما جرى [واما] الملك عرنوس فانه اقام عند زوجته وفى بعض الايام ركب البب رومان وسار الى بستانه ودخل ليزور بنته وكان وقت الظهر فنظر الى الملك عرنوس قاعدا عندها فقال له من اين انت ياغدار فقال له انا حوارى من الحواريين السياحين فى البرارى والوديان فقال له وما اسمك بين الحواريين اهل الديور والصوامع فقال اسمى عزم المسيح القاطع فقال له مرحبا بك واهلا وسهلا سر معى الى ديوانى لتعم بركاتك مكانى فسار عرنوس معه للديوان وآخر النهار عاد الى

البستان وثانى يوم كذلك وثالث يوم أقبل معروف فقال رومان من هذا ياعزم المسيح فقال هذا شريكى فى السياحة يدور البلاد ويعود على فقال رومان مرحبا بك وبشريكك معك فقال معروف ياولدى سر بنا إلى بلادنا الملك الظاهر قلبه مشغول علينا قال عرنوس أى شىء لنا عند الظاهر حتى نروح له ولما كان ثانى يوم راح معروف إلى القليون ونزل وسافر طالبا مدينة الرخام ، وأما رومان بقى فرحانا بالملك عرنوس وإذا بضجة ارتفعت فسأل رومان عن الخبر فأعلموه بقدوم جوان فقام اليه وتلقاه ولما جلس عنده أخبره بعزم المسيح القاطع ووضعه له فقال هذا الديابرو عرنوس حكى له على أصله فاشتغل قلب البب رومان على بنته فقال جوان أنا أقبض لك عليه ثم أمره أن يخفيه ووضع له البنج فى الخزنة فلما قدم الملك عرنوس أمر له بكاس فشرب عرنوس على غفلة فتبنج وظهر جوان فقال له ياديابرو أتهجم على بنات الملوك كأنك أخذت الدنيا كلها وحدك وأمر رومان بقتله فقال البرتقش إذا قتلته وأبوه يعلم أنه عند البب رومان يأتيكم رب المسلمين بحرب رومة المدائن والرأى عندى حبسه حتى تنظر على أى حالة يكون الأمر فوضعوه فى السجن وكان بالقرب من رومة المدائن دير دير السراريب وفيه من بترك اسمه البترك موسى النصارى مقامه مشهور وعند الاسلام فداوى شريف واسمه المقدم موسى بن حسن القصاص وله كوان وأتباع يطوفون على بلاد الروم فيأتون منها بالغنائم ومن جملة تلامذة المقدم إبراهيم بن حسن وهو مقيم بذلك الدير فبلغه ما جرى للملك عرنوس فى رومة المدائن فاقتضى نظره أنه يرسل للملك الظاهر ويعلمه بالخبر فبينما هو كذلك وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل عليه فلما رآه قام له وتلقاه وفرح به غاية الفرح وقال له يامقدم جمال الدين الملك عرنوس مسجون عند الملعون رومان والذى دبر على سجنه الملعون جوان فقال له يا مقدم موسى أنا مرادى هذه النوبة امسك جوان قدام النصارى وأعرفهم أنه لا يدرى فى علوم النصرانية شيئا واكسفه ولكن لا يكمل شغلى إلا اذا أنت ساعدتنى فقال المقدم موسى أنا أساعدك روحى ومالى أعطنى بكل ما تريد وأنا أكون لك أطوع من العبد فقال له أريد أن تكتب الى البب رومان وتعلمه أن فى هذه المدة يحضر حورى من الحواريين ويأمرنا باقامة شريعة المسيح كما يجب لأمر السيد المسيح فالصواب حضورك يا بب رومان لترى ما يأمرنا به المسيح عيانا وباقى الشغل على أنا فعندها كتب جوابا المقدم موسى بخطه يقول فيه من حضرة البترك موسى صاحب دير الشراريب الى كافة ملوك

الروم اعلموا أن هذه الايام يحضر حورى من الحواريين من طرف المسيح ابن مريم ويأمر اهل ملته أن يقيموا شريعته كما يجب فمن أراد أن يراه فليحضر ليلة الاحد ليقابله فى هذه الجمعة وقد اعلمتكم وشكر الرب المسيح وسلمه إلى واحد من اتباعه الذين يدورون ببلاد الروم فدخل به على البب رومان وكان الملعون جوان قاعدا بجانبه وكان البب رومان يعتقد فى البترك موسى اعتقادا زائدا فلما قرأ الكتاب التفت الى جوان وقال له يا ابانا جوان أنت تدعى انك عالم الملة ولكن المسيح لا يعلمك بشىء أبدا واما البترك موسى فانه محبوب المسيح اكثر منك وليلة الاحد يرسل له حورى يعلمه كيف يقيم شريعته كما يجب على النصارى ثم ان رومان كتب على الجواب بالاطاعة وانه يحضر ليلة الاحد واعطى الرسول مائة دينار فقال يا بب انا لم أقل ولا أمثل احدا ثم تركه وخرج من عنده وعاد الى المقدم موسى واعامه [واما البب] رومان فانه اعلم وزراءه مرين ومحتون انهما يكونان معه ليلة الاحد حتى يحضروا الحورى القادم من طرف المسيح فقال جوان يا بب رومان وأنا اكون معك حتى اتفرج على هذا الحورى فقال البرتقش يا أبانا يغنيك المسيح عن حضورك قدام ذلك الحورى لانه من طرف المسيح والمسيح يعلم انك رجل كذاب تكذب على النصارى فيقوم يعكس الحورى فقال جوان يا برتقش أنا عقلى يقول لى أن هذا الحورى شبحة واخاف أن تكون حيلة على خلاص الدبابر وعرنوس من عند رومان فقال البرتقش إذا كان نترك فى محله أى شى يطلع من يدك وإن رحت ما ينوبك الاخيبة الامل قال جوان لابد لى من الرواح [لما] كان فى الليلة المعلومة فرش البترك موسى الدير باطيب الفرش وبخر المخادع ببخور العنبر الخام وقد اقام ينتظر ما يجرى واحضر جميع اتباعه والبسهم وصفهم فى الدير صفة بتاركة ورهبان وعند المساء قدم البب رومان ووزراؤه مرين ومحتون وارباب دولته مقدار مائة انسان ومن جملتهم جوان والبرتقش فلما دخلوا جلسوا على الكراسى وتقدمت لهم فطائر القربان فاكلوا منها تبركا وقام البترك موسى فقرأ اقداس من الانجيل وهو ينشد واتباعه يردون عليه حتى اضطرب رومان وجماعته وصار وقت الثلث الاول من الليل فعنده تقدم إلى جوان وقال له قم يا عالم الملة وهات ما عندك واقرا قداسا حتى يسمعوا نهيقك الناس فقال جوان طيب واراد أن يقوم ويفتح حلقه وإذا بصوت من فوق سطح الدير يقول اسكت فتامل الحاضرون وإذا شخص فوق السور قد طلع من فمه نار وشرار رثام من على السور وطار بزنده نزل على حائط الدير وصاح يا ترك موسى أنت

كنت تقرأ قداسا واى شيء ابطالك وانت بترك الدير كان قصدك أن تبطل ليلة الاحد من غير تسبيح ولا تقديس فى ديرك من دون الديور تقدم إلى عندى وكلمنى والا أنا اتقدم اليك فقام البترك موسى ووقف قدام شرف ذلك المكان وقال ها أنا يا حورى حضرت بين يديك فقال له أنت تستحق الادب لكونك بطلت التسبيح فى هذه الليلة اقف مكانك حتى اسئل المسيح على ادبك ثم انه علا حتى بقى بينه وبين الحائط مسافة فنفخ فخرج شرار ونار حتى تصور للناس انه يريد حرقهم وبعده عاد ونزل على حائط الدير وقال يا موسى المسيح امرنى بضربك عشرين عصا وقام من على الحائط كانه طائر ونزل حتى بقى مقابلا رأس المقدم موسى واطلع مقرعة جريد وضرب البترك ثلاث مقارع على رأسه وطار وعاد الى محله وقال يا بترك موسى عد إلى مكانك وارسل إلى البب رومان فقال سمعا وطاعة فقال البترك للبب رومان قم يا البب كلم الحورى فعنده قام البب رومان ووقف الحورى يا رومان أنت ملك واكبر ملوك الروم فلاى شيء لم لا تجاهد فى دين المسيح فقال جوان كم أقول له انه يجاهد وهو لا يرضى بذلك فقال الحورى من المتكلم فقال البرنقش هذا جوان فقال الحورى ولاى شيء هو جوان قال هذا عالم الملة فقال الحورى أى ملة الذى هو عالمها فقال البرنقش ملة الروم فقال جوان كأنى أنا أسمع كلامك مع انى اعرفك حق المعرفة ولا أخشاك أبدا فما تم كلامه حتى نزل الحورى عليه كالطائر فوقف قدامه ونفخ فى وجهه فخرج شرار ونار فحرقت شيبته ووجهه فصاح فى عرضك يا حورى أنا فى عرضك فتأخر وطلع إلى السور وقال يا رومان فقال رومان نعم فقال له اعلم أن المسيح أراد عرنوسا الديابر على دينه الصحيح فاطلبه إلى بين يديك فى هذه الساعة وجهزه بعسا كرحتى انه يقيم شريعة المسيح ويجعل الملة كلها مسيحية والكلمة مريمية والا إن خالفت أنزل عليك غضبا من غضب المسيح فقال رومان حتى أحضره بين يديك فقال الحورى قم يا بترك موسى احضره فارسل البترك موسى جماعة من اتباعه مع الوزير مرين وغابوا ساعة وأتوا ومعهم عرنوس فلما وقف قال الحورى فكوه من القيد والكتاف ففكوه فقال الحورى ياديابر وعرنوس أنت على دين المسيح الطيب الصحيح فقال له ولاى شيء تحضر فى المسلمين ولم تقاتل عن ملة المسيح فقال عرنوس من عدم اتباع ملوك الروم لى والمساعدة منهم حتى كنت أفتح تلك البلاد فقال الحوارى يا رومان كن معه على ما يريد وأرسل معه الديابر من أولادك بالفى عسكرى وأنا آمر ملوك الروم جميعا كل واحد منهم يرسل اليه مقدم بالفى

عسكرى حتى يملكوا بلاد المسلمين ولم نبق إلا ملة المسيح على الدين القويم الصحيح وكل من خالف فعلت به هكذا ثم ان الحورى نفخ فى قلب الدير فخرج شرار ونار على المقيمين فصاحوا جميعا فى عرضك فقال لهم ادفعو جوانا وطردوه ولا يقبله منكم أحد أبدا وكل من قبله وأدخله بلدا أحرقته بالنار كما أمر المسيح صاحب الانوار ثم انه صعد إلى صور الدير وقعد قال اطردوا جوانا

فقال الوزير مرينقم اطلع يا جوان

قال البرتقش تفضل يا أبانا قبل ما يقول غير هذه الكلمة

فقال جوان تطردنى لأى شيء فنزل اليه ونفخ فى وجهه وقال اطلع يا ملعون ثم انه نفخ بصوت مزعج فخرج نار زائدة الشرار تصور للناس أن الدير احترق فصاحوا فى عرضك يا أبانا وما زالوا على جوان فطردوه هو والبرتقش فما طلع من الدير حتى أدركه أربعة من أتباع المقدم موسى ابن حسن القصاص ومعهم محمد السباق فقبضوه وكتفوه وأخفوه فى قلب الغار ثم أمر الحورى رومان بان يجيء هذه الساعة التى عسكرى ويجهز الديابرو عرنوس حتى يفتح بلاد المسلمين ولكن كال اكليله على بدنك ويكون وزيرا تحتك فقال رومان يا حورى ها أنت حاضر كال اكليله بمعرفتك فامر تكليل اكليل المملكة شموس وان البترك موسى هو الذى يكاله فكال البترك موسى الاكليل وقاله الحورى لا يدخل عليها إلا بعد فتح بلاد المسلمين وكان حاضرا مع البب رومان اثنان من أولاده وهما فرتين ومرتين فقالا لابيهما نحن نروح من جملة من يسافر مع الديابرو عرنوس حتى نكتسب الفرز فى دين المسيح

فعند ذلك قال لهم رومان إذا كان هذا غرضكم أنا أمددكم بالعساكر

فقال الحورى أنتم الذين تكونوا عماد الممالك وكل ما جاء من الروم يكونوا أتباعا لكم فجهزهم ما رومان فى الوقت والساعة أحضر لهم العساكر وصارت الروم يتقاتلون على السفر مع الملك عرنوس فقال رومان لا أزيد على الفين كما أمرنى الحورى وما طلع النهار حتى تكاملت الفين من العساكر مسلحة ومعها آلة الحرب والكفاح وركب الملك عرنوس على ظهر ذات القسور وطلع فى مقدم الركبة كانه الاسد الجسور وكان ذلك الحورى هو المقدم جمال الدين شيحة وهذه البدلة كان أعطاها له سيدى عبد الله المغاورى وهى تبان وكبوط ثعبان مخيط بالكبوط يلبسه من صدره وله ستة وثلاثون زرا نحاسا مرصدة إذا زرر زرا احدا تكون الخدام قدرفعوه قدر ذراع حتى يتم الزرار فيرتفع ستة وثلاثين ذراع وان أراد النزول يفك التزرير كلما فك زرار ينزل ذراعا حتى يصل إلى محله إن أراد أن يمشى طرا نيكون النصف مزرار النصف بلا تزرير ويلبس بر حايه بمسير وهو متاقى كما يسير الطير وكذلك أعطاه برتاما من النحاس إذا نفخ

فيه يتساقط منه شرار ونار كما ذكرنا وهذا كله ببركة سيدى عبد الله المغاورى ففعل مافعل [ولما] علم أن الملك عرنوس اخرج من رومة المدائن أمر رومان بالانصراف هو ومن معه إلى محل ملكه وودع المقدم موسى بن حسن وسافر المقدم جمال الدين وكان المقدم معروف وصل إلى مدينة الرخام وأراد أن يكاتب الملك الظاهر ويعلمه بما جرى وإذا بالمقدم جمال الدين عارضه فى الطريق وأعلمه بالذى جرى وقال له لابد من حضورك إلى قدوم ولدك وانك تأخذ هذين الولدين رهنا حتى تأتى زوجته فعند ذلك فرح المقدم معروف وقعد منتظرا قدوم ولده ومن معه فما كان إلا أياما قلائل حتى أقبل الملك عرنوس ونادى يا معشر النصارى اعلموا أن هذه حيلة تمت عليكم من شيحة وأنا مسلم وهذا أبى معروف وهذه مدينة الرخام بلدى فمن أراد الاسلام فليسلم ومن أراد أن يعود فليعد وأما فرتين ومرتين أولاد البب رومان فما بقى لهم رجوع إلى أبيهم إلا إذا جاءتنى زوجتى الملكة شموس فصاح فرتين ومرتين فيمن معهم وقالوا لهم دونكم وهذا المسلم فأرادوا أن يطبقوا على عرنوس وإذا بالمقدم معروف وأولاد ملوك الرتقان أخذوه مواسطة واحتاطوا بالاثنين كالر كما يحتاط السواد بالبياض أو النيل بالبلاد أو الخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم رفى أقل من ساعة أهلكوا أكثرهم وانهزم القليل وقبض الملك عرنوس على فرتين ومرتين أولاد رومان ودخل مدينة الرخام مؤيدا منصورا

فقال له أبوه يا ولدى كيف رميت نفسك

فقال كان الذى كان وهذه حيلة عملها لى عمى شيحة حتى ملكت أولاد رومان رهنا على زوجتى هذا ما جرى

[وأما] جوان فانه لما قبضه محمد السابق وأخفاه فى الغار فدخل عليه شيحة وأعطاه علقة مائة سوط وقال له يا ملعون وقعت عندى فى الشبكة وسار حتى أشرف على رومة المدائن فرأى الدنيا منقلبة برجوع المنهزمين وأخبروا بأخذ أولاد البب رومان فدخل عليه وتوجع له

فقال جوان أما قلت لك ان أخرى شيحة ما تعمل فقال له يا أباقا أنا عمرى ما سمعت أن شيحة يطير ولكن كيف التدبير فقال جوان أمكث ولا تحرك ساكنا حتى أنى أدبر لك على خلاصهم وآخذ لك بتارك من قتل من النصارى فسكت البب رومان واتكل على تدبير جوان هذا ما جرى

[وأما] الملك الظاهر فانه جالس يوما من الايام وإذا بالمقدم نور الدين بن المقدم جمال الدين شيحة مقبل وسلم على السلطان وقبل الأرض بين يديه وسأله عن أبيه فأخبره بالقصة التى جرت بين عرنوس ورومان وان أباه جمال الدين أحضره لأجل خلاص الملك عرنوس

فقال السلطان الملك يهلك رومان اسجنه للملك عرنوس لابد من المسير اليه واضرب رومة المدائن على رأسه ثم ان السلطان برز العساكر وطلب السفر وقلبه يغلي على الملك عرنوس حتى وصل إلى الشام فتلقاه المقدم جمال الدين شيحة وأعلمه بالقصة التى جرت وان عرنوسا راح إلى مدينة الرخام

فقال السلطان الصواب نقيم بالشام حتى نستريح وأمر العساكر بالعودة إلى مصر وان السلطان يقيم بالشام ويعمر القصر الابلق ويأخذ الراحة فيه مدة أيام وأحضر المهندسين وأرباب الصنائع فاصلحوا شان القصر الابلق فى مدة قليلة وقال السلطان لا أسافر من هنا حتى أتنزه على بساتين الشام فقال المقدم ابراهيم يا ملكنا إذا كنت أمرت العساكر بالرحيل اسمح لى أنا كمان أروح قلعة حوران أستودع أهلي وأعود اليك عن قريب فقال السلطان روح قال سعد وأنا يا ملك فقال الملك روحوا سواء وتعالوا سواء ثم انه أمر العساكر كلا من الفداوية يروح قلعة يستريح فيها وقصد الملك وأمر الامراء بالرحيل إلى مصر واما الوزير فانه أقام فى خدمته حتى يغفل معه واقام السلطان فى القصر الابلق مدة عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشرة وإذا برجل مقبل فوقف تحت القصر وقال مظلوم يا ملك الاسلام :

أيظلمنى الزمان وأنت فيه ... وتأكلنى الذئاب وأنت ليث
ويروى من جنابك كل مظمى ... وأظمى فى حماك وأنت غيث

قال السلطان يا دولتلى هات الرجل الذى يقول انه مظلوم فقال الوزير لخادمه هات الرجل فاحضر الخادم وأوقفه قدام السلطان فقال له الملك ياشيخ كيف تقول مظلوم وأنا كاتب على بيرقى لا ظلم اليوم ولا افلح من ظلم خبرنى أى شىء هو ظالمك وما الذى جرى عليك حتى بقيت مظلوما فقال الرجل يا ملك الاسلام أنا اسمى حسن السكرى أصلى من الشام تاجر أشترى التجارة من مصر وأبيعها بالشام وأشترى بضاعة وابيعها بمصر وانا مشارك الخواجة شمس الدين السحرتى وفى هذا العام سافرت من الشام ولى ولد صغير عمره عشر سنين تعلق بى وقت السفر فقالت زوجتى خذه معك فاخذته فلما وصلت قلعة صيدة خرج على المقدم يعقوب الصيداوى فقال لى هات غفر الطريق فقلت له هذا مال السلطان وانا فى غفره فنهب جميع مالى فبكى ولدى فقلت هكذا يكون فى حكم الملك الظاهر النهب فى الطريق فعندها مسك ولدى وذبحه وقال لى لو اعلم من يوصل خبرك لدى المسلمين لكنت قتلتك وهذا رين المسلمين قدامك فى القصر الابلق روح واعلمه بخله غنى مالى خيله يركبه واحضر مال اكله يشربه فاخذت رأس ولدى وسألت على

القصر الأبلق حتى دانى الناس عليه ، وأتيت اليك ، وهذا ما وقع لى يا ملك والسلام

وهذا حطة فى حقك وأنت ملك الاسلام فقال الملك صدقت وهذا أكبر عيب وقع فى الزمان ولكن انشاء ربى مدبر الكائنات اعطيتك المال الذى نهب منك عوضا عن مالك واقطع رأسه واسلمه الك فى نظير رأس ولدك اقعد أنت هنا ومالك وولدك تلزمه منى أنا فدعى له الرجل وأما السلطان لم يقدر على السكوت بل أخذته الحمية فطلب الحصان فقال عثمان اصبر لما يجى أبو حورتنى وأبو دبلتنى فقال السلطان هات الحصان يا رجل فركب السلطان وطلع قاصدا قلعة صيدا وأما يعقوب الصيداوى فانه لما فعل ذلك كان سكرانا فلما أفاق من سكره ونظر إلى مال التاجر سأل الرجال الذين معه فأخبروه بالتاجر ونهب ماله وقتل ولده وانه توجه للسلطان فقال كنتم قتلتم الرجل أحسن من علمه لملك المسلمين فيأتى ويعاقبنى على ما فعلت فقالوا له أنت الذى حكمت باطلاقه ومنعتنا من قتله فعند ذلك نظر إلى عسكره وكانوا أربعمائة وجعل كل مائتين على جبل لأن القلعة بين جبلين وأقام على باب القلعة بعد ما أوصى الأربعمائة الذين على الجبلين وقال لهم إذا أتانى أحد وتحاربت معه فان غلبته أخذته أسيرا واقتله وان غلبنى أنا اطلعوا على القلعة واضربوهم بالنبال من على الجبل فقالوا سمعا وطاعة وقاموا على هذا الترتيب حتى أقبل الملك الظاهر فوقعت عينه على الملعون يعقوب الصيداوى فأراد السلطان أن يتقدم ويسأله عن هذا الحال فما ترك له الملعون سؤالا فعند ذلك أطلق يعقوب على السلطان وتضاربوا بكل سيف ورمح حتى طلعت على رؤسهم الغبار ونظر الملعون إلى نفسه فعرف أنه ما هو من رجال السلطان ولا وجد له ثباتا بين يديه فى ميدان الجولان فطلب الهرب وحل به سوء المنقلب فنظر السلطان إلى هروبه وقال له يا ملعون أنا لا أتبع من انهزم ولا أهتك الحرم ولكن ان شاء الله بارىء النسم لا بد من قتلك واخراب بلدك وأراد السلطان أن يعود وإذا به نزل عليه رشق النبال من على الجبل كالسيل السيال عن اليمين والشمال فنظر عين الهلاك والبلوى فرفع طرفه لعالم السر والنجوى وقال الفرج يا رب الأرباب :

يا رب يا خالق الدنيا بأجمعها ما أنت فى خلقها يارب محتاجا
يا رب انت الغنى عمن سواك وقد صورت فى الخلق أفرادا وأزواجا
ولست تعبأ بهم فى خلقهم أبدا ولا بأرزاقهم كم يائس راجا

وها أنا ضمن من قد حلانه وقد ... وقعت فى خطر والقلب قد هاجا
انى دعوتك فى خوف وفى وجل ... والعقل منذهلا وجدا وازعاجا
يا فارج الهم فرج ما بليت به ... ما لى سواك لهذا الهم فراجا

فلما تم الملك الظاهر كلامه وارتشم هو وجواده بالنبال والسهام فبينما هو كذلك واذا بالغبار غر وعلا الى السماء وتكدر وانكشف وبان عن حجرة وهى كأنها ليلة ظلما مكسية بجلاد النحورة وعلى ظهرها فارس شديد كانه برج مشيد فصرخ صرخة أذهل الكفار ورمح على الكفار على حد المشوار فأفناهم جميعا بالبتار ولم يبق منهم ولا ديار فنظر المائتان الذين على الجبل الثانى الى رفاقهم عادمين وبقوا جميعا على الغبرا ملحقين فولوا على أعقابهم هاربين والى القلعة قاصدين فدخلوا وقفلوا الأبواب وأيقنوا جميعا بالفناء والذهاب وأما ذلك الفارس فأتى الى السلطان فرأى درعه مثل جلد القنفذ مرشق بالنبال فصار يقلع النبلة ويدهن محلها بدهن الاستقطاب حتى قطب جميع الجوارح وقلع الدرع وقلع السلطان ثيابه بعدما بنجه ودهن كل بدنه بالمرهم البارد حتى بقى كأنه ما رأى جراحا قط والبسه ثيابه ومسح درعه وأفرغه عليه والتفت إلى الحصان وخلص النبل منه ودهنه حتى طاب وأسرجه وألجمه كما كان وبعده أيقظ السلطان فنظر اليه السلطان وتعجب من طول قامته فقال والله يا مقدم هذه الجميلة ما أنساها أبدا ولا أزرعت الصنيعة التى فعلتها معى الا فى محلها فقال له من أنت الذى [illegible] هذه الصنيعة ياشيخ فقال له أنا الفقير إلى الله الملك الظاهر فصرخ فى وجهه الفداوى وقال له اخرس والله يا ظاهر لو أعلم أنك أنت الظاهر ما كنت الا جعلتك [illegible] قطع بالشاكرية ولكن بعدما عملت [illegible] بقى يمكن اعمل القبيح ولكن نوبة غير هذه النوبة أقسمك بالحسام نصفين واتركك على الأرض قطعتين فقال السلطان لأى شىء [illegible] فقال له [illegible] تسلط شيحة وترك مثلى بلا سلطنة [illegible] سلطنة [illegible] الجبل الذى [illegible] وخاصتك من أعدائك بعد ما أشرفت على [illegible] يا اتى [illegible] تستحق السلطنة ولكن بعد [illegible] اقامة واقطع رأس صاحب [illegible] أعطيك السلطنة فعند ذلك ضحك الفداوى وقال [illegible] الآن أنا فركب حجرته [illegible] وأما الملك الظاهر [illegible] فأتاه الوزير شاهين [illegible] عليه [illegible] جرى له [illegible] الى آخره وقال له يا [illegible] رجل [illegible] من [illegible] الشجاعة [illegible] حتى [illegible] مع [illegible]

السلطان فقال له يا ملك الدولة إذا مدحت شخصا فخل للهجو مطرحا فما يستحق الذى ذكرته هذا المدح كله فقال السلطان لا يا مقدم إبراهيم هذا فارس شديد وبطل صنديد فقال إبراهيم صدقت يا ملك وإنما هو يأكل القط والكلب ويعبد النجوم دون الملك الحى القيوم وهذا أكبر عيب فى الانسان أن يكفر بالملك الديان فقال له السلطان ومن أين عرفته فقال كيف لا أعرفه وأنا وسعد وعماد والحاج شيحة كسرنا زره فى الطاحون أيام طهور عماد قال الملك من هو وقال إبراهيم هذا المقدم بصير النمر ابن أسد الدين البويهى يا ملك كيف لا أدريه وأنا أعرف أباه فقال السلطان هذا وعدنى أن يفتح لى قلعة صيدا وأنه يقبض لى على يعقوب الصيداوى فقال إبراهيم لا تعتمد على كلامه هذا رجل ما فيه شعرة تقبل دين الاسلام أرسل يا ملك واطلب العسكر وحط على قلعة صيد حتى تأخذها بحرب ولا تعتمد على هؤلاء الغشاش فعند ذلك جمع السلطان رجاله ورحل من الشام وسار حتى نزل على القلعة فرأى أبوابها مغلوقات فظن أن المقدم نصير النمر داخلها فأقام على حصارها ثلاثين يوما لا حرب ولا قتال وبعده التفت إلى المقدم إبراهيم وقال له أريدك أن تملكنى القلعة هذه فقال إبراهيم سمعا وطاعة سر يا سعد حتى نفتحها فسار إبراهيم وسعد ليلا حتى وصلوا تحت الأسوار فرأوها عالية لم تطل فقال إبراهيم كيف يكون العمل يا سعد فقال سعد ارجع بنا نقول ما عرفنا شيئا فقال إبراهيم عيب علينا فبينما هم كذلك وإذا بخيل مقبلة من الجبلين اليسار واليمين وعدتهم ألفان ويقدمهم ملكا على رؤوسهم شنيارين وهما أولاد أخت يعقوب الصيداوى مقبلين من قلعة الشقيق نجدة لخالهم يعقوب الصيداوى فلما أقبلوا نادوا على الغفرا ففتحوا لهم الباب فاختلط إبراهيم وسعد بعساكرهم ودخلوا معهم إلى داخل القلعة فلما دخلوا الاثنان اطود والعرقد طلع معهم كبراء عساكرهم للسراية وخفراء العساكر بحرش القلعة فكان إبراهيم وسعد من أكابر العساكر فطلعوا [illegible] على المكان وجلسوا مع الجالسين وقد دارت خمرة [illegible] بجانب إبراهيم وكذا [illegible] كاس لسعد أعطاه لإبراهيم ليشربه [illegible] كله حتى أن [illegible] إبراهيم سكر [illegible] وكان السقاة غلمانا [illegible] من [illegible] أصحاب جمال فتان والذى [illegible] الرجال [illegible] قيل فيه

[illegible]

أمسك الكاس إبراهيم آخرا وتصور له من السكر [illegible] الغلام [illegible] فضربه الكاس وكان قدحا من جوهر فقمز الغلام كالغزال [illegible] ضرب بطال فقال يعقوب

الصيداوى السكر وصاح اعطوه كاسا غيره فأعطاه الساقى كاسا غيره فقال فى نفسه الأول خاب والثانى يصيب وضرب الغلام بالكاس الثانى فزاغ عنه فحكم الكاس فى الحائط فانكسر فبقى الكاسان مكسورين فأمر يعقوب الصيداوى أن يعطى له ثالثا فضرب به فانكسر فقال يعقوب يا طود يا ابن أختى علم عسكرك الأدب فقال هذا ماهو من عسكرى ولا عندى أحد قليل الأدب هذا من عسكر الفرقد فقال الفرقد ماهو من عسكرى هذا ررفيقه من عسكرك يا خالى يعقوب فقال يعقوب انا ما رأيتهما الا فى هذه الليلة ثم قال لهم من أى عسكر أنتم قال المقدم ابراهيم من عسكر هذه الشاكرية ثم انه جذب شاكرية زهير فسطعت ولمعت وصاح

فى حسامى مكتوب الله أكبر   كلاب الكفر لا يغرنكم الطمع
فى قتالى كم تروا منى البدع   انى فى الملتقى لا أندفع
الا اذا خليت أكابركم قطع

وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السما ورمى رؤوسا كالاكر وكفوفا كأوراق الشجر فقال يعقوب الصيداوى دالى باعنادره هذا ابن الحورانى فاطبقت الكفار على المقدم ابراهيم فصار يضرب ضربات قاطعات منها الهلاك والممات وأما سعد لما رأى تلك الفعال فما كان منه الا أنه قفز مثل الطيور فوق السور وقفز من السور ملك البر فدخل على السلطان وأعلمه بما جرى وكان فقال السلطان فكأنك جئت لى بالخبر وجئت والبلد مقفول فقال سعد لا أقدر على ثلاث ملوك بعساكرهم وحدى وابراهيم سكران ولا بد الا قبضوه فتضايق السلطان لما سمع هذا الكلام فبينما هم كذلك والمقدم ابراهيم مقبل والدم على دراعيه مثل الكبد المعقود .

قال سعد جئت يا مجنون .

قال ابراهيم وأنت على أى شىء هربت فقال الملك أى شىء جرى لك يا ابراهيم فقال يا ملكنا قاتلت وحدى فجاءت رجلى على رأس قتيل فوقعت فقبضونى ووضعونى فى السجن فكان السجان الحاج شحة أطلقنى وعاتب على لكونى تعرضت لفتح البلد قال لى روح اقعد فى أدبك ولا يخصك شىء ماهذا شغلك ففرح الملك بكون شيحة فى البلد وفرح بخلاص المقدم ابراهيم ولما أصبح الله بخير الصباح فتحت القلعة وخرجت العساكر الكفرة يريدون الحرب وكان السبب أن المقدم ابراهيم لما قاتل فى الليل ووقع قبضوه وأدخلوه قدام يعقوب الصيداوى فأراد قتله فقال وزيره اوضعه فى السجن يابت حتى يطلع النهار وتقطع رأسه على السور ينظرها المسلمين وتدهمهم بعساكرنا وتمحق عددهم فوضعه فى السجن فلما دخل السجن قال له السجان يا قليل

الادب أنت مرتبيتك الحرب والا الحيل فقال وأى شيء جرى لا بد من حضور صاحب الجايل ويخلصنى فقال له حيث أنك علمت انه صاحب الجايل فاطلع وروح لحالك وفكه وأخذه الى السور واطلعه على سلم وانزله من ثانى ناحية على مفرد فسار ابراهيم الى السلطان ولما أصبح الله الصباح طلبه يعقوب فلم يجده فأحضر السجان وسأله عنه فقال أنا ما رأيت مسلما فقال له أنا سلمته لك بيدى وضربه بالسيف فأرمى رأسه وأمر بفتح البلد وطلع عسكره وصفهم قدام عرضى السلطان كما ذكرنا واندقت الطبول الحربية وخرج من وسط النصارى بطريق ومال وجال وطلب الحرب والقتال فركب أيدمر البهلوان وأراد الخروج الى الميدان واذا بغبرة انعقدت وعجاجة ارتفعت والمقدم النمر مقبل وصاح على الامير أيدمر وقال من عندك يا بيلرجى ارجع الحرب على انا ووضع يده على الشاكرية وطبق على البطريق وضربه فأرمى رأسه والثانى ألحقه بالاول وكذلك الثالث والرابع والخامس ومادام كذلك الى آخر النهار فقتل مقتلة عظيمة وعاد آخر النهار بعدما أهلك ما يزيد عن مائة بطريق وعاد الى البر آخر النهار فقال السلطان ماشاء الله من فارس

ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما كان ثانى الايام اصطفت الكفرة اللئام وخرج منهم فارس يريد الحرب والصدام وركب أيدمر البهلوان وأراد ان يلطم ذلك الملعون واذا بالمقدم نصير النمر اقبل من البر ومنع الكفار من الحرب ولطم ايدمر البهلوان فانقلب مثل السنديان ساعة زمانية ووقف فى ركابه وصرخ على أيدمر البهلوان فادهشه وقبضه من جلباب درعه واخذه أسيرا وغاب به فى البر وعاد وطلب القتال فخرج اليه الامير علاء الدين فقاتله ساعة واخذه أسيرا وبعده أخذ الامير بشتك والامير الخبير الجاولى والامير الخطيرى وانفصل القتال ولما كان عند المساء اقبل المقدم نصير النمر وهو حامل خمس مزازيق على كل مزراق رأس امير ورشقهم قدام صيوان السلطان وقال يا ظاهر هذه خمسة من الذين تحارب بهم الرجال وعاد بعد ذلك طالب البرارى والتلالى فقال السلطان لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولما كان فى اليوم الثانى حضر وقاتل فى الكفار واليوم الرابع أخذ خمس امارة وجاء برؤوسهم آخر النهار على خمسة مزاريق وفى اليوم الخامس قاتل فى الكفار هكذا ثمانية أيام أربعة منهم ما يزيد عن أربعمائة كافر والاربعة أيام الثانية أخذ منهم عشرين امير أولهم ايدمر البهلوان وآخرهم فارس قطايا فضاق صدر السلطان وقال يا ابراهيم كيف العمل فقال المقدم ابراهيم يا دولتلى ما بقى ينفع الا حضور الحاج شيحة واذا بالامراء مقبلين على خيولهم والمقدم جمال الدين معهم

فتعجب السلطان من ذلك الشان وقام على حيله واستقبل المقدم جمال الدين وأجلسه فقال شيحة روح يا ابراهيم هات نصير النمر من دير صيدا فقال المقدم ابراهيم قبضته باسم الله عليك ياسلطان الدنيا

فقال الملك يا أخي هذه رؤوس من فقال رؤوس الامراء وها أنا صنعت لهم رؤوسا منهم وخيطتهم لهم أحسن ما كانوا انظر ياملك الرؤوس الذى عليهم أحسن أو الذى على المزاريق فقال السلطان هذه أحسن ولكن اعلمنى بالحق وكان السبب ان المقدم نصير النمر سكن فى ذلك الدير بعدما قتل كل من كان فيه ولم يبق غير البترك فجعله خادما عنده وتمكن الامارة معه المخالفة فاذا قال افتح الباب يفتحه واذا قال جيعان يسقيه وان طلب الماء ياتيه بالاكل وهكذا وقال له اذا قعدت خذ اصبع يدى اليسرى ترضعه مثل ثدى امك وكان المقدم جمال الدين هو البترك وأقام على ذلك فلما حارب واتى بالخمسة الامارة قال يابترك اقطع رؤوسهم واجعلهم على مزاريق فاخذهم واخفاهم فى مخدع وأتى بخمس رؤوس من الميدان على صفاتهم وثالث يوم كذلك وخامس يوم وسابع يوم الى ان كان ذلك اليوم فقعد ولم يتفكر ان يرضع اصبعه فقام المقدم نصير النمر وقبضه فى خناقه وقال له تغيرت يا فران أنت شيحة فمد يده وقال له وحياة شيبتك هذه ياخوند ما تغيرت انا بذاتى وها أنا قادم على اصبعك أرضعه وأنا فى عرضك وكانت أصابعه مدهونة بالبنج فشم المقدم نصير رائحة البنج فانقلب فكتفه المقدم جمال الدين وتركه فى الدير واطلع الامراء واتى بهم الى السلطان وحكى له ماجرى ففرح السلطان وحكى له ماجرى له

ففرح السلطان وقام المقدم ابراهيم وسعد فراحا الى الدير فوجدا نصيرا مطروحا على وجهه فحملوه وأتيا به الى السلطان وكان آخر النهار فلما اوقفاه قدام السلطان ايقظه المقدم جمال الدين فصرخ بصوت مزعج ونظر الى شيحة وقال له انت ياقصير الذى قبضتنى فقال له نعم فقال نصير وأى شىء قصدك فقال شيحة خليك لما اقضى الك واوريك ماافعل بك فعندها امر السلطان بسجنه والتحفظ عليه حتى يخلص من القلعة وفتحها وغاب المقدم جمال الدين فدخل على قلعة صيدا وهو فى صفة باش تكراجى بتاع الملعون يعقوب فقال له يابو دور على الاسوار حتى تنظر الفقراء الاذ [illegible] يسلمون يعملون قاعتنا واخذه ودار به على الحراس [illegible] وصل معه الى سرايته وكان من جماعة [illegible] لهم البنج فى النار [illegible] وفى الاخير اشبع يعقوب [illegible] الفقراء و[illegible] [illegible] الحاجة وكتب الى السلطان تذكرة [illegible] بالركوب ونزل وفتح

الباب فركب الملك الظاهر وصاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وتبعته الابطال من كل فداوى وأمير وعلا منهم الصياح وحمل وخاض الغبار وكتمل والمقدم جمال الدين يدله بهم حتى مكن السلطان من أعلى الديوان وجلس على كرسى قلعة صيدا ودار الذبح فيمن فيها وقبض المقدم جمال الدين شيحة على يعقوب الصيداوى وقدمه قدام السلطان فأحضر الرجل التاجر وقال له هذا الذى قتل ولدك قال نعم فضربه إبراهيم فرمى رأسه وأعطاها إلى ذلك الرجل وقال له السلطان عرفنى كم مالك الذى اخذه منك فعرفه ماله وما أخـــذه منه فأعطاه السلطان ماله بالتمام ولم يضيع له منه شيئا وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار زيادة على ماله يعطيها معها رأس قاتل ولده فانطفى نيران كبده فأخذ ذلك التاجر وسافر إلى بلده فقال السلطان هاتوا نصير النمر فدوروا عليه فلم يجدوه وكان الذى أطلقه الطود والفرقد أولاد أخت يعقوب الصيداوى فانهم لما رأوا البلد قد ملكت فطلعوا هاربين ودخلوا عرضى السلطان لينظروا لهم فرصة فما وجدوا أحسن لهم من خلاص المقدم نصير لأجل أنهم مايقعان فى عرضه ويحميهما من ملك الاسلام فقال لهما مرحبا بكما أنا لا بدلى من قتل الظاهر وشيحة ولو تعلقا بالنجوم أو غاصا تحت التخوم ثم انه قال لهم هل تعرفا لنا قلعة أو حصنا تقيموا فيها حتى نبلغ رشدنا من الظاهر وشيحة فقالا له لنا خال يقال له عبد الصليب سر بنا تقيموا عنده فسار معهم حتى دخل فى قلب قلعة عبد الصليب الشقيق ودخل الطود والفرقد على خالهما عبد الصليب وكان ابن خالة الصيداوى فحكيا له ما جرى فاغتم غما شديدا على المقدم يعقوب وأكرم المقدم نصير النمر وأقاموا شراشى العصيان وتحالفوا أن الحرب يكون ثلاثة أيام يوم يتولاه المقدم نصير النمر وحده ويوم يتولاه البب عبد الصليب وعساكره ويوم على الطود والفرقد وأقاموا ينتظرون قدوم الملك الظاهر وكان قد أحاط بصيدة فأتاه رجل من القصاصين فأعلمه أن نصير النمر فى قلعة الشقيق ومعه الطود والفرقد عاصيين يريدون قطع الطرقات فعندها أمر الملك بالرحيل إلى قلعة الشقيق وسار بالعسكر حتى نزل على قلعة الشقيق ونصب العرضى وكتب كتابا وأرسله إلى عبد الصليب الشقيقى فأخذه إبراهيم ودخل القلعة وأراد أن يمضى إلى عبد الصليب الكلاب وإذا بلطشة خلف ظهره خلته سقط على وجهه فالتفت وإذا الضارب المقدم نصير النمر فاتكأ عليه وكتفه فقال المقدم إبراهيم نعم ما فعلت من الأبطال يا مقدم نصير أنت من المقادم المعدودين فقال له الذى غاب به الصبر ما يفيد لا تكثر الكلام ثم انه

وضعه فى السجن وإذا ضجة ارتفعت فسأل عن الخبر فقيل له ياعبد الصليب قد قدم عالم ملة لروم البركة جوان فقال نصير النمر ضعوا الحورانى فى السجن أول وبعده انظروا أى شىء يفعل البركة جوان فوضعوا المقدم إبراهيم فى السجن وبعده دخل الملعون جوان فقام عبد الصليب الشقيق وسلم على جوان وأخبره بماجرى بيعقوب الصيداوى وقدم الطود والفرقد .

فقال له جوان لا تخاف من المسلمين ولا من حربهم ولكن يا عبد الصليب أنا أعهد أن هذه القلعة كانت أصلها للمسلمين وأنت من أين ملكتها صارت ملكك

فقال يا أبونا إن هذه القلعة كانت لرجل لرجل مسلم اسمه المقدم فلك الدين الشقيقى وأنا كان لى خال اسمه المقدم رباح بن مكافح وكان عائقا من عياق الروم مقيما فى جبل والجبل فيه دير يقال له دير الشقيق وان المقدم فلك الدين تحارب مع خالى وطرده من الجبل فغاب مدة ثم عاد وأقام فى دير الشقيق لما مات وبعده دخلت أنا تحت حماية المقدم فلك وأقمت تحت ذمامه فقال بنو إسماعيل اطرده فلم يسمع منهم كلامهم وأدخلنى قلعته وأخذت معى جماعة حتى صارت عساكرى مقدار ألف عسكرى فأعطانى نصف القلعة وأقمت حتى مرض المقدم فلك الدين فصرت أتردد عليه فوضعت له السم فى الأكل حتى مات ولم يعلم أحد أنى قتلته وكان فى ذلك الزمان سلطان الحصون المقدم جمر أبو معروف من جملة من أمره بطردى فلم يقبل ولما مات طلعوا عياله وجماعته لدفنه فحاصرت أنا فى القلعة ومنعتهم من الدخول واحتويت عليها إلى الآن وهذا أصل أخذى للقلعة فقال جوان أما أنت ياولدى فقد اجتهدت اجتهادا ما سبقك اليه أحد لا من قبلك ولا من بعدك وفى هذا العام تأخذ جميع بلاد المسلمين وتحتوى على المدائن والقلاع اجمعين وها أنا قد أرسلنى المسيح اليك لأدبرك على أخذ البلاد كلها وأين المقدم نصير النمر

فقال هاهو قاعد وهذا الطود وهذا الفرقد فالتفت جوان إلى المقدم نصير النمر وقال له يجوز لك انك تبقى سلطان ابن سلطان وتنزل تحت يد شيحة من أجل أنه يعمل حيلا لا تنفع ولا تضر أما تعلم أن أصله كان صبيا لحمارتى وأنا الذى علمته جميع الحيل

فقال نصير النمر جتك داهية ما علمته إلا الحيل التى يملك بها شنبات الرجال ياقران والله انك ما تستحق إلا رمى رقبتك فقال جوان طول بالك فقد آن أوان عزله وأنا يا جدع أملكك مكانه ولا تنفعه حيلة ولا بهتان فقال المقدم نصير النمر إن ملكتنى سلطنة الحصون يا جوان أبقى أمدحك فى كل مكان فقال جوان اجتهد فى هلاك المسلمين ولا لزم السلطنة إلا منى قال نصير النمر مرحبا بك يا جوان فعند ذلك

بركب المقدم نصير النمر على حجرته وقفز إلى الميدان وهو ضارب إللثام على وجهه فخرج اليه أيدمر البهلوان فتحاربا ثم انه غلبه وأخذه أسيرا ثم حاربه علاء الدين ثم فارس قطايا إلى آخر النهار أخذ عشرة من الأمراء وثانى الايام برزت الفداوية فأخذ منهم خمسة ودام الأمر كذلك عشرة أيام حتى انه شطب كراسى الأمراء الفداوية هذا وجوان فى غاية الفرح والسرور ويقول له طبت يا نمر ولما كان فى الليلة الحادى عشر نظر جوان إلى عبد الصليب وقال له المسلمون ما يفوترن بعضهم اقبض على نصير النمر لاجل أن نقتل الجميع ونرتاح من المسلمين

فقال عبد الصليب صدقت يا أبانا فلما حضر نصير آخر النهار فاستقبله عبد الصليب وقال له ما بقى لنا إلا رين المسلمين فاذا قبضت عليه كل ماتريد ثم انه ناوله كاس خمر كان جوان أعطاه إياه وقال له اشرب يا سيدى بالهنا والعافية فشرب الكاس فانقلب على وجهه فكتفه كتافا شديدا ووضعه فى السجن ولما كان ثانى الايام نزل الطود والفرقد فصاحوا فى الميدان فنزل الاغا شاهين فقاتل الطود إلى نصف النهار ثم أخذه أسيرا وسلمه للاسلام وعاد إلى الميدان فحارب الفرقد فأخذه أسيرا أيضا فاندق طبل الانفصال فعند ذلك اغتاظ عبد الصليب الشقيق من جوان لانه هو الذى أمر بالقبض على نصير النمر فقال يا أبونا نحن كنا رابحين وأنت الذى أمرتنى بالقبض على ذلك الرجل بعد ما أسر أبطالا وأمراء على قدر ما أسر فقال جوان أنا ما فعلت ذلك إلا بأمر المسيح قم على حيلك فاقتل جميع المسلمين وأول ما تقتل ابن الحورانى فعند ذلك أمر عبد الصليب بحضور المقدم إبراهيم فلما حضر أمر بضرب رقبته فتسلمه السياف فالتفت جوان إلى السياف وقال له تعال إلى فتقدم اليه فمد يده وقبض على خناقه وقال له بالاسم الاعظم ما أنت شيحة المسلمين فقال له صدقت أنا شيحة امسكنى طيب شرط الطير الحر إذا وقع لم يتململ فقال جوان تقتل وتقتل فقال البرتقش يا عبد الصليب احسب حساب رين المسلمين فاذا سمع انك قتلت المسلمين حالا يقتل أولاد أختك الطرد والفرقد وإنما ضع شيحة فى السجن لما تخلص أولاد أختك وبعد خلاصهما اقتل جميع المسلمين فقال عبد الصليب صدقت ثم رفع إبراهيم وشيحة الى السجن الذى فيه الامراء والفداوية فقال إبراهيم مرحبا وقد عاود بأبى الفرج يا حاج شيحة أنا كنت منتظر انك تقتلنى وتشفى قلبى من نصير النمر وها أنت معى وبقينا سواء

فقال شيحة فرج ربنا قريب هذا وعبد الصليب يقول يا جوان فى غداة غد من

الذى ينزل للميدان وإذا بموكب منعقد كله غلمان مرد ويقدمهم غلام أمرد جميل الصورة اسمه نويرد

فلما أقبل قام اليه عبد الصليب الشقيق وتلقاه فقال له الغلام أى شىء هذه الزحمة وهذه الفتنة الجارية عندنا فى قلعتنا فأخبره عبد الصليب بالقصة التى جرت وما فعل نصير النمر وكيف قبض عليه بأمر جوان فقال له فاذا كان رجل يحارب معك فلأى شىء قبضت عليه فقال بامر جوان .

فقال له اعلم أن جوانا خراب الديور العامرة وخائنا ما عنده أمان لانه خان نصير النمر بعدما أسر من المسلمين ما أسر وإنما أنا أحارب المسلمين وآخذ تارنا منهم وأخلص الطود والفرقد غصبا عنهم ثم انه بات تلك الليلة وجوان مارا فقال يابرتقش أنا قلبي نافر من هذا الغلام لانه يشبه شيحة وأنا منه فزعان فقال البرتقش نظرك صحيح ولاشك انه ابنه بيقين وانه فرع من المسلمين فقال جوان وكيف العمل فقال البرتقش أجىء لك بالحارة فقال جوان أنا أطلع والقلعة عامرة من قبل خرابها هذا لا يمكن ولما جاء الصباح برز ذلك الغلام وكان اسمه المقدم نويرد وهو ماشى على قدميه ولكن له همرات لم يهمزها غزال ومال وجال وطلب الحرب والقتال فخرج اليه الأمير خليل بن قلاوون وتقاتل معه طول النهار ولما كان عند المساء أخرج من تحت باطه سوطا بسبعة ألسنة من البولاد وضرب خليلا فحكم فى فخذه فجرحه وعاد الأمير خليل مجروحا وثانى الايام برز إلى الميدان فخرج له المقدم هدان بن الافعة وتقاتل معه فجرحه وثالث يوم نزل اليه أحمد بن أيبك التركمان فجرحه ونزل بعده الأمير مندوه الكردى فقاتله لآخر النهار وعاد مجروحا وهكذا خمسة أيام وكان آخر من برز اليه المقدم سعد بن دبل فقال له يا ملعون لقد أعجبتك نفسك حتى انك تجاريت على عساكر الاسلام ولم تصادف رجلا يردك عن الصدام والقتال فنظر المقدم نويرد إلى المقدم سعد وهو ماشى على قدميه فقال له يا مسلم وأنت من دون المسلمين تمشى على قدميك ولم لا تركب على حصان عند الحرب والطعان فقال سعد أنا كان عندى حصان فاحتجت إلى ثمنه فى الطريق فبعته وأكلت ثمنه فى السفر فقال له يامسكين أنا أعطيك حصانا وغاب وعاد ومعه حجرة المقدم نصير النمر وقال له اركب وحاربنى حتى أفعل بك ما فعلت بغيرك فمسك الحجرة سعد ودار وجهها إلى عرضى الاسلام وضربها بكفه على ظهرها فخرجت من قدامه كما تخرج النبلة من القوس فلحق عليها كراخى المقدم سعد وأخذوها فقال المقدم نويرد لاى شىء لم تركبها فقال انا شردت منى غصبا عنى

فقال آتيك بغيرها فأتاه بحصان الطود ففعل به مافعل بالحجرة وكذلك حجرة الفرقة وهكذا عشرة من الخيل كل واحد أحسن من أخيه فقال له المقدم نويرد أنت أتيت تحارب والا أتيت سارقا فقال المقدم وأنت جئت تحارب والا جئت تهادى بالخيل فقال له انا شفقت عليك فقال له اشفق على روحك واركب حصانا فقال له انا ما اركب خيلا أنا أحارب على أقدامى فقال سعد وانا مثلك فقال المقدم نويرد جئتك باحرامى الخيل وانطبق الاثنان وزعقا زعقتين وتقابضا بالزندين وتهابرا كالاسدين وأوسعا فى القتال وتجارى فى المجال وتراشقا بالنبال وطال بينهما المطال وتراجا بالخناجر حتى أذهلا الخواطر وداما كذلك حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك وكل منهما كاد أن يهلك لكن المقدم سعد صبور على الاهوال جلود على الحرب والقتال وأما المقدم نويرد فانه كل ومل وبعد عزه ذل فرأى المقدم سعد منه ذلك وعرفه منه معرفة خبير فانقض عليه وضايقه ولاصقه ونظر المقدم نويرد ذلك فقال له يا مسلم انت عمال تستنجد على بالمسلمين

فقال له المقدم سعد انا الذى معك فى الميدان واين المسلمين فقال انظرهم قادمين من ورائك فالتفت المقدم سعد لينظر من خلفه واذا بالمقدم نويرد اعطى ظهره للميدان وطلب قلعة الشقيق وهو من فعل المقدم سعد حيران فقال المقدم سعد كيف تنجو بالهرب وانا خلفك فى الطلب فأخرج من جدانه مقلاعا من الحرير المجدول ووضع فى كفته رغيفا من الرصاص وزن خمسة ارطال وطوح المقلاع وضربه على المقدم نويرد فحكمت الضربة بين اكتافه فانكفأ على وجهه وقام يجرى من الخوف طالبا القلعة فألحقه سعد برغيف ثانى فكفاه قدام القلعة وقام فأدركه ثالث برغيف فأرقعه على عتبة القلعة فانفتحت جبهته فدخل القلعة ولم يروح الى عبد الصليب الشقيقى ولا لجوانه بل دخل على امه وهو مندهش حيران وقال لها يا اماه اربطى لى راسى فقالت اى شىء جرى عليك فحكى لها ما فعل معه المقدم سعد فقالت له يا ولدى هذا الذى تذكره بطال انت لا تخاف الا من رجل مثلك طوله وعرضه لا يختلف عندك نجوت منه فالمسلمون كلهم تشار لانه يا ولدى بأسر وينوى على جميع المسلمين واسمه شيحة جمال الدين انا اتمنى لو كان احد يأتينى به لاكلت من لحمه قطعة واشربت من دمه جرعة فقال لها شيحة الذى تذكرى عنه هو عندنا مسجون فأنا أجره لك تفعلى به ما تريدى لكن أى شىء بينك وبينه هل كنت حاربتيه وغلبك فقالت له اعلم يا ولدى انى كنت قاعدة فى مكانى هذا مع بنات الروم واذا به مقبل فقلت يا بنات

هذا شيحة المسلمين فسمع كلامى فهجم على أمك وضربها بفرخ نشاب فجرحها فى محل ضيق وإلى الآن لم يطب ذلك الجرح وكل الجراح تطب إلا هذا الجرح لم يطب فقال نويرد أنا فى هذه الساعة أحضر به اليك تأخذى منه تارك ثم انه أقام من عندها وسار حتى انه وصل إلى السجن فدخل على المقدم جمال الدين ونظره المقدم إبراهيم فقال بسم الله ما شاء الله يا حاج شيحة أنظر إلى هذا الصبى فما هو إلا مسلم بن مسلم ولا شك أنه ولدك يا مقدم جمال الدين وكذلك المقدم جمال الدين حنت جوارحه اليه

وأما المقدم نويرد فانه تقدم الى المقدم جمال الدين وقال له أنت الذى جرحت أمى يا كناس قال إبراهيم هو بذاته خذه لها تستوفى منه ديتها لانه جرحها ولم يشفق عليها فأخذه وهو مكتوف وسار به إلى قدام أمه فقال لها هذا المقدم شيحة فقالت له يانويرد ياولدى وكيف أتيتنى به مكتوف اليدين مع أنه يا ولدى أبوك فلا تمدد يدك فيه بإضرار تخلد يدك فى النار لأنك أنت ولده وقطعة من كتفه فقال لها أبى كان اسمه رباح بن مكافح ومات فقالت يا ح جدك أبى أنا وأما أبوك هذا المقدم جمال الدين وأنا أمك فعند ذلك ارتجفت أعضاؤه وهداه الله إلى الاسلام وقال لا ه حيث أنا مسلم لأى شىء ما أعلمتينى فقالت له اولدى من خوف عليك لان النصارى كانوا يقتلوك فكتمت السر حتى أتى ابوك فتقدم نويرد الى المقدم جمال الدين وحل وثاقه وقال له اعرض على الاسلام فعله وأسلم على يديه وقال له ياأب قم معى امرح لك المسلمين واملكك قلعة الشقيق فقال شيحة ياولدى إذا جاء الليل انطلق واخرج المحبوسين إلا المقدم نصير النمر اقبض عليه فلما جاء الليل قام المقدم فدخل السجن وأخرج الرجال المحبوسين فقال ابراهيم نخرج من هذه القلعة من غير حرب ولا قتل فقال له المقدم جمال الدين اخرج أنت وأنا أقبض هذا الملعون جوان والبرتقش الخوان فتقدم جمال الدين حتى دخل إلى سراية عبد الصليب الشقيقى فلما رآه قام على حيله وأخذ معه جوان والبرتقش وقصد السجن ليقتلوا المحبوسين فرأوهم خالصين من الحديد فأرادوا أن يهجموا عليهم لكونهم بلا سلاح ولم يعرفوا الطرق حتى يخرجوا منها فصاح المقدم جمال الدين على ياسباع الاسـلام اطلبوا النصر من الملك العلام وسار قدامهم حتى أخرجهم من البلد سالمين وأوصلهم إلى عرضى الاسلام وطلع النهار ففرح الملك بقدوم رجاله وهم سالمين وشكر فضل الله المقدم جمال الدين ولما كان عند الصباح اصطفت الاسلام وأراد الملك الزحف

على قلعة الشقيق هـذا ما جرى | وأما | عبد الصليب فانه لما طلع النهار التفت إلى جوان وقال له كيف يا عالم الملة فقال يا ولدى ان أردت أن تسمع كلامى | اركب على ظهر الحصان واطلب رين المسلمين فانه منصف فاذا خرج اليك أقتله فاذا قتلته انهزم المسلمون ولا يقدر أحد منهم يقف أمامك وأنا يا ابنى أساعدك بالتعسة وخيبة الأمل فقال يا أبانا بخرنى فبخره جوان فقصر أجله وخرج إلى الميدان وقال يا مسلمون بقى الا الانفصال الحرب الحرب فى هذا اليوم وأنا أريد رين المسلمين أقتتل أنا واياه فان أسرنى بايعته على نفسى بكل ما أراد وان أنا اسرته أطلقته ويأخذ عسكره ويسافر من بلادى بلا حرب ولا صدام فان اهراق الدماء فى جميع الاديان حرام .

فلما سمع السلطان ذلك الكلام منه منع عساكر الاسلام عن الحرب والصدام وأراد أن يبرز الى الميدان واذا بغبرة انعقدت وعجاجة ارتفعت وبانت خمسمائة خيال الكل راكبون على خيول أخف من الطيور ويقدمهم غلام أمرد جميل الصورة وترجل عن ظهر حجرته وتقدم فقبل ركاب السلطان وقال يا ملك الدولة اعلم أن هذا الملعون عبد الصليب الشقيقى قد قاتل أبى وأنا أريد من احسانك أن تنعم على بالخروج اليه حتى آخذ منه بالثار وأجلى عن نفسى العار

فقال السلطان من أنت وما اسمك بين الرجال فقال يا ملك الاسلام أنا اسمى نور الدين بن المقدم فلك وأبى قتله هذا الملعون لأنه كان نزيلا عند أبى فقتله بالسم ووالدتى كانت حاملة بى فوضعتنى وربيت يتيما عند أخوالى فى قلعة رصافة عند المقدم سعد الرصافى وأحكى الغلام للسلطان كما حكى عبد الصليب لجوان ولا فى الاعادة افادة فقال السلطان اعلم يا ولدى ان هذا الملعون طالبنى فقف أنت مكانك حتى أقتله وأريح قلبك منه فقال يا ملك الاسلام ابقى بذلك عار تعايرنى بنو اسماعيل فأنا فى عرضك انعم لى بالخروج الى هذا الملعون حتى أسقيه كاس المنون فقال السلطان دونك وما تريد فعندها خرج الغلام الى ذلك الملعون وطبق عليه فاجاه واخذ منه وأعطاه ربايعه وشراه وقام فى ركابه ومطى فى بدايه وضرب عبد الصليب بالهاكرة على واردية فأطار رأسه من بين كتفيه ثم انه نزل وأخذ الرأس وغاص طرف عمامته من الدم من حلقوم الكافر ونادى يا بنى اسماعيل انا نور الدين بن المقدم فلك بن شهيد الشقيقى فها انا اخذت ثارى ومحوت عنى عارى فقالوا جميعا تستحق المقدمية على رجالك فانك مقدم بن مقدم . أما الملعون جوان لما رأى ذلك من الشنا يبر وقال دالى

يا ابناء النصرانية هلموا قاتلوا عن دين المسيح فانحدرت الكفار وطلبوا قتال المسلمين الابرار فطبقت الرجال الفداوية والامراء الظاهرية وغنى البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانبهال والندل ولى وحار لاترى الادماغ طائر ودماء فائر وجواد بصاحبه غائر تفرقعت المرائر كانت وقعة يالها من وقعة تجلى عليها الملك القادر القاهر

وأما المقدم نور الدين فانه كبس على أبواب البلد وملكها وأهلك كل من فيها وما فرغ النهار وأقبل الليل حتى أهلك الله الكافرين حين طغوا وكفى الله المؤمنين القتال وجلس الملك الظاهر على قلعة الشقيق ودخل المقدم جمال الدين حاملا نصير النمر على حصان والبرتقش قدامه شايل جوان فسأل الملك على الطود والفرقد فلم يقع لهم على خبر ،كان سبب خلاصهم ان الفرقد قرض أكتاف أخاه باسنانه فلما انفك عاد اليه رفكه فقال السلطان الرحيل بعدما سلم قلعة الشقيق الى المقدم نور الدين بامر المقدم جمال الدين شيحة وكتب اسمه على سلاحه وفى دفتره ورحل السلطان طالبا الديار المصرية وسلم نصير النمر الى المقدم ابراهيم والمقدم سعد وطلبا الارتحال من أرض الى أرض حتى وصلا ليلة الى رأس الوادى وكان المقدم ابراهيم نائما وسعد قاعدا يحرص ويخفر المقدم نصير النمر فقال المقدم سعد يامقدم نصير النمر أنت رجل كامل قدام عاقل لو كنت طائعا الشيحة لما كان يمكن ان تتكتف هذا الكتاف ولكن قلة عقلك أوصلتك الى هذا التلف يامقدم نصير اذا كان الملك الظاهر ملك الجدار وشيحة ملك البرارى والقفار وابو بكر البطريق ملك البحار وخضعت لهم الاسلام والكفار أى شىء يدك فى السلطنة وعلى أى جهة تريد ان تتسلطن أنت يا غدار والله يامقدم نصير ما أنت الا مجنون فقال نصير يامقدم سعد صدقت ولكن أنا وقعت فى المحذور هل ترى تفك مربوطنا وتطلقنى حتى أهرب وأنا أعطيك الف قبرسى فقال سعد اخرس ياقرنان أنا أبيع دينى وأخون السلطان بألف قبرسى والاسم الاعظم ان قلت هذه الكلمة ثانيا اقطعت [illegible] فسكت المقدم نصير النمر وكان المقدم ابراهيم يسمع وجعل نفسه نائما فقام وقعد وقال يا سعد أنا قمت قم أنت فنام سعد فصار ابراهيم الحورانى ينتظر من نصير النمر كلاما فلم يتكلم فقال له المقدم ابراهيم يامقدم نصير أى شىء كان بينك وبين سعد ابن خالتى فقال المقدم نصير ولاى شىء فقال ابراهيم الالف دينار قليل يامقدم نصير ماتجىء فى شخشة من شخشات الملك الظاهر ويقال على الرجال انهم ماقدروا على الملك الظاهر بشىء قليل ماينفع اما لو كنت تعطى المال الكثير كان على كل حال يبقى الانسان اذا أخذ مايكفيه وحصلت له مشقة يبقى

على قدر ما أخذ وأما الف قبرسى فقليلات فالحق فى يد سعد فقال المقدم نصـ
النمروأى شىء يكفيك يامقدم إبراهيم قال إبراهيم خمسة آلاف قبرصى فقال سعد
والله ياأبو خليل تستاهل ولك على الجميل والاحسان غير أنه مامعى فبارصة فى هذا
الوقت ياهل ترى تضمنى بالخمسة آلاف قبرصى ولك فى نظير ذلك ألف سادس فى
نظير صبرك قال ابراهيم رضيت بذلك أكتب عليك تذكرة بالستة آلاف قبرصى
فكتب له تذكرة طالب عليه بالستة آلاف دينار ذهب واطلقه تحت الليل ولما اطلق
نصير طالب مصر فاجتمع بالطود والفرقد بغير كلام وأما إبراهيم فانه نام إلى جانب
سعد وتحرك فرفصه برجله فافاق سعد فالقى إبراهيم نائما والمقدم نصير النمر غائبا
لم يكن فقال سعد يارقعة قشرة فايقظ المقدم ابراهيم فلما قام قال اين نصير النمر ياسعد
أطلقته وخليتنا نفتيح قدام السلطان وأخذت البرطيل منه فقال السلطان يعرف الذى
يأخذ البرطيل فينا أنا والا أنت فقال ابراهيم ياسعد وعلى أى شىء نختصم أنا وأنت
راح فى داهية هو كان سرق الخزنة التى مراده فيه يدور عليه ثم أنهم دخلوا على
السلطان واعلماه بهروب المقدم نصير النمر فامتزج السلطان بالغضب وقال اتبقى
اثنان من الرجال ومن المقدمين ولم يطلع من أيديكما تحفظاه قال ياإبراهيم يامالك
الدولة من تعب السفر والعذر عند خيار الناس مقبول وإذا بالمقدم جمال
الدين أقبل

وقال يامقدم إبراهيم اين يروح نصير النمر أنا أقبضه فى أى مكان كان ولكن أنت
بعته بغير قبض ولاتأخذ منه شيئا من الثمن وإنما على طول الايام أنا أقبضه ثم أمر
الملك بالرحيل إلى مصر ودخل السلطان إلى قلعة الجبل فاطلق من فى السجن وابطل
المظالم ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الاذية وأما المقدم جمال الدين شيحة فانه
من ضرره على المقدم نصير النمر اصطنع له فرسا حلوانى بدكان فى باب الخلق على ظهر
القنطرة وكان هذا المكان مرعودا باصناف الحلاوة الطيبة من أراد ان يأكل احسن
الحلاويات واطيبها يأكل من باب الخلق فبينما شيحة قاعد والمقدم نصير النمر مقبل
وقال أى شىء هذا ياشيخ فقال حلاوة يامقدم فقال هات ذوقنى فاعطاه قطعة أكلها
فوقع تحت الدكان فقالت الناس هذا سمه ومالوا على شيحة بالطوب فناداهم يا أولاد
مصر أنا شيحة وهذا فداوى عاصى فامتنع الناس فدور على نصير فلم يجده وكان الذى
أخذه الطود والفرقد فاغتاظ شيحة وراح الى قاعته وغير ملابسه وسار ينتقل
فى اسواق مصر يومين فرأى اثنين قاعدين فى دكان على باب حارة الروم فى صفة

تجار ولكن ما عندهم متاجر والدكان فارغة فتقدم المقدم جمال الدين قدامهما ورمى لهما السلام وسألهما احسانا فأعطيا له نصفين فضة فأطلع خرقة من حزامه وأراد أن يربطهما على طرفها فربط واحدا ووقع منه الثانى فلم يلتفت اليه ومشى فصاح عليه الفرقد وقال له يادرويش أنه وقع منك نصف فضة لم تأخذه فقال يا أفندم أنا لم يمكنى أن اطاطى إلى الأرض على شىء يسير لانى أعرف صناعة الكمية واشغلها ذهبا بندق صاغ وجميع مااشتغله ابنى به جوامع وافرقه على الفقراء وأنفق على نفسى الزائد وانما جاعل نفسى درويشا لاجل أخذ الصدقات وعدم تعلق الحكام فى وأما أنا يا سيدى فغنى غناء زائدا ماأنا فقير فقال له الطور لما سمع كلامه يادرويش اعمل معروفا وخذنى درويشك وأكون خادمك أنا وأخى هذا ولا نفتر عن خدمتك ويحصل لك بذلك الصواب فقال يافندم هذا شىء لا يكون الا فى محل خالى من الناس وأنا لو كان لى محل خالى لكنت أخذتكما فيه وعلمتكما فاقبلا عذرى وأما لو كنت فى بلدى كنت أعلمكما ولم أقصر فيكما فلا تؤاخذانى لأنى مقيم بالخان وعن قريب اسافر من هذه الأوطان فقال الفرقد ان كان على المكان فنحن عندنا المكان الخالى ولم يحضرنا فيه أحد وانما لنا صاحب تارة يحضر وتارة يغيب وحضوره عندنا قليل فسر معنا الى مكاننا فهو خالى واشتغل فيه ما تريد ونحن أطوع من العبيد ثم أنهما قاما وقفلا الدكان وأخذاه فسار معهما الى الوراقين فأخذوا معهم من العطارين زئبق وطرطير ورسختة فقال لهما هذه هى المعادن الذى احتاجها فان الزئبق هذا اسمه العبد وقيل فيه

العبد اذ طرطر طيره ... وحطها فى راس اختة
يخرج ذهب صافى اكسير ... لكن اذا صادف بخته

هذا قول الشاعر فى حق الكمية فقال له صدقت أنت صاحب فهم وادراك وما زال حتى دخلوا بيتا فى سيف الدولة وطلع معهما شيحه فوجد الطيقان قريبين للأرض من جهة الحارة فقعد وجاؤا له فحم واطلع بودقة ووضع المنقد قدامه وأراد ان يشتغل واذا بالباب يدق فسمع شيحة الخبطة فعلم انه نصير النمر ففتحنا له الباب وعند ما قبله الطور قال له ياخوند جاءنا واحد يصنع لنا الذهب احسن من السلطنة ومن غيرها فطلع نصير النمر ونظر الى شيحة وصاح الى اقصير فقفز شيحة من الطاقة الى الارض وطلب الهرب فضرب نصير النمر الطاقة ورماها وأسرع خلف شيحة رملا الى السكرية فرآى ازدحام جمالا وحميرا وحمالا حطب فخاف

أن يعيقه المقدم نصير فى ذلك المكان فما كان منه إلا أنه دخل فى ربع السكرية . .
حتى طلع إلى آخر بيت فرآه مفتوحا فدخل وكانت فيه حرمة فقالت له أى شىء ا ـ
خايف منه فقال لها الاختفاق وأخبرها بالمقدم نصير فقالت له لا بأس عليك وكانت الحرمة
تغسل ثيابها فجمعت ماء الغسل فى طشت ونظرت من الطاقة فوجدت المقدم نصير
واقفا على باب الربع فبكيت على الطشت فقال لها كذا ياقحبة فقالت له اخرس مرض
يقطع قلبك ولسانك فقالوا له أهل السكرية يا مقدم ابعد عن باب الربع فان الذى
من فوقك يكب المياه فتأخر ولكن جعل باله من الباب وأما المقدم جمال الدين كتب
تذكرة وقال لها أريد منك أن توصلى هذه إلى الملك الظاهر

فقالت له مرحبا وأخذت التذكرة وأخفتها ونزلت فقال نصير النمر أين رايحة
وكان ظنها أنه شيحة فلما رآها حرمة تركها فسارت حتى وصلت إلى الديوان وقالت
مظلومة فأمر السلطان باحضارها قدامه فلما حضرت أ طته التذكرة ففردها وإذا فيها
إلى حضرة أمير المؤمنين اعلم أنى عايقنى نصير النمر على باب ربع السكرية فأرسل لى
رجالى فقال السلطان اين ابراهيم الحورانى فقال لبيك ياسلطان فقال له خذ الفداوية
والحق شيحة فى السكرية فنزلت بنو إسماعيل كانهم أرهاط الجن جاذبين شواكرهم
كانهم النيران ونظروا أهل مصر إلى الفداوية وهم نازلون فى صورة الغضب فانزعجوا
فصاح المقدم إبراهيم لا أحد يتحرك ولكم الأمان فسكت الناس وأما المقدم نصير
فلما نظر إلى بنو إسماعيل مقبلين فعرف المقصود فخط لهم على الأرض خطا وقال
والاسم الأعظم الذى لم يحلفوا به إلا العارفون به كل من خط منكم هذا الخط أقطع رأسه
وأعطاهم ظهره ومشى إلى حال سبيله فكان المقدم جمال الدين مشرفا عليهم فعلم أن
المقدم نصير مشى إلى حاله فنزل وشكر فضل الرجال على مجيئهم اليه فقال إبراهيم من
القلعة إلى هنا ما قبضت ولا درهما واحدا فقال المقدم جمال الدين لك وقت آخر
يا إبراهيم هذا ما هو وقتك ارجع إلى محل شغلك فعاد إبراهيم للقلعة فقال الملك أين
نصير النمر قال إبراهيم مرق

قال السلطان والله لم تقابلنى إلا بنصير النمر وإن رأيتك قبل أن تحضره لا بد أن
أأدبك فقال إبراهيم اش ذنبى ياسعد فقال سعد رأينا مالى أنا كنت شريكك فى الدين
الذى لك عليه فقال إبراهيم مش ياسعد وخذ بعضها قطعا على أثر نصير النمر وأما المقدم
نصير النمر فانه أقبل إلى الغورية فوجد فرسا واقفة مسروجة فقفز على ظهرها وشك
جنبيها فخرجت به مثل السحاب فكانت هذه الفرس لأحد شيوخ القليوبية يقال له
الشيخ إبراهيم شرارة وكان من كرام الناس فقال له خدامه ياشيخ العرب رجل فداوى

اخذ فرسك فقال بخاطره يسبقني بها على الدار لاجل ضيافتنا وأقام شيخ العرب لآخر النهار وسافر على قليوب وركب حمارا من السكة فوصل إلى بلده فرأى المقدم نصيرفى ضيافته فقال أهلا وسهلا ومرحبا وكان السبب فى ذلك أن الفرس لما خرجت من مصر قصدت نحو قليوب فاراد المقدم نصير النمر أن يعدلها إلى طريق يسافر منها فما أمكنه أبدا حتى دخلت دار شيخ العرب فوصل شيخ العرب ولقاه فسلم عليه وطلب العشاء وفى تلك الليلة قدم إبراهيم وسعد إلى تلك المضيفة فالتقيا نصير النمر فقال إبراهيم يا سعد اسكت حتى ينام نصير فندخل ونترامى عليه وإن سالنا شيخ العرب عنه نقول مطلوب السلطان وأقاما منتظرين لنومه وأما المقدم نصير النمر فقال يا شيخ العرب ماعندك أحد يحكى لنا حكاية يسلينا بها فقال يامقدم هنا رجل شاعر احضره اليك يشعر لك قال نصير طيب فاحضر رجلا شاعرا وقال له اقعــــد سلى هذا الضيف

فقال أنا الساعة يا سيدى ماتعشيت فقال شيخ العرب احلبوا له شوية لبن يتعشى فاتوا له بقصعة ملآنة لبن ودشيش فقال المقدم نصير النمر الذى يرى اللبن ولم يأكل منه يتنكد وأنا لابد لى من أكل اللبن ثم انه قام إلى الفتيلة ليصلح نورها فاطفاها وعاد إلى القصعة ليأكل فقال شيخ العرب ولعوا الفتيلة فقام الخدم وأوقدوا الفتيلة ونظروا إلى القصعة وإذا بنصير النمر وإبراهيم وسعد نائمون جنب القصعة كانهم موتى فالتفت إلى الشاعر وقال له إيش الخبر فقال الشاعر اسجنهم فانهم مطلوبون للملك الظاهر وأنا جمال الدين شيحة فعند ذلك أوثق جمال الدين شيحة وثاقا شديدا نصير النمر وأوقفه حتى طلع النهار وطلب جملا وحط نصير النمر فى شق وإبراهيم قباله فى الشق الآخر وطرح سعدا على ظهر الجمل وسار بهم إلى مصر وكان دخولهم من باب الفتوح وقيل انه كان رجل خراز قربه فارسل صبيه وسقى له تسقية لبن فلما وضعها قدامه نظر إلى الجمل الذى حامل نصير النمر وإبراهيم فى الاشناف فظن انهم قربا ملآنة عسل فقال لصبيه خذ القصعة وخذ المخراز وشق القربة واعصر نصيبا من العسل فاخذ المخراز وسار إلى جنب الجمل فصار يشك تارة فى طيز نصير النمر وتارة فى طيز إبراهيم فينزل الدم فتلقاه القصعة فافاق الاثنان من شك المخراز فى قعورهما وصارا يرجفون حتى وصلا إلى النحاسين ورجع الخراز بالقصعة لمعلمه فاراد أن يأكل فرأى الدم فامتنع وأما المقدم جمال الدين فانه طلع الديوان ومعه إبراهيم وسعد ونصير النمر فقال يا مولانا أما ابراهيم وسعد فانهما قد استحقا الادب فادبهما وأما نصير النمر فلابد من سلخه ثم ان شيحة لبس بدلة السلخ وأراد أن يسلخ المقدم نصير النمر فقال المقدم نصير ياظاهر هذا جزائى فى نظير

ما أنجدتك وقمة قلمة صيدا وداويتك أنت وحصانك ووعدتني أنك تكافئني فهذه كفائتي قدامك يسلخني شيحة وأنت تنظر ولم تقدر تمنعه عنى

يا جيف جميلا زرعناه راح فى بحار المهاوى
والمبتلى حين يبرأ ينسى جميل المداوى

فقال السلطان يامقدم نصير النمر انت لوكنت مصام من أحد متعدى عليك لكنت أساعدك إلا انك مضاد للمقدم شيحة جمال الدين مع انه مؤمن والفداوية الذى من بنو إسماعيل كلهم تحت طوعه وهم على دين الاسلام وأنت أدرعى وعاصى فلو كنت مؤمنا كنت أمنعه عنك لأجل الاسلام فقال المقدم نصير النمر أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله ها أنا يا ملك الظاهر أسلمت وصرت مطاعا اليك أنت فقط لا الصيحة القصير وأنا فى عرضك يا ملك الظاهر خلصنى من شيحة فقال السلطان يا مقدم جمال الدين اعلم أن نصير النمر أسلم وبقى على دين الاسلام وهاهو أطاعنى أنا وانا أطيعك انت عوضا عنه وتسامحنى فيه فقال شيحة يا ملك الاسلام انا ما أقدر اراجعك ولكن نصير النمر خائن فلا يؤمن مكره وغدره فقال السلطان أنا تعرضت لهذه النوبة وإن حصل منه خيانة فالجزاء قريب فعند ذلك أطلقه المقدم جمال الدين فقام على قدميه وقبل يد السلطان فقال السلطان تمنى علي يا نصير النمر تمنية فقال يا ملك الاسلام أكون ساعيا مع المقدم إبراهيم فى الميمنة فقال السلطان هاتوا قفطانا البس يامقدم نصير انك ساعى الميمنة قال ابراهيم وأنا يا ملك الاسلام فقال السلطان وأنت معه فقال ابراهيم عمرى ما رأيت مركبا لها اثنين من الرياس إلا ووقع بها الخلاف وأنا يا دولتلى ما أرضى بأحد يشاركنى فى منصبى فان كنت أنت اتخذت المقدم نصير ساعى ميمنتك فأنا أكون معزولا وخدمه أنت فى جميع المناصب فقال السلطان روح جهنم فعند ذلك طلع المقدم إبراهيم من قدام السلطان فقال سعد يا ملك الاسلام لما جعلت نصير النمر ساعى الميمنة اجعل المقدم ابراهيم ساعى الميسرة فانه خادم جديد وكل جديد له أغراض فقال الملك يا سعد إذا لقيت ابراهيم كله على هذا لعله يرضى فقال سعد نعم وأنا من غير ابراهيم لم أخدم فقال السلطان حصله فى جهنم فنزل سعد ولحق بابراهيم فقال ابراهيم جئت قال نعم جئت أنا أقعد معك فسار إلى قاعة الحوارنة ينتظر ما يجرى وأما نصير فأقام فى خدمة السلطان يدبر مكيدة أو فرصة يفترسها وكان فى الديوان باب سر ينفذ على سرداب من تحت الأرض إلى قاعة المقدم جمال الدين شيحة الذى يخط عابدين وكان شيحة لما يكون عند السلطان يقيم الى الليل وعند رواحه ينفذ من ذلك السرداب فكان المقدم نصير النمر

برصده حتى عرف ذلك المكان وحققه طيب إلى ليلة من الليالى أقام شيحة عند السلطان إلى الثلث الأول من الليل وانصرف شيحة ونزل السرداب على جرى عادته وكان له عشر رباطات فى كل رباط ثرية بعشرة قناديل فنظر لأول رباط فرأى موقودا تسعة قناديل والعاشر مطفى فقال هذا طماع من الفراشين ومشى إلى الرباط الثانى فوجد اثنين مطفيين وثمانية موقودات والثالث مطفى ثلاثة وهكذا إلى العاشرة وجدها مطفية كلها والدنيا ظلام فأراد ان يرجع وإذا بالمقدم نصير النمر مسكه من رقبته وقال له اين تروح ياقرانى تسلخنى انت يامعرص ياابن العتيقة والاسم الأعظم ان تكلمت لم اخليك تشم الهواء ثم انه وضعه تحت ابطه وطلع به من السرداب إلى وسط القاعة وخرج من بيت شيحة على حية ورأى حية واحضر الطرد والفرقد وقال لهما أ اسائر قدامكما إلحقانى على قلعة الطير وجبار عكار فانى أخذت شيحة واريد شنقه هناك وتركهما وركب حجرته واخذ شيحة تحت فخذه وطلب البر الأقفر وسار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار مجتازا على قلعة المعرة ضحى النهار فرأى بنو اسماعيل مجتمعين عند المقدم سليمان الجاموس فى وليمة وكانوا ذلك النهار فرفوا من العزيمة وقاصدين قلاعهم فنادى نصير النمر وقال يابنى اسماعيل هذا شيحة تحت فخذى الذى أنتم جعلتموه سلطانا عليكم وهاأنا اخذته رايح به إلى قلعتى أصلبه على بابها فان كانت فيكم نخوة الرجال فدونكم والقتال وخاصمونى ان كنتم رجالا وأبطالا فعنده قامت الرجال وأرادوا ان يطبقوا عليه ويوصلوا الأذية اليه فصاح المقدم جمال الدين وقال يارجال لاأحد منكم يتحرك من مكانه وكل من عارضه فأكون خصمه فقال المقدم سليمان الجاموس كيف نتركك ياخوندمع هذا الجبار فقال له انا مقدر حزنى وفرحى وإذا تكاثرتم عليه وأبصر عين الغلبة فيتكى على فخذه ويقتلنى فلا تخاصمونى إلا وأنا مقتول فأى المنفعة فى ذلك فصدقوا كلامه وقالوا له يامقدم نصير منك له اعطفل فنحن لانعارضك ولانعاشرك فضحك المقدم نصير عليهم وتركهم وسار به طالبا قلعة الطير وجبل عكار فلما وصل إلى قلعته احضر رجاله وقال لهم اشهدوا الى بانى لادرع هذا شيحة قبضته من وسط مصر وأتيت به إلى هنا واريد شنقه وبعد شيحة افعل بالظاهر كما فعلت بشيحة فقالوا له ياخوند إذا كان هذا شيحة قبضته كنت تقبض على اولاده وحماة الساق ونوبرد على كل حال لاجل ان تنام فى امان واما إذا كنت قبضت على الحية وتركت ذنبها ورأسها فلا تأمن شرها واعلم ان شيحة بدون الثعبان والسابق رأسه ونوبرد ذنبه ونوردانيا به المسمومة فخذ الحذر على قدر ماتستطيع فقال لهم ذنه صبيران كان هذا حسابكم والاسم الأعظم لم أشنقه إلا ان قبضت على اولاده وأشنقهم فى يوم

واحد ثم انه وضع شيحة فى الحبس ورتب عليه الحرس وقعد منتظرا قدوم أولاد شيحة حتى يقبض عليهم اذا حضروا فى طلب خلاص أبيهم هذا ماجرى

وأما بنو اسماعيل لما فارقهم نصير فاتفق رأى المقدم سليمان الجاموس أنه يكتب كتابا يعلم الملك الظاهر بنصير النمر وأخذه شيحة وسفره به الى قلعته فكتب كتابا وأعطاه لتبع من أتباعه وأمره ان يسير الى مصر ويعطيه الملك الظاهر فسار التابع حتى وصل الى مصر هذا ماجرى

واما ما كان من الملك الظاهر فانه فى الليلة التى أخذ نصير النمر فيها شيحة لم يكن عند السلطان علم ولا دراية الا أنه سأل عن شيحة فقيل له هو غائب وسأل عن المقدم نصير النمر فلم يجدوه فتعجب السلطان من غيبته وصبر ثلاثة أيام فلم يظهر له حتى المقدم نصير النمر فعلم أنه لابد من مكيدة عملها فى شيحة فأرسل الى بيت شيحة يسأل عنه فلم يعطوا عنه خبر فتعجب السلطان وأحضر المقدم ابراهيم وسأله عن نصير النمر فقال ابراهيم يادولتلى نصير النمر أنت وليته منصبى ورفقتى وها أنت تلاقى مايجرى منه فقال الملك أقف فى مكانك أنت والمقدم سعد وجامكيتك كما كانت وفى نظير غيبتك لك ألف دينار فقال ابراهيم يا ملك الدولة ما أنا الا خادمك والملوك يغضبون ويرضون على خدامهم وأقام المقدم ابراهيم والمقدم سعد فى خدمة السلطان فهم كذلك والتابع مقبل حتى وقف بين يدى السلطان وقدم الكتاب من المقدم سليمان الجاموس فأخذه الملك وقرأه واذا فيه من العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب سليمان الجاموس الى بين أيادى ملك الاسلام نعلمك ان يوم تاريخ الكتاب عبر علينا نصير النمر ومعه المقدم جمال الدين شيحة فأردنا أن نقاتله فنمناخوفا على نفسه عنه وأخذه وسار به الى قلعته وها نحن أعلمناك ومنتظرون قدوم دولتك حتى نسير فى صحبتك لاجل خلاص المقدم جمال الدين والامر امرك اطال المولى فى عمرك والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم والله وقع شيحة فى يد هذا الجبار وكنت أنا السبب فى هذا ثم انه أمر بتعريز العرضى وركب الى العادلية وعمل مولد سيد المرسلين وبعد عمل الارتحال أرض بعد أرض حتى عبر على المعزة فوجد بنى اسماعيل منتظرين قدومه فسافروا مع السلطان أياما وليالى حتى وصلوا الى جبل عكار وقلعة الطير فخرجت المدافع من الاسوار منعت العساكر من الوصول فنصب الملك العرضى على قدر رمى النار وبعد ما نصب العرضى أراد الملك ان يكتب كتابا ويرسله الى نصير النمر واذا بالمقدم محمد السابق مقبل ومعه جواد محمل عليه جدانين فانزل الجدانين قدام السلطان وفتحها واذا فيهما الطود

والفرقد فأمر السلطان بسجنهما وقال للسابق من أين أتيت بهما فقال يامولانا كانا قادمين الى نصير النمر ليستعان بهما على حرب الاسلام وبعد ذلك خرج المقدم محمد السابق قاصدا الى جهة قلعة نصير النمر ومادام حتى وصل اليها واعجب ماوقع أن المقدم نصير النمر لما وصل الى قلعته وأقام كما ذكرنا ينتظر قدوم السلطان وبعد أيام قدم عليه الطود والفرقد وباسو يده وقالوا له ياخوند اعلم اننا مابقى لنا محل فلتجىء اليه فان ملوك الروم اذا دخلنا عليهم يقبضوا علينا ويسلموا للملك المسلمين وخالنا يعقوب الصيداوى مات وعبد الصليب الشقيق مات أيضا فهل تقدر على حمايتنا ونكونوا خدامك حتى نموتوا فقال لهم المقدم نصير النمر مرحبا بكم فقالوا له ونقاتلوا بين يديك اما تنتصروا واما نموتوا وان كنت عاجزا عن حمايتنا فاعلمنا حتى نقعدوا فى عرض أحد يحمينا فقال لهم المقدم نصير النمر اقعدوا عندى وأنا أقاتل حتى أملك جميع الدنيا وأسلاطنكم كل واحد فى ناحية منها لكن اجعل عليكم حفظ شيحة فقط لان له أولادا شياطين وأخاف ان يستغفلونى وأنا فى القتال ويفكوه من الشد والاثقال فاريد منكم ان تتكلفوا بحفظ شيحة فقط ولايلزمكم لاحرب ولاقتال فقالوا له رضينا بذلك وان هرب منا فاقتلنا فاخذهم وأدخلهم الى سجن فى مطمورة تحت الارض فلما نظروه قالوا له اتركه لنا حتى اننا نتولى خفره فالتفت نصير النمر الى شيحة وقال له يانصير اتظن ان لك خلاصا بقى من هذا المكان لاوحق الجبل الجربان فعلم المقدم جمال الدين ان اسلامه باطل

ثم ان المقدم نصير النمر ترك الطود والفرقد عنده وكان هما المقدم نورد واخوه نويزد واما المقدم نصير النمر فانه برز الى حومة الميدان وهو على ظهر حجرته غائص فى لامته محتفل فى عدته ونادى ميدان يامراء ظاهرية يامماليك يلزبكية ميدان يا اكراد أيوبية ميدان يافداوية اسماعيلية فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس الف لفارس هلموا الى القتال ومعاناة الحرب والسجال وملتقى الابطال من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا المقدم نصير النمر بن أسد الدين البويضى بن داغر العنيد

فلما نظر اليه السلطان امتزج بالغضب والتفت الى ايدمر البهلوان وأمره بأن ينزل الى الميدان فقال الوزير يا مولانا احلم أيدمر أى شىء يعمل مع هذا الجبـــار ماله الا الذى يكون من أمثاله يكون جبارا مثله وأما اذا نزل ايدمر فأين يروح ويحتمل ان يقتله فان قصر ان ولا يبقى على انسان فقال الملك صدقت

فالتفت إلى بنى اسماعيل فرآهم مطرقين رؤسهم جيعا إلى الارض فعلم أنهم خايفين من المقدم نصير النمر

فقال يا عثمان احضر لى الحصان حتى أنزل إلى الميدان وأقتل هذا الشيطان فقال المقدم ابراهيم أى شيء هذا يا ملك أنت تنزل إلى الميدان ونحن واقفون لأى شيء يا ملك الدولة أنا أنزل إلى الميدان وان قتلنى النمر او اسرنى ينزل بعدى سعد ابن خالتى فان مات او اسر تبق تفعل بعدنا ما تشاء واما ما دمت انا واقف بين يديك كيف تنزل انت إلى الميدان فقال السلطان يا مقدم ابراهيم إذا نزلت انت إلى نصير النمر الك على ان جرحته فلك عندى خمسة آلاف دينار وان اسرته فلك عشرة آلاف وان قتلته فلك عندى عشرون الف دينار وحق الاله العزيز الغفار فقال ابراهيم يا ملك الاسلام توكلت على العزيز العلام

قالت الفار فى شيله وفى حطه خذ لك شريفى وايرم شارب القطه
اجابنى الفار بكلمة قط ما اخطه قال الكرا حلو لكن الطريق شطه

ولكن يا مولانا وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم هات حجرتى يا ابن الشباح وركب المقدم ابراهيم بن حسن على ظهر حجرته وتقلد بعدته واسبل درعا على جثته داوودى صنعة نبى الله داود عليه السلام وبرز إلى مقام القتال فتأمله نصير النمر وقال له نزلت لى يا حورانى قال ابراهيم والله يا مقدم نصير ان السلطان جعل لى على قطع راسك عشرين الف دينار فان كنت تعمل معروفا تمد قرعتك حتى اقطع راسك واعود إلى السلطان واقبضها منه فان مافى قبضها بعد إلا على قطع راسك وانت تصبت على لما اطلقتك بستة آلاف دينار وإلى الآن لم تعطنى إياها وانا عندى كل قبرصى واحد احسن من ابى حسن الحورانى فلا تكثر الفضول واعلم انك لاشك مقتولا فعند ذلك انطبق الاثنين بعضهم على بعض ودوت اصواتهم كدوى الرعد وجالوا فى الميدان طولا وعرضا وتجاذبوا باليدين وتماشقا وتناهلا كاسات الحتوف وطلع الزبد على اشداقهم كالقطن المندوف وتضاربا بالسيوف على الدرق وازور منهما الحرق وسال على اجسادهما العرق ولمع حسام المنايا بينهما وبرق وكانت بينهما ساعة تقشعر منها الجلود ويذوب لهولها الحجر الجلمود وانطبقا انطباق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود وداما على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال إلى ان كان وقت الزوال ونعوذ بالله من حقد الجبابرة فانهما ابطال معردين ملاقاة الاهوال ونظر ابراهيم بن حسن إلى المقدم نصير النمر فرآه فارسا شديدا ماعليه من مزيد والوصول اليه بعيد فتذكر ما قاله

أستاذه الخضر عليه السلام أنظر ما شئت نظرك صحيح وقاتل ماتشاء لا تخف إلا على فرسك قالت رواة هذه السيرة ان المقدم نصير النمر كان فى الأول فريد فى القوة عن المقدم ابراهيم ولكن لما خلع زره المقدم جمال الدين شيحة صار من أرطاله وإنما المقدم ابراهيم يفوق على نصير النمر بعزم الاسلام ولما نظر ابراهيم أن النهار استحال نخاف لا ينقضى ولم يبلغ آماله وتفوته الأجرة التى جعلها له السلطان فى نظير جرح نصير أو أسره أو قتله فما كان منه إلا أنه مد يده إلى نصير بزندملآن بتقوى وإيمان وقبض على أزياقه وتعلق بأطواقه وتجاذب معه فرآه كالحجر الجلمود وقوته كقوة الأسود فاخرج رجله من الركاب ورفص حجرة المقدم نصير فى جنبها فكسر ضلعها فوقعت من تحت نصير فعند ذلك قبض المقدم نصير النمر فى خناق ابراهيم وتعلق فوق الاثنين وكان ابراهيم فوق ونصير النمر تحت فنظر المقدم سعد إلى ذلك فقفز وأدرك ابراهيم فتعاونا الاثنان عليه وشدا على نصير النمر فأوهنا منه السواعد والاطراف وفى تلك الساعة ازحفت بنو الأدرع يريدون خلاص مقدمهم فزحفت بنو اسماعيل الفلك الآخر وكل منهم قاتل وما قصر كانه الليث الغضنفر ووقع الضرب خطأ وصوابا وقطعت الكفوف والرقاب وتقنطرت الخيل بالركاب وشابت الشباب وزعق على القتلى البوم والغراب وفى تلك الساعة ظهر المقدم جمال الدين على أعلى السور ونادى قائلا يامعشر المسلمين وأدخلوا البلد ولا بأس عليكم فعنده ركب الملك الظاهر ودخل من باب القلعة وتبعته عساكر الاسلام وما فرغ النهار إلا وقلعة الطير فى يد السلطان ومع بنى اسماعيل مقدار ستمائة أسير وجلس الملك تحت القلعة وقدموا بين يديه نصير النمر والطود والفرقد والأسرى فقال الملك اعرضوا عليهم الاسلام فأسلم منهم أربعمائة وأما المائتان فامر الملك بقطع رؤسهم فتشفع فيهم شيحة وقال يا ملك الاسلام هؤلاء رعايتك وأنت أهل للعفو ومنك السماح فعفى السلطان عنهم وأمر باطلاقهم بشرط أن يكونوا تحت طاعة شيحة ولم يقيموا فى قلعة عكار فقالوا نمضى إلى قلعة المرقب ونقيموا تحت يد المقدم عاصى وبعده أمر الملك بالرحيل وطلب الديار المصرية والقاهرة المعزية فقال شيحة أى شىء نويت تفعله فقال ياأخى هذا نصير النمر أولا كان خصمك أنت فى السلطنة وما كان متعلق لى به شىء وأما هذه النوبة صار خصمى أنا ولا بدلى من حرقه على جمل هزاز فى مصر وأدوره فيها بالمشعل هو والطود والفرقد حتى لا يرجع بعده يتلاعب بالأديان ويكذب فى حضرة السلطان ثم انهم طلبوا الرحيل فقال السلطان يا ابراهيم تسلم منك نصير النمر والطود والفرقد وساروا يقطعون القفار والسهول والأوعار حتى صاروا

فى الخانكة فأمر السلطان بأن يحضروا ثلاثة جمال ويفرشوا عليهم أقطمة الجلود فوق اللباد ويركبوا نصير على جمل والطود والفرقد على جملين ويربطوا شعل الوقت والقطران على اجسامهم ويلفوا بهم البلد ويحرقوهم فى الرملية والذى يتولى ذلك المقدم ابراهيم وركب السلطان وانعقد الموكب ودخل السلطان إلى مصر وطلع إلى قصر يوسف صلاح الدين يشرف منه على الرملية وأما المقدم إبراهيم فأنه احضر الجمال وانطلقت الشعل ووضعوا الطود على جمل والفرقد على جمل ونظر المقدم نصير إلى ذلك الحال فقال يا مقدم إبراهيم أنا دخيل عليك لم تفتنى هذه النوبة وفى عرضك يا مقدم إبراهيم وأن تجيرنى من الحرق فلك عندى عشرة الاف دينار فقال إبراهيم مرحبابك أكتب لى تذكرة بعشرة الاف دينار وأنا أخلصك من الحرق بالنار ولم يجر ما يجرى مقدم نصير فكتب له تذكرة ووضعها فى جيب المنطقة وركبه على الجمل وأوقد عليه الشعل وجعله بعيدا لا يصيبه منه ضرر وسار الجمل من باب الفتوح من وسط البلد حتى وصلوا إلى الرميلة فكان الطود والفرقد قد انسلخوا من النيران ولما وصلوا إلى الرميلة كمل حرقهم فنظر السلطان من كشك القصر فرأى الاثنين ولا يرى نصير النمر فطلب ابراهيم بن حسن وسأله عن نصير النمر لاى شىء لم تحرقه مع الطود والفرقد فقال له يا ملك الاسلام نصير النمر رجل جبار وإذا امتحن بالنار يخشى منه على أماكن البلد فابقيته حتى يطلع النهار ونحرقه وحده فى الرميلة ونحر العالم السلطان طيب وبات تلك الليلة ولما كان ثانى الايام جلس الملك وتكامل الديوان وإذا بسجاجن العرقانه طالعون على الديوان يخبرون أن نصير النمر انطلق وحديده تكسر فامتزج السلطان بالغضب وقال إبراهيم كذا يا ابن حسن فقال إبراهيم يا ملكنا إذا كان له فى الدنيا أجل رابح اقطعه أنا فقال السلطان أنت رجل منافق وقام السلطان وتمكن منه الغضب وقبض على إبراهيم ورماه فى نطعة الدم فساعده سعد وقال والله ما هو الا منافق ولا يستاهل الا القتل لو كنا حرقناه البارحة ماكان هرب منا . لا كان أحد خلصه حتى تعمل لنا شغله ثانية أهو هرب وأنت لم تسترف ما يوريك من السلطان فعند ذلك وضع السلطان يده فى منطقة ابرهيم فاطلع منها تذكرتين بخط نصير النمر وختمه واحدة وهو قادم من الشقيق بستة آلاف دينار والثانية وهو قادم من جبل عكار بعشرة آلاف دينار فقال الملك كانك بعتنى لنصير النمر بهذه الاوراق قال سعد ما هو الا رجل منافق يا مولانا ولاقبض ولا صرف كل بيعه بالشكك والسلف فاذاهم كذلك وإذا

بالمقدم جمال الدين مقبل فقال ابراهيم الحقى يا حاج شيحة ما الخبر فحكى له السلطان الحكاية فقال شيحة لا قبض ولا صرف وأى شيء نابك يا بعيد فقال إبراهيم يعنى ان السلطان لما قال اعطيك عشرة قبرسى لما تاسر نصير النمر واسرته اعطانى شيئا اهى كل الدعاوى نصبة وأما نصير النمر مسيره يقع واخلص حتى منه فقال شيحة يا ملك المقدم إبراهيم من رجالى أناونصير النمر عاصى على وهو الذى اسره وماهو اطلقه فجعل انه لا اسره ولا اطلقه ونصير هرب وأنا اجد خلفه الطلب حتى ابلغ منه الارب ولا ابيع خاطر ابراهيم وهو رجل مجاهد فى دين الاسلام بخلاطة فان الصفح من شيم الكرام قال الملك ونصير النمر متى تأتى به فقال شيحة يا ملك الزمان أنا الحاوى وهو الثعبان واقبضه من كل مكان [وكان السبب] فى خلاص نصير النمر جوان لانه عبر على رومة المدائن فلقاه البب رومان وحكى له ما فعل الملك عرنوس حتى أخذ أولاده فرتين ومرتين رهنا على زوجته الملكة شمرس بنت البب رومان فقال له وأنا يابانا خائف ارسل له زوجته الملكة شموس يقتل اولادى وأنت كيف يكون الرأى عندك فقال له جوان أنا اخلص لك أولادك وبنتك عندك لا يأخذها عرنوس ولا تنتقل من محلها ثم انه سار قاصدا إلى مصر فحكم دخوله ساعة حرق الطود والفرقد ونظر نصير النمر لماسجن وصبر إلى الليل ونزل على العرقانة خلصه وأخذه وطلع به من العرقانة بعد ما بنج الحرس وكسر الحديد ونصر النمر ساكت حتى صار فى الخلا فقال من أنت الذى خلصتنى فقال جوان عالم ملة الروم فقال له نصير النمر ومن الذى طلب منك خلاصى فقال جوان وكيف ارضى أن واحدا مثلك سلطان يحكم عليه واحد بدوى زى شيحة وأنا أنظر بعينى مع أن شيحة كان صبى حارتى وأنا علمته المناصف والحيل كلها فقال نصير النمر أنظر ياشيخ جوان أما انك تدلى قرعتك حتى اضيعك والا تعلمنى حيلة وطريقة اضيع بها شيحة

فقال جوان أنا ما جئت لك الا بعد ما وصيت جميع ملوك الروم حتى يركبوا جميعا معك وتملك بلاد ملك الاسلام وتبقى السلطنة كلها لك إذا طاوعت جوانا فقال نصير قل لى على الذى تريد وأنا اطاوعك فقال له قبل كل شيء اولاد البب رومان ملك رومة المدائن مسجونين عند الديابرو عرنوس فرح منى اعلمك حيلة تخلصهم بها وتردهما لابيهما ويركب البب رومان وتتبعه ملوك الروم وتزحف على حلب تأخذها وبعدها تأخذ مصر وتقتل زين المسلمين وتقتل شيحة وتبقى

الدنيا كلها لك قال نصير النمر طيب ياجوان فسار به الى مدينة الافلاق ودخل على الانجبيرات فقال لها هات الف دينار واعطيها المقدم نصير النمر على طرف البب رومان فأعطاه الف دينار فأخذها نصير النمر وقال لجوان أى شيء هذا فقال له تجعلها مصروفا هنا فى الافلاق وتقلع سلاحك وتعطيه للبرتقش يكتب لك عليه حتى تتم الحيلة بدخولك على الديابر وعرنوس

فعند ذلك قلع المقدم نصير النمر شواكره وسلمها للبرتقش فقال جوان خذها يا برتقش إلى دير الافلاق عند البترك سمعان واعطيه هذا الكتاب متى يعمل بما فيه فعنده أخذ البرتقش الشواكر وسار إلى دير سمعان فدخل عليه وأعطاه الشواكر وكتابا لجوان ففرده وقرأه وإذا به من حضرة عالم ملة الروم والأمر والمختوم البركة جوان الى البترك سمعان حال وصول البرتقش اليك تأخذ السلاح الذى معه وتكتبه باسم المقدم نصير النمر تابع المقدم جمال الدين شيحة عز نصره

فعندذلك أخذ البترك سمعان الشواكر وأعطاه البرتقش خمسين دينارا وكان أعطاها له جوان فسبك منها خمسة وكان ذلك الملعون عنده فهم وإدراك فى هذه الصنعة ويعرف يقلد خط المقدم جمال الدين لحفر فى الشاكرية وكتب على الأوجه نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وعلى ثانى وجه لا أحمل هذا السلاح المبارك إلا للغزاة والجهاد فى طاعة رب العباد للمقدم نصير النمر طائع للمقدم جمال الدين شيحة عز نصره وكذلك باقى الشواكر وأخذها البرتقش وعاد بها إلى جوان فسلمها اليه وأعطاها لنصير النمر فخرج عقله وقال أى شيء هذا ياجوان أنا أطيع شيحة فقال له جوان طول بالك واعلم أنك ما يمكنك الدخول على عرنوس إلا بهذه الحيلة حتى تخلص أولاد البب رومان وبعده كسر الشواكر هذه واشترى غيرها فقال نصير النمر صدقت ثم ان المقدم نصير النمر علمه جوان كل ما يفعل من الحيل وقعد جوان فى مدينة الافلاق وأما المقدم نصير النمر فانه سار حتى دخل إلى مدينة الرخام وقال السلام يا ملك عرنوس فقال معروف ارجع يا مقدم نصير لاندس بساط ولدى وأنت عاصى على المقدم جمال شيحة فقال المقدم نصير النمر ما أنا عاصى أنا طائع هذه شواكرى فنظر المقدم معروف إلى شواكر نصير النمر فقال له أهلا بك وسهلا يا مقدم نصير فقال الملك عرنوس سبحان الله ياأبى تسبط لغاسول فقال معروف والله ياولدى هذا فارس مليح الهمة قوى العزمة قليل مثل فى الرجال معدود من الاخيار الابطال فقال عرنوص ياأبى أريد ان اجربه فقال له جر به ياولدى ثم التفت الى نصير النمر وقال له انزل يامقدم نصير والعب مع ولدى الملك عرنوص حتى يختبرك فى القتال فقال

نصير حاضر يا خوند فقدم له الملك عرنوس حصانا وركب الملك عرنوس على ظهر حصانه ذات النسور وانطبق الاثنان فرأى عرنوس ان المقدم نصير فارسا شديدا ووصول الضرب له بعيدا فنزل عن حصانه واعتنقه وقال له يا مقدم نصير أقم عندى وتبقى مثل أنا فى الميمنة وأنت فى الميسرة .

فقال سمعا وطاعة وأقام عنده فى أمان مدة أيام حتى عرف محل سجن أولاد البب رومان وصبر إلى الليل بعد ماعرف له مسلكا يسلك منه ودخل على أولاد رومان ففكهما وأخذهما وطلع بهما من مدينة الرخام وطلب ملك الافلاق جوانا جالسا ونصير داخل عليه وقدم له أولاد رومان وقال له هذا مطلوبك قال جوان بكره ترحل إلى رومان وخليه يركب معك على ملك المسلمين ثم انه تسلم أولاد رومان منه فقال له البرتقش يا أبانا إذا وصلت أولاد رومان إلى أبيهم وقلت له اركب على ملك المسلمين فقال لك ما أركب لأن أولادى عندى على أى شىء بقيت أحارب فيسمع نصير النمر كلامه فيقتلك وإنما أبقى نصير هنا عند انجبيرت وخذ أولاد رومان وسلمهما وقل له يركب على المسلمين فان ركب فخذ نصير النمر معك وأنت فأنت وإن لم يركب تنفذ أنت ولا تخل نصير النمر ينظر وجهك أحسن مايقتلك قال جوان صدقت وثانى الأيام دخل على الانجبيرات فقال له يا أبى ان اقرورى البلد انكسر وأريد أن أجمله اقرورى على البلد ثم أحضر نصير النمر وقال له البس اقرورى على ملك الافلاق حتى أعود أنا بالركبة مع البب رومان وآخذك معنا قال نصير النمر مليح والبس نصير النمر اقرورى يعنى والى البلد وسافر جوان إلى رومة المدائن ودخل على رومان وسلمه أولاده ففرح بهم وطلب جوانا أن يركب معه على بلاد الاسلام فقال رومان أولادى جاءونى ولأى شىء أحارب المسلمين وطرد جوان فطلع جوان مغتاظ قال البرتقش ماقلت لك يا جوان . رومان عاقل ولو كان نصير النمر معك كان قتلك قال جوان صدقت وطلع جوان قاصدا بحيرة هذا ماجرى وأما الملك عرنوس لما تفكر نصير النمر فلم يجده وأخبره السجانة بأن أولاد رومان قد انسرقا فخرج عقله . قال لأبيه رايت ياأبى زوجتى راحت ولا بقيت أراها أبدا وهذا ملك يا أبى فقال له أبوه يا ولدى أنا ما عرفت أنها حيلة ولكن يا ولدى أنا أكتب للملك الظاهر وأعلمه وهو يخلص زوجتك من عند رومان

فقال عرنوس أنا ما عجزت عن رومان حتى أستعين عليه بالملك الظاهر وإنما يا أبى دعنى وحدى وأنا لالى يد تمتد عليك ولالى لسان يعلو عليك وإن قعدت عندى أقتل روحى ثم ان عرنوسا حط يده على خنجره وأراد أن يضرب نفسه فقال معروف يا ولدى ها أنا خرجت من عندك ثم قام معروف وطلع من مدينة الرخام فلقى رجلا

درويشا فقال له لا تتفكر فان الله يدبر وله تدبير عظيم فقال معروف صدقت يادرويش
ادع لابى ان الله تعالى يهديه لى ويحن قلبه على فانه جفانى وطردنى ولا أطيق بعده
عنى ولا ساعة واحدة فضحك ذلك الدرويش وقال له يا مقدم معروف أنا أخوك
شيحة وأى شىء جرى بينك وبين ولدك حتى انه طردك فحكى له ما فعل نصير النمر
وكيف دخل بالحيلة وسرق أولاد رومان ولكن ما أطمعنى يا أخى فيه إلا المارأيت
اسمك مكتوبا على شراكره فقال شيحة هذا الملعون هرب من سجن السلطان ولكن مابلغ
ذلك إلا بتدبير الملعون جوان ولا يعرف أحد يكتب اسمى على السلاح الا البترك
سمعان ولا بد لى من قتله حتى لا يبقى أحد غيره يفعل فعله قم بنا حتى أصالحك مع
ولدك فانك لا صبر لك على فراقه ثم عاد به إلى مدينة الرحام ودخل الاثنان على
عرنوس فحكى عرنوس لشيحة ما وقع من نصير النمر فقال شيحة حكى أبوك
ياعرنوس وهذا شىء ماهو بعيد وان نصير النمر سرق قرتين ومرتين فانا أجىء لك
بدوفش ودومار أولاد رومان الكبار وانما انت اصطلح مع أبيك يا ملك عرنوس
واطلب رضاه واترك البغى واتبع قول الله تعالى وبالوالدين إحسانا فان رضا الوالدين
من رضا الله تعالى ونزل المقدم جمال الدين من عند عرنوس قاصدا إلى دير الافلاق فلما
وصل إلى الدير طلع من السور ليلا فرأى البترك سمعان نائما على وجهه نوم أهل النار
فى النار على رأى من قال

أمنتم ونمتم واغتررتم بلذة وآمنتموا للدهر وهو خؤون

خذوا حذركم من نكبة الدهر انها إذا لم تكن كانت فسوف تكون

فبنجه وكتفه وفرقه وقال له يا ملعون أى شىء غرك حتى كتبت اسمى على السلاح
وأنت لا تعرف الاسلام والان انت ملزوم بذلك الشان فقال ياسيدى مافعلت ذلك إلا
بأمر عالم الملة جوان فقال له وماقولك فى دخولك فى دين الاسلام فقال ياسيدى من أبوه
وجده نصارى فكيف يسلم هو من دون الجميع فقال له الاسلام غنى عنك ثم انه صلبه
على باب الدير وكتب تذكرة وعلقها فى رقبته مكتوب فيها هذا جزاء من يقلد كتابة
المقدم جمال الدين شيحة على السلاح وتركه ودخل مدينة الافلاق فرأى الافرورى
شاقق بالنوبة فتأمله وإذا هو المقدم نصير النمر فقال شيحة إذا كان هذا عمل الوالى
فما ضد الوالى الا ان كان حرامى بقيت انا اعمل حرامى اما ان اغلبه والا يغلبنى ثم انه
توطن فى قلب البلد وسرح خلف المقدم نصير النمر حتى عرف محله الذى هو مقيم فيه
وصبر إلى الليل ونزل على سراية الملك الانجبيرت وأخذ صندوقا كله اصناف ذخائر
وجواهر ومعادن ونزل بها ليلا وسار إلى بيت المقدم نصير النمر ودفن ذلك الصندوق

فيه ولما كان ثانى الايام أتى الخزندار واعلم الانجيبرت وقال يا بب فى هذه الليلة انفتحت الخزنة وسرق منها صندوق الجواهر والمعادن فضاق صدر الانجيبرت من ذلك الخبر وقال هاتوا الافروري فلما حضر قال له الانجيبرت يا افروري أنت نائم فى الليل ولا تدور فى البلد فقال داير فى البلد فقال له ان صندوق الجواهر سرق من الخزنة فى هذه الليلة ولا الزومه الا منك فقال المقدم نصير النمر نلزمه منى أى شيء انا عامل فى البلد أنا حرامى فقال له أنت افروري وتعرف الحرامية فقال نصير النمر أنا أطلب الذى سرق الصندوق فى الليلة القابلة واقبضه فقال الانجيبرت افتش وقام على ذلك الحال ولما ان كان فى الليلة الثانية اندك المعلم وسرق شكمجة من سراية الوزير كلها مصاغ وثانى الايام طلبوا نصير النمر وأعرضوا عليه الكلام فقال افتش واحضر الغريم وثالث ليلة سرق الوزير الثانى وبعدها أماكن التجار فضجت مدينة الافلاق وانزعجت الناس وقالوا الافروري مشترك مع الحرامية وأمرهم بنهب أموالنا وهو يدارى عليها وطال الحال هكذا الى ليلة من الليالى الانجيبرت فى مكانه واذا بحوري نازل من السقف عليه ووقف بين السقف والارض وكان هذا الحوري هو شيحة فابس البدلة التى أعطاها له المغاوري وقال له يا انجيبرت أنا حوري أرسلنى اليك المسيح أمرك ان تعطى الناس أموالهم التى سرقت منهم فقال الانجيبرت وهى فى أى محل حتى أعطيها فقال له دير الافلاق البترك أبو الدواهي اطلبه الى بين يديك واطلب منه أموال الناس فانه يطلعها ويسلمها الى أصحابها ويترتب الجزاء على الحرامى الذى سرقها فان فعلت ذلك وأعطيت الناس أموالهم والا أتيت اليك الليلة القابلة ونزلت عليك ونفخت عليك وهكذا ثم نفخ فى وجهه فطلع شرار فقال له يا سيدى فى عرضك ولما كان عند الصباح أحضر الافروري وقال له أين أموال الناس فقال نصير النمر من يعرف فقال الانجيبرت هاتوا البترك أبو أبو الدواهى من دير الافلاق فغابوا وعادوا برجل بترك هرم عاد الهمة حدار له شبه على طوله ولكن نا له الكبر وابسه كله قذر ورائحته شنيعة من كثرة برله غائطه على نفسه فنظروه الروم فوقفوا لهجيما اكرامالة وقال الانجيبرت يا أبانا ان هؤلاء الناس ضاعت أموالهم كذلك الوزراء وأنا كان واتانى حوري من عند السيد المسيح وقال لى لا يظهر ذلك الا البترك أبو الدواهى وها انا احضرتك حتى تدلنى عن أموال هم وال الناس فقال البترك هذه الفعال ما يفعلها غريب وانما هذه فعال ناس كبار تجمع كل طايح وكل حاكم حتى اظهر لك الذى سرق الاموال وتعطيها الى اصحابها فأحضر الجميع والمقدم نصير النمر فى الجملة فالتفت الى الانجيبرت وقال له هات لى دقيقا فاتاه بدقيق

فعجن منه قليلا وجعله فطيرة وخبزه بيده وقسمه على قدر الحاضرين واعطى كل واحد لقمة فأكل كل لقمته الا المقدم نصير التمر وقفت فى حلقه ولم يقدر على بلعها فنفر البترك وقال له أنت شيحة فقال له وقعت فى الشرك يا حرامى ابلع اللقمة فعند ذلك أراد نصير التمر ان يرمى اللقمة من فمه فانكفى على وجهه فقال ابو الدواهى يا أولادى اظن ان هذا هو الذى سرق أموالكم ولكن اصبروا على ثم انه طلع ورقة وكتب عليها بالقلم ونفخ عليها فطارت فقال اتبعوها فتبعوها فنزلت فى قلب بيت المقدم نصير التمر فقال يا أولادى هاتوا صاحب هذا البيت فجاؤا بالمقدم نصير فمسك طاسة ووضع فيها ماء بضد البنج وضربه على وجهه ففتح عينيه ولكن بعدما كتفه وقال يا فرورى اعط الناس أموالهم ولا تطمع فى أولاد الناس عيب عليك فقال يا قران أنا عارف أنك شيحة فقال شيحة أنا أبو الدواهى ثم أعط الكرستيان ماله الذى سرقته أنت لا تخشى من المسيح قل لنا على محل ما أنت وضعتها فيه فقال لا أعلم بشىء من ذلك يا مرص فقال أبو الداوهى اضربوه حتى يقر فضربوه ضربا شديدا فلم ينطق الا بقوله أنت شيحة فعنده اطلع ورقة من كتاب فقرأ عليها فمشت الورقة الى مكان فقال البترك احفر وهنا فحفروا واطلعوا صندوق الابجيرت وبعده أموال الناس وبعده أموال الوزراء هذا ونصير التمر باهت من فعاله ويقول يا ناس هذا شيحة فلم يلتفت اليه أحد حتى أخذ كل ذى حق حقه وقال الابجيرت يا أبانا ما جزاء الذى فعل هذا الفعال فقال يا أولادى المسيح يأمركم ان تجددوا دير الافلاق فانه قديم تبتدئوا سوروا حول البلد ويكون هذا الرجل هو الذى ينقل الحجر والتراب على أكتافه وتصفد بالحديد فى عنقه ورجليه ويلبس بدلة من حديد فى النهار يخدم فى الطين والحجر وفى الليل يبيت فى السجن فوضعوه فى السجن وامروا باحضار الحدادين ففصل لهم صدرة تبان وصدرية من الورق وقطعتين بحمائل من الورق ومنطقة ورومانتين تضرب على الركب عند المشى وطاسة للرأس وجزمة للرجلين فصنع البترك أبو الدواهى هذه الا ... من الورق وأهل الصناعة صنعوها من الحديد وبعد تمامها وزنها البترك فكانت تسع قناطير حديد تزيد على بدلة حسن القمر بن عجبور باثنين وبعده أمر باحضار المقدم نصير النمر وهو مكتوف فالبسه تلك البدلة وربطه فى سلسلة كالبهيم العاصى ودار المقدم جمال الدين فى الخمارات وهو مكفى على أكتاف الرهبان فوجد ثمانية بطارقة مقيمين فى خمارة عولة فقال لهم أنتم ما صنعتكم فقالوا اسقالقة نقعد فى الخمارة اذا أتى احد ياكل وفضلت عليه لقمة او عظمة نأكلها وان سكر ونضل عليه بيبار نشربه فلا يفرغ النهار الا ونكون اشبعانين وسكرانين فقال لهم أنا قصدى أخدمكم

ولكم كل واحد اربع ارغفة خاص وتصف اقة لحم خنزير وربع اقة دهن جنيس ونصف أقة بيبار واشكوتى ذهب وتقبضوا هذا المسلم الحرامى كل دور اربعة اثنان يجروه واثنان يسوقوه وان توانى فى المشى تضربونه فقالوا له والاربعة الثانية فقال تتبدلوا عليه كل اربعة دور حتى لا تبقى له راحة أبدا فقلوا سمعا وطاعة ثم إن البترك أمر بهدم الدير وبناء السور على اكتاف وبنيان المقدم نصير النمر فكانوا يملاوا له القصعتين بالطين المعجون ويفرغها فى محل البناء ويملأنهماله ترابا ويعود بهما إلى محل العجن وهكذا ذهابا شائل وايابا شائل هذا والبترك ابرالد واهى يعلم الصناع كيف يكون البناء والهندسة حتى انهم عرفوا مقصوده واجتهد وافى الاشتغال والمقدم نصير النمر يتجرع غصص العذاب بالشقاء والآلام ويقول وقعت فى يد من لا يرحك وهذا كله من ذلك القصير جوان المعرص الذى راح يأتى إلى بالركية ماجانى ولا رايته الله يلعن لحيته كيف ما ابلانى بهذه الداهية من مكره وخيانته فارقنى فى هذه البلية ومرق ولا بان كل هذا يجرى والمقدم جمال الدين يأمر الناس بالاجتهاد فى البناء حتى يدوم والعذاب على نصير النمر ثم انه دخل على الملك الاجيبرت وقال له ان الحورى الذى اتى اليك من عند المسيح وامرك باطاعة اتانى فى هذه الليلة وامرنى ان أسير إلى القمامة المقدسية وادخل كنيسة الست مريم أم النور واقرب اليها القربانات والنذور فاجتهد أنت يا بب فى بناية الدير والسور ولا تتوانى يا بب فى البناء والتصحيح حكم ما أمر فابه السيد المسيح فقال له على الطاسة يا سيدى وبعد ذلك خرج المقدم جمال الدين من الافلاق وقصد إلى رومة المدائن ومادام حتى دخل اليها فنظر ازدحام العالم فتقدم وإذا بواحد شابردى يلعب والناس يتفرجون عليه فوقف حتى فرغ لعبه وطلب النقوط فقالوا له خذ يا عبد الصليب وصاروا يعطونه الدراهم الرجال والنساء والبنات وبعد ما أخذ النقوط بطل وقال بكره العب فانصرف الناس الا شيحة فانه رصده حتى عرف بيته وغير شحية لباسه وهيئته واتى فى صفة ولد امرد وعمره خمسة عشرة سنة ولكن فى الجمال الوائد الفنان وقعد قدام تحت عبد الصليب الشابردى وكان رآه داخلا بيته فجاه بطبق وطلع من البيت وسكه وأخذ مفتاحه فعلم انه بغير حريم فقعد شيحة يبكى فاجتمع الناس عليه وقالوا ما لك تبكى يا غندار فلم يلتفت إلى أحد منهم حتى اقبل عبد الصليب الشابردى فرآه نطار عليه فؤاد وقال له مالك يا بنى فقال أنا من ملوك الافلاق وابى قدمات فى حرابة المسلمين وامى أخذها واحد غير ابى ولم يبق أحد يطعمنى ويسقينى ويكسونى فقلت لامى وأنا اقعد عند من قالت

لى روح إلى عمك فى رومة المدائن فأتيت رومة المدائن فلم اعرف طريق عمى و...
مااسأل واحدا يقول لى انا عمك ويأخذنى فيعلمنى جناقة وأنا محتار لا بقيت ا...
أعود إلى الافلاق ولا رأيت عمى فى رومة المدائن فقالوا له ومن عمك وما اسمه فقال له
اسمه عبد الصليب الشاباردى فقال عبد الصليب وتقدم اليه وقال له ما اسمك
فقال اسمى بولص فقال يابولص انا عبد الصليب الشاباردى ثم التفت إلى الواقفين
عنده وقال انا اسمى أيه فقالوا اسمك عبد الصليب ففرح به الغلام وقال لما انت
عمى خذنى معك فقال مرحبا أدخل البيت فدخل معه إلى البيت وفرح به عبد الصليب
فلم ان هذه حيلة لانظير لها وأحضر له الطعام فبكى وقال أنا حالف بمدأبى لا آكل
لحم خنزير ولا أشرب بيبار فأتاه بسمن وعسل نحل فاكل منه وبعد ذلك قدم المدام
وقال له انت ماتشرب من هذا على خاطرك املأ لى واسقنى فقال الغلام انا ما احبس
البيبار ثم انه أخذ الكاس بيده ومسك الابريق وصب منه فى الكاس وتناول
عبد الصليب فشرب من الكاس فلما وصل جوفه مال إلى الارض فايقظه بعدما كتفه
وقال له انا ابن اخيك متى كان لك أخ فى الافلاق اعلم أنى انا شيحة سلطان القلاع
والحصون فقال له يا سيدى وأى شىء تريد منى أنا رجل شحات شاباردى فقال له
إذا أنت اسلمت تركتك ومضيت فى حالى ولا لى عليك سلاطة فلما امتنع من الاسلام
قتله وقطعه قطعا ورماه فى الكنيف النافذ إلى البحر وقعد شيحة ووضع المرآة
وصار يتامل فيها ويتصور حتى بقى على صورة عبد الصليب الشاباردى وبات تلك
الليلة ولما كان ثانى الأيام نزل المقدم جمال الدين من البيت إلى محل اللعب ثم انه
لعب حتى أمال عقول الناس بلعبه واندهلت العالم مما رأوا وعاينوا وأين يكون لعب
عبد الصليب الشاباردى من لعب شيحة فكان لعب شيحة خلاف لعب ذلك الملعون
لانه أظهر للناس أطيب الفنون وافتخر فى الألعاب حتى حير الشيوخ والشباب ودام
كذلك إلى آخر النهار وقد أبهر النظار وقال حلاوة الفن النقوط فصاروا يعطونه
دراهم ودنانير شيئا كثيرا فبينما هو كذلك وإذا بموكب منعقد فقالت الناس يا عبد
الصليب أترك اللعب حتى يفوت البب دوفش فلما سمع ذلك الكلام حذف الطربوش
الذى على رأسه فى الهواء فنزل على راس دوفش وتشقلب ودار حتى وصلت يده إلى كفل
حصان دوفش وانقلب فصارت يده على كفل الحصان ورجلاه خطفت الطربوش
ووضعه فوق رأسه ونادى فى عرضك يا بب دوفش وضحك عليه وانبسط منه وقال
لمن حوله من الروم هذا الرجل خفيف وأنا مرادى اخذه إلى عندى حتى يلعب قدام

دامريتى فخذوه معنا إلى سرايتى فأخذه الخدام وشيحة لم يعلم على أى شيء أخذوه فلما وصل إلى سرايته قال ياعبد الصليب أنا مرادى أن تلعب عندى انا وحدى ولا أحد يتفرج عليك إلا انا ودامريتى فقال على الطاسطة يا بب فقال له قم والعب فقام ولعب قدامه فانبسط دوقش من لعبه وبعده أمر باحضار الطعام فوقف الشابردى يخدم عليهم حتى أكلوا الطعام وبعده قدموا المدام فقال دوقش أقعد وكل يا عبد الصليب فقال يا بب أنا صائم نذر على المسيح فانه على ذنوب بكثرة ومن جملتها انى كنت فى البر واشتهيت الجناقات فما لقيت لا دامرية ولا فليون وكانت فى الخلا خنزير حائضة فمن شدة ما ثار على أنى قد علتها جناقات وأعلمت البترك درارة صاحب الدير والحارة فقال لى صم عن الخنزير والبيبار ستين يوما وما قد منها عشرون وبقى أربعون فقال دوقش المسيح يغفر لك وأى شيء تأكل قال سمن البقر ولحم الدجاج والغنم والعسل النحل فأمر البب دوقش الكلارجى أن يرتب له من تلك الأصناف لأكله ولما كان عند المساء قام البب دوقش وطلع سرايته وأعجب ماوقع أن دوقش لما تزوج بنت البب ميخائيل ملك القسطنطينية العظمى وكانت صغيرة عمرها تسع سنين فلما زفت على دوقش فى الفرح الذى لعب فيه أيدمر البهلوان وأبو بكر البطريق والمقدم سعد والمقدم إبراهيم ومن بعد الفرح الذى حصل فى تشطيب إبراهيم جسر الانجبار وركوب الملك الظاهر فلهى دوقش عن الدخول بزوجته وبعده تمرضت مدة طويلة ولما شفيت اعتراها عارض فصارت تكره دوقش كراهة فاحشة وهو كلما رأى منها الكراهة يعرض عنها لانها بنت ملك كبير وصاحبة جمال باهر فكانت هيئة الجمال تمنعه أن يغصبها على الوصال فكان ذلك بقدرة الله الملك المتعال حتى تنفذ فيها المشيئة والارادة وتكون من أهل السعادة فلما كان فى تلك الايام وحضر الشابردى فى السراية وطلع دوقش إلى عندها فاعلمها بالشابردى ولعبه فقالت له يابب هاته يلعب هنا قدامى فاحضره إلى بين يديها فنظر المقدم جمال الدين إلى تلك الصورة الجميلة فقال سبحان الله الذى خلقها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين ثم قال اللهم يا رباه أسألك بحرمة النبى المنتسب سيد العرب والعجم صاحب الحوض واللواء المعقود أن تهدى هذه الصورة إلى دين الاسلام وعبادة الملك العلام ثم انه لعب قدامها وقدامهم من حسن قوامها ودام كذلك إلى آخر النهار وأراد أن ينزل فقالت له نم عندنا ياشابردى وملأت الكاس وناولت دوقش حتى أسكرته وصارت تتحدث مع الشابردى طول ليلتها وتولعت بمحبته وكرهت

دوفش وتجنبته وثانى الأيام كذلك مدة عشرين يوما ودرفش يعتذر اليه بما هو فيه
ويوم الحادى والعشرين قدم الملعون جوان فلقاه البب رومان وسلم عليه وجلس إلى
جنبه وساله عن دوفش فاخبره انه فى سرايته واحدشابردى باصب قدامه وقدام دامريته
فقال جوان اطلبه يحضر عندنا ويلعب قدامنا فارسل البب رومان إلى دوفش يأمره
بالحضور والشابردى معه فلما سمع الشابردى ذلك قال لزوجة دوفش وكانت اسمها
الملكة مارية يا ملكة أنا إذا رحت إلى الديوان وأبونا جوان هناك فهما يرانى يقول
لى أنت تشبه شيحة شيخ المسلمين فيصعب على أولا ينجس اسمى باسماء المسلمين وثانيا
يخلى الملوك يتزارلوا منى وينقطع عيشى وأنا يا ملكة فى عرضك لأأروح إلى الديوان
ولا أحضر قدام جوان فقالت الملكة مارية يابب دوفش أنت أتيت بالشابردى إلى
أتسلى به ورجعت غدرت على وتريد أن تاخذه منى تعطيه لجوان يقول عليه هداشيحة
حق المسلمين لاجل أن تطردوه من رومة المدائن ولا يبقى له عيش فيها وهذا آخر
عهدى منه فانا ما أعطيه لك أبدا فقال دوفش وحق كانا ميناميلا كيناوحق البترك مسراق
الذى عاش مائتى سنة فى النفاق ونكح أمه وبنته فى ظلام الأغساق ولم يغسل وجهه
إلا بالبصاق ان كان جوان يقول لعبد الصليب الشابردى هذا شيحات فلابد لى ان
اقتل جوانا والبرتقش الخران ولو احتمى لهما ابى البب رومان قم يا شبردى معى
وانظر العجب فعنده قام شيحة مع دوفش إلى الديوان ونظر اليه جوان
فقال يا برتقش انظر فقال البرتقش انا انظر يا جوان ولكن محكم فان اردت ان
تفسده فباقى شىء يفسده هذا ملعوب متموم فقال جوان يابب دوفش هذا الذى معك
من اى بلد هو قال دوفش انا عرفت الذى اردت ان تقول له يا جوان ولكن انا حلفت
لدامريتى مارية باكبر ايمان الروم ان قلت يا جوان على الشابردى هذا شيحة لاقتلنك
ولو تكن فى حجر ابى البب رومان ولا اسئل عنك ولا عن كل من فى الديوان فقال
رومان ياجوان اما ان تقعدسا كتا والاقم فارقنا من هذا المكان فقال البرتقش هذا الرجل
الشابردى شيحة اى شىء جاء به إلى هنا فقال له جوان اسكت يا مجنون وإلا آتى لك
بالحمارة بلا غارة فسكت البرتقش ولعب الشابردى فى الديوان رمى طرطوره على راس
جوان وتشقلب فاخذه وفمه على اذن جوان فقال له انا بذاتى وان تكلمت ياجوان تمت
ومادام كذلك إلى آخر النهار وهو يتشقلب ويرتمى فى وسط الديوان فقال تمتره الشابردى
واحضر له حمارة ووضعه على ظهرها وادخله إلى بيته يا سادة
[ولما] وصل المقدم جمال الدين إلى السراية دخل على الملكة مارية وهو ضعيف

الرخام فقال ياملك عرنوس قادم عليك ثمانية آلاف خيال وار بعة آلاف قراب فقال المقدم معروف يحرس دينك اين هم حتى اعرفهم قدرهم قال شيحة انت يا اخى قم معى وخذ معك جماعة من اولاد ملوك البرتقان واتبعونى حتى اكمن بكم خلف جبل الرخام فاذا جاء العساكر يلقاهم الملك عرنوس وتطلع انت من خلفهم وتأخذهم مراسطة فقال معروف صدقت يا حاج شيحه ولكن يا ملك عرنوس حاذر لاينفلت منك أحد من أولاد رومان وإذا نفذ منك لا ينفذ منى فعند ذلك ترتبرا كما أمرهم المقدم جمال الدين شيحة وبعد مضى ثلاثة أيام أقبل دوفش ودومار وقلوبهما تغلى على النار فلقاهم الملك عرنوس بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وتبعه الملك محمد الطان وروونش وانطبق العسكرين وحان بينهم الحين وغنى وزعق غراب البين فبينماهم كذلك وإذا بزعقات من خلف عساكر الكفار تفرقع وبريق السيوف من تحت الغبار يلمع والخيل فى المجال تقرم وتقع والفرسان تسرع وأعلام الاسلام تشعشع والمقدم معروف كانه الأسد الادرع والخيل من قدامه نافرة والجماجم من حد سيفه طائرة والجيوش جافلة فنظر إلى هذا الحال دوفش ودومار فلحقهما الانبهار وعقل كل منهما طار وزاغت منهما الابصار فأطبق الملك عرنوس على دوفش ومعروف على دومار فما ثبت غير قليل إلا وكل منهما أخذ خصمه أسيرا فى حبال الذل والتعتير واخذوهم أولاد ملوك البرتقان فشدوهم كل واحد كتاف حتى أشرفوا على التلاف ومال معروف وعرنوس على الخيل فانزلوا بركابها الذل والويل وأجروا دماءهم مثل السيل كالوهم كيلا وأى كيل ودام القتال القتل إلى أن مالت الشمس إلى الزوال فتفرقت الاعداء يمينا وشمال وطلبوا البرارى الخالية والتلال وسيوف الاسلام من خلفهم حتى شتتوهم فى الأودية والجبال

وعاد الملك عرنوس مؤيدا منصورا وشكر فضل المقدم جمال الدين شيحة على هذه الامور فقال يا ملك عرنوس خلى الولدين عندك حتى تأتيك زوجتك

فقال عرنوس شكر الله فضلك ياعم والله ما يبقى لها خلاص إلا بالملكة شموس زوجتى وإن طال المطال ركبت على رومة المدائن وأخذت زوجتى بالحرب والقتال

فودعه المقدم جمال الدين وسافر إلى مصر حتى دخل على الملك الظاهر فقام له وسلم عليه واستقبله ولما جلس سأل عن الملكة مارية فقال من يوم حضرت عندنا عملت له الفرح على ولدك محمد السابق كما عرفتنى فى الكتاب ودخل عليها وبلغ منها أربه

فقال شيحة الكتاب الذى أرسلت به إلى سعادتك أنك تحفظها وتضمها فى سرايتك مع الحريم ولا تزوجها لأحد حتى آتيك والله إن هذا شىء عجيب

فقال السلطان يا أخى هذا الكتاب الذى وصلى من عندك ففتحه السلطان وإذا هو بخط محمد السابق والختم ملصرق عليه برهيف البوش

قال شيحة والسابق فى أى مكان هو ؟

فقال الملك انت تعرف طريق ولدك وانا ما فعلت من رأى شيئا فهذا ولدك وهذا انت

فقال شيحة وإن كان ولدى فانا العب واتحيل واصطاد وهو ياخذها باردة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولكن نفذ الأمر ولا بقى فيه احتجاج صبر جميل والله المستعان

هذا ما جرى واما ما كان من البب رومان فكان جالسا وإذا بالمنهزمين مقبلين باكيين حافيين يعلنوا بالويل والثبور وعظائم الأمور

فقال البب رومان اى شىء الخبر فاعلموه بان اولاده دورفش ودومار اسروهما الديابر وعرنوس وقتل من العساكر ما يزيد عن اربعة آلاف خيالة واما القراية ما عاد منهم إلا القليل فان اولاد ملوك البرتقان طحنوهم على الأرض والكشبان فلطم على وجهه البب رومان واراد ان يركب بعسا كره ويقصد عرنوسا فى مدينة الرخام فقال له وزيره عجنون يا بب إذا حاربت الملك عرنوسا ما يقعد عنك الملك الظاهر ولا شيحة بل ينفتح عليك باب ما تقدر على سده أبدا وأنت أخبر برين المسلمين وجربه وتبلى أبناء الكرسقيان بنا وتحرق الكبار والصغار وإن غلبت عرنوسا فربما يقتل اولادك وإن افترسك خرب بلادك والرأى عندى انك تكاتب رين المسلمين وتساله ان يامر عرنوسا انه يطلق الله اولادك وانت ترسل له زوجته فانها بقيت مسلمة ولما أسلمت اى تنفع له بها فى مكثها عنده

واما مارية فلا بد انها اسلمت واخذها شيحة ولا بقى ينفع التعب فيها فكتب البب رومان كتابا يقول فيه من حضرة البب رومان ملك السماسم بين أيادى مولانا العادل ملك المسلمين اعلم ان الملك عرنوس اتى بلادى من غير ما اعلم به ودخل على بنتى واسلمت وتزوج بها وحضر جوان فعرفه فادعى عرنوسا انه على ديننا واخذ اولادى مرتين ومرتين بحيلة وسجنهما عنده برهن فى زوجته فحضر جوان

وسرق لى اولادى وبعد جاءنا شيحة فى صفة شبردى وسرق زوجة دوفش فركب دوفش واخوه دومار لأجل خلاصهما فاسرهما الدبابرو عرنوس فكتبت هذا الكتاب اليك اطلب منك ان تامر الدبابر وعرنوسا يطلق لى اولادى وانا ارسل له زوجته معززة مكرمة وتكون انت الضامن لى عند الملك عرنوس وإن اطلق الملك عرنوسا اولادى وتاخرت انا عن إرسال زوجته اليه اكون انا خصمك وسيفك اولى بى وانت يا ملكنا سيفك طويل وشكر الرب المسيح وختم الكتاب بعد ذلك وسلمه إلى مخبتون وقال فى آخره ونقدم عليك خزنة من المال مقدارها الف كيس كل كيس الف دينار فاخذ الكتاب الوزير مخبتون

تم الجزء الرابع والعشرون ويليه الجزء الخامس والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الخامس والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ونزل الوزير مخبترن فى غليون فكان الهواء باردا فما تم ذلك اليوم إلا وهو نائم بالمينة فبينما هو مقيم وإذا بجوان مقبل عليه فاستقبله وبات عنده فى الغليون ولما نام الوزير مخبترون بنجه جوان وأخذ من جيبه الكتاب فقرأه وشرمطه وكتب كتابا بمعرفته ولصق الختم فيه ووضعه فى جيبه وأيقظه فى الصباح وتركه جوان ومضى فى حاله [وأما] مخبترون فانه سافر إلى الاسكندرية وأرسل باشة اسكندرية بانه قادم عليكم من عند رومان للملك الظاهر فانقله من المالح للحلو وسافر إلى مصر وطلع إلى الديوان وقدم الهدية للملك الظاهر والكتاب فاعطى السلطان الكتاب لمن يقرأه فنظر فيه وتميزه وقال يا مولانا هذا الكتاب لا يقرأ إلا سرا فقال السلطان اقرأه جهرا على العالم فان رومان عاقل ولم تكن عنده قلة عقل فقال اقرأه ولكن اطلب من مولانا السلطان الأمان فقال الملك الظاهر عليك الأمان فقال فى أوله بالصليب وما صلب على الصليب ونحن وأنتم نرحدوا القريب المجيب أما بعد فمن حضرة بب البابات وقران القرانات البب رومان ملك رومة المدائن الحاكم على ممالك السماسم والسبعة عشر جنس من الروم والافرنك وارمل ودوبرة وفرنسة ونميسة وملكان ومسكوف وما أشبه ذلك صاحب الشنايير والبنادرة المفرودة على رؤس الملوك الكبار والصغار إلى رين المسلمين الذى أصله مملوك مشترى من محمود المسارع العجمى ونصبت بنت الاقواسى خادم حبظلم بظاظة اعلم ان اولادى عند عرنوس فى مدينة الرخام اسرهم بحيلة شيحة البدوى الذى أصله خادم حمارة جوان فحال وصول كتابى هذا اليك تحضر عرنوسا وتأخذ من عنده أولادى وهم دوفش ودومار وترسلهما الى فى عز وأمان وتحكم على عرنوس انه لا يتجرأ بعد ذلك على أولاد الملوك بمثل هذه الفعال وإن فعلت ذلك حقنت دمك ودم عسكر ومن يتبعك من المسلمين وإن خالفت ركبت بركبتى فى البر والبحر الركبة التى فى البر يكون أول العساكر فى حلب وآخرها فى رومة المدائن والركبة التى فى البحر

يكون أول العساكر فى المراكب على اسكندرية وآخرها امينةرومةالمدائن واسدعليك البر والبحر بالعسكر وآخذ بلادك واهلك عساكرك واجنادك ولا ينفعك عرنوس ولاخلافه وها أنا حذرتك والشكر للرب المسيح فلما سمع السلطان هذا الكلام امتزج بالغضب فقال الوزير ياملك احلم الملك الذى يكتب هذا الكلام لايتأتى منه أن يرسل هدية لانه لايهادى إلا المذلول وهذا قول غرور وزور ثم التفت الوزير وقال يامخبتون فقال مخبتون يقطع مخبتون والذى أرسل مخبتون يا سيدى أنا اعتذرت والا لساع بالحيلة ثم قال الوزير يامخبتون هذا الكتاب كتبه رومان فقال لا الكتاب الذى كتب لى رومان فيه كل كلمة أحلى من الشهد ومافيه من هذا الكلام ولا كلمة واحدة فقال الوزير وما الذى غيره فقال جوان بات عندى لما كنت فى مينة اسكندرية وهو الذى فعل ذلك وقصده الفتنة وخراب البلاد وأنا ياسيدى فى عرضك انظر الختم فقال الوزير الختم أهو ملصوق بغرة ولكن خذ الكتاب الذى أتيت به وعد إلى من أرسلك يكتب كتابا غيره ومولانا السلطان نرجوه يسامحك فقال ياسيدى حاضر فأخذ الكتاب وخرج من قدام السلطان يحس على رقبته فسار إلى مينة اسكندرية ونزل فى المالح إلى رومة المدائن فدخل على رومان واعلمه فضربه الف كرباج وقال له لأى شىء مكنت جوانا من الكتاب حتى تسببت هذه الأسباب اكتب انت كتابا بيدك وأنا أختمه فكتب مخبتون وختم رومان وسافر بالاقتصار حتى وصل قدام السلطان فاعطاه الكتاب مع غاية الادب وإذا فيه انه يتشفع له عند الملك عرنوس فى خلاص أولاده وهو يرسل له زوجته فأمر له بالاقامة فى المستودع حتى يكاتب عرنوسا فكتب السلطان بيده كتابا إلى الملك عرنوس يقول فيه

مهد القلب حبكم بالتصابى لقربكم حبكم مازج الدماقى الاعضا عند ذكركم
لو رأيتم مكانكم فى فؤادى لسركم قصروا مدة الجفا طول الله عمركم

إلى حضرة ولدى وأعز من ولدى من عليه بعد الله تعالى فى الشدائد معتمدى الليث الضارى والبطل المانوس من حاز الشجاعة بين الفرسان وافخر من ركب على ظهر القربوس وضرب أعناق الأعداء بالسيف زالدبوس والتقى من اعدائه المضارب على الدرقات والتروس الملك محمد سيف الدين عرنوس أما بعد لايخفاكم فان أولاد رومان عندك رهائن فى زوجتك الملكة شمرس ورومان أرسل لى هدية خزنة من المال وهى قادمة عليك صحبة حامل هذا الكتاب فحال وصول كتابى هذا اليك أطلق أولاد رومان وأنا الضامن لك حضور زوجتك وان تأخر رومان فى إرسالها فلاتلزمها الامنى وانا

والله اركب عليه واخرب بلاده وأملك عساكره وأجناده وأنا ضامنه لك فاقبل ضمانى واطلق أولاد رومان واطف هذه الفتن والسلام على النبى البدر التمام فاعطى الكتاب إلى المقدم سعد وقال له سر إلى عرنوس بهذا الكتاب وعدلى منه برد الجواب وسلمه هذه الخزنة فسار سعد أياما قلائل فدخل على الملك عرنوس وأعطاه الخزنة وسلمه الكتاب بعدما سلم عليه فقرأ الكتاب عرنوس والتفت إلى سعد وقال له وأنا محتاج إلى أموال يرسلها إلى رومان حتى أرسل له أولاده من السجن والا رومان معتمد وأنا فلا تى حتى ان الملك الظاهر يضمنه وأنا مايضمنى بدل ما يضمن رومان لى ويأمرنى باطلاق أولاده كان يأمره هو بارسال زوجتى وبعد ذلك يأمرنى باطلاق أولاد رومان والا باع مثلى مؤمنا شريفا واشترى خاطر رومان لكونه أرسل له الهدايا ولكن الملك الظاهر لا يلام لكونه أصله مملوك مشترى درهم ويدخل عليه الغرور بالنعم [قال الشاعر]

فى الناس من بالكرم وثماره تجنى وفيهم بالبخل يابس
وذا وذا الكل من فرد طينة إن أردت ذا وذا تقايس
كم غصن فى روض له ظل ممدود مورق ومعقود بالزهر يابس
وغصن تلقاه الازهار والاثمار ولا الخلائق تهوى محله
لا يفتخر غصن عن رفيقه إلا بشره وكثرة ظله

وهذا الملك الظاهر لا هو للسيف ولا هو للضيف واقامته على خدمة الحرمين حرام وحكم مثله ضرر على بلاد الاسلام الذى يقبل الرشوة والبرطيل من الكافر ويبيع مثلى مؤمنا شريفا طاهرا فقال المقدم معروف يا ولدى أى شىء هذا الكلام فى حق ملك الاسلام والله ياولدى مالنا على وجه الأرض صديق إلا الملك الظاهر فقال الملك عرنوس يا أبى انت كبرت ولا بقى لك عقل ثم انه شرمط الكتاب ورماه فى وجه المقدم سعد وكتب له رد الجواب فقال خذ رد الجواب وقل له يقعد فى أدبه لا يحسبنى انى ملك ملوك الروم يظن انى أذل تحت حكمه والا تحت ارادته ورسمه وكان مضمون الجواب الذى كتبه الملك عرنوس

علوتم بلا عز وجد ولا ولا والا ارتفاع فى مقام ولا ولا
وحزتم غرورا بالتكبر والعلا ولكنكم تجسترا رتب العلا
وأورثتموها بعد عزتها ذلا
فتبا لدهر أنتم وساوه فكنتم أراضيه وصرتم سماوه
ولولا قضى من لم يرد قضاؤه لاصفعت دهرا أنتموه ولاؤه
بنعل ـ كى صفعه بكم أولا

اما بعد فمن حضرة محمد سيف الدين عرنوس بن المقدم معروف المنسوب إلى الامام على بن أبى طالب إلى بين أيادى الملك الظاهر بيبرس اعلم ياظاهر أنى لست من ملوك النصارى حتى أذل لحكمك أو امتثل لأمرك حتى تقبل البرطيل على من رومان ملك رومة المدائن وتأمرنى ان أخلص أولاد دوفش ودومار مع أن هذا أمل بعيد عنك وعن رومان اقعد فى أدبك واعلم أنى أحق بخدمة الحرمين الشريفين منك فانى أنا سلطان وأبى سلطان وجدى سلطان قسما بمكون الأكوان الرحيم الرحمن خالق الانس والجان القديم الاحسان إذا لم تقعد فى أدبك وتقلع لباس التكبر عن بدنك والا عرفتك مقامك وأعجل انتقامك تبيع مثلى مؤمنا شريفا بكافر ولم تخش من الملك العزيز القادر وتأمرنى أن أطلق أولاد رومان وهم رهائن عندى فى زوجتى كنت أنت تأمره أن يرسل إلى زوجتى وأنا أرسل اليه بعد ذلك أولاده وتقبل الرشوة واسمك الملك العادل والله ما أنت إلا ظالم وما أنا مطلقا لأطلق أولاد هذا الكافر ولا بدلى من طلبه بالعساكر وإن أنت حاميت عنه فأنا كفء لك وله وأعلى ما فى خيلك اركبه وأحمض ما فى طعامك اشربه والسلام فأخذ المقدم سعد رد الجواب وسار من مدينة الرخام الى مصر فدخل على ملك الاسلام وأعطاه الكتاب فأمره أن يعطيه لمقرى الديوان فلما نظره المقرى قال يادولتلى إئذن لى أن أقدم واقرأه سرا بينى وبينك وإلا اقرأه جهرا وأكون تحت الامان قال الملك اقرأه حتى اسمعه وعليك الامان فقرأه كما هو مكتوب ولا فى الاعادة افادة إلا فى التوحيد والعبادة فضحك السلطان من كيد الغيظ فقال سعد ما بعد حرق الزرع جيرة وهذا كتابك مشروط يا ملك الزمان فقال السلطان ما علينا اتركوا هذا الحديث وأنا انتقم من عرنوس أو أساعده ثم تركوا هذا الكلام وأرسل السلطان فأحضر أبا بكر البطريق وأعطى له الكتاب وقال له تسافر الى مدينة الرخام وتعطى هذا الكتاب إلى المقدم معروف بن جمر ولكن لا يعلم بذلك عرنوس ولا أحد من أولاد ملوك البرتقال فقال أبو بكر على الراس والعين فسافر إلى الاسكندرية ونزل فى الغراب العظمى وسافر إلى مدينة الرخام وطلع فى عصر النهار فدخل على الملك عرنوس وسلم عليه فسأله من أين أقبل فقال من بلاد الروم وقاصد الاسكندرية فأحضر له الطعام وأكل معه وباسط وحكى له ما جرى وبان الملك الظاهر أخذ الرشوة من رومان على دقات القبطان هذا يقبل البرطيل على ولده الذى من صلبه فقال معروف كذبت يا بطريق فقال عرنوس انظر يا قبطان الاسلام كلام أبى وطمعه فى محبة الملك الظاهر وداموا على هذا الحال * هذا وقام الملك عرنوس إلى الحريم فاختلى البطريق بالمقدم معروف وقال له كتاب السلطان فقال له ولأى شىء كنت عمال تسخط

على الملك الظاهر مع ولدي عرنوس فقال له بهذا أمرني مولانا السلطان فمسك منه الكتاب وقرأه وإذا فيه بعد السلام اعلم يامقدم معروف ان الكلام الذي كتبه ابنك في الكتاب فيه قلة أدب وماهو قدري حتى أقوم عليه واقاتله وأركب عليه وأحاربه وقد أرسلت اليك هذا الكتاب مع قبطاني أبو بكر البطريق فتأتيني بعرنوس ان كنت باقي على محبتي حتى أطفي هذه الفتنة لأن الدولة يقولون لولاخوفه من عرنوس ماقعد عنه وهذا فيه أصغار مقام وهاأنا أعلمتك والسلام فقال المقدم معروف يارئيس أبو بكر هذا الوقت الغراب العظمى في أي محل هو قال على المينة فقال احضره وقام المقدم معروف إلى ولده فوجده نائماً فبنجه وحمله ونزل به الى الغراب العظمى وقال سافر يابطريق فسافر ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرج عليه مركب قرصان فحاربه وإذا بمركب ثانية وثالثة ورابعة فحاربهم البطريق يومين وفي اليوم الثالث فرغ منه الجلل والبارود فانه لم كان مستعد للحرب فدهمته المراكب واحتاطوا به من كل جانب وشكوا الكلاليب في الغليون فقاتل المقدم معروف ولم تكن له معرفة بقتال البحر فالتفت الملك عرنوس الى البحارة وقال حلوني أحسن موتي في قتال الكفار فحلوه فقام ويده على سيفه وقال الله أكبر يا كلاب الكفر انا عرنوس الدبابر فلما سمعوا الكفار كلامه أيقنوا بالحمام ورموا بأنفسهم في البحر البعض منهم غرق والبعض عام فنزل الملك عرنوس في مركب ويده على خناق صاحبها وقال هيا سر بي على مدينة الرخام ولك مني الأمان والذمام فقال له على الطاسطة ياسيدي وسافر بالغليون وطاب له الهوى باذن فالق الحب والنوى فما أصبح إلا وهو على مدينة الرخام فدخل إلى الديوان فقابلوه أولاد ملوك البرتقال وسألوه أين كان فأخبرهم بما فعل به أبوه المقدم معروف وعاتبهم كيف أنهم ما سألوا عنه فقالوا والله ياملك لم يكن عندنا علم بهذا بل ظننا انك سرت مع أبيك في جهة ولم تعلمنا وبعد ساعة أقبل المقدم معروف فنظر الى ولده فلم يجده فقال لأبي بكر البطريق ياقبطان الولد عاد إلى مدينة الرخام وأنا إذا رحت معك الى الملك الظاهر ما يكون كلامي معه وماعملي عنده ردني الى مدينة الرخام حتى أرى ما يدبره الملك العلام فلا صاحب أبقيت ولا عليل داويت فعاد به البطريق الى المينة فطلع معروف

وأما البطريق فأخذ الثلاث مراكب واحتوى على ما فيهم من الذخائر وكان اثنان من جزائر القلق والثالثة من القيطلان وأما التي عادت بعرنوس فكانت من جزيرة أرواد فنفذ بها صاحبها في أمان الملك عرنوس ولما طلع عرنوس على مدينة الرخام سافر ذلك القبطان [وأما] المقدم معروف لما دخل على ولده فأراد أن يعتذر اليه فقال له عرنوس ياأبي أنا لا يدي تمتد عليك ولا لي لسان يعلو عليك فما لي اقعد

فى حصن صهيول ولاتمكن لى ولا على حتى أنظر حالى مع الملك الظاهر اذا أنا قتلت على يديه وأفوض أمرى الى الله وقم أنت تحت أمانه وان أنا قهرته فحينئذ اما ان تساعدنى أو تساعده او تصلح بينى وبينه واما انا مابقيت آمن لك انك تقعد معى حتى أنك تقبضنى لعدوى والله ان اقمت عندى فلابد لى من قتل نفسى ولا أرضى ان الظاهر يتشفى فى ويقتلنى فقال المقدم معروف ياولدى الله يكفيك شر نفسك وتركه وخرج من عنده وطلع من مدينة الرخام ودموعه على خدوده سجام وقد سار الى جبل الرخام وقعد فى مغارة ودموعه جارية غزار فبينما هو قاعد واذا برجل درويش مقبل عليه من البر فقال له ياشيخ لاتخف فان الله خفى الالطاف ولله فى خلقه سر لايعلمه الا هو فقال معروف يادرويش والله أنك صادق ولكن ابن آدم ملوق فقال له والرب شفوق ثم ان الدرويش اطلع كتابا وقعد بجنب المقدم معروف يقرأه فقال المقدم معروف ياشيخ الدراويش اعمل لى استخارة فقال له الدرويش وأنت لاى شىء قاعد هنا قم بنا نروح لابنك أنا اخوك شيحة فقال له ياحاج شيحة الولد فجر على ولم يبق يقبلنى ولا يسمع لى كلاما وأنا والله ضاقت حيلتى منه فقال شيحة قم معى وأنا أصالحك معه ثم انه أخذه وسار به الى مدينة الرخام فدخلا على عرنوس فقام له على الاقدام ونظر الى أبيه فقال له أنت جئت مرادك اقتل نفسى والا تأخذنى للملك الظاهر فقال شيحة أخبرنى عن هذا الامر فحكى الملك عرنوس لشيحة على ماجرى وما وقع فقال شيحة والادرومان ماهم عندك فقال له نعم عندى لكن السلطان أمرنى باطلاقهم لابيهم وأعاد له الذى جرى وبعد ذلك كتفنى وقصده ان يسلمنى الى الملك الظاهر يفعل بى مايشاء قال شيحة الملك الظاهر يعرض لرومان لكونه تحت أمره ويورد له الخارج سنوى ولو كان عنده عقل كانت الشهرة لك تساوى جميع ملوك الروم قال معروف ياحاج شيحة والله ان الملك الظاهر عاقل وماهو هدولنا بدا فقال شيحة يامقدم معروف انا كم بلاد ملكتها له وكم رجالى تقاتل معه وتحت يده ولكن لاحمد ولاجميل لا دام المقدم جمال يحدث مع عرنوس بمثل هذا الكلام الفشار الى آخر النهار فطلب جمال الدين الانصراف وقام على قدميه فقام الملك عرنوس وأبوه معروف لقيا ه الى باب الديوان نحلف عليه ... وفى عودتهما قال المقدم جمال الدين اسمع عرنوس والاسم الاعظم اذا ما كنت تركب من هذه الليلة وتسافر مصر طائعا للملك الظاهر وتعتذر اليه لانى ... الثلاثة ... احشو جلدك تبنا ... على باب مدينة الرخام ... ماسمع ... صاح الملك عرنوس ... ان ... جمال الدين ... خرج ... اراد ان يقبض عليه ... ... اخبرا و ...

وقع له على أثر فعاد عرنوس وهو ينفخ كأنه ثعبان وبهدوء من افؤاده الآن الى ان فات من الليل ساعتين فقام معروف فصلى العشاء وقعد يقرأ في أوراده فقال الملك عرنوس يا أبى سمعت ما قال شيحة فقال معروف والله يا ولدى ان شيحة يقول ويطول هذا البين الذى حلفه ضيق فقال عرنوس بقيت أروح الى الملك الظاهر أنا فقال معروف ان رحت على خاطرك وان قعدت على خاطرك واعلم ان الشتاء قد أقبل والانسان يريد جلدا على جلده وشيحة يريد ان يسلخ الرجال ويخليهم غير جلود فقال عرنوس أنا أقوم راكب وأنت يا أبى تسير معى فقال معروف طيب يا ولدى أروح معك فركب الاثنان تحت الليل وما طلع النهار الا وقد أبعدا عن مدينة الرخام وقطعا البرارى والآكام ليالى وأيام حتى وصلا الى مصر اسمع ما جرى من أمر البطريق فانه أخذ الثلاث مراكب وعاد الى الاسكندرية فطلع من الغليون وسافر الى مصر ودخل على السلطان واعلمه بما جرى فقال السلطان ىبقى كانوا حضرين الك المراكب يحاربوك اظن ان هذا منك موالسة فقال القبطان لاوحق من أولادك رقاب العباد وحاشا يا مولانا ان خادمك ينافق فى خدمتك واذا بالمقدم جمال الدين مقبل فلقاه السلطان على حسب العادة ولما جلس قال يا ملك الاسلام البطريق ماقال الا الصحيح ولا فعل الا كل المليح وأما المقدم عرنوس فهو قادم عليك فى هذا النهار وودعه ونزل فقعد السلطان ينتظر عرنوسا الى العصر فأقبل المقدم معروف وهو قابض على خناق ولده وقال تفضل يا ملك الاسلام هذا عرنوس ولدى الذى شقك بالكلام فهاهو بين يديك اقل من العبيد افعل به كل ما تريد فقام السلطان واخذه من يد أبيه وفك كتاف يديه وأمره بالجلوس فقبل يد السلطان وجلس فى محله وباسطه فى الكلام حتى زال من قلب الملك عرنوس الغيظ فقال له السلطان يا ملك عرنوس انا لى عرض منك أ لك تترك الغيظ وتطلق أولاد رومان والذى مضى لا يعود وزوجتك لا تطلبها الا منى فقال عرنوس يا عم أنا ما أنا خايف من رومان ان يحاربنى ولا أنا منى يحرك حربه لا اطلق أولاده حتى تأتى زوجتى وان لم يرسلها ركبت على رومة المدائن بفرسان عنده هم المارت منهم والحياة عندم فقال السلطان لاجل خاطرى فقال عرنوس يا عم [illegible] لا يرسل الى زوجتى وأنا ارسل له أولاده فقال خايف منك أن تقتل أولاده اذا أرسل زوجتك [illegible] الكافر [illegible] قلب جسور فقال عرنوس [illegible] كذلك اخاف [illegible] رسل [illegible] [illegible] تكون انها أسلمت كل هذا يجرى [illegible] البطريق [illegible] من [illegible] عرنوس للسلطان لان العداوة فى قلبه قديما من أيام رومة [illegible] [illegible] يا ملك عرنوس انا الملك يتعهف

بخاطرك وأنت تراجعه يعنى البابا رومان ما كان يقدر على حربك ويأخذ أولاده منك لكن خايف من مسلطان فانفتحت اذن مخبتون لذلك الكلام وظن ان الملك عرنوس شيئا قليلا عند السلطان لما قال له ايدمر ما قال وعرنوس ما رد عليه سؤ الاقتام مخبتون على حيله ووقف قدام الملك عرنوس وقال له يا دياير البيب رومان ماهو قليل وحق كانا مينا انه يقدر يخلص أولاده منك بالحرب والصدام ويكبس عليك فى مدينة الرخام ويضرب عنقك بالحسام فما تم مخبتون كلامه حتى انحمق عرنوس عليه فقام على قدميه ونفر عرق الغضب بين عينيه فجذب قاسم الحديد بين يديه وضرب مخبتون على وريديه فأطار رأسه من بين كتفيه وقال يا كلب الروم أنا لو كنت أحسب حساب رومان لما كنت أعيش فى هذا الزمان وبالقضاء والقدر وقعت رأس مخبتون فى صدر أيدمر البهلوان وصار الدم على صدره ووجهه فقال له أى شىء أقول لك يا عرنوس الكلام معك خسارة فما أنت إلا خلفة نصارة تربية خمارة فقال عرنوس أنا والله ما ربيت فى خمارة والذى ربيت عندهم ملوك وأما أنت فعديم الاصل مشترى درهم ولم تعلم أباك ولا الذى رباك بل انك أكلت فضلة قطور الياسرجى ودال عليك وقال حراج فاغتاظ ايدمر من ذلك الكلام فتقدم إلى عرنوس وأراد أن يمسك خناقه فمديده عرنوس وقبض على اطواقه فخاف الملك عليهما فقام وفى يده قضيب خيزران فضرب أيدمر البهلوان وايدمر مصارع فزاغ عن الضربة فوقعت على عرنوس فرفع السلطان يده وأراد أن يضرب أيدمر مثل ما ضرب عرنوسا فزاغ ثانيا ووقعت الضربة الثانية على عرنوس فظن عرنوس أن ذلك عمدا فقال له يا ملك الاسلام أنت الذى اسمك عادل كان يجب عليك أن تنصر اميرك ولكن يا ظاهر ما أبالى أنا ابن النصارة وتربية الخمارة حكم ما قال لى أيدمر البهلوان وأنت تضربنى فى الديوان ولكن يا ملك سوف ترى ما أضربك بالسيف اليمان إذا ضمتنى أنا وأنت حومة الميدان مثل ما ضربتنى يا ظاهر فى ديوانك بين وزرائك وأمرائك وفرسانك يا قليل المروءة والاحسان ونزل الملك عرنوس من قلب الديوان وهو على ما فعل بالملك الظاهر غضبان فعند ذلك التفت الملك الظاهر إلى أيدمر البهلوان وقال له يا قليل الادب انت أى شىء الجاك أن تأخذ من عرنوس باهل ترى من أمثاله انت حتى انك تجادله وتحاججه امسكوا أيدمر اقطع رأسه يا مقدم ابراهيم فقال معروف يا دولتلى يعنى ما تحمق إلا على أيدمر كنت تحمق على نفسك لما ضربت عرنوس ولدى قدامى ولكن هذه فتنة فبالله عليك يا ملك الاسلام لا تجعل اتلاف هذا البيلربكى بسبب ولدى بل اطلقه لاجل خاطرى وأما أنا ما بقى لى إقامة لا فى مدينة الرخام ولا عندك لا فى القلاع والحصون ولا بقى لى مقام

فى محل مادام ولدى هاجرنى ومعتزل عنى اشهدوا على يابنى اسماعيل والاسم الاعظم كل من قال لى ان ولدى عاصى وأتى بركبة كفار ليحارب الاسلام لاقطع رأسه بالحسام وها أنا قد أعلمتكم والسلام وأما أنت يا مقدم إبراهيم أنت وسعد تكونا معى فان ولدى قد فارقنى فأنتم تسليانى على فراقه فقال إبراهيم وسعد على الراس والعين فأخذهما وسار وطلبوا البرارى والقفار وداموا سائرين الى الشام فدخل معروف الى جامع الاموى والاثنان المقادم معه فاقاموا فيه ﴿ يقع لهم كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه . وأما الملك عرنوس فانه نزل من قدام الملك الظاهر غضبان فركب على جواده والغيظ مالك جميع أعضائه فلما خرج من القلعة قصد الى جهة الخلا من باب الوزير فالتقى برجل وقال له السلام عليك ياملك عرنوس السلام على أهل السلام فقال آه يادولتى انظر الزمان ومايفعل الذى أصله ملوك يقاوم الملوك والدهر يا ولدى هكذا فقال عرنوس ياشيخ أنا كنت عند النصارى محفوظ المقام ولارأيت المصيبة الا فى بلاد الاسلام فقال له ولاى شىء تهان أو تضام اعلم ان الذى قدامك عالم ملة الروم جوان وكل الذى جرى لك أنا واقف انظر اليك ولكن وحياة راسك ان طاوعتنى لاجعل ملوك الروم كلهم تحت ركابك وتورى لبيبرس وقرفه فى الديوان ويضربك بالقضيب الخيزران فقال الملك عرنوس ياجوان تقيم العصيان فى أى مكان فقال له عند البب رومان فقال عرنوس وأولاده عندى فقال جوان هاتهم معك وأنا أصالحك معه وأول مايركب معك رومان وأخلى ملوك الروم على جوان فعنده سار الملك عرنوس الى مدينة الرخام وأخذ أولاد رومان وأركبهم على الخيول العربية وأوصى وزيره الملك محمد الطن وردواش على بلده وحريم الملك عرنوس فقال له والله ياملك ما يبلغ عدو من بلادك وفى جارحة تحقق فشكره وأخذ دوفش ودومار أولاد البب رومان وطلع بهما الى جوان وساروا الى رومة المدائن فسبق أولاد رومان وأعلما أباهما بقدوم الملك عرنوس فخرج الى لقائه ورحب به وحياه فقال جوان للبب رومان اعلم أن قصدى ان ارد الديار الى ملة الكرستيان حتى تقيموا به دائرة النصارى ففرح رومان بتلك العباره وبعد ذلك دخل الملك عرنوس عند زوجته الملكة شموس بنت البب رومان واقام عندها واما جوان فانه قال لعرنوس انا اكتب وانت تختم فقال عرنوس كذلك فكتب اربعا وخمسين كتابا اربعين منهم الى اربعين ملكا اولهم الفرنجيل ملك العريش وآخرهم اصطلود الغافى ملك جزائر الغاف وسبعة كتب للسبع بنات اولهم فلوين ملك البرتقال وآخرهم [illegible] الملك السكسك

واراضى المرجان وسبعة كتب السبع قرانات اولهم ميخائيل ملك القسطنطينية
وآخرهم روم الاصم ملك اراضى الرها والاصبهان وقد اقتصرنا فى هذا الديوان
لان العراضى الذى تجتمع على رومة المدائن خلق لا تحصى بعدد الرمل والحصا فان
الملعون جوان يقول فى نسخة الكتاب الذى كتبها خطابا من عالم ملة الروم والامر
المحتوم البركة جوان إلى ملوك الروم فلان فلان إعلموا أن الديابرو عرنوس الذى
هو ابن البب مغلوبين ملك ملوك البرتقال كان أسلم واقام مع المسلمين والآن أراد
العود إلى ملة الكرستيان ويريد الجهاد فى طاعة المسيح واشهار الدين الصحيح ووعده
المسيح والمارحنا المتمدان النصر على يديه وقد كتب لكم هذا الكتاب فاجتهدوا
فى هذا العام وجاهدوا اعلال هذا الدهر والشهر فان المارى جملص وعدكم بالنصر
ومن أراد أن لا يكون من أهل السعير فليبادر للنفير ومن امتنع من هذه الغزوة الحنية
فليكن مبترى من دين النصرانية هكذا حكم عالم الملة جوان كما أمره البترك برسوم
العريان هنالك فزعوا أهل الكفر والضلال وبادروا إلى الحرب والقتال وكل
منهم طالب رومة المدائن حتى امتلاء السهل والجبال بخلائق لا تعد سبحان مفنى
العالم وبقى عرضى على رومة المداين فرسخا فى فرسخ فطالع الملك عرنوس ونظر
إلى ذلك الجمع الغزير فقال هكذا يكون الحرب والقتال حتى يرى الملك الظاهر
مقامه ويعلم أن هذه الايام آخر ايامه ثم ركب على ظهر جواده ذات النسور
وشق مع الملعون جوان على تلك الملوك وسلم عليهم وحياهم ورحب بهم
وامرهم بأخذ الاهبة للرحيل بعد ثلاثة أيام حتى انه يحارب ملك الاسلام
وفى اليوم الرابع ضرب مدفع الختم وقد تكاملت الناس وضرب مدفع الرحيل
من على رومة المدائن بعد ما ارسل الملكة شمس إلى مدينة الرخام فركب الملك
عرنوس وركبت معه القرانات السبعة وبعد ذلك ركبت لبيات السبعة وركبت
الاربعين وانجرت الجيوش وعسكر بعد عسكر وضرب طبلها ونفر وتزلزلت الارض
والجبال ونفرت وحوش التلال وملات البرارى بالامم بعدما كانت خوال وانفردت
على رءوس الملوك الشناير بينا وشمالا وقرت البرقات ودقت الطنبيطات وصهلت
الجنائب العربيات ورقصت خيول الافرنجيات ودام المسير ولله المشيئة والتدبير
[illegible] بعض الجرائد [illegible] اخبارهم [illegible] حتى قربوا على حلب وانكشفت الغبائر
[illegible] الى ذلك [illegible] الابواب [illegible] الاسوار واقام
[illegible] الاخبار [illegible] وانفردوا [illegible] هؤلاء

السبع بيات والقرانات السبعة وأربعون وملك من ملوك الافرنج والروم والمقدم
على ذلك الجمع الملك محمد سيف الدين عرنوس فكتب كتابا إلى مصر يعلم الملك الظاهر
فسافر النجاب إلى مصر ودخل على أمير المؤمنين فلما رآه سلمه الكتاب فطلب أيدمر
البهلوان وكان لما تشفع فيه المقدم معروف من القتل فامر السلطان بسجنه إلى أن كان
ذلك اليوم فاحضره وقال له يا خائن يا فضولى هذه الفتنة أصلها منك والسبب فيها انت
والله ماينزل له الاول الا أنت هيا جهز نفسك للسفر وكتب السلطان الكتب إلى
بنى اسماعيل أصحاب القلاع ان يقابلوا السلطان على الشام وجهز الملك وبرز بعساكره
فى العادلية وأقام ثلاثة أيام وضرب مدفع الختم وبعده مدفع التحميل وركبت العساكر
وسافر بالامارة والفداوية الذين مقيمون بمصر بعدما أجلس السعيد على كرسى المملكة
وأوصاه بالعدل وسافر بقطع المراحل اياما وليالى تمام حتى وصل إلى أرض الشام
فاجتمعت عليه الفداوية مثل المقدم سليمان الجاسوس ومقدمو الرجال والفلك وسعد
الدين الرصافى وداود شاهين المسابطة وامثالهم من أهل القلاع والحصون واعجب
ماوقع أن المقدم معروف بن جمر مقيم بجامع الاموى كما ذكرنا فاتفق ان تابعا من
أتباع بنى إسماعيل دخل يصلى الظهر فى جامع الاموى فنظره المقدم إبراهيم وهو
يصلى ولابس سلاحه فقال له أماهو حرام كيف تصلى يا شيخ وأنت حامل السلاح
فقال له لاابالى يا خوند لانى مكتوب فى الجهاد فقال ابراهيم أى الجهاد الذى أنت
مكتوب فيه فقال ان الملك عرنوسا جمع له جوان كفارا بكثرة وهم احاطوا بحلب
والملك الظاهر قام من الشام فى ذلك النهار ثم ان التابع سار فى حال سبيله فقال إبراهيم
يا سعد أدخل لخالى معروف واعلمه بان الملك عرنوسا راكب على بلاد الاسلام فقال
سعد ادخل أنت قل له فقال إبراهيم اخاف أن يضربنى فقال سعد وأنت معك راس
وأنا معى خياره ماهى راس راجل فقال إبراهيم أنظر لنا واحدا يعلمه ويموت حتى
نخلص من هذه الكريهة فقال سعد أنا أدور لك على واحد فخرج سعد من الجامع فلقى
يهوديا سارحا يدسوق الفضة والذهب القديم فقال سعد يامعلم هنا رجل عنده جانب
كسر فضة لكن بكره يلقى من يشتريها منه فقال اليهودى ياسيدى دلنى عليه وأنا أعطيك
شرب قهوتك فقال سعد [illegible] ذات الجامع فسار معه اليهودى الى باب الجامع فاخذ
يده المقدم سعد وأدخله فقال ابراهيم هذا المطلوب ياسعد فقال له ابراهيم يامعلم أدخل
إلى هذا المكان يقبل [illegible] ابنك أركب ركبة [illegible] وطلب حرب السلطان
فدخل اليهودى وقال كما ذكره المقدم ابراهيم فسمع المقدم معروف كلامه فخرج من

الخلوة التى هو مقيم بها وقبض على خناق اليهودى وجره إلى باب الجامع فضربه بذى الحيات فارمى رأسه والتفت إلى المقدم ابراهيم وقال له سمعت يا ابن حسن ما سمعت أنا من هذا اليهودى فقال ابراهيم وأى شىء قاله اليهودى فقال معروف ولدى عرنوس عصى على السلطان وركب ركبه كفار على بلاد الاسلام فقال ابراهيم إذا كان الأمر كذلك فالواجب الجهاد يا خوند قال معروف صدقت ثم انه طلع من الجامع وهو لا يفتر عن ذكر الله تعالى فركب على ظهر حجرته وصار إلى حصن صهيون وأمر عماد الدين علقم بجمع الرجال فاجتمع أطال صهيون كانهم العقبان وطلع إلى الملكة مريم وقال لها يا مريم ولدك عصى على الاسلام وركب ركبة ومراده يحارب الظاهر وهذا شىء ما فعله قبله أحد اللهم لا كفر بعد إيمان ولا ضلال بعد هدى فقالت الملكة مريم يا خوند سألتك بالله العظيم إذا كنت مسافرا إلى الجهاد فخذنى معك لعل الولد إذا علم انى معك يحن قلبه إلى الوالدة ويكون من أهل الهدى

فقال معروف انا كذلك أعرف هذا الرأى تحضرى يا مريم حتى أسافر أنا وأنت وهاتى جاريتك تسافر معنا وتأنس بعضنا إذ ما أتتنا المنية بلادنا سعينا وروحنا للمنية بلادها ثم انه أمر باحضار تخت من الخشب وأركبه على بغلين فركبت فيه الملكة مريم وجاريتها وهى التى كانت تؤنسها مدة إقامتها فى حصن صهيون على بعد زوجها فلما كان الملك فى ذلك النهار سارت معها وما داموا سائرين إلى حلب وكان مسير المقدم معروف من صهيون بموكب سلطانى فتبعته الرجال الذى كانهم الأبطال الحيال وانفردت قدام حجرته شطفة من القصب المنسوج على الحرير المحشى بالذهب مكتوب عليها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وكانت هذه الشطفة مجعولة له تفرد قدامه فى أيام سلطنته ففردها فى هذا الوقت وفرد الرجال بجانبها شطفة المقدم جمال الدين شيحة [وأما] الملكة مريم وجاريتها فان الخدام سارت بهما مع الحملة قدام حتى وصلوا إلى حلب كما ذكرنا وانتصب الخيام فنزل المقدم معروف فى صيوانه المعد له وبعد ذلك قام إلى عند الملك الظاهر فسلم عليه فقام له السلطان وأخذ بخاطره وقال يا أخى لا تأخذ على خاطرك فقال معروف هذا يوم المنى الذى تنتظرونه طول أعمارنا فتعجب الملك من كلامه وجلس المقدم معروف بجانب السلطان فالتفت السلطان إلى الأمير أيدمر البهلوان وقال له أنت السبب فى ذلك يا خائن فقال معروف يا ملك الدولة أنت تريد تجعل خصمك هذا الرجل هذه إرادة الله تعالى وإنما يا ملك اكتب له كتابا مثل ما تكاتب الملوك ويفعل الله ما يشاء فكتب الملك كتابا وسلمه إلى

المقدم إبراهيم وقال له اعط هذا الكتاب إلى عرنوس وهات لى منه رد الجواب فأخذ الكتاب وسار إلى عرضى الكفار ودمس به الحجرة حتى صار قدام صيوان الملك عرنوس ونزل عن حجرته ووضع يده على شاكريته وقال قاصدورسرل بالزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول الامام على بن أبى طالب مظهر العجايب كرم الله وجهه ورضى عنه بالقوة امام نكس الاصنام وحمى البيت الحرام لاتبع من هزم ولاهتك حرم ضرب بسيفه فى الأرض كبرت ملائكة السماء فسمع النداء لاسيف إلا ذا الفقار القسطلى ولا أمير النحل إلا الامام على فقال الملك عرنوس هات الكتاب وخذ رد الجواب فقال له قوم على حيلك وخذ كتاب السلطان منى بأدب واعطنى رد الجواب بأدب واعلم أن السلطان كتبه فى ساعة غضب فتقوم تلاقى كلامه يعكر مزاجك فتشرمط الكتاب والله ثم والله ماتمرع الكتاب إلا وأمرع رقبتك بالشاكرية فقاله عرنوس واجب عليك لأن الخادم يقول أكثر من ذلك الكتاب ماهو خصم اتشطار عليه ثم قام عرنوس وأخذ الكتاب وفرده وقراه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الأعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم إلى بين أيادى الملك عرنوس أغراك الشيطان وجمعت هذه الجرع ومرادك بذلك أن تفتخر بعصبة الكفار مع أن كبارهم وصغارهم ملوك وبيات وقرانات أنا قهرتهم ورتبت عليهم الخراج والعداد فى كل عام وهاانت جمعتهم وانا وأبطال الاسلام بقوة الله نفرقهم وسوف ترى ما يحل بهم الجميع ويصير كل منهم على التراب قتيلا وصريع فان أردت السلامة من الندم والوجود العدم فاقلع لباس الغرور وتأتى إلى عندى وتخزى هذا الشيطان وترد هذه الناس إلى إلى بلادها وإن خالفوا فأنا أردهم على أعقابهم ولا يغرك كثرة عدادهم فان السباع لاتبالى إذا كثرت قدامهم الغنم وماهم إلا طعام لسيوف أبطال الاسلام فان قبلت هذا الكلام كان هو الحظ الأوفر وإن خالفت سوف ترى من يكسب ومن يخسر والسيف أصدق انباء من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والعمد على الختم حجة فيه والسلام على نبى ظللت على راسه الغمام

[فلما] قرأ عرنوس الكتاب سلمه إلى المقدم إبراهيم وكتب له رد الجواب فقال إبراهيم هات حق الطريق فأمرله بخمسة آلاف دينار فأخذها الفداوى بن حسن وخرج من قدامه كما يخرج الأسد من الأجمة وعاد إلى السلطان وقال يا ملكنا هذا كتابك سالم وهذا رد جوابك سالم فاخذ رد الجواب وقراه وإذا فيه أيها الملك الطاغى

الذي يدعي المقدرة وتقول انك أسرت جميع ملوك الروم وقهرتهم وتقدر أن تفرق جمعهم اعلم انك انت وقفت في وسط ديوانك بين عسكرك وجندك وأعوانك ولا اختشيت على مقامك وهذا ماهو افتخار فان كنت في دعواك صادقا فلا تتكل في الحرب على بني إسماعيل لانهم كما تعلم رجالنا وأهلونا فانزل أنت واضربني بالحسام حتى يرتفع قدرك والمقام كما ضربتني بالخيزرانة قدام الخاص والعام وأنا وانت نكون اخصام وكل من قهر منا صاحبه كان له القدر والهيبة والاحتشام واحقن دماء عسكرك لاتتكل عليهم في الحرب والصدام وأما أنا فلا اتكل على مدد الروم ولا البيات والقرانات ولا من يتبعهم من المواكب ولا القادات بل أنزل أنا اليك واثبت قدامك وأوريك يوم الحرب مقامك وتعرف هل كنت أنا ابن ملوك اصحاب قوة وجسارة أو ابن نصارى وتربية خمارة كما قال أميرك أيدمر البهلوان في وسط الديوان والعمدة على الختم حجة فيه وشكرا يا رب المسيح

[فلما] قرأ الملك الكتاب مزقه ورماه وقال هذا ولد جاهل ولكن سوف يرى

ما يقبق الكوز إلا من تأمله يشكو إلى الماء ماقاسى من النار

لو كل كلب عوى القمته حجرا لاصبح الصخر مثقالا بدينار

ثم انه أمر بدق الطبول حربي فجاوبته طبول ملوك الروم حتى دوى البر وارتجت التخوم ولما كان عند الصباح اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف فعنده تمحضت عساكر الكفار عن الف عافر ماشين على الاقدام إجلالا لقدر الذي خارج للحرب والصدام فتأمل المقدم إبراهيم فقال هذا الملك عرنوس يامالك الاسلام وإذا به قفز إلى الميدان ولعب كما تلعب الفرسان ونادى ميدان يا مسلمين ميدان ياسرجلين ميدان يا ميدانة مافي الميدان إلا الديابر وعرنوس ابن النصارى وتربية الخمارة فقال الملك اخرج يا أيدمر فقال حاضر ياسيدي فبرز إلى الميدان حتى بقي قدام الملك عرنوس وقال له جئتك فقال عرنوس ارجع أنا ملك لكل هذه الطوايف مابين روم وأرمل وأفرنك ونيمسة وكل من حضر من أجناس عباد المسيح وقد نزلت إلى الميدان طالبا هذا الملك الذي قائد هذه الجيوش الذين قدامي مجتمعة فان هو قهرني فجميع من كان خلفي مالهم من بعدي ثبات وإن أنا قهرته يبقى كل من كان منكم له حمية فليخرج يأخذني بعده إن قدر على ذلك لا مانع وأما انت [illegible] سلطان ولا وزير ولا قائد جيوش [illegible] له أيدمر [illegible] الملك عرنوس [illegible] الملك [illegible] الاسلام [illegible] مني [illegible] حملات [illegible] أمرني ان اخرج اليك حتى [illegible] اذ شفيت غليلي

قلبك متى تعود إلى طاعته وينصلح حالك معه فقال عرنوس ارجع كما جئت وقل له هو ملك وأنت ملك فان كان هو اتكل على أحد من جيوشه فانت الآخر انزل من تشاء. فقال أيدمر بخاطرك ياسيدى وقد عاد من قدام الملك وهو يحسس على رقبته ولم يأمن على نفسه حتى بقى قدام السلطان فقال له الملك أى شىء الخبر فحكى له على ماقاله الملك عرنوس فقال السلطان من دعى فليجب هات ياعثمان الحصان فقدم عثمان الجواد القرطاسى فركب عليه وضربت المدافع لركوب السلطان ودقت النوب وخرج الملك إلى حومة الميدان وقال السلام عليكم ياملك عرنوس فقال عرنوس بان جورنه فقال له هذه كلمة يتبرأ منها كل مؤمن وحاشا ياعرنوس أن تكون أنت رجعت اليها فقال له الملك عرنوس ان كنت جئت توعظنى فانا عارف الوعظ وان كنت جئت تحارب فدونك والقتال فقال له السلطان صدقت جئتك قال وأنا تلقيتك فانطبقا الاثنان على بعضهما ودوت أصواتهما كدوى الرعد وخرجا مع بعضهما من الهزل إلى الجد واوسع المجال طولا وعرضا وتمايلا واعتدلا على السروج فتعلمت الفرسان منهما كيف الدخول للحرب وكيف الخروج وتقابضا بالكفوف والزنود وتضاربا بكل حسام محدود وكان لهما يوم مشهود وتطاعنا بكل رمح كعوب املود وهمهما على بعضهما همهمة الاسود وكل منهما أيقن أنه مفقود وانعقد على رؤسهما الغبار حتى بقى كأنه السرادق الممدود وحفرت ارجل خيلهما فى الأرض مقابر ولحود وتمكنت من قلوبهما الاضغان والحقود وقسا قلب كل منهما على الآخر كأنه الحجر الجلمود ونعوذ بالله إذا تمكنت الاحقاد من القلب والكبد فهلا فهلا يشيب الأطفال فى المهود لانهما انطبقا انطباق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود وما داما فى ضرب الحسام البتار وطعن بالرمح الخطار حتى ولى النهار وأدركهما الليل بسواد الاعتكار فقال الملك ياعرنوس أتريد ان نبيتا تحت الليل على ظهور الخيل او تروح إلى عرضك وتأتينى عند الصباح حتى كلا منا ينال من خصمه براح فقال الملك عرنوس يادولتلى ان اردت ان تبايتنى اباينك وان اردت تعود فانا من بعدك فقال السلطان ياعرنوس اما شجاعتك فانا اقر لك بها ولكن ما أنت من اهل البغى فابقى عليك لانك مسلم روح وتعالى فى الصبح وان تأخرت اقول انك خفت منى

فقال عرنوس وان تأخرت [illegible] نزل خاف منى ثم [illegible] إلى الخيام [illegible] الملك الظاهر فلقاه معروف وهو بقاف [illegible] راضيهم [illegible] نزل فى صيوانه وطلب الابريق وا [illegible] وطلب الطعام فاكل [illegible] اجرى له فشال [illegible] صلى صلاة [illegible] معروف [illegible] يادولتلى

أتأذن لى فى غداة غد ان انزل إلى الميدان فقال السلطان لا وحق مكون الأكوان لم اتأخر عن الميدان ولا ينظرنى عرنوس ولدك بعين النقصان وهو لو كان كافر ولم يكن من أهل الايمان لكنت اكسيه من دمه حلة فانا أرجوان لا اضيع ركنا من أركان الاسلام لاسيا مثل هذا الذى تمكن منه الشيطان وكل هذا بتقدير الملك الديان وبات الملك على هذا الحال [وأما] الملك عرنوس كان يظن ان الملك الظاهر شيئا قليلا وأنه إذا حاربه يأخذه أسيرا ويتركه على الأرض قتيلا فلما شهد ذلك اليوم حربه علم ان عياره ثقيل وأنه منى نفسه بالاباطيل ولكن اخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ولما عاد من الميدان تلقوه السبع قرانات والسبع بيات فانهم ما كانوا يظنوا انه يعود سالما من قدام السلطان فلما عاد سالما أيقنوا انهم يأخذون به بلاد الاسلام ويملكون حلب وبعدها يأخذون الشام وأما جوان فانه سأل الملك عرنوسا وقال له أى شىء رأيت حالك ياسيدى الدابر مع رين المسلمين فقال ياجوان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وفى غداة غد يفعل الله مايريد فقال له جوان تطاوعنى يادبر وتسجد للصليب فانه ينصرك فقال له اخرص ياجوان وإن عدت تبدأنى بهذه الكلمة أو بمثلها قطعت راسك بقاسم الحديد وبات إلى الصباح هذا ماجرى [وأما] المقدم معروف فانه بقى قلبه مشغول على ولده خوفا أن يكون أغراه الملعون جوان ويكون ارتد والعياذ بالله عن الاسلام فقال المقدم إبرهيم يا ابن حسن انظر لى فى رؤية ولدى هل حصل فى قلبه اختلال عن دين الاسلام فقال ابراهيم ياخوند وحق من أرسى بقدرته شوامخ الجبال ويعلم عددها ووزنها وما فيها رمال وحبة وذرة ومثقال وهو الله لا إله إلا هو الكبير المتعال مقدر الأرزاق والآجال ان ولدك الملك عرنوسا برىء من الكفر والشرك والضلال ولا ضل عن دين الاسلام ولامال وإنما ياخوند نفسه حامية وورطه الملعون جوان فى عز حماقته وتورط حتى اجتمعت حوله هذه الجموع ومابقى يعرف باى شىء يكون المرجوع فقال المقدم معروف اشهدوا يا بنى إسماعيل ويامن حضر فى هذا المحضر انى أوهبت إلى المقدم ابراهيم شاكريتى هذه ذى الحيات وهو الذى يرثهامى بعد الممات فقال ابراهيم ياخوند الله لا يحرمنى طلعتك فانا عندى مشاهدتك ودوام عيشى أحسن لى من كل الدنيا ثم انهم باتوا على ماهم عليه

[ولما] كان عند الصباح برز الملك الظاهر إلى الميدان وتقاتل مع الملك عرنوس وكان بينهما يوم عبوس هفت منهما فيه النفوس وتضاربا بكل سيف وكل رمح ودبوس وداما على ذلك الحال إلى أن ولى النهار واستحاله وأقبل الليل بالانسدال وثانى يوم وثالث

يوم كذلك ورابع وخامس وداما على هذه الاحوال مدة عشرين يوما بالتمام والكمال وليلة واحد وعشرين فرغت أبواب الحرب والقتال فقال السلطان يا عرنوس أنا أقول لك على الصحيح أن هذا اليوم الذى كنا فيه ومضى كل باب كان للحرب انقضى يا هل ترى فى غداة غد اذا أتينا الى الميدان نعيد الحرب والطعان الذى كنا فيه فقال الملك عرنوس أما إعادة الذى فات فهذا قط لايكون فان الماضى لايعود وأما أنا فأعرف بابين وهما فى أبواب القتال مذكورين فقال السلطان وماهما البابين الذى تعرفهما اذكرهما لى بابا بابا فقال له اضرب الانجرشيات وآخذهما فى صفحات الركاب فقال الملك الظاهر ان هذين البابين أنا اعرفهما كذلك والذى علمهما لى وزيرى شاهين فقال عرنوس وأنا تعلمتهما من البب مغلوبين فقال السلطان يبقى فى غداة غد إذا أراد الله لا يكون بيننا حربا إلا بهذين البابين وعاد السلطان إلى صيوانه فالتقاه أكابر دولته وأعوانه وعاد الملك عرنوس فالتقاه ملوك الروم أما السلطان فانه أمر باحضار خمس انجرشيات وركبها بيده وسنها ومسحها وأركنها لوقت حاجته اليها أما عرنوس فانه كذلك أحضر خمس انجرشيات وركبها بيده وسنها ومسحها وقد تركها وراح الى محل نومه فنظر الملعون جوان إلى ما فعل الملك عرنوس ففهم المقصود فالتفت إلى البرتقش وقال له ياسيف أنا فى عرضك تسرق هذه الانجرشيات التى مسحها الدبابر وعرنوس فقال له البرتقش إذا أنا سرقتهما أى شيء تعطينى فقال جوان يبقى لك على جوان ليلة فى بحيرة يفرة ويقدم لك أى دامرية أردت من بنات الملوك فقام البرتقش ومشى إلى صيوان الملك عرنوس واختلط بالخدم وسرق الخمسة فردات الانجرش وأتى بها إلى جوان فوجد قدامه طشت فيه ماء أصفر وهو بول الحمير الاتانى وقد ملان فحم والع فاخذها منه وقلع أسنانها ووضعها فى النار حتى حماها وطفاها فى ذلك الطشت سبع مرات ثم انه ركبها كما كانت ومسحها وقال يابرتقش خذ ردها الى مكانها فقال البرتقش اى شىء عملت فيها فقال له سميتها فقال البرتقش وأى شىء قصدك ذلك فقال جوان يابرتقش ما بقى شىء من أبواب الحرب غير هذين البابين وربما يصطلحوا بعدها ولا يندرب جوار الاسود الوجه وهذين البابين لابد مايصاب منهما أحد فاذا مات الدبابر وعرنوس ترتاح من صداعه وان مات رين المسلمين كان الحظ الاوفر على أى حال يموت واحد والسلام فقال البرتقش حقيقة يا جوان انك بذرة نجسة خلقك ربنا بلوة للنصارى والمسلمين فقال جوان فى داهية وأخذ البرتقش الانجرشيات وعاد بها إلى مكانها . ولما كان عند الصباح ركب السلطان ونزل الملك عرنوس وتقابلا كما كانا بالامس وتقاتلا ساعة زمانية فعندها وضع السلطان

الانجرشيات فى كبد القوس وقال احترز يا ملك عرنوس وأطلق الانجرشية من يده كالشهاب الثاقب فرفع الملك عرنوس بالركاب رجله فوقع سنها فى وسط الركاب ووقعت بعدها على الأرض والتراب فقال السلطان حياك الله ياملك عرنوس وناوله الثانية والثالثة كذلك وقال اضرب ياعرنوس فاوترعرنوس الانجرشية فى كبدالقوس ثم قال احذر على نفسك يا ظاهر وضرب الانجرشية فخرجت كالصاعقة أو الشهاب فاخذها السلطان فى الركاب وكان ركاب السلطان من الذهب فخرقته تلك الانجرشية وخرقت الجزمة والخف واشتبكت فى كعب السلطان وكانت كما ذكرنا ممزوجة بالسم الخارق القاتل فاشتبكت أضراس السلطان وتمتمته بعظم السم وكان إبراهيم وسعد بالقرب من السلطان فصاح إبراهيم قتلت الملك يا عرنوس وخرج هو وسعد والوزير وأدركوا السلطان قبل أن يقع من على الحصان فاسندوه وعادوا به من الميدان وفى تلك الساعة ركب المقدم معروف وعماد الدين علقم ومنصور العقاب بن كاسر وحسن النسر بن عجيور واحموا الميدان وردوا جميع عباد الصلبان وأما الملك عرنوس فانه لما نظر إلى هذا الحال ما هانت عليه تلك الفعال ولم يعلم أن الانجرش مسموم فعاد وهو فى هموم وغموم وعلمت بما جرى ملوك الروم ففرحوا وعطعطوا وأتوا إلى الملك عرنوس وقد سألوه أن يكبسوا على المسلمين فقال لهم لا أحد يتحرك منكم ثم انه طلع إلى صيوانه على جبل النحاس وأقام فيه وأما الوزير فانه أخذ السلطان وهو فى غاية الضنك وعاد به إلى الصيوان وقال يا ناس نادوا إلى شيحة وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل وقال يا وزير أى شىء تريد من شيحة إذا كان ذوروا السلطان مع عدوه جوان

فقال إبراهيم انا أجىء بجوان فاخذ سعدا ودخل من باب حلب وإذا بواحد حامل شايل أباريق وواحد حامل طاسات ويقول سبيل يا عطشان فتقدم إبراهيم وقبض على الاثنين بيديه وقال امسك يا سعد هذا جوان وهذا البرنقش فقبض سعد واحدا وإبراهيم قبض على الثانى وعادا بهما إلى صيوان السلطان فقال ابراهيم ياحاج شيحة هذا جوان فقال شيحة يا جوان هات الخرزة حتى أسقى بها السلطان لأنه مسموم

فقال جوان ما هى معى بل هى مع البترك كرسانيون بدير مصر العتيقة فأرسلوا اليه يخذوها منه فقام شيحة وضرب جوانا بمايزرف عن مائة سوط فلم يقر بالخرزة

فقال ابراهيم يا حاج شيحة اصبر وأنا أقرره فتقدم للبرنقش وضربه بالكف على وجهه وقال الخرزة يا برنقش فى أى مكان هى فقال هى فى ذراع جوان اليمين فتقدم شيحة وشق ذراعه وطلع الخرزة وغسلها من الدم واحضر الصبغة البان وحكك

الخرزة وسقى السلطان سبع مرار كما فعل به يوم مرينة فلما أفاق السلطان قال له أى شىء حالك فقال الملك ادخلونى حلب فانى أخاف على العرضى من كبسة الكفار وأنا فى هذا المرض فرفعوا السلطان إلى سراية حلب فلما رأت العساكر دخول السلطان حلب دخل جميع الامراء وكذلك الفداوية وبقى جميع العرضى من داخل البلد وأقام شيحة ساعة عند السلطان يداويه وساعة عند عرضى عرنوس يدور به وينظر تدبير جوان فانه لا يأمن من مكره إلى ليلة من الليالى أتى المقدم جمال الدين فى آخر الليل إلى السلطان وهو بالغيظ ملآن وكان الملك انصلح حاله فقال لشيحة مالك يا أخى

فقال يا مولانا الملعون جوان لما علم أن مولانا حصل له ما حصل فجمع القرانات وقال لهم ان رين المسلمين مات وعساكره تحصنوا فى حلب خوفا منكم لا تكبسوهم فبادروا واكبسوهم فى حلب فقالوا له افعل ما تريد فرتب الملعون جوان الملوك وقال لهم كل خمسة من الملوك يأخذوا عساكرهم ويمسكوا بابا من أبواب حلب فقالوا رتبنا فرتب لباب الطوابى خمسة ملوك وخمسة وعشرين ألف عسكرى ورتب لباب القلعة مثلهم خمس ملوك وخمسة وعشرين ألف عسكرى وباب الشيخ بيرق مثالهم وباب النهر كذلك وباب البستان وباب الشام فهذه الستة أبواب كان المرتب عليهم مائة وخمسين ألف مقاتل بثلاثين ملك من ملوك الروم وأما باب القسرين الذى يقال عليه باب انطاكية فسلمه الى عشر ملوك وتبعهم مائة وخمسون ألف مقاتل قدر الذين على الستة أبواب وكان الامر كذلك وفى هذا النهار يكون الاستعداد والليلة القابلة يكون الحرب فقال الملك الظاهر يا شيحة وأنت أى شىء دبرته فقال ياملكنا قلبى على بلاد الاسلام لانا اذا أخذت حلب أخذت الشام فقال السلطان أين حسن النسر بن عجبور فقال نعم فقال خذ معك عشرة من مقادم بنى اسماعيل وكل مقدم تبعه ألفين مقاتل امسكوا باب الطوابى هيا حالا فقال حسن النسر على الرأس والعين

فقال الملك أين المقدم جبل بن راس الشيخ مشهد فقال نعم فقال خذ معك عشرة مقادم من امثالك وكل مقدم بألفى عسكرى تبقى العشرة بعشرين ألف امسكوا باب القلعة ومنصور [illegible] بن [illegible] وصحبته عشرة مقادم لباب الشيخ بيرق وعمران بن الافعى ومعه عشرة لباب النهر وموسى بن حسن القصاص ومعه عشرة لباب البستان والمقدم سليمان الجاموس ومعه عشرة لباب الشام هيا امسكوا هذه الابواب فقال المقدم معروف يادولتلى [illegible] أنا فى بالك لاكان حاضر قبالك فقال السلطان يا أخى خليك معى آنسنى فقال معروف ياملك الاسلام أنت تريد تحرمنى من الجهاد

طاعة رب العباد فقال السلطان يامقدم أنا ما امنعك عن الجهاد وانما اهوفاضل من الابواب باب انطاكية اصير لما ارتب له جماعة وانزلك صحبتهم فقال المقدم معروف ياملك الاسلام الله كان الفاضل باب انطاكية اكتبوه على حتى احميه انا فقال السلطان تحمي باب انطاكيه وحدك فقال احميه انا وحجرتي وشاكريتي وهمتي اكتب باب انطاكية ياملك الدولة على وأنا بقدرة الله احميه ميت وحي والاسم الاعظم مايقف على باب انطاكية الا أنا وحدي ولايتبعني أحد لا من جندك ولا من جندي ثم ان المقدم معروف قام على حيله ودخل على الملكة مريم الزنارية زوجته واعلمها بالذي جرى فقالت له خذني معك ياخوند حتى أكون ناظرة اليك فقال لها وأنا على ذلك عولت حتى أنك تبقي تعملي لى الفطور والسحور ثم انه أمر باحضار النجارين فعملوا له مرقبا خشب على الباب فاطلع فيه الملكة مريم وجاريتها وصنعوا له دكة خشب ليقعد عليها ونخولا للحجرة من الاخشاب وارقفها على ذلك النخول بجانب الباب وأقام المقدم معروف ينتظر تلك الامور والاسباب فلما أمسى المساء صلى المغرب وكان صائم النهار قائم الليل فطلب الفطور فانزلته له الجارية فأكل بحسب الكفاية وقرأ اوراده وصلى العشاء هذا والملكة مريم تنظر الى جهة الخلا فرأت عساكر كانها السيل اذا سال والظل اذا مال فقالت له ياخوند ان الاعداء قد أقبلت هذا ما هو قسمي وبعده اقبلت خيل مثل الاول تسد السهل والجبل فقالت له مريم هاهي خيل غيرها فقال وهؤلاء ايضا ماهم لنا وبعده تقاطرت المواكب حتى احتاطوا بالستة ابواب هذا والمقدم معروف جالس لم يفتكر فى هذا الحساب وبعده اقبلت خيل يدق بعضها بعضا وصهيلها أدوى فى جنبات الارض وعليها فرسان بملابس سود وقلوبهم سود مافيهم من يوحد الملك المعبود وتميزتهم الملكة مريم واذاهم قدر الجميع وهكل قاصدون الى باب انطاكية الذى وقع عليه المقدم معروف وكل منهم قلبه على القتال ملهوف فقالت الملكة مريم ياخوند انظر الى هؤلاء القادمين والى ناحيتنا واردين فقال المقدم معروف يامريم هذا قسمي الذى اريده بقدرة الله ومعروف احمى هذا الباب ولا اترك احدا يقرب حداه ثم انه تقدم الى حجرته ووضع فى رجله الركاب بلا خوف ولا ارتياب وقد تبسم للقاء الاعداء وضرب السيف كما يتبسم الكريم الى لقاء الضيف وصرخ صرخة ادوى لها السهل والجبل ونادى عند ما حمل حسبي الله اكبر

اذا حمل الكفار مع ليل حالك وجدت حدود الماضيات الفواتك
وثار غبار الحرب شرقا ومغربا وكان سواد الليل اعتم حالك

هلموا كلاب المشركين إلى اللقا لكى تنظرونى فى مقام التماحك
فلا تجهلونى عند مشتجر القنا فانى عروس الحرب عند التشابك
اجاهد فى الكفار حقا بهمة يقصر عن ادراكها كل فاتك
لعلى احظى بالشهادة والمنا وارقى فى يوم الحشر طرق المسالك
وها أنا معروف الذى شاع ذكره حكمت بنى اسماعيل خير الممالك
رجال تصد الكفر بالسيف عنوة وتحمل جاجا نعال السنابك

[قال الراوى] وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السما. كحل الاعداء بمراود العمى قرأ عليهم آيات الله العظمى ابلاهم بالقيل والقال والذل والخبال فصار أن ضرب راسا شقه وإن طعن ضلعا دقة وفى ساعة واحده ازال الطمع من رؤسهم واعدمهم نفوسهم فما حمل على موكب الا وفرقه ولا جيش الا ومزقه وكلما مالت نحوه الخيل يصرخ فى وجوهها فيردها على اعقابها رترمى عن ظهورها ركابها ويطعن فى ظهورها ويضرب رؤوسها ونحورها ودام القتال على ذلك الحال حتى اتى نصف الليل وظهر نجم سهيل فكان معروف كالهم بحسامه كيلا واى كيل واجرى دماءهم كجريان السيل وابلاهم بالحرب والويل وكلما صاح الله اكبر يتصور إلى أهل الكفر أن الجبال والاحجار كلها عساكر فلما علموا أن ما لهم بمعروف طاقة ولا بحربه استطاقه ولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتشتتوا فى لهوات القفار ونظر معروف إلى هزيمتهم فضحك وقال لعن الله الكفار الذين مأواهم النار ونزل عن حجرته ثم باس غرتها ومشى قدامها وهى تتبعه حتى وقف قدام باب حلب واوقف الحجرة على مخولها وقال يا مريم أرسلى إلى الابريق حتى ازيل الضرورة فارسلته له مع الجارية فقضى حاجته ونزلت الملكة مريم وضأته وصلى تطوعا ركعتين حتى قرب الوقت ونزل السحور فاكل وقام يصلى حتى وصل صلاة الليل بصلاة الصبح وقرأ اوراد الصبح واضطجع للمنام جل من لا ينام ولما اضاحى النهار أقبل المقدم إبراهيم والمقدم سعد ونظروا إلى ما فعل المقدم معروف على باب انطاكية فكانت قدر الذين على الستة ابراب فقال المقدم إبراهيم انظر يا سعد فعل خالنا فى القتال والله ما بقى يسمح الزمان بمثله وان الحوامل لم تضع شكله وعند ذلك انتبه المقدم معروف فقال يا مقدم ابراهيم زحزح هذه الرمم من الطريق فان رائحتهم تذهل النفس لا الله يخيبهم فزحزح ابراهيم وسعد القتلى واخلوا الطريق قدامه سألوه هل يحتاج خدمه أو حاجة يقضوها فقال ما احتاج الا الدعا. وسلموا لى على السلطان فدعوا له وساروا الى الملك واعلموه بما لاقى على الابواب من المعركات وما فعل المقدم معروف فى الكفار من النكبات وما أنزل عليهم من البليات فقال السلطان اماهو

فارس الزمان وأوحد هذا العصر والأوان الله يكون بعونه ويساعده والله يا إبراهيم أنه في هذه الليلة رأيته شايلا بيرق أخضر ويقول لي يا ظاهر أنت في وديعة الله ادع لي فاني مسافر فقال إبراهيم يا ملك ما لنا في خلقه إرادة هذا ما جرى [وأما] المقدم معروف لما خلا باله فقال يا مريم أنا قصدى أن أروح للولد فانه قاعد على الجبل معتزل عن الناس واسأله أن يرجع عن هذا الحال ويبطل العداوة والفتنة حتى انى أصالحه مع السلطان ويترك فعل الشيطان ثم انه قام ومشى إلى أن وصل عند الملك عرنوس وكان عرنوس رآه وهو مقبل فانشرح له صدره واعتمد أن يقبل كلامه ويصطلح معه ويجيبه على قصده ومرامه فلما قدم عليه وقال السلام عليكم قال عرنوس يا بجرنو فقال معروف أى شيء هذه الكلمة ياولدى الذى رأيتها بدال السلام انت تعلم انى أكره هذه الكلمة وأكره كل من يقولها فقال عرنوس أنا ابن نصارى وتربية خارة فقال المقدم معروف يبنى انكتبت هذه الكلمة التى قالها الببرليجى فى اللوح المحفوظ اهتدى بالله ياولدى وتوب على حيلك ودع هذا الكبر والخداع فقال عرنوس هذا لا يكون ولا بد من مقاومة الملك الظاهر حتى اعرفه قدره فنزل المقدم معروف وهو باكى العين [ولما] كان عند المساء فطر بعد صلاة المغرب وقرأ أوراده حتى صلى العشاء فأقبلت الكفار فالتقاهم بضرب الحسام البتار وأسقاهم من منهل الحميم شراب وحمل فيهم على ظهر حجرته وهتك فيهم بهمته فذاقوا منه كاس البوار فولوا الادبار وطلبوا الطرات القفار وعاد معروف وقد بدا منصور واعتراه الفرح والسرور فأكل السحور وصلى إلى الصباح فاقبل إبراهيم وسعد ورأوا ما فعل فقطعوا الأرض وكذلك الليلة الثالثة ولما كانت الليلة الرابعة ضجت الكرار فدخلوا لى جوان وقالوا يا أباتا هذا حال ما يطول ولم نبلغ من المسلمين المأمول والطول هذا معروف منذ ما هو واقف على باب القلعة كيف لم تقتل النصارى فطلبوا النعمت جوان إلى اثنين فداوية أفرنك وعلم أنهما جبابرة عمالقة كل واحد منهم كانه عملاق وهما من جزائر الروم اسم احدهما شائع والثانى مشمع

وقال لهما لكما زمان فى كار الفداوية فقال شائع ثلاثين سنة فقال أى شيء حويت فى صناعتك فقال احتويت هذا الشريط قال جوان وأى شيء فائدة هذا الشريط فقال هات عامود رخام فامر جوان بعامود رخام فضربه بالشريط فقسمه نصفين وضمهم جنب بعض وضربهما قسمهما أربعة أقسام يا أبانا هذا سلاح ماله نظير ولا حد مثله ملك ولا وزير فقال جوان صدقت وأنت يا مشمع فقال وأنا اربعين سنة فى الفداوية وما حويت شيء مثل هذا فقال أرنى فعلك فوقف اربع قطع العامود بجانب بعضهما

وتأخر بذلك العامود وزرقه فيها فنفذ منها فقال جوان اكثر من كذا ما يبقى شيء وأنا اريد منكما أن تكمنوا المعروف بين القتلى ولا تسألوه عند القتال لما عاد عليكما وهو ماشى على رجليه فيضم به واحد بالشريط والآخر يطعنه بالعمد فلا بد ان يصاب باحد الضربتين والكاظير ذلك خمسون ! فدان في سقر وعشرون مصطبة في الهاوية تشطحوا فيها وكل واحد لها مائة سنة زيادة في عمره وأكتبكما مع الحوار بين الطائرين فدلاه كذلك وخرجا هؤلاء الملاعين وترتبا إلى ذلك التمكين هذا ما جرى [وأما] المقدم معروف فانه قال يامريم أنا رائح لولدى أنصحه لعل الله يهديه ويرده عما هو فيه فقالت يا خوند اصحى تتحمق منه وتدعى عليه فقال يامريم ما يهون على كيف اتحمق من ولدى أسأل الله العظيم ان انحمقت منه أو دعوت عليه لا تتم هذه الركبة على إلا وأنا مقتول ثم انه سار إلى ولده وقال ياولدى اهتدى وارجع وعد عن هذا الحال ولا تفعل فعل الجهال فقال عرنوس انا لا أسمع قولك ولا أنا ولدك بل انا ابن نصارى وتربية خمارة فقال له ياعرنوس انا أتيتك ثلاث مرات ولم تسمع كلامى ولا تختشى من شيبتى مع ان الله يستحى أن يعذبها بالنار وأنت تستهزأ بقدرى ولاتك تحوى التفاتة الله تعالى يبليك بالغربة والشتاتة وتشحت ولا تنفعك الشحاتة وتاخذ الصدقة ويكون فيها شقاك وينقطع من املك رجاك وتشرف من الضعف على الهلاك وتقيم فى بلاد أعداك ولا ينفعك إلا الذى خلقك وسواك ولكن الله يلطف بك فيما قدره عليك ويحن قلوب خلقه عليك لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وعاد المقدم معروف إلى باب حلب فقالت له الملكة مريم أى شيء عملت ياخوند فقال انحمقت ودعوت على الولد فقالت أنا وصيتك ياخوند فقال نفذ قضاء الله فى وفيه لكن يامريم هو قضاء يتلاطف والله تعالى يفعل ما يريد فقالت له ياخوند وهان عليك ان تدعى عليه فقال يا مريم الكائن فى علم الله يجرى والله تعالى يجعل فى قضاه رحمة ثم ان المقدم معروف توضأ وصلى صلاة الظهر والعصر وبعدها قرأ اوراده ثم تم نهاره وصلى المغرب وأفطر وقرأ حتى صلى العشاء فاقبلت نحوه تلك الكتائب والمواكب فركب حجرته وخرج عليهم كما يخرج الأســـد من الاجمة وصاح الله أكبر

إذا طار العجاج بكل وادى وازدحم الغبار على الجياد
ترونى أقتحم كرب المنايا بقلب اقسى من حجر جمادى
وعزم ثابت حقا وصدقا يجيد الضرب فى رؤس الاعادى
فكم من فارس أضحى قتيلا بسيف كان من عهد ابن عاد

هلموا معشر الكفار نحوى　　على خيل ممتقة جيادى
ساخطف منكم الارواح خطفا　　واجرى دماءكم فى كل وادى
انا ابن جمر معروف المسمى　　عروس الحرب فى يوم الجهادى
اجاهد فى سبيل الله جهدى　　الى ان ينتهى منى رشادى
ويشكو السيف من كفى ملالا　　ويشكو عاتقى حمل النجادى
وان قلت الشهادة فهو قصدى　　وموتى فى العزا أشهى مرادى
وصلى ذو الجلال على محمد　　نبى مرسل للخلق هادى

[قال الراوى] ان المقدم معروف بعدما قال هذه الاشعار تصور له ان أبواب الجنة قدامه مفتوحات وسمع نداء الحور العين وقائل يقول تقدم يامعروف فارى روحه بين تلك الصفوف وقد خاض فى المائة والالوف وأطار الجماجم والقحوف وطلع على أشداقه زبد كأنه القطن المندوف وهاج فى القتال كما يهيج الجمال وقطع العلائق والاوصال ورمى العدى يمينا وشمالا وجعل القتلى بطائح على الارض والرمال فنظرت الكفار الى فعاله فهالهم حربه وقتاله وتجنبوا الوقوف بين يديه ولم يبق أحد يقدر ان يتقدم عليه هذا والمقدم معروف يضرب ضربات قاطعات ويطعن طعنات نافذات فعلم الاعداء ان مالهم قدامه ثبات فتشتتوا فى الفلوات وطلبوا البرارى الخاليات فقال معروف ياقرون كل ليلة تجتمعون على أنكم تحاربون ولما أحمل عليكم تهربون لعنة الله عليكم وعلى كل من يتبع ملتكم ثم ان المقدم معروف نزل من على ظهر حجرته ولم يعلم ما كتب له فى الغيب وسار قاصدا أبواب حلب وهو يقول لعن الله الكفار فانهم مأواهم النار لما كفروا بالله الملك الجبار واذا بصيحة من وسط القتلى وقائل يقول ترى ياكناس فضربه بشريط كان فى يده فوقع الضرب فى فخذ المقدم معروف فانقطع الفخذ الى آخره فصاح المقدم معروف حسبى الله أكبر وكان له صوت جهورى فهرب الذى ضربه وكان هذا شائع صاحب الشريط واما مشيع اراد ان يطعنه فارتهق من صوته وهو صحبة أخيه وأما المقدم معروف اراد ان يمشى فسقط فخذه فقال اللهم لك الحمد اللهم اختم بالايمان ياحنان يامنان اللهم أنت تعلم انى عبد من عبيدك فلا تعاملنى بخطيئتى ولا تهتك بين الاعداء جثتى ولا تمكنهم يارب من رمتى ثم انه قعد على حيله واخذ الفخذ بيده ووضع القطع على محله واطلع السرياق وربطه فى محله وقد علم انه قتيل لامحالة فقال لحجرته ياقطاشة أنت من أجود الخيل والجيد يكون له مروءة وان تركتينى هنا فى هذا المكان ينفكوا فى عباد الصلبان وأنا ما بقى لى مقدرة على مسير

ولا يعلم بحالى الا اللطيف الخبير نقلت رواة هذه السيرة ان الحجرة لما سمعت كلامه بركت كما يبرك الجمل فرفع الفخذ المقطوع بيديه حتى فوقه من على السرج ووضع رجله فى الركاب واسند الفخذ المقطوع بيده وقال ياقشطة قومى لكن برفق لانى ما اقدر استند على ظهرك الا قليلا فقامت بخفة وسارت به الى دكته التى يقعد عليها خلف الباب ولسانه لم يفتر عن ذكر الله الملك الوهاب فاجتهد حتى نزل فى محله ولم يذكر شيئا مما حصل له فأتت الجارية وكان اقبل وقت السحور فقدمت له الطعام فيمسك لقمة ونظر اليها فقال إن النفس تركت زاد الدنيا واشتهت ان تأكل من ثمار الجنة ارفعى الطعام يامريم فشالته فاضطجع المقدم معرف وقلبه مشتاق الى بنات الحور وما هو فقال اللهم آت سيدنا محمد الحوض المورود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد اللهم اسقنا من يده شربة هنيئة مريئة لا نظما بعدها ابدا يوم الحشر والتناد ثم انه أحسن الشهادتين وصار يكررفيها حتى خرجت روحه كالنسيم ونقلت الى جنات النعيم رحمة الله تعالى عليه وعلى أبويه وعلى من مضى من أموات المسلمين وعلينا اذا عدنا اليهم يارب العالمين

ولما طلع النهار اقبل المقدم مشبع صاحب العمد فنظره وهو مطروح وكانت فارقته الروح فظن انه نائم فطعنه بالعمد فى صدره فنفذ من ظهره فانشك فى الحجر مقدار نصف ذراع لما قدمنا من صفة العمد والشريط ودخل الملعون مع أخيه البلد هذا ماجرى واما المقدم ابراهيم بن حسن فانه أقبل مثل العادة ليتفقد المقدم معروف فنظر الى وجهه فاذا هو يتلألأ بالنور ونظر الى شيبته واذا بالهواء يلعب بها فقال ياسعد خالنا مات انظر ياسعد كيف ختم الله بالسعادة ومات فى الجهاد ثم تقدم اليه ابراهيم وضمه الى صدره وقبل شيبته وبكى وقال ياسعد روح اعلم السلطان فعاد سعد واعلم الملك الظاهر فركب وهو حائر حتى وصل الى معروف فضمه الى صدره وبكى وقال له هذا آخر التلاق والوداع ليوم الفراق يامقدم معروف لو كنت تفتدى كنت افديك بروحى وما تملك يدى ولكن ياأخى هذا ودك الله يلحقنا بك على الايمان وبعده أمر الملك باحضار الغسل ووضعوه على دكة الغسل ودخلوا به زاوية ابارود فنظرته الملكة مريم الزنارية وهو محمول فانحنت من جانب المرتب الذى هى فيه وصاحت ياويلاه وجاءت الجارية بجانبها صاحت فنزعت الحشفة التى ارتكنتا عليها فوقع الاثنان على رقابهما فماتتا لوقتهما من وقعتهما ومن دقتهما فأمر السلطان بسترهما وتغسيلهما وتكفينهما [رحمهما الله] فقدموا المقدم معروف للغسل أرادوا

أن يقلعوه شاكريته فوجدوه واضعا يده فتقدم عماد الدين علقم وأراد أن ياخذها عليها فما أمكنه أخذها وطبق المقدم معروف يده عليها ولم يسلمها له فتأخر وتقدم كل من كان فى ذلك المحضر فلم يسلمها لأحد وبعده تقدم اليه المقدم ابراهيم بن حسن وقال له :

وعدتنى وعدا جميل والعين ناظرة اليك
انجز بوعدك يا فتى الراية البيضاء عليك

فمد يده المقدم معروف وكان فى الحياة وناوله الشاكرية فصاح عماد الدين كيف تأخذها يا ابراهيم وأنا ابن أخته موجود فقال ابراهيم الحق بيدك أنت ابن أخته وأنا ابن جارية المطبخ وأنا ابن اخته مثلك فقال المقدم جمال الدين لا تتخاصما انا افصل بينكما كل من جردها ياخذها فنفرجت جميع الحاضرين اولهم الملك الظاهر وآخرهم عماد الدين فقال المقدم جمال الدين يا مقدم عماد الدين لو كان لك خبرة بتجريدها كنت جرتها فى سجن القيطلان فقال عماد الدين جردها يا ابراهيم فوضع ابراهيم يده عليها وجذبها فخرجت فى يده كانها الصاعقة المبرقة وانتثرت فاصاب حدها اثنين اتباع واقفين جنب المقدم عماد الدين فاقسما كل واحد نصفين فقال عماد الدين تقتل رجالى يا ابن جران حو ان فنظر المقدم ابراهيم إلى الشاكرية وإذا هى مكتوبة بالدماء قال المقدم ابراهيم اقرأ هذه الكتابة يا ملك الدولة

فتامل السلطان وإذا هى يا ملك الاسلام ويا حاج شيحة ويا بنو اسماعيل انى اخذت بثارى وانا على دكة الغسل وان هذين الاثنين هما اللذان قتلانى وهما شايع ومشيع اصحاب الشريط والعمد فقال السلطان اكشفوا عليهما فكشفوا عليهما وإذا هما نصارى ووجدوا معهما الشريط والعمد حجة فقال ابراهيم اكشفوا على مقدمهما الذى يدعيان انهما من رجاله فقال شيحة بلا اشكال لا يرث السلطان المتوفى إلا السلطان المتولى وانا الذى ارث المقدم معروف وهذه الشاكرية لى فاخذها من الاثنين فسكت الجميع ولم يقدر احد ان يراجعه وإذا بفارس اقبل من البر وكان اختيارا فقال ياشيحة اعط الشاكرية لصاحبها وانا آخذها فتقدم شيحة ووضعها فى يده ثانيا وقال خذها يا مقدم فتقدم لياخذها فلم يسلم معروف فيها فقال له ياابن والدى من حكم فى ماله ما ظلم فركب حجرته واخذ حجرة المقدم معروف جنبها فتقدم ابراهيم ثانيا واخذ الشاكرية من يد خاله بعد ماقرأوا له اربعين فاتحة وبعده احضروا ضلوا عليه وجاءت حرمة شريفة قالة لها الست ابارة صاحبة تلك الزاوية فقبلت يد ملك الاسلام وقالت ياسيدى انا اوهبت

هذه الزاوية إلى المقدم معروف فادفنوه فيها فدفنوه هو وزوجته وجاريته وواروهم فى التراب رحمة الله عليهم وعلى من مضى من أموات المسلمين ورتب الملك أربعين فقيها يقرأون القرآن فى تلك الزاوية [ولما] كان آخر النهار قال السلطان باب التدرين كان عليه المقدم معروف ولما توفى معروف ما بقى من يقف مكانه إلا أنا ثم ان الملك الزم الأمراء أن تستعد للحرب وأن تباشر الطعن والضرب ووقف السلطان الميعاد المعلوم وإذا بالعساكر أقبلت وكان جوان من حين أرسل العياق لم يعود له فاعلم بما جرى فأمر العساكر بالحملة على جرى العادة فنظر السلطان وأراد أن يحمل وإذا بفارس خرج من باب حلب فتأمله السلطان وإذا هو معروف بن جمر فصاح الله أكبر ويده على شاكريته ومال على الأعداء وصار يضرب فيهم ضربا يقصر الأعمار إلى الثلث الأخير من الليل فولوا الأدبار وغابوا فى لهوات القفار فتعجب السلطان من هذا الحال فقال ابراهيم ياملك الدولة الشهيد حى الدارين وعاد السلطان وهو يتعجب وكذلك الليلة الثانية والليلة الثالثة [نقلت] الرواة ان المقدم معروف حى باب حلب سبعة أيام أربعة وهو على قيد الحياة وثلاثة بعد موته ولما كان فى اليوم الثامن شاع الخبر بان المقدم معروف مات وانقبر وبلغ جوانا ففرح غاية الفرح ودار على جميع البيات والقرانات وأمرهم أن يحملوا فردعنان فحملوا كما أمرهم جوان فالتقتهم أبطال الايمان وغنى السيف اليمانى نقطع فى نواعم الأبدان وازدحمت الفريقان وقل الموت فى أعينهم وهان وعبست الوجوه الحسان وقطعت الرؤس مع الكفوف والبدان ونفذ السنان فى الأكباد والكلا والضلع والظهور والبطان وبكيت الأرواح على فراق الأبدان وظهر الربح بالخسران وانباعت الأنفس بلا أثمان بيع الهوان وسلبت الأرواح وقل الفلاح وانمحقت الأبدان بالجرح وقل الصلاح وتثلمت الصفاح ونادى المنادى لابراح [قال الراوى] كل ذلك يجرى والملك عرنوس مقيم على جبل النحاس فى حفظ نفسه بالماطال الحال فى الحرب العوان فنظر رجل بطاريق إلى عرنوس وهو قاعد فاراد أن يبشره لأجل أن يأخذ منه البشارة فطلع إلى الجبل وتقدم إلى الملك عرنوس وقال هات البشارة ياأب فقال على أى شىء تبشرنى فقال الرجل البيجو الذى كان كل يوم يأتى من عند المسلمين ويقول له أسلم وأنت ترده ولم ترضى أن تسلم فهاهو تمنتر والذى مثره شايح وأخوه مشيع ماهود وشريط من البرلادو الذى دبر هذا التدبير جوان فلما سمع الملك عرنوس ذلك الكلام تمطعت أوصاله وانذهل واحتار من ذلك العمل فقال له البيجو هاهو واقف براك يكذبك فالتفت الملعون ويد عرنوس على قائم الحديد فضربه فى بيت الحرام نارماه نصفين وقام عرنوس من مكانه وهو باكى العين على

فقد أبيه وانحدر من على الجبل ورمى روحه فى الغبار والقسطل وصار إن ضرب رأساً شقه وإن ضرب ضلعاً دقه ودام كذلك إلى عصر النهار وهو يضرب فى الأعداء بالحسام البتار إلى آخر النهار فوقعت عين الملك الظاهر عليه فرآه وهو يقاتل فى الأعداء ويسقى الكفار شراب الردى فساق الملك الحصان حتى حك الركاب بالركاب فقال له هذا رسالة الذى أعدمنا حسن أيك وكنت أنا عن ذلك أنهاك فاستحى الملك عرنوس من السلطان فما لقى فرجة إلا انه أطلق لجواده العنان وانهزم فى البرارى والكثبان فنظرت البيات والقرانات إلى هزيمته وكان ظنهم أنه كان يحارب معهم فلما انهزم تبعوه فى الهزيمة وبقيت أحوال عساكرهم غير مستقيمة ولما انهزمت البيات تبعتهم القرانات وكذلك الملوك تشتتوا فى الفلوات والبرارى المقفرات وتمكنت ملوك الروم من أقفيتهم وطعنوا فى خواصرهم وأجنابهم وظهورهم ودام الأمر كذلك طول النهار حتى أنزل الله على الكافرين الذل والويل وكان دم الاسلام كيلا و[illegible] كيل ولما طلع النهار اجتمعوا البيات والقرانات بعد تشتيت عساكرهم فى البرارى المقفرات وقالوا انعود إلى ملك الاسلام ونصالحه على ما أراد ونأخذوا الامان والذمام ثم انهم قبضوا على جوان وعادوا به إلى السلطان فاخذه منهم وباعهم أنفسهم بالاموال وأمرهم بالعود إلى بلادهم وأطلالهم وسألهم السلطان عن الملك عرنوس فقالوا لهم انهم لم يعلموا له خبرا ولا وقعوا له على جلية أثر وإنما يا ملك هذا جوان الذى كان [illegible] عليه فقال جوان وأنتم بلا عقل فقال [illegible] خايل أنا أضمن القرانات ونصف الملوك و[illegible] يضمن البيات ونصف الملوك على دفع الجزية وعدم العصيان فقال [illegible] فى [illegible] فقال مغاوين وأنا أشترى جوانا [illegible] البرتقش بخزنة فقال ابراهيم هاتها وخذه لله يا [illegible] لحيته وركبت الملوك وطلبوا بلادهم وركب الملك الظاهر ودخل حلب وأمر العساكر بالرحيل وقعد فى عزاء المقدم معروف أربعين يوما وبعدها ركب وسافر إلى مصر ودخل بلا موكب ولا زينة حزنا على المقدم معروف بن جمـ[ـال]

[وأما] ما كان من أمر الملك عرنوس فانه سار من وقت ما فارق الملك الظاهر وانهزم فكانت هزيمته على وجوه عديدة الأول انه نادى الملك الظاهر وقاومه وأراد أن يسلم بلاد الاسلام للكفار وجمع تلك الجموع فانخذل وثانيا انه لما سمع بموت أبيه تضرب فى وجوه الكفار بالسيف مع انهم ما أتوا إلا [illegible] كانوا ركبوا على الاسلام وثالثا ولاة ملوك البرتقال أكثروا [illegible] عرنوس [illegible] السلطان [illegible]
[illegible] السلطان [illegible] أباه الذى كان السلطان [illegible]

وهو كان السبب فى موته فعلى ذلك الحال ضاق صدر الملك عرنوس وعلم أنه ما بقى له فى بلاد الاسلام خل ولا شفوق وكذلك ملوك الروم ما بقى يأخذ منهم رفيقا فهج على وجه الارض كما ذكرنا وطلب البرارى والقفار وترك الاهل والدير وصار يأكل هو وحصانه من بنات الارض ويشرب من محصلات الامطار حتى قطع بلادا بعيدة وسلك مسالك صعبة شديدة ووصل الى مفرق الطرقات ومجمع البحرين ولكن ضاقت حضرته وعلت من طول سفره وهو يبكى على فقد أبيه وعلى ما أصابه فى نفسه وتشتيته وغربته ومفارقته لاهله وأحبته فمر على بستان شقيق ونعمان وزنبق وسوسان وفواكه من كل شىء زوجان وكان زمان الربيع والارض قد تبهرجت بحسنها البديع فدخل الملك عرنوس فى ذلك البستان وكان ذلك البستان لملك هذه الارض يقال له الملك الرقشوان وله بنت يقال لها الملكة الرقطة ولكنها حوت من كل ضرب فى المحاسن والبهاء والجمال وهى فتنة للناظرين ثم تعلمت ضرب آلات الطرب وضرب القانون وحوت جميع الفنون بقدرة الله الذى اذا أراد شىء يقول له كن فيكون ولاجل القضا الكائن فى علم الله ان الملكة الرقطة اعتراها ضيق صدر فأتت الى ذلك البستان وكان ابوها دائما يداريها خوفا من أحد يخطبها وكان قصده ان يصطفيها لنفسه ولم يرض أن يزوجها لاحد مما دخل فى قلبه من محبتها ولما كان فى ذلك اليوم وأتى الملك عرنوس ودخل البستان فنزل فيه وتفرج فى نواحيه فرأى فسقية قدام القصر وقد خيم عليها شجر الجوز فقعد تحتها على تلك الفسقية وترك جواده ذات النسور يرعى فى الخضرة وجلس هو يستريح من تعب السير والسفر فادركه النوم فاضطجع وكان وجهه مقابلا لطاقات القصر وكانت الملكة الرقطة قد حضر لها الطعام فأكلت وأكل جواريها بعدها ثم ان جارية من الجوار أخذت الصفية وأتت الى الطاقة لتنفضها فى البستان فرأت الملك عرنوس وهو نائم ووجهه الى جهتها وهو كما قيل فيه

ووردى خد نرجسى لواحظ ... مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
ووارات صدغيه حكين عقاربا ... عليها رياض الجلنار قد انتوى
ووجنته الحمرا كأنها جمرة ... عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق راست بسامع ... لتول عذولى والحسود اذ دووا

فوقفت الجارية شاخصة اليه ولا تدرى عن نظر اليه وطال وقوفها فندهت عليها سيدتها لم ترد عليهم فلما شغلت سيدتها من الملك عرنوس فأخذت شيئا من طاسة الخشب وضربتها به وقالت ما كانت تمشى فى تلك الطاقة فقالت يا سيدتى لو نظرت ما نظرته لم تضربينى

فكان فى البستان غلاما جميل المنظر أبهى من الشمس والقمر فقامت الملكة الرقطة وجاءت إلى الطاقة فنظرت فتعلق آمالها بالملك عرنوس لما نظرت إلى جماله المأنوس فصبرت وهى ناظرة اليه حتى أفاق وفتح عينيه فنظرها وهى ناظرة اليه فكرر نظره منها

فقالت له من أى بلد أنت يا غندار

فقال لها أنا رجل سواح أدور فى المدائن والاماكن الفساح وأتيت لهذا المكان فأدركنى النوم فلما فقت من منامى بقيت أقوم وأسافر إلى الطريق التى أمامى .

فقالت له وما اسمك بين السواحين فقال اسمى عزم المسيح القاطع فقالت هذا اسم مبارك اطلع إلى عندى حتى أتبرك باسمك فقال لها من أين الباب فأعلمته بالباب فقال فى باله إلى متى الحزن على الذى فات وانقضى وفات فيه الفوات ثم انه قام وطلع إلى ذلك القصر فاستقبلته بأحسن استقبال وأجلسته فى صدر المكان وأحضرت الطعام من أصناف الطيور السمان فأكل معها وأحضرت المدام وصارت تباسطه فى الكلام ولما دارت الخمرة وانشغفت الملكة الرقطة بحب الملك عرنوس قالت لتبوس خده فأخذها فى كنفه فمتبت عليه فأعلمها بالاسلام وهو فيه فاهداها الله تعالى وأسلمت على يديه وبعد ذلك صافحها ولم يكن معه شىء يعطيها فاعطاها خاتما من أصبعيه وعانقها وما تم النهار حتى قضى منها الأوطار فاقام الملك عرنوس عندها أياما ونسى ما كان يجده من الهوى والآلام إلى يوم نظر فى البرارى فوجد الملعون جوانا راكبا حمارته والبرتقش فى صحبته ومعه حرمتان على بغلين وكل حرمة على حجرها غلام فامعن النظر وإذا هما زوجاته أحدهما شموس بنت البب مغلوين ملك ملوك البرتقال والثانية بنت البب رومان وكل واحدة معها جنين وهما مع جوان مسروقين فلما نظرهم الملك عرنوس بكى فقالت له الملكة الرقطة على أى شىء تبكى ياملك عرنوس فاعلمها بان هؤلاء الحريم التى مع جوان حريماتى وحكى لها على سبب سفره وكيف أنه أغراه حتى قاوم السلطان ودبر على قتل أبيه وأوجب الأمر إلى تشتيتى فى هذه الأقاليم ومضى إلى مدينتى فساق الحريم فلما سمعت الملكة بهذا الكلام قالت له من أعلمك هذين حريمك فقال عرنوس نعم حريمى وهذا الملعون خصمى وغريمى فقالت له أنا أحضر جوانا وأوقفه بين يديك مثل العبيد فافعل به كما تشتهى وتريد فقال عرنوس إن فعلت ذلك فتكونى أنقذتينى من المهالك فقعدت الملكة الرقطة فى الطاقة وصبرت حتى قدم الملعون جوان

فقالت يابرتقش أنت لك زمان غايب ولا بقيت تمر علينا ولا تجوز من نواحينا فقال البرتقش ياملكة ها نحن جينا إلى عندك فقالت له اطلع عندى حتى أتسلى معك ساعة

فقال جوان قل لها وجوان فقال البرتقش وجوان فقالت أنا ما أحب جوانا لانه لايشرب إلا بقدر القلة فقام البرتقش وطلع إلى القصر وجوان يقول له يابني اهدها على حتى اطلع أنا كان عندها فلما طلع البرتقش إلى أعلى المكان وقف يقلع جزمته ويد مسكته من رقبته فتأمل وإذا هو الليث الليثرث والبطل المانوس صاحب السيف المحلى بالذهب والدبوس الملك سيف الدين عرنوس فقال له البرتقش أنا في عرضك ياسيدي فقال له يابرتقش أي شيء ملككم حريمي من مدينة الرخام وشمطاطوهم في البراري والآكام ومعهم هذه الاطفال الصغار ياابن الزنا احكي لي بالصدق فقال البرتقش ان جوانا لما علم انك انهزمت من قدام المسلمين فاخذني وسرنا إلى مدينة الرخام فقال لي نتجسس على ما يجري فلما دخلنا في البلد فقال لي يابرتقش أنا قصدي اسرق بنت البيرومان لاجل أن أعود بها لابيها فدخلت أنا وهو وتمكنا من البستان حتى نزل الاثنتان فبنجهما وكان ظني أن يردهما إلى رومة المدائن فاخذ الاثنتين وأتى بهما إلى ذلك المكان ولكن احلف لي انك تطلقني وأنا أسوقه اليك وأوقفه بين يديك فقال عرنوس والاسم الاعظم ان أرسلت لي جوانا فاسيبك وان حلفت انك توقع لي جوانا فاسيبك فحلف البرتقش بالاسم الاعظم حتى يرسل له جوانا فاطلقه ونزل البرتقش ينتفض حتى وصل إلى جوان وقال قم ياأبانا ماهي رضيت بدخولك عليها فقام جوان وطلع إلى أعلى المكان وهو فرحان حتى بقي في داخل الديوان فنظر إلى عرنوس فلما نظره لوث ثيابه فقال الملك عرنوس أوحشتنا يا جوان فقال جوان قل عندك أنا ياسيدي أتيتك بزوجتيك الاثنتين وها أنا داير أدور عليك

فقال عرنوس انت كنت الوكيل لهما عند زواجي بهما وأنت الضامن أم شكيا لك عدم المؤنة حتى أخذتهما وأتيت بهما إلى ذلك المكان ثم انه قام اليه ورفعه على كاهله وخبطه في الارض وجذب قاسم الحديد ومال به عليه حتى خلاه مشطب مثل تشطيب المقدم إبراهيم بن حسن على جسر الانكبار وفتحت له الملكة الرقطة طابقا فارماه فيه ودهن حيطانه بالزبد مع سقفه وسائر اركانه وقفله عليه وقعد مع الملكة الرقطة هذا ماجرى [وأما] البرتقش فانه لما افلت من الملك عرنوس علم انه ما يبقي جوانا فطلب البر والوديان إلى قلعة مجمع البحرين فدخل على الملك الرقشوان وقلع القلنسوة من على راسه وداسها برجليه وقال رأى شيء يارقشوان خربت بلادك اعلم أن الديابرو عرنوس عند بنتك وأراد جوان أن يخرجه من عندها فقبض عليه وقتله والدنيا بقت بغير جوان ولا بقيت تمطر مطارة ولا تنبت لكم زرعا وتموتون ياكرستيان إذا عدمتم جوانا فقال الرقشوان أي شيء الخبر ياأبانا البرتقش احكي يابرتقش فحكي

له البرتقش بالقصة من أولها إلى آخرها وقد قال إذا أردت المسيح يرضى عليكم قم اقبض على الدايا برو وبنتك الرقطة واقتل الاثنين وسيب جوانا فانه عالم الملة فقام الرقشوان وأخذ معه أرباب دولته وراح إلى البستان وطلع إلى قصر بنته وكان بالليل فوجد الملك عرنوسا والملكة الرقطة فى حضن بعضهما نائمين وزندهما على أجناب بعضهما ملفوفين وهما متوسدين ومتعانقين كما قال القائل شعرا

ما يخلق الرحمن أحسن منظرا ... من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا ... متوسدين بمعصم وبساعد
وإذا صفا لك من زمانك واحد ... نعم الصديق وعش بذاك الواحد
وإذا تآلفت القلوب مع الهوى ... فالناس تضرب فى حديد بارد

[قال الراوى] فنظر الملك الرقشوان إلى ذلك فى الحال فاطلع منديلا معبقا بالبنج ووضعه على وجه الملك عرنوس فالقى النوم على النار لوحمله من جنب بنته ودخل إلى الطاق الذى فيه جوان وأطلعه فى أقبح رؤية من كثرة ما عليه من النجاسة والدماء وهو روام مثل الدن الكبير فلما أفاق على نفسه كان الرقشوان كتف الملك عرنوسا وتقدم البرتقش إلى جوان فاعطاه أدوية حتى طاب من ورمه وقطب له جراحاته وقال له يا أبانا هذا عرنوس خصمك إفافعل به ما تريد فقال جوان وبنتك لى فقال أما بنتى فلا أعطيها لاحد فقال جوان اسلمت فقال الرقشوان ان سلمت بخاطرها ثم انهم أخذوا عرنوسا وساروا به إلى قلعة مجمع البحرين وقعد الرقشوان على تخته وأمر بقطع رأس الملك عرنوس فتقدم اليه السياف وبيده سيف ووقف على رأس الملك عرنوس فالتفت جوان إلى السياف بعدما غمزه وقال له تقدم يا سياف حتى أكلمك فتقدم اليه وقال له نعم يا أبانا فمد يده جوان وقبض على خناق السياف وقال له بالاسم الأعظم ما أنت شيحة فقال نعم بذاتى يا ملعون اهسك طيب أنا خصمك شرط طير الحر إذا وقع لم يتعامل فقام الملعون جوان على حيله ورنص صاح سيفا منتار منترهما يا رقشوان فقال الرقشوان يا أبانا أنا بلدى لم تحمل دم هذين الاثنين فقال البرتقش صدقت وحق بيرس وميرس وزرارة البردان وبسوم الرهبان والسبع رهبان الذين يسرحون فى البرارى والكثبان من شدة الجوع أكلوا بعضهم ان منترت يا رقشوان لم تبق بينك وبين قطع رأسك إلا مقدار ما يصل الخبر إلى المسلمين فيأتيك برجال استباحوا الموت وجعلوه عندهما الحياة عندما رأوه الرأى عندى أن تضعهما فى السجن ويروح جوان يأتيك بمن يقتلهما بيديه وأما أنت لا تقتلهما ولا تأمر بقتلهما فقال الرقشوان صدقت يا برتقش فقال جوان ابقيهما عندك فى السجن وأنا أجيء بمن

بعنترها بيده ولا يخاف من رب المسلمين ولا من جنده ثم أن الملعون جوان
من قلعة مجمع البحرين وسار إلى مدينة الافلاق ودخل ليلا على الحبس الذى فيه المقدم
نصير النمر فرآه كسر القيد والبدلة ذابت من كثرة السباخ والصديد فدخل عليه جوان
وبنج الحرس الذى عنده وفكه من شباحاته وأخذه واطلعه من الحبس حتى بقى به
خارج مدينه الافلاق وأمن عليه من بعد الشد والوثاق فقال له المقدم نصير النمر
اين سلاحى يا جوان فقدم له سلاحه من محل ما كان ، وقال البس سلاحك وسر
بالامان

فقال نصير النمر امدد قرعتك حتى اضيعك وارح الناس منك كما عملتنى اقروري وجاء
شيحة وكان عمل بترك وصار يعزم واثبت على أنى حرامى وشغلنى بالقيد حتى ذوب
لحمى وعظمى وماأنت ياقران جئت خلصتنى ولم تبلغنى من شيحة القران مرامى مد
قرعتك لا يرحم الله اباك ولا ابالحيتك ولا أهلك ولا غزوتك فقال له جوان أبشر
فان شيحة محبوس فى قلعة جمع البحرين مع الديابرو عرنوس فسر معى اليهما واقتلهما
واشف غليل قلبك منهما ففرح نصير النمر وقال ياجوان سر معى بالعجل حتى أقتل
شيحة وابلغ منه الامل وسار تحت الليل وجدوا على ظهور الخيل حتى دخلا قلعة
مجمع البحرين وهما بذلك فرحانين ودخل جوان ونصير النمر على شيحة والملك عرنوس
فنظر شيحة إلى نصير النمر بالعين فاحسن نطقه بالشهادتين وعلم أن نصير النمر لم
يبق عليه بل أنه يقتله ويعجل عليه فتقدم نصير النمر إلى شيحة وقبض بيده على خناقه
وقال له ياقران أى شىء اعمل فيك شاكرية ما تكفينى فيك خنجر مايصح لى أن
أضربك به ثم شاله على يده وضربه باليد الثانية على ظهره فكسر اعضاءه وكاد أن
يعدمه الحياة وإذا بدخنة بنج نزلت على الجمع فتبنج نصير النمر وعرنوس وشيحة وجوان
والبرتقش واطلق دخنة ثانية المقدم محمد السابق ونزل كانه ثعبان وكتف نصير النمر
وبعده كتف جوان والبرتقش الخوان وفيق أباه والملك عرنوس وشبح نصير النمر
باربع سباحات وربط جوان والبرتقش تحت رجليه وإذا بالمقدم بورد مقبل حامل
جدان ووضعه بين أيديهم وأطلع من قلبه الملك الرقشوان رفيقه وفيق جوان والبرتقش
وأطلع سوط القضبان وكشف عن صدر جوان وقال له افستنا ياعاشم الملة أبشر بكل
مصيبة وعلة وحق الاله الباقى على الدوام ان نطقت أو تكلمت بكلام لاقطع
أعضاءك وأطعمها لك مثل الطعام ثم أنه أفرد السوط ومال على جسمه النعم حتى
كشف الجلد واللحم وبان العظم كل هذا ما يجرى والملك الرقشوان ينظر ويرى ولم

إنه من جوان يقدمونه ومثل ما أطعموا جوانا يطعموه وبعدما غاب جلد جوان ولا بقى فيه نفس تقدم محمد السابق وجذب البرتقش فقال البرتقش أنا فى عرضك يا سيدى الديار عرنوس يا ملك عرنوس أنا فى عرضك وفى عرض أبيك الشهيد معروف اعتقنى من السوط الغضبان فأنا مالى عليه صبر ولا جلدان وإن كان أبو محمد لم يفوت علقته فخليه يضربها الاستاذى عالم الملة جوان فقال عرنوس صدقت ياعم اضرب علقة البرتقش للشيخ جوان فقال جوان أنا فى عرضك بقيت شيخ فقال عرنوس أنت على كل حال تستحمل يا ملعون ومال شيحة على جوان ثانى مرة حتى أبلاه بالعذاب والمضرة وقال هاتوا الرقشوان فقال الرقشوان يا ملك عرنوس أنت بقيت زوج بنتى وأنا أبو زوجتك فأكرمنى للنسب فقال شيحة ياملك عرنوس ان كان الرقشوان دخل تحت أمانك فأنا أطلقه من أجلك وإن كان يحصل منه أدنى خلل فأنا أجعله شهرة بين أبناء النصارى فقال الرقشوان أنا فى عرضك ياسيدى شيحة أكون تحت أمركم وإن حصل منى تقصير افعلوا بى ما تشاءون فعندها قدموا نصير النمر وفيقره ونط المقدم جمال الدين فركب على أكتافه وسحب الكشافية وطرقها على المستحد فطار منها الشرار فنظر المقدم نصير النمر فصاح ياملك عرنوس أنا فى عرضك ودخيلك ودخيل حريمك اجعلنى عبدالك وهادما واحقن دمى واعتقنى ولا تتركنى لشيحة يسلخنى وأنا والاسم الاعظم أخدمك على طول عمرى ولا أقصر فى خدمتك حتى أشرب كاس الحمام فقال الملك عرنوس أنت يا مقدم نصير النمر مالك أمان لانك لما أقمت عندى أولا غدرت وسرقت أولاد وردان والغدر هذا ما هو فعل الكرام فقال نصير النمر صحيح فعلت معك القبيح وأنت من أهل السماح فسامحنى فقال عرنوس اعلم يامقدم أنى أنا كنت عرنوسا ومعروف طيب كان عمى شيحة يكرمنى لاجل أبى وأبى مات وأخاف أن أتشفع فيك فما يقبل منى شفاعتى فقال شيحة ياملك عرنوس أى شىء هو هذا الكلام ان كان المقدم نصير النمر يحتمى فيك ويخدمك فأنا أطلقه كرامة لك على شرط أى محل قابلته فيه من غير تذكرة منك دمه هدر ولكن كان عند الملك الظاهر فقال عرنوس سمعت يامقدم نصير النمر فقال نصير النمر سمعت فقال شيحة ويكون على دين الاسلام فقال نصير وأنا على دين الاسلام والله ياحاج شيحة أنى مؤمن قائل حقا وصدقا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأطلقه شيحة على هذا الشرط وقد قال عرنوس للملك الرقشوان أريد منك ثلاث تخوت واحد لبنتك الملكة الرقطة واثنين لزوجاتى وأما هذا جوان والبرتقش فضعهما فى الحديد ولا تطلقهما عنه أبدا الا بأمر المقدم جمال الدين شيحة فقال البرتقش

يا أبا محمد أنا آخذ جوانا وأروح معه إلى بحيرة يغرة ولا اقرب مدينة الرخام أبدا والاسم الاعظم ان كان جوان يطلب طريق مدينة الرخام لاقتله وأقول الكلمة التي تعرفوني أقولها في كتاب اليونان فصدقه شيحة لما يعرف من صدقه وأطلقه وأعطاه جوانا وهو في حالة العدم فأخذه وقصد بحيرة يغرة فقعد سنة لم يطلع حتى بدأ صلاحه وطابت جراحه . وأما الملك الرقشوان فانه أحضر كلما طلبه الملك عرنوس ووضب ثلاثة تخوت للثلاث حريمات اللاتي للملك عرنوس وقدم للملك عرنوس هدايات وتحفا على قدر مقامه فقال عرنوس يا مقدم نصير النمر خذ هؤلاء حريماتي الثلاثة وخذ هذه الهدايا والاموال وكتب كتابا إلى الملك محمد الطان وردونش وأولاد ملوك الافرنج يعرفهم بأن المقدم نصير النمر ملزوم بمدينة الرخام وحاكم على من فيها من الخاص والعام فمن أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني والسلام على النبي البدر التمام فاستلم المقدم نصير الكتاب من عرنوس واستلم الاموال والهدايا من خيل وجنائب وسيوف وأمتعة كل ذلك حازه نصير النمر فركب على حجرته وقصد الى مدينة الرخام فدخل الوزير على محمد الطان وردونش وأعطاه الكتاب فطلعت الحريم إلى سرايتها وأما الملكة الرقطة فخلوا لها سراية برسمها وتسلم نصير النمر مدينة الرخام والتزم بحفظها في كل نور وظلام هذا ما جرى لنصير النمر . وأما الملك عرنوس فان المقدم جمال الدين قال له يا ملك عرنوس اعلم أن الملك الظاهر رجل مؤمن مغازي ولا يصعب عليه ما فعلت فأنا أصالحك معه وتزول الاحقاد وتقيم كما كنت في بلدك وأنا ضامن لك كلما تريد فطاوعني وارجع فقال الملك عرنوس والاسم الاعظم لا أعود إلى بلادي ولا يهدأ فؤادي إلا إذا رأيت شيبة أبي المقدم معروف بن جمر قاعدا قصادي وغير ذلك لم يبق لي في بلاد الاسلام مقام فقال شيحة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فودعه شيحة وعاد إلى حال سبيله . وأما الملك عرنوس فانه سار وتبطن البراري والقفار وقطع السهول والاوعار مدة أيام حتى أبعد عن بلاد الاسلام وقطع بلاد الروم وبلاد الأعجام وهو لا يتهنى بمنام ولا يلتذ بطعام إلى يوم من الايام وقع في أراضي منقطعة زائدة الحر والزمهرير ولا فيها وحش يرتع ولا طير يطير فنظر على يمينه فوجد جبلا أصفر وعلى يساره جبلا أسود والارض ترصف باللمعان والشمس أرخت عليها شرارا ونيران والجبال زعرت وسالت وإلى جهة الأرض مالت فنظر عرنوس الى حصانه فرآه قصر ولم يقدر أن ينتقل فنزل عنه فحرقته رجليه فعاد على ظهره ثانيا وعلم أنه هالك لا محال ولا بقي له نجاة إلا اذا أراد الله الملك المتعال فنظر يمينا لم يجده عينا الا الملك الامين

ونظر يسارا لم يجد أنصارا الا الملك القهار ونظر قدام لم يجد مقدام الا الملك العلام ونظر خلفا فلم يجد ألفا فقطع العلائق من الخلائق وبسط يديه الى الملك الخالق وقال حيه يا رب وصار يتضرع ويقول

يا رب يا من له كل الأمور ولا ... يهوله ما جرى من فعل أزمانى
يا رب ذنبى عظيم اعترفت به ... وأنت تعلم أحوالى وأحزانى
وقد عدمت أبى والأم مع بلدى ... وقد تشتت عن أرضى وأوطانى
وليس لى ملجا يا رب يحفظنى ... الا جنابك ملجا القاصى والدانى
فامنن على يارب وارحمنى وانقذنى ... وكن لى يا رب ملجا وارعانى

فما تم الملك عرنوس هذا الكلام الا وسمع قعقعة الرعد فى أفق الغمام واسودت الدنيا وصارت ظلام بقدرة من يحيى العظام ونزل المطر وانسكب وصار مثل أفواه القرب فنزل الملك عرنوس الى الأرض والمهاد وشكر الله تعالى الكريم الجواد وعمل حفرة فى الأرض وصبر عليها حتى أن الماء ملأها وشرب حتى ارتوى وسقى جواده وبلغ مقصوده ومراده بعد ذلك ركب على ظهر الجواد وطلب البرارى والوهاد ومادام كذلك حتى رأى البحر المالح عن يمينه وعن يساره وهو سائر فى وسط البحر وكلما مشى ضاق به الطريق حتى صارت وسع باع ودام الأمر حتى صارت ذراع وهى من الحجر فنزل عن الحصان وأخذه على يده فى هذه الأرض طول الليل وكانت ليلة مقمرة ولما جن عليه الليل بكى فسمع المنادى من خلفه يقول شد حيلك يا ولدى الله يلطف بك فيما قدر عليك فالتفت فلم يجد أحدا فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولما طلع النهار وجد نفسه خرج على برية متسعة الجنبات ورأى براو عليه ناس بكثرة كلهم نصارى وهم يلعبون قدام ذلك البحر فلما رأوا الملك عرنوسا هربوا فتعجب الملك عرنوسا من هروبهم وطرد بجواده خلفهم حتى لحق واحدا منهم ومسكه فقال له فى عرضك فقال عرنوس لأى شىء هربتم لما رأيتمونى فقال ولكونك ديابرو فقال عرنوس أنا من الانس ما أنا من الجن فقال ياسيدى عمرنا ماسمعنا ولا أهلنا من قبلنا رأوا واحدا خرج من ذلك الوادى الذى أنت خرجت علينا منه وهذا سبب هروبنا منك فقال عرنوس وأى شىء اسم هذه المدينة ومن ربها مالك فقال له هذه أولا كانت اسمها مدينة الجرجير والبر الطويل وفى هذه الأيام اسمها مدينة التصاوير وأما الب اسمه عبد الصليب فأطلقه الملك عرنوس وقال له اعلم أصحابك انى أنا من الانس ... تبطلك يجرى فأعلم الناس أن هذا انسى وما هو جنى فاطمأنوا وأما الملك

عرنوس فانه سار حتى دخل المدينة وسكن فى خان جديد للبنيان فسلم حصانه إلى الخانجى وطلب منه أوضة للسكنة فاعطاه أوضة فى قلب الخان فقال له يا معلم خذ هذا الاشكرنى وهات الجواد عليقا وهات لى فرخة دجاج اعملها مسلوقة فاخذ الدينار منه وغاب وأتى ومعه فرخة مسلوقة فى طاسة ورغيف فاخذها عرنوسا وأراد أن ياكل لقمة فرآها كبريت وكذلك المرقة والفرخة فلم يقدر أن ياكل منها شيئا وثقل عليه الضعف حتى أشرف على الموت فدخل الخانجى وقال له هات كراء الخان وعليق الحصان فقال له خذ الكيس فانه ملآن من الذهب ما يكفيك فاخذ جميع ما كان فى الكيس وغاب عنه أياما وقال له هات أجرة الخان وعليق الحصان فقال له خذ من الكيس فقال له الكيس فرغ وحصانك عايز عليق وأنت عايز مصروف فقال عرنوس خذ الحصان بعه فاخذ ذات النسور بعدته ومضى به إلى صاحب الخان فاعلمه أن صاحب هذا الحصان رجل غريب فاعطاه خمسين ألف دينار وقال له إن باع شيئا غير هذا فلا تخليه يروح لغيرى فاقبل الخانجى على عرنوس وقال له ياغندار بعت حصانك بخمسين دينار

فقال عرنوس وأين عدته فقال بعتها معه غير لباده فقال عرنوس بخاطره وإنما هات لى فرخة لعلى آكل شيئا فاتى له بفرخة فلم يقدر أن ياكل وفضل الخانى أياما قلائل وقال له هات أجرة الخان فاعطاه قاسم الحديد فاخذه إلى صاحب الخان وهو وزير الملك فاعطاه عشرة آلاف دينار وغاب قليلا وطلب أجرة الخان فاعطاه مانع السلاح وبعدها أعطاه الشربوش فاخذه وقدمه للوزير فرآه كما ذكرنا باربعة عشر صفا جوهر فقال له يا بولص من أين أتى لك هذا فقال غندار ضعيف ويكره يتمنتع ومعه غير هذا كان فاعطاه مائة ألف دينار فاخذها وعاد إلى الملك عرنوس وقال له بعت القلنسوة بخمسة اشكرنى فقال له الملك عرنوس خذها فى أجرة الخان فغاب خمسة أيام وقال له هات أجرة الخان فاعطاه الشلتين الكنوزى فاخذها وأتى إلى الوزير فاخذها وأعطاه مائة ألف دينار وكتب له الخان ملك وعاد فرحان ودخل على الملك عرنوس فقال له بعت شابلتك بخمسة درقانة فقال له خذها فى أجرة الخان فغاب عنه خمسة أيام وقال له هات أجرة الخان فقال له ما بقى عندى شىء أعطيكه فقال الخانجى وأنا بلا اجرة ما اخليك ثم حمله على يديه وأتى به إلى زربون الخان ورماه فنزل عرنوس يبرى وكان جماعة تجار واقفين فالتقوه على أيديهم وقالوا له يا بولص لم تفعل ذلك بهذا الرجل الغريب فقال لا أحد يتكلم ولا يسكن فى خانى أحد إلا بالاجرة وهذا ما معه شىء كيف أسكنه بلا شىء فاخذه واحد وطلع به إلى قدام الخان ووضعه على مصطبة فقال الخانجى خذ عفشه ورمى لهم الحصيرة التى كان ينام عليها فافردوها ونوموا عرنوسا

عليها وتركوه وحده فبقى سكرانا لم يدر الطول من العرض ولا السماء من الارض إلى وقت الظهر حتى هجر الهجير واشتد الحر والزمهرير وإذ بالدنيا اشرقت بالأنوار وأقبل من سيد الاخيار فنظر إلى عرنوس ويده ممدودة إلى جهة الطريق فظن أنه شحات فاعطاه فى يده دينارا ذهب وسار فانقلبت يد عرنوس إلى الارض وسقط منها الدينار هذا والملك عرنوس سكران ولم يعلم بما جرى وكان وإذا بالفلك نقط فالقى الله النوم على الكفار وأقبل واحد من وسط البلد وهو يقول يا حليم يا ستار

إن فى الناس من نجا　　فى رضى صاحب النجا
وانكشف عنه الحجاب　　ونظر كلما ارتجا
ليتنى كنت منهمو　　كنت منهم معرجا
يا إلهى وسيدى　　إننى أطلب الرجا
بعد ضيق وشدة　　يا إلهى تفرجا
وتكون سفرة الهنا　　واحرا إلى مبرجا

ثم إن ذلك الاستاذ أقبل إلى الملك عرنوس وقال له يا ولدى أنت الجانى على نفسك بمخالفة أبيك قطب الشهداء المقدم معروف بن جمر شهيد باب التدرين وهو باب حلب المسمى باب أنطاكية الذى حمى الباب فى حياته وبعد مماته وهذه من بعض كرامات الشهداء والله يا عرنوس لولا دعاء أبيك لك بالالطاف لحصل لك غير هذا فرميتك على قارعة الطريق ها أنت فيها والصدقة التى لا تنفدك أخذتها ووقعت منك وأخذها غير مسلم يستحقها وأما الصدقة التى تنفعك فانا اعطيها لك لأجل إنفاق دعوة أبيك واعلم انك ما اخذت الصدقة من رجل دون الناس ولا أخذتها إلا من عبد الله المغاورى شريف علوى وأما الصدقة فما شىء مثلها فى الدنيا لأنها ثمرة من ثمار الجنة ثم إنه أعطاه تلك الثمرة وغطس [رأسه] عرنوس [illegible] بالثمرة فى يده فجذب يده إلى عند فمه واخذ الثمرة فاستحلاها فصار يمضغها حتى أنه أكلها فلما استقرت فى جوفه أدركه الاسهال كان آخر النهار ولم [illegible] أن يقوم من مكانه فنجس غمه ودام كذلك حتى كان فى ثلث الليل فنزلت حرمة [illegible] على كتفها وطلعت به إلى بيتها وقلعته ثيابه التى عليه والبسته غيرها وقالت له انت اسمك الملك عرنوس

فقال لها نعم ولكن كل بصرت [illegible] فقالت له لا تخف فان الله قد أشفق [illegible] يا سيدى أنى أنا زوجة ذلك الخارجى الذى كنت عنده واصلحك بعد ما

أخذ ثيابك وسلاحك وشربوشك وحصانك وأنا في هذه الساعة جاءني رجل اختيار وقال لي يامريم انت من أهل السعادة اسلمي وقومي فانزلي إلى ولدي الملك عرنوس وارفعي عنه هذه الثياب متى تنجست واغسليها له فانه غريب ولا له من يعوله وضعيف فاسلمت يا سيدي على يديه ونزلت كما أمرني اليك وهاءنا أجدد إسلامي عليك أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح الملك عرنوس وقال لها بقي يجب عليك أن تمتنعي عن ذلك الكافر فقالت ياسيدي هذا لم يجامع إلا الاولاد الذكور كان أصله من قوم لوط ثم انها قامت وكان عندها فراخ فمسكت اثنين وذبحتهما وسوتهما طعاما وسقته من مرقهما وأطعمته من لحمهما ودامت تمازجه حتى انشق ذيل الدجى وبدى الصباح مبتلجا فخملته ووضعته في مكانه إلى الليلة الثانية ففعلت معه كذلك وهكذا سبعة ايام حتى أن الملك عرنوسا في الليلة السابعة أكل فرختين مع رغيفين وبقي يفهم الخطاب ويقدر على رد الجواب

[ولما] كان اليوم الثامن وإذا في أسواق البلد بمنادي ينادي يامعاشر النصرانية اعلموا أن الملكة مريم بنت الرين خارجة من سرايتها قاصدة للبستان فلا أحد يقف في السوق حتى تفوت الملكة وكل من وقف لها ورآها ورأته يكون بقطع رقبته وهذا يكون من بكرة أول النهار وكل من ظهر فجزاؤه إلا المنشار ولما كان ثاني الايام قفلت جميع الأماكن وتوارى جميع الناس ولم يبق في الاسواق رجل ذكر أبدا دائما وعرنوس راقد على تلك المصطبة ولم يعلم بذلك الحال ولما كان ضحى النهار أقبل الموكب بالملكة مريم يقدمه مقدار أربعين راهبا وبعدهم أربعين راهبة وبعدهن بنات جمالات مثل الأقمار وبعدهن تخت مجرور على أربعة خيول ضمائن وهو من العاج الهندي مصفح بالواح الذهب ولما وصل التخت إلى قدام الملك عرنوس وهو راقد كما ذكرنا فتقدمت واحدة من العجائز الاربعة اللاتي حول التخت وقالت له ماسمعت المنادية يا كناس حتى اقمت في مطرحك لتنظر بنت الرين وهي سائرة إلى البستان

ثم ضربته شاحوطا ولاد كان في يدها على صدره فقال عرنوس آه يامعلونة أنا في جسم يلقى هذه الضربة فبكت فنظرت الملكة مريم إلى ما فعلت العجوز فنزلت من التخت كانها قضيب بان أو غزال عطشان وتقدمت إلى الملك عرنوس ووضعت يدها عليه وقالت للعجوز مال أخذ في حاجة هذا المسكين حتى ضربتيه وأردتي أن تقتليه ثم انها وضعت يدها على عاتقه أخرى من القضاء والقدر ضربت تلك العجوزة في وسط رأسها فشقتها إلى دكة لباسها فوقعت لقتين وعجل الله بروحها إلى النار وبئس القرار كل هذا يجري

والملك عرنوس ينظر ويرى وقد رشقت فؤاده من لحاظها بنبال وانتقل من حال إلى حال وتمكن منه الهوى والبلبال فنزل من على المصطبة التى كان عليها وسار يزحف على الارض تابعا إلى أثرها وما زال يزحف من مكان إلى مكان حتى وصل إلى باب البستان وقعد ينتظر ما يفعله الملك الديان وكانت الملكة جالسة فى القصر بين خدامها فنظرت الى الملك عرنوس وقد أتى الى عند بستانها فظنت انه جيعان أو اتى يطلب احسان فأمرت بدجاجة رومى تذبح وتشوى ففعلوا لها الخدم ما أمرت به ولما احضروها بين يديها وضعت فى قلبها مائة دينار وامرت جارية أن تأخذها وتعطيها له فاخذها وفتحها ونظر إلى ما فيها فأكل منها ونظر إلى الدنانير فلم يعبأ بها بل تركها فى قلبها ولم يأخذها وبقيت الدجاجة بجنبه باقية فأرسلت الملكة مريم واحضرته إلى عندها وقالت له انت من اى البلاد فقال لها أنا من مدينة البرتقان وكنت بوابا على سراية الملكة شمس بنت البيب مغلوين فقالت له وأنا اريد ان اجعلك بوابا لسرايتى وتقيم فى خدمتى فقعد فى الباب ثلاثة ايام الى ليلة سمعته غنى بالرومى فسلب عقلها حبه وقالت ما هذا بواب واحضرته فقالت له اصدقنى فى المقال اى شىء صنعتك عند بنت البيب مغلوين فقال كنت نديما عندها انظم صحبة المدام بين يديها واغنى بالرومى لها فقالت له لا اصدقك حتى انظر صنعتك ثم انها احضرت صحبة المدام فقالت فرجنى كيف تنظمها فصفف الكاسات والكراني والطاسات كل واحد مكانه وكان الملك عرنوس له فى هذه المرتبة اعمالا فى غاية الاتقان . فلما نظرت الملكة مريم ما فعل الملك عرنوس فى تصفيف الكاسات قالت له ياغدار انت لك علم بحالة البيبار ومجالس العقار ثم انها اجلسته وجلست بجانبه وقالت له دير المدام واسقينى فقال مرحبا وصار يملأ ويسقيها حتى اخذت من الخمرة حظها وقالت له ما اسقيك انا حتى تتعلم ادارة البيبار ثم انها ملأت الكاس وناولت عرنوسا فأيقن ان الزمان اعتدل اليه والشقاوة محيت من عليه ففرح وزاد به الطرب والملكة مريم تملأ الكاس وهو يشرب حتى لعب به الطرب فميل القلنسوة وعلى راسه وصاح دوس ترو فى الملك سيف الدين عرنوس فقالت الملكة مريم اخرس يا كناس اى شىء اوصلك ان تذكر اسم محبوبى فقال لها ومن هو محبوبك الذى تذكريه فقالت الديابرو عرنوس فقال لها ومن اين تعرفيه فقالت انا أعرفه وعنـــدى صورته فقال لها ان صدقت اى فانا عرنوس فقالت له انا اقوم واجىء لك بصورته فان كانت مثالك صدقتك وإلا اسألك ما سبب مجيئك الى هذه البلاد وان كانت غير

صورتك قطعت رقبتك فقال عرنوس لكن قبل ذلك أريد أن ادخل الحمام والبس
ملابس عظام حتى يثبت لك صدق الكلام إذا رأيتى البرهان فأدخلته الحمام والبسته
أحسن الملابس وأحضرته إلى بين يديها وأحضرت الصورة التى عندها وتأملت فى
وجهه وفى الصورة فقالت كأنك أنت الدبابرو عرنوس ثم انها رفصت الصورة
برجلها وقامت إلى عرنوس وضمته إلى صدرها وسألته عن سبب قدومه لتلك البلاد
فانك أنت القصد ومنية الفؤاد فقال لها أنا أحكى لك حتى تحكى لى أنت على سبب
تصوير هذه الصورة فقالت له اعلم أنى كنت يوما من الايام فى الحمام فقلت للوزير
بتاعى هل تعلم أحدا أجمل منى فسكت فقلت له تكلم فقال لى أما فى النساء ما أعلم
احدا اجمل منك وأما فى الرجال يوجد فقلت له من فى الرجال حوى ذلك الجمال
فقال غلام أصله من اولاد النصارى والآن صار مسلما وهو الدبابرو عرنوس
الذى ارباه كنيار القيطلانى وبعده أخذه البب مغلوين وبعد ذلك أخذه المسلمون
فقالت له وأنا سمعت عنه انه جميل وأريد منك أنك تأخذ معك جلدين أو ثلاثة
جلود الغزال وتسير من هنا إلى بلاد المسلمين فاذا وصلت إلى مدينة الرخام فاعمل
لى صورته وهو قاعد على كرسيه يتعاطى الاحكام وكذلك تعمل لى صورته إذا
قعد على صحبة المدام وتصوره صورته هكذا بالتمام وكذلك لما يركب الحصان تصور
لى صورته عيان ولك على كل صورة الف دينار ولك أيضا مصروفك عشرة آلاف دينار
وأنت تسافر على ذلك الحال وجميع مايلزم بيتك على بالتمام والكمال فأخذ ما قالت له
عليه وأخذ الاموال وسافر وغاب سنة كاملة وأتانى بتلك الصورة فأريتها لابوى
فتعجبا وأمر أبى أهل البلد انهم يصنعون مثلها يعلقونها فى أماكنهم وكانت بلدنا هذه
اسمها مدينة الحجر فسميت مدينة التصاوير وهذا أصل حكايتى فاحك لى أنت على سبب
قدومك إلى هذا المكان وما الذى جاء بك إلى هذه الاراضى والبلدان فحكى لها
الملك عرنوس على سبب موت أبيه وقدومه إلى جبال الكبريت وعطشه ودخوله
الخان والضعف الذى حصل له والمشقة وما قاساه فلما سمعت كلامه تعجبت وقالت
له أما المتاع والفلوس والسلاح الذى أخذه منك الناجى فانى آخذه من الوزير
واعلم أن أباه نصرانى لا يتحول عن الانصاف فقم الآن وامض اليه واحك له عن
ظلومتك فانه يخلص لك حقك من الوزير ولا يبالى بكبير ولا صغير وهذا باب السر
فادخل منه إلى الديوان ولا تخف من الزمان فقام الملك عرنوس ودخل من باب
السر فوجد نفسه فى وسط الديوان صاحب حكوم الباب فقال له البب عبدالصليب من

الذى ظالك باغندار فقال هذا الوزير ظالنى فقال الوزير قم يا وزير اقف معه حتى أكشف ظلومته فقام الوزير ووقف جنب الملك عرنوس بابب الشربوش الذى لبسه الوزير بتاعى فقال اقلع ياوزير الشربوش حتى أحكم عليه فقلعه الوزير فقال البب عبد الصليب هل لك شىء آخر فقال والشايتين بتاعى وهذا الحسام والترس وذلك الجواد الذى واقف فى الديوان فقال البب عبد الصليب انت من أين اخذتها ياوزير فقال الوزير أتانى بها الخانجى فقال عرنوس وأنا كنت ضعيفا عند الخانجى وهو أخذ كل حاجتى وقدمها اليك وأنا أعطيك دلائل وبراهين على حوائجى فقال البب عبد الصليب أى شىء البراهين فقال عرنوس يابب اسأل الوزير هذا الشربوش فيه علائم يعرفها الوزير أى شىء العلائم فقال انا ما اعرفه إلا شربوش فقال عرنوس إذا كان فيه علائم غير ذلك يكون بتاعى فقال البب عبد الصليب نعم فدور لولبه عرنوس فخرج تاج لبس ملوك العجم فقال عبد الصليب هذا بتاعك وفعل بالشايات مثل ما فعل بالشربوش وبعده وضع السيف والترس على ظهر الحصان وقال يابب الحصان يعرف حس صاحبه فاذا نادى عليه وراح له يأخذه وإذا لم يرح عنده أنده عليه انا فقال الوزير طيب ورضى بذلك الشرط ووقف على سلم الركوب وصاح تعال ياحصان فلم يأته كرر النداء عليه ياحصان يا كحيل يا أحديش فلم يرد الحصان حتى غلب وقال لعرنوس اطلبه انت فصاح عرنوس يا ذات النسور فتمطى فى الشباحات وقطعها وخلص نفسه وأتى إلى عند السلم فاخذ عرنوس قاسم الحديد وتقلد به وكذلك ترسه مانع السلاح وهمز على ظهر الحصان فاغتاظ الوزير فلما أراد ان يسير عرنوس وإذا بالوزير مسكه وقال هذا حصان دفعت فيه أموالى وهذه ثيابى وسلاحى كلها اشتريتها بمالى فشد فى ديل ذات النسور فضربته برجلها فحكمت الضربة فى جبهته فانفلقت فكته ومات من ساعته ووقته فاراد الملك عرنوس أن ينزل من الديوان فناداه البب عبد الصليب ياغندار الوزير مات وأنا أبقى بلا وزير اقعد عندى أجعلك وزير مملكتى حتى أقاسمك فى نعمتى وأزوجك ابنتى فعاد عرنوس فارسل عبد الصليب إلى بنته وأعلمها أنه يريد أن يزوجها فرضيت بذلك فاحضر البترك كال الاكاليل وعمل له البب عبد الصليب فرحا ثلاثة أيام وليلة الدخلة عرنوس وأعلمها أنه مسلم فاسلمت على يديه وزال بكارتها بعد النكاح وأقام الملك عرنوس فى تلك المدينة [illegible] وزير عبد الصليب فى الديوان بالنهار وبالليل يكون عند الملكة [illegible] مدة أيام الى يوم [illegible] ركب مغاربة نحو خمسمائة [illegible] فارس جبيل [illegible] وكان هذا بتمال [illegible] الوزير

سبع الاندلسى وزير مولانا محمد ملك مدينة مراكش الغرب وكان مولانا محمد هذا له
خراج على هذه المدينة فى كل عام فارسل سبع الاندلسى يقبض الخراج اليه ويقدمه بين يديه
فلما حضر فى هذه النوبة قعد بعسكره فى البر وأرسل نجابا من طرفه إلى
عبد الصليب

فلما وصل إلى عبد الصليب النجاب أخذ الملك عرنوس الكتاب وقراه وإذا فيه
من حضرة الوزير سبع الاندلسى إلى عبد الصليب ملك أرض الجهجير ما أنا حضرته
من طرف مولانا محمد طالب منك الخراج فاحضر لى الاموال حتى اسير فانى على عجل
والسلام على النبى المظلل بالغمام فلما قراه عرنوس كتب اليه يقول كانت هذه البلاد أولا
بلا حامى وأما فى هذه الايام جد فى هذه المدينة حامى يحميها وسبع يضرب عليها فامض
من حيث أتيت ولا تكن من ظالم وتعديت وإن أردت أن تأخذ الخراج بالحسام
الفصال فدونك والحرب والقتال ثم أعطى الكتاب لحامله فعاد النجاب إلى الوزير سبع
الاندلسى وأراه رد الجواب فاغتاظ سبع الاندلسى وركب وقال ميدان يا أولاد
الكفار لا يبرز لى إلا السبع الحاميها فما تم كلامه حتى صار الملك عرنوس قدامه وقال
له دونك والقتال أن كنت من الابطال فانطبق الاثنان على بعض ودوت اصواتهما مثل
الرعد وخرجا من الهزل إلى الجد فنظر الملك عرنوس إلى سبع الاندلسى فلقاه فارسا
شديدا والوصول اليه بعيد فخاف على نفسه أن ينظره عبد الصليب بعين النقصان فمال
على خصمه بكليته وضايقه فى حملته وقبض على خناقه وعصر عليه حتى أراد أن يخرج مقلة
عينيه ورفعه على زنده وقال له أنت وزير وأنا وزير فلا يجوز أن تقتل وأنت خدام فارجع
إلى من ارسلك وقل له إن كان لك خراج خلصه بيدك فعاد سبع الاندلسى إلى بلاد
الغرب وأقام الملك عرنوس فى ملك الجهجير والبر الطويل يقع له كلام [أما] ما كان
من أمر الملك الظاهر فانه أتى النجاب من حلب ومعه كتاب يذكر فيه أن يوم تاريخ
الكتاب [illegible] إذا أتى علينا من البرغدارى اسمه المقدم اسماعيل أبو السباع ومعه
اتباع يزيد عن ثلاثة [illegible] من الفرس السجعان ومعه الف ومايتين سبع ولبوة قادما
بهم من البرارى و[illegible] فقابلناه بضرب المدافع من على الاسوار ومنعناه على قدر رمى
النار [illegible] حلب مثل الحصار فكل محاصر ماخوذ ومع ذلك انه
مؤمن ولكن [illegible] سباع تسقط الحبالى ويهلك الاولاد الرضع عند السماع
فكتبت لك [illegible] المنصور [illegible] وقد
[illegible] الامر [illegible] والسلام على

النبي البدر التمام فلما سمع السلطان ذلك الكتاب داخله الاعجاب وامر بتجهيز العساكر وسافر أرضا بعد ارض حتى حط على حلب واخذ الراحة ثلاثة أيام فكتب كتابا وأعطاه إلى المقدم إبراهيم فاخذه وسار وكان المقدم اسماعيل باله مع عرضى السلطان فنظر إلى ابراهيم وهو مقبل فسال رجاله عنه فاعلموه أن هذا ابراهيم بن حسن الحوراني ووصفوا له شجاعته فقام على حيله واحضر مائتى سبع وجعلها في الطريق على اليمين واليسار مقابلين بعضها وقال إن كان شجاعا يفوت من بينها فلما قدم ابراهيم ونظر إلى تلك الوحوش فصرخ بصوته الجهير وقال طريق يا خلق الله فاندارت الوحوش وأعطوه ظهورها فدخل إبراهيم من وسطها وسار حتى وقف قدام المقدم اسماعيل وصاح قاصد ورسول بالزوج البتول وابن عم الرسول الامام على بن أبي طالب فقال المقدم اسماعيل هات كتابك وخذ رد جوابك فقال إبراهيم لم لا تقوم على حيلك خذ كتاب السلطان بادب واقراه بادب وأعطى رد الجواب بادب فقام اسماعيل واخذ الكتاب وقرأه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى واطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعده فمن حضرة الملك الظاهر إلى المقدم اسماعيل بن المقدم جراى شيء اغراك حتى جمعت هذه الوحوش واتيت بها تحارب بنى آدم الاسلام مع انك الظاهر لنا اسلامك ولم نعلم الحاوقان أردت السلامة وإصلاح ما فسدت تاتى حالا إلى عندى أن كنت طالب سلطنة القلاعين اجعلك على شحية إن غلبته خذ السلطنة وإن غلبك طمه مثل غيرك وإن كنت طاغى باغى سيف السلطنة طويل وإن كنت اغتررت بهذه الوحوش فالنصر من عند الله وإن خالفت قولى سوف ترى ما يحل بك وبهؤلاء الوحوش الذين معك والسلام على نبي ظللت على رأسه الغمام فلما قرأ المقدم اسماعيل ذلك كتب رد الجواب بالحرب وعطاه للمقدم إبراهيم فقال المقدم إبراهيم هات حق الطريق فقال حق الطريق ما فرته فقال إبراهيم ولا لابى فاعطاه الف دينار واعتمد أن يخاصها منه والحرب وقال إلى الذين يخدمون السباع في هذه الليلة جوعوها حتى إذا اطلقناها بكره تبلغ بها قصدنا فاطاعوه ولما كان عند الصباح وجد وامائتى سبع ميتين فتعجبوا فاخبر المقدم اسماعيل بذلك فقال اى شيء جرى عليهم فقالوا ما نعلم فبطل ضرب ذلك اليوم ولما كان ثانى الايام اعلموه بان في هذه الليلة مات مائتى سبع ولبوة فاغتاظ وقال كا [illegible] [illegible] الثالثة والرابعة كذلك فنظر الى الالف ومائتين فرجد [illegible] [illegible] [illegible] فقال [illegible] هذا عمل شيحة ما هى مروءة لانى [illegible] اطالب السلطنة

منه رأى شيء ذنب اولادى السباع حتى قتلها فان كان شاطر ما يأتى الا لى انا فما تمم كلامه حتى وقع فى العرضى ضجة فسأل اسماعيل ما الخبر فقالوا له يا خوند قدم علينا عدس تابع من أتباع المقدم جمر أبو معروف وزمن فى العمر ولكنه مبرك ويحب العدس فاذا دخل قلعة لا يأكل فيها الا العدس فلما كان ذلك اليوم وعلم اسماعيل ابو السباع قال الرجال لعله يدخل عندنا ويبارك لنا فى أشغالنا وينصرنا على أعدائنا فبقوا منتظرين اليه حتى قدم عليه فالتقاه المقدم اسماعيل وسلم عليه وقبل يده وأدخله الى مكانه وامر بطبيخ العدس من أجله فصار كل الطباخين يطبخون العدس والشيخ عدس يقول عدس فقال المقدم اسماعيل خذوه الى المطبخ حتى ينظر العدس فادخلوه فى المطبخ فصار يضع يده فى قلب القزان وهو يغلى ويقلبه حتى قلب جميع القدور التى فى العرضى ولما كان عند المغرب أكلوا الجميع ولم يبق أحد الا وأكل من العدس أرادوا أن يقوموا لصلاة العشاء فلم يجدوا لهم مقدرة وحمد العرضى من أوله الى آخره وطلع الشيخ عدس الى السلطان وأعلمه بما جرى وذبح بقية السباع وكان هذا المقدم جمال الدين فقام الرجال وقبضوا على تراع المقدم اسماعيل أبو السباع واحضروه قدام السلطان وفيقوه من نومه فقال اسماعيل أى شيء هذا فقال له شيحة ما تستحق يا مقدم اسماعيل جئت بوحوش تحارب الاسلام أنت مقامك تكتف مثل الاولاد الجهال أى شيء أغراك على تلك الفعال فقال المقدم اسماعيل ما ظلمت ولا تعديت حتى قتلت أولادى وانت يا حاج شيحة كتفتنى ثم أتيت بى الى قدام ملك الدولة مع أنى لا أنا عاصى عليك ولا على الملك الظاهر انا قاتل درويش درويشين اى القلاع سلطانين الله ميل قلب سلطاننا ملك الدولة الملك الظاهر وهى طاعة الخوند الى المقدم معروف جمال الدين سلطان القلاعين والحصونين وهاك سلاحى اكتب اسمك فأنا لست بعاص عليك فان المقدم من قدمه الله وانما اذا كان اخى معروف مات فانا وارثه فكيف ان ابراهيم بن حسن يأخذ شاكريته ذو الحيات مع أنى أخوه موجود على وجه الارض فقال ابراهيم بن حسن أى شيء هذا الكلام تبقى ركبتك هذه على شاكرية أخيك كنت أول تقول لى هاتها لما أقصر معك خاصم ليها خذ يا خوند هذه الشاكرية فأعطاها له ابراهيم ثم قال له يا مقدم اسماعيل لا تقل انك أخذتها فى مجالس وتقول أنك ترجع تعطيها لى والاسم الاعظم لم قبلها منك الا اذا سقت على ملك الاسلام والحاج شيحة وتعطينى الف قبرصى فقال اسماعيل لما أرجعها لك تبقى تفعل دعى خلاصك واصطلح الى ذلك ورضى اسماعيل أبو السباع الى عرضيه وبات الملك تلك الليلة وهو فرحان بالصلح وعدم

المشاققة لان المقدم اسماعيل من الاشراف وحرب الاشراف حرام ولما كان عند الصباح وأراد السلطان ان يأمر العرضى بالرحيل الى مصر واذا بالمقدم اسماعيل أبو السباع مقبل وهو ماشى على قدميه فدخل على السلطان وقبل يديه وقال ياملك الاسلام انانى عرضك تكون سياقا أنت والحاج شيحة الى المقدم ابراهيم بن حسن ان يقبل منى حق الحيات شاكرية أخى معروف فقال ابراهيم السلاح كثير أنا لاأقبلها ولاأريدها الله يملاها لك بركة فقال المقدم اسماعيل كفر يمينك يامقدم ابراهيم وأعطيك ألف دينار وقال هذه اجرة بياتها عندى فى هذه الليلة فقبضها ابراهيم وقعد اسماعيل أبو السباع بعد ماأمره السلطان بالجلوس وقال ياملكنا اريد اسألك معروف أخى كان له ولد فقال له السلطان آه فكرتنى يامقدم اسماعيل فى أخيك وفى ابن أخيك ثم حكى له الملك عرنوس وما كان منه ثم قال له السلطان ان كل هذه المدة مارأيت أخيك ولاولده فقال المقدم اسماعيل يادولتلى أما الماغاب أخى اقمت فى الاجج عشرين سنة وعند عودتى حملت شغلى كيس الغابات والاجات على السباع والنبوات حتى جمعت هؤلاء الالف والمائتين من الوحوش وبعده أردت ان ادخل حصن صهيول فعلمت ان أخى على حلب فاتيت اليه لاساعده فرأيته قدمات فاردت ان آخذ الشاكرية فماأمكننى فاخذت الحجرة وعدت الى الحصن وبعد ذلك بلغنى ان المقدم ابراهيم أخذ الشاكرية فاتيت أطلبها وجرى ماجرى وأخذتها فقمت فى هذه الليلة فرأيت أخى المقدم معروف وهو يقول لى يامقدم اسماعيل ياأخى انا شاكريتى الى ابراهيم هدية منى اليه وأنا على دكة المغسل وانت أتيت واخذتها منه بغير حق والاسم الاعظم ان باتت عندك الليلة القابلة لاقطع بها رقبتك بدال ماجمعت الجوع ياكلب الرجال وأنت تقاتل ملك الاسلام دور على ابن أخيك عرنوس الذى غاب فى بلاد الكفر غريب وحيد ماله نصير ولامعين

فلما رأيت ذلك ماصدقت بالصباح حتى اتيت اليك وقضيت هذه الرؤيا عليك وأنا ياملكنا اريد ان اتجرد الى السفر وأفتش على ابن أخى

فقال السلطان والله يامقدم اسماعيل ان أردت ذلك فانا كان ادور معك عليه فانى إما الاقيه وأعود به واما ان يفعل الله مايريد

فقال ابراهيم وأنا وسعد كان معكم

فقال السلطان نحن الاربعة فقط لكن نجعل واحدا يتولى مصروفنا فقال ابراهيم انا انزل المصروف فعنده أمر السلطان الوزير شاهين ان يسافر بالعساكر الى مصر وان الملك محمد السعيد يكون نائبى عن المملكة فسافر الوزير كما أمره السلطان ورحمنى

إلى مصر وسلم الكتاب الملك محمد السعيد فأجاب بالسمع والطاعة وأقام على تخت مصر
وأما السلطان فانه أخذ المقدم إبراهيم وسعد وإسماعيل أبو السباع وداروا يفتشون
على الملك عرنوس والتزم المقدم إبراهيم بمصر وفهم كما قدمنا وساروا كلما وقفوا على
بلد يستنشقوا الأخبار على الملك عرنوس ويقومون بها مدة أيام إلى يوم من الأيام
دخلوا مدينة فى أواخر بلاد الروم فراح إبراهيم على جرى العادة يأتيهم بطعام فرأى
كل فيها من الطعام غالى فأخذ على قدر مؤونة ماتلك الليلة فقط وقال لابد فى غداة غد
يكون قدامنا رخصا فى الأكل فى بلد غير هذه البلدة وثانى الأيام ساروا إلى أن أضحى
النهار فلم يجدوا بلادا إلا الخلا والجبال ولما تضاحى النهار قال السلطان اقعدوا بنا
حتى تفطروا وبعده تسافروا فقال إبراهيم والله يا ملكنا ما معنا شىء من الطعام
أبدا فقال السلطان لأى شىء فقال ابراهيم البلد الذى كنا فيها غالية الاسعار وقلت فى
نفسى لابد قدامنا من بلد تكون رخيصة الاسعار فيا نحن سافرنا وما لقينا أبدا فقال
الملك كانك على غلو الطعام أبطلت عنا الأكل فقال إبراهيم يا ملكنا سيروا لعلنا
نجد بلدا فسار السلطان مغتاظ من ابراهيم وقال له والله يا خائن لولا اننا مع بعضنا
فى الغربة لقطعت راسك اذا بلغ ثمن الرغيف الواحد أربع جدد فيا يمكن الانسان ان
يقعد بغير أكل وقضوا نهارهم وليلتهم بالجوع وثانى الايام أكلوا من نبات الأرض
هم وخيولهم وثالث يوم قال الملك ياسعد اطلع على هذا الجبل واكشف لنا مدينة
نقصدها قبل أن تعدموا فى هذا البر من الجوع فجرى سعد حتى طلع الجبل العالى
فرأى صومعة وفيها رجل اختيار . فلما رآه سلم عليه وحكى له سعد على السلطان وما
فعل إبراهيم معه من عدم الأكل والجوع الحاصل فقال له إبراهيم ياسعد ياطماع اقعد
لما أغديك ثم ان ذلك الشيخ اطلع قدحا من خشب الجميز وقال له امتلىء بقدرة الله
عيشا مبسوسا بالسمن والعسل النحل فامتلأ ذلك القدح فقال سعد ياسيدى اعمل معنا
جميلا واعطنى هذا القدح حتى أطعم أصحابى منه لأنى اذا أكلت أنا وأصحابى جياعا
حرام على فقال الشيخ خذه يا سعد وكلما تجوعوا اطلبوا منه ما تشتهون ولكن حاذر
من ابراهيم فانه يفسده عليكم فعند ذلك أخذ سعد القدح ونزل به فرحانا حتى أقبل
على السلطان وبيده القدح بالبسيسة ملآن فقال هيا تفضلوا فأكلوا حتى اكتفوا
فقال سعد كان أجىء لكم بالطعام فقال الملك ومن أين تجىء به فحكى للسلطان على
القدح ثم انهم طلبوا الماء وشربوا فقال الملك هيا اركبوا فركبوا وساروا يقطعون
فى يوما كاملا وبدوا آخر النهار فطلب سعد من القدح بسيسة فأكلوا حتى

اكتفوا فلما أدركهم النوم خطر على المقدم إبراهيم المدام فسرق القدح وطلب منه ذلك فارتفع من بين يديه . ولما كان عند الصباح فتشوا على القدح فلم يجدوه فقال سعد والله ما هرب القدح إلا إبراهيم فقال الملك وسبب بلانا كله ابراهيم فقال له إبراهيم أنا أطلع أدور كما دور سعد ثم ان المقدم ابراهيم طلع الى جبل عالى فرأى خلف الجبل بوارق اسلامية وعساكر بكثرة فراح إلى عندهم وسأل عنهم فاعلموه بأن هذا يا مولانا محمد صاحب مراكش الغرب مسافر للجهاد فقال ابراهيم وأين صيوانه الذى هو مقيم به فدلوه عليه فتقدم ابراهيم اليه وقال له يامالك الجهاد يحتاج الى عساكر بكثرة وأنت ما تكتسب معك عساكر فقال مولاى محمد وأين العساكر فقال أنا ومعى برفقتى ثلاثة فقال هاتهم نكتبهم فقال ابراهيم كم تعطى كل واحد فى الشهر فقال كل واحد مائة دينار ان كانوا مثلك فقال كلهم أحسن منى قال مولاى محمد هاتهم فقال ابراهيم هات عشر مواجب لقدام قال لا يا ولدى ما نعطى شيئا لقدام فتحايل عليه ابراهيم حتى خلص منه مواجب لكن بالضامن وعاد ابراهيم الى السلطان فقال يا مولانا اعطينا الامان حتى اعلمك فقال الملك عليك الامان فقال يادولتلى طال علينا المطال وهذه جبال ورمال فرأيت أحد ملوك المغرب متوجها بالجهاد فخدمتكم عنده تأكلون وتشربون ولما نصل الى بلد عمار نتركه فقال السلطان وكيف خدمتنا فقال ابراهيم وقبضت المواجب الكل واحد مائة دينار فقال الملك مواجب انا الله يسامحك فيه فقال اسماعيل وأنا كذلك قال سعد هات حقى فقال ابراهيم لاى شىء أنا رابح فنشترى به ما تاكلوا وتشربوا لما تريد أن تحلق رأسك فأنا أحلقه لك وان ذابت ثيابك اشترى لك عوضها والدنيا ما ابن خالتى فانية ثم ان ابراهيم اخذهم الى العرضى فسلم عليهم مولاى محمد فسأله السلطان عن سفره فقال ياولدى ان لى على ملك الجهجير خراجا كل عام وفى هذا العام تأخر عن وروده الى فركبت اغزى عليه ثم انهم ساروا أياما قلائل حتى نزلوا على مدينة الجهجير فكتب الملك على لسان مولاى محمد كتابا وختمه منه فقال اكون أنا النجاب فقال ابراهيم هذه مرتبتى فقال الملك وانا اخذتها منك ثم ان السلطان سار حتى دخل على عبد الصليب فأمره أن يقوم فقام وأخذ الكتاب وقرأه واذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة مولاى محمد صاحب مملكة مراكش الغرب الى عبد الصليب صاحب الجهجير اعلمنا بالسبع الذى حمى بلادك منا وما اسمه ودونك والقتال فان أردت أن تحمى نفسك فاقبض عليه وهاته ومعه مفاتيح بلدك فان قتلته يكون جزاءك وان عفوت عنك يكون فضلا منى

وأحاسبك على ما تكلفت به الركبة وأبايعك تمسك بالمال فان امتثلت كان الحظ الأوفر
وان خالفت أبشر بفناك وقطع رجاك والسيف أصدق أنباء من الكتب وحامل الأحرف
كفاية كل خير والسلام فارسل عبد الصليب وأحضر الملك عرنوس سرا وأخبره
وأطلعه على الكتاب فعرف عرنوس خط السلطان فاستحى أن يظهر وكتب له رد
الجواب وقال له اعطه الف درقانه حق طرقه وبكره أنا أنزل إلى الميدان فطلع عبد
الصليب وأعطى السلطان كتابه وأعطاه رد الجواب وأعطاه الف دينار حق الطريق
وعاد الملك الظاهر فالتقاه المقدم ابراهيم وقال له يا مولانا حق الطريق لى أنا فاعطاه
السلطان الألف دينار وأعطى رد الجواب لمولاى محمد فافرده فوجد فيه إلى حضرة
مولاى محمد أما الجزية لك صحيح غير أن فى هذا العام أريد منكم أن تكرموا بها المقيم
عندنا فانه من أمثالكم ويلزمكم إكرامه للقرابة وان أبيتم ذلك فالحرب بينكم قريب وان
أردت أن تعرف اسمه فأوله عين وآخره ص وهذا ما عندنا وقد أعلمناك وأنت وشأنك
أخبر فلما قرأ مولاى رد الجواب انشغل آماله وقال السلطان ياولدى أى شىء هو هذا
الكلام فقال له الملك أما ما قرأت الجواب اعلمنى على ما فيه فاطلعه عليه فقرأه السلطان
وسمع المقدم ابراهيم الكلام فقال ابراهيم يا سعد انظر :

قال للعزول المستهزىء   بكره تواصل من تعشق
صادقت حبى واصلنى   جاء الفال يؤكد بالمنطق

والله ياسعد ما حى هذه البلد إلا عرنوسا وسفرتنا هذه مباركة [وأما] مولاى محمد
فقال ما هذا الاسم إلا اسمه عرص والعرص ملعون كيف تكرم البلد من أجله
وشرمط الكتاب ورماه وأمر بدق الطبول حربى فجاوبته طبول المدينة وأما عرنوس
فامر عبد الصليب أن يخرج العرضى إلى خارج البلد حتى يكون الحرب مقابله وما طلع النهار
إلا والعساكر قبالة بعضهم صفوفا فاول ما برز إلى الميدان كان الملك الظاهر فصال
وجال ولعب بالقنطارية يمينا وشمالا فخرج عرنوس إلى مقابلة القتال فنظر المقدم ابراهيم
إلى ذات القسرر فدفع حجرته ونادى تادب يا عرنوس ما قدامك إلا السلطان بامالك
الاسلام هذا الملك عرنوس فعند ذلك ترجل الملك عرنوس من على ظهر الحصان
ومشى على قدميه وانكفى على ركاب السلطان يقبله فانحنى له السلطان وقبله فى وجهه
وأمره بالركوب فركب جواده فنظر مولاى محمد إلى ذلك الحال فخجل كيف أن الملك
الظاهر صحبته من جملة العساكر فقال فى نفسه والله ما غرنى إلا ذلك الرجل السمين فطلع
ماشيا على قدميه فتقدم إلى الظاهر وقبل ركابه فانحنى السلطان الظاهر عليه وقبله فى رأسه

وبين عينيه وأمره بالركوب فركب على ظهر حصانه وعادا إلى الصيوان وجلس الملك الظاهر فى الصدر والملك عرنوس على يمينه وأراد مولاى محمد أن يقف فى الخدمة فحلف عليه السلطان وامره بالجلوس فجلس وقال والله يا ملك الاسلام انى معذور فيما سبق منى بعدم معرفة قدرك والذى غرنى هو هذا خادمك المقدم ابراهيم فارجوا من جنابك ان تبسط لى العذر ولا تؤاخذنى فيما بدا منى فقال له السلطان يا مولاى محمد انت وانا كنا معذورين سواء لا انا عرفتك ولا انت عرفتنى فقال يا ملك الاسلام اعلم انى انا ابو قار اصلان الذى ارسلته اليك وصار فى حمايتك وانا وبلادى من رعيتك فقال الملك الظاهر ما ولدك إلا سبع الاسلام وهو اعز من اولادى فشكره مولاى محمد على مقالته وبعد ذلك حضر الطعام قدام الملك الظاهر وعرنوس واراد مولاى محمد ان يقف فى الخدمة فمنعه السلطان واجلسه معه الطعام ولما اكتفوا من الطعام وإذا بالبب عبد الصليب صاحب ملك الجهجير مقبل فتقدم إلى السلطان وقبل اذياله وبعده قبل اذيال مولاى محمد وقال يا ملك الاسلام أنتم تعارفتم مع بعضكم وان الملك عرنوس تزوج بنتى وعلمته انها قد اسلمت على يديه وانا اريد ان اكون مسلما على يده ولانا السلطان علمونى حتى اسلم فقال له السلطان ارفع يدك وقل كما قال فى المناجات يا معيد ويا مبدىء من العلم علمنى عسى يرتفع مجدى قال الله أيا موسى افضل ما يقول عبدى لا إله إلا الله خفيفة على اللسان محمد رسول الله بها يكمل الايمان

صابون القلوب التوحيد	يسعد من عليها توفى
كلمة فى الموازين ترجح	للالسن عليها خفى
لو لموا جميع الاعمال	فى كفة وهى فى كفه
والجبال وثقل الارضين	يا قوم ما يرجح إلا هى

وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله فعندها اسلم الملك عبد الصليب فقال له السلطان اتمنى

فقال الاسم الحسن واتمنى يا ملك الاسلام المساعدة على اهل بلادى الذى يسلم يكون معى والكافر اما ان يرحل عنى او اقتله فعندها نادى منادى من مولاى محمد إلى اهل ارض الملك عبد الصليب اعلموا ان ملككم اسلم فمن اراد ان يسلم فليقم معه ومن كان كافرا فليرتحل عنه فاسلم اهل البلد جميعا فقال له السلطان انت اسمك عبد الله حمى بلدك ومن حيث انك اسلمت فما عليك خراج بل تكون متولى على ما حولك من البلاد تجمع اموالها لمولاى محمد فقدم هدايات للسلطان وهدايات لمولاى محمد فقال له الملك عرنوس احفظ بنتك إلى ان ارسل لك باخذها فقال سمعا وطاعة وبعد ذلك حمل لهم

ضيافات ثلاثة أيام فطلب مولاى محمد الرحيل وكذلك السلطان والملك عرنوس قاصدين مدينة مراكش الغرب وسار السلطان معه والملك عرنوس مدة أيام حتى وصلوا إلى مدينة مراكش الغرب فضربت المدافع لقدوم مولاى محمد فامر بزينة البلد لقدوم ملك الاسلام وعمل لهم الضيافات والاقامات وفرح بهم فرحا شديدا إلى يوم من الأيام جالسين على الطعام فنظر الملك عرنوس إلى شباك وفيه صورة آدمية صاغها الله من صلصال وقال لها كونى فكانت فانبهر عرنوس فاخذ اللقمة وغلط فوضعها على صدره فنقد عليه مولاى محمد وقال له يا ملك عرنوس أنت نظرت إلى بنتى عزيزة فاشتغل بالك فابشر ولينشرح صدرك فانا زوجتها لك لتكون لك أهلا وتكون أنت لها بعلا فقال الملك عرنوس إذا كانت بنتك فانا جئتك خاطبا راغبا قابضا لك مهر بنتك التى ذكرتها الست عزيزة فعليك أن تقول وجب وعلى أنا أثاقلها لك بالذهب فقال مولاى محمد اهلا وسهلا نعم من خطب واجل من رغب وفى الحال حضر قاضى المدينة وكتب كتاب الملك عرنوس على الملكة عزيزة اخت الملك قرا اصلان المغربى وعمل مولاى محمد الافراح سبعة ايام وفى الليلة الثامنة دخل الملك عرنوس على زوجته فوجدها درة لم تثقب ومطية لم تركب تملى منها بالحسن والجمال والقد والبهاء والاعتدال وبعد ذلك اقام الملك الظاهر فى تلك المدينة سبعة ايام لأجل خاطر الملك عرنوس وفى ثانى الأيام اوصى الملك عرنوس مولاى محمد على زوجته فقال له ياسيدى إذا كانت زوجتك عندى على كل حال فلا ينقطع المراسلة منك ولا من ولدى وزوج ابنتى وبعد ذلك امر السلطان عرنوسا وعمه اسماعيل أبو السباع والمقدم ابراهيم والمقدم سعد الرحيل فقدم لهم مولاى محمد المماليك والخيول والأسلحة والهدايا شيء يكل عنه الوصف وسافر معهم للوداع يوما كاملا وبعده حلف عليه السلطان وامره بالعود الى بلده وسافر السلطان فصار يطوى الأرض والاكام حتى وصلوا الى مدينة الرخام فطلع الملك عرنوس الى مدينة الرخام فالتقاه وزيره الملك محمد لطفى وردنش فطلع المقدم نصر الحر وطلع اولاد ملوك البرتقان ولاقوا الملك الظاهر والملك عرنوس والمقدم اسماعيل ابو السباع وزينت مدينة الرخام لقدوم الحاضرين وضربت لهم المدافع وكان لدخولهم يوم مشهود وحضر المقدم جمال الدين شيحة وهناهم بالسلامة وقال للملك عرنوس اعلم يا ملك عرنوس أنك ما حلفت ان لا تقيم ببلاد الاسلام الا اذا كانت شيبة ابيك المقدم معروف معك فها هو المقدم إسماعيل ابو السباع خلقة ابيك بذاته ما فيه اختلاف فقال الملك عرنوس صدقت يا عمى فجعل المقدم اسماعيل على

يمينه والمقدم معروف على يساره [وأما] الملك الظاهر فانه لما استراح من تعب السفر قال للملك عرنوس ياولدى انا قصدى التوجه إلى مصر وها أنا اطمان قلبى عليك فشكره على حسن وداده وعلم انه صاحب مروءة وكرم وامتلأ قلب عرنوس بمحبة الملك الظاهر وركب لوداعه ثلاثة أيام وبعدها حلف عليه السلطان وأمره بالعود إلى مدينة الرخام فرجع وأما الملك الظاهر فانه سار يقطع الأرض ذات الطول والعرض حتى وصل إلى الاسكندرية فارسل بطاقة إلى مصر فزينت بغير مناداة ودخل إلى البلد فى موكب منعقد مثل العادة حتى وصل إلى قلعة الجبل فجلس على تخت مملكته ودارت بها أكابر دولته وقام يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الأشراف إلى يوم من الايام الملك جالس وإذا بباب الديوان إنفسد وابو على البراج طالع يقول سبحان هادى الطير فقال الملك سبحان عالم الغيب من أى الجهات يابراج قال البراج من الثغر السكندرى وقدم الطير فطلع من تحت جناحه حورة وفيها كتاب فافرده كاتب الديوان وإذا فيه

سلام يهدى وبالمسك يختم ... على جمع مابه الذكر يعلم

حوى كل سيد وابن سيد ... فصيح لبيب بالاشارة يفهم

من حضرة العبد الاصغر وعبدك الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب إلى بين أيادى سيد ملوك بنى آدم وظل الله فى العالم الذى نعلم به مولانا السلطان ان يوم تاريخ الكتاب ورد علينا غليون من مدينة برشنونة وفيه واحد وزير ومعه كتاب يريد القدوم إلى بين أيادى السيادة الملكية فابقيناه وحفظنا عليه فى المينة وأرسلنا نعلم مولانا السلطان فان أمرتنا بقدومه ارسلناه أو برجوعه رجعناه الامر أمرك أطال المولى عمرك والعمده على الختم حجة فيه والسلام فلما رأى السلطان الكتاب امتزج بالغضب فالتفت الى الوزير وقال له يعنى أى شيء قصد ملك مدينة برشنونة حتى يكاتبنى فقال الوزير يامولانا لايعلم الغيب الاالله فقال السلطان لا بدمن الحضور حتى انظر هذا الوزير فعنده أرسل الملك لباشة الاسكندرية ان يرسل ذلك الوزير فاجاب بالسمع والطاعه فطلع ذلك الوزير من البحر المالح فارسله الباشة إلى مصر ودخل على السلطان وقبل الأرض فامره الملك بحضور الكتاب فاطلع الكتاب وقدمه للسلطان واذا فيه أوله صليب وسفليه صليب وعلوانه صليب ونحن وأنتم توحد الملك القريب المجيب أما بعد فمن حضرة البب سيرون الراهب والملك مرتين الابرش الى بين أيادى ملك المسلمين اعلم ان القادم اليكم الوزير مرين تابعنا وصحبته خزنة من المال الف رمائى كيس كل كيس فيه الف دينار ذهب وذلك فى نظير ان

تأمرنا بالدخول الى كنيسة مريم التى بالشام ويكون دخولنا يوم الاحد فقيموا فى الكنيسة ثمانية ايام يعنى يكون الدخول يوم الاحد فى الصبح والخروج يوم الاحد الثانى فى العصر فاذا أمرت لنا بذلك دخلنا والخزنة قد أرسلناها اليكم صحبة الوزير واذا لم تأمرنا بالدخول مالنا تحكم على بلادك ولالنا دخول الابرضاك وأمرك وشكر يارب المسيح فعند ذلك أمر السلطان ان يكتب كتابا الى مقدمين الحصون ان يتقاسموا الارض ويصفوا رجالهم على الطريق ويكونون شاكين السلاح ميمنة وميسرة من طرابلس الى الشام وكتب كتابا الى باشة طرابلس لايفوت عليه الا بعدمقدار أربعين نفرا فقط يدخلون بعدد ويخرجون بعدد فان حصل خلاف ذلك فلا تردلهم جوابا وكتب لسيرون الراهب ومرتين الابرش بالقدوم والدخول الى كنيسة الست مريم حكم طلبهم وسلم الكتاب الوزير مرين وأمره بالسفر فلما جرى ذلك قال الوزير شاهين الافرم ياملك الاسلام على مدة مولانا السلطان الصالح جاءنا مثل ذاك الكتاب ورده الملك الصالح وكذلك مدة عيسى المعظم والصالح الصغير والاشراف المظفر وايبك التركمان وكل منهم رد ذاك الكتاب ولم يقبل من الملاعين أموالا ولا أذن لهم بالدخول وهاأنت يامولانا أمرت لهم بالدخول فقال السلطان لم تعلمنى فقال يامولانا انا القاطع على السلطان وارد كلامه فقال الملك وأى ضرر فيه ثم ان السلطان ترك كلام الوزير فلما كان فى بعض الليالى رأى السلطان فى المنام ان ثعبانا أتى اليه وأراد أن يتمكن منه فامتنع السلطان منه فظهر رجل أشقر فوقف بين السلطان وبين الثعبان فدار الثعبان حول ذلك الرجل وقطم رأسه بفمه وانفرد فى البر فتبعه السلطان ولحقه فى مكان بعيد فافاق من نومه فلما كان ثانى الايام ظهر وجلس بالديوان واعاد على الوزير ذلك المنام فقال يامولانا السلطان اما الثعبان فهو الاعدو والذى حال بينك وبينه فلاشك انه من أهل الايمان ويكون شهيدا من يد ذاك العدو والله تعالى يعلم الغيب فقال السلطان فى نفسه لا بد لى ان أروح الشام وادخل مع هؤلاء الملاعين وأنظر فعالهم فى الكنيسة ولا ازال حتى أكشف على تلك الفعال فاحضر السعيد وأمره بالجلوس على تخت مصر واوصى عليه ابراهيم وسعد الوزير ولبس الملك فى صفة درويش وركب الفحل الادهم بعد ماغير زيه وركب وسار ليلا ونهارا حتى وصل الى مدينة طرابلس وتوطن فى خان وربط فيه الحصان وأقام ينتظر قدوم سيرون الراهب ومن معه على المينا مدة يومين فلما كان فى اليوم الثالث أقبل غليون والناس ينظرون اليه فلما قدم على المينة اعلموا به باشة طرابلس فركب ونزل وأمرهم بالنزول والطلوع لاجل أن يعدهم على يده فطلعوا وعدهم الباشا أربعين نفرا أولهم سيرون الراهب ومرتين الابرش وجوان البرتقش

وتمام الاربعين من أكابر دولة برشنونه فلما طلعوا من البحر كانت الرجال كما ذكرنا ماسكين البر بالسلاح ولما طلعوا على مدينة طرابلس أمرهم باشة طرابلس بالسفر على جهة الشام وعدم الاقامة حكم أمر السلطان فسافروا ونظرهم الرجال ومقادم بنى إسماعيل ولما نظرهم السلطان على ذلك الحال ركب حصانه وطلب الشام على أثرهم حتى لحقهم فلما دخلوا الشام ساروا إلى كنيسة مريم وكان الخبر عند حاكم الشام فطلع واستقبلهم وعدهم أربعين بالتمام والكمال وسار معهم إلى باب الكنيسة فأدخلهم وقفل الباب وأمر الامير على بن القيمرى أن يكون محافظا على باب الكنيسة لا أحد يدخل ولا احدا يخرج حتى تتم الثمانية أيام التى عليها الشروط حكم أمر السلطان فأقام على بن القيمرى على باب الكنيسة طول يومه فلما أتى المساء أقبل عليه السلطان وبيده عقد من الجوهر يساوى عشرة آلاف دينار فتقدم إلى على بن القيمرى وقال له يا أمير أنا من الذين دخلوا قلب هذه الكنيسة وهم سبقونى ودخلوا وأنا أتيت فخذ الجوهر وافتح لى الباب فلم يقبل منه فلما ألح عليه فى الكلام وضع يده على الحسام فقال له السلطان تبارك الله عليك من غلام فكشف عن وجه اللثام فانبهر ابن القيمرى لما رأى السلطان وقال أمان يامالك الزمان فقال السلطان لا بأس عليك وانما انده لى على كل من رأيته قريبا من الرجال فغاب وأتى لى بصقر اللوالبى وصقر الهجان فلما قدموا ونظروا السلطان قبلوا الاذيال وقالوا يادولتلى اى شىء تريد فقال أريد منكم أن تأخذوا حصانى أمارة وهذا جواب منى إلى المقدم إبراهيم بن حسن يأتينى باربعين مقدام أولهم إبراهيم وآخرهم سعد وتلقونى سبقتكم إلى مدينة برشنونة ثم انه أمر على بن القيمرى أن يجتهد فى حفظ ذلك الباب فقال سمعا وطاعة فقال الملك يعنى هؤلاء الملاعين اى شىء انتفاعهم فى هذه الاقامة حكم قولهم ثمانية أيام فقال له يامولانا أظن على مكيدة يكادون بها الاسلام

فقال السلطان أريد الدخول حتى أطلع على أفعالهم فقال له تفضل ثم انه صبر إلى الليل وفتح له باب الكنيسة فدخل السلطان فلم يجد أحدا فى قلب الكنيسة فصار يدور وهو حائر فرأى ضوءا فتبع ذلك الضوء فرآه على محل متسع من داخل طابق والجمع فى قلب ذلك الطابق ووجد نيرانا وبخورات دارتكى طول ليلته وفى آخر الليل خرج منهم واحد ليقضى حاجته فتبعه السلطان ووضع يده على فمه واتكا عليه حتى خنقه ولبس ثيابه وتزيا بزيه وانحشر عند ذلك الجمع فوجد الكل واضعين الكاسات والطاسات ومغتنمين اللذات فلم يجد له نفسا أن يقيم معهم فطلع إلى مخدع بعيد عنهم وقعد فلما أمسى المساء أخذه الجوع والعطش فقال لا حول ولا قوة

إلا بالله العلى العظيم ثم انه تيمم وصلى ما عليه من الفرائض وبعد ما صلى العشاء قرأ شيئا من القرآن ونام فلم يجئه نوم من الفكر والجوع والعطش ولما كان عند الصباح فتح الباب فرأى إبريقا ملآن من الماء وصينية عليها أربع صحون طعام وتذكرة مكتوب فيها يا ظاهر وحق الرب المتعال أن الأكل والشرب حلال فلما قرأها الملك قام على حيله وأخذ الابريق وتوضأ وصلى صلاة الصبح وقرأ أوراده وأكل من ذلك الطعام وحمد الله الملك العلام وقعد فى مكانه ولما كان عند الظهر قام على حيله ومشى ينظر فوجد جميع النصارى قاعدين وهم فى هرج وأفراح ودائر عليهم كاسات الراح وعندهم غاية السرور والكاسات عليهم تدور فلم يطق أن يرى رائحة الخمر فعاد إلى مكانه وأقام إلى آخر النهار وعند المساء نظر قدامه الصينية عليها طعام مثل ما رأى فى الصباح ورأى التذكرة فأكل عشاءه وحمد الله تعالى لكنه ندم على دخوله لأنه ما وجد فى دخوله فائدة ويوم الأحد الثانى انفتحت الكنيسة فكان أول العدد سيرون الراهب ومرتين والملك الظاهر الثالث والرابع جوان والخامس البرنقش فاحتاطوا بهم الاسلام يمينا ويسارا فكانوا أربعون لا زيادة ولا نقصان فتعجب الملك الظاهر وقال فى نفسه إذا أراد الله لى بالستر لابد لى من السير معهم إلى بلادهم حتى اطلع على اسرارهم وما زال سائرا معهم حتى اقبلوا على طرابلس فاراد على باشا ابن القيمرى ان يسال السلطان فى إقامته فغمزه بالعين لا تتكلم فسكت وسار معهم الملك إلى مينة طرابلس وكان الغليون حاضرا فنزلوا جميعا والسلطان معهم فتاخر السلطان وقعد على مقدم المركب وسافر الغليون ليلا فبينما السلطان جالس وإذا بغلام أقبل على الملك وقال السلام عليكم فاراد السلطان أن يضع يده على الحسام فقال الغلام لم تقتلنى مرام عبدك يا ملك أنا مؤمن ولى حكاية اذكرها بين يديك وهى

تم الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السادس والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فلما سمع الملك كلامه قال له ماحكايتك قال له يامالك أنا الوزير مرين
وزير الملك مرقين وفى ليلة بتنا فى طرابلس رأيت فى المنام رجلا اختيارا لابسا طليحة
من الخوص فقال لى يا مرقين قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وأعلم يا مرين أن دين
الاسلام حق وأما دين الكفر فهو باطل والاسلام نور والكفر ظلام فقم على حيلك
وروح إلى ولدى بيبرس ملك الاسلام فانه يدخل معكم الكنيسة بلا رفيق فى معاونته
واحمى تخالفه فتكون من أهل النار فقلت له ياسيدى وانت من تكون فقال أنا الفقير
إلى الله الصالح ايوب فقلت له علمنى الاسلام فعلمنى وأسلمت على يديه وهذه عبارتى ولما
دخلنا الكنيسة جاءنى ليلة البيات وقال لى أنا ارصيتك وانت نسيت ولدى ماهو
معكم فى الكنيسة قم اليه وقدم له زادا يأكله فانه مامعه زاد ولا مشروب ولا ماء يتوضأ
ويصلى فرضه به فقمت اتبصص فى الكنيسة ووضعت لك الماء للوضوء والشرب
والزاد من خوفى عليك ان تقول بتحريم الطعام كتبت لك التذكرة يا ملك الاسلام بانه
حلال وحق الملك المتعال فقال الملك يا أخى وانت شكر الله فضلك وبهذا يكون لك
الجميل والاحسان فقال يا ملك الاسلام قم معى لما اعمل لك طريقة لأن الملعون جوان
يطلب من سيرون الراهب أن يضرب تحت رمل ويكشف عن خبرك فاذا رآك فى
هذا المكان يخبر عنك جوانا وجوان عدوك فيبقى يتفكه فيك وإنما افساد الرمل احسن
فقام معه الملك إلى عنبر المركب فاحضر له طشتا وملا الطشت دما من خروف ذبحه وكفاه
فى وسط الطشت وأوقف الملك عليه وجاء له بغربال ووضعه فوق راسه وقال له كن
هكذا حتى آتيك وفى ذاك الوقت قال جوان لسيرون الراهب ياسيرون انت اخذت السيف
والطاقية ولكن يا ترى رين المسلمين يعلم أننا أخذنا الطاقية والسيف من الكنيسة و رايحين
نعطره أم لا يعلم اضرب لنا تخت رمل وانظر الخبر فبعده قام الراهب وأحضر تخت
الرمل وفتحه وضرب زايرجة ونظر فى الاشكال فالتفت إلى جوان وقال له يا أبانا

عمرى مارأيت رملا مثل هذا الرمل أبدا فقال جوان لأى شيء فقال سيرون انى أرى ملك المسلمين واقفا على جبل من النحاس فى وسط بحر من الدماء وسور البحر نحاس وعلى رأسه سماء من الجلد له سور من الخشب فقال له جوان أى شيء هذا الكلام ياسيرون الذى لم تكن فيه ثمرة ولا تبلغ به نفعا ولا مضرة فقال سيرون هذا الذى رأيته ياأبانا وغير هذا مارأيته وطوى تخت الرمل هذا ماجرى وأما الوزير مرين فانه نزل إلى الملك الظاهر وأخبروه بالخبر واطلقه مما كان فيه وأحضر له طعاما وشرابا ووضوءا وقام بواجب خدمته فلما كان عند المساء ثانى ليلة قال له قم ياملك الاسلام حتى أعمل لك عملا يفسد رمل هذا الملعون سيرون الراهب ثم انه اتى له بجلد سمكة ولفه وعلقه فى مقدم الغليون وكان هذا فى أول الليل ولما كان بعد العشاء طلب جوان من سيرون أن يضرب له رملا يكشف به عن خبر الملك الظاهر فضرب التخت وصار يتعجب فقال جوان أى شيء رأيت ياسيرون فقال ان ملك المسلمين ابتلعته سمكة عايشة وهو فى جوفها وهى طائرة بين البحر والسماء فقال جوان ياسيرون انت ضاع فهمك ولم يبق لك إدراك فى علم الرمل أبدا ثم انهم تركوا ذلك وعاد الوزير واطلع السلطان وقعدهو وإياه فى أمان ولما كان فى الليلة الثالثة قام الوزير وجاء بجلد دب ولف على وسط السلطان ذلك الدب من وسطه إلى تحته ومن أعلاه جلد نسر وأفرد أجنحته ووضع وراه جلد رخ واقف على رجل الدب حنش وأوقفه على فرش رمل أصفر ثم وضع على يمين ذلك حجر رخام وعلى يساره حجرا من المرمر فوق سقف عنبر الغليون دباجة من الحرير الاخضر وعلق فيها فروعا من شجر عنب وتوت ورمان وليمون ومثل ذلك وتركه مكانه وعاد الى عند الملك مرتين الا برش ورقف ولما جاء الليل طلب جوان من سيرون الراهب أن يعلمه بملك الاسلام فضرب تخت رمل وقال ما أعجب من ذلك لم يكن فقال جوان أى شيء رأيت فقال ان ملك المسلمين بين جبلين واحد رخام والثانى مرمر فى أرض رمل أصفر نصفه التحتانى بالمه ضبع والنصف الفوقانى بالمه نسر وطاير به فى الهواء وفرد أجنحته وطارده رخ ومن فوق ذلك جزء من الحرير الأحمر وفيها بستان جذور أشجاره الى فوق وأوراقه وثماره الى تحت وهذا الذى رأيته على الصحيح وحق المسيح فاغتاظ جوان وقام على حيله وأخذ تخت الرمل ورماه فى البحر وقال ياسيرون انت لما بلغت طالوبك بالسيف والطاقية فما بقى لك عقل وبعد ذلك جاء الوزير وأجلس السلطان فى مكانه ودام المركب مسافرا حتى قدم على مدينة برشنونة فطلع السلطان مع الوزير مرين حتى أدخله بيته وأحضر بقرة وذبحها ولف الملك فى جلدها وجاء بثعبان ميت ووضع ذنبه فى رجل

الجلد وجاء بقصعة خشب وأجلس السلطان فيها وجعل رجله فى طشت ملآن ابن وتركه
ومضى إلى الديوان فلما كان ثانى يوم قال جوان ياسيرون أيام البحر فاتت فاضرب
لنا الرمل حتى ننظر دين المسلمين فاحضر التخت وضرب وقال يا أبا الروم أما ملك
المسلمين فى برشونة وكان معنا فى الغليون وقد دخل معنا إلى المدينة وهو الآن فى جوف
بقرة والبقرة التى هو فى جوفها متعلق بها ثعبان نصفه فى البحر ودين المسلمين فى البقرة
التى هو فى جوفها فى مركب والثعبان طابق فيها وفيه والمركب فى بحر ابن وصورة
نحاس وهذا شىء ما هو فى برشونة وهذا لم أعلم أى شىء كيفيته فهم فى ذلك وإذ بالوزير
من أقبل وقال ان على مينة برشونة غليون اسمه الغراب العظمى وفيه من المسلمين
أربعون مقدم والقبطان أبو بكر البطرنى فقال سيرون الراهب لا أحد يعارضهم أنا منى
لهم نصطفل هذا ما جرى وأما سبب مجىء الغليون الغراب العظمى فان سقر الوالى
وسقر الهجان لما أخذ حصان السلطان سارية إلى مصر وأخبر الملك محمد السيد والمقدم
إبراهيم فانفرد المقدم إبراهيم وأخذ من الرجال ثمانية وثلاثين مقدم أولهم حسن النسر
ابن مجبور وآخرهم المقدم جبل بن راس الشيخ مشهد وهو وسعد تمام الاربعين وأخذ
كل مقدم سلاحه وما يحتاجه وطلع بهم المقد إبراهيم إلى الاسكندرية ونزل بهم فى
الغراب المنصور وسافر البطرنى بهم إلى برشونة فلما وصلوا إلى المينة قال إبراهيم
ادخل يابطرنى إلى البر فالتصق الغراب العظمى وتمكن من المينة فطلعت الرجال منه
وأياديهم على شراكرهم فوجدوا باب البلد مفتوحا فما زالوا سائرين حتى دخلوا القلعة
فوجدوا باب البلد مفتوحا فدخلوا منه إلى دهليز مشوا فيه إلى باب ثانى فرأوه مقفولا
فعادوا راجعين إلى الباب الذى دخلوا منه فرأوه مقفولا فقال إبراهيم والله يا رجال
اننا وقعنا فى غاية المحذور

يا من غربوا حمله   وزود فى الدجى نوحه
كان خالص صبح مشبوك   ورجع يشتكى روحه

ولكن يارجال الأمر بيد الله والحق علينا نحن الذين أتينا من غير أن يكون معنا سلطاننا
الحاج شيحة فهم كذلك وإذا بجوان والبرتقش وسيرون الراهب من أعلى المكان
مقيمون ونادوهم يامسلمين انتم أتيتم تفتحوا مدينة برشونة وحدكم من غير عساكر
ولا دين المسلمين معكم سلموا أنفسكم حتى نقبض عليكم وإلا منظرناكم فى هذا
[illegible] داب يرموها عليكم [illegible] الرمل [illegible] التراب ثم أنهم رموا عليهم جانبا من الرمل
[illegible] [illegible] [illegible] فقال إبراهيم ياجوان نحن نسلم انفسنا

ولما ننفذ من هذا المهلك يفعل الله ما يشاء فعند ذلك قال لهم ارموا سلاحكم قال ابراهيم
رمينا السلاح هيا خذونا كما تريدون فاحتاطت الكفار حولهم حتى قبضوهم فقال لهم
سيرون الراهب يا مسلمين أين ملككم فعلم المقدم ابراهيم أن السلطان لم يقع فى أيديهم
فقال له يا كلب ملكنا على ظهر البحر قادم عليكم بعسكر الاسلام ولا بدله من خراب
بلادكم ونهب أموالكم وسبى نسائكم واخذ كل ما وراكم فقال سيرون يا ابن الحوراني
أنا أخذت الذخائر من كنيسة مريم ومن جملتها السيف الذى أنتظر به ملك المسلمين
وبعد منتظر ملك المسلمين أخذ البلاد واحكم جميع الأرض والمهاد فقال ابراهيم فشرت
وإنما أنا أول الناس معى بشارة انى لا أموت إلا على فراشى والذى أخبرنى بذلك صادق
فى مقاله قال جوان منتظرهم بلا كثرة كلام قال سيرون وحق دينى ما أنتظرهم إلا بعد
ما أنتظر بين المسلمين ثم انه أمر البب مرتين الابرش أن يضمهم فى السجن فسجنوهم
وكانوا كما ذكرنا اربعين مقدم فلما صاروا فى الحبس قال المقدم ابراهيم يا رجال السجن
شدة وبعد الشدة يأتى الفرج من عند صاحب الفرج ولما كان المساء أتاهم الوزير
ونظر اليهم وعاد إلى ملك الاسلام فقال له يا مولانا أعلمك أن هذا الملعون سيرون
الراهب اطلع على بعض الكتب فرأى انه موجود فى كنيسة مريم التى فى الشام سيف
اسمه الاخفا وطاقية إذا لبسها انسان ما أحد يراه ويخفى عن العيون ورأى انه إذا
ملكها يقتلك على تخت ملكك ويأتى براسك إلى مدينة برشنونة وقد اجتهد هذا الملعون
حتى ملك الطاقية والسيف وانت هنا مقيم وها رجالك صاروا فى السجن والقتال فى
محل الغلبة من العجز والراى عندى يا ملك الاسلام ان آخذك إلى محل السجن واطلع
لك رجالك فتأخذهم وتنزل إلى الغراب المعظمى بتاعك وتسافر إلى بلادك فاذا جاء
سيرون الراهب إلى عندك تبقى على كل حال فى بلادك والأرض تضرب مع اهلها فقال
السلطان وهو كذلك

فعندها اخذه الوزير وسار به إلى السجن وادخله فاعلم الرجال واطلق الجميع من السجن
ليلا وفتح لهم باب المينة فطلع الملك والرجال إلى الغراب المنصور وسافر السلطان حتى
وصل إلى الاسكندرية وانتقل من المالح إلى الحلو حتى وصل إلى مصر فطلع إلى قلعة الجبل
واقام على تخت مملكته واما سيرون الراهب فانه فى ثانى الايام سال عن المسلمين الذين
عنده فى سجن برشنونة فراى الحبس خاليا والجميع هربوا فاغتاظ سيرون الراهب
غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال إذا كان المسلمون هربوا من حبس البب سيرون
الراهب كان يبقى عيب على واما لما هربوا من حبس البب مرتين الابرش صرنا نحن بريشون

فالتفت اليه البب مرتين وقال له ياأبانا أنا ما تاخرت عنك انت لماقلت لى كاتب ملك المسلمين كاتبته وسافرت معك إلى الشام وبلغتك مقصودك وهاأنا مقيم كل ماقلت لى عليه أفعله فان كان مرادك تسير إلى ملك المسلمين ونركب معك قل لنا ونحن لم نخالفك

فقال جوان أنا كان أكاتب ملوك الروم من بيات وقرانات وأخلى جميع بلاد المسلمين بأيديكم تفعلون فيها كلما أردتم فقال سيرون الراهب هذا لا يكون إلا بعد قتل ملك المسلمين لانه إذا علم ملوك الروم ان ملك المسلمين لم يبق له أثر قوى ظهرهم فقال جوان صدقت ثم ان الملعون خرج من عند مرتين الابرش بعدما قال له اتركنى حتى أروح إلى مصر ولا أعود لك إلا برأس دين المسلمين فحضر له مرتين الابرش غليون تجار فنزل فيه بضائع وتجارة وسافر من برشونة إلى الاسكندرية فنزل من الغليون وطلع إلى الاسكندرية وأما ما كان من أمر السلطان فانه جالس يوما من الايام وإذا بأبى على البراج طالع يقول سبحان هادى الطير فقال الملك سبحان عالم الغيب من أى العلامة يابراج السلامة فقال من الاسكندرية وقدم كتابا من تحت جناح طير فاخذه وإذا فيه من حضرة العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم اركاب كاتب الحروف محمد فارس باشة الاسكندرية إلى بين أيادى ملك الاسلام اعلم يامولانا انه ظهر عندنا سيف مخفى ما أحد يراه يكون اثنان ماشيين فى الطريق ما يشعر إلا ورؤسهما طارتا ولا أحد يرى الذى قتلهما فادركنا وإلا أرسل لنا من يدركنا الامر أمرك الله تعالى يديم لنا عزك ويطيل عمرك والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال الوزير ماهو إلا سيرون الراهب ومعه الملعون مرتين الابرش فقال السلطان لابد لى أن أسير إلى الاسكندرية قال عثمان قم روح كل واحد منا يأخذ حقه وأنا كان أروح معك ياأشقر فقال ابراهيم يا ملكنا أنا لا أقدر أن مولانا السلطان يروح وأنا أقيم فقال سعد وأنا كذلك فعنده تجهز ابراهيم وسعد وأرادوا أن يسيروا إلى أرض الاسكندرية وإذا بباب الديوان انسد وأقبل رجل فداوى وزعق نعم ياملك الدولة أمدك الله بالعمر الطويل كما أمد نوحا بعمر نال فيه الشفا فقال الملك أهلا وسهلا فقال يا دولتلى أنا جئت من اللجج واقول هى طاعة الحرفد إلى سلطان القلاع والحصون غائب حاضر فقال له السلطان عجيبة يافداوى أتيت طائعا شبحة من دون الرجال بلا مشاققة ولا جدال فقال يا دولتلى أنا كنت فى اللجج بقى لى مدة سنين متطاولة وكانى مررت بالقسطنطينية كان قصدى أنى آخذ من أموال ميخائيل جانبا من باب اللصوصية فلم يقسم لى نصيب ودخلت

مكان بعض تجار الروم ليلا وأنا مجتهد فى سرقة أموال من الكفرة فحكمت ليلة من بعض الليالى فسمعت حرمة ومعها ولد صغير يبكى فقالت له اسكت بالمسيح والبترك والرهبان وحنا ومريم والصليب فلم يسكت فقالت له اسكت وإلا يأتى لك شويحات المسلمين يسلخ جلدك فسكت الولد ولم يبك بعدها كرامة اشويحة فقلت فى نفسى إذا كانت الاطفال يعرفوا قدر شويحة جمال الدين ويخافون من طرقته يجب على الانسان اطاعته ولله على نذر ان وصلت إلى بلاد الاسلام بالسلامة فاطيعه حاضرا وغائبا وها أنا يا ملك الدولة أتيت وكان قصدى أن أجتمع عليه فما رأيته فقال السلطان وانت من تكون من بنى اسماعيل وما اسمك

فقال يا ملك الدولة أنا أسمع عن شيحة انه دائما يدور فى بلاد الروم وغيرها ولا بد لى أن أدور عليه التقيه وأطيعه واكتب اسمه على شواكرى فقال الملك ولأى شىء يا فداوى أنا سألتك عن اسمك وأنت تغالط فى كلامك فقال الفداوى لا يا دولتلى أنت تعرفنى حق المعرفة أنا عمار القد موسى صاحب قلعة القد موسى حضرت معك وقعة سرجويل المهرى فى أرض الشام وانت صغير فى تلك الايام فقال الملك صدقت يامقدم وانما انا متوجه إلى الاسكندرية أنظر ماجرى فيها من مكايد الكفرة اللئام واطلب النصر والمساعدة من الملك العلام فقال عمار القد موسى يادولتلى خذنى معك واينما توجهت اتبعك لعل الله يجمعنى بالحاج شيحة فاطيعه واعود إلى قلعتى اوضب رجالى واقيم فى خدمتك وان كانت آخرتى وحان الحين رضيت بما قسم الله لى لعلى ان اكون شهيدا :

إذا ما اتتنا المنية بلادنا سعينا ورحنا للمنية بلادها

فقال الملك توكل على الله فركب السلطان واخذ فى صحبته المقدم ابراهيم والمقدم سعد والاسطى عثمان سايس السلطان وركب المقدم عمار القد موسى معهم وساروا يقطعون الارض والبلاد حتى وصلوا إلى الاسكندرية فدخلوها ضحى نهار واراد الملك ان يسير إلى الديوان فقال ابراهيم يا ملكنا نرسل سعد يخبر الباشا بقدومك حتى انه يطلع للقياك

فقال السلطان يا مقدم ابراهيم انا شايف البلد خربانة لا احد رايح ولا احد جاى فهم فى هذا الحديث وإذا برواحد كلهم من خلف باب وكالة

فقال لهم ياناس ان كنتم غرباء فادخلوا فى مكان لتأمنوا على رؤسكم وإلا تجدوها طارت من على اجسادكم فقال ابراهيم ياملكنا انت تسمع ماقال الرجل فقال الملك ياابراهيم انت جاهل بهذا اما تعلم ان القضاء المحتوم لابد منه فما تم كلامه إلا وصرخة وقائل يقول برايا كناسات وسيف سطع ولمع فراغ عنه السلطان فحكم فى رقبة المقدم عمار

الرجل موته على هذا الحال فدخل فى قلب خان ومعه إبراهيم وسعد وعثمان فلما دخلوا قفل الخانجى الباب وأقاموا طول يومهم

فقال المقدم إبراهيم يا دولتلى أى شىء هذا الحبس فى هذا الخان والله ان الموت أحسن من إقامتنا هنا

فقال سعد تفازى من ما قدامنا أحد حتى تعازيه أنت ما رأيت بعينك

فقال إبراهيم صحيح يا سعد وأى شىء بقى نعمل

فقال عثمان انتم تتعشوا إيه فأنا جيعان

فقال السلطان إن كنت جيعانا فهذه عشرة ذهب قم اشترى لنا اكلا نأكلوا جميعا

فقال عثمان هات وأنا اقوم وانا متوسل بالمبرقعة ام اليتيت ثم انه اخذ من السلطان عشرة دنانير وطلع عثمان فلقى رجلا فلاحا مقبلا حاملا خيشة ملآنة من العيش مقدد وبلاصى ملآن مش قديم وزكيبة بصل وقصعة فيها بتاو درة ناشف فقال له عثمان يا شيخ اعطينى كل ما معك وخذ هذه العشرة دنانير فقال الرجل رضيت فأخذه عثمان وادخله الخان واخذ منه ذلك فلما خرج الرجل إلى باب الخان وإذا سيف سطع فحكم فى رقبته فرماها عن جثته فقال عثمان انفصل الحى من الميت وكل واحد يأخذ نصيبه جاء لنا بالعشاء ومات هيا ناكلوا

فقال الملك تاكلوا إيه فقال عثمان الجيعان يتقدم ياكل ثم انه فرغ بلاصى المش فى القصعة وخرط البصل عليه وفت البتاو الدره وقعد ياكل فقال ابراهيم لما اذوق فلما ذاق رآه طيبا وكذلك السلطان والمقدم سعد اكلوا حتى اكتفوا وقيل لم يكن احسن والذ من ذلك الطعام ببركة الاسطى عثمان واقاموا يومين فانقطع القتل من اسكندرية فطلع السلطان الديوان فالتقاه الباشا واعلمه انه لم ينقطع القتل من اسكندرية إلا فى هذا اليوم واما اول كانت الأرض رعما وجيفا من القتلى فقال السلطان الله يفعل مايريد ولا يموت إلا الذى فرغ اجله وبات السلطان تلك الليلة فى سراية اسكندرية وثانى الايام ورد على السلطان كتاب يذكر فيه انه ظهر فى مصر سيف الاخفاء وصار الذبح على قارعة الطريق ادركنا ياملك الاسلام فقال السلطان هيابنا ياإبراهيم فركب السلطان واخذ إبراهيم وسعد وساروا الى مصر فعند مادخلوا مصر بطل الذبح فى الناس فأقام السلطان ينتظر ماياتى به الله تعالى وفى ثالث يوم الملك جالس واذا بصرخة من باب الديوان والقائل يقول برا ونظر السلطان الى هفيف السيف فعرف المقصود ثم انه قفز من على الكرسى ودخل تحت الستار فى باب الحريم فحكم الحسام فى الكرسى شقه نصفين وطلع عن باب الديوان على حجاه وبعد ذلك عاد السلطان الى محله و لديوان

يموج وأولاد اسماعيل ايديهم على الشواكر والامراء ايديهم على قبض السيوف ولكن لم يظهر لهم خصم حتى يحاربوه وصار الديوان فى هرج وكل من كان حاضر يتكلم على قدر عقله حتى الامير علاء الدين قال والله العظيم ان هذا عجيبة واحد يدخل الديوان ويضرب بالسيف ولا احد ينظره والله ان هذا عجيب ثانى الايام كذلك وثالث ورابع سبعة ايام كوامل وبعده قال الوزير ياملك الاسلام بطل نزول الديوان حتى ان الله سبحانه وتعالى ينفذ قضاءه فى أحدنا فان هذا الملعون ماقصده الا انت وأنت يامولانا عماد الاسلام فامتثل الملك رأيه ولم يطلع فى اليوم الثامن الديوان وطلع سيرون الراهب فلم يلقه يدخل ثلاثة أيام فسار الى دير مصر العتيقة وأقام فيه واعلم بذلك بطريق الدير وقال له انى أريد أن أمكث هنا كام يوم حتى يطمئن بين المسلمين ويقعد فى امان وانزل عليه فاقطع رأسه واسلمها لجوان وأقام فى الدير واما الملك الظاهر فانه مختفى فى قاعة الجلوس مدة أربعة أيام بعد انقطاع سيرون الراهب من طلوع الديوان وبعد ذلك ضاقت حضيرته فدعى بالاغا يحان سرا وقال له أنا مرادى منك ان ترسل لى من يحضر لى عثمان بن الحبلة السايس فانه عنده فهم وادراك فى مثل هـــذه الامور والليل امسى

[قال الراوى] ان الملك الظاهر لما اشتد عليه الكرب واعياه الحال فقال احضروا لى عثمان ابن الحبلة فلما حضر بين يديه فقال له ياعثمان شد لى الحصان فقال عثمان ياأشقران طاوعتنى فاركب حصانك وسر الى المبرقعة ام البيت لان لها أياصرا بار كل ماتقول لك عليه افعله لان المبرقعة لها عادات ان تنجد الملهوف وتخلصه من الشدائد والنكبات فقال السلطان صدقت ياعثمان فسار السلطان حتى وصل الى مقام السيدة نفيسة فقال لها ياصاحبة القناع الطاهر أنا بك مستجير ودخل فجلس بجنب المقام وقرأ ماتيسر من القرآن وقام فى ذلك المكان فاخذته سنة الكرى فرأى فى منامه ان الست جاءت له وقالت له ياظاهر قم من هنا وسر الى باب الفتوح تلقى غلاما خياطا اسمه بيبرس على اسمك اصله من طرابلس فاذا وصلت اليه فكل ماأمرك به افعله ولا تخالفه فان قضاء الله نافذ فيه وهذا الذى اعلمك به لاتظن أنه منام تهمله بل كل ماقال لك عليه هذا الغلام امتثله وافعله وعند الصباح قام الملك وتوضأ وصلى صلاة الفجر وركب على حصانه فقال له عثمان رايح للخياط ياأشقر الذى قالت لك عليه ام البيت قال بيبرس نعم ياعثمان وسار السلطان حتى وصل الى باب الفتوح فلقى غلاما خياطا فى دكانه فقال له السلام عليكم فقال الخياط وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اقعد ياسيدى حتى أقضى حقوق الناس ثم انه

طلب واحدا من جيرانه واطلع الشغل الذى عنده وقال له يا أخى أنا مسافر فى مهم دعيت اليه وانت يا أخى تعمل معروفا وتأخذ منى هذه الأشغال وتسلمها إلى أصحابها هذا لفلان وهذا لفلان وهذا مفتاح الدكان إذا حضرت زوجتى تسلمه لها وخذ هذه التذكرة وقل لزوجتى تطلع بها إلى الملك الظاهر بكرة فى الديوان فان لى عنده أجرة خياطة تبقى تأخذها بموجب هذه التذكرة ثم انه قام صحبة الملك الظاهر وقال له خذنى وادخل بى إلى قاعة الجلوس فقال السلطان وهو كذلك وسار معه حتى دخل قاعة الجلوس السلطان الظاهر وبيبرس الخياط فلما قعد بيبرس الخياط طلب من السلطان مراية فوضعها بين يديه وطلب ملابس السلطان فلبسها هذا وقاعة الجلوس مقفولة ما أحد يدخل فيها وبعدما لبس بيبرس الخياط ملابس الملك الظاهر وضع المراية بين يديه حتى أصلح عمامته وهو ينظر إلى السلطان وينظر فى المراية حتى تصور فى صورته وبعد ذلك قال ياملك الاسلام قم من هذا المكان وانظر لك محلا اختفى فيه بشرط لم يعلم بك أحد ولا حريمك ولا أولادك ولا أنا حتى تتم هذه المحنة وخذ معك ما يكفيك من أكل وشرب شهرين كاملين أو ثلاثة حتى يقضى الله ما هو قاض وبعد ذلك تبقى تطلع وتسعى على حالك والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال السلطان وهو كذلك وقام على حيله فاتى إلى اوضة فى قاعة الجلوس وأدخل فيها كل ما يحتاجه وتلك الاوضة كاملة المعانى بها مرتفق ومحل للعبادة ومحل للنوم فدخل فيها بعدما ركب لها اقفالا ماكنة لا تفتح إلا من داخلها وأما من خارجها فلم يقدر أحد على فتحها وادخل فيها كل ما يحتاجه من أكل وشرب وملبوس ودخل فيها وأغلقها عليه وكان هذا ليلا ولما كان عند الصباح دخل الآغا جوهر وكان الذى جالس على الفراش فى قاعة الجلوس بيبرس الخياط كما ذكرنا فقدم له البابوج فقام على حيله وهو يقول اللهم انك حليم على عبادك ستار إلهى لم تفضحنى فى هذا المشوار وطهر وجلس ثانيا فالله تعالى القى عليه الستر ببركة السيدة نفيسة كريمة الدارين ولا أحد من رجال الدولة توهم انه غير الملك الظاهر والقى الله عليه الهيبة والوقار حتى كل من رآه يقول هو الملك الظاهر ولم يشك فى ذلك أحد وعندما جلس على الكرسى وإذا بحرمة قد أقبلت وبيدها تذكرة فأراد الدولة أن يمنعوها

فقال لهم بيبرس لا أحد منكم يسألها اركوها فرتب لها شهرية على بيت مال المسلمين مائة وخمسين عثمانى وقيدها باسم أم العيال وبعده نزل من على الكرسى وطلب الحصان فركب وسار إلى خط الجمالية وأمر أن يبنى له جامع فى ذلك المكان وأمر شيخ المهندسين

ومهندسى الديوان أن يجتهدوا فى بنائه فكان الامر كذلك فاجتمع فيه مائه وخمسون نحات حجر وخمسون بناء وفى ظرف خمسين يوما تكامل بناؤه وافرش واشترى له أماكن واوقفها عليه ودفع حقها من بيت مال المسلمين وبعد الفراغ من ذلك كله أمر بعمارة الديوان واجتماع الدولة فى غداة غد لانه فى ظرف تلك المدة كان الديوان خاليا مدة ستين يوما وفى اليوم الواحد والستين ظهر وجلس على الكرسى وتكامل الديوان ومال على الميامن فاطرقت وعلى المياسر فاطرقت والصدر والجناحين فقرأ المقرى ودعا الداعى وامنت الدولة ساعة تمام اسمع ما جرى اسبرون الراهب فانه فى هذه المدة كل يوم ياتى إلى الديوان فيجده خاليا ومثل ما يجىء يعود الا فى ذلك اليوم اقبل فرأى الملك جالسا كما ذكرنا ففرح واطمان خاطره فسار وهو ساكت ومختفى من اعين الناس حتى بقى قدام الكرسى فجذب السيف الذى هو سيف الاخفاء وضرب بيبرس فطار رأسه وأخذها فى يده من أذنها ونزل من الديوان على حية رأى حية فوقع الهرج والصياح بين الدولة وارتج الديوان وما أفاقوا الا والسلطان جثة بلا رأس فكل من الدولة عض على يديه ونزل الملك محمد السعيد وأحمد بدر الدين سلامش وأحضر العادل أولاد السلطان وكل منهم باكى العين حزين فعند ذلك قال الوزير يا أولاد السلطان إن اباكم كما ترونه قد قتل والحمد لله انتم ثلاثة والرجل إذا كان له ولد يقول الناس ما مات وانتم ثلاثة فالصواب دفن هذه الجثة وبعد ذلك يكون السعى فى مجىء الرأس من مدينة برشنونة ودفنها بجانب الجثة وأما البكاء يكون للنساء ما هو للرجال فقالوا صدقت يادولتلى ثم انهم احضروا ارباب الشيل وادرجوه فى ثيابه لانه شهيد ودفنوه فى جامع الجمالية الذى بناه بيده

ادفن الجسم فى الثرى　　ليس فى الجسم منتفع
انما السر فى الذى　　كان فى الجسم وارتفع
اصله الجوهر النفيس　　وإلى اصله رجع

وبعد ذلك قعد أولاد السلطان للعزاء سبعة أيام وقال أحمد سلامش والخضر العادل للملك محمد السعيد أنت اكبرنا والموصى لك بالملك من بعد ابيك اجلس يا اخانا واجمع الرجال حتى نسافروا على مدينة برشنونه لاجل أن نخلص رأس أبينا من الكفار ونأخذ لابينا بالثار ونقتل قاتله ونعجل له الدمار فقال السعيد صدقتم فدخل على أمه تاج المملكة بخت قال لها على ذلك فقالت له هات لى المقدم ابراهيم فنزل واحضره

إلى بين يديها فقالت له يامقدم ابراهيم الملك الظاهر جرى فيه ماجرى على أيديكم وهذا ابن أختك السعيد يا هل ترى يمكنك أن تساعده فى أخذ ثار أبيه فقال نعم فنزل من عندها وكتب الكتب إلى بنى اسماعيل المقيمين بالقلاع والملك محمد السعيد كتب إلى الملك عرنوس والوزير كتب إلى الملك مسعود بك يكون الاجتماع على مدينة الشام وبرز الملك محمد السعيد بالعساكر والعرضى للعادلية وأقام بها ثلاثة أيام حتى تكامل العرضى وضرب مدفع الختم ومدفع التنبيه ومدفع التحميل وقام العرضى طالبا ارض الشام ولما وصل وحط على الشام اجتمع بنو اسماعيل الذين كانوا مقيمين بالقلاع والحصون مثل حسن البشناتى وعماد الدين علقم وسليمان الجاموش ومثل هؤلاء الرجال الذين كانوا معدوين للجهاد دخلوا جميعا على الملك محمد السعيد وعزوه فى أبيه فقال لهم يا مقدم شكر الله فضلكم وفى ثانى الايام أقبل عرضى واسع برجال عندهم الحياة مدمة والموت مغنم يقدمهم الملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع والمقدم نصير النمر وأولاد ملوك البرتقان فقام له الملك محمد السعيد عند قدومه وسلم عليه وسال الملك عرنوس عن هذه القضية فتعجب من موت الظاهر فى وسط الديوان بين الأمراء والفداوية وبعده أقبل الملك مسعود بك وصحبته الملك قار اصلان المغربى وعساكرهم تملأ الفضاء وتسدا المستوى وبعد ما تكاملت الركبة على الشام أمر الملك محمد السيد بالرحيل طالبا مدينة برشونة ودام سائرا حتى حط قدام البلد فضربت المدافع من الاسوار فامتنع على قدرمى النار هذا ماجرى وأماما كان من سيرون الراهب فانه لما أخذ الرأس كما ذكرنا سافر إلى الاسكندرية ونزل البحر فى الغليون الذى اتى فيه وفرد القلوع وسار إلى مدينة برشونة فضربت المدافع من الغليون وبلغ خبره إلى مرتين الابرش فطلع إلى لقاه ومعه جوان والبرتقش فعند ذلك التفت جوان للبرتقش وقال له كتاب اليونان بقى مفسود فان الظاهر مات، لابد أن سيرون الراهب دبر على قتل شوبحات ولا يبلغ أحد من جوانى غرضه ولا يقطعه شيحة على عربه ولما طلع سيرون بالرأس ونظرها مرتين الابرش على ذلك الحال فالتفت إلى جوان وقال له أى شىء رأيك ياأبانا فقال له اعلم ان المسلمين بقوا غنما بلا راع فاجتهد حتى تملك بلادهم ولايبقى أحد يضاهيك فى ملوك النصارى وأنا على أن اجمع لك الامراء والملوك والقرانات من الافرنج والروم كلهم يساعدونك ثم أن الملعون جوان قعد يكتب ومرتين الابرش يختم على الكتب ويرسلها جوان إلى ملوك النصارى فكل من اتاه كتاب العاقل يحفظ الكتاب عنده ويقعد فى بلدة

والجاهل يجمع عسكره ويتوجه إلى برشنونة فيلقاه جوان ويغريه على الكفر والطغيان حتى امتلأت برشنونة بعالم لايحصى بعدد الرمل والحصى فأقبل السعيد بابطال الاسلام ونظر إلى ذلك فاعتمد على الملك المتعال هذا ما جرى

[قال الراوى] وأما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه لما علم بسفر العرضى طلع ليلا وطلب الآغا ريحان فلما حضر ونظره أراد أن يتكلم فقال له والله ان تكلمت لاقطع رأسك ثم انه غير وبدل فى صفة درويش عجمى وطلع ليلا وهو بآلات الدروشة وما دام حتى وصل الى الاسكندرية ونزل فى مركب وسافر حتى وصل إلى مدينة برشنونة فرأى خلائق مجتمعة فغير ملابسه ولبس صفة رجل تاجر وصار يتأمل فى البلد ويتداخل على أماكنها وفى كل يوم يتداخل إلى يوم من الأيام نظر إلى رجل أسير يقول لواحد أسير مثله أنا مرادى أدخل سراية البب لأنه ضاع من تحت يدى أربع خنازير كبار وكلما أسأل عنهم أحدا يقول انهم سرحوا مع خنازير البب مرتين الابرش فسألت رعاة البب فلم يرضوا يعطوهم لى ومرادى أدخل الى دار الخنازير التى تحت السراية وانظر الذى ضاع منى فان كنت ألقيتهم أسرقهم وأطلع بهم ليلا ولايعلم بى أحد فقال له الاسير الثانى إذا أردت الدخول الى قصر البب مرتين الابرش اصبر إلى بعد المغرب وتعال على القصر تجد البواب ملتهى فى عسكره ومكفى على الأرض لايعرف الطول من العرض فادخل ولا تخشى من أحد فان أهل القصر جميعا ملتهين بالخمرة ولا أحد صاحى إلا أن كان البترك مرقبون وهو الذى يقعد فى الليل يعلم صفية بنت البب مرتين الأبرش وأما أهل القصر فكلهم نيام وكان كلامهم ليعضهم بالعربى ولا أحد من الروم يعرف كلامهم فسمع الملك الظاهر قولهم فعرف كلاما قاله فقال يعطيك الاخبار من لا تسأله وينفعك فى الدهر ما كنت شايله ثم انه تركهما على حالهما ومضى يرتقب باب القصر إلى أن يأتى وقت المغرب فوجد باب القصر حقيقة خالى فدخل بعد ما قرا الفاتحة وأوهبها للرسول صلى الله عليه وسلم فدخل بقلب قوى حتى بقى من داخل القصر وصار يتأمل فسمع بطريقا جالسا وهو يقول قولى يا صفية الله بان يقربوها النصارى ترد عنهم كل قارة القربيصة قرابصها القرابصى ثم قريق قبل ما تلد قريق كان اسمها قويقة وأبو نصاد قبل ما يلد قصادة كان اسمه فصادا حفظى قالت حفظت يا أبانا فقال البترك يا صفية مرتين الأبرش أكبر مقاما فى المدينة والاسبرون الراهب فقالت له يا أبانا مرتين صاحب المملكة وأما سبرون الراهب خادم عنده فقال البترك لكن سبرون الراهب دخل بلاد

المسلمين وجاء بالطاقية والسيف فلبسهما وقتل ملك المسلمين فقالت البنت لا يا أبانا اعلم أن الذى قتل ما هو ملك المسلمين وانما هو على صفته وأما ملك المسلمين طيب ومسيره يأتى إلى مدينة برشونة ويسمع من بنت كلاما ويطلع من مدينة برشونة ويروح الى دير التلاحمة ويدخل على البترك صاحب بيت لحم وهو يدله على بركة بجانب الدير يطلع منها خاتم الكشف بمعرفة البترك صاحب بيت لحم ويأخذ الخاتم ويأتى الى هذه البلدة ثانيا ويقتل سيرون الراهب وأبى مرتين الابرش ويأخذ جميع بلاده ويأخذ كلما كان موجودا فى الدراية من ذخائر وأموال وبالجملة انا يتزوج بى واحد من أولاد ملوك المسلمين اسمه محمد وأظن يا ابانا أنا حكيت لك هذه الحكاية ويكون ملك المسلمين سامعا الكلامى فقال البترك أى شىء يجىء بملك المسلمين هنا ثم ضربها بالكف على وجهها وقال لها اوعى تحكى هذه الحكاية لاحد فسكتت البنت هذا ما جرى والملك الظاهر واقف يسمع فطلع ساكت ولم يتكلم وطلع من برشونة ليلا وما دام مسافرا ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة التلاحمة فطرق باب الدير فنزل اليه البترك فتامل فيه وقال له أهلا وسهلا بملك الاسلام فقال له السلطان أى شىء عرفك أنى السلطان فقال يا مولانا الذى أعلمنى بك سيدى الخضر وقال لى يا لفلفون فى غداة غد يأتيك الملك الظاهر فادخل به الى بيت لحم وقال له هذا ملك الاسلام الذى يشرك به أستاذك فبلغه مقصوده حتى تكون من الفائزين على يده فاطمان السلطان بذلك الكلام ودخل مع البترك لفلفون الى البترك الكبير بيت لحم فلما نظر الى السلطان تلألأ وجهه بالفرح وقال له أهلا وسهلا فقال لفلفون يا أبانا بيت لحم هذا الذى يشرك به أستاذك فقال نعم ثم انه قال ياولدى خذنى معك وركبنى على حمارة واطلع بى إلى خارج الدير فقال لفلفون وملك الاسلام يقعد هنا أو يكون معنا فقال ياولدى وأنا من غيره لم أعرف أطلع شيئا فعنده أحضره لفلفون حمارة ورفع البترك بيت لحم ووضعه على ظهرها وساروا إلى بركة من خارج الدير وقال يا ملك الاسلام افحت بيدك على شاطىء البركة فى هذا المكان ففحت السلطان فرأى حجرا مدورا فقال له ارفع الحجر وهات الذى تحته فتعاون الملك على الحجر فرفعه فوجد تحته حورة وفيها أربعة شقفات محروقات وأربعة بغير حرق من طين فقال له البترك اتل حزبك واحذف الاربعة المحرقات واحدة بعد واحدة فحذف السلطان أول واحدة ففارت البركة فحذف الثانية فماجت فحذف الثالثة فنقص الماء فحذف الرابعة فانشفت البركة وبان لها باب مغارة فقال البترك ياولدى ادخل من باب المغارة وابسط يديك واقرأ

الفاتحة وأنت داخل تجد الحكيم كاترين نائما على جنبه اليمين فاقرأ الفاتحة وادعى له دعوة خير فانه يعطيك يده اليمنى تجد خاتما فضة فى خنصره فخذه منه واقرأ له الفاتحة واطلع بظهرك حتى تأتى الى عندى فدخل السلطان وفعل ما أمره به البترك بيت لحم وأخذ الخاتم وطلع فقال له البترك أخذت الخاتم قال نعم فقال له توكل على الله وروح الى مصر فاركب حصانك وتوجه الحق عساكرك ورجالك لان النصر مقرون بوجودك فانزل من منية السويدة وتوكل على الواحد الاحد فسار السلطان ولم يدخل الدير ثانيا ودام سائرا الى ان وصل الى السويدة فأقبل على المينة واذا بسيدى عبد الله المغاورى يقول له تعالى يا ظاهر انزل هنا فجذبه وأنزله فى مركب من الحديد ونزل بصحبته وفى يده قحف جريد فقذف به فى البحر وقال بسم مجريها ومرساها على مينة بولاق ملقاها فما شعر السلطان إلا وهو فى بولاق فقال له اطلع هات حصانك فان الله أقرن النصر بعنانه فطلع السلطان وكان ذلك عند العصر وسار حتى وصل إلى قلعة الجبل فدخل ليلا ونادى على الاغا جوهر وريحان فقال لهما احضروا الى الاوسطى عثمان

فما كان غير ساعة حتى اقبل عثمان فنظر الى سيده وقال له أنا ما قلت لك إنك مثل سقط الفول والنار وهذه بركة المبرقعة فقال السلطان صدقت هيا احضر لى الادهم فقال عثمان حاضر ملجم فركب السلطان ليلا وركب وراءه عثمان على ظهر هجين وتبعا أثر العرضى ليلا ونهارا حتى وصلا الى الشام فاستخبر عن العرضى فاخبروهما اهل الشام ان العرضى توجه إلى برشونة فسار السلطان وصحبته عثمان وكان الملك محمد السعيد لما انتصب العرضى بقى حاسب حسابا إنه اذا أمر العساكر بأمر يا اهل ترى يسمعونه أو يخالفونه ومحتار فى شأن ذلك فأقام أول يوم وثانى يوم وكان قصده أن يكتب كتابا بعد ما يأخذ الراحة ثلاثة أيام وكان ابراهيم بن حسن المتولى غفر صيوانه مثل ما كان فى زمن أبيه فبينما المقدم ابراهيم واقف فى اليوم الثالث وقد ضحى النهار واذا بالفحل الادهم مقبل من البركانة طير طائر وعلى ظهره الملك الظاهر قادما على العرضى كأنه الاسد الكاسر ومن خلفه عثمان بن الحبلة على ظهر الهجين وهما فرحانين مستبشرين فصاح المقدم ابراهيم حديد نحاس قصدير رصاص توتية فضة ذهب سبع معادن تصدوا أهل الغضب فقال السلطان مالك يا مقدم ابراهيم فقال ابراهيم من انت فقال السلطان نسيتنى أنا الملك الظاهر فقال له الظاهر مات وهذه

وراسه على سور برشونة وها نحن قد أتينا نروح لاخذ الثار وخلاص الرأس من بلاد الكفار فقال الملك انت سر إلى الديوان وشيع هذا الكلام فقال عثمان بالسلامة ياابو حور أنا ماقلت لك هذا مثل سقط القول غالب اليه والنار فدخل إبراهيم وأخبر الملك السعيد فقام على حيله وراح سعد فأخبر الملك عرنوس وأتى وكذلك الملك مسعود بك فضربت المدافع من أربعة أركان العرضى وصاحت الجاريشية ودقت طبل الأفراح فسمع الملعون جوان المدافع تضرب فى عرضى الاسلام فحط يده على قلبه وقال يابرتقش أنا اعلم ان المسلمين حزنانين على ملكهم وأى شيء هذه المدافع وأى شيء هذه الأفراح قم يابرتقش ياابنى اكشف لى الخبر فقام البرتقش وغاب إلى نصف الليل وعاد إلى برشونة فدخل على جوان وقال له ياأبانا هات البشارة فقال له جوان بشرنى فقال له اعلم ياأبانا ان ملك الاسلام قد أتى سالما من مصر وهذه المدافع الذى سمعتها بشرى لقدومه فقال جوان أما سمعنا أنه قتله سيرون الراهب فقال البرتقش إذا كان سيرون الراهب يبقى من يركب فى الموكب ويمشى وراء العربة التى يتطلع عليها شويحات حكم ما رأيت فى كتاب اليونان أنت طاوعنى خلينى أجيء لك بالحارة واطلع من برشونة قبل ما تاكل علقة بسوط شيحة الغضبان مثل كل نوبة يا جوان فقال جوان أسكت يا سيف الروم أما هذه بشارة ملعونة وقام جوان فدخل على سيرون الراهب ومرتين الابرش فقال تعال يا سيرون انت جئت براس مملوك وتدعى أنها رأس رين المسلمين وهذا رين المسلمين أقبل وكيف يكون العمل فقال سيرون يا أبانا وحق رب المسيح أنا ما اطعنت رأسه إلا فى وسط د وانه من على كرسيه ولا أعلم بعده أى شيء جرى الا إن كان المسيح رد رأسه اليه قال جوان أهى الرأس على السور هاتها لم يأخذها المسيح ولا غيره فقال سيرون الراهب يا أبانا إن كان ملك المسلمين طيبا والذى جرى حكم غلط وهذه الرأس ماهى رأسه فأنا أذكره من أين اتيها آتيك برأسه ثم انه بات مهموما فى نفسه حتى أصبح الصباح وأخذ أدوات الوضاح فقام سيرون لابس الطاقية وطلب عرضى الاسلام بعدها تقلد بالسيف المذكور وسار وكان الملك الظاهر جالسا وحوله ارباب دولته وعرنوس والملك مسعود بيك فرحانين برؤيته فهم كذلك وإذا بالملعون سيرين الراهب أقبل فنظره الملك فصاح السلطان امسكوا وحط يده على قبضة ابن الحكيم وطلب الملعون سيرون فعاد سيرون هاربا من قدامه وكان الملعون سريعا فى المشى كأنه الجواد العربى فلما هرب عاد الملك وجلس فى مكانه فسأله الملك عرنوس

عن الخبر فقال الملك سيرون الراهب وحكى له أنه نظره وأما سيرون الراهب فانه
عاد إلى جوان وهو ينتفض كالرعفة فى يوم الريح فقال له جوان أى شىء الخبر فقال
ياأبانا هو ملك المسلمين كم واحد فقال جوان واحد يارجل وأما انت لم تعرف شيئا
فأحضروا لك واحدا غيره منترته وها هو جالك طالبا بمنترك وانت على أى شىء
مرعوب فقال ياأبانا أظن ان ملك المسلمين جاء بخاتم الكشف وفى حال قدومى عليه
قال امسكوا وجذب الشنتيارى وهم على لولا أنى هربت وإلا كان قتلنى فقال له جوان
وأنت تدعى فى نفسك انك كاهن زمانك وغلبك رئيس المسلمين ولم يبق لك ادراك فى شىء
تفعله فقال ياأبانا أنا ما بقى يمكننى أن اقعد عنه حيث انى بالغت فى عداوته على قدر كذا
ثم انه احضر قبطيه ووضعها على رأسه وقال أقسمت عليك بما كتب عليك الأسماء
والطلاسم أنا اكون فى صفة شيحة جمال الدين فانقلب الملعون وصار فى صفة شيحة ثم انه
توجه ليلا بعد صلاة العشاء ودخل على السلطان فقام له واستقبله كما يفعل بالمقدم جمال
الدين وبعد ما جلس سأله السلطان عن غيبته فحدثه بزخاريف محال فحكى له السلطان على
ماوقع من سيرون الراهب وماوقع من قتل بيبرس الخياط واخذ الرأس برشنونة وأنا
جئت وتعبت حتى أخذت الخاتم الى الكشف من البركة المرصودة واتيت به وقطرت
سيرون الراهب لما حضرت وأردت ان امسكه هرب منى فقال له والآن ختم الكشف
معك قال نعم فقال فرجنى عليه فقال السلطان لا يمكن لى أن اعطيه لأحد فقال له الحق
بيدك وأنا كان ياملك تخاف منى وقام على حيله فقال السلطان أنا ما أخاف منك ولكن
أخاف على نفسى فقال له هذا الذى جرى لك وأنا غائب وأما لما حضرت لا يمكنى أقعد عن
هذا الملعون فرجنى على الخاتم فقلعه السلطان وأعطاه له فلما بقى فى يده وقف وقال ياملك
إن رأيت وجهى من غير رأس سيرون الراهب فما أنا شيحة بل أنا مخامر على الاسلام
وخرج من قدام السلطان وإذا بالمقدم جمال الدين داخل على السلطان فقال له الملك لماذا
عدت ثانيا بغير الذى قلت عليه فقال أنا ما قلت لك شيئا فقال السلطان انت لم تكن
عندى فى هذه الساعة وأخذت الخاتم منى وقلت لا أعود إلا برأس سيرون الراهب
فقال شيحة أخبرنى بالقصة فقال السلطان أى شىء أخبرك به هذا هزار أم جد انت
ذاتك كنت عندى وطلبت الخاتم فقال شيحة طيب فهمنى على الذى جرى فقال
السلطان كأنى أنا فى منام وأعاد على المقدم جمال الدين العبارة ثانيا فخبط كفا على
كف وقال له هكذا جرى نقام الملك فى هذه الساعة فعند ذلك طلع شيحة من قدام
السلطان وانفرد قبل دخول سيرين الراهب إلى المحل الذى فيه جوان فلقى البرتقش

داخل المرتفق ليزيل الضرورة فالقى عليه دخنة بنج بنجه بها والبس ملابسه وتزيا بصفته ودخل على جوان فارتعد جوان وقال يا سيف الروم أنا حصل لى منك ارتعاب فقال يا أبانا اعلم ان سيرون الراهب جاء بخاتم الكشف من ملك المسلمين فقال جوان بلغنا الارب والامال يا برتقش وإذا سيرون اقبل ودخل على جوان فقال له خذ ياجوان هذا خاتم الكشف فاخذه جوان يتفرج عليه فخطفه البرتقش وقال له بهذا كان يراك زين المسلمين قال نعم فقال وهذا الختم بقى معك وزين المسلمين فى ديوانه قم انته ياسيرون خلى النصارى تبلغ مقصودها من المسلمين وأما هذا الختم خليه عند ابينا جوان لما تعد براس زين المسلمين خذه منه فقال أنا لا اسيبه من يدى أبدا فقال البرتقش خذه معك فما أحد يمنعك من أخذه وناوله الخاتم وكان شبحة بدا له وأعطاه خاتما على صفته من الفضة فاخذه وقال لجوان أنا ما بقى يمكنى القعود عن ملك المسلمين وقام وأتى بالسيف فلبسه وطلع على حية فانفرد من ورائه المقدم جمال الدين كما ينفرد الأسد على فريسته حتى أدركه وهو داخل ارض الاسلام فسبقه المقدم جمال الدين ووقف له على باب الصيوان وأخذ فى يده عشة أمضى من القضاء والقدر وصبر عليه حتى خطى من باب الديوان وقصد مجلس السلطان وإذا بالمقدم جمال الدين حمل عليه وهو ناظر اليه وضربه بالمنشة على وريديه فاطار راسه من على كتفيه وفى الحال أخذ من يده السيف وقلع من راسه الطاقية وتقدم إلى السلطان وقال تفضل يا ملك الاسلام هذه الذخائر التى احتوى عليها هذا الملعون فعنده أمر السلطان أن ترفع راسه على رمح عالى لينظروها عصبة الكفرة فتنكسر ظهورهم هذا ماجرى وأما جوان فانه قام ودخل الكنيف لاجل قضاء حاجته فلقى البرتقش مكبوبا على وجهه فى دهليز الكنيف فلما رأى ذلك أيقن بالغلبة والمهالك وأطلع ضد البنج وأتى إلى البرتقش وفيقه وأخذه فسأله عن خاتم الكشف وكيف أنه نزل خلف سيرون الراهب وهاأنا أراك مرمى فى الكنيف فقال البرتقش ياأبانا أنا مارايت سيرون الراهب مطلقا وإنما كنت اتيت إلى المرتفق فوقعت كما ترانى وهذا فعل الرجل أبو محمد الذى هو منتظر تقطيعك على العربة وحرقك فى الرميلة فقال جوان وسيرون ياسيف الروم راح على ارض المسلمين لاجل انه يقتل زين المسلمين واظن يا برتقش أن الذى كان قاعدا عندى هو شويحات وقد أخذ ختم الكشف من سيرون الراهب بعدما جاء به من زين المسلمين قم يا برتقش واكشف لنا على الخبر يا سيف الروم يا بنى فانا خائف على سيرون فقام البرتقش وهو مشغول وغير حليته وسار إلى صيوان الملك الظاهر فما حكم

دخوله الا وقت ما قال السلطان ارفعوا راس الملعون على رمح قدام خيمتى حتى
ينظرون اليه أولاد الكفرة ويعلموا ان الله ينصر المؤمنين فلما سمع البرتقش ذلك
الكلام ونظر إلى سيرون الراهب وهو يخور فى دمه ويضطرب فى أثره فعاد البرتقش
إلى قدام جوان وقال له يا ابانا هات البشارة فقال جوان قل لى وبشرنى يا برتقش فقال
أما من جهة الراس الذى على سور مدينة برشونة فانها ما هى راس رين المسلمين بل
انها غيرها وأما رين المسلمين فانه قاعد على كرسيه بين أرباب دولته وصحبه وسيرون
الراهب راح له ليقتله وانا تبعته حتى أنظره فرأيته مقتولا قدام صيوان رين المسلمين
وراسه منشاله على رمح وإذا وقفت على سور برشونة نظرتها فان طاوعتنى خلينى أجىء
لك بالحارة فقال جوان ما يدخل عقلى هذا كله فبينما كذلك وإذا بضجات هائلات
وصرخات عاليات وأصوات مرتفعات وطعنات نافذات وضربات قاطعات وهمهمة
أسود ضاريات والمنادى ينادى الله أكبر فتح ونصر واخذل من كفر وكان السبب
فى ذلك وهو ان المقدم جمال الدين شيحة من بعد موت سيرون الراهب ورفع راسه
كما أمر السلطان قال يا ملك الاسلام أى فائدة فى القعود عن هؤلاء اللئام فقال السلطان
دبرنا يا مقدم جمال الدين حتى نهلك هؤلاء الملاعين فقال يا بنى اسماعيل اركبوا وسيروا
من خلف عرضى الاعداء كل مقدم منكم بعساكره يكون بينه وبين الآخر مسيرة رمية
نشاب وتكونون تحت الندهات وتكون العلامة بينكم التكبير وقول الله أكبر وصلوا
على البشير النذير وبعد ذلك قال للملك عرنوس وأنت يا سبع الاسلام تأخذ حمله
اسماعيل والمقدم نصير النمر واولاد ملوك البرتقال وتأتى الكفرة عن يمينهم وكذلك
الملك مسعود بك والملك قاراصلان المغربى وعساكر بورصة ان يكونوا على المسرة
وأما ملك الاسلام والامراء والوزير فانهم يكونون بين أيديهم وبعدما وضب المقدم
جمال الدين ذلك الترضيب دعا أولاده وهم محمد السابق والمقدم نورد والمقدم نوبرد
وأمرهم ان يختفوا معه ويدخلون البلد ولما كان أول الليل صاحت أبطال الاسلام
فأول ماضرب بالسيف بنو اسماعيل فاراد الكفرة ان يقتلوهم فى القتال فزعق عرنوس
من اليمين والملك مسعود بك من الشمال وغنى الحسام الفصال ونفذ الرمح والسنان فى
نواعم الأبدان واشتعلت الحروب نيران وسكر الناس من غير خمر الدنان فكم من
راس طار ودم فار وجواد بصاحبه غار وغنى البتار وقل الاصطبار فما كنت ترى إلا
عبار طايرة وسيوفا ورماحا طايرة والانفس حايرة ومادام الامر كذلك حتى مضى
ثلثى الليل وكلت من الحروب الرجال والخيل ودام السيف يعمل والدم يبذل ورؤس

الافرنج والروم تتجندل حتى أذن الله الليل بالارتحال وظهر الفجر بنوره المتلالى تشتت جميع الكفرة وانكسروا أشأم كسرة وملكت الاسلام كل ما عندهم من خدام وخيام وخيول وانعام فاراد الملك أن يهجم العرضى وإذا بالمقدم نور دعارضه واعطاه تذكرة من أبيه نقرأها الملك وإذا فيها اعلم يا ملك الاسلام ان أبواب البلد خالية من الغفر والاسوار كذلك وأنا واقف منتظر قدومك حتى افتح لك الباب فلا تنزل عن ظهر جوادك فى هذا النهار حتى نجعلها وقعة الانفصال فانى قبضت على جوان والبرتقش وعلى الملعون مرتين الابرش فلما قرأ السلطان التذكرة ساق الحصان على باب السور وتبعته الامراء من كل بطل جسور ونادى المنادى معاشر الفرسان الكرام ادخلوا البلد خلف ملك الاسلام وأما السلطان فانه دخل من باب البلد وصاح حسبى الله أكبر

أنا ملك القبلة أنا خادم الحرم	أنا الظاهر المنصور بالبند والعلم
أنا ترس قبر المصطفى أشرف الورى	نبى الهدى من قومه أشرف الامم
وتحتى جواد أدهم شاع ذكره	صبور على الهيجاء قط ما انهزم
وقنطارية ابن أباديس ملكتها	والى عشر ارطال دمشقى قد احتكم
وخدمت أبطال الحصون لرفقتى	وترك مع ديلم وفرقة من العجم
بسعد وإبراهيم قد نلت رفعة	شواكرهم تبرى الجماجم والقمم
سلطانهم شيحة أنا شاكر له	بلغت به الآمال والفضل والنعم
ومثل جمال الدين ما عاد ينتشى	من الآن حتى نعود إلى الرمم
وصل إلهى بكرة وعشيـــة	على المصطفى من خص بالجود والكرم

وتبعه المقدم إبراهيم والمقدم سعد وأبطال بنى إسماعيل والملك عرنوس وإسماعيل أبو السباع والمقدم نصير النمر وما كان الاقليل حتى طلع السلطان إلى محل مجلس مرتين الابرش فنظر إلى فرقة تزيد عن خمسمائة رجل لابسين لباس النصارى يضربون السيف فى النصارى ويعاونون الاسلام فتعجب السلطان من ذلك حتى جلس على تخت المدينة وإذا بالوزير مرين مقبل وصحبته المقدم جمال الدين وأولاده فقدموا ثلاث جدالات وأطلعوا جوان والبرتقش ومرتين الابرش فامر السلطان بقطع رأس مرتين الابرش فضربه المقدم إبراهيم فاطار رأسه وبعد ذلك قدموا جوان فاراد الملك قطع رأسه فقام شيحة ضربه الف صوت حتى مزق جلده وبعده لفعه البرتقش وأمر السلطان بنهب كل ما فى البلد من نساء وأولاد وبنات وبعد ذلك امر الطبجية أن يضربوا عليها بالمدافع حتى

يهدموا أسوارها فتقدم مرين وقال يا ملك الاسلام أنا أسلمت على يد الملك الصالح وأعلمتك بذلك هل لى فى جنابك مطمع أن تعطينى هذه المدينة افتحها للاسلام واقيم فيها

فقال السلطان أى بلد أردتها خذها ياوزير مرين وأما هذه البلد ماتوّمن إذا قعدت فيها وإنما أنت والذين أسلموا معك تأتى بهم إلى مصر وأنا أجملك أميرا وتكون مجاهدا فى الاسلام

فقال له رضيت بذلك فضرب الطبجى المدافع على أسوار برشونة حتى هدم الأبراج وبعد ذلك أمر باحضار السبايا فكان من جملتهم صافية بنت مرتين الأبرش فأمر السلطان بأخذها وفرق الباقى على المجاهدين وأخذوا كل أموال البلد والخيل والمواشى وجميع ماكان تحت يد مرتين الأبرش وتوجه السلطان طالبا مصر ولما وصلوا إلى مفرق الطرقات أخذ الملك عرنوسا إجازة من السلطان وتوجه قاصدا مدينة الرخام وكذلك الملك مسعود بك توجه على برصة وأما السلطان سافر قاصدا مصر فلما وصل إلى العادلية تزينت له مصر بغير مناديه وانعقد الموكب للسلطان وسافر إلى مصر وطلع إلى قلعة الجبل وهو فرحان بالنصر والظفر اطلق من فى السجن وأبطل المظالم والمكس ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الأذية وأمر بصفية بنت مرتين الأبرش فدخلت إلى السراية وأمر أنها تسلم ويأخذها الملك محمد السعيد فيتزوج بها وتسير أحظى النساء عنده وان الله يمن عليها بدين الاسلام وبعد ذلك أقبل المقدم جمال الدين ودخل على السلطان فقام له قائما على قدميه واستقبله وأجلسه إلى جانبه وتباسط معه بالكلام فقال له المقدم جمال الدين ياملك الاسلام هذا السيف والطاقية الذى أخذناها من سبرون الراهب وخاتم الكشف الذى أحضرته لك ما العمل فيها فقال السلطان يا أخى أنا لا أغتر بها ولا لها عندى منفعة فان دين الاسلام محفوف بالنصر من الملك العلام ثم أمر السلطان أن يحضرها المقدم جمال الدين فلما أحضرها مسك الملك الطاقية وقصها سيورا رفاعا وحرقها بالنار وبعد ذلك أحضر السيف وكسره قطعا حتى ما خلا فيه شيئا ينفع وكذلك الخاتم كسره وسلم قطع السيوف وقطع الخاتم إلى عثمان وقال له اعطيهما لحداد يصنعهما نعالا للخيل .

فقال عثمان والله ما فعلت إلا كل الخير وأقام السلطان بعد ذلك يتعاطى الأحكام كما أمر الملك العلام عدة أيام سبحان الدائم الباقى على الدوام الذى لا يغفل ولا ينام إلى يوم من بعض الأيام الملك جالس وأبو على البراج يقول سبحان هادى الطير فقال

السلطان سبحان عالم الغيب. فتقدم البراج ومعه طير فاطلع من تحت إبطه ماسورة واخرج منها كتابا فقدمه للسلطان فأمر مقرى الديوان أن يقرأه واذا مكتوب فيه

سلامى على هذا المقام وذا الحمى مقام به كرسى الخلافة قد نما
يؤم أمير المؤمنين وجيشه وقد حفت الكرسى ملائكة السما

من حضرة العبد الأصغر والمحب الأكبر خادم الركاب كاتب الجواب محمد فارس البطريق باشة اسكندرية الى بين أيادى سيد سلاطين بنى آدم وظل الله فى العالم اعلم يا ملك الاسلام أننا يوم تاريخ الكتاب مقيمين إذ أقبل من البحر غليون من بلاد الروم وفيه واحد بطريق اسمه ملبون ويدعى أنه مقبل من جزائر البرتقال ومعه كتاب من عند مغلوبن ومعه كاب كبير اسمه بيلمان وقصد أن يحضر الى بين أيادى مولانا السلطان فلما علمنا ذلك كتبنا هذا الجواب حتى نعلم مولانا السلطان بذلك الانسان ونحن منتظرون رد الجواب الامر أمرك أطال المولى فى عمرك والسلام فلما سمع السلطان ذلك الكتاب تعجب وقال اذا كان مغلوبن أرسل كتابا وأى شىء قصده أن يرسل الكلاب فقال الوزير لابد لذلك من سبب فأمر الملك بأن يكتب رد الجواب بحضور ذلك النجاب فكتب له بالحضور فأمره الباشا بالطلوع من البحر ووجهه الى السلطان ومادام حتى وصل الى قلعة الجبل وتقدم الى قدام السلطان فقبل الأرض مرارا وقدم الكتاب الذى معه وكان هذا الكتاب له سبب عجيب وهو أن الملاعون جوان لما طلع من مدينة برشونة راح بحيرة ايغرة وأقام مقدار شهر حتى برىء من الملقة التى ضربها له شيحة وبعد ذلك قال لغلامه ياسيف الروم جوان راح تطلع روحه من الكيد وكيف يكون الرأى ثم أخذه وصار يدخل على ملوك الروم ويطلب منهم الركوب ويغريهم على بلاد الاسلام فلم يقبلوه ولا يسمعوا له كلاما ويطردونه من بلادهم وما دام كذلك حتى دخل على مغلوبن ملك جزائر البرتقال فأراد مغلوبن أن يصرمه ويطرده فقال له يابب أنا مرادى أقيم فى الكنائس وأتبرك بمكان الديور فقال له البب مغلوبن اذا كنت على ذلك مرحبابك وأما ان قلت لى اركب على ملك المسلمين ركبة فانى أضربك ولا أسمع كلامك وقيل انى أقتلك فقال مابقيت أقول لك اركب ولا تركب وأقام على ذلك مدة ايام الى يوم نظر الى كلب واقف قدام البب مغلوبن كان قادم به من الصيد فقال جوان يابب مغلوبن هذا الكلب ماله نظير فى الكلاب فقال مغلوبن ياأبانا هذا اسمه سلاره وهو متربى عندى وله خمسة أخوات رأسهم السادسة وهم منفعة عندى اذا كنت فى الصيد والقنص فانهم يغفرونى من الوحش فانهم

متعاذين عن جميع الحيوان فقال جران يا بب ان هذا الكلب له فوائد كثيرة اذا انت سمعت كلامى تجد فيه الربح من غير خسارة وبه يرتفع الخراج عن بلاد النصارى فقال البب مغلوين ياأبانا باى شىء نرفع الخراج عن بلاد النصارى فقال جوان يكون سببه هذا الكلب البيطان وأنا الملك يا بب وهو ان ملك المسلمين يقول ان النصارى كلهم كلاب وان المسلمين سباع فنحن نرسل له نقول كما تقول ان المسلمين سباع والنصارى كلاب فها نحن أرسلنا اليك كلبا ونريد منك أن تقدم له سبعا يكسره فهات أى سبع أردت واجمعه واياه كان السبع يكسر الكلب فبقى كلامك صحيح ان المسلمين سباع ويفترسون الكلاب فيجب الخراج على الكفار لكون أنهم مغلوبين وان كان هذا الكلب يفترس هذا السبع يبقى السباع أقل من الكلاب مرتبة ولا يلزم الكلاب حينئذ ان تحط الخراج الى السباع وها قد أرسلنا الكلب اليك لاجل ان يكون هذا الشرط على يديك وشكى يارب المسيح

فقال له البب مغلوبن صدقت ياأبانا وانا أعلم أن ملك المسلمين منصف محب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف فقال جران انا أعمتك واقت افعل ما تريد فعنده كتب البب مغلوين كتابا على هذه الكيفية وسلمه الى باشة البطارقة وأعطاه الكلب وخدامين الكلب سار وافى خدمته الى ان وصل الى قدام السلطان كما ذكرنا وأخذ السلطان الكتاب وقرأه المقرىء على هذه الكيفية فسمعه السلطان فقال هذا أمر سهل وكان فى تلك الايام موجود فى دولة الملك الظاهر رجل بامور السباع خبير ولا له شغل الا صيد أشبال السباع وتربيتها تحت يده وله على بساط السلطنة جامكية وعلوفة بسبب ذلك يقال له الحاج حيدر المغربى فقال السلطان احضروا الحاج حيدر بعد ما أمر لهذا الكافر ان يقيم فى مستودع السلطنة مثل عادات أمثاله ولما حضر الحاج حيدر بين أيادى السلطان قال له السلطان ياحاج حيدر انظر الى هذا الكلب وهات سبعا يقتله فان فى هذه رفعة لمراتب الاسلام

فقال الحاج حيدر يامولاى السلطان أنا خادمك ولكن اعلم ان أولادى الذى عندى ما فيهم سبع يغلب هذا الكلب أبدا وان جئت ياملك الاسلام بسبع من عندى فلم يقدر على هذا الكلب فاجر فقال السلطان وأنت الك مدة فى هذه الخدمة لم يكن عندك سبع يقتل الكلب فقال يامولاى السلطان ما عندى من السباع للقتل لانهم أشبال وهذا كلب جبار فقال السلطان الكلب يغلب السبع هذا شىء ما سمعته فقال الحاج حيدر ان كنت تظن ان عندى نفاقا ففى خدمتك من هو صاحب فهم وادراك عنى وأقدر منى وهو الفارس

الشجاع والقرن المناع المقدم أبو السباع لانه يأتى بالسباع الكبار الضاريات يقبض عليها ويأتى بها من الغابات فاطلب منه سبعا فان عنده سباعا تملأ الارض والبقاع فقال السلطان صدقت ثم انه كتب كتابا يقول فيه الذى اعلم به ولدى واعز من ولدى الملك محمد سيف الدين عرنوس ان الامر الجأ الى حضور عمك المقدم اسماعيل أبو السباع فكتبت لك هذا الكتاب فلا يكون جوابه الا ارسال المقدم اسماعيل فانه فى أمر مهم والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام وأعطى الكتاب للمقدم سعد وأمره بالمسير فسار المقدم سعد يقطع البرارى والآكام حتى دخل مدينه الرخام فدخل على الملك عرنوس وسلمه الكتاب ففرح بالمقدم سعد وسأله عن الملك الظاهر فقال بخير فالتفت الملك عرنوس الى عمه وقال ان عمى الملك الظاهر طالبك على موجب هذا الكتاب فقال المقدم اسماعيل على الرأس والعين فان طاعة السلطان فرض لازم اسير فقال الملك عرنوس هذا مستعجل فقال حاضر سر قدامى ياسعد وأنا الحق بك فقال سعد ماسابر الامعك فقال المقدم اسماعيل أنا أعرف أنك ماتركب خيلا وأنا راكب على الحمامة العطشا فقال سعد سر معى وانا أسير على سيرك فركب المقدم اسماعيل على حجرته فقال له سعد اتبعنى اما ان أسبقك والاسبقتنى فاغتاظ المقدم اسماعيل من كلامه وركب الحجرة وشك جنبها بالركاب فطارت به كأنها العقاب وسارت تمر على الارض كمر السحاب هذا والمقدم سعد يهمز قدامها همزات متتابعات يقطع بها الاراضى والفلوات ونظر المقدم اسماعيل الى سعد فقال سعد خاف على الحجرة ان تهلك من التعب ولم تجد غيرها تركب عليه فصاح على المقدم سعد وقال له أنت حتى ام شيطان مرادك ان تقتل حجرتى بالجريان فقال سعد وأنا مالى انت الذى تجرى وأنا أجرى امشى على مهلك وأنا أفعل كفعلك فعند ذلك مشى المقدم اسماعيل بشفقة ومادام على تلك الحية حتى وصلا الى الديار المصرية والقاهرة المعزية فطلعا الى قلعة الجبل وتقدم قدام السلطان فخضع ونصح وترجم وافصح مابه تكلم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم ففرح به السلطان وأمره بالجلوس فجلس وبعد مااستقر به الجلوس أخبره السلطان بالكلب وقال له اريد منك سبعا يقتله فقال يادولتلى حتى انظره فأمر باحضاره فلما حضر قال المقدم اسماعيل يادولتلى هذا الكلب لم يكن فى أولادى سبع يقدر يفترسه ولا من يقدر يجرحه فان هذا كلب بيلمان وله جسارة على افتضاض السباع من الرجال والكتبان فقال السلطان ما هذا الكلام يا مقدم مع أنك فى أول غندورك اتيتنا ومعك جمع من السباع لاتعد وكان قصدك ان يفترسوا أبطال الحصون

وهذا الوقت تدعى العجز وتقول ما فيهم من يقتل هذا الكلب ثم صرخ فى وجهه فقال المقدم اسماعيل يا دولتلى السباع ما هى مثل بعضها فان الذى أقبضهم بيدى لو كان لهم اقتدار على مثل هذا الكلب ما كنت أقدر أطوعهم وإنما أنا منذ ما كنت فى الحج مررت على غابة سيدى على بن عليم بجانب الشام وكان فيها سبع أحول لكنه كان صغيرا وجاهلا إلا أنه ضارى من السباع الضوارى فاردت أن أقبضه فلم أقدر عليه وضربنى بكفه طبق الدرع على صدرى فكاد أن يخسفه ولا نجانى منه إلا قدرة الله فان كان هذا السبع طيبا وأنصفنى الزمان وقبضته فانه يقتل هذا الكلب ولو كان معه عشرة مثله فان كان مولانا السلطان يأمرنى أن أروح إلى الشام واطلب واحدا من الحدادين يكون ذا فهم يصنع لى شركا من الحديد حتى أصطاده وأقدمه إلى بين أيادى مولانا السلطان فعلى الرأس والعين فان ما يقتل هذا الكلب البيلدان إلا هذا السبع الأحول فقال السلطان يا مقدم اسماعيل إذا كان الأمر كذلك فانا أكتب لك كتابا إلى باشة الشام يعطيك كلما طلبته ولا الزم ذلك السبع إلا منك فان هذا الكلب إذا لم ياته سبع يقتله يكن خفضا لأبطال الاسلام فاجتهد يا مقدم اسماعيل حتى انك تبطل القال والقيل

فقال على الرأس والعين فكتب له الملك كتابا إلى باشة الشام يأمره ولا يخالف له مقالا وركب الفداوى وسار يقطع البر والآكام حتى دخل مدينة الشام فدخل على الباشا وأعطى له الكتاب فقام على حيله ممتثلا الخطاب وقال الرأس والعين فقال له احضر لى الحدادين حتى انى أطلب منهم أن يصنعوا لى فخا لصيد السباع فاحضر طائفة الحدادين فطلب المقدم اسماعيل منهم صناعة الفخ فقالوا لم نعرفه فوصفه لهم فقال رجل اختيار أنا يا مقدم أصنعه لك ولكن يعوز خمس قناطير حديد من الحديد الجامد الثقيل فقال له خذ كلما تريده فاعطى له الباشا خمسمائة دينار وقال له اشترى كلما تريد من حديد وفحم وأجرة رجال حتى تتم شغلك فاخذ ما يكفيه وصار يجتهد فى أشغاله وأما المقدم اسماعيل فانه طلع إلى الاسواق يدور له على رفيق يرافقه وهلى صيد السبع يوافقه [اسمع] ما جرى لرجل حزار بالشام ضاقت حضيرته من كاره ووقف الحال حتى خلص منه الرأسمال ولا بقى يملك شيئا من المال

فاتفق أنه تحدث مع زوجته وقال له البطالة تلفت حالى والدين قد أعلانى وضاع رأس مالى فقالت له أنا أسأل لك جارتنا فلانة فى عشر دراهم تشترى بها رأس غنم وتذبحها ولما تبيعها اعطيها الأصل والباقى مكسبك

فقال لها وهو كذلك فقامت وجاءت له بعشرة دراهم فضة وقالت له قم على بركة الله فقام واشترى خروفا بالدراهم وأتى به إلى الدكان وذبحه وسلخه وعلقه فى الكلاليب ووقف ينتظر من الله الفرج القريب وإذا بصاحب الدكان أتى اليه وقال له عندك اربعة أشهر بأربعة دراهم هات الاجرة فقال له أنا بقى لى زمان مافتحت فقال له هات رطلين لحم وبكره ان شاء الله اعطيتى الباقى فاعطاه رطلين وبعده اتاه الخفير وبعده السقا كل منهم اخذ رطلا وبعده اتاه ديانه اخذوا رطلين حتى فرغ ربع الخروف ولا قبض ولا صرف فبينما هو كذلك وإذا بالمقدم اسماعيل مقبل فتأمل فلقى هذا الرجل مذهول العقل فقال له ياشيخ اقطع من هنا نصف رطل فقطع له فقال له واقطع من هنا رطلا فقطع فقال ومن هنا نصف رطل ومادام كذلك حتى قطع كل الخروف وبقى كله قطع فقال يا شيخ هذا ذكر ام انثى فقال له ذكر فقال المقدم اسماعيل انا احسب انه انثى ومن حيث ذكر فما بقيت آخذ منه قال له وانا قطعت اللحم وكيف الحال فقال يا شيخ انت الذى قطعته وانا ما يعجبنى ان آكل منه ولا اريده ثم شخت فيه فبكى الجزار وقال له يا سيدى هل لك ان تفعل معروفا وتقتلنى او تشترينى وتجعلنى عبدا لك وخادما على طول الايام فقال المقدم اسماعيل ياشيخ انا ما اقتل مثلك فان قتل النفس حرام وانا لا اشتريك فالحر لا يباع ولا يشترى فقال له ياسيدى انا كرهت عيشتى فى الدنيا فقال المقدم اسماعيل تبيع نفسك للموت وانا اشتريك قال ابيع نفسى للموت بخمسمائة دينار فقال المقدم اسماعيل سر معى على يد الباشا حتى احضر القاضى واكتب عليك حجة واعطى لك الخمسمائة دينار فسار معه فى الحال حتى بقوا قدام باشة الشام وامره باحضار القاضى وشهود المسلمين واعلمه انه لازم له فى خدمة السلطان فكتبت الحجة عليه فاعطى له الخمسمائة محبوب وقال له ضمها فى بيتك وعدلى سريعا فسار الرجل واعطى الدراهم لزوجته واخبرها بما فعل فبكت على ذلك العمل وعاد الرجل الجزار إلى المقدم اسماعيل فاخذه وسار به إلى الاسواق يشترى غنما حتى اشترى مائة خروف وبعد ذلك تكامل شغل الفخ فارسل الباشا إلى المقدم اسماعيل وفرجه عليه فطلب منه جملين وحصانين وعشر رجال يوصلونه إلى غابة سيدى على بن عليم وخيمة باربع عمدان لاجل الاقامة فى ذلك المكان وجانب تبن رفول الاغنام فاحضر له الباشا كلما طلب وسار المقدم اسماعيل والجزار صحبته حتى وصلوا إلى الغابة المتقدم ذكرها وقد نصب المقدم اسماعيل الخيمة وجعل فى جانبها حوشا وضع فيه الاغنام ووضع مؤنتهم بجانبهم وبعدما استقر به المقام نصب الفخ على باب تلك الغابة بعدما عرف

جرة السبع وطريقه وبعده أمر الجزار بذبح خروفين فذبحهما فقال له اسلخهما وقطعهما أربعا وسوى لنا عشاء ففعل ما أمره وقام المقدم منهما اسماعيل وأخذ ربع خروف ووضعه قبالة الفخ وقعد هو ومع الجزار ينتظر الفرج من الكريم الغفار حتى أقبل الليل فأكلا عشاهما وانتظرا اشغالها فاقبل من الغابة سبع وهو يتبختر فى البر الأقفر وعيناه يطير منهما الشرار وله اضافير كانه الكلاليب وأنياب أحد من النوايب ومازال سائرا حتى وقف قدام الشرك وصار ينظر اليه ويلتفت إلى نحو الخيمة وبعده مد كفه وجذب اللحم ودخل به الغابة كل هذا يجرى والمقدم إسماعيل ينظر اليه ويرى فالتفت إلى الجزار وقال له يا شيخ هذا الذى أتينا فى طلبه فاذا قبضنا رجعنا إلى الشام وتعود انت إلى بيتك بسلام ويدوبك منى الخير الجزيل والانعام فقال له الجزار الأمر بيد الله الواحد القهار ثم انهم باتوا حتى طلع النهار ووقف المقدم اسماعيل وعارض الاسد وهو خارج من الغابة وحدف له فخذ الخروف فاخذها وسار يطلب القفار ولما كان عند المساء فى عودته عارضه المقدم اسماعيل وحدف له ربع الخروف فكان فى ذاك اليومين أكل الجزار والمقدم إسماعل والسبع الأحول الخروفين الذى ذبحهما الجزار وكان آخرهما الربع الذى رماه له المقدم إسماعيل صبيحة اليوم الثالث فاخذه وسار فأمر المقدم اسماعيل الجزار بذبح خروف ثالث فأكلا منه النصف والنصف الثانى أعطاه المقدم اسماعيل للسبع المساء ربعه والصباح الربع الثانى ورابع يوم كذلك وخامس يوم وهكذا إلى تمام أربعين يوما فنظر الجزار الغنم صارت قليلة فقال يامقدم اشترى لنا كان جانب غنم فقال له ياشيخ ما يخصك شىء من هذا أنا عارف شغلى وصبر تسعة أيام بعدها فقال له الجزار ما بقى عندنا سوى خروف واحد فقال المقدم اسماعيل يا شيخ وأين باقى الغنم نحن لنا خمسون يوما بخمسين خروف الذين ذبحناهم من مائة خروف الذين اشتريناهم فقال الجزار والله يا سيدى ما اعلم فقال المقدم اسماعيل حيث الأمر كذلك إذا نحن أعطينا الاحول هذا الخروف الباقى ولم يقع فى الشرك فانا أذبحك بيدى وأرميك له حتى أصطاده فقال له يا سيدى حرام عليك فقال له ياشيخ لاتكثر الكلام فلا بد من ذلك والسلام فقال الجزار يا سيدى إذا كان كذلك اعطينى اللحم حتى أحدفه بيدى فقال له المقدم اسماعيل افعل ماتريد فعنده أخذ الجزار الربع الأول وأرماه إلى السبع فاخذه وسار والصبح كذلك والمساء ولما كان يوم الواحد وخمسين ولم يكن عندهم لحم غير ذلك الربع الفاضل وانهما لم يأكلاه فى اليوم الماضى فتضايق الجزار وأخذ الربع فى يده وأراد أن يرميه فكشت يده به لكون ما بقى عندهما غيره وصار يحتار كيف يصنع

فاذا أخذها السبع ذبحه المقدم اسماعيل ويقطعه ويعطيه السبع فصار كلما يهم أن يخذفها فلا تهون عليه هذا والسبع شاخص له وباسط الحم يديه ولما طال عليه الحال أراد الاستعجال فبربر وتكبكب حتى صار كالقطعة الجلمد وأراد أن يوثب على الجزار فتأخر وتحرك فجاءت رجلاه فى الفخ وتخبل وانطبق عليه الشرك فصار كلما يتقلب فيه يضيق على يديه وعلى رجليه حتى تمكن منه الفخ تمكينا وصار من شدة ضيقه لم يقدر يلتوى وكان هذا فى صبيحة النهار فنظر المقدم إسماعيل إلى وقوع السبع الاحول فى الفخ فزاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وقال له وقعت يا أحول ثم انه تقدم اليه ووضع على فمه بهتبد حديد وحط رقبته فى سلسلة بجنزير وخلص يديه ورجليه من الشرك وقال له يا أحول لا يصعب عليك فانك يا ولدى ما وقعت فى يد من يفتخر بصيدك فأنا اسماعيل أبو السباع الذى ذكرى فى بنى اسماعيل قد شاع نور على حيلك حتى أقدمك لملك الاسلام حتى تقتل كلب البيلدان الذى يفتخرون به الكفرة أولاد اللئام فبلغهم ذلك السبع وبرك فى الارض ولم يعتن بكلام المقدم اسماعيل فصار يتخضع له فلم يقبل الا ويزوم ويبربر وصارت عيناه كالجمر الاحمر فقال له الفداوى الله يهديك قم فلم قم فهو كذلك إذا باثنين خيالين ورجل مقبلين بين الجبال أتوا المقدم اسماعيل وبدأوه بالسلام فرد سلامهم فقالوا له يا مقدم أى شىء صورة هذا السبع لما عصى عليك بعد قبضه بين يديك فقال يا جماعة والله لولا احتياج مولانا السلطان ما كنت أتيت اليه ولا كنت أتسبب فى صيده وإنما أنا فى صيده مغرور فقالوا له والله اعلم انه حر ولا يقبل المذلة قال نعم وأنا خايف أنه يغتاظ منى ويتنهد فيقتل نفسه ويروح تعبى بطال فعنده نزل اليه واحد منهم وتقدم اليه وهرش فى راسه ووضع فمه على أذنه اليمين وكلمه بكلام خفى وقام من جنبه وقال له قم توكل على رب العالمين فقام السبع على حيله طائعا مستطيعا فقال ذلك الرجل خذه يا مقدم وبعد ما تقضى به شغلك فان أراد الاقامة معك فهو يكون مثل اولادك وإن أراد الاقامة فى مسكنه فرده إلى مكانه فقال المقدم اسماعيل وهو كذلك وركب الثلاثة وساروا إلى حال سبيلهم واما المقدم اسماعيل فانه أمر الجزار أن يأتى بالجمل ويحمله الخيمة التى كانت مضروبة فحملها وسار الى الشام فدخل الديوان وقال للجزار أنت بقيت حر وخذ هذه خمسمائة دينار بشارة سلامتك ومسك السبع الاحول ففرح الرجل ودعا له وراح إلى حاله واما المقدم اسماعيل فانه رتب للاحول كل يوم كل خروفا مستوى حتى يأنس به مدة ثلاثين يوما وهو يطعمه بيده ويسقيه ويمسح له بدنه ويسرح له شعره حتى ان

السبع الاحول زاد عما كان وانتقل من حال إلى حال وبعد ذلك ركب المقدم اسماعيل من الشام طالب البرارى والاكام أياما قلائل حتى وصل إلى الديار المصريه فى أمن وأمان ودخل فى يوم مشهود إلى قلعة الجبل فطلع إلى قدام السلطان ومعه السبع الأحول فقال السلطان لاى شىء عبت يامقدم اسماعيل فقال يامولانا انا الذى اعانى الله على قبضه فقال له أنت قبضته فى اليوم الفلانى وأنا مررت عليك ومعى سعد وإبراهيم فقال اسماعيل أنت يا مولانا الذى نزلت وكلمته فقال السلطان نعم قال يادولتلى والله ماقام الا ببركتك فقال السلطان ونحن كان شاركناكم فى الغنم فان سعد بقى كل يوم ياتينا بخروف منهم ناكله فقال المقدم اسماعيل هنيئا وعافية والله يا ملكنا لولا كلامك معه ما كان طاع ولا قام معى ولكن ياملك الدولة أى شىء الجاك إلى المسير إلى ذلك فقال السلطان خفت من الإطالة أوانك ما تلاقى هذا السبع فتجى بلا شىء يبقى فيه خفض وحطه الاسلام فاخذت المقدم إبرهيم والمقدم سعد وتبعت اثرك على غابة ابن عليم ورايت الجزار معك فاقمنا فوق الجبل ننتظرك حتى أن الله تعالى مكنك من السبع وتركتك وجيت مطمئنا بقدومك ولما غبت بقيت مشغولا عليك والحمد لله الذى حضرت ثم أنه أمره بالجلوس فجلس وطلب كاسات شربات له فشرب ولما استقر به المقام قال له السلطان اطلب الذى معهم الكلب حتى ننظر الحال قال المقدم اسماعيل نعم يادولتلى فأمر السلطان باحضار صلبون بالكلب الذى معه حتى يتقاتل مع السبع الاحول وكل الناس ينظرونه فما كان الا شىء قليل حتى اقبلت الكفار ومعهم ذلك الكلب منقاد فى جنازير من الحديد فلما وصلوا به الى الديوان ونظر السبع الاحول اليه فنام فى الأرض ومد يده ورجليه فنظرت النصارى لفعله فما منهم الا من تقدم اليه واطلق ذلك الكلب من السلاسل وسلطوه عليه فكشر الكلب وعض على انيابه وزام وهجم على السبع الاحول بقوة واهتمام واراد أن يطبق عليه بانيابه وكان السبع نائما فالتقى هجمته بيده وكاش فى صدره ولحقه باليد الثانية فى ظهره ومسكه وتمطى فيه فقطعه نصفين ورمى نصفه شمالا ونصفه يمينا فصاحت عساكر الاسلام الله أكبر ونظر صلبون الى ما جرى والكلب نطعتين على اديم الثرى فطار منه عقله وتخبل فى نقله ولطم على وجهه ورأسه حتى تعممت ادراسه فقال له السلطان لاى شىء فعلت ذلك ياملعون صرت مثل المجنون فقال صلبون أنا فى عرضك ياملك المسلمين انك تحتمى من مكر جوان ومن أذية البب مغلوبين لانى اذا رحت اليه وقلت له أن ملك المسلمين احضر سبعا قدامى وقتل الكلب نما يصدق كلامى لما يعلم أن هذا الكلب اطلقه

مرارا عديدة على السباع وهو يفترسهم فى الخلا والبقاع وما نظرت عينه السبع الاحول ومع ذلك يكذبنى وأنا أطلب منك يا ملك المسلمين أنك ترسل معى هذا السبع فان عند الملك مغلوين كلابا أربعة أخوات ذلك الكلب فاذا قتل منهم واحدا قدامه يبقى يعلم بصدقى ولا يقول انى نافقت على كلبه وخليت المسلمين قتلوه فالتفت السلطان الى المقدم اسماعيل أبى السباع وقال له أى شىء قلت يا مقدم فى هذا الكلام فقال المقدم أروح يامولانا بلاد الكفرة اللئام حتى يعلو بذلك قدر الاسلام فعنده أراد السلطان أن يمده بالعساكر فقال ما يحتاج يادولتلى الى ذلك ان هى الا قضاء حاجة وأعود والنصر من عند الملك المعبود فركب المقدم اسماعيل على ظهر حجرته وأمر الملعون صلبون ان يسافر فى صحبته ويكون السفر فى البر ويأخذ ما معه من أعوانه وبطارقته وسار يطوى الاراضى والوديان وينتقل من مكان إلى مكان حتى دخل على مدينة البرتقان ودخل صلبون وهو مقهور يدعو بالويل والثبور وعظائم الامور ولما وقف قدام البب مغلوين بكى وأخبره بما جرى وكان وان ملك المسلمين أحضر لنا سبعا أحول قتل كلبه البيلمان وقسمه نصفين فى وسط الديوان فقال له البب مغلوين ياصلبون أنت تقول ذلك الكلام من خوفك من ملك الاسلام فان كلبى ما قتل إلا بالحسام والا واين السبع الذى يقدر يقتله فقال صلبون يا بب أنا كان حسبت هذا الحساب وطلبت من رين المسلمين مجىء السبع معى فانعم لى واجاب وأتيت بالسبع بين يديك حتى تنظره بعينك فقال مغلوين ان كان كلامك صحيح فأنا أحضر له أخاه وانظر كيف يقتله فقال صلبون الذى يخلصك افعله ولما دخل المقدم اسماعيل إلى عند البب مغلوين قام اليه وتلقاه وأكرم مثواه ونظر السبع الاحول منقادا على يديه فعلم أن هذا الذى قتل كلبه فقال له المقدم اسماعيل يامغلوين قم على حيلك وخذ منى كتاب أمير المؤمنين واعمل بما فيه والا خالف حتى تنظر ما يجرى عليك من سلب نعمتك وأخذ ما بين يديك فقام مغلوين وأخذ الكتاب وفرده وقرأه فوجد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى ولعنة الله على من كذب وتولى من حضرة ملك الاسلام الملك الظاهر الى بين أيادى مغلوين ملك مدينة البرتقان ياملعون أى شىء هذا الامتحان لما عجزت عن الطعام والضراب ولم تبق لك قدرة على القتال والحراب رجعت تتوسل بالكلاب وتقول ان الكلب يفترس سباع الغاب وما أنا أحضرت له سبعا من الخلا قتله وتظلم خادمك انك لم تصدقه فأرسلت لك السبع بصاحبه لاجل أن تعاينه وتحذر عواقبه فان كان عندك كلب ثانى فقدمه اليه حتى

يقتله بين يديك وأنت تشاهده بعينك وحالا سريعا أرسل جزية العام الماضى والعام المقبل وإلا وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم عددها من حبة ومثقال اركب عليك وأعرف قدرك وأخرب بلادك وأهلك عسكرك وأجنادك وها انا أعلمتك والسيف أصدق أنباء من الكتب وحامل الأحرف كفاية كل خبر والعمد على الختم حجة والسلام على نبي ظللت على رأسه الغمام . فلما قرأ مغلوبن الكتاب صعب عليه فقال المقدم اسماعيل ياغندار يبقى السبع هذا قتل كلبي سلوه قال المقدم اسماعيل نعم فقال البب مغلوبن حتى أراه هاتوا ياغنداره دفوه اخو بهلوه فأتوه بكلب له شعر على رقبته بصدر مثل صدر الثور وعيناه كأنهم أجاج الدم المهدور على رأى من قال

غابت على روض لقيت كلب يعلب كلب يحرس ثمانين فمجة فلمت ملا كلب
سألت من صاحبه كلك شديد القلب قال بلا غوش دا تربية الجوره
كلب بن كلب بن كلبة من سلالة كلب

فلما أقبل به نظر المقدم اسماعيل اليه والتفت إلى السبع وقال يا أحول دونك وهذا الكلب الثانى فصبر لما أطلقوه من جنازيره وسلطوه على السبع الأحول والمثال يقال

أين الثريا من الثرى وأين الثعالب من أسد الشرا

فلما تقرب الكلب وهو مكشر عن أنيابه فمد يده خطفه من عرقوبه وخبطه فى الأرض أخلط عظمه فى لحمه وانظر البب مغلوبن إلى فعاله فأمر باحضار كلبين أخوين فلما حضر الاثنان وأطلقوهما وعلى ذلك السبع سلطوهما فهمز عليهما وخطف احدهما وضرب به الثانى فلم يتحرك الاثنان وحان فيهما الحين فقال مغلوبن هاتوا أمهم حتى تنظر أولادها وتشفى من هذا السبع فؤادها فأحضروا كلبة عاقرة ملعونة فنظرت إلى أولادها فصارت كأنها مجنونة فهجمت على السبع فمد يده وقبض على رأسها بيده ومسك صدرها بيده الثانية وتمطى عليها فخلع رقبتها وماتت لوقتها وساعتها فكان عنده كلب فاضل وهو أصغرهم فقالوا له نحضره يا بب فقال مغلوبن يكفى خلوه ينفعنا أولى من قطعهم كلهم فقال له المقدم اسماعيل حق طريقى خزنة مال واحضر للملك الدواة جزية العام الماضى والعام المقبل حكم ما فى الكتاب فقال على الراس ياسيدى ثم انه أخلى له قصرا فى بستان من خارج البلد لأن السبع لا يقبل الاقامة فى الجدار وأيضا رائحة السبع تنفر منها الخيل فنزل المقدم اسماعيل فى ذلك القصر ومعه السبع الأحول ورتب له البب مغلوبن كلما يحتاج اليه من مأكول ومشروب حتى يجمع له المال حكم طلب السلطان وصار البب مغلوبن يجمع الأموال مدة عشرين يوما

ولما كان يوم الواحد والعشرون تكامل المال فأراد مغلوين أن يحضر المقدم اسماعيل ويسلمه الأموال ويأمره بالارتحال وإذا بضجة فى البلد ارتفعت فسأل البب مغلوين عن الخبر فقالوا له انعالم ملة الروم قد حضر ففرح مغلوين بقدوم جوان واستبشر وقام اليه وهو فرحان جهدان واستقبله من أبعد مكان وقال له ياأباثا جوان أنت غبت عنى وقد وعدتنى أنك ترفع الخراج عن بلاد النصارى وأنا لما سمعت ذلك منك طاوعتك وأرسلت الكاب سلوه وقلت نبلغ به المقصود فما نابنا الا الخسران

وأما التدبير الذى دبرته ما نفع ولا شمع والكاب مات وامه وأخواته ماتوا أيضا فقال جوان من قال هذا الكلام فقال مغلوين أنا الذى قلته وأنت كلما تخمد النار تزيدها لهيبا وشرارا خربت بلاد النصارى وأوقعت فى بلادنا كل غارة المسيح يسحك ويمسح الحجارة هاتوا العدة باغادرة قال البرتقش تفضل كلها يا أبا جوان فعند ذلك رمى جوانا ونقمه علقة يرحل اليها وقال له هاأناجمعت المال اسمه لرير المسلمين اطلع من بلادى يالعين فقال له جوان ياابى هذا عيب عليك أولاضربتى ثانيا تدفع للمسلمين مالك ولم تجاهد فى دين المسيح وتحرم من نفسك ... وتحرم النصارى معك فقال مغلوين وكيف العمل فقال جوان وأين السبع الذى قتل الكلاب فقال له فى قصر روض الـ ... فقال صفوا حوله الا شاب وعند الليل أ قدروا فيه النار يحترق السبع وصاحبه وإذا سألك أحد عن سبب حرقهم فقل لا أعلم من المقدم اسماعيل ولع النار ثم ننبش السبع فى النار ... عليها الهواء من كل الجهات فاحترق الفداوى وهو ... كذلك السبع احترق ... ولا ... قتل الكلاب ويفد من العذاب قال ... مغلوين ... ذلك ... السبع وصاحبه من النار قال جوان وان طلعوا ... احضر لهم مقدم العيد ... من اليمين واليسار فإذا طلعوا من النار ... الحسام البتار فقال مغلوين ... هذا أمر كل ذلك كيف يكون الولى إذا ... الملك المسلمين فقال جوان ... خائف قوى لا ينفذ من النار ومن ... عندنا ... الدل هذا شىء ... ولا يدخل عقلى أنت طاوعنى وان نفد اسماعيل والسبع من النار ... تبقى العيب عند جوان ان غاب أو حضر فعند ذلك أمر البب مغلوين بتاركه ... يخرجوا الى الجزيرة ويأتوا بالاحطاب الناشفة الباريسية ليلا ويرصوها حول القصر الذى فى روض الرحاب ... من الكفار فى ظرف ساعة أحاطوا حول القصر بالاخشاب مثل الاسوار فى الداير ... تكامل الخشب فوضعوا فى كل ناحية بابا من الحلفة ولهبوها بالنار فلعب

الهواء باذن من على العرش استوى وزغرتت الأخشاب وزادت النيران بالالتهاب وكان المقدم إسماعيل نائما ولم يعلم ماقضاه مسبب الاسباب وما تسطر فى أم الكتاب فما شعر إلا والسبع يزوم عليه حتى أيقظه من منامه ولما قام من المنام ونزل من على سرير النوم فوجد ذلك الشرار واللهيب والزفار فاحتار ولحقه الانبهار وقال ياحليم ياستار اللهم انى اسألك بحق سيدنا ابراهيم الخليل الذى نجيته من النار بقدرتك ياغفار أن تنقذنا من كيد هؤلاء الاشرار ياحليم ياستار انك على كل شيء قدير ثم انه التفت إلى السبع وقال له هلكنا ياأحول فاشار له السبع أن اركب على ظهرى ولا تخف وأنا أخلصك من النار والاتلاف فركب الفداوى على ظهر السبع ونظر السبع بعينه يمينا ويسارا فرأى حيطة من جملة الحيطان هلكتها النيران واكفهرت وامتنع عنها الدخان وخلفها قريب من البستان فسرح السبع عليها بهمته وتمكن منها بوثبته وضربها بكفيه فوقعت قدامه فقفز فرقها وفى نزلتها ردمت الذى تحتها والسبع نزل فوقها فى وسط النار وقفز طالب القفار حتى طلع من بين الاشجار فنظر جوان الى الحيطة لما وقعت والسبع نزل فوقها فظن أن النار تلهمه فما شعر الا وهو خارج من النار والمقدم اسماعيل أبو السباع راكب على ظهره كالهزبر الشجاع وكان بعض لهيب أصاب السبع فى شعره فلم يعبأ به ولا عكره ولما نظر جوان الى المقدم اسماعيل قد خرج من النار وبجاه العزيز الغفار فصاح بملء رأسه دالى يا غنداره دالى ياأبناء الروم دالى يا أمة المسيح انصروا الكرستيان وكونوا من انصار المارحنا المعمدان فانفردت العساكر كانها البحار الزواخر واحتاطوا بالمقدم اسماعيل مثل ما يحتاط السواد بالبياض أو النيل بالبلاد أو الخاتم بالأصبع أو السوار بالمعصم ونظر المقدم اسماعيل الى هذه الفعال فقال توكلت على الكريم ذو الجلال الله الكبير المتعال بعنها فى سبيل الله ياكلاب المشركين ان عشت أعيش سعيدا وان مت أموت شهيدا حسبى الله أكبر

أنا اسماعيل أدعى بالسباعى	وفى يوم الوغا مدين باعى
أخوض الجمع صفا بعد صف	واكشف فى لظى الهيجا قناعى
أهز الشاكرية وسط كفى	يلوح لها ضياء مع شعاعى
وأضرب فى صدور الكفر ضربا	يقد الظهر منهم والضلاعى
ورمحى كلما هزته كفى	تلوى فى يدى لى الافاعى
ولى حجرة على الهيجا صبورة	تعلمت الخصايل من طباعى
أجاهد فى سبيل الله حقا	بقلب مؤمن لله داعى

ولا أخشى الجيوش ولا أبالى ولا يوم هالى كرب النزاعى
فيلوا يا كلاب الكفر نحوى فعزمى ثابت عند القراعى
سأقطع منكم الهامات قطعا وتصبح فى دياركم النواعى
تعال يا وليدى عن يمينى فذلك فى نهار الحرب باعى
ولا تفزع إذا مال الاعادى يروموا لظى الهيجاء دفاعى
أنا إسماعيل بن جمر مسمى أخى معروف سلطان القلاعى

[قال الراوى] ولما هجم على الميدان ضرب بالشاكرية رأس فارس قتله وهجم أخذ جواده وركبه وترك السبع فى جانبه فصاح السبع الأحول صوتا سمعته الخيول فاقشعرت أبدانها وتخبلت فى ميدانها ولم يبق لها ثبات فى حربها ورمت من على ظهورها ركابها وتباعدت عن السبع كل الخيل ولم تبق ومالوا عنه كل الميل وانصبوا على المقدم إسماعيل مثل انصباب السيل وتلقاهم بقلب متعود خوض الحروب بالنهار وبالليل وصبر على الهول والويل وزحفت عليه الرجال والخيل ونظر السبع الاحول إلى ماجرى على صاحبه فخاف عليه من العدى أن تعجل عطبه فهمز عليهم وأخذ رجلا منهم ومسكه من رجليه وضرب به آخر فقتله وثانى جندله ومادام يضرب به حتى لم يبق فى يده إلا عراقيب رجليه فضرب بهما بطريقا قتله وهجم عليهم وخطف واحدا غيره فصار يضرب به حتى فربه قالت رواة هذه السيرة العجيبة أن السبع الاحول قتل بنى آدم أكثر من ماقتل المقدم إسماعيل بالشاكرية فى تلك الامم لأن الخيل ماكانت جسارة تقبل عليه ولا تقبل بين يديه وأما الخيالة فانها تذل من صرخته وتهلك من عظيم هيبته ودام الأمر كذلك إلى آخر النهار هذا وجوان واقف ينظر إلى المقدم اسماعيل فرآه فارسا شديدا والوصول إلى قتله بعيد فنادى على النصارى ورمى القلنسوة فى الارض وصاح يا أولادى جاهدوا فى دين المسيح وكلما سمعت من الروم كلامه يحملوا على المقدم اسماعيل حملات هائلات ويزحفوا عليه زحفات متتابعات وهو يلقاهم بضربات قاطعات ويطعن فيهم طعنات نافذات حتى مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه فاراد الروم أن يمتنعوا ويرتدوا عن الصدام عند ما أظلم الظلام فصاح عليهم جوان ونخاهم بالكلام ودام الحرب والصدام حتى أن المقدم اسماعيل كل وملّ وضعف عزمه وقواه واضمحل فنظر إلى الأسد الأحول فوجده يصول ويجول ويهلك فى الكفار ويذهل منهم العقول ولا يبالى بكل ما يأتى له من الفحول وقد أخذ الميدان عرضا وطولا

فقال المقدم اسماعيل اسم الله عليك يا احول والله لقد أشفيت الغليل فملت معى

كل جميل وأرضيت بفضلك الملك الجليل هذا والحرب قائم على ساق وقدم وقد ذبحت الكفار ذبح البقر والغنم وامتلأت الارض بالرمم واندست القتلى بالحوافر والقدم وحكم الصارم المخدم وجار فى حكمه وظلم واسود الليل واظلم واغتم ودام الأمر على ذلك الحال حتى أذن الله تعالى لليل بالارتحال وأقبل النهار بضياء المتلال ونظر المقدم اسماعيل فرأى نفسه عدم وحل به الويل والعمى وتحسر على شربة من بارد الماء فرفع رأسه إلى السماء وسأل العلى الأعلى وقال هيه يارب

يامن يحل بذكره — عقد النوايب والشدايد
يا من اليه المشتكى — واليه أمر الخلق عايد
أنت المنزه يا بديع — الصنع عن ولد ووالد
أنت المعز لمن أطاعك — والمذل لكل جاحد
إن دعوتك والهموم — جيوشها قلبي تطارد
كن راحمي فلقد أيست — من الاقارب والأباعد
مالى على هذا البلاء صبر — ولا لى من مساعد
يسر لنا فرجا قريبا — يا إلهى لا تباعد
ثم الصلاة على النبي وآله — ما خر للرحمن ساجد
والآل والصحب الذين — أولوا الاشاير والمناقد

فلما تم المقدم اسماعيل أبو السباع كلامه ودعاءه حتى ظهر له من البر وغبار علا وثار وانكشف عن ملك الاسلام وقدامه بيرق لنبي المظلل بالغمام ومعه عساكر كأنهم البحار الزواخر يقدمها أبطال بني اسماعيل من كل فارس نبيل فنظر البرتقش إلى ذلك فالتفت إلى جوان وقال له يا أبانا لقد ظهرت الأمارة وبانت الاشارة وأقبل ملك المسلمين ومعه السرافون والامراء وفي عزمهم أنهم يهلكون النصارى [illegible] أجى لك بالحرارة

فقال جوان اصبر يا سيف الروم لما نتفرج على [illegible] حتى تجرى على الأرض وتقوم هذا ما جرى وكان السبب فى [illegible] ملك الاسلام [illegible] انه لما سافر المقدم اسماعيل أبو السباع والسبع لاحوال [illegible] ملك البرتقان قال [illegible] ملك الاسلام اعلم أن سفر المقدم اسماعيل [illegible] من غير [illegible] ليس [illegible] صواب فان ملك البرتقان [illegible] الملعون جوان [illegible] وان [illegible] حاضرا [illegible] وكان لم [illegible] في [illegible] عقيدة فى النصارى [illegible] المسلمين [illegible] صوت [illegible] الفريقين وارسال المقدم اسماعيل أبو السباع [illegible] مخاطرة قال الملك [illegible] والله صدقت يا دولتلى

والرأى الصواب عندى أن أركب على ملك البرتقان لأجل انه تعدى وجعل هذا الكلب مفتاح الامتحان وهو يقول لى فى كتابه ان لم يكن عندك سبع يقتل هذا الكلب ترفع عنا الجزية والخراج فقال المقدم ابراهيم والله يا ملك الدولة ان ركوبك على ملك البرتقان فيه صواب من وجوه عديدة أولها قطع لسان ذلك الملعون والثانى إذا كان المقدم اسماعيل فى تعب وغدر أدركناه وان كان فى حرب خلصناه وان كان قتل خربنا مملكة البرتقان وعرفنا هذا الملعون مقامه فان عنده جوانا يساعده فعنده أمر السلطان بتبريز العساكر إلى العادلية والسفر يكون بعد ثلاثة أيام فكان الامر كذلك وتكامل العرضى فى العادلية وفى اليوم الرابع ضرب مدفع الختم ومدفع التنبيه والتحميل وسافر السلطان بالعسكر يقطع الأرض والوديان حتى قرب من ملك البرتقان فقال السلطان ياسعد سر قدامى واكشف لى خبر المقدم اسماعيل أبو السباع وعن السبع الاحول فانفرد المقدم سعد وأشرف على مدينة مغلوين فرأى عروس المنايا شرعت عن ذراعها ومدت الفرسان الوغا طول باعها ورأى عساكر البرتقان محتاطين بالمقدم اسماعيل أبو السباع كما ذكرنا وهو يدافع عن نفسه ويمانع فعنده رجع المقدم سعد واخبر السلطان فالتفت الملك للعساكر وقال هذا يوم الحملة ما هو يوم الاتكال ثم ان الملك غير جواده ولبس عدة حربه وجلاده وقفز إلى الميدان ونادى الله أكبر ولله الحمد :

أتيت إلى قوم لئام محاربا ... بما أنهم جحدوا قول الكواذبا
فلا خير فى أهل الضلال جميعهم ... لقد ضيعوا الظن والظن خايبا
حذروا كلاب الكافرين لحاتى ... سقيتكموا بالمرهفات الغواضبا
أنا الظاهر المنصور من تعرفونه ... وبيبرس اسمى من أعالى المناقبا
وتحتى جواد أدهم اللون حالك ... يكر على الميدان كر السحايبا
ولى عشر أرطال دمشقى محكم ... يقد الطلا والبيض ما منه حاجبا
ولى نمشة من ابن حاكم ورثتها ... مضمخة الجبين بالدم خاضبا
وقنطارية ابن أباديس قد ملكتها ... لها من صدور المشركين مشاربا
وخدمت أبطال الحصون لرفعتى ... سباع ضوارى للجهاد غوالبا
سلطانهم أنا شاكر له ... بلغت لرفعته أعلى المراتبا
وصل إلهى بكرة وعشية ... على المصطفى المبعوث من آل غالبا

وبعده زعق المقدم ابراهيم حسبى الله أكبر :

إذا أقبلت جمع اللئام الكواذبا ... رجال علينا كل كلب محاربا

فانى الاقيهم على ظهر حجرتى بعزم شديد لا يخاف العواقبا
ولست أبالى إن تكاثر جمعهم فانى بعون الله لا شك غالبا
أكر على الكفار كرات بازل وأشبعهم ضربا بحد القواضبا
على حجرة منســوبة سخية نهار الوغا تسل سل الاراقبا
أنا سبع حورانى الذى تعرفونه وذكرى سرى فى شرقها والمغاربا
اسمى بابراهيم حوران مولدى أبى حسن المرق لا على مراتبا
أنا خادم السلطان بيبرس طاقتى وجهدى له حقا وظنا مواظبا
وصل وسلم ربنا كل ســـاعة على المصطفى من خاطب الوحش والظبا

ومن بعده هجم المقدم سعد بن دبل واقتحم القتال وصاح على الكفار وضرب بالحسام الفصال وأنشد وقال

إذا مالت جيوش الكفر ميلا على الاسلام رجالا وخيلا
أجيهم فوق ظهر الارض ساعى على الاقدام فى عزم وحيلا
وأضرب بالحسام ولا أبالى وأعدمهم وأشبعهم عويلا
هلموا يا كلاب الكفر نحوى فان كثيركم عندى قليلا
أنا سعد الذى فاق المعالى بسعد صادق وثنا فضيلا
خدمت لظاهر المنصور حقا بقلب صادق من غير ميلا
أجاهد فى سبيل جهدى فان سبيله نعم السبيلا
وصلى الله ربى كل وقت على المصطفى من أعطى التنزيلا

وتصايحت بعد ذلك عصبة الاسلام مثل المقدم حسن النسر بن عجبور وصوران بن الافعى وجبل بن راس الشيخ مشهد ومن يجرى مجراهم من بنى إسماعيل وتصايحت الامراء والصناجق والوزراء وحملوا حملة صادقة وطحنوا بخيلهم فى الكفار وعمل الحسام البتار والرمح الخطار لا ترى إلا دماغ طائر ودماء فائر وجواد بصاحبه غاير تفرقعت المرائر كانت وقعة يالها من وقعة تجلى عليها الملك القادر القاهر ودام القتال بين الطائفتين وحال على الكفر الحين وزعق على رؤوسهم الغراب البين وانفرجت الغمة على المقدم إسماعيل أبو السباع ونظر الكفار عنه تمنع والقتال بقى عنه بعيد فقعد على حيله وسال الدم من جميع بدنه وضربت عليه الجراح فسكر منها كما يسكر شارب الراح وكذلك السبع الا حورانى لما رأى المقدم إسماعيل قعد على حيله فقعد بجانبه احترازا عليه من الاعادى اللئام وأن السباع عادتها حفظ الذمم وأما هغلوبن ملك البرتقان فانه رأى عساكر الاسلام وبيارق السلطان ضاقت حيلته وزاغت فى رأسه عيونه وزاد

جنوته فالتفت إلى جوان وقال له حملتها معي يا أبانا فقال جوان شد حيلك يا بب ولا تخف من المسلمين فانك عاديت بينهم وجاهرته بالعداوة وإذا تأخرت يبقى عيب عليك وينحط قدرك عند ملك الروم فالصواب أنك تركب على ظهر حصانك وتقاتل لأجل أن تقاتل معك العساكر وإلا إن أهملت انهزمت النصارى ويأخذ بنى المسلمين بلادك ويهلك عساكرك وأجنادك فلما سمع البب مغلوبين من جوان هذا المقال صدقه وركب على ظهر الحصان وتبعه الكفار فى الميدان ودام الأمر كذلك إلى آخر النهار هذا والمقدم إبراهيم يقاتل بجنب أمير المؤمنين وسعد بين يديه يضرب فى عصبة المشركين فحار من المقدم إبراهيم التفاته فرأى مغلوبين خرج من تحت الشنيار وهو يسوق الكفار ويحرضهم على الحرب والقتال

فقال المقدم إبراهيم ياملك الدولة ان الملعون مغلوبين خرج من تحت الشنيار وأنا مرادى أصدمه حتى أعرفه قدره فان ذلك العسكر ماينكسر إلا بقتله أو أسره

فقال السلطان أناله ولأمثاله فقال المقدم إبراهيم ياملك الدولة انت حصن للمؤمنين وإذا غبت من قدامهم تحطمهم الكفار وأما أنا يادولتلى كأحد المجاهدين ثم إن المقدم إبراهيم صاح على ماقدامه من الكفار وضرب بذى الحياة ضربا يقصر الأعمار وطلب البب مغلوبين تحت الشنيار فقاتله وحاربه وقاصله وضاربه ودار عليه كليته وصدمه بهمته وضايقه ولاصقه [illegible] طرقه وطرايقه [illegible] قام فى ركابه وصاح فيه أذهله [illegible] على خناقه فخذله وتعلق [illegible] درعه [illegible] عليه كاد أن يخرج مقلة عينيه وأخرج رجله من الركاب ورفس حصانه [illegible] خسف أضلاعه وقطع نفاعه وبقى البب مغلوبين [illegible] إبراهيم كالطفل الصغير [illegible] البطل الحر [illegible] منه [illegible] الخلاص فخبط المقدم إبراهيم فى الأرض وصاح على الإمام سعد [illegible] السواعد [illegible] جوان إلى ذلك [illegible] وصاح [illegible] فارتدت الروم أرواحها وعدمت صلاحها [illegible] خلق لا يحصى والبعض منهم طلب الجبال والبعض دخل البلاد والبعض دخل البساتين [illegible] على حرب الإسلام طاقة لا [illegible] الاستطاقة [illegible] الإسلام [illegible] وصاحت الروم [illegible] من سيف [illegible] لا [illegible] إلا لمن يرمى سلاحه [illegible] الكفار ماله [illegible] الخصم [illegible] ذلك [illegible] السلطان [illegible] الأرواح [illegible]

النصارى فصاح على البرتقش وقال ياسيف الروم الحمارة فغاب البرتقش ساعة وعاد بالحمارة فركب عليها جوان وطلب البرارى والوديان يتهاربوا على أى وجه كان فلما خرج من عرضى النصارى وبقى فى الخلا وإذا بهم يسمعون المنادى وقائل يقول يابرتقش اقبض على جوان وهاته وارجع إلى العرضى وإلا وحق رافع السماء إن جريت وراكم ولحقتكم فلا بد من سلخكم وكان هذا المتكلم المقدم جمال الدين شيحة فالتفت البرتقش إلى جوان وقال له سمعت ياأبانا بقى ارجع معى احسن شيحة يسلخنى ثم انه رجع بالحمارة وساقها قدامه وجوان راكب عليها حتى أدخله إلى عرضى الاسلام ثم قال له انزل ياأبانا جوان فأنزله وكتفه وأوقفه حتى يحضر المقدم جمال الدين ويسلمه اليه وأما ملك الاسلام فانه ما زال يضرب بالحسام حتى ما بقى قدامه أحد فنزل على باب البلد وأمر العساكر بلم الخيل الشاردة من الخلا والعدد من على جسد القتلى وافتقد من قتل من عسكر الاسلام فكان نحو من مائتين انسان والجرحى تزيد على خمسمائة ولما جلس السلطان طلب المقدم اسماعيل أبو السباع فأحضروه بين يديه وهو فى غاية الآلام من كثرة الجراح الذى وقعت عليه من ضرب السيوف فى الحرب والصدام فأمر له السلطان بالحكيم وأقبل المقدم جمال الدين شيحة وهو سائق البرتقش والبرتقش حامل جوان فلما قدم به شيحة قام له السلطان وسلم عليه وقال له يا أخى قبل كل شىء انظر المقدم اسماعيل ابو السباع وما به من الجراح والأوجاع فقال شيحة لا تخف عليه والله ما قصر فيما فعل لأنه شفى الغليل وفعل فعلا يرضى الرب الجليل ثم انه تقدم اليه وأراد أن يشفق عليه ليقطب جراحاته فقال ياحاج شيحة قبل ما تعمل معى شيئا انظر لك حيلة فى وبدى الأحول إن كان يمكنك وإن عجزت عنه فأنا ما أريد منك أن تطيب [illegible] يا حاج شيحة أخذنى على ظهره وخلصنى من حريق النار [illegible] معى فى [illegible] ليلتين ونهار فهذا صار له الجميل وكلما أفعله معه قليل فقال السلطان نعم والله انك صادق يامقدم اسماعيل لأنه شرف قدر دولة الاسلام وحصر دولة الكفرة اللئام فقال شيحة وما كان عرفت ذلك ياملك الاسلام ثم [illegible] ذلك [illegible] الأحول [illegible] على [illegible] قرصا [illegible] حتى [illegible] وبعد ذلك صار يجمع جراحه ويقطبها بالابرة والمرود حتى ترك [illegible] مثل الدر وبعده أعطاه [illegible] قدم [illegible] دسلوحا فأكله وأ [illegible] إلى قفصه [illegible] المقدم اسماعيل ياحاج شيحة [illegible] رأيت الأحول طاب [illegible] بلا تعب ولا عقاب فتقدم المقدم جمال الدين وقطب [illegible] جرحه فطاب وبدى صلاحه

وفرح به السلطان وزادت أفراحه فقال السلطان يامقدم اسماعيل ما الخبر فقال المقدم اسماعيل ياملك الدولة ليس الخبر كالعيان أنا أتيت من عندك إلى هذا الكافر حكم الشرط الذى جرى مع الملعون صليبون فلما حضرت جاء بكلابه الذى عنده متقاتلوا مع السبع الاحول ففعل بهم ما فعل وقتلهم وكذلك أمهم وبعد ذلك أعطيته كتابك فوضعه على رأسه ثم أجاب بالسمع والطاعة وقال لى امهلنى حتى أجمع الاموال وأخلى فى قصر فى البستان فأقمت به أياما إلى ليلة من الليالى نمت أنا والسبع الاحول وإذا به يفيقنى من النوم فرأيت النار اشتعلت من أربعة اركان المكان ولم اعلم لاى شيء هذه الفعال فلما رأى ولدى الاحول ذلك أشار لى فركبته ونفدنى من النار فرأيت هذه الجموع الذين مسكوا جميع الطرق ويرمونا بالمصائب والبليات فما زلت يادولتلى عن نفسى وذلك الاحول صار يقاتل معى ويساعدنى حتى اشرفت عساكر الاسلام وأدركتنى بسيفك المسنون وجوادك الميمون وأنا فى رب وهذه قصتى فقال السلطان أين البب مغلوين قال إبراهيم هاتوا مغلوين ياسعد فغاب سعد وأتى به وهو مصفد فى الحديد والورد النضيد فلما نظر اليه السلطان قال له هكذا شرط الملوك الغدر من بعد الامان والخيانة مقابلة الاحسان ما هذا الفعال الذى ما يفعلوها إلا الجهال ياهل ترى ظننت انك بذلك تبلغ الارب وينجح لك الطلب فقال البب مغلوين ياملك الاسلام أنا كنت مقيما على الهدنة ولا أخالف ولا أعصى قط ولا على بالى حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال فما شعرت إلا وقد أتانى عالم الملة جوان واغرانى على هذه الفتنة أولا قال لى إن هذا الكلب لا يوجد سبع يغلبه فتحايل به على ملك المسلمين فانه إذا لم يجد سبعا يغلبه نطلب منه منع الخراج عن النصارى فأنا ظننت أنها نصيحة نطاوعته وبعدما جانا سيدى اسماعيل أحضرت له الكلاب فقتلهم وبعد قتلهم أعطانى كتاب زين المسلمين فوضعته على رأسى وصرت اجمع له الاموال فأقبل جوان وأغرانى على الخيانة فطاوعته ياملك المسلمين وهذه قصتى فقال له جوان بعنى يامغلوين انت بب كبير ويعنى جوان غضب عليك حتى انك خفت لا يقتلك إذا كنت قلت له لا أحارب ولا أضارب كان جوان يعمل فيك ايه مالك عقل تميز به بين الطيب والردى تعمل أعمالك ولما تقع فى المحدور تتهم جوان لما تخاف من المنشار وجوان ما بقى معك فى الحديد فقال السلطان اقطع رأسه يامقدم إبراهيم فقال البب مغلوين يازين المسلمين نعم انى أستحق القتل ولكن هل لك أن تعفو عنى وأدفع لك كلفة ركبتك ودية الذين قتلوا من عسكرك وأدفع لك جزية العام الماضى والعام المقبل وأدفع للذى أسرنى نصف خزنة وأتوب ياملك الدولة عن العصيان وإن حصل منى بعد ذلك اختلاف يكون سيفك ياملك أولى فقال الملك ش رجل منافق فقال المقدم إبراهيم ياملك الدولة ملوك الروم جميعهم مثل العقارب

فى بحرك وانت لهم خصم منيع فاجعل هذا مغلوبن من جملة من عصى عليك ورجع فطاع فقال المقدم اسماعيل يا ملك الدولة حيث أنه ذل بين يديك فكانا نشفع فيه قال الملك يامقدم اسماعيل هذا كان قاصدا قتلك فقال ياملك الدولة لو اجتمعت انا واياه فى الميدان كنت قسمته بالشاكرية نصفين ولكنه لما ذل بين يديك وصار مثل الحرمة فيجب عليك العفو وايضا لكون انه له بنت متزوجة بالملك عرنوس ابن اخى فلأجل ذلك نرجو من مولانا السماح فقال الملك احضر ياملعون الاموال فقال جوان احضر الاموال والله ماكان غرضك الا المنتار فالتفت السلطان الى جوان وقال له جوان قال جوان نعم مال جوان كم بلاد فتحتوها على يد جوان كم أموال نهبتوها على يد جوان كم أولاد ادعيتم أنهم أولادكم وأخذتموهم على يد جوان كم بنات جمالات من بنات ملوك الروم كل بنت تأخذونها تعملونها جناقات وتفتحوا بين سيقانها طاقات وتولد لكم قلايين يركبون الخيل ويقاتلون النصارى ويقولون الله أكبر هذا كله من أفعال جوان ولا تقرون له بجميل وجوان دائما عندكم مثل الشعير مأكول ومذموم وهذا جوان وقع فى ايدك انظر ماذا تعمل فى جوان فقال السلطان كاش قال جوان كاس ما هى فينا قال ياملك الاسلام جوان لم يمت الا مقطع على عربه بعد عمر طويل والساعة الامل بعيد فان كنت تعمل معروفا تعتقه فى هذه النوبة وتبقى جميلة والا أضربه علقة وخلى جوانا يطلع يدور لكم على داهية غير التى مضت فقال شيحة آه ياملعون ثم انه قام على حيله وكشف صدر جوان ومسك السوط الغضبان ومال عليه حتى مزق جلد صدره وظهره وبعدها قال هات البرتقش يا ابراهيم فتقدم المقدم ابراهيم بالبرتقش فقال البرتقش أنا فى عرضك ياأبو خليل فجيبى عقد جوهر بالف دينار خذه منى هدية واعتقنى من هذه القضية فتقدم ابراهيم ووضع يده فى جيب البرتقش فأخذ العقد وقال ياحاج شيحة البرتقش رجل خدام عند جوان فلأجل خاطرى ابقيه بلاضرب واضرب علقته للشيخ جوان فانه على كل حال خدامه ولاذنب له فقال شيحة لاجل خاطرك نعتقه يا أبو خليل ونضرب علقته لجوان ثم ضرب جوان علقة البرتقش وحمله له فاخذه وسار

[قال الراوى] وكان الملك الظاهر منزعجا بالغضب من فعال هذا الملعون وكان قصده قطع رأسه فتقدم المقدم جمال الدين اليه بعد ان علم قصده وقال له يامولانا السلطان كل شىء له اوان فصبرك على هذا الملعون حتى يأتى اوان قتله لا دعوة مولانا الملك الصالح جاءت فيه رجل المقدم جمال الدين يحدث الملك الظاهر ويقول له ياملك نحن سمعنا من الكتب والروايات الصحيحة من فعل ابليس اللعين ما يشبه فعل هذا الملعون فقد

روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ وهو يحدثنا ونحدثه واذا بمناد من قبل الباب ينادى ويقول يا أهل هذا المنزل المبارك افتحوا لى باب ولكم الحاجة فقال رسول الله ﷺ اتدرون من هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا هو ابليس اللعين

فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتأمرنى يارسول الله ان اخرج اليه فاقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اماعلمت يا عمر انه من المنظرين فلو قتل لم يبق على وجه الارض من يعصى الله طرفة عين وتصير الناس كلهم طائعين لله ولكن افتحوا له الباب فانه مأمور بالمجىء الينا فعند ذلك قام انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ففتح له الباب فاذا هو رجل أعور العين اليمنى وفى لحيته سبع شعرات تشبه شعر الفرس وعيناه مشقوقتان على طول رأسه ووجهه ورأسه كرأس البعير وشفتاه كشفة الثور ومنخراه مفتوحتان كأنهما قرنا حجام فقال السلام عليكم يا أهل النبوة ومعدن الرسالة فلم يرد عليه أحد منا السلام فقال ابليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد السلام لله عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كما تقول ياملعون يعنى السلام لله وأنت عدو الله ورسوله وعدو لنفسك فلأى شىء جئت الينا اليوم ياملعون فقال ابليس لعنة الله يامحمد أنت معصوم منى ماقربت منك قط فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما تقول فى هؤلاء أصحابى فقال أبو بكر ما كان يطيعنى فى الجاهلية فكيف يطيعنى وهو فى الاسلام واما عمر فانى شارد منه أينما لقيته واما عثمان فانى استحى منه كما استحيت منه ملائكة السماء واما على فليتنى اسلم من رأسه بحيه واما سائر أصحابك فقد فأزوا بالنظر لوجهك والصلاة معك ... تركتهم حيث علمت سريرتهم ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذن تصدق فيما تقول ياملعون ثم قال ابليس يامحمد ماجئت الا مقصورا اذ أتانى ملك وقال لى ان الله سبحانه وتعالى يأمرك ان تذهب الى محمد وتنصحه فى كل شىء سالك عنه والا هدمت ركنك وجعلتك رمادا فلذلك جئتك فان كنت اتكلم فى مجلسك بغير النصيحة فالله يحرقنى ويجعلنى رمادا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى انظرك الى يوم القيامة تقول لى من أبغض الخلق فقال يامحمد أنت أبغض الخلق الى لانك حين ظهرت ابغضت الخلق الى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فرحا شديدا وتبسم وقال أبغض الناس الى ابليس أحبهم الى الله سبحانه وتعالى ثم قال ... تبغضه بعدى ياملعون قال أصحابك ثم قال فمن تبغضه من بعدهم

فقال الشاب التائب الذى يجدد توبته كل يوم ثم قال ومن تبغضه ... ياملعون ... ...

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ذلك ياملعون قال لأن عدل يوم واحد يعدل عبادة سبعين سنة ثم قال فمن تبغضه من بعد هذا قال فقير صابر ثم قال وماغاية صبره فقال هو الذى لا يشكو صبره لأحد إلا بعد ثلاثة أيام ثم قال فمن تبغضه من بعد هذا قال غنى شاكر ثم قال وماغاية شكره قال يجمع المال من الحلال وينفقه فى الحلال ثم قال فمن تبغضه بعد هذا قال عالم ورع ثم قال وما غاية ورعه قال قلة الكلام فيما لا يعنيه وغض بصره عن محارم الله سبحانه وتعالى يامحمد لولا العلماء فى أمتك لصاروا فى الجاهلية لأنهم يعقلونهم ويردونهم عن الأمور المنكرات فانهم يتبعونهم فيما يردونهم به ثم قال فمن أبغض الناس اليك من بعدهم قال الرجل المداوم على الطهارة ثم قال ولم ذلك ياملعون قال لانتظاره الصلاة لأنه مادام على طهارة فهو محافظ على الصلاة فى أدائها فى أوقاتها فيغضبنى ذلك غضبا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا جاء وقت الصلاة اجتمعت أمتى فى المسجد وقاموا مع إمامهم إلى الصلاة فى وقتها فكيف يكون حالك ياملعون فقال إذا سمعتهم يقرأون القرآن أذوب كما يذوب الرصاص إذا دخل النار فاذا جاء زمن الحج وزيارة بيته الحرام فكيف يكون ياملعون فقال أكون مقيدا حتى يرجعوا ثم قال فاذا جاء شهر رمضان وصاموه إيمانا واحتسابا فكيف يكون حالك ياملعون فقال أكون ملجما بلجام ثقيل حتى يفطروا ثم قال فاذا جاء وقت الزكاة ودفعوا صدقات أموالهم فكيف يكون حالك يا ملعون فقال فكأنما يأخذ المتصدق المنشار فيضعه على رأسى فيشقنى نصفين فيرى النصف الأول فى السعير ويرى النصف الآخر فى الجحيم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ذلك يا ملعون فقال يامحمد لأن الصدقة فيها خمس خصال: الخصلة الأولى يبارك الله تعالى فى ماله والخصلة الثانية يستجاب له دعاؤه والخصلة الثالثة يبارك الله سبحانه وتعالى له فى عمره والخصلة الرابعة يدفع الله سبحانه وتعالى عنه سبعين بابا من البلاء والخصلة الخامسة يجعل الله سبحانه وتعالى بينه وبين النار حجابا والناس يحشرون يوم القيامة فى ظل صدقاتهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ونصاحته وكيف أنه يعلم كل ذلك وليس له صنعة غير إغراء الناس فيما يوقعهم فى الهلاك ويضحك عليهم فيما بعد ولكن هذا أمر لا يعلمه إلا الله لأن له فى خلقه شؤون وهذا اللعين جوان يا ملك مثل إبليس لأنه يعلم أن أهل الاسلام فائزون ويطمع فى هلاكهم ولكن تدبيره يبدله الله لنا بالاصلاح حتى يجىء الميعاد فهذا ما كان منهم .

تم الجزء السادس والعشرون ويليه الجزء السابع والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السابع والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وقعد عندنا يتحسب معه فقال جوان جزاك الله خيرا أخذت اللهو الخفى فقال شيحة وهو كذلك فرمى جوانا ثانيا وضربه على أكتافه وأجنابه حتى غيب صوابه وقال خذه يا برتقش فأخذه البرتقش وقام القيام يقع كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[وأما] ما كان من ملك الاسلام فانه أمر البب مغلوين أن يحضر كلفة الركبة فقال يا ملك الاسلام أنا بلدى انتهبت ادخل معى داخل البلد أقدم بين يديك الموجود فى خزائنى والذى أعجز عليه يكون فى ضمانى على سيدى المقدم جمال الدين شيحة فقال السلطان وهو كذلك فقام السلطان بالعسكر ودخل مدينة البرتقال فاستولى كلفة الركبة وديات الذين قتلوا وخراج العام الماضى ونصف خراج العام المستقبل والنصف الثانى تقرر عليه بضمانة المقدم جمال الدين شيحة وبعد ذلك حلفه شيحة على ايمان دين النصارى أنه ما بقى يغدر ولا يخون وأخذ عليه العهود والمواثيق وبعد ذلك قال السلطان ما بقى لنا إلا الرحيل إلى بلاد الاسلام ثم انه قسم الغنيمة التى أخذت من مال مدينة البرتقال فى الحرب فكان شيء كثير ففرقها السلطان بمعرفته ومعرفة المقدم جمال الدين على المغازيين بعدما أعطى قسما وافرا للمقدم إسماعيل أبو السباع وأعطاه نصف خرلة حق طريقه الذى كان عليها الشرط أول سفرته بالسبع الاحول إلى ملك البرتقال وبعدما أخذ كل ذى حق حقه أمر الملك بتعبية أموال الخراج وكلفة الركبة فى الصناديق والتحميل ففعلوا ما أمرهم به الملك وأمر الملك بقضاء أشغال كل من له أشغال وبعد وبعد ثلاثة أيام يكون السفر

وبعد الثلاثة أيام أمر الملك بالرحيل وشال العرضى عن مملكة البرتقال وطلب البرارى والوديان وما زال سائرا أياما بعد أيام يقطع الربى والآكام حتى وصل الى

العادلية فارسل بطارقة إلى مصر زينت بغير مناداة لقدوم السلطان ولما كان ثانى الايام أراد السلطان أن يركب فى الموكب مثل عادته فتقدم المقدم اسماعيل إلى بين أياديه وتمنى فقال الملك مالك يامقدم فقال يادولتلى أريدمن فضلك واحسانك أن تنعم لى بان أركب فى طائفة من بنى اسماعيل وحدى وادخل بموكب إلى قلعة الجبل والسبع الاحول قدامى فقال الملك وهو كذلك أنا أدخل مصر فى موكبى هذا النهار وأنت فى غداة غد ثم ان السلطان ركب فى الموكب وسارت قدامه أرباب دولته وركبت جميع الامراء من عادته الركوب ركب ومن عادته المشى مشى وسار السلطان كلما ينتقل قدام يزعقوا سعاة الركاب أكثروا من الصلاة على العربى محمد وطلعت البنات من خباهم والشيوخ خلواتهم يتفرجون على موكب أمير المؤمنين

ولما وصل إلى قلعة الجبل وضربت له المدافع على حسب العادة وأطلق كل من كان فى السجن وأبطل المظالم والمكوس والغبن ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الاذية هذا ما جرى للسلطان

[وأما] ماكان من اسماعيل أبو السباع فانه فى ثانى الايام اصطنع جلا من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود وألبسه للسبع الاحول ووضع فى عنقه طوقا من الذهب الاحمر وقلده بقلادة من الجوهر وعقد موكبا بعشرين مقدم من بنى اسماعيل ومن جملتهم المقدم ابراهيم والمقدم سعد وجعل السبع الاحول أول الموكب وسلمه إلى عشرة من الكواخى وأمرهم أن يتحفظوا عليه وركب المقدم اسماعيل خلف السبع الاحول بعدما رتب الموكب وصار الموكب منعقدا وطلعت أولاد البلد يتفرجون على السبع الاحول وموكبه فى البلد أعجب ما وقع واغرب ما اتفق من أحوال الدهر وعجائبه :

لما ظهر شيحة الجبل   على رجاله كتب حجج
وبعد ما طاعت الرجال   ظهر فداوى من اللجج

مقدم على الخير يقدم بحرام منهدم معه الابرة والمرهم لتقطيب الجرح المعظم فداوى للاسد يفارى كم مسجد تقاوى صدر من صدور بنى اسماعيل الفلك الاشهر اسمه المقدم نجم الدين الغيور وهو من الابطال والرجال الذين تعودوا قوض الاهوال وكان هذا الفداوى غائبا فى اللجج من مدة ما غاب المقدم معروف بن جمر إلى هذه الايام ثقل ظهره بالمال وشكت اليه رجاله من الغربة وفرقة الاهل والعيال

فسافر بهم من بلاد الروم وقطع الطرقات والرسوم حتى دخل إلى قلعته فسلموا عليه أحبابه ورفقته وتلقته رجاله المقيمون فى القلعة وهنوه بالسلامة والرجعة

وفى ثانى الأيام دخل الحمام وحلق رأسه وسوى لحيته وابرم شنابته وأطلع سلاحه فتفرج عليه ومسك المرآة ونظر إلى صورته ونظر أيضا إلى الرنك الذى عمله المقدم جمال الدين فى القلاع ومن جملتها قلعة

فقال لرجاله يا رجال من أمركم بهذه الذواقات وهذه الاشارات والنقش هذا لأى شىء وضيعتم أموالى فى الفارغ البطال

فقالوا له ياخوند مالك محفوظ ولا عدم منه ولا درهم واحد وأما هذا الذى تراه فان الذى فعله سلطان القلاع والحصون من ماله هو ولا الزمك منه شىء

فقال هو المقدم معروف ظهر

قالوا له نعم ظهر وبعد ظهوره أقام سنوات وبعدها مات وخلف صبيا اسمه الملك عرنوس وهو ابن الملكة مريم التى كانت غريبته وفوات مملكته وهى كان ماتت فى باب انطاكية الذى هو باب حلب وكان لهم يوم مشهود وظهرت له كرامات معلومات أحى باب حلب فى حياته وبعد مماته فقال المقدم نجم الدين الغيور وهذا الوقت ابنه سلطان على القلاع والحصون ومقيم بحصن صهيون فقالوا له لا يا خوند ابنه ملك على مدينة الرخام من يد ملك الاسلام فقال ومن ملك الاسلام فقالوا له الظاهر الذى كان مملوك الملك الصالح أيوب

فقال يستاهل لأنه والله شجاع وقرم مناع ومن هو سلطان على القلاع والحصون وصاحب حصن صهيون فقالوا له حصن صهيون مافيه أحد إلا المقدم جمال الدين علقم ابن أخت المقدم معروف وهو كاحد القلاع

وأما الذى سلطان على جميع القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحة فسأل عن شيحة فاخبروه بحيله ومناصفه وما فعل فى الرجال الذين عصوا عليه وكيف اطاعوه قهرا عنهم وهو الآن ملك جميع القلاع وانه ماهو من بنى اسماعيل ولا أدرعى وإنما هو من عرب قطية وقطية واخذ السلطنة بالحيل . حكوا له على كل ماجرى فتعجب من ذلك وقال لهم هذا شيحة معزول والذى لم يرض بعزلته دعورت فرعته

فقالوا له ياخوند ونحن ماذ بنا نعزله توليه اتصل أنت وإياه فقال لهم من يجمعنى به وأين التقيه فقالوا له والله يا خوند هذا حيث ماذكر حضر وان أردت أن تقابله ادعه نايه فانه مقيم السعلة دائما فى الطور فعند ذلك قال لا بد لى أن أكشف أخباره فقالوا له اعلم أن المقدم اسماعيل

أبو السباع اخبرونا عنه أنه فى بلاد البرتقال عند الباب مقفولين والملك الظاهر لحقه هناك بالعسكر ولابد ان يكون المقدم جمال الدين هناك معه فقال لابد لى ان أروح إلى مصر والفرج على مافيها وانظر هذه الافعال وما يجرى فيها ثم انه توجه الى مصر وحكم دخوله يوم دخول السلطان بالموكب فحصلت له هيبة من المملكة مبالغة واقام يومه وبات ليلته فى خان من الخانات ولما كان ثانى الايام سأل عن منزل المقدم جمال الدين وهل هو حاضر أو غائب فاعلمه الناس بأنه فى هـذا النهار يكون فى موكب السبع الاحول فقعد على باب المتولى حتى يتفرج على المركب مثل المتفرجين وكان السبع الاحول يكره كل شىء يراه احمر واللباس الذى على المقدم نجم الدين الغيور كله من الجوخ الاحمر فلما أقبل أول الموكب أتى له رجل شاويش وقال له قم يافداوى من الطريق أحسن السبع يعورك فقال لهم كيف أقوم يافرون وأنا أكثر عساى من لحومهم ماهو عيب على أمرقوا لايرحم الله أباكم ولا بالسبع معكم فقالوا له اذا لم تقبل النصيحة دونك واياه ثم تقدموا بالسبع الاحول فلما نظر السبع الاحول الى المقدم نجم الدين الغيور وهو جالس فى الطريق وملبوسه أحمر هدر السبع وزمجر وزعق زعقة كأنها الرعد القاصف وهم على الفداوى ان يفترسه بهمته فجاوبه الفداوى بزعقة اشد من زعقته وتلاقاه عند وثبته وجذب شاكريته وضربه فى وسط جبهته فوافق السلاح بحدته والسبع وهمته والفداوى وشدته فما خرج السلاح الامن آخر عنكه فوقع السبع شطرين وبقى على الارض فلقتين وقال له ياقط البركالك اعجبك هديرك أو ظننت أنى أختشى من شخيرك ثم انه خط بالشاكرية فى الارض من اليمين الى اليسار وقال يابنى اسماعيل والاسم الاعظم كل من تبعنى وعدا من على هذا الخط انطع رأسه ولفت بوجهه وسار الى جهة اليمين فنظر المقدم اسماعيل والفداوية فعاله فقال المقدم اسماعيل اتركوه لا أحدا يقرب هذا نجم الدين الغيور ابن عمها على كل حال ظهر من اللجج يريد أن يأخذ له فخرا بقتله هذا الاحوال ولكن سوف يرى من شيحة ما يكفيه فقال نجم الدين هذا كلامك وأنت ابن المقدم جبر سلطان القلاع وصانع الك موكبا لشيل من أولاد السباع فلاشك أن عقلك ضاع وأخذه منك شيحة ثم انه سار كما ذكرنا ومازال سائرا حتى وصل الى خط عابدين ودخل الى قهوة وسأل على بيت المقدم جمال الدين فارشدوه عليه فراح اليه فعرفه وتأمل بالنهار وعرف من أين يكون الدخول اليه وصبر حتى نامت كل عين يقظانة وأتى الى المكان الذى عاهده فى النهار ورمى مفرده ودق السكك وأطنب الرباحات وتماق حتى بقى فى أعلى

مكان ونظر الى تحت فوجد شيحة فوق سرير من الخشب الابنوس وهو نائم على حلو قفاه ولم يعلم بما أتاه فوقف على رأسه وقال ياقران الذى مثلك يجعل نفسه سلطانا ينام هذا النوم وما تعلم ان خلفك مثل نجم الدين الغيور ولكن أنت فى هذه الفعال معذور لكون الاولاد الجهال طاوعوك ولاعصوا عليك ولاخالفوك واذا ما أريد تنازعنى ولاانازعك وساعة أحسن من هذه لم تكن ثم انه جذب الشاكرية فسطعت ولمعت وضرب شيحة على وريديه فزاح رأسه عن كتفيه وقال له الله لا يرحمك ياقران ان قدر ما عملت حيلا ومناصف على الرجال وهذا آخر عمرك وتركه ومسك الاكرة وتعلق وهم ان يطلع فانقطع السرياق ونزل المقدم نجم الدين فما شعر الا وهو فى شبكة من البولاد حزمته من كل أعضائه يديه ورجليه ورأسه حتى ضاقت انفاسه وكلما تحرك تضيق عليه حتى عصرته عصر الغسيل فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أما وقعه زى الطين ياالذى ماقتلت شيحة واذا صحوا أهل المكان ورأوا شيحة مقتولا لايودونى الى السلطان وكل من رآنى يشمت بى ولا أحد من الرجال الاصار عدوى

وبينما هو يهدس فى هذا الكلام واذا به سمع القائل يقول ولعوا ياأولاد النار فان المصيدة وقع فيها فار ثم ان المقدم جمال الدين تقدم الى الفداوى وقال له أنت المصيدة يامقدم انت من ومن الذى أوقعك وجئت من أين فقال المقدم نجم الدين كالك ما تعرفنى ومن الذى أوقعنى فى الشبكة أنت من فقال أنا الفقير الى الله جمال الدين شيحة فقال والذى قتلته انا فقال له هى قطعة ضربتها من جهلك كسرتها وربنا يخاص منك ذنبها ونحن اسفرحنا من تعب كسرها فانا محتاجون لها للطابخ وكسرتها لما كسر الله شبرك فقال له مليح تبقى تخلصنى فقال له وهو كذلك فتقدم له ولعب فى لوالب الشبكة فطبق يديه على بعضها ومسح وجهه بمنديل فبنجه ووضعه فى محل وتركه ونزل يقع له كلام وأعجب ما قع ان المقدم اسماعيل ابو السباع لما رأى ابن السبع الاحول قتل طلع الى القلعة وحكى للسلطان على ماعمل نجم الدين الغيور وقال يادواتلى أنا خشيت الفتنة وهذا ما ضرب السبع الا قصد العيب معنا والا تحاز فانا يا دواتلى رأيت الشرر طائرا من عينيه وأنا أعرف أنه جبار فقلت للرجال هذا ابن عمنا على كل حال لاجل خوف عدم القتال ولكن والله يا دواتلى انه عمر على موت السبع الاحول فقال السلطان ما علينا ما دام المقدم جمال الدين سلطان مكان ماأحد نسمع أخبارا وجنازا ثم ان السلطان أخذ بخاطر المقدم اسماعيل

وأقام فى مصر ثلاثة أيام واستأذن من السلطان وطلب مدينة الرخام ومادام حتى
وصل اليها فرأى الملك عرنوسا غائبا فسأل عنه فقيل له انه طلب ملك البرتقال بسبب
انه جاءه تابع من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص واعلمه بما جرى لك عند
مغلوين فخاف انه لابد أن يلحقك وأخذ نصير النمر وأتباعه وسافر به مدة أيام
وكان الملك عرنوس لما بلغه ما جرى على عمه فما هان عليه فركب فى جماعة من عسكره
ومن جملتهم المقدم نصير النمر وسار حتى دخل البرتقان فرأى مغلوينا فى أشد الضنك
والضيق مما حصل له من السلطان فطلع اليه وتلقاه واعتذر له مما فعل وقال له ياديابرو
ان زوجتك من زمان ما نظرتك ولا نظرتها وهى مشتاقة اليك فعندها طلع الملك عرنوس
السراية وكان يعرفها من صغره فتلته الملكة شموس بنت البب مغلوين وأخذته لحضنها
وحنت أعضاؤها وجوارحها إلى رؤيته وأحضرت له الطعام والمدام وباسطته ونادمته
وأقام عندها أياما حتى أقبل المقدم اسماعيل أبو السباع واجتمع على مغلوين وسلموا
على بعض

فقال الملك عرنوس لمغلوين والله ياابب مغلوين لو حصل فى عمى أدنى خلل ما كان
يهون على أن أخلى جزائر البرتقان عمارا ولكن كان الذى كان

وبعد ذلك أراد الملك عرنوس السفر إلى مدينة الرخام ووصى البب مغلوين على
زوجته لأنها أسلمت على يد الملك عرنوس ويأتى منها غلام اسمه الملك قطلونيج المصفح
فى كلام مريم الحقه إذا وصلنا اليه تحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة
والسلام عليه وأما الملك عرنوس أخذ عمه المقدم اسماعيل ونصير النمر وتوجه إلى
مدينة الرخام فى امن وأمان

اسمع ما جرى للسلطان فانه يوم من الأيام قاعد فى الديوان فضاق صدره فقام ولبس
زى درويش عجمى وفعل كذلك ابراهيم وسعد ونزل يشق البلد فرأى قبالة المرستان
رجلا خواجة راكبا على بغلة وماسكا فى خناق رجل فقير

فقال له السلطان يا شيخ ما ذنب هذا الذى أنت ماسكه

فقال الخواجة هذا رجل سمسار وأنا تاجر فأخذ منى بضاع للبيع والشراء وأعطانى
واخذ وما زال مدة إلى ان تأخر فى مبلغ جسيم وغاب عنى زمانا ما رأيته إلا فى
هذا الآن فلما لقيته فى هذه النوبة قبضت عليه وهاأنا أطلب حقى منه

فقال الملك ما قدر الذى عليه فقال فى الدفتر حسابه ففتح الدفتر وقال
الذى بقى عليه نصف دينار فاعطاه الملك دينارا فاخذه الفقير وقال لأى

شيء تأخذه وأنا أحق به منك فقال الفقير هذا الدرويش أعطاه لى ثوابا وأنت المطلوب لك نصفه

فلما أقضى منه حاجتى أبق أعطيك حقك فقال المقدم اسماعيل صدق الرجل فيما قال فاعطاه الملك دينارا ثانيا فخطفه الرجل الفقير والثالث والرابع وهكذا إلى أن أخذ من السلطان خمسين دينارا والفقير يأخذها ولم يعط التاجر شيئا فعند ذلك قال الملك التاجر ياشيخ اطلقه يروح إلى حال سبيله والذى لك أنا أعطيه لك فقال يا سيدى الدرويش وانا لاجل خاطرك سامحته ولكن أريد منك يامولانا أن تجبر بخاطرى وتسير معى إلى منزلى تأكل ضيافتى فان الله يحب جبر الخواطر فقال السلطان ياشيخ نحن ناس دراويش وشغلنا السياحة فقال لهم ومن جملة سياحتكم السير معى فقال الملك سيروا بنا فانا أضيافك فساروا معه حتى وصلوا إلى الحبيبية فنظر السلطان إلى بيت كبير بباب واسع فدخل السلطان وإبراهيم وسعد والخواجة حتى عبروا فى وسط قاعة مفروشة من خاص الابسطة القطيفة وفيها اسرة من الخشب القمارى مصفح بالفضة والذهب ومماليك روم واقفون فى الخدمة فقال المقدم ابراهيم انظر يا سعد المصرى قدر ما عنده من الاموال ويهتك الرجل على نصف دينار فقال سعد نحن ضيوف والا مفتشين وبعده جلس الملك وأمر الاثنين بالجلوس فجلسا وغاب صاحب البيت وأتاهم بالخبز وفيه سبعة أطباق حلوا والخبز فيه سبعة طيور محشية باللوز والفستق والخبز الثالث فيه خروف مستوى وقال بسم الله يا أسيادى فاكلوا لكن زاغت زاغت عيونهم فى ذلك المكان ومافيه من اختلاف الالوان هذا وصاحب الدار يترحب بهم حتى أكلوا وهو يحييهم على الطعامات وبعده أحضر لهم الشراب وتركهم فى حديثهم وطلع إلى خارج القاعة وبعد ذلك أقبل المقدم جمال الدين عليهم وقال السلام عليكم فقال السلطان أهلا وسهلا وهم أن يقوم فقال المقدم جمال الدين يا مولانا والقيام لاى شيء ما فيه نفع ولا ضرا ما يجب على كل راع ان يسأل عن رعيته قال الملك نعم فقال شيحة وانت ما سألت عنى مع انى فى هذه الليلة طلع على رجل فداوى قطع راسى وانا نائم فقال السلطان وها هى راسك صحيحة على جثتك

فقال نعم كان عندى راس قديمة فوضعتها محل التى انقطعت فقال السلطان ماهذا الكلام انا ما سمعت ان الذى تقطع راسه يلبس غيرها واين الراس التى انقطعت فقال قامى معى فى الجربندية ثم انه وضع يده تحت باطه فاطلع مخلا وفيها راس مثل راس شيحة بالسواء فتعجب السلطان وقال يا اخى من فعل هذه الفعال

فقال رجل يقال له نجم الدين الغيور دخل على وأنا فى مكانى فرآنى نائما فقطع راسى وأراد أن يطالع فوقع فى المصيدة الحديد وها هو هناك قوموا حتى افرجكم عليه فانه والله فارس جبار من الجبابرة ولكنه ما أعلم ان كان جاهلا أو عاقلا فقال السلطان يا أخى هذا أمس قتل السبع الأحول قدام باب المتولى واين هو يا أخى فقال قم حتى أفرجكم عليه فقال الملك بل هاته إلى الديوان روح يا إبراهيم هاته فراح إبراهيم وسعد وأقبلوا على بيت شيحة فوجدوا المقدم نجم الدين مبنجا فوضعوه على كديش من الخيل وساروا به إلى قدام السلطان فتقدم المقدم جمال الدين وأيقظه ففتح عينيه وقال اشهد ولا أجحد بدين محمد فى أى مكان أنا فقال إبراهيم يا مقدم نجم الدين اصحى تغلط فانك بين أيادى اثنين ملوك أحدهما مولانا ملك الاسلام والثانى الحاج شيحة ملح الطعام فقال نجم الدين وأى شىء بدك منى يا ملك الدولة

فقال الملك لأى شىء قتلت السبع الأحول فقال أنا قتلته فداء عنك يا دولتلى لأنى كنت قاعدا على قتلك انت

فقال السلطان ولم ذلك فقال له لكونك أعطيت سلطنة القلاع والحصون لشيحة فقال السلطان وها أنت قتلت شيحة وبعدما قتلته قبض عليك وأتى بك إلى عندى بقى منك اصطفل انت وإياه فقال شيحة ما قولك فى الاطاعة يا مقدم نجم الدين فقال له أنا ما أطيع مثلك يا شوحة أنا ما أنا من الذين ينطاع بالكلام فقال شيحة احبسوه وأنا فى غداة غد أعرفه مقامه فرفعوه إلى السجن وجلس المقدم جمال الدين يتحدث مع السلطان إلى آخر النهار وانصرف إلى مكانه وثانى الايام اقبل وطلب المقدم نجم الدين الغيور فطلع السجانة وعرفوا أن الفداوى الذى انحبس البارحة صبحنا ندور عليه فما وجدناه بل ان السجن خالى منه فقال شيحة بخاطره أنا أعرف الذى خلصه وكان الذى خلصه اثنان اتباع من أتباعه جاء ينظر أجرته احدهما يسمى المقدم سند والثانى المقدم راشد فلما دخلوا الديوان كان دخولهم وشيحة مقدمه السلطان ونظروه لما انحبس فصبرا إلى الليل ودخلوا عليه وفكوه وأخذوه فقال لهما أنا لا أرجع إلى قلعتى حتى أتخلص من شيحة روحا أنتما واجملا بالكما من القلعة فتوجها إلى حال سبيلهما وأما المقدم نجم الدين فانه مشى حتى أقبل إلى محل السمرة والبلستان فالتقاه رجل نصرانى يقال له نقولا الخمار فقال له يا فداوى انت نجم الدين الغيور قال نعم فقال له أنا أرسلنى اليك ابن عمك المقدم منصور العقاب وهذه مكاتبة بخطه فاخذها وقرأها وإذا فيها من منصور العقاب إلى المقدم نجم الدين الغيور

أول السؤال ماهان على الذى جرى بينك وبين الحاج شيحة فالأقدر أمنعه عنك ولا يهون على أن أراه يسلخك وهذا رجل جبار لايغرك انه قصير والله لو اجتمع مثله أربعة لخربوا الدنيا ولكن هذا نقرولا الخمار عميلي تاخذ منه كل ماتحتاج اليه من أموال واقعد عنده فى بيته مدة إقامتك بمصر وإن أردت الرجوع إلى قلعتك فلامانع فقال المقدم نجم الدين وأين انت محلك فقال له ياسيدى قريب فى حارة الروم فسار معه إلى بيته فاحضر له كل مايحتاج وكان هذا الملعون صحيح انه عميل المقدم منصور العقاب ولما أحضروا السجانين قدام السلطان وأعلموه فقال شيحة أنا أعرف الذى خلصه ونزل من قلب الديوان يقتفى أثره هذا ماجرى .

[وأما] المقدم نجم الدين الغيور فانه أقام عند المعلم نقرولا ثلاثة أيام وهو لايخرج من بيته إلى يوم من الأيام طلع نقرولا الخمار ليشترى جانب زبيب يخرجه خمرا فالتقاه واحد تابع من أتباع المقدم منصور قال له يانقرولا اعلم الفداوى الذى عندك ان يأخذ الحذر لأن شيحة علم انه عندك ومرامه أن يدخل عليه ويقبضه من عندك فقال له نقرولا أنا ماأخاف عليه وشيحة مايعلم بيتى ولا عمره دخله فقال له هاأنا حذرتك والسلام وكان هذا التابع هو المقدم جمال الدين ولما تكلم مع نقرولا الخمار كان قصده ان يستجسه فلما صح عنده ذلك صبر إلى ثانى الايام وطلع إلى الديوان وقال ياملك الدولة ارسل المقدم ابراهيم والمقدم سعد يأتوا بالمقدم نجم الدين الغيور من منزل نقرولا الخمار بحارة الروم فقال ابراهيم ان كان هناك انا أجىء به فقال شيحة انى جئت من عنده وإنما روح قل له كلم السلطان من غير جلبة فان جاء طائعا لابأس وان عصى على السلطان أنا اجىء به فنزل المقدم ابراهيم وأخذ معه المقدم سعد ونزلوا الى بيت نقرولا وقالوا له تفضل كلم ملك الاسلام فقام معهما وسار الى الديوان فوجد شيحة فلم [illegible] لا سلام ولا كلام وقال يا ملك الدولة على أى شىء أرسلت تطلبنى فقال له الذى طلبك ملك القلاعين وهو يريدك أن تطيعه وتكون من أتباعه فقال يا دولتلى اعلم أن المقدم معروف ما أخذ السلطنة الا لما اسر على زنده سبعة عشر مقدم ورؤس سبعة عشر فرقة الفداوية وهـــذا ما أسر أحدا يقال انه أخذها بالحيل والالاعيب فانا أريد العب معه سبعة ملاعيب ان غلبنى أطعته وان غلبته آخذ [illegible] [illegible] احسن منه

قال شيحة خذ [illegible] سبع [illegible] حتى [illegible] [illegible] [illegible]

فعند ذلك نزل المقدم جمال الدين الغيور وركب على حجرته وسافر إلى قلعته ولما دخل القلعة قال لرجاله لا أحد منكم يقيم فى القلعة حتى يجىء شيحة والعب أنا معه فانه يتغير ويبقى بينكم ويتشكل على إذا كان فيكم فخرج كل من فى القلعة ولم يبق إلا أبوه فقط ووقف على باب القلعة ونادى بأعلى صوته وقال ياشوحة ماأنا فى قلعتى فان كانت لك مقدرة على أنك تلعب معى فدونك وماتريد والاسم الأعظم إذا وقعت فى يدى لا أكلمك بسوء أبدا ولا تصلك منى أذية مادمت فى قلعتى فما أتم جوابه حتى أقبل من البر رجل تاجر وهو راكب على بغلة ويتبعه ثلاثة أولاد ومعهم ثلاثة جمال وعليهم أحمال فاقبلوا إلى قدام باب القلعة ووقف ذلك الخواجه وأمر بتبريك الجمال فاراد الجمالة أن يبركوا الجمال فقال المقدم نجم الدين الغيور يا شيخ بالاسم الأعظم ماأنت شيحة وهؤلاء أولادك فقال له صدقت يامقدم فقال له خذهم ومحل ماجئت روح هذا واحد السبعة فساق شيحة البغلة ومشى إلى حال سبيله وتبعته الجمال وأما المقدم نجم الدين فانه دخل قلعته وسار إلى أبيه فقال يا أبى شيحة جاءنى فى صورة تاجر وعرفت حيلته

فقال له يا ولدى توقى شره الله يهديك إلى طريق الخير فقال له ان كان ياأبى بالاسم الاعظم ماأنت شيحة فقال نعم فقال له روح إلى حال سبيلك فانا ماشرطى إلا عدم الغدر فقام شيحة فقال وأين أبى فقال عندك ادخل الفداوى فوجدأباه نائماً فأيقظه وحكى له ما وقع بينه وبين شيحة فقال له أبوه ياولدى الله ينصرك عليه وكان رجل مقيم فى القلعة اسمه محمود الخاماتى عادته المداخلة مع ارباب المتاجر لأنه يعطى للتجار أموالا بالارباح ومعاش ماله فى القلعة فاتى فى هذه النوبة وفتح وكان معه أقمشة وأموال لأجل البيع فدخل على المقدم نجم الدين الغيور وقال له ياخوند أنا معى أقمشة وأموال غزيرة واريد منك أن تكون لى شريكا وأنت لك الأموال وأنا لى القماش فقال له لا أريد مالك ولا أريد أن تقيم عندى بل اطلع من قلعتى انت شيحة وهذا ولدك السابق ولولا انى حلفت ماأغدرك والا كنت قتلتك اطلع من قلعتى

فطلع من بين يديه ثم انه تفكر وعاد إلى القلعة فى صفة كيخية أم حسن الملتقى فعرفه وقال له ياشيحة هذه ثلاث مرات وانا اعرفك فلا تطمع انى مثل من لاعبك من الرجال امض إلى حال سبيلك

فطلع شيحة جبارا وأما المقدم نجم الدين الغيور فانه دخل إلى مكانه ووصل إلى حريمه اتى إلى بنت عمه فتغير شيحة فى صفتها فطلب أن يجامعها فاعترى

شيحة الخجل فقال له يا فداوى أنا هو شيحة فقال له ياشيحة وهذا الرابع ولكن ما هـــذه الملاعيب يا هل ترى بهذا تفتخر على الرجال وتقول إنك عملت نفسك حرمة من أجل أنك تقبضنى وأطيعك فقال له المقدم جمال الدين المناصف يكون فيها مثل هذا وغيره ولكن أنا ما يخلصنى انزل على السلطنة بالساحل وانت لم تطع الخدوندلى بالساحل فالمراد أنى الاعبك مصفا واحدا وهو الذى يقطع القول بينى وبينك ويكون قدام السلطان ان أنت غلبتنى فيه بقى ترك على السلطنة وأنا معزول وإن أنا غلبتك فيه يا تطيع كرما يا تطيع كنظما فقال المقدم نجم الدين إن كان على هذا الشرط سر قدامى وانتظرنى فى مصر فسار المقدم جمال الدين وهو يتعجب من نجم الدين الغيور ومن فهمه وإدراكه حتى وصل إلى الديوان فلحقه المقدم نجم الدين الغيور قدام السلطان فحكى له نجم الدين الغيور ان شيحة ماأمكنه ان يقبض على فى قلعتى ولا ان يفترس فى ملاعبى فبأى شئ يستحق أن أطيعه فالتفت السلطان إلى شيحة وقال له ما تقول فقال شيحة يامالك الاسلام انت تعرف أن المناصب غالية ولا يقدر أن يسلم منصبه إلا بعد تعب وأنا أريد هذا الفداوى أن يلاعبنى منصبا برانى فقال السلطان أطلب المطلوب الذى تريده فقال شيحة كل من سافر وراح إلى جزائر الشفق وجاءنا بالقارورة التى فيها الفص الجوهر من قصر الكهين الاسود يكون سلطانا على القلاع والحصون والذى يرجع خائبا يكون له تابعا فقال له المقدم نجم الدين أنا ارسل حرمتى تجىء ه ثم انه تعاهد هو وشيحة قدام السلطان على انه يسافر الاول وشيحة حلف انه لا يسافر إلا بعدة بثلاثة أيام وسافر المقدم نجم الدين طالبا الجزائر يقع له كلام

[وأما] السلطان فانه لما اختلى باله فى آخر النهار اخذ المقدم جمال الدين شيحة ودخل معه إلى قاعة الجلوس وأكلا مع بعضهما وبعده سأل السلطان المقدم جمال الدين عن هذا الفص الجوهر وما أصله فقال اعلم يا ملك الزمان انه كان فى قديم الزمان كهين اسمه الاسود وهو فى جزائر الشفق ففى يوم نزلت عليه الجان المحرقة فعلم أن هذه الدنيا فيها تعب وراحة وشقاوات وسعادات فضرب زايرجته فرأى أناسا تموت وتفنى ويتوالد امم بعد امم

فقال أريد افعل شيئا يكون ذكرى به على طول المدى فعمل سبع جزائر بين الجزيرة والجزيرة سفر يوم وجعل فيها سبع قلاع وجعل فى القلعة الوسطانية قصرا من ذهب بأربع لواوين وكل ليوان فيه عسكر وجوار وكلما يحتاج اليه وعمل للقصر أربعة أبواب بسلالم كل سلم فيه ثمانية وستون ملك غير مملوك القصر وعمل حول

القصر أربعة بساتين فيها جميع الأزهار والأثمار من فضة وذهب وعمل له سرير في صدر الليوان يجلس في رأسه قدرة من ذهب فيها كوكب يتوقد في الليل والنهار وجعل في القلاع السبعة ملوكا وعسكرا كل قلعة لها ملك وعساكرهم لا تعد ولا تحصى وحول القلاع الجزائر وحول الجزائر البحر المالح فان كان نجم الدين الغيور يسلم من البحر لم يسلم من الجزائر وإن سلم من الجزائر لم يسلم من مهالك القصر إن سلم من مهالك القصر لم يعرف الصعود إلى رأس الملك ويأخذ القدرة الذهب وإن أخذها كيف يخلص من السبع ملوك بعساكرهم إلا ان كان يطير بأجنحة حتى ينفذ من بينهم وقيل يرموه بالنبال والله يا ملك الاسلام انه قليل إن كان يبقى أن يعود إلى الشام أو إلى بلاد الاسلام فلما سمع الملك الظاهر هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال يا مقدم جمال الدين هذا حرام عليك إذا أرسلت واحدا مثل هذا المقدم في مهلك ويروح فيه غلط فقال يا مولانا السلطان هذا يريد أن يأخذ منى السلطنة وأنا تعبت عليها فكيف انزل عنها لهذا أو لغيره .

فقال السلطان والله في تلفه عيب كبير وأما إذا هلك هذا الفداوى بسبب ذلك يبقى عيب علينا لأنه على كل حال مسافر من طرفنا فقال شيحة يا ملك الاسلام ان شاء ربى مدبر الكائنات الحقة في ذلك المكان ويعود اليك ودون أمان ثم ان المقدم جمال الدين سافر طالبا جزائر الشفق وأما نجم الدين الغيور فانه سافر ثلاثة أيام وهو يقطع البرارى والاكام وفي اليوم الرابع دخل في قلب دير فالتقى فيه بترك اختيار فلما رآه أكرمه وباسطه في الكلام وقال له أنت سائر إلى أين فحكى له على ما اتفق بينه وبين شيحة على أخذ السلطنة وكيف أنه قاصد جزائر الشفق ليأتي بالكوكب الدرى

فقال يا ولدى أنت لم تكن لك خبرة بالجزائر وإذا أنت رحت وحدك في أرض مجهولة لم تبلغ المقصود وإنما الرأى عندى أنك تأخذ لك رفيقا قبل الطريق فانا كان كان لى في هذه الجزائر دير وأنا مقيم فيه فقاموا على وأخذوا ديرى منى وبقيت لى أيام اتمنى أن التقى لى من يساعدنى وأنا اجيء له بالفص الجوهر واجعله لى سندا على طول المدى لأنها مهالك متعبة ولكن أنا أخاف إن رحت معك تكون خائنا وإن كنت خائنا يقابلك المسيح على خيانتك فقال له المقدم نجم الدين يا بترك إن أنت ساعدتنى وأخذت هذا الفص الجوهر وأصير سلطان القلاع والحصون وأعزل شيحة أرتب لك جامكية عندى تاكل منها طول عمرك وتبقى محبتك عندى

سالها نظير فعندها قام البترك وأحضر له الطعام وأكل هو واياه بالسوية وبعده قعد يسايره معه وقام من عنده وجعل انه أراد النوم فاضطجع الفداوى للنوم فارمى على وجهه منديلا القى النوم على النوم وشيحة فى وسط الدير وأيقظه ففتح عينيه فرأى روحه مشبوحا والبترك بيده سيف وهو يهدده فقال له يا بترك ما عملت معى كذا فقال له لأنك مسلم ودخلت الدير بنجاسة ولا بقى يطهر الدير الادمك قل كلمتك التى يقولها أهل الاسلام وخلينى أقتلك فصاح نجم الدين الغيور أنت أدركنى ياسلطان القلاع اينما تكون فقال له ومن أعلمك بذلك فقال له اعلم أنه يحضر عند مايذكر فقال له هو أنا لكن أحسب هذا أول ملعوب وأطلقه وقال له سافر من على يمينك فان المسافة عليك بعيدة فطلع المقدم نجم الدين وسافر سبعة أيام فاضربه العطش بينما هو سائر فى الطريق فرأى صومعة وفيهاراهب يتعبد فنظر اليه واذا بجانبه راوية ملآنه من الماء والراهب قاعد وبيده سكين وقدامه جدى غزال سمين وهو يقول ان ذبحته فلا أقدر آكله واذا ماذبحته ماعندى غيره فقال المقدم نجم الدين الغيور يامعلم هل عندك ماء تسقينى فقال له ادخل واشرب فقال لهأخاف منك فقال له ان كنت تخافنا مني بخاطرك فقال يبقى لك عندى ملعوبين واسقنى وان غديتنى من هذا الغزال يبقى لك عندى ثلاثة فقال له ادخل كل واشرب ومالكمايسرخاطرك فقال له وأنا يا حاج شيحة طائعك وانما أريد ان تعادينى ولا تفضحنى بين الرجال فقال له مرحبابك يا بطل الزمان فقعد وأكل وشرب وبعدما أكل وشرب فتح له من وسط الصومعة طابقا وقال له انزل من هذا المكان تطلع من جانب الجزيرة الاولى فقال ياحاج شيحة أخاف من المهالك فقال له توكل على الله

فنزل الفداوى وطلع من تحت الجبل الى أول قلعة فصار يدور حولها ثلاثة أيام فلما أعياه الدخول اليها نادى يامقدم جمال الدين فلما أتى اليه قال له من أين يكون الدخول الى هذه القلعة فقال له أى شيء قصدك بالدخول سافر لما تعود وأنت راجع يبقى الدخول قدامك كثير فسافر الفداوى ولم يدخل القلعة الى القلعة الثانية واذا هى على شاطىء البحر بينهما وبين الثلاثة ولم يجد له محلا يسير منه الاالقلعة فبقى واقف محتار واذا بمناد يقول اقرأ الذى على العامود فتأمل فرأى عامودا رخام مكتوبا عليه كتابة جديدة بخط عربى فصيح يانجم الدين اتكئ على الباب فماقدامك من يعيقك فضرب الباب وانفتح فرأى قلعة واسعة بناه مكروهولم يعلم بين يروح فصاح يا حاج شيحة يكفى ماجرى وانا طائعك وهذا الرابع تتمم أرنى الطريق فما عندى علم من

أين آخذه فقال له الطريق قدامك سر واطلع من الباب الذى على البحر فسار الفداوى حتى وصل إلى باب البحر فرآه مفتوحا ومكتوبا على بابه هذا السادس فطلع ورأى بحرا ولم يجد شيء يعد عليه وإذا بحجر ارتفع والمقدم جمال الدين طالع منه فقال له انزل يامقدم نجم الدين فنزل ورأى سردابا فسار خلف المقدم جمال الدين طول ذلك اليوم والليلة فما طلعا معا إلا من وسط القلعة أو وسط القلاع الذى فيها الكوكب المطلوب فقال له يامقدم البحر ماأنت عديته وبقيت من داخل القلعة ولم يعلم بذلك أحد فدونك وما تريد فسار الفداوى حتى وصل إلى باب القصر فرآه مقفولا ولم يجد أحدا فقال مالحاله انفرج فلم ير شيئا فصاح ياحاج شيحة أنا سألتك بالله لم تفارقنى قابل وقال له يامقدم نجم الدين أنا مختار أنت غلبان فقال نعم خلصنى فدار شيحة لينظر فرأى على الباب قفلا حديدا فأطلع المغناطيس وفتحه ودور الباب فرأى خلف الباب طابقا فنزل شيحة وهو يحبس الأرض حتى طلع من وسط القلعة الرابعة وسار فرأى البحر حائلا بينهما وبين الخامسة فراح المقدم جمال الدين وجاء بشيء من الخشب وركبه على بعضه فوق وجه البحر صفة الفلك ونزلوا فيه للقلعة الخامسة وطلع فتقدم شيحة وفتح له بابها وأخرجه من الباب الثانى للقلعة السادسة وأدخله من مغارة أخرجه من وسطها ونزل معه فى جب عميق وأطلعه فى وسط القلعة السابعة ونزل من وسطها فوجد نهرا جارى فيه الاثنان فرأوا شرطية من الصباح فنزل شيحة وتبعه نجم الدين فاقاما فى ذلك المكان يومين وليلتين حتى بان لهما النور فلم يفيقا إلا وهما فى وسط القصر ثم قال المقدم جمال الدين اورنى بق يا نجم الدين كيف تأخذ القدرة بالفص الجوهر هذا عذرك اقضى وهاهى قدام عينك دونك وإياه ثم انه فطس ما بان فالتفت الفداوى فلم يجد له خبرا

فقال يا شيحة ذلك يا شيحة فطل عليه من السرريتوك وقال له أنت من يارجل عمال تقول يا شيحة يا شيحة فقال له تعال لما اسألك فقال شيحة ادخل وكلمنى فقال له وهو أين أدخل فقال له من ذلك الطابق ونزل منه فما شعر إلا وهو بين ثلاثة ألواح من الحديد والسقف انطاق عليه

فقال أى شيء هذه الوقعة التى أوقعنى فيها هذا الملعون أنت فى أى مكان ياسلطان القلوع والحصون وإذا بالمقدم جمال الدين نزل عليه وقال له وقعت يافداوى فقال له ياحاج شيحة خلصنى فخلصه وفتح له باب القصر وقال هذا القصر مفتوح ولم يكن لك عائق وهذه القدرة وتعلق المقدم جمال الدين فى السقف بمرشته فاخذ القدرة

ونزل وقال له فرجني يامقدم جمال الدين كيف تخلص بها وتنفذ إلى بلاد الاسلام فقال يا شيحة ما أنا ملكتها ومن الذى بق يقدر أن يأخذها ثم إن شيحة تركه وقال له سافر

فقال له دلنى على الطريق فحرك لولبا على يمينه ونزل من طابق ومن ورائه المقدم نجم الدين وماداموا سائرين حتى طلعا من خارج القلعة فقال له هاانت ملكت رشدك فرجنى بق فقال اخرجنى أولا من هذا البحر فغاب وأتى له الفلك الذى كان اصطنعه له أولا ونزله فيه حتى طلعا على البر

فقال المقدم نجم الدين ياحاج شيحة أنا ما بقيت أنسى جميلك الذى فعلته معى فكيف تفارقنى إنى طائع لك وهذا سلاحى أكتب عليه كما تريد ولا تفارقنى حتى أعود إلى بلاد الاسلام فقال له يا بطل الزمان أنا إذا سرت بصحبتك فربما أن الطريق فيها مشقة وأما إذا كنت وحدك فانا أحاديك وإذا وقعت فى محذور تنده على آتيك واخلصك من كل ما يضرك فقال نجم الدين صدقت فسار نجم الدين الغيور وهو فرحان طالبا بلاد الاسلام فاحتاج إلى أكل فقال فى باله قدام ألقى مدينة فبينما هو كذلك إذ لقى صومعة فطلع اليها فوجد صاحبها نائما وفيها قفة ففتحها وإذا فيها خبز وزبيب وتمر فاكل وانقلب وكان هذا الملعون كهينا من جزائر الشفق فلما فاق على نفسه وعلم أن الكوكب أخذه المسلمون سافر حتى وصل إلى هذا المكان وعمل هذه الصومعة فقبض عليه وكان اسمه الكاهن كركيس ولما جرى ذلك وبقى نجم الدين مبنج اجتهد أن يحمله على دواب ويعود به إلى الجزائر فهو كذلك وإذا بنبل وقع فى عينيه نفذ من قفاه والضارب له المقدم جمال الدين وقدم على الفداوى وفيقه وقال له يا فداوى أى شىء أرماك فأخبره أنه كان جيعانا فقال له اذا جعت أنا أطعمك حتى تروح الى بلاد الاسلام ثم تركه وسافر نجم الدين فاقبل على نهر ولم يجد طريقا فصاح أنت أين يا سلطان القلاعين واذا بمركب صغيرة أقبلت من البر الثانى فقال له يا معلم عدينى فقال له هات عشرة دوقاته فقال أعطيك وأضمر انه يقتله بعد أن يعدى ولما نزل الى وسط البحر طلب الاجرة وقال ما أسير لك الى البر الا بعد ما تعطينى الاجرة فعند ذلك فزع عليه الفداوى فطلب البحر وتركه فى المركب وحده فصاح انت فين ياسلطان الحصون فنزل له من البر يعوم ووصل الى المركب وطلع الى عنده وطلب منه السرياق وربطه فى المركب ونزله وربطه فى البر وصار يشد حتى جاء به الى البر فسافر فرأى مشقة الجوع فصاح على شيحة فاتاه بالطعام والماء وطلب منه شيئا يركب عليه

فاتاه بصيرة من أنفر الخيول وقال له يا نجم الدين هذه القدرة بالفص الجوهر معك وبلاد الاسلام بقيت قريبة فادخل على السلطان ولا تجعل أنك رأيتنى وإن كان يسألك السلطان اطلب منه حجة بالسلطنة وها أنا فعلت باصلى مع أنه والله مامنعنى من أذيتك إلا الملك الظاهر وانت يا نجم الدين إذا وصلت إلى بنى إسماعيل من غير الذى سافرت فى طلبه يبقى حطة و نقص مقام لك

فقال له شكر الله فضلك يا حاج شيحة ثم ودعه وسافر الى مصر وطلع الى قلعة الجبل وقبل الارض قدام السلطان وقدم القدرة وفيها ذلك الفص الجوهر فنظرته الرجال والامراء فامره السلطان بالجلوس وطلب له شربات فشرب وساله السلطان عن سفرة فاعلمه أن الله ساعده حتى بلغ مايامله وأتى بالقدرة و مابقيت أريد الا سلطنة القلاع والحصون فقال له السلطان تستاهل ولكن حتى يحضر المقدم جمال الدين أو يأتى منه خبر فبينما هم كذلك وإذا بالطبول تقرع فدخل المقدم جمال الدين فاراد السلطان أن يقوم اليه فقال له شيحة لا تقم يا ملك الاسلام ثم التفت الى نجم الدين وقال سلامات يا مقدم نجم الدين فقال له نجم الدين السلام ماهو بالحنك السلام يكون بالاحضان وقام على حيله فضم شيحة الى صدره وقبله فى عارضه وأجلسه فى مرتبته وقال اشهدوا يا رجال إنى أنا مملوك فى الرق للحاج شيحة وهى طاعة الخوند اليه حتى تعوم الجبال فى البحار والاسم الاعظم وهذه شواكرى اكتب عليها اسمك فاخذ شيحة سلاحه وكتب اسمه عليه مثل غيره

فقال السلطان هذا الفص الجوهر لا يصلح الا ان يتعلق على قبر الرسول وامر بحفظه فى الخزنة حتى يريد السلطان كل من طلب الحج وسافر السلطان الى مكة لحج وبعده طلب زيارة قبر الرسول وسافر من مكة الى جبال الصفرة واذا بشرار وثار ورجم بالاحجار واقبل عون فى صفة عبد أسود وهجم على الصندوق الذى فيه القدرة والفص الجوهر فكسره وأخذ القدرة بالفص وطار بها فى الهواء

فاغتاظ السلطان من ذلك وكان المقدم جمال الدين بصحبته فقال ياملك الاسلام أنا أعرف من كتاب اليونان ان هذا الكوكب ياخذه واحد كهين اسمه بجرم ابو العجايب ويبنى مدينة على سن جبل عالى ويضع هذا الكوكب فيها تسمى مدينة السن والكركب ولكن انت الذى تاتى به ثانيا وتعلقه بيدك على مقام الرسول ولكن كل شىء له وقت وهذه البلدة سفر احدى عشرة سنة ولكن يحصل فيها لطف الله فى الذهاب والاياب فسكت السلطان حتى وصل الى

المدينة وزار وقبل أعتاب الرسول وعاد إلى مصر هذا فى كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه

[قال الراوى] وأعجب ما وقع ان الملك جالس وإذا بجواب مع نجاب قاده من حلب فقدم الكتاب الى السلطان ففتحه فوجد مضمونه أن يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمون والغبار غبر وعلا إلى الضفا وتكرر وانكشف عن عسكر وأى عسكر فضرب طبوله ونفر فقمنا إلى الحصار وضربنا عليهم جمال النار ومنعناهم عن سور البلد فأرسلنا الجاسوس يكشف الخبر فرأيناه اصطالود الفلقى صاحب جزائر الفلق ومعه عساكر لا تحصى ولا تعد فأدركنا يا ملك الاسلام بسيفك المسنون وأمرك المكنون فاننا فى ريب المنون والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام

فلما سمع الملك الكتاب أمر بالتبريز من مصر بالعرضى فبرزت العساكر وطلعوا إلى العادلية وبعد تمام العرضى توجه السلطان طالبا حلب وكان السبب فى ركبة اصطالود الفلقى هو أن الملعون جوان دخل على بلده وطلب منه أنه يركب على بلاد الاسلام فقال له يا أبانا أنا طاوعتك سابقا وحبست البطريق فجانى شويحات وخلصه والذى جرى أنت تعرفه فما بقيت أركب على المسلمين أبدا فقال جوان حرام عليك ان كان حرام أو حلال المسيح يعلم ان مالى قدرة على رين المسلمين ولا على حربه فسكت جوان على غيظه

ولما أمسى المساء دخل القصر فوجد عنده خمسة واربعون كلبا كل كلب منهم كانه وحش فقال جوان يا بب اصطالود انت تظن أن المسلمين فيهم عزم اكثر منك مع أنك لو أرسلت هذه الكلاب وحدهم إلى عساكر ملك المسلمين اقتلوهم وانا على ان كان يرجع من المسلمين أحد وتكسب غزة يا بنى فى دين المسيح فقال اصطالود يا أبانا الكلاب يحاربون المسلمين قال جوان نعم فقال اصطالود بعد ضمان جوان وفتح خزنته وفرق على عساكره الاموال والسلاح وشاله وسافر معه جوان وهم يقطعون الاراضى والكثبان حتى وصلوا حلب فنظر عماد الدين أبو الجيش نحاصر فى الابراج وكتب للسلطان فركب السلطان وحضر الى حلب

ولما حط السلطان على حلب كتب كتابا وأعطاه إلى ابراهيم ودخل به على اصطالود الفلقى فى صيوانه فأعطاه الكتاب فقرأه بعد التهديد والوعيد فوجد فيه من حضرة ملك القبلة وخادم الحرمين الشريفين الى اصطالود الفلقى لاى شىء أتيت فى ذا الهم وأحوجتنى ان أركب وآتيك لكن كان الذى كان فان أردت السلامة تأتى الى عندى

ومعك جوان والبرتقش ان عملت هذا كان الحظ الاوفر وإن خالفت سوف ترى من انقطاع عمرك والسلام فالتفت إلى جوان وقال تقرأ الكتاب يا أبانا فقال جوان يعني أنا يتوه عني كلام من المسلمين والحوارى مخبرون أخبرونى به قبل ماتقرأه أنت فقال وكيف العمل يا أبانا قال جوان اكتب له بالحرب فكتب بالحرب رد الجواب وأعطاه للمقدم إبراهيم وأعطاه حق الطريق الف دينار وعاد إبراهيم فأعطى السلطان رد الجواب فلما رآه مزقه وأمر بدق الطبول الحرب ولما كان عند الصباح خرج من عرضى اصطالود الفاقى بطريق وصال وجال وطلب القتال فنزل اليه ايدمر البهلوان فقتله والثانى والثالث قتله والرابع والخامس إلى عشرة فنزل كلب من الخمسة وأربعين وغار على ايدمر البهلوان وقبض بأنيابه فى زور الحصان فقتله فى وقعة الحصان التى به الكلب فخاف ايدمر على نفسه وعاد من الميدان فقال السلطان هذا أى شىء يا أمير ايدمر فقال يا دولتى هذا كلب ما هو مثل الكلاب فنزل علاء الدين فهجم عليه الكلب وتعلق فى درعه وخدشه فى وجهه ولولا ما عليه من الزرد وإلا كان مزق كبده فتضايق السلطان . ولما كان ثانى الايام اندق طبل الحرب وأراد المقدم حسن النسر أن ينزل الميدان والغبار غبر وبان عن حجرة دهمة كأنها ليلة مظلمة وعليه فداوى كأنه طود من الاطواد وساق إلى وسط الميدان وقال بلغ من قدر الكلاب أن تقاتل الفرسان وأراد أن يهجم على الكفار بقوة وقلب فخرج اليه ذلك الكلب

فلما رآه نزل إلى الارض وحط يده على الشاكرية واستقبل الكلب وضربه بين عينيه شطره نصفين فنزل اليه الثانى فألحقه به والثالث واندق طبل الانفصال فقال يا ملاعين أروح أقابل ملك الدولة وأقول له أنا قتلت كلبا والله ما أنا مقابله وعاد إلى البر من حيث أتى وثانى الايام نزل قتل أربع كلاب فاغتاظ اصطالود من ذلك وأمر الكلاب أن ينزلوا اليه عشرة عشرة فقاتلهم ثلاثة أيام قتل منهم عشرين وفى رابع يوم قتل اربعة وخامس يوم والسادس أفنى جميع الكلاب الباقين

فلما نظر اصطالود اتكأ على ذقنه فنزعها ولطم على وجهه حتى تورمت أصداغه وقال لجوان أنت الذى أغرقتنى على هذه الركبة فقال جوان وأى شىء جرى عليك فقال غير هذا يا أبانا قتلوا الكلاب وإن طال الحال يقتلوا البطارقة ولا يبقى عندى من يحمل سيفا ولا طارقة هذا ما جرى [وأما] الفداوى فلم يعلم أن الكلاب انقطع دابرهم فسار الى قدام السلطان وقبل الارض فنظر اليه السلطان واذا به رجل اختيار فقال الملك من أنت يا مقدم من الرجال فقال يادولتلى أنا اسمى المقدم

صارم الدين [ياسادة] وكان السبب فى قدوم ذلك الفداوى هو أنه كان من دون بنى اسماعيل لم يطع قط سلطانا ولما كان المقدم معروف بن جمر سلطان جميع الرجال طاعوه إلا هذا المقدم صارم وقال للرجال ان هذا قد آتانى من عند المقدم صارم لم يطعه . فلما علم المقدم معروف هذا وشاعت هذه الاخبار فعلم المقدم صارم بذلك فاستحى وأخذ نفسه وسافر على النصارى فأقام مدة سنوات ولما كان فى تلك الايام وحضر فنظروه بنو اسماعيل وأعلموا به السلطان هذا ما جرى

واما المقدم جمال الدين فانه حضر ونظر إلى هـذا الفداوى فتركه ودخل عرضى النصارى فرأى جوانا وهو يتشاجر مع اصطالود الفاتى كما ذكرنا فدخل وتمكن من مكان الشراب ووضع فيه البنج وتركهم واختفى عنهم حتى أمسى المساء وهو دائر فى العرض . ولما كان فى الليل أرادوا أن يتعاطوا الخمرة فأحضروها بينهم وشرب البب اصطالود وجوان وغلامه البرتقش فاحتوى عليهم البنج فاندك شيحة عليهم وكتفهم وقد أخفاهم فى مخدع وكتب تذكرة أعلم السلطان بما وقع لهم فركب بعسكر الاسلام وهجم المسلمون وكبروا وهللوا وبالنبى محمد توسلوا وعلى القتال عولوا وباعوا أنفسهم فى سبيل الملك المتعال وسلوا السيوف الثقال وحملوا فلله درهم ولا أفاقوا الكفار الا ووجدوا كبيرهم مكبوس والسيف يلعب فى أقفيتهم والدبوس وكان ذلك على الكفار يوم منحوس فلله در الامير البهلوان ياما عمل وياما قتل شجعان وكم أباد أقران وكم جندل فرسان ولله در المسلمين فيما عملوا فانهم رفعوا أصواتهم الى خالق الارض والسماء وقالوا ربنا يا إله العالمين أنت قلت وقولك الحق المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فانصرنا على القوم الكافرين اللهم استجب دعاءنا يا خير الناصرين

[قال الراوى] فما أتموا كلامهم حتى بان غبار عن اثنين مقدمين راكبين حجرتيهما كانهما نمورة أحدهما اختيار والثانى شاب . فلما وصلوا الى القتال كبوا رؤوسهما فى قرابيس سروجهما وحملا وعلى الله توكلا ومالا على جيوش الكفار وضربا بالحسام البتار حتى أوردا الكفار مورد الدمار وقد شتتناهم فى البرارى والقفار فجمع السلطان الاسلاب وفرق الغنيمة على المشايخ والشباب وأراد الفداوية أن يسافروا إلى بلادهم

فقال ذلك الغلام وقال يا مقدم صارم أنا مأجور عليك ابرز لى فى الميدان حتى تحقق بدأبى والا أنا أقتلك وأبلغ قصدى ومطلبى فقام المقدم صارم وقال له

من أنت ياغلام قال انى أراك شابا شباب فقال له أنا كامل بن الخطاب وقد أتيت اليك حتى أقتلك وهذه حجرة أبى الذهبية فقام صارم الدين وخرج الى المقدم كامل فما أمكنه ان يصول ويجول حتى أن المقدم كامل وقف فى ركابه وضرب صارم الدين بالشاكرية على وريديه أطار رأسه من على كتفيه وجنب الحجرة ونزل ففك طرف عمامته وغمسها فى نحر المقتول وقال اشهدوا يابنى اسماعيل أنا كامل بن المقدم خطاب وهذا صارم الدين النابلسى أبى وأخذ هذه الحجرة فها أنا أخذت تار أبى وقد عرت عارى فاغتاظت الرجال فقام ابراهيم بن حسن وطلبه فاحضره بين يدى السلطان فقال له السلطان كيف تقتل خصمك فى حضرتى يا قليل الأدب

فقال يامالك الدولة وهو أيضا قتل أبى فى حكم المقدم معروف وان كذبتنى فهذا الاختيار كبخية أبى

فقال السلطان احكِ ياشيخ فقال يادولتلى هذه الحجرة الذهبية كانت للمقدم خطاب أتى بها من بلاد بعيدة وكان سابقا عاصى على المقدم معروف فلما طاعه قدم له هذه الحجرة هدية فقبلها منه

ولما عاد الى قلعته أرسلها له وأرسل معها هدية وكان صارم هذا عند المقدم معروف فتبع أثر الفداوى ونزل عليه فى قلعته ذبحه وأخذ حجرته وكانت زوجته معها هذا الغلام فربته عند أخواتها فلما كبر اعلمته أمه فأتانى سألنى عن قاتل أبيه فقلت له يا ولدى فى اللجج فطلمنا وشقينا فما رأيناه إلا فى هذه الايام وهذا الذى جرى يا ملك الاسلام وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل على السلطان فسمع العبارة وسأل المقدم كامل فى الاطاعة فطاع وأنعم عليه السلطان واحضر اصطالود الفاق وحد عليه الخراج وضمنه شيحة وسافر إلى بلاده وكذلك السلطان سافر إلى مصر وصار المقدم كامل صحبة الفداوية برفقة المقدم إبراهيم بن حسن

ولما وصل السلطان إلى مصر وجلس فى قلعة الجبل وأما المقدم كامل فانه أقام فى القاعة مع الرجال وكان جلوسه فى الديوان بجنب الأمير قراخى الرومى إلى يوم عزمه عنده فراح معه إلى منزله ليأكل ضيافته فرآه يضرب خادمه علشان مرقة الكوارع كبها . فقال الخادم أنا فى عرضك يا مقدم كامل فقال اطلقه يا بيلرجى ففزع على المقدم كامل بالحسام فضربه كامل بالشاكرية فجرحه فى صدره جرحا بالغا وقال والله يا قران لولا أنى فى بيتك لقطعت رأسك تعزمنى ولا تكرمنى وخاص الولد منه غصبا وقال له اقعد عندى وأنا أحميك من هذا المعرص

ولما كان ثانى الايام طلع المقدم كامل إلى الديوان وجلس فطلع الامير يشتكى من المقدم كامل للسلطان فقال كامل جئت تشتكينى يا قليل المروءة تضرب الرجال قدامى ولا تكرمه لما قال أنا فى عرض الامير كامل ولكن أصلك علوك فاغتاظ الامير فرانج الرومى وحط يده على الحسام وقد هجم على المقدم كامل وهو جالس وضربه فراغ العداوى فحكم السيف فى شده فرماه فقال له يا قران ترمى فى الديوان شدى الذى ربيته على أنى وجدى ولكن بعد ذلك ما اقدر أن أسكت وحط يده على شاكريته وضربه على وريديه اطار رأسه من على كتفيه فقالت الرجال يسلم يمينك هذا جزاه والله لو قعدت اقتلناك فأراد الامراء أن يجذبوا سيوفهم ويشوش الديوان .

فقال المقدم ابراهيم والاسم الاعظم كل من تحرك منكم قطعت راسه

فقال السلطان ما هو شيء لازم كل الفداوية تنزل قال ابراهيم قوموا يا رجال ونزلوا الفداوية وبينهم كامل فقال إبراهيم نحن ما قتلناك وأنت الذى صالحتنا وسار بهم إبراهيم إلى قلعة حوران قالوا يا رجال اقامتنا ببلادنا خير لنا

[قال الراوى] وأما الملعون جوان لما علم بما جرى بين الفداوية والسلطان قابل هاتفا من بحيرة يفرة فداوى اسمه المقدم مطرون وله أربعون من الاتباع فقال له روح أنت ورجالك واقطعوا الطريق على تجار الشام وإذا نهبت قافلة قل انا كامل بن الخطاب فراح الملعون وفعل ذلك فكتب التجار إلى افش النجيبى باشة الشام فأرسل كتابا للسلطان وأعلمه بهذه الاسباب وان الذى نهب التجار كامل بن خطاب فأرسل السلطان يقول لا ابراهيم هذا عيب عليك فعل القبيح وما كان ظنى أنه تجيء منه هذه الفعل من اللصوص إذا كنت من الرجال كما أعهد فيك فترد ذلك اللص عن تجار اهل الاسلام وتنظف طريق الشام

فلما قرأ ابراهيم الكتاب أحضر كاملا وقال له ان كنت تفعل هذه الفعال فأنا ما أرضى لك بذلك الحال فقال كامل والاسم الاعظم ما فعلت ذلك ولكن أنا أروح وانظر الى الذى فعل تلك الفعال فركب مع عشرة مقادم من بنى اسماعيل وسار الى الشام ومشى بين يديه عشرة من كاخيه بعد قرن بغالا عليها أحمال ... ر وأخرهم حتى خرج عليهم الملعون مطرون ورجاله الاربعين فلما نظروا أخذوا يدورون بالبغال حتى أطبقت بنو اسماعيل عليهم من اليمين والشمال وشالوهم على أسنة الرماح الطوال وهجم المقدم كامل على مطرون وضربه بالشاكرية صفحا فرماه من وراء كتفه

وسار به إلى الهام وسلمه إلى افش النجيبى فلما دخل عنده وضعه فى السجن فارسل جوان البرتقش واطلقه ليلا واصبح افش النجيبى فعزم الامير كامل وبنج له الطعام وقبض عليه وأعلم السلطان بكتاب فارسل له فرمان يامره بقتل كامل فلما حضر المقدم ابراهيم أراه افش النجيبى فرمان السلطان فقال له فشرت يا قران ومزق الفرمان وطرد فش النجيبى وسلطن كاملا على الشام فدرى السلطان فاخذ العساكر وحط على الشام فاقبل شيحة وعاتب إبراهيم على عصيانه فاراه فرمان السلطان فاصلحهم وزوج كاملا بفاطمة بنت افش النجيبى فخلف منها ولدا اسمه خطاب يكون له كلام وسافر السلطان إلى مصر [و يرجع الفصل الى جزائر أرواد وهوان السلطان الملك الظاهر أراد أن يختفى وينزل يشق مصر فى التبديل فقال لابراهيم وسعد الحقانى ونزل فى صفة درويش يجد الدنيا فى امن وامان وما زال سائرا حتى نظر شوارع مصر كلها وبعده سار الى بولاق فرأى فى سوق السبتية ازدحاما وعالما بكثرة وخلائق متجمعة فشق بين الناس فرأى رجلا قاعدا فى قفص وهو يذكر الله وعيناه شاخصات للعالم

ولما وقف السلطان قال الرجل ياموءمنين ساعدونى بقراءة الفاتحة فى صحايف مولانا السلطان الذى شرفنا بوقفته فى هذه الساعة فقال السلطان فى باله فى هذا فى رجل من أهل الكشف ووقف لينظر ما يفعل وإذا به اشار على السلطان وقال له تعال الى عندى يا ترس قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فتقدم الملك الى عنده فقال له خذ هذه الذخيرة من اكل الصالحين ولا تخل أحدا براك عندما تاكل فمد يده لياخذ فاعطاه منديلا حريرا ملفوفا فانتقل من قدامه وفتح المنديل فرأى فيه رغيفا وحامتين مستويتين فسار السلطان إلى شاطىء البحر وطلع فى مركب مهجور وفتح المنديل ، أراد أن يأكل واذا به يسمع قائلا يقول ارحم اصحى تاكل تعدم نفسك فاغتاظ السلطان ونظر للقائل وإذا به شيحة فتقدم وأخذ قطعة من حمامة فصاح على كلب فاكلها وصرخ وتشرمط بدنه فى الوقت والساعة فقال يا ملك لو اكلت كنت تبقى هكذا

فقال السلطان أعوذ بالله وتركه شيحة وراح فقام الملك ورجع الى ذلك الشيخ رآه الرجل عرف المقصود فترك العالم وجرى على شاطىء البحر فتبعه السلطان وشاع الخبر فى بولاق وقالوا حرامى وهذا بصاص ودام الرجل يجرى والملك خلفه الى بين الغيطان فنط الرجل من على حائط فصار فى داخل الغيط ونط الملك وراءه فاشتبك

ديل السلطان فرقع من على الحائط فاراد الكافران يعود اليه ليقتله وبده على خشتة
وإذا برفيف رصاص وقع فى صدره فانقلب على ظهره والضارب له سعد واقبل
عمر وابراهيم حتى قبضا ذلك الرجل وسارا به إلى القاعة فجلس السلطان وطلب الرجل
فقال له أنت من يا ملعون قال حرام عليك يا مولانا السلطان أنا رجل مؤمن فقال
ولاى شيء صنعت لى هذه الحامات والعيش بالسم فقال لا أعلم هذا اعطانيه واحد
احسان وأنا أعطيتك اياه ولا اعلم فقال له السلطان ولاى شى لما تبعتك هربت فقال من
خوفى لانك ملك الاسلام ورجعت إلى مغتاظا فقال ولاى شيء عدت بالسيف
وضربتى فقال جهلا منى فقال السلطان اكشف يامقدم إبراهيم عن ثيابه واضربه
فضربه حتى أشرف على الموت ولم يقر فاقبل المقدم جمال الدين وحلق قطعة فى وسط
راسه ودهن له بدهن الروح النارى فحس أن الدنيا أوهجت فى بدنه نارا فصاح
أنا فى عرضكم يا مسلمين قال شيحة أنت ايه قال نصرانى واسمه مقضون وهو الذى
فعل هذا الفعال عامدا بأمر البب جمجرين ملك جزائر أرواد وجوار [قال الروای]
وكان السبب فى ذلك أن البب جمجرين صاحب جزائر ارواد أحضر هذا الكافر
لما يعرف من مكره وخداعه وقال له طالب منك رين المسلمين قتيلا أو اسيرا فاتى
فى تلك الحيلة كان وزيرارواد اعطاه وصف السلطان وقعد فى بولاق حتى اتاه
اتاه السلطان واعطاه المنديل وجرى ماجرى

فقال له المقدم جمال الدين هذه حكايتك سمعناها وما قولك فى دين الاسلام فقال
لا يمكن فأمر السلطان بحرقه فحرق فى الرميلة وكتب الملك كتابا لابى بكر البطريق
يطلبه إلى مصر

فلما حضر قال يا قبطان الاسلام أنا طالب منك جمجرين صاحب أرواد
فقال البطريق أى شيء فعل هذا الكافر فحكى له السلطان على ما وقع منه
فقال يامولانا لا تلزم الملعون جمجرين الامنى فى ظرف شهر واحد ثم انه
نزل من قدام السلطان وسار إلى الاسكندرية وأراد أن ينزل إلى الغراب المنصور
بالسنورة وسيدى عبد الله المغاورى مقبل فقال تعال معى يا بطريق حتى انى
اساعدك والله تعالى يساعدنا جميعا فلما نزل البطريق فى السنورة وقذف
الاستاذ أول قذفة والثانية على أرواد وقال يا بطريق اعمل نفسك صياد
ما طلع البطريق عدة الصيادة وتوكل على صاحب السيادة [ياسادة] ومن
اعلمه الله عز وجل وبركة المغاورى اقبل جمجرين ووقف يتفرج على

ذلك الصياد واغراه عقله ان ينزل يتفرج على ذلك الصياد فى السفورة لانه رآه يطلع السمك من جميع الاصناف فنزل فى السنورة وقال البطريق اصطاد حتى انظر صيدك فعندذلك قذف الاستاذ وقال بسم الله مجراها على الاسكندرية مرساها فما شعر جمجرين الاوهو على الاسكندرية وبلاده لم يراها فقال أنتم جن ولاانس فقال البطريق انت مطلوب للسلطان يابن الكافرة وأخذه وطلع به الاسكندرية واعلم الباشا بذلك فارسل بطاقة بطير الى مصر يعلم السلطان فأمر السلطان الامراء ان كل أمير يأخذ الف مملوك من مماليكه ويقفون فى البر حتى يفوت البطريق بذلك الملعون فكان الامر كذلك فطلع البطريق من الاسكندرية ومعه البب جمجرين والامراء يتهددوا عليه حتى دخل مصر فلما وقف قدام السلطان قال له يا ملعون لاى شىء أرسلت لى هذا الكافر بالسم يقتلنى هات رأسه ياابراهيم فقال له يابن المسلمين أنا أذنبت واشترى رقبتى بمائة الف دوقانه فقال السلطان هات المال فقال له ضمانى على القبطان الذى جاء بى يسير معى الى بلادى ويأخذ المال لانى أنا ما معى مال هنا فقال السلطان تضمنه يا بطريق قال نعم يا سيدى فقال جمجرين واعتق من بلادى الف أسير فرضى السلطان وسلمه للقبطان وسافر به الاسكندرية ومن يوم نزل به فى الغراب المنصور وسافر به الى أرواد

[قال الراوى] إن جمجرين لما أخذه البطريق فى الاول عادوا رفقته الى امه واعلموه بماجرى على أبيه فقعد مكانه الى ان حضر ودخل بلده واطمأن فيها وصار يجمع الاموال وامر كل من عنده أسير يحضره حتى جمع المطلوب وأراد ان يسلم البطريق ذلك ويسافر واذا بجوان أقبل وأخبر بهذه القضية فما هان عليه قال له تكفر يا ببب وتخرج عن دين النصارى والا تخسف بلادك ان لم تطاوع جوان فقال له أى شىء أعمل فقال جوان اعزم البطريق وحط البنج فى الطعام والمدامة فاذا أكلوا تبنجوا وضعهم فى السجن فامتثل جمجرين رأيه وفعل بهم ما امره به جوان فلما تبنجوا وضعهم فى السجن ونزل هو ورجاله فاخذوا قلاع الغراب ومدافعه وعدته وصواريه كلها وخسفه فى البحر نصفه وفى البر نصفه وتركه كذلك ففرح جوان بما فعل البب وقام البطريق فى السجن مدة أيام الى يوم خرج الملعون جمجرين يتفرج على المينا ورأى الغراب كيفيته

فقال لوزيره ما أحسن هذا الغراب كان فقال الوزير هذا يا بب كان فى البحر مثل القلعة المبنية وله ابراج ولا أحد يقدر يعمل مثله فقال جمجرين اعمل واحدا مثله

يبقى عندى أغزى عليه بلاد المسلمين ولكن ياهل ترى أى تجار يعرف ان يفصله فقال الوزير ياأب مايفصله الاقبطانه وهو الذى كان يسافر به واما اذا كان غيره يمكن ما يعرف شيئا فعنده أحضر أبا بكر البطرنى وقال له اريد منك ان تصنع لى غرابا مثل هذا الغراب فلما نظر البطريق الى الغراب بكى عليه وقال ولكن أنا ورجالى فامر له باطلاق رجاله ومدسلسلة من البر الى البر تمنع المراكب من الخروج من المينة وأمر البطرنى ان يفصل غرابا كما يجب واحضر له أخشابا كفايته ورتب له ولرجاله كلما يلزم من أكل وشرب وملبوس ووعدهم أنهم اذا أتموا له ذلك الغراب يعتقهم من الاسر ويسلمهم الى أبى بكر البطرنى يروح بهم الى بلادهم فاجتهدوا فى مدة من الزمان فى ظرف تسعة أشهر كان الغراب قدتم ووضعوا فيه كل صواريه وقراياته أوقاشاته ومدافعه حتى بقى كأنه مدينة عامرة حربية على البحر

[قال الراوى] ان الغراب الذى تكسر كان طوله مائة وعشرين ذراعا وعرضه ستون ذراعا وسمع الناس يقولون ماأعظم هذا الغراب بسماء العظمى ولما انتهى تمامه عاد أبا بكر البطرنى الى السجن ثانيا وأمر بنزوله الى البحر فما قدروا النصارى ينزلونه فأحضر البطرنى وأخذ بخاطره وأمره ان ينزل الغراب فى البحر فقال له أنت وعدتنى ان تطلقنى أنا ورجالى اين ياابن النصرانى وعدك فقال له لما ينزل الغراب فقال له باب الله أوسع من بابك يجعل الله لنا من كل عسر يسرا ثم انه عمل سقائل ودهنها واحضر رجاله ومسكهم الفتل ودق له السكك عالى وواطى وحط أكتافهم المقاربة وقالوا يالدين محمد فسار الغراب يجرى معهم كالغزال حتى نزل فى البحر فلما فعل ذلك قبض عليه ثانيا وسجنه ونادى قبطانه وأراد ان ينزل يتفرج على مشيه فما أمكنه فأحضر البطرنى ثالثا وقال له اصلح شأنه ومشيه فى البحر من داخل السلسلة فسار القبطان يمشى الى السلسلة ويعود الى المينة الى ان وصل وقت المغرب فرأى البحر ركب على السلسلة

فقال لرجاله ياأولاد عائشة اذا رأيت البحر زاد [illegible] فقوموا كل منكم [illegible] قدام [illegible] فتقدموا جميعا [illegible] وقال [illegible] فوق السلسلة [illegible]
[illegible]

والغراب طائر فى الارياح كانه طير بجناح فقال البب أى شىء هذا يا بطرنى فقال اقعد يا ابن الكافرة ثم أمر المغاربة كتفوه ورموه فى الطارمة وسافر البطرنى إلى الاسكندرية وضرب المدافع وطلع للباشة وأعلمه بالذى جرى وكتب إلى السلطان وقدم البب جمجرين الى بين يديه وأعلمه بما فعل فقال له السلطان يا ملعون إذا كان هذا ضمنك وسافر معك تغدو به وتكسر الغراب فقال يارين المسلمين أنا ملك وأنت تملكنى بالحيل ولم تأخذنى لا بحرب ولا بقتال فما يكون افتخارك حتى تأخذ الملوك بالحيلة من وسط بلادها فقال السلطان فهمت كلامك وأنا وحق الباقى على الدوام ما أقتلك إلا فى بلادك بعد ما أخر بها قدام عينيك ثم أرسل البطرنى وخرج عمارة السلطان يقدمها الغراب العظمى والسيار وذات الابراج ويتبعها مائتين غليون من مراكب الاسلام وأخذ الملعون جمجرين مغلول اليدين ونزل من الاسكندرية وسافر إلى أن قرب من جزائر أرواد فعند ما وصل البطريق إلى السلسلة رآها عالية تمنع المراكب من الدخول فأمر المراكب جميعا أن تصفح قلوعها على ظهر البحر فقال السلطان تدخل المينا فقال يا مولانا تمنعنا السلسلة وإذا بالمقدم جمال الدين فتيل وقال ياريس أى شىء يمنعك فقال هذه السلسلة فقال شيحه أنا لك ثم ان شيحة أخذ له جرابا ووضع فيه ثيابه وما يحتاج اليه ونزل البحر وطلع على فلكها برج السلسلة وأرمى مرده ودخل البرج فالتقى رجلا فداوى

[ياسادة] كان هذا الفداوى اسمه المقدم نصر الدين عون كان فى القلعة ومقدم على مدينة أرواد فطلع إلى السراية ليلا فرأى بنت البب جمجرين فعشقها وطلب يتزوجها فقالت له اعلم أبى بذلك فطلع ودخل على البب حبه جمجرين فالتقى ابنه فقال له زوجنى بأختك وأنا أخلص لك أباك من المسلمين فقال اذا أردت ان تأخذ اختى اريد منك ان تكون غفيرا على برج السلسلة تمنع المسلمين من التسور على بلادنا فاذا امتنعوا المسلمون وراحوا نبقى نرجع نصالح رين المسلمين ونخلص أبى منه

فقال له انا ضامن [illegible] هذه السلسلة [illegible] فى البرج لما [illegible] شيحة [illegible] الفداوى قال له جئت [illegible] على [illegible] السلسلة [illegible] السلسلة ثم [illegible] يرجع [illegible] شيحة [illegible] السلسلة [illegible] بطريق

واقفا على مقدم الغراب فنظر إلى السلسلة ارتخت فى البحر فدخل بالغراب المعظم وتبعته المراكب وملك السلطان المينة وطلع العسكر على البر وأقبل المقدم جمال الدين حاملا ناصر الدين عرن وسلمه للسلطان وقال له لا تقعد فانى ذبحت الغفرا وعطبت المدافع اكبس البلد فركب السلطان وعساكر الاسلام وركبوا على البلد فما طلع النهار إلا والسلطان على تخت أرواد والحقوا النصارى بقوم ثمود وعاد وغنموا أموالها وخربوا أطلالها وأحضر جمجرين وقال له هذه بلدك يا كلب فقال يا زين المسلمين كل الملوك يحاربونك وتعفى عنهم فاجعلنى من جملتهم وها أنا رأيت حالى بايعنى مثل غيرى وإن خنت ثانيا سيفك أولى بى فقال له السلطان ومن يضمنك فقال ضمانى على سيدى شيحة قال شيحة ضمانه على أطلب منه كلمة ركبتك وهذا ولده يحضر لك مطلوبك قبل اطلاقه فقال الملك أطلب أربع خزن مال خلاف تحت الغراب المنصور خزنتين وأما الغراب الذى صنع فهو شغل ابطالى فقال جمجرين على رأسى وبعد أربعة أشهر أورد ذلك للديار المصرية قال الملك وعليك الخراج فى كل سنة خزنة العام الماضى والعام القابل خزنتين فقال المقدم نصر الدين عرن ياحاج شيحة أنا دخيل عليك وأطيعك وأكون عبدك على طول الزمان وهذه شواكرى اكتب اسمك عليها قبل أن تطلق جمجرين هذا فقال شيحة مالك يا مقدم ناصر الدين قال يا حاج شيحة هذا خدمنى فى السلسلة على أنه يزوجنى ابنته وبعد ذلك يروح تعبى بلا شيء

فقال شيحة تطيعنى فقال والاسم الأعظم إن زوجتنى بهذه البنت أطيعك فأمر شيحة باحضارها وسألوها فى الاسلام فأسلمت انعقد عقدها على القاضى واطلقوا جمجرين بضمان المقدم جمال الدين وعاد الملك الظاهر إلى مصر

[ويرجع الفصل] إلى علاء الدين البيسرى تخفى السلطان فرأى رجلا فلاحا وبيده كتاب وقال ياشيخ اقرأ لى هذه الورقة فرآها السلطان من قائم قام إلى أستاذنا الأمير علاء الدين القائم لك هيكل عاصى علينا البلد منع الناس من دفع الخراج فرحنا منه فقال ياشيخنا هذا رجل فاسق والنصرانى أفسق منه كانوا رأوا أنثى وهى تملا القادرة جاءت من السقاية فأخذوها وأدخلوها دار الكنيسة كان رأسهم يتلذذوا عرضى جئنا فى الخبر فأخذت اخواتى ولحقتهم وخلصتها ثم ضربتهم فقالوا تعال فرحنا لأستاذنا بورقة يعطيك أردب قمح وحله فأنا جئت فقال السلطان هذه ورقة وأن أراد يوذيك أعطها له وقال له هذه ورقة شاهد الشيخ محمود

فأخذها وسار إلى بيت علاء الدين فأعطاه الجواب فاغتاظ وأراد أن يقتله فأعطاه الورقه ووقف على حيله فوجد فيها ختم السلطان انك تنعم عليه ويكون شيخ البلد وترفع القائم مقام فوضعها على رأسه وأنعم على الفلاح وأما السلطان فانه رجع إلى القلعة واقام يتعاطى القصاص كما امر الله تعالى [ورجع الفصل] إلى ظهور ناصر الدين الطيار وذلك أن السلطان جالس فاتاه كتاب من بيسان حامله تابع يذكر فى الكتاب من المقدم دبل اعلم يا ملكنا إن بدلنى غسلتها ووقع الشبك فى الارض اتسخ فادركنا قبل أن يشيع توسخ شدودنا فقال سعد يا سلام سلم فقال السلطان وأى شىء يعنى بشد الوسخ فقال إبراهيم لا يا دولتلى هذا شىء يقول الرزية فى معرض والدل فقال السلطان روح يا إبراهيم انت وسعد وانظر ما الخبر فركب إبراهيم وسار إلى بيسان فالتقاهم المقدم دبل فقال سعد ما الخبر الآن فقال ياولدى أحتك اخذت من خدرها وحجرتها اخذت من طوالها وأعظم من هذه المصيبة لا يكون [وكان السبب] انه ظهر غلام فى قلعة زاغورة وهى قلعة جبير والبقنوس وهم اولاد زغرير الذى كان قتله السلطان سابقا لما سرق امرال خان السبيل وسبق هذا الكلام فى اول السيرة ظهر بها غلام اسمه المقدم نصير الطيار لكنه عاتق جبار إلى يوم ذكرت بين يديه حجرة المقدم دبل البيسانى إذا لم يكن اجرى منها فى الخيل فقال المقدم جبير يا نصير تقدر على الاتيان بها فقال نصير وحق دينى اجىء بها لو كانت تحت اطباق الثرى فقام من قدامهم على انه يجىء بتلك الحجرة ويبقى له الثلث فى القلعة فدخل على أمه وأعلمها بما حصل فقالت ياولدى إذا اردت أن تاخذ الحجرة فان قلعة بيسان فيها بنت تسمى المقدمة بنت المقدم دبل البيسانى فاذا قدرت على اخذها وأخذ الحجرة معها تفتخر على جميع عياق الروم فقال المقدم نصير وحق رب المسيح لا أنم فى القلعة إلا إذا جئت بالاثنين

[قال الراوى] فسار ذلك الغلام حتى وصل إلى قلعة بيسان وكان زمان الربيع والخيل كلها فى المرعى فلما وصل المقدم نصير القلعة أرمى مفرده وطلع لا يحكم نزوله إلا على قاعة المقدمة سلمة وهى نائمة لما تعلم ان قلعة أبيها لم يطرقها طارق فأرمى عليها بنجا وحطها فى جمدان وطلع من محل ما نزل وأخفاها فى مغارة وعاد يدور على الحجرة فلم يجد خيلا فى القلعة فعلم انها فى الربيع فقصد الجرة ليلا ونزل على الحجرة وأخذها وحمل عليها البنت وطلب قلعته هذا كان السبب ولما اقبل سعد وابراهيم مسكوا الاثر حتى وصلا الى قلعة جبير والبقنوس فدخلا القلعة ونظر سعد الحجرة الخطافة ركوبة ابيه فنط وركبها وطلع بها الى خارج البلد فنظر نصير فنط

وركب خلفه ومسك ادرهته وصاح إلى يا غندارة وكان سعد لم يعرف أن يقاتل راكبا على الخيل وهذا الذى تعلق فى زنده مثل الشيطان ودار به الكفرة وأخذوه أسيرا فاخذوه مكتفا ودخل به نصير على أمه فقالت له اربطه فى السرير فقال لها وأى شيء يكون السرير فاخذه ووضعه فى السجن وثانى الايام سأل المقدم إبراهيم عن سعد فلم يقف له على خبر فدخل القلعة يكشف من خبره فعلم انه أخذ أسيرا عند زوبع وابنه نصير فاغتاظ المقدم ابراهيم فهو كذلك واذا بعساكر مقبلة كفرة مقدار الف خيال يقدمهم ملك من ملوك الروم يقال له البب سرجويل وكان سرجويل هذا هو الذى اغرى نصيرا على سرقة الحجرة ولما علم أن نصيرا جاء بها أتى ليأخذها فقال نصير لا أعطيها لأحد فانى أريد ان اتزوج ببنت صاحبها ولربما اصالحه واعطيه حجرته واتزوج ببنته فاغتاظ سرجويل وأتى بعسكره وحط على قلعة جبير والبقتون فنظر زوبع الى ذلك البب

فقال يا مقدم نصير اعطه حجرتك التى سرقتها لأجل أن يرحل فقال نصير لا اعطيه شعرة منها ونزل عليه ليلا سرقه من خيمته بعدما ذبح من كان حوله من أكابر دولته ونزل ثانى الايام الى الميدان وقاتل من معه من الفرسان وثالث يوم فعل كذلك ورابع يوم شتت باقى عسكره فهربوا منه فى القفار ولم يقدروا على حربه فطلبوا الفرار ففرح نصير واحضر سرجويل وقال له عسكرك هرب وانت عندى اسير قصدى أن امن عليك بروحك واطلقك ولكن وحق رب المسيح ان بقيت تجمع عساكر وتروم محاربتى ثانيا فما يكون لك الا قطع راسك واطلقه وثانى يوم اقبلت عساكر حوران يقدمها المقدم حسن وعساكر بيسان ويقدمها المقدم دبل وحطوا على قلعة جبير والبقتون ووقع الحرب وحاربوا حربا شديدا مدة اربعة ايام والمقدم نصير متولى الحرب وهو يخرج ويسير فى الميدان وآخر خرج له المقدم ابراهيم وتقاتل معه فاراد ان يركب خلفه على الحجرة مثل ما فعل بغيره فرأى الغدارى زهير واضعا شاكريته على كفل الحجرة فعلم انه لا وصول اليه فتاخر عنه الى بعيد ورماه بخنجر فجرحه فقال ابراهيم الله يا ابن الملعونة ان ملكت ايدى فى يديك فما يخلصك من الاخذ روحك

فقال له روح دارى جرحك وتعال حاربنى وانا تمسك جواسات حتى احرمك فى القدوم

[illegible]

[illegible]

الملك لما أقبل كان معه الامير أيدمر البهلوان وعشرة أمراء فنظر إلى ماجرى فضحك على إبراهيم فقال إبراهيم يامملكنا سعد مأسور فقال الذى يقدر على هـذا الفعال فما هو إلا بطل صبور والله تعالى ان يهديه إلى الاسلام فهم فى هذا الكلام والمقدم سعد مقبل فقبل الأرض قدام السلطان وقال يا دولتلى الحمد لله على سلامتك فقال السلطان ومن الذى خلصك ياسعد فقال سعد أنا أمرى عجيب وهو انهدوروا أرلا هنا فى الصيوان وماحوله لأن الصبى أتى من قلعته يريد أن يسرق السلطان

فقال السلطان وأى شيء سببك فقال يادولتلى هذا الصبى سرق اختى المقدمة سلمة ومضى بها إلى أمه فقالت لها لا تخافى أنا عائشة البشناقية زوجة اخوك المقدم سعد وحفظتها عندها ولما حضرت أنا أخذت الحجرة ولم أعرف الحرب على الخيل فتعلق فى أزرقى مثل الشيطان وساعدوه الكفرة فقضونى ولما أدخلنى على أمه قالت له اربطه فى السرير فما رضى فأنزلنى إلى السجن وفى هذه الليلة ينزل يسرق مولانا السلطان لما علم بقدومه فأتت عائشة إلى عندى وسلمت على وقالت لى الحق ولدك فانه ينزل يسرق السلطان وها أنا أتيت وهذا الولد ابنى

[قال الراوى] إن المقدم نصير نزل فى هذه الليلة مراده أن يقبض على السلطان فما قدر لكون انه رأى المقدم سعد سبقه عند السلطان فعاد إلى القلعة ودخل على أمه وقال لها من الذى اطلق سعد فقالت له أبى فان سعد هو أبوك وأنا أمك وهو زوجى وأما هذه المقدمة سلمة فانها عمتك أخت أبيك فاذا أراد الله تعالى بهدايتك الى الاسلام فبها ونعمت وإن خالفت فما أنت منقذ من عذاب الله تعالى يوم القيامة فقال لها وأى شيء يكون دينى فقالت له هذا كافر مغضوب عليه اى شيء يوصله حتى تمثل بامثاله ثم بعد من شكالك فلانت جوارحه للاسلام وأخذ امه وعمته ليلا وسار قاصدا الى خيمة السلطان فلما نظره المقدم ابرهيم وسعد صاحا عليه فقال لا بأس عليكم انا نصير وطالب السلطان فنظر له المقدم سعد وإذا هو ولده وزوجته وأخته ففرح بهم ودخل ادلهم السلطان [illegible] نصير [illegible] السلطان ففرح به غاية الفرح فقال المقدم نصير [illegible] رجعة [illegible] ووهب مال القلعة [illegible] السلطان [illegible] وقال لا تتعب نفسك [illegible] هذا [illegible] فأخذه [illegible] وركبوا [illegible] القلعة [illegible] دوا الفداوية [illegible] فقال نصير [illegible] ركبت

نصرانى ولم يضع عقال بعير فلما صرت مسلما ينتهب مالى فقال السلطان أى شىء تعمل بهذا المال فقال يا ملك الاسلام ابنى جامعا وتكية فى بهسان فانعم عليه السلطان بمال القلعتين ورتب له رواتب للجامع والتكية وقال له السلطان تمن يا ابن سعد فقال اتمنى الاسم الحسن منك يا صاحب السعد فقال السلطان اسمك ناصر الدين الطيار وطهره المقدم جمال الدين وتقيد فى دفتر السلطان مثل أبيه المقدم سعد وشال السلطان وسافر إلى مصر فى عز وأمان

[ويرجع الفضل] إلى ظهور يعقوب الهدير وهو أن المقدم ابراهيم لما أسلم ناصر الطيار ورأى أن زوجة المقدم سعد ظهرت ولها ولد ذكر تزوجته نادلة الحصون فضاق صدره واستأذن السلطان وسار إلى حوران فالتقاه أبوه وهو يقول له يا ولدى الذى أحضر زوجة سعد قادر أن يرد عليك زوجتك واجتمعت الرجال فطلع ابراهيم تسلى بالصيد فرأى نصرانيا قادما إلى حوران فارسل على بن الشباح يكشف عن الخبر فعاد وقال يا خوند على قلعتنا فقال ابراهيم عن ائتنى به فاتى به المقدم على بن الشباح إلى المقدم ابراهيم فسأله المقدم ابراهيم عن حاله وسبب نزوله على قلعة حوران فقال يا خوند أنا اسمى يعقوب الهدير وأنا كيخية المقدم هدير الرعود ومقيم عنده طول عمرى ورزقت ولدا لكن جميل الصورة وجبار فيوم من الأيام كان سكرانا وفات على بيت الوزير فنظر بنته فتعشق بها فطلع إلى الديوان وخطبها من أبيها فشتمه وقال له يا كلب كيف أعطيك بنتى وأنت أقل حدمى فاغتاظ ابنى وطلع من الديوان ونزل على البنت وذبحها وركب حصانه وغاص فى القفار

فلما راح أحضرنى المقدم هدير الرعود وقال لى هات ابنك وإلا أقتلك بداله فخفت من ذلك [illegible] قد جريت وأتيت إلى [illegible] خنقى [illegible]

ما يحميك إلا المقدم ابراهيم فاتيت أخنفى إلى حوران و [illegible] خليل فقال له المقدم ابراهيم مرحبا بك وأضافه ثلاثة أيام وسكنه فى قلعة [illegible] وتركه فيه وعاد المقدم ابراهيم إلى مصر وإذا بالعدوية أتوا إلى مصر وقال [illegible] ما يقيم بيننا فكتب السلطان حجة على ابراهيم [illegible] وتمام [illegible] الحال مدة ايام فاتى له جوان وقال له يا يعقوب خذ بثارك [illegible] فقبض عليه فى [illegible] فارسل [illegible] [illegible] الاسلام [illegible] [illegible] فرجعوا إلى جوان [illegible] يعقوب الهدير وفرجهم [illegible] [illegible]

ووضعهم فى الحديد وأما البرتقش فانه عمل فى صفة خواجة وراح على حلب وادعى أنه خرج عليه يعقوب الحديد نهب ماله فارسل افش الجبى إلى السلطان فقال السلطان لابراهيم أنت الذى ضمنت هذا الملعون وهاهو نهب أموال التاجر وبنو اسماعيل يدعو عليه انه عنده ثمانية مقادم أخذهم باللصوصية وأنت المطلوب بكل ما يفعله فركب المقدم ابراهيم وراح إلى حلب وسأل عن التاجر فخاف البرتقش أن يظهر قدام ابراهيم فهرب وسار المقدم ابراهيم إلى يعقوب وسأله فى شان التجار ونهبهم والرجال الذين عدموا فانكر وقال ما أنا محتاج إلى المال حتى أنهبه وأعطى للمقدم ابراهيم عشرة آلاف دينار فعاد ابراهيم إلى السلطان وقال يا دولتلى كلما سمعناه عن المقدم يعقوب كذب وزور فصدقه السلطان وأما يعقوب فانه سار يعطعط فى الطرقات ولم يظهر للناس حاله وسمع أن السلطان لابد أن يطلبه من المقدم ابراهيم

[قال الراوى] ثم ان الفداوية المقيمين بالقلاع أرادوا أنهم يسافرون إلى مصر يشتكوا من ذلك الكافر لكونه أنه قطع الجانب عنهم بعد ما كانوا التجار ترد فانقطعوا عن القلاع وهذا يدل على خوفهم من ذلك الملعون ولولا حماية المقدم ابراهيم كانوا قاموا عليه

فلما سافروا عبروا على حصن العقاب فكان يعقوب الحديد هناك وكانوا اثنى عشر مقدام فضافهم عنده ثلاثة أيام وعندما أرادوا الانصراف أعطاهم كل واحد الف دينار وحجرة وراحوا إلى مصر يتشكوا من يعقوب فاخذوا جماكيهم المقررة لهم وعادوا على يعقوب فى رجوعهم فاضافهم عنده أيضا وبنجهم وحطهم فى الحديد ووضعهم فى سرداب لا أحد يعلمه وطبقه عليهم وأخذ ما كان معهم وبعد ذلك جاءت أتباعهم وسألوه عن مقاديمهم فانكرهم فراحوا إلى مصر وشكوا إلى السلطان فقام السلطان إلى عند يعقوب أنت يا مقدم ابراهيم الذى أقمت هذا الملعون فى تلك القلعة وأنا لا ألزمه إلا منك

فقال المقدم ابراهيم يا دولتلى أنا أحضره إلى بين يديك ثم انه ركب وسار إلى قلعة جبير فدخل على يعقوب فرآه ضعيفا فعاد ثانيا وقال يا ملكنا يعقوب مشوش فقال سعد يا مقدم ابراهيم أنت كنت الاول تشوف ولكن المال أعماك فهم كذلك وإذا كتاب أقبل من حلب من عند باشة حلب يذكر فيه أن بجنبنا عقبة تسمى عقبة الصحر وبها قلعة فيها ملك اسمه عبد الصليب وجاء عنده يعقوب الحديد وأقاموا ندبرة العصيان فقال ابراهيم الفداوية يكرزون عندهم فعند ذلك برز الملك بالعساكر حتى نزل على تلك

القلعة ونظر ذلك الملعون عبد الصليب وكان عنده جوان فقال لجوان أنا ما أقدر أقاتل المسلمين فقال جوان أنا أجرى لك بمن يحارب معك وأرسل كتابا إلى مصطرين ابن القش فاتى بعسكره وحط على العقبة فقال عبد الصليب لجوان كل واحد منا يحارب يوما واول يوم نزل يعقوب إلى الميدان وأسر جماعه من العسكر فركب الملك ونزل إلى الميدان مع جوان الشنيار فاطبقوا الافرنج وقوعد الاسلام فنظر السلطان إلى يعقوب فادركه وضربه باللت فى رأسه فرماه على باب القلعة فجروه النصارى وقفلوا باب القلعة ورجع السلطان فقال لسعد أين كنت لما رميت رأس يعقوب فكنت تكتفه

فقال يا مولانا كنت عمال أقاتل فشتمه السلطان وإذا المقدم جمال الدين أقبل فحكى له السلطان فقال له أنا له ولأمثاله وراح المقدم جمال الدين وكان يعرف سردابا ينفذ إلى تلك القلعة فنزل منه وفك المدارية وقبض على مصطرين وعبدالصليب وجوان والبرتقش وأرسل منصور العقاب إلى السلطان فركب وكبس على القلعة ونهب كل ما فيها وحصر مصطرين فرمى راسه وعبدالصليب صار يبكى قدام السلطان وقال هذا فعل يعقوب الحدير فضربه المقدم إبراهيم بدى الحيات فراه نصفين وبعده فتشوا فى القتلى فراوا يعقوب الحدير وفيه الروح فأراد سعد ان تم موته

فقال ابرهيم لا يسعد لعله يسلم فرفعوه من وسط القتلى وادخلوه فى خيمة الحبس فراى مناما وقام يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال ابراهيم مالك يا مقدم يعقوب

فقال يا خوند انا رايت الخضر واسلمت على يديه فدخل به على السلطان ففرح به وقال تمنى قال اكون مشدود المقدم ابراهيم

فقال السلطان ان الله اعطاك وشال الملك الى حوران فعمل المقدم ابراهيم عزومة حضر فيها السلطان والرجال واشتد يعقوب الحدير للمقدم ابراهيم وسافر السلطان على مصر (ويرجع الفصل) الى ظهور على ابن ترتمس كان الملك جالسا واذا برجل عجمى يقبل الارض فقال السلطان من قال من توريز وتاجر متجرى على ذمة مولانا السلطان ومعى حمل قماش عجمى كشمير وشاهى وقدم ذلك قدام السلطان فامر باحضار شمس الدين ثمنه مرتين ففرح العجمى واطلع بقجة وفتحها واخرج منها قماشا نسج السدا من الحرير واللحمة من الذهب البندقى الصافى ممدود مثل الحرير وملحوم به الشاسة ومصور فيها من سائر الاشجار والاطيار والوحوش والحيوانات نقش الملوك فى الاحام فاخذها السلطان واعطاه للطواشى وقال له خلى الملكة تعملها قفطانا فاخذ الشقة وناولها للملكة

وكان السعيد واقفا فقال أنا احملها فقطانا فقال احد سلامش انا آخذها فقال الخضر الصغير أنا آخذها فتخالف الاولاد الثلاثة وامهم فنزل الطواشي واخبر السلطان فطلع السراية فلقي الاولاد يتخالفون تلك الشقة فقال الملك تتخالفون وأنا وحق من اولاني رقاب العباد لابد أنشي منها انولا بكثرة واجعل جوار مطبخي هذه الشقة يلبسون هذا الجنس ونزل السلطان فاحضر الخواجه وقال له من اين هذه الشقة فقال ياقان الزمان اعلم ان هذه الشقة أعطاهالى قان العجم هلوون بن منكطمر وقال لى وديها لقان العرب فانه لم يكن مثلها فى مملكتي وإذا رأوها دولته يطلبونها فتقع الفتنة فيقتل بعضهم بعضا وإذا بشيحة طالع فقال له أنا رأيتك فى الخان وأنا كنت صبي الخواجة ياملك الاسلام هذه فتنة يروم هلوون ان يفنى دولتك بهذه الشقة فقال السلطان أنا اوريه من فينا اقوى مكرا وخداعا ثم أن الملك اكرم الخواجة وصرفه وكتب خمسة وسبعين كتابا ووضعها فى جراب وكتب كتابا واحدا واعطاه للمقدم سعد وقال له حط هذه فى الصناديق ولما تحصل توريزا ادخل على هلوون وقل له أنا عيار وكنت فى مصر فرأيت واحدا خواجة يقول لقيان العرب بيبرس انا بعثونى وزراء هلوون واعطاه كتابا فكتب بيبرس كتبا عديدة واعطاها لواحد تاجروهو الذى قال له ولا اعلم أى شىء هذه القضية واظن ياقان الزمان ان دولتك منافقين لقان العرب عليك فاخذ الكتاب سعد واعطى الخمسة والسبعين لشيحة ووضعها فى صناديق التاجر وسافر سعد وتبعه الملك وخمسة وسبعون مقدم اولهم ابراهيم وآخرهم منصور العقاب

فوصل سعد واخذ هلوون مسك التاجر وفتش حوله فرأى المكاتب كل كتاب لوزير فقبض على الستين وزيرا والستين ميرا ورماهم على نطعة الدم وقرأ عليهم الكتب وفيها مكتوب هاأنا قادم برجالى كما ذكرتم لى أقبض هلوون فقام هلوون واقطع راسه واعطيكم بلاده تزنوا لى الخراج فامر هلوون بقطع رؤسهم وكان السلطان واقفا صفة السياف فقطع رؤس الجميع واعطى سعدا كتابا مكتوب قال له علقه على راس هلوون فدخل سعد ليلا وعلق الكتاب على راس هلوون ولما طلع النهار نظروا الكتاب مكتوب فيه هلوون ارسلت الشقة تفتن بها دولتى وها أنا قد أتيت ديوانك وعملت لك فتنة وقطعت راس دولتك بيدى وأرسلت بعض خدامى وعلقوا هذا الكتاب ولو امرته أن يقطع راسك لقطعه حتى ارسل هذه الفتنة خزنة واحدة مشوارى إلى عندك وقتل وزرائك بيدى خزنة وحق طريق الذى علق الكتاب

وتركك بالحياة ولم يقتلك خزنة وأرسل خراج العام الماضى والعام القابل وان لم تعجل بذلك أرسلت المقدم جمال الدين يأتيني برأسك والسلام فلما قرأ الكتاب قال النار غضبان على أبناء العجم ووزن المال وهو فى أشد الكرب وأرسله إلى السلطان فى مصر وأما السلطان فانه بعد ذلك احضر أرباب صناعة الحرير واراهم الشقة فقالوا ما ورد علينا شغل مثلها يكون فى رشيد أو فى دمياط أوفى الاسكندرية فأرسل الملك إلى جميع البنادر فلم يجدوا صانعا يقدر على هذه الصنعة فاحضر اخيرا صناع الاسكندرية واراهم الشقة فتقدم شيخهم وقال يا مولانا أنا اشتغل لك مثلها وأخذها ونزل

فقال الملعون نحن مالنا اقتدار على صنعتها فاحتار الشيخ ودخل بيته وكانت له بنت اسمها حسنة فرأى فى يدها شقة مثلها فقال لها يا ابنتى من الذى أعطاك هذه فقالت ابن عمى على ترميش

[قال الراوى [ان هذا الشيخ اسمه محمد ترميس وكان له أخ اسمه حسن ترميس ومحمد هذا خلف بنتا اسمها حسنه وأخوه خلف ولدا اسمه على وكان حسن شيخ على الحريرية وأخوه محمد صانع عنده فات حسن على مال كثير وكان ابنه على صغيرا فاحتوى أخوه على ماله وابنه على لم تكن له قدرة أن يعارض عمه لانه طامع أن يزوجه بنته حسنة فلما كبر وخطب بنته طرده وبقى فقير لا يملك شيئا فمر على الاسكندرية رجل من الهند وكان مقدما فى السن وسكن فى خان وكان على ساكنا فى ذلك الخان فبقى برهة من الزمان وهو يخدم ذلك الهندى فدخل معه يوما اودته فرآه ناصبا نولا ومادا عليه شقة سداها حرير ولحمتها من شريط ذهب بندقى فى اكسير فقال له على اساعدك فقال الهندى اقعد عندى تخدمنى وأنا اعلمك فان الشقة تتكلف بخمسمائة ذهب وتباع بخمسه آلاف ذهب فاذا عملت فى السنة واحدة فمكسبها يكفيك مؤونة السنة فقعد على عنده يخدمه مدة حتى تعلم منه جر الشريط الرفيع من الذهب وشغله على النول والرسم بالمكوك فى لحام القماش وبعده علمه صناعة النول حتى فهم كل الشكار والصناعة وبعده توفى الهندى وكان على جمع فى مدة اقامته معه الف دينار وعند وفاته قال لعلى هل عندك شيء من المال فقال الف دينار فاعطاه الفا ثانية وقال له ساعنى وأرسل إلى تجار الهند فقال لهم إنى أوهبت لهذا الغلام النول نظير خدمته لى فخذوا انتم مالى ولا تسألوه عن النول فاقام بعده يومين وتوفى وبعد وفاته قعدت التجار وهولوا الهـتاقات وراحوا وبعدها جاء بالحرير وصبغه والذهب

ومسحهوا بتدع مثل ما رأى الهندى يصنع واشتغل ثلاث شقق أعطى واحدة لبنت عمه بلا شيء والاثنين بقوا عنده فسافر إلى الحجاج وباع واحدة بخمسة آلاف دينار لواحد من العجم والثالثة عنده وأما محمد ترميس لما ضاقت حضيرته ودخل على بنته فلقى عندها شقة مثل تلك الشقة فقال يا بنتى من أين جاءتك هذه الشقة ومن الذى صنعها فقالت له يا أبى أعطاها إلى ابن عمى على من العام الاول لما كنت أنت وعدته أن تزوجنى به فأعطاها لى وهى إلى الآن عندى فاخذها منها وعاد إلى مصر وأعطاها للسلطان وقال يا ملك الاسلام هذه التى أنت طالبها فقال له السلطان عليك نور ثم أخذهما فردها وفرد الثانية وقاسهما على بعضهما فوجدهما طولا واحدا فقال للخواجة اطويهما كما كانا ومات الذى صنعها وحدها والأصلية وحدها فالتخم ولم يعرف طيهما ولا يعرف التى جاء بها من الأصلية

فقال السلطان ياشيخ أنت رجل اختيار والذى مثلك يكون صادقا وأنت كثير الكذب فهات الذى صنع تلك العطلية وإلا وحق من أولانى على رقاب العباد أقطع راسك وأعضاءك وأطعمك منها فقال ياملك أجيء به فنزل من قدام السلطان وسافر إلى الاسكندرية وأحضر ابن أخيه على ترميس وقال له ياولدى أنا وقعت فى محذور قدام السلطان وحكى له على الذى جرى فقال له كم أعطاك كلفتها فقال له يا ولدى ما قلت له على شيء بل أتيت إلى بنت عمك فاخذت الذى كانت عندها ولما عرف الملك انها ماهى شغلى الزمنى بمجيئك لانك أنت الذى تعرف شغلها وانا لم أعرف شغلها فقال له سر معى إلى السلطان وأنا أقضى له هذه الاشغال فعنده أخذه وسار به أصل اجتماعه على الهندى وتعليمه هذه الصنعة وكيف صنع بعد موت الهندى الثلاث شقق أحدها أعطاها لبنت عمه هدية والثانية باعها فى عرفات إلى امراة العجمى عيار القان هلوون وهى التى أرسلها لك لاجل الفتنة والثالثة باقية إلى الآن فامره السلطان باحضارها فاحضرها وقال يامولانا هى تتكلف بخمسمائة بندقى يشتغل شريطا رفيعا للحام ورسم التصاوير ومائة بندقى ذهب ثمن كلفة وثمن الحرير واما نولها إذا أردت ان تصنعه جديدا يتكلف الف دينار لان عدده كلها من الفضة الحجر واحباله من الحرير الصافى النقى وانا فى جيرتك يامولانا تحكم بينى وبين عمى فانه ظالم متعدى على ثم انه حكى له كيف انه اخذ ماله ومال ابيه وجار عليه وكان وعده ان يزوجه بنته وغدر عليه

ولما وقع فى المحذور احضره فالتفت الملك إلى عمه وقال له ياشيخ الكلام الذى

قال هذا ابن أخيك فقال الشيخ يا ملك حق وإنما قصدى شطارته فقال السلطان وأنت لم أنى لا تشطر نفسك ثم قال ارموا هذا المعرص فى نطعة الدم وقم أنت يا على اقطع رأسه بيدك فقال يا مولانا هذا فى مقام أبى كيف أقتله وهو عمى أرجو من مولانا السماح وإنما يزوجنى بنت عمى فقال السلطان ومهرها من عندى وفى الحال أحضر محمد ترميس أهله من الاسكندرية وأمر السلطان بفرح على ترميس وأدخله على بنت عمه وبعد ذلك أمره أن يشتغل شققا فأحضر العدد واصطنع فلم يصح لأن هواها التى تصنع عليه بالاسكندرية فسافر إلى الاسكندرية وصنع ثلاثين شقة وقدمها للسلطان وعاد ثانيا فعند سنة كاملة صنع ثلاثة شقة وثالث سنة صنع ثلاثين حتى أغنى السلطان عينه وكسا جوار المطبخ منها وأما على ترميس فانه فى ليلة من الليالى عزمه جاره كانت تلك الليلة مولد الرسول فراح عنده وأقام إلى نصف الليل وعاد فرأى بنت عمه مذبوحة بلا رأس وخنجرا محطوطا بجنبها فصاح واجتمعت الجيران وحضر عمه فقال أنت الذى قتلت بنتى وأحضره قدام باشة الاسكندرية محمد فارس البطريق وقال انه قتل بنتى وجاء ببينة شهدت فقال الباشا هات رأسها حتى ندفنه معها فقال لم أعلم رأسها فى اى جهة فوضعه فى الحبس وطال عليه المطال وهو محبوس إلى ليلة من الليالى لعب فى شباك الحبس فخلعه وطلع ليلا فرى مركبا قدام السلطان فقام الشيخ محمد ترميس يا ملك الدولة هذا هو الذى يصنع طوارك السلطان فقال السلطان أنت يا شيخ لم تعرف شيئا فقال يا مولانا هذا ابن أخى [illegible] ما اسمك قال يا سلطان اسمى على [illegible] فقال السلطان [illegible] هذه الشقة فقال نعم ولكن ما صنعتها فى هذه الأيام [illegible] فنزل فيه ليلا وخرج من الاسكندرية وسافر [illegible] تلك المركب [illegible] على جزيرة [illegible] خمسين [illegible] على الريس [illegible] فقال [illegible] يا أب انت [illegible] أنه إذا [illegible] ذلك [illegible] الذى يعجبك [illegible] ترميس فأخذه [illegible] فى [illegible] إلى ليلة الأحد ورأى بنت [illegible] مع البنات [illegible] قال له [illegible] أتى بك إلى هذا المكان

فقالت الريس [illegible] وقال [illegible] الذى [illegible] من طرف [illegible] بين يدى الريس ورمى رقبته [illegible] فى الطريق [illegible]

لى لاتخافى يا حسينة إذا حضر هنا زوجك أعتقتك واسلمك اليه وأنا يا ابن عمى
بكره أقول للرين حنا ان ابن عمى قد حضر فقال لها افعلى ما تريدى وثانى الايام
دخلت حسينة الترديسية على الرين حنا وكانت مقيمة مع بنته فقالت يا رين أنت
وعدتنى انك تعتقنى وتعطينى لزوجى إذا رايته فقال لها صحيح قالت وها هو فى
دير البنات فأحضره حالا وانعم عليه واخلى له بيتا طيبا وسلمه زوجته ورتب له
كلما يحتاج اليه وقال له كل يوم تباشر الديوان فقال حاضر وأقام عنده ستة أشهر وهو
فى أرغد عيش إلى يوم قال له الرين حنا يا على أنا ما أتعبت خاطرك ولو أردت قتلك
ما كان احد يقدر أن يمنعك وإنما أنا جمعت بينك وبين زوجتك وقمت بواجب
كرامتك وأريد منك حاجة تقضيها لى وهى فى بلدك فقال وما هى يا رين الزمان
فقال أنزلك فى غليون تروح إلى الاسكندرية وتطلع من البوغاز إلى البر وتأخذ على
يسارك تسير مقدار ألف خطوة تلقى عامودا حجرا أسود قصير تضع كفك عليه
وتقول أنا على ترديس بن حسن ترديس بن يوسف بن مصطفى وطالب هذه
الساقية لنفسى ولا أعطيها لاحد فيقع العامود إلى الارض وينفتح باب فى الأرض
تنزل أنت منه تجد دهليزا تسير إلى آخره تلتقى مصطبة عليها سريرا من الفضة وعلى
السرير علبة نحاس أصفر ارفع باب العلبة إلى فوق تجد فيها علبة صغيرة خذها
واخرج ولا تأخذ غيرها قط وتنزل فى الغليون وتأتى الى عندى أعطيك زوجتك
ولك عندى غليون موثوق أقمشة حرير وبضائع وخزنة من المال الف ومائتين
كيس كل كيس ألف دينار فنزل على ترديس وقال له الرين حنا وان رحت ولم
ترجع وأعلمت رين المسلمين قتلت زوجتك ولا ينفعك ملك المسلمين ولا غيره
فقال له يا بيه كيف أخونك بعد ما وصل إلى انعامك وسافر حتى وصل إلى
الاسكندرية ومشى حكم ما علمه الرين حنا وأخذ العلبة وطلع وصاب العامود كما كان
فالتقاه السلطان والمقدم سعد وأرادوا أن يكلموه فأقبل جمال الدين وقال لا أحد
يسأله ماذا غاب على ما هو جاهيه يقتل حنا زوجته خليه يروح بها وانا حنا من يا ملك
الاسلام كلما راح من الاسكندرية إلى جنوى فنزل على ترديس إلى البحر وسلم العلبة
للرين حنا فجهز له غليونا كما وعده وأعطاه زوجته وخزنة الف ومائتين كيس
ورجع إلى الاسكندرية فرآه عمه ورأى بنته فاصطلح معه وأقاموا فى أمان وبينما
هو جالس ودرويش اقبل اليه وكان له فيه شبحة فاختلا معه وعرفه بنفسه وسأله عن
الذى أعطاه له الرين حنا فحكى له على الصحيح فقام من عنده ودخل على البطريق
له احضر الغراب العظمى فنزل المقدم جمال الدين وسافر فيه إلى جنوى فطلع

ليلا على سراية الرين حنا وكان له بنت اسمها مريم أخت مريم الزنارية فاخفاها وتزيا بصفتها ووقف فى خدمة الرين حنا حتى عرف مكان العلبة فرآها علبة من الفضة وفى قلبها ساقية مرصودة على نقل كلما فى الكنز من اموال وذخائر نقلت منه البعض والبعض باق فاخذ الساقية وطلع فنزل فى الغراب وسافر ليلا وطاب الهواء [قال الراوى] واصبح الرين حنا افتقد الساقية فلم يجدها ولا بنته مبهجة فطار عقله فبينما هو كذلك وجوان مقبل عليه فحكى له على ما جرى فقال هذه افعال شيحة وأنا اقبضه واوردك حاجتك فاحضر الثنا فقال [illegible] ابن [illegible] ارمنى وقال له تروح من البر وتكون فى صفة السابق وتقابل شيحه وهو طالع من البحر تقبضه وتلقى عبد الصليب القبطان تنزل [illegible] وتعود [illegible] ذلك وقابل شيحة فى صفة السايق وقبضه وعاد به الى جنوى [illegible] ووضعه فى السجن وفرح جوان ودخل عليه وقال له كيف يا شيحة ما [illegible] جوان انا اشطر أم أنت فقال شيحة فرج ربنا قريب

[قال الراوى] إن الرين حنا رأى اسيرا اختيارا فاشتراه فقالت بنته يا أبى أعطنى ذلك الاسير فاعطاه لها فاعتقته واخذته ونزلت به على شيحة وهو فى السجن فكتب له مكتوبا وكان اسم اليسير صخر المغربى علق له فى الكتاب وتبيه وخيطه فى طرق الدلق وانزلته بنت الرين حنا فى مركب يسافر إلى الاسكندرية فطلع إلى مصر وكان دخوله آخر النهار وطلع على القلعة فالتقى محمد الرومى وكان نازلا من الديوان فظن صخران هذا السلطان فتقدم اليه وأعطاه الكتاب فاخذ المغربى وقتله ليلا واخفى الكتاب وفى ليلة أتى للملك مناما وقال له أنا صخر المغربى أتيت بكتاب من عند شيحة من جنوى وقتلنى محمد الرومى ودفنى فى اصطبل الخيل والكتاب فى جيبه

فلما أصبح السلطان قبض على محمد الرومى وهجم ابراهيم على بيته فاطلع القتيل ودفنه وكشفوا على محمد الرومى فرأوه نصرانيا فامر السلطان بشنقه ونهب بيته واحضر اولاد شيحة فقرأ عليهم الجواب وقال لهم ابوكم فى جنوى وارسل للبطريق أن جهز العمارة وسافر الملك حتى حط على جنوى فطلع السابق وزريق ونردد فقبضوا على الرين حنا واحضروه الى قدام الملك الظاهر وخلصوا شيحة فطلب السلطان الساقية منه فاحضرها بالرغم عن انفه والزمه بكلفة ركبته خزنة واخذ المال وانزله فى الغراب ود وشيحة ساقية ونقلت فى الغراب المعظمى امر الابكشرة حتى طلع على الاسكندرية وطلع الملك من المركب

إلى الاسقالة قاصدا البر فرقعت السافية من جيبه فى البحر فذهبت ولم يبن لها خبر فتركها وسافر حتى عبر على مصر ويرجع الفصل إلى ظهور عيسى الجاهرى بن إبراهيم وذلك أن المقدم فلك بن نور الدين نظر إلى خيام سرجويل المهرى غار عليهم وأخذ منهم صيوانا وكان لسرجويل بنت اسمها افترونة فأرسل المقدم فلك يقول لسرجويل إذا لم ترسل لى بنتك وإلا والاسم الاعظم أنزل عليك ليلا أذبحك على فراشك فدخل سرجويل على بنته وأعلمها بذلك فقالت انعم له وارسلنى وأنا أقبض عليه وأحضره بين يديك فأنعم له وقال له فى رد الجواب أنا رضيت أن تكون زوج ابنتى انا تحت حمايتك وجهز بنته وأرسلها له إلى التختروان ومعها ألف بطريق يعفرونها ولما وصلت البطارقة بالبنت طلع للقياه وعمل لهم سماطا ودخل على البنت وسلم عليها فقامت له وقبلت يده وقالت له يا حبيبى أنا جئت زوجتك وجاريتك ولكن هذه البطارقة لا تقدرون أن يدخلوا قلعتك لكونهم نصارى وأنتم مسلمون وإنما أطلع لهم أنت تجالسهم وتأكلوا ضيافتنا أنت ومن معك من الرجال فقال حبا وكرامة فطلع هو ومن معه من الرجال فوضعت له البنج فى الطعام وقبضت عليه وجماعته وأرسلت إلى أبيها يحضر بعساكره فلك القلعة ... فلك وراحت إلى المهرى ودخلت على المقدم سليمان نقيب الرجال فركب وأقبل ... الشقيق وطلب الحرب فركبت البنت وهى مكشوفة الوجه ... بالخداع والمحالة عشرين بطلا فكتب المقدم سليمان كتابا ... المقدم بالعسكر والرجال ونزلت البنت وأسرت من الامراء ... لا تنزل أنا كفو لهذا الملعون ... صرخ عليها وارعبها وضربها ... أخذ عساكره ويهرب فاقبل ... إلى قلاع الجاهرة ودخل جوان ... وقال ... فاصح ... ورو نزل إلى الميدان ... فنزل جمهور فلما اتى جمهور أرسل ... نزل إلى الميدان وقال ما ينزل لى إلا ... عيسى الجاهرى مع ... وقال ... ان ارسل يطلب منى ... لا تراني فاخذ ... الذى

قتل جهور واخاه فقالوا إبراهيم بن الحوراني فركب ونزل إلى الميدان وقال ماينزل
لى إلا إبراهيم بن الحوراني فتقاتل معه إلى آخر النهار لكن المقدم إبراهيم كل مايهم
ان يقتله تاخذه عليه الشفقة، فلما فرغ النهار بات إبراهيم يتفكر فى هذه الوسيلة وثانى
الأيام نزل عيسى الجاهرى نزل له يعقوب الهدير فتحارب معه وجرحه فنزل نصر الدين
الطيار فحاربه إلى آخر النهار وعاد فحكى لامه ماجرى فقالت تقدر تسرق إبراهيم بن
الحوراني فقال لها نعم اقدر فنزل ليلا واختلط بعسكر الاسلام ولاجل القضاء ان
ابراهيم اركن الطير وطلع يزيل الضرورة فلقاه عيسى الجاهرى فبنجه واخذه وطلع به
الى امه وايقظه بين يديها وطلع يربق الماء وعاد فرأى امه مع المقدم ابراهيم قاعدة
فقال لها ما هذا فقالت له بقيت أعلمك اننى امك واسمى نافلة الحصون وهذا ابوك
اسمه المقدم ابراهيم بن حسن فلما سمع ذلك منها اهداه الله الى الإسلام قال يا ابى
كيف العمل قال ابراهيم اقبض لى هذا الملعون جوان فعاد عيسى الجاهرى [illegible] جوان
وقال يا جوان اصدقنى انا ابن ابراهيم فقال جوان [illegible] فسكر [illegible] جوان
وقبض عليه ولما طال غيابه خرج [illegible] فقال جوان اقتلوا لى [illegible] النصارى
[illegible] ابراهيم فى قتيل فوقع فقبضوه [illegible] العيسى [illegible] يا ابا
جوان [illegible] جوان اسكت ما تخشى شىء [illegible]
[illegible] جوان
[illegible]

والاكرام ان الملك الكندفرون له بنت واسمها الملكة ونقيض وكان أصابها مرض وتذرت أنها إن طابت تزور الغمامة القدسية وطابت وتريد توفى نذرها بزيارة الغمامة وأنا خائف عليها من الديار وعرنوس لأنى سمعت أنه يأكل بنات الملوك فارسلت هذا الكتاب اليك ومعه هدية على قدر مقامى لا على قدر مقامك وهى خزنة وقدرها ألف ومائتى كيس ولا ألزم غفر بنتى إلا منك يا زين المسلمين وشكر يا رب المسيح فلما سمع السلطان الكتاب كتب كتابا وأعطاه للمقدم سعد وأمره يوديه للملك عرنوس فسافر سعد حتى وصل إلى الملك عرنوس فاعطاه الكتاب فافرده عرنوس فوجد فيه

يا كتابى إذا ورالك حبيبى   قبل الاقدام قبل أياديه
واستانا ولا تكن عجولا   إن روحى وراحتى تفديه

إلى حضرة ولدى وأعز من ولدى الملك محمد سيف الدين عرنوس الذى أعلمك أنه ورد علينا من الكندفرون [illegible] كتاب يذكر فيه أن له بنتا يريد أن يزورها الغمامة [illegible] ولكن خائف عليها منك وما قرأت الكتاب تعجبت غاية الاعجاب وقلت [illegible] عرنوس [illegible] هذا الكتاب وأملى منك [illegible] ن تاخدها [illegible] فقال عرنوس على الراس والعين [illegible] الاماة ورجع [illegible] إلى السلطان برد الجواب فقر[illegible] عثمان [illegible] الوزير [illegible] من [illegible] وقال له يرسل بنته تزور [illegible]

[illegible] الجزء [illegible] العشرون
[illegible]

الجزء الثامن والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وأن الملك عرنوس أخذ عمه المقدم اسماعيل ابو السماح [illegible] المقام
قصير [illegible] وأخذ عشرة من أولاد ملوك البرتقان أتى إلى يافا ينتظر قدوم البنت [illegible]
كما أمره السلطان حتى أتت البنت إلى يافا ورأت عرضى الملك عرنوس [illegible]
وزير من عند أبيها يخدمها فأرسلت الوزير تقول له انظار غير مقيم [illegible]
فعاد اليها الوزير حتى وصل إلى أرمونية ودخل على الكندفرو [illegible]
ملك الاسلام ففرح بذلك وجهز غليونا من الخشب الصاج الهندى [illegible]
الخشب الفخارى ونزلت البنت فى الغليون [illegible] خمسمائة بطريق [illegible]
الكندفرون فنزلت وخرج الغليون وطار الهواء حتى وصلت إلى مينة [illegible]
فى التختروان وسافرت إلى يافا

فقالت للوزير روح قل للغفير ان الملكة لا تقدر تقعد [illegible] لا [illegible]
عندها لئلا يسطو احد عليها فراح الوزير وقال لعرنوس ذلك

فقال له عرنوس قل لها تنام ولا تخشى من جميع الانام [illegible]
الكلام فازدادت عشقا وغراما وقامت ليلا [illegible]
الملك عرنوس فدخلت عليه وقالت له انى خائفة على [illegible]
ومن ذلك أتيت اليك حتى استأنس بك [illegible]
جلوسى وحدى وعدم الانيس

فقال لها الملك عرنوس مرحبا [illegible]
الملك عرنوس [illegible] رجالها [illegible]
سبحان [illegible] وسواها [illegible]

ولما كان عند الصباح اقبل المقدم ابراهيم بن حسن وسلم على الملك عرنوس فسأله عرنوس عن سبب مجيئه

فقال أتيت أساعدك يا ملك عرنوس فى الغفر لأن السلطان افتكر فى عرنوس لانه صاحب هوى فخاف أن يغريه الشيطان

فقال للمقدم ابراهيم روح ساعده فى غفرها ولا تمكنه من المقام معها فسافر معهم بامر السلطان ولكن نظر المقدم ابراهيم أن البنت مائلة إلى حب الملك عرنوس ولا لها مقدرة على بعده ولما ركبت فى التختروان قال للملك عرنوس لا تفتر عنى وسر جنبي دائما

فعل عرنوس وهو كذلك وداموا على ذلك الحال حتى وصلوا الى القدس وارسل الملك عرنوس فاحضر باشة القدس وقال له اخل سراية تكون واسعة لنا فاخلى له سراية فاطلعوا الملكة رونقيص فى محل عالى والملك عرنوس والمقدم اسماعيل ابو السباع ونصير النور والمقدم اسماعيل بن حسن فى قصر قريب منها وأما النصارى والخدمة فى حوش السراية الى يوم من الايام قالت الملكة رونقيص للملك عرنوس يا غفيرى أنا قصدى اتفرج لأنى ضايقت من الحبس فخاطرى أزور القمامة فقال عرنوس غدا ان شاء الله اوديكى لما اقبل المقدم ابراهيم حكى له الملك عرنوس على ما قالت الملكة رونقيص من الكلام فقال المقدم ابراهيم الحق بيدها لأنها من يوم أتت الى هنا وهى قاعدة فى هذا المكان وعند الصباح أحضروها وساروا بها الى القمامة القدسية وأدخلوها فيها و [illegible] الملك عرنوس والمقدم ابراهيم الى الحرم وقعدا هناك فقال المقدم ابراهيم يا ملك عرنوس ما طيب هذا الحرم والله انه مليح للنوم وأنا قصدى أنام فقال عرنوس [illegible]

[illegible] الملكة رونقيص دخلت الى القمامة القدسية فالتقاها البترك [illegible] قال لها يا ملكة نورتى القمامة بقدومك فيها وحلت عليك [illegible] عن امرأتك على منام رأيته فى نومى وأنا خائفة منه [illegible] الملكة رأيت انى فى [illegible] وسط غربان سود وأنا كارهة [illegible] فنظرت الى طيور بيض مثل الحمام وأكبر فدخلت بينهم وأنا [illegible] لى [illegible] ابيض مثل العقاب وضمنى الى صدره [illegible] فخرج من فؤادى دخان اسود [illegible] ابيض [illegible] فخطفنى غراب [illegible] بين الغربان

فخرج من فرجى جوهرة فبقيت فى حجرى وأنا بين الغربان مدة من الزمان وبعدها راغت وسارت إلى بعيد فتبعوها جميع الغربان فدخلت بين الطيور والبيض فسرت اطلبها فدخلت فى مخزن الجواهر وأنا بقيت بين الطيور واختطفنى ذلك الطير الأبيض ولم يمكن أن يطلقنى من بناته فاقمت فى مكانه وهذا ما رأيت يا أبانا البترك ففسر لى منامى لأنه غاية قصدى ومرامى فبهت البترك من كلامها وقال يا ملكة إن هذا المنام ما سمعته فى عمرى ابدا فادخلى واشربى من جرن ماء المعمودية واستحمى حرمة هنية نفسى هذه القضية فقالت له يكون ذلك فى غد ان أراد المسيح ثم انها خرجت من القمامة وإذا بوزيرها ينتظر قدومها فقالت له أين غفيرى فقال لها غفيرك دخل حرم المسلمين فقالت هاته فأنا محتاجة اليه وإلا سر معى وأرنى الحرم الذى هو فيه فقال لها ما يدخله إلا المسلمين فسارت معه إلى الحرم فرأت رجلا من أشراف البيت المقدس

[قال الراوى] وكان رجلا فقيرا أصله من ناس طيبين وجار عليه الزمان وفى هذا اليوم وضعت زوجته فقالت له القابلة مبارك ولم يكن معه شىء يعطيها بشارة فطلع قاصدا وجه الله تعالى وقصد الحرم وإذا بالملكة [illegible] وتقبض قالت له ادخل إلى الدبارو عرنوس وخذ هذه السبحة أوريها له يعرف انها سبحتى وكانت [illegible] لؤلؤ [illegible] خمسمائة دينار فأخذها ودخل إلى الملك عرنوس وقال له يا دولتلى [illegible] باب الحرم افرنجية أعطتنى هذه السبحة أمارة لك انك تكلمها فقام الملك عرنوس [illegible] إلى باب الحرم فالتقى البنت واقفة فقال لها ما الخبر فقالت له قصدى [illegible] فقال لها هذا لا يكون إلا بأمر حضرة الاستاذ [illegible] ذلك فدخلت البنت فى [illegible] إلا [illegible] أدأن [illegible] واقفة بجانبه فاراد الملك عرنوس أن يردها فقال الاستاذ [illegible] يا بترك المسلمين

فقال الاستاذ ما [illegible] يدى فقال له [illegible] فعكت [illegible] الذى قاله [illegible] فكانت [illegible] عرنوس [illegible] توجه الاستاذ [illegible]

[illegible]

شيء هذا يا مولانا هذه بنت ملك من ملوك الروم ونحن أتينا لاجل كفرها ولا تينا
لزواجها فقال الشيخ اسكت فكل من عارض كفر فقال ابراهيم كيف يكون العمل
في الملك الظاهر اذا عاتب علينا فقال الشيخ أنا أكتب لكم كتابا للملك الظاهر فكتب
جوابا فقال ابراهيم نعطيها الوزير فأخذوا عليه حجة التسليم فقال عرنوس وأنا بعد
ذلك أعرف شغلي فطلع ابراهيم وحطها في التختروان وقال الوزير تسلم الملكة وا كتب
لي حجة بالتسليم فتسلمها وكتب له الحجة وسافر ابراهيم والوزير سار مع الملك عرنوس
الى يافة وأراد ان يسافر فقال عرنوس لابد ان تروح معي الى بلدي وتأكل
ضيافتي فشاوروا الملكة فأجابت وساروا جميعا الى مدينة الرخام ولما وصلوا ضربت
لهم المدافع فأمر الملك عرنوس بالزينة سبعة أيام ودور الملك عرنوس الافراح مدة
سبعة أيام وفي الليلة الثامنة دخل الملك عرنوس بالملكة رونقيص وتملا بجمالها وكانت
ليلة ما رئي أحسن منها وفي ثامن الايام بطلت الافراح والوزير وجماعته يظنون ان هذه
الافراح اكراما لهم فدخل الوزير في اليوم الثامن على الملك عرنوس وقال له يا رب
الديار وكثر الله خيرك ان لنا الملكة في سراية حتى نأخذها ونسافر بها الى أبيها
فقال له الملك عرنوس يا وزير الملكة أسلمت وأنا تزوجت بها ولا بقي يمكنها الرجوع
الى بلادكم ولا الاقامة عندكم فقال له الوزير وأنت عملتها جناقة ولم تخف من البب
الكنفرون اذا كنت تحت طاقته سيدها ان كنت حطيت بطنها قليون [illegible] طلعه وسلمها
لنا مثل ما كانت [illegible] فقال له عرنوس وان كنت أنت تروح [illegible] والا أطير
رأسك فلم يسمع كلامه غضب الملك عرنوس وضربه بقاسم [illegible] بيده أطاح رأسه
من بين كتفيه وأمر جماعته ان يضربوا الباقي بالحسام فضربوهم وأخرجوهم عن مدينة
الرخام فساروا الى يافة فنزلوا في المراكب الى رومية ودخلوا على الكنفرون وأحكوا
له ما جرى [illegible] وزيره كتب الى المسلمين كيف أنه ما قدر
[illegible] ذا لم [illegible] أبقى اهل [illegible] فكتب كتابا يقول
[illegible] جناقة ولم ترسل
[illegible] جاريتي [illegible] بلادك واهلكت
[illegible] يا رب المسيح [illegible] مع وزيره الثاني
فسار الى الاسكندرية [illegible] مصر ودخل على السلطان
فقدم له الكتاب ولما قرأه طلب ابراهيم [illegible] وفي
الى أبيها فقال ابراهيم [illegible] حجة بخط الوزير فقال السلطان هذا الكتاب

فقال ابراهيم لا اعرف يمكن أنه بعد توجهي الى هنا حصلت المؤانسة بين الوزير وبين الملك عرنوس فقال الملك صدقت ثم ان السلطان امر الوزير ان يقيم حتى ينظر الدعوى فارسل المقدم سعد بكتاب منه يطلب الملك عرنوس فلما وصل المقدم سعد الى الملك عرنوس حضر للديوان وسلم على السلطان وجلس فاراه الملك الكتاب وأراد عرنوس ان يقرأ الكتاب واذا بأبي على البراج طالع ومعه كتاب من الاسكندرية فاخذه السلطان فقرأه واذا فيه ان الاسكندرية ملكها الكان وأنا بعسكري رحلت الى رشيد وقد اعلمتك بالخبر أيها الملك السعيد والسلام

[قال الراوي] وكان السبب ان الملك الكندفرون جلس في ديوانه واذا بجوان قادم عليه فلما رآه قام له وفرح بقدومه وبكى بين يديه وحكى له على ابنته الملكة روقيص وكيف أنها راحت تزور الغامة فأخذها الدبابرو عرنوس وعملها جنازة فقال جوان هذه أفعال ملك المسلمين وملوك الكريستيان لم يسمعوا قول جوان وكيف تقعدون بنتك بعدما أخذها الدبابروا عرنوس ثم جهز عسكرك واركب على بلاد المسلمين وأنا أملكك بلادهم في أقل من يوم فقال الكندفرون يا أبانا ماأقدر أركب لان بلدي هذه بناها أخي أدمين وهو حكيم ركهين وبناها في جزيرة وصنع لها سبعة أبواب بسبعة أبراج وجعل في دايرها أربع خنادق وبنى له قصرا خارج المدينة من الرخام وجعل فيها تصاوير من الذهب والفضة ونقشه نقشا عجيبا وسكنني في قلب القلعة وأقام في القصر وأخاف يا أبانا أسافر بغير اجازته يعطي البلد لغيري ولا أطول بقي ولا أقدر على الرجوع للدي فهم في الكلام الا وأولاد الملك الكندفرون طالعون وكان أحدهم اسمه قصمة والآخر اسمه قصيمة فاعلمهم جوان بما جرى فقالوا يا أبانا نحن نعلم ذلك ولا أتينا الا لاجل ان نركب على المسلمين ونخلص اختنا بيقين فقال لهم الكندفرون أنا أجهزكم بالعساكر وأمدكم فقال جوان وأنا أروح معهم ففرح الكندفرون وأمدهم بأربعمائة مركب وشحنها بالعساكر وسافر الملكان مدة أيام حتى قربوا من الاسكندرية فقال لهم جوان اذا دخلتم المينة فان الغازي يردكم ولم يمكنكم أخذ البلد وانما يتقدم قدامكم أربع مراكب كل مركب يكون فيه الف بطريق وضعوهم في صناديق ويدخل بهم جماعة على صفة التجار فاذا لاقاهم الكمرجي شاغلوه بالكلام حتى يصيروا الكل بالمينة ويكون فتح الصناديق من داخل فاذا تفتحت الصناديق لا يقدم بطريق الا ويضرب [illegible] قدامه من المسلمين [illegible] فاذا قدمت أربعة آلاف على [illegible] شاغلوا أهل المينة حتى تدخل بقية المراكب [illegible] البلد ولا يقدر يقف قدامكم احد [illegible] أربعة آلاف صناديق

وكانت امارتهم الصفير فلما صفر قصمة سمع النداء من الصناديق وبقى لسيوفهم لميع وبريق فالتهوا الناس بهم فدخلت المراكب وملكوا الاسكندرية بالقتال وقطو فارس البطريق فعلم ان قعاده ما بقى يفيد فأخذ أهل البلد وراح على رشيد هذا كان سبب أخذ الاسكندرية فارسل باشة الاسكندرية المكتوب للسلطان فهم فى الكلام واذا بكتاب أقبل من مدينة الرخام فأخذه عرنوس وقراه فوجده من حريماته يقولون فيه أننا مقيمون واذا بالملك ونقيص انخطفت من بيننا فأرسلنا هذا الكتاب نعلمك والسلام فقال السلطان ياعرنوس سافر أنت وأكشف عن خبر زوجتك واما الاسكندرية أنا أسافر اليها فركب الملك عرنوس وطلب مدينة الرخام يقع له كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه والعاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه اما الملك الظاهر فانه برز بعساكره وسافر الى الاسكندرية أرموا عليه المدافع من الاسوار فنصب عرضيه على قدر رمى النار وأقام السلطان نازلا قدام الاسكندرية خمسة وأربعين يوما فلما طال عليه المطال اغتاظ السلطان وقال كل من يأتى لى برأس الملكين اللذين فى الاسكندرية له على تمنية قال ابراهيم أنا وسعد قم بنا ياسعد فقام سعد معه ومشوا الاثنان الى الساحل ودارا حول البحر ليلا ونزلا فى مركب من الواقفين ومن المركب الى مركب حتى وصلا الى المينة وطلعا فلقيا باب البلد مفتوحا ولا أحد سألهم وكان النهار طلع فشقوا فى البلد الى الديوان فصاح ابراهيم نجاب وحامل كتاب فقالوا له هات الكتاب فأعطاهم كتابا أبيض فقالوا له هذا أبيض قال أنظروا طيب فامعن الاثنان فى الكتاب فسحب ذو الحيات وضرب الاثنين أرمى رقابهما قال جوان دالى قال ابراهيم غير اليوم حسبى الله أكبر

اذا قام سوق الحرب والجو أظلما	وعادت سيوف الهند تقطر بالدما
وغنى اليمانى عند خوض عجاجها	وبحر المنايا موجه يتلاطما
فلا تجحدوا فى الحرب فالله ناصرى	ومن يعتصم بالله لا شك يسلما
دعونى أوفى الضرب فى الحرب حقه	وأنف الاعادى فى الكريهة مرغما
أنا سبع حوران الذى تعرفونه	وادعى بابراهيم فى الحرب ضيغما
أجاهد فى دين النبى محمد	بعزم شديد البأس لا يتألما
ولست أبالى ان تكاثر جمعكم	فما تلقوا منى سوى الويل والعما
أنا خادم السلطان بيبرس سيدى	مليك على كل الملوك تقدما
وسعد أخى فى الحرب لا تنكرونه	له فى مقامات الحرب تهاجما
وصل على خير الخلائق أحمد	نبى عليه الله صلى وسلما

[قال الراوى] وانطبق الفداوى على أهل الكفر والعناد وضرب بسيفه من سواعد شداد قاتل ما قصر كأنه الليث الغضنفر وأما المقدم سعد فانه أخذ الراسين وعلقهما فى كلاليب حزامه وضرب بحسامه حتى أخلى الطريق وسار إلى باب البلد فرآه مقفولا أرى بمفرده وطلع من على السور ونزل فوصل إلى الملك وقال يامولانا إبراهيم يقال وحده فقال السلطان الخيل فركبت الرجال وأرادوا الهجوم وإذا بالمدافع تخرج عليهم من الأسوار فبقى الملك محتار وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل وقال لا يمكن المسير بالخيل اتبعونى يا سباع الاسلام فتبعوه حتى نزل بهم من جهة البحر فوجدوا صخرة تعاقروا عليها حتى رفعوها وإذا بدهليز فنزلوا فيه وطلعوا من طاقة فى حاصل فى خان ففتح شيخة الحاصل فنظر الملك فوجد روحه فى وسط البلد فصاح الله أكبر وتبعته الاسلام وغنى بالحسام ففلق الهام وتزلزلت الاقدام ورفرف الطير على القتلى وحام تقسمت الجثث أقسام ولى النهار وأقبل الظلام فلما رأت الكفرة اللئام طلبوا الهرب والانهزام البعض منهم نزل البحر غرق ما عام ومنهم من راح على حد الحسام هلكوا عن بكرة أبيهم أمر الملك بأموالهم المقدم ابراهيم يعزوا الملكين أ... اسلاب العساكر وما فى المراكب غنيمة للاسلام وقال الملك ياسعد أريد منك أن تأخذ هذين الراسين تعلقهما على رأس الكلب الكندفرون قال سعد على الرأس والعين وأخذهما الراسين وراح يقع له كلام وأما الملك عرنوس فانه سار الى مدينة الرخام فالتقى زوجته رونقيص حقيقة انخطفت فقال عرنوس لابد لى من رواح أرمونية ولا أعود إلا بها ولكن حتى أعلم السلطان فأراد أن يرسل خطابا إلى السلطان وإذا بالسلطان وإبراهيم وسعد مقبلون فالتقاه الملك عرنوس وشكره وأخذه وأدخله بالمحل الذى كانت فيه زوجته رونقيص . فقال الملك ياولدى أنا أرسلت سعد إلى أرمونية يعلق رؤوس الملكين اللذين كانا أخذا الاسكندرية على رأس الكندفرون فاذا أتى سعد لابد أن يعلمنا بزوجتك ان كانت هناك

فقال عرنوس وهو كذلك وأقام الملك فى مدينة الرخام يومين فضاق صدره فنزل فى الغراب العظمى وإبراهيم معه فلما وصل مصر طلع الى قلعة الجبل ... لاقبله على بلاد الاسلام وفى الثلث الثالث من الليل أخذ المقدم إبراهيم وطلع من القلعة وسار بهم يتجسس شوارع مصر إلى النحاسين فوصل إلى الركن فالتقى قصرا مبنى عجيب فقال يا إبراهيم من بنى هذا القصر فقال انى لم أراه قبل هذه الليلة فداروا حوله فلم يجدوا له بابا فعلموا محله وراحوا إلى الصباح فنزلوا فرأوا على القصر دكان

رجل خضرى سألوه من القصر فقال كانكم مجانين متى كان هذا القصر فمضوا ثانى ليلة فنزلوا ووجدوا الى القصر فداروا به ولم يجدوا له بابا ولما كان ثالث ليلة نزلوا فرأوا القصر وله باب قاعد عليه غلام أمرد جميل الصورة فقالوا له السلام عليكم فرد السلام وقال أهلا وسهلا بملك القبلة وخادم الحرم ولكن لم يقم من مكانه ولا تحرك مع أنه عرف السلطان فانحمق الملك من عدم قيامه فقال الشاب يامولانا لاتؤاخذنى فمالى طاقة على القيام فانى عاجز فتقدم الملك اليه لينظر عجزه وإذا بنصفه الفوقانى بشر ونصفه التحتانى حجر فقال له السلطان أنت من ومن أين أصابك هذا المصاب فقال ياملك الاسلام أنا ابن خادمك الخواجه شمس الدين الحرتى والسبب فى ذلك أن أبى أمرنى ان أتاجر بعد ما زوجنى وأسكنت زوجى فى بيت وحدها وأعطانى ألف دينار اشتريت بها كتانا ورحت الى بر الشام بعته واشتريت بثمنه حريرا وصرت أبيع وأشترى رأسافر وفتح على المولى وثالث سفرة وقعت بعجوزة اسمها الكاهنة الفلفلة فاشترت منى الاسباب التى كانت معى وأخذتنى لمنزلها على انها تعطينى حق متجرى

فلما بقيت عندها طلبت منى الزنا فلم أرض بذلك فصلبتنى وضربتنى ضربا شديدا فقال آه لو رآنى السلطان فأطلقتنى الكاهنة وحملنى خادم من أعوانها وجئت فرأيتك وأنا مبرسم ولم أقدر أتكلم وعاودتنى لها فقالت لى أى شىء عمل السلطان فقلت لها أما تخافى من الله والله ان السلطان ما شافنى ولا نظرنى فقالت الليلة أخليه يشوفك وعملت نصفى حجر ونصفى بشر وصورت هذا القصر وقد أقعدتنى كما ترى على بابه حتى حضرتم وحكيت لكم وهذه قصتى حكيتها لكم فلما سمع السلطان ذلك الكلام قلق وهام وقال له وأين هذه الكاهنة فقال يا ملك الاسلام الكاهنة فى القصر تسمع كلامكم فبينما هم كذلك واذا بالكاهنة أقبلت وقالت أى شىء مرادك تعمل فى الكاهنة ثم قالت حديد فصار الملك وابراهيم فى الحديد وجذبت حساما مجوهرا وقالت ايش مرادكم تفعلوا حتى تتعرضوا للكاهنة الفلفلة يا قليلين الأدب فقال الملك يا ملعونة امهلى حتى أطلب الفرج من صاحب الفرج، ورفع قامته إلى السماء وقال اللهم يا عظيم العظماء يا رافع هذه السماء وباسط الأرض على وجه الماء اسألك بحق اسمك العظيم الأعظم ان تنقذنا من شر هذه الطاغية الباغية انك على كل شىء قدير فما تم كلامه حتى أقبل المقدم سعد بن دبل وهو يهدر كالقدر الذى على الجمر وضرب تلك الكهينة بالحسام أطار رأسها عن الهام فارتفع

سحرها عن ذلك الغلام وانفك السلطان من الحديد وكذلك المقدم ابراهيم وصاحب أعوان الجان أراحك الله يامقدم سعد كما أرحتنا من خدمة هذه اللعينة [قال الراوى] ثم ان المقدم سعد لما أخذ الراسين حكم ماأمره السلطان وسار قاصدا ارموتية فلما وصل اليها رآها محصنة من جميع الجهات بالابواب والاقفال والخنادق ولم يقدر على الوصول اليها أحد فاختار سعد وسار إلى أن نظر جبلا عالى فطلع الى ذلك الجبل وإذا بقلعة وفيها رجل كبير فلما رآه قال له أهلا وسهلا بالمقدم سعد أنت جئت تعلق رؤوس الاولاد على راس أبيهم فقال نعم ولكن لقيت انه لا وصول لى إلى ذلك فهل لك أن تساعدنى وتغتنم الثواب فقال له نعم خذ هذه الدائرة أقعد فيها وهى ترفعك من فوق الأسوار فاذا وصلت إلى قصر الكندفرون حطهما وتعال حتى أرسلك إلى السلطان فقعد سعد فى الدائرة فطارت به إلى قصر الكندفرون فالتقاه نائما فوضع الراسين فوق رأسه وعاد إلى الاستاذ وقال له سيدى أطلب منك أن تعطينى عهدا أن أكون فى خدمتك فأعطى له عهدا وقال له أنت ولدى بمقام عهد الله انزل ثم انه قدم له زورقا خشب وميزانا وقال له اقعد فى هذا الزورق وامسك هذا الميزان بيدك وقال له يازورق وديه إلى باب النصر فماأفاق سعد إلا وهو بباب النصر فصار يقول الله الله حتى وصل الركن وكان السلطان يدعو الله كما ذكرنا فأقبل سعد وهو على ذلك الحال وقتل العجوز وأنقذ السلطان وابراهيم والغلام فقال ابراهيم والله ياسعد لو قسموا لنا الولاية بالقنطار فلم ينبك منها ولا درهم واحد فقال السلطان يا ابراهيم لا تعترض فان الله يعطى من يشاء فقال سعد يا مولانا أنا قابلت شيخا اسمه الشيخ جياد وقد أعطانى زورقا وميزانا وشخصا فخذ ياملك الدولة هذا الشخص فانه مانع للعدو وأمر الملك بطلوع العسكر إلى فأقبلت الفداوية وزعق الشخص فأظلم الحال قال ابراهيم ايش هذه الداهية وضرب الشخص ذو الحيات فأرمى رقبته وسافر السلطان بالعساكر إلى الاسكندرية وأمر البطرق أن يحضر العمارة ولما تجهزت المراكب وضع سعد الزورق فى مقدم الغراب العظمى فثار الريح وأظلم البحر وطلع ابراهيم إلى الزورق وجلس عند الدفة فما مضى ذلك النهار إلا وهم على ارموفية فطلع السلطان بالعساكر وحطوا قدام البلد فضربت عليهم المدافع ونصب الملك الخيام فقال سعد أين المقدم جمال الدين شيحة فقال ابراهيم ياسعد شيحة ماهو موجود وأنت بقت لك كرامات اظهرها فى هذا اليوم فقال سعد ابعدونى وأنا ان شاء الله املككم ارموتية وكان سعد قصد أن ينظر شيحة الذى عاهده فسار قاصدا الجبل وتبعه الملك والمقدم ابراهيم وبنو اسماعيل والامراء فهو سائر وإذا برجل اختيار التقاه وقال لا تتقدم

يا مقدم سعد أنت من المسعدين فسار سعد الى عنده فقال له سعد ياسيدي وأين شيخي الذي كان في هذه القلعة فقال له شيخك غائب ولكنه اوصاني عليكم اقعدوا وأنا اقضى لكم اشغ لكم ثم ان ذلك الاختيار أتى بقدح ملآن من الماء الزلال الرائق فشربوا جميعا فناموا كأنهم موتى وما أفاقوا إلا وهم قدام الكاهن أرميل صاحب ارمونيا وهو الذي كان ارسل خطف الملكة رونقيص وردها إلى ابيها وقال له عذبها اشد العذاب لانها بقيت من المسلمين وبعد ذلك أتى الكندفرون وسحب الحسام ووقف على رأس الملك الظاهر فقال المقدم ابراهيم ياسعد هذه بركة ولايتك ياقران أنا قلت لك ان قسمرا لولاية بالفدان مايندوبك منها ولاقيراط ماصدقتني الله يلعنك ويلعن هذا الشيخ النحس الذي اتى بنا إلى هذا المكان كل هذا وسعد واقف لا يتكلم وبعده تقدم الكندفرون ورفع يده بالحسام وضرب الكاهن أرميل على وريدبه فأطار رأسه من بين كتفيه وقال قم يا ملك الاسلام ياخادم ترس قبر المظلل بالغمام فقال له السلطان ياأخي إيش الخبر وأيش الذي أتى بك إلى هذا المكان وأين الكندفرون فقال له والله يا ملك الاسلام إن هذه عبارة متعبة وهو انه لما ارسلت سعد بالرؤوس تبعته انا الى هذه البلدة وأما سعد فانه ساعده الله بالاستاذ الذي لقاه في القلعة وأنا لم أجد لي سبيلا لدخول البلد فأسعفني الله تعالى من فضله ومنه بسيدي عبد الله المغاوري أدخلني البلدة فلما دخلت رأيت الدنيا منقلبة ودخلت السراية على الكندفرون فرأيت رونقيص مربوطة ففكيتها وطلعت مرآة الانقلاب وتصورت في صفة الكاهن أرميل ودخلت على الكندفرون فقتلته وانقلبت في صفته ودخلت على الملعون أرميل وتركت على الطرنب الجليل وقلت له قصدى أقاطع على المسلمين فأوراني السرداب وأعطاني ذلك الشراب فسرت اليكم وأتيت له بكم فأمرني برمي رقابكم فضربت رقبته وخليتكم وهذه حكايتي والسلام فقال المقدم إبراهيم اسم الله عليك وعلى ولايتك يا حاج شيحة انها بيضة وأما ولاية سعد فانها زرقاء فقال سعد ما هو انا الذي اتيت بكم اليه فقال شيحة ما بقي قعاد اضربوا السيف في رقاب الكفار فضربوا بالحسام وقال الملك الله أكبر وصاحت عصبة الاسلام ونزل شيحة وفتح ابواب البلد وكبست المسلمون على أرمونية فملكوها وأهلكوا من كان فيها وهدموا أبراجها وردموا خنادقها واحتوى الملك على الاموال ونزلوا في المراكب وأقبل الملك عرنوس وأخذ زوجته رونقيص ونزل في الغراب السيار قاصدا مدينة الرخام بعد ماودع ملك الاسلام وأما السلطان فانه توجه الى الاسكندرية وطلع الى مصر وكذلك عرنوس وصل مدينة الرخام فلما وصل الى المينة طلع له المقدم اسماعيل أبو السباع والمقدم

قصر الغر وأولاد ملوك البرتقان والتقوه أحسن ملتقى وفرحوا بقدومه ودخل في يوم مشهود وأقام في عز وتمكين وهو فرحان بالملكة رونقيص [وأعجب ما وقع] أن الكاهن أرميل صاحب أرمونية له أخت مقيمة في الجزائر المالحة يقال لها روميه فهي مقيمة وإذا بها قد بلغها خبر أخواتها بانهم قتلوا على يد المسلمين بسبب بنت الكندفرون رونقيص فدخلت بيت رصدها وهي باكية على اخواتها واشتغلت بعلوم الاقلام فرأت انها لم تقدر على هلاك الاسلام لانهم ناصرهم الملك الديان فاحضرت عونا من أعوان الجان وأمرته ان ياتيها ببنت اخيها رونقيص فسار ذلك المارد الى مدينة الرخام وكان الملك عرنوس قاعدا في قصره ورونقيص معه فما شعرت الا والذى خطفها فقالت الملك عرنوس ياسيدى ما تفوتنى ابدا فقال لها وعزة ربى ادور وراك كل الدنيا فقالت له قليل ان بقيت ترانى ورفعها العون ووضعها قدام عمتها فقالت لها يارونقيص اسلمتى فقالت لها نعم وتزوجت بالملك عرنوس وانا حاملة منه فقالت لها اقعدى هنا عندى حتى تلدى فقامت عندها ووضعت بنتا سمتها مريم الحقة يكون لها كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه

وأما عرنوس فانه نزل في غليون وراح إلى ارمونية فوجدها خرابا فرجع إلى مدينة الرخام وهو من شان فقد زوجته في كرب وآلام وبعده تسلى عنها بالاحكام هذا ماجرى هنا [قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه راح إلى مصر كما ذكرنا إلى ليلة من الليالى طلع السراية فلقى الملكة مهمومة فقال لها ما الخبر فقالت له السعيد يعشق بنت علاء الدين ومراده أن يتزوج بها في حياة ابيه فقال لها وهو كذلك والقايل اسمعي يا كرام اقول يا جاه نبى الجاه العظيم اضمر السلطان في نفسه انه لما يطلع الامير علاء الدين لابد ان يخطب بنته للملك محمد السعيد وبعد ذلك تفكر السلطان في هذه القضية وأى شيء عرف الملك السعيد ان علاء الدين البيسرى له بنت تصلح للزواج ومن دون الامراء والوزراء وارباب الدولة ما طلب إلا بنت علاء الدين البيسرى مع انه من اكبر اعدائنا ولا هو من اصدقائنا فلما كان ذلك في بال السلطان الملك الظاهر صبر حتى مضى النهار ونفض المنديل ونزلت الامراء كل الى مكانه وخلا الديوان فقام السلطان من الديوان وطلع الى قاعة الجلوس فصلى صلاة العصر وقعد يقرا في اوراده حتى صلى المغرب وبعد صلاة المغرب طلب العشاء فحضرت به الفراشين ووضعوا السماط قدام السلطان وتقدم الملك لاجل اكل الطعام وامر باحضار اولاده ليأكلوا معه العشاء وبعد ما اكلوا الزاد فرح السلطان بما اعطاه الله من الاولاد وقال لهم لا تقعدوا حتى نتحدث في شيء خطر بالى واريد ان اعرضه عليكم لانكم على كل حال اولادى وانتم احق

بالشورى على من ورائى وأكابر دولتى فاصبروا حتى أصلى صلاة العشاء وأشاور ربى فقالوا جميعا سمعا وطاعة ثم ان الملك قام وزال ضرورة وتقدم للوضوء توضأ وبعد الوضوء صلى به الامام صلاة العشاء وصلى السنن والوتر ودعى الله سبحانه وتعالى كما يجب وطلب من الله الاجابة وبعد ذلك طلب الملك محمدالسعيد وقال له ياسعيد أى شىء السبب يعنى ما لقيت إلا بنت الامير علاء الدين البيسرى حتى انك احببتها مع انه والله ياولدى ما يشتهى أن يرانا ولو قدر على هلاكنا ما اقعد فقال الملك محمدالسعيد أمانى يا بعض شاه الأدب مطلوب فقال السلطان احكى لى على أصل ذلك وانا والله الذى تقدست أسماؤه فالق الحب والنوى الذى رفع السما وبسط الأرض بحكمته وإرادته وعلى العرش استوى إن أنت أعلمتنى بالصحيح من غير كذب ولا تلويح فانى أقضى لك مرادك وأخطب لك بنت علاء الدين وأزوجك بها وأنعم على أبيها لأجل خاطرك ولا أغمك ولا أقهرك فقال الملك محمدالسعيد أنا أعلمك بالصحيح [قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن الملك السعيد كان راكبا خلف أبيه وهو فى الموكب قادما من بلاد ارمرنية بعد موت الملك الكندفرون وراح عرنوس إلى مدينة الرخام فكان السلطان فائت بالموكب مثل العادة وجميع الخلق يتفرجون على الموكب وبيت الأمير علاء الدين على شارع بين القصرين فطلت الست حسنة البيسرية لأجل الفرجة على موكب السلطان ولأجل القضاء والقدر رفع الملك محمد السعيد رأسه ونظرها نظرة أعقبته ألف حسرة فأرسل دايته تكشف له خبرها فأعلمته أن هذه بنت علاء الدين فاعلم أمه وأمه أعلمت أباه الملك الظاهر فلما أصبح الله بالصباح طلب الأمير علاء الدين البيسرى وأنعم عليه وقال له ياامير علاء الدين بلغنى أنك عندك بنت وأنا جئتك خاطبا لها لابنى محمدالسعيد ماتقول فقال علاء الدين ياملك على الرأس والعين فأمر الملك حسن شيترى الخزندار أن يعطى له عشرة آلاف دينار وقال له فى غداة غد يكون كتب الكتاب فقال سمعا وطاعة ونزل فاجتمع بشتك وسنقر وقال لهما انا ما ارضى أزوج بنتى للسعيد فعلموه الضلال وطلع فى ثانى الأيام للديوان رابطا راسه وقال إن ابنته ضعيفة فصدقه السلطان وبعد ايام طلب رجلا باسرجى وساله عن جارية فاتاه بجارية ضعيفة اخذها منه بمائة دينار ودفع له خمسين وامهله بالخمسين الثانية ولما اخذ الجارية اقامت عنده قليلا وتوفت وقيل انه كتم نفسها حتى ماتت فطلع إلى الديوان رابطا راسه وادعى ان بنته ماتت فتولى امرها الملك محمد السعيد واخرجها فى مشهد عظيم ومشى قدامها السلطان ثم إنها دفنت واقام بعدها مدة [قال الراوى] إلى يوم الملك جالس والأمير قلاوون طالع مضروب فقال الملك مالك ياامير قلاوون فقال فداوى

يا بعض شاه نزل علينا واخذ الف محبوب حتى ضربنا وثانى يوم طلع ايدمر البهلوان وطال الحال حتى ضرب من الامراء جماعة إلى يوم الملك جالس وإذا بفداوى وقف بباب الديوان والامراء جميعا ناظرون اليه فقفز علاء الدين البيسرى وقبض الفداوى من خلف ظهره وصاح حرامى خرسيس فاتمرغ الفداوى على صدر علاء الدين وحدفه فى وسط الديوان وحط يده على شاكريته ونزل من الديوان [ياسادة] وكان هذا الفداوى يقال له المقدم صخر بن عقب وله خال اسمه المقدم سعد الدين الرصافى وله حديث عجيب وهو ان المقدم سعد الرصافى لما ظهر من اللجج وراى الدلك فى قلعة رصافة الذى عمله المقدم جمال الدين سأل عن معروف فاخبروه انه ظهر ومات شهيدا بباب انطاكية على حلب فقال رحمة الله عليه ومن الذى صار سلطان الحصون الآن فقالوا له الحاج شيحة واعلموه بافعاله فقال معزول واحضر ابن اخته المقدم صخر بن عقب وقال له يا صخر انا طالب منك انك تروح إلى مصر تسرق الملك الظاهر وتاتينى به حتى انى اطلب منه سلطنة القلاعين والحصونين وإن كان ما يرضى بذلك دعورت قرعته فقال سمعا وطاعة وطلع من قدامه وسافر إلى مصر ، وصل إلى القلعة وصادف الامير قلاوون نازلا راكبا فى هيئة عظيمة فظن انه السلطان فتبعه لما عرف مكانه ونزل عليه ليلا وبنجه وكتفه وقال له انت الظاهر فقال انا قلاوون فضربه ثمانين شاكرية واخذ منه الفا وبعده امير بعد امير حتى طلع القلعة وكان قصده يقف حتى يعرف مكان السلطان وينزل عليه ليلا يسرقه فرآه علاء الدين وجرى ما جرى وآخر النهار نزل الامير علاء الدين إلى بيته فتبعه الفداوى حتى عرف بيته وصبر الى الليل ونزل الى بيته فارى مفرده وطلع عليه حتى بقى فوق الاسوار ورمى الاكرة ونزل حكم نزوله فى قاعة فتامل فوجد سريرا من الصاج الهندى وفوقه ناموسية من الحرير الملون فرفع الناموسية وكان يظن ان تحتها الامير علاء الدين فالتقى فيه الست حسنة وهى نائمة على ظهرها فلما نظرها تولع بحسنها وجمالها فانتبهت فرأت ذلك الفداوى واقفا فتعجبت من وقفته فقالت له من تكون يا فتى وما الذى اتى بك إلى هذا المكان ومن اين دخلت الى قاعتى ورفعت ناموسيتى ونظرت الى رؤيتى فقال لها يا بديعة الجمال انا ما أتيت الى هذا المكان الا على قتل صاحبه البيلربجى وانت من تكونى له فقالت انا بنته وانت لاى شىء تريد قتله فحكى لها على ما فعل به فى الديوان

فقالت له يا فتى اعف عنه والعفو من شيم الكرام فقال لها انا من اجلك اسامحه إن هو زوجنى بك فقالت وهو يزوجك بى ولكن أنا إذا قلت له أن يزوجنى بك اريد منك مهرى فقال لها مهرك هذا انا عاجز فيه انا سلطان الدنيا والمال عندى كثير لكن اريد

أن امسك على ابيك بالقول وانزل اجتهد واحضر المهر فاحضرت البنت اباها فلما نظر علاء الدين الفداوى تخبل غزاله فحكت له بنته على ماوقع بينها وبينه بالتركى فاظهر له علاء الدين المصادقة وقال يافداوى هات المهر وأنا أزوجك ولا أخالف ابدا ففرح الفداوى ونزل من عنده وسار حتى وصل إلى قلعة رصافة ودخل على أمه وحكى لها على ماوقع واخذ صندوقا كان ملآن ذهب واخذ أمه وسافر بها إلى مصر وأرادأن يدخلها بيت علاء الدين فقال له علاء الدين ادخل وحدك قبض المهر وادخل على زوجتك وبعدها خذها وسافر إلى قلعتك فقال المقدم صخر لامه يااموه انت روحى الى الجبل وباتى هذه الليلة فى المغائر وغداة غد نسافرسوى فراحت أمصحرودخل المقدم صخر الى بيت علاء الدين فكان علاء الدين امماليك أوصاهم حالا بقلع الفداوى سلاحه ميلوا عليه حتى تقتلوه فلما دخل المقدم صخر قدم الصندوق إلى علاء الدين فاخذه منه وضحك فى وجهه وقدم له الطعام وقعد المقدم صخر على الطعام بعد مافك حزامه وقلع سلاحه فالوا عليه المماليك حتى شطوه شطبية تقارب قضية ابراهيم ابن حسن على جسر الانهار واحضر البواب وقال له خذ هذا وامض به الى مستوقد الحمام وارميه فى بيت النار فاخذه البواب ومضى به الى الحمام ورماه فى الطريق وعاد الى حال سبيله

[قال الراوى] وكان السلطان فى هذه الليلة انقبض قلبه فنزل يشق البلد فاتى الى خط بين القصرين فقال ابراهيم ياملكنا أنا قلبى يحدثنى أن هنا رميم فسار السلطان الى الخرنفش فرأى ذلك الانسان فتقدم المقدم ابراهيم وقال هذا صخر بن عقب ابن اخت سعد الدين الرصافى ياهل ترى أى شىء أتى به الى هذا المكان ومن الذى شطبه هذا التشطيب وقلبه فرأى فيه الروح فاخذه الى قاعة الحوارية وقال يا سعد هات لنا جراح نغاب سعد وأتى بعفريتى فقال ابراهيم يا حاجى طيبه ولك مائة دينار فتقدم الجراحى وصار يلم الجراحات ويقطبها حتى قطب جميع الجراحات وأفاق صخر ابن عقب فقال المقدم ابراهيم يامقدم صخر انت اى شىء جاء بك الى هذا المكان ومن الذى فعل بك هذه الفعال فقال يامقدم أما مجيئى الى هذه البلد فما جئت الا على قتل الحاج شيحة لان خالى ارسلنى الى هذه البلده على انى لا أعود اليه الا براس الملك الظاهر وبراس الحاج شيحة فقال ابراهيم شوحة أى شىء عمل فى خالك حتى يطالب [illegible] والملك الظاهر والله ما قلت ان خالك جاهل على هذا القدر ولو أنصفت ماكانت تتعرض لشيحة فانه واقف على من ارطاله لا يعد من اشكاله فان بحر شيحة يغرق ألف مثلك ومثل خالك وهو أيضا نفعه لاسماعيلية يقدمهم ودفعا

من كل هم وبلاء وعل مايذكر يحضر وهذه أقل فضيلة فيه فقال المقدم صخر إذا كان وقت مايذكر يحضر انده عليه حتى يأتي لانظره فقال إبراهيم انت فين ياحاج شرحة ياسلطان القلاع والحصون وإذا بالمغربي الذي قطب جراحاته قال نعم يامقدم فقال فقال ابراهيم انت كان طيب ياحاج شرحة فبهت المقدم صخر وقال له انت شوحة قال نعم فقال له انت طيبتني وبقى لك على جميل زائد فقال شيحة انت وأصلك ياصخر كلما زرعته تلقاه فقال له ياحاج شيحة أما أنا فاطيمك نظير ماداريت جراحاتي وأما خالي منك له اصطفل ثم انه تودع من شيحة وإبراهيم وطلع من القاعة فقال إبراهيم أين تروح يامقدم صخر فقال لي شغل اعمله وطلع من قاعة الحوارنة وطلب بيت علاء الدين وأما أم المقدم صخر بن عقب أصبحت وجاءت إلى بيت علاء الدين البيسري وسألت عن ولدها فقال لها الامير علاء الدين ان ولدك بعدما دخل على زوجته أصبح وأردفها خلفه على حجرته وسار طالبا قلعته فقالت هكذا تفعل الناس يبقى أنا قاعدة له ويسافر ولايعلمني وساقت حجرتها وطلبت قلعة رصافة فلما وصلت فلم تجد ولدها فاخبرت أخاها فقال لها يكون البيلربي عمل مكيدة على ولدك وركب وجاء معها إلى بيت علاء الدين

[قال الراوي] وأما المقدم صخر بن عقب فانه أتى إلى بيت علاء الدين [illegible] ونزل على علاء الدين فكتفه وأخذه وطلع إلى سطح البيت ورماه قدامه وفبقه وهو ملتف وقال له كيف حالك ياابن سنباتة الف ملقة وجذب الشاكرية ومال عليه بها صفحا وإذا بامه طالعة فقالت له أي شيء هذا ياولدي هذا رجل اعطاك بنته وبقي نسيبك فكيف تفعل معه هذه الفعال فحكى لها على ماوقع منه فقالت عليه بالضرب والشتم وكذلك المقدم سعد الدين طلع فحكى له على الوقعة فاشفى قلبه من علاء الدين وبعد ذلك نزل وهو قابض على شاكريته وجمع كل ماعند علاء الدين حمل خمسة من الخيل وثلاث فال وركب البات على حصان علاء الدين وركب هو حجرته وطلب قلعة رصافة [يا سادة] ولما كان ثاني الايام أفاق علاء الدين طلع إلى الديوان وقال مظلوم يا بعض شاه فداوى نزل علينا ونهب أموالنا وأخذ بنتنا وأنا في عرضك يا بعض شاه فقال السلطان ياأمير علاء الدين بنتك ماتت و[illegible] في [illegible] فقال نعم [illegible]

ياسيدي فقال الملك يا أمير علاء [illegible] بنتي [illegible]

وأما إذا كانت ماتت يكون [illegible] أحياها [illegible]

[illegible]

[illegible]

خمسين وباقى خمسين والجارية ماتت ولم يعطنى بقية ثمنها فقال الملك اعطه يا امير علاء الدين باقى حقه فدفع له الخمسين دينارا وقال السلطان بتى التى ماتت وقلت انها بنتك هى الجارية قال نعم يا بعض شاه فقال السلطان قم الزم بيتك وان طلعت إلى الديوان رميت رقبتك وخذ معك سنقر وبشتنك وقلاوون فانهم هم الذين أغروك على الضلال وصاح السلطان فى علاء الدين وسبه ونهره فقام وتبعته الأمراء المذكورون وكل منهم مقهور وحزين وعلموا أن السلطان لو أراد قتلهم لقتلهم [وأما] المقدم سعد الدين الرصافى فانه نظر إلى حسنة اليسرية فقال لابن أخته طلقها يا صخر فقال يا خالى ما تزوجتها الله يملأها لك بركة وساروا إلى القلعه فادخل البنت عند أخته وأمه وأقاموا على هذا الحال [وأما] علاء الدين فانه قد ضاقت به الحيل فدخل على الامير قلاوون وقال له كيف التدبير افوت مالى وبتى بعد ضربى فقال له قلاوون خذ هدية وروح وادخل على الحاج جمال الدين واجعله وكيلا على بنتك يزوجها لمن يشاء وقع فى عرضه فانه يخلصها أحسن الفداوى يعملها خصخص فقام علاء الدين وأخذ هدية ودخل على الحاج شيحة ووقع فى عرضه وقال ياسيدى أنا خدامك وبنتى جاريتك زوجها كما تحب وتختار فقال شيحة هذا يفعل الله مايشاء الله وقام المقدم جمال الدين فى ثانى الأيام وطلع به إلى الديوان وقال ياملك الاسلام بنت علاء الدين التى سرقت ما يمكن لنا تركها فان الذى يفعل بخدمتك مثل هذا معاند لك وعاصى عليك وهذا يقول أنها خلاف التى ماتت وان كان كاذبا ما فعل مثل مايفعل معى أحد من الفداوية فيا مولانا كن حمولا لاتباعك واركب لاجل خاطرى فانها بقت بنتى فقال السلطان احضروا للركوب وبرزت المراضى وشال السلطان حتى حط على قلعة رصافة وبات واصبح فنزل الفداوى سعد الدين الرصافى وطلب الميدان فتقابل المقدم ابراهيم معه [قال الراوى] وكان المقدم جمال الدين دخل قلعة رصافة وهو فى صفة المقدم سعيد باش الكواخى لسعد الدين وجعل انه محمد السماق صفة سلمة زوجته ونورد عبد الله ابنه وراحمد سلمه فوجه المقدم سعيد إلى حريم سعد الدين وقالت لهم هاتوا البنت تقيم عندى بحكم ما أمر المقدم سعد الدين [illegible] يا لبوه [illegible] ان بيتنا فيه سرداب ينفذ على قلعة الشقيق لرعاية الى العدد على الخوند فخذيها إلى قلعة الشقيق فطلب اللبوة ورأت سعد باش الكواخى [illegible] ونزلت والبنت معها إلى بيت المقدم سعيد فأخذ السماق البنت ودخن شيحة [illegible] على اللبوة وأخذ [illegible] وطلع كان المقدم سعد الدين فى قتال ابراهيم إلى آخر النهار [illegible]

فالتقى باشه الكواخى وقال له بالسلامة يا خوند فنظر اليه وصاح فى وجهه أمرق يا قران فدخل بيته فدخل وراه لبيته فرأى زوجته وابنه عبد الله والقفا والزوجة تطبخ ولما دخل سعد الدين كشفت القدر فخرج منه دخنة كرف سعد الدين ووقع الى الارض فقفل الباب وأنزله من السرادب وسار به حتى أوقفه قدام السلطان وشيحة نشمه ضد البنج فأفاق وقال اشهد فقال ابراهيم الحورانى اصحى تغلط ياسعد الدين أنت قدام اثنين ملوك السلطان الظاهر والحاج شيحة فقال سعد الدين اى شيء تريد ياشيحة فقال له الاطاعة والا تحمل ثمانين سوط بهذا القضبان فقال يحتمل أن السوط يكون مسموم ولا يقدر الانسان يحمل السم وهذا ما هو منصف لعب وإنما أنا خصمك فى السلطنة اما اغلبك أبقى سلطان أو تغلبنى أبقى أطيعك فقال شيحة وأنا رضيت لكن يا بنى اسماعيل كل من اتفق مع هذا الفداوى أكون خصمه فقالت الرجال لانكلمه ولا نرافقه الا اذا اطاعك فأطلقه شيحة من الاعتقال وتركه يروح قلعته وقال يا ملك الاسلام الرحيل إلى مصر وانت ياعلاء الدين خذ بنتك فقال علاء الدين هذه بنتك انت ياسيدى زوجها لمن تريد فقال السلطان ان انى غنى عنها وسافر السلطان الى مصر فى امان ودخل قلعة الجبل على جرى عادته وقال للسعيد يا ولدى يغنيك الله عن بنت علاء الدين فان العدو لا يناسب فلا تكن اسير شهوتك فقال السعيد صدقت ياملك الاسلام وحياة راسك ان كانت جوهرة ما أدخلها بيتى ومن ساعة ما سمعت نفاق أبيها كرهتها لأجله وكان الامر كذلك وأما سعد الدين الرصافى فانه لما عاد من قدام المقدم جمال الدين ودخل قلعته اطمأن خاطره وحسب لشيحة الف حساب وعند المساء طاب حسنة بنت علاء الدين ليطيب خاطرها فالقاها فى أن أخته عنها فأعلمه بما قالت شيحة وان يه سعيد وروحته سلمة فراح اليهم فلقاهم مبنجين فطار عقله من راسه ووقع مغشى وأفاق يشكو بنائبه وكل أمانه وأيقن بالموت والفناء وطال عليه الضنى فى مدة أيام أيقن وشرب الحمام فأرسل الى المقدم منصور البواب لانه قريبه تحضر له ليلا حكى [illegible] بنت علاء الدين الميسرى فقال منصور يا مقدم سعد الدين [illegible] شيحة [illegible] الرجال وبنو اسماعيل وبنو الادرع [illegible] فقال سعد الدين [illegible] له اعمل حالك ميت فاذا علم الرجال بموتك يأتون الى الجنازة [illegible]
[illegible] من هذا [illegible]
[illegible] شاع الخبر بقلعة رصافة أن سعد الدين [illegible] رجال
[illegible] الميرة [illegible]
[illegible] سعد الدين الرصافى [illegible]

تريحوا تمشوا فى مشهده ولكن تخافوا من شيحة فقال منصور العقاب يا رجال هذا
هذر بارد شوحة خرج عليكم وهو طيب ولما مات يبقى الواجب منكم تحضروا جنازته
فعندها ركبت الرجال وساروا الى قلعة رصافة فدخلوا القلعة وسألوا عن الفداوى
فقال لهم مات فدخلوا عليه وقعدوا حواليه فرأوا فيه النفس فعند ذلك أحضروا له
شربات وعالجوه فأفاق من غشوته وقال لهم الجيره يا بنو اسماعيل هكذا الناس
تفوت قرايبها وأهلها كانى ماأنا فيكم فقالوا له وما الذى تريد منا ياسعد الدين نعادى
شيحة يسلخنا لاجلك فقال أروح معكم الى مصر واقف انا شيحة قدام الظاهر
وطالب منه الانصاف وتساعدونى على زواج بنت علاء الدين والا هدمت مهجتى
فقالوا قم اركب فركبوا وساروا ولو كانت لهم أجنحة لطاروا حتى دخلوا مع
السلطان وتقدم سعد الدين الرصافى الى قدام السلطان والفداوية واقفون وحضر
المقدم جمال الدين فقال سعد الدين يا أمير علاء الدين سابق عليك ملك الدولة هذا الملك
تزوجنى بنتك وكلما تطلبه من المهر أنا أقدمه لك فقال علاء الدين أنا مالى بنت فوق بنت
المقدم جمال الدين اخطبها منه فقال سعد الدين يا حاج شيحة أنا خصمك فى السلطنة
والخطبة والزواج ماالها احتجاج أنا جئتك خاطبا راغبا فى حسنة بنت علاء الدين
عليك ماتقول وعلى ماأورده لك كلما طلبت فقال شيحة يافداوى الذى يخطب البنات
يكون صاحب غرامات وكذلك الذى يطلب السلطنة لا يخاف الموت والفنا وحسنة
لها مهر والسلطنة لها ملاعيب فاشهدوا يا بنو اسماعيل على ما أقول ان سلطنة القلاع
والحصون وحسنة بنت علاء الدين البيسرى كل من سافر الى القسطنطينية وجاء
بالطير الناطق المعلق على رأس البب ميخائيل والسيف الساحق الذى فى خزنة
سلاحه تكون بنت علاء الدين ضجيعته وزوجته والسلطنة تكون له مملكته فقال
المقدم ابراهيم يا هل ترى هذا الشرط بينك وبين سعد الدين فقط قال شيحة
دستور مكرم على جميع الرجال اسماعيليه وادرعيه طايعين وعاصين كل من جاء
بالطير والسيف تكون السلطنة . وأنا معزول ويأخذ بنت علاء الدين بالكتاب
والسنة ولا أحد له عليه فى ذلك منة . فعند ذلك فرحت الرجال وقال كل منهم أنا
اروح والسلطنة مرقمة من شيحة فقال سعد الدين يمكن يعارضنا فى الطريق
ولا يحصل لنا الا التعويق فقال شيحه والاسم الاعظم انا ما اسافر من مصر الا بعد
ثلاثين يوما واذا رأيتكم فى مهلك وقدرت على خلاصكم لم أتخل عنكم فعندها
أخذوا مكاتبة على المقدم جمال الدين بحكم قوله وطلعوا طالبين بلد القسطنطينية
وبعد توجههم اخذ السلطان يد المقدم جمال الدين ودخل به الى السراية وقعدا

معا فى حديث وكلام فقال السلطان يا مقدم جمال الدين أى يكون هذا السيف وصفته والطير وصورته الذى أوجب أنك ترسل اليهما طائفة بنو اسماعيل فقال المقدم جمال الدين يامولانا أنا أعلمك بهما أما السيف فاصله كان للملك لاوون صاحب القسطنطينية وله ولد اسمه سعد هرقل فطلع للصيد وكان تحته حصان اسمه الخاطف وهو عزيز عنده لانه إذا كان راكبه يطارده خلف الغزال ويصطاده بيده فاتفق له انه ساير فى البر والمهاد راكبا ذلك الجواد وكان سرج الحصان من الحديد الصينى ومطلى بالذهب فوقع من السماء سهم فى قربوص السرج خرقه ونفذ من صدر الحصان وخرق الحجر وغاص مقدار ذراع وأكثر

فلما رأى هرقل ذلك حفر الأرض حتى كشف على ذلك السهم وأطلعه فرآه قدر جرزة الهند وهو أصفر كالذهب فأخذه إلى أبيه وأعلمه بما رأى منه فتعجب واحضر صناعة السلاح وطلب أن يصنعوه له سيفا فصنعوه سيفا ولما كان أصله صاعقة سماه الساحق وهو حقيق ساحق ضربته لا تردها طارقة ولا خوذة وانتقل من ملك إلى ملك حتى صار فى ملك ميخائيل وأما الطير فانّ له حديثا عجيبا وهو ان فى بلاد الهند مدينة تسمى سرنديب وكان بها ملك اسمه الهندقار وذلك الملك طلع يوما إلى الصيد وطرد خلف غزاله فنفدت منه وعاد راجعا فلقى ريشة من ريشه طولها ذراع ونصف وهى مشكلة بجميع الألوان وفى آخرها شىء مدور مثل الشمس يضوى فاخذها على كتفه وعاد إلى عسكره والتهى بتلك الريشة عن صيد الغزال وقال لوزيره ياهل ترى هذه لها طير فقال الوزير يا ملك الذى يكون عنده طير فيه ريش مثل هذه الريشة ما يكون إلا يفوق على جميع ملوك الورى فقال الملك يا وزير ألزمتك أن تأتينى بهذا الطير وحق الاله المعبود ان رأيتك مقيما فى بلادى من غير أن تأتينى به لابد من قطع رأسك فقال الوزير سمعا وطاعة ولكن يامولانا أنت لك ثلاثة أولاد وهم أبطال شداد ولابد يا ملك إذا أنت بعد عمر طويل توفيت فكل منهم يطلب السلطنة بعدك فانت تقول لهم كل من أتانى بذلك الطير يكون الملك له من بعدى فاحضرهم وأعلمهم بما قال الوزير فقالوا رضينا بذلك وتجهزوا للمسير وكان أسماؤهم محمد وأحمد وعلى فكان أول من طلع محمد وأحمد لانهما كانا كبار وعلى هو الصغير وأما الكبار فاخذا حملا وعسكرا وأما على فلم يأخذ الاجر بندقيته تحت ابطه وسافر فلحق اخوانه أياما قلائل فأتوا إلى ثلاث طرقات طريق السلامة وطريق الندامة وطريق الذى يروح فيه لا يعود فكان طريق ... من الذى ذا سالكه لا يعود ... سيره وحده ولانه أيس إلا ... [illegible]

فسار تسعين يوما حتى تعب وضره التعب ولم يبق قدامه عمارة وجاع وعطش فنظر إلى شجرة فراح إلى عندها فلقاها فاشفة فقعد تحتها من شدة تعبه يريد الراحة فاقبل ثعبان أبيض مطرود من ثعبان أسود والثعبان الابيض مال إلى ناحية على مستجيرا والثعبان الأسود تابعا له ولم يرجع عنه فانفرد على وضربه بالحسام فانقطعت راسه فانتفضت الحية كالآدمية وقالت له يا فتى أراحك الله كما ارحتنى من هذا العدو فقال وانت إيش تكونى فقالت أنا اسمى مهرانة بنت الملك مهران ملك على جميع اسلام الجن وهذا كافر أتى فى ارضنا وهى ارض الحيجلان وأراد أن يتزوجنى فارضيت فلعبت أنا وإياه فى التصاوير فغلبنى وهربت منه فى صفة ثعبان فلم يرجع عنى وتبعنى إلى هذا المكان وأنت قتلته وصنعت معى هذا الجميل وانت ما الذى أتى بك إلى هذا المكان أعلمنى حتى أكافئك على جميلك فاعلمها بما هو فيه من أمر الطير الذى طلبه أبوه فقالت له بينك وبين هذا الطير وبلاده مسيرة خمسمائة سنة وأنا أعلمك باصل هذا الطير وذلك أن آصف بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام صنع بستانا وسماه بستان النزهة خلف الكنوز وكان عنده ذلك الطير فعلقه فيه وعلمه النطق يقول فى كل وقت يا حق انت الحق اظهر الحق واعلى كلمته واخمد الباطل وقل قيمته وهذا الطير فى ذلك المكان إلى الآن خلف كنوز نبى الله سليمان فى قفص من الخشب الصاج الهندى وأما الريشة التى أتى بها أبوك وأروها اخوتك والوزراء فانه كان نفضها من جناحه بمخلابه وورماها من القفص فكانت سحابة فى الارض فوقعت الريشة عليها وسارت السحابة إلى أرضكم فرماها الهواء فيها وانا يا أخى اقدر اسفرك مسيرة نصف الطريق إلى واحد يقال له الشيخ عبد الحق فهو رجل من اهل خير وأنا تلامذته واسأله أن يوصلك إلى مطلوبك فانه يحكم على تلك الارض فقال لها وفى كم عام توديني فقالت له أنا فى اليوم والليلة اقطع بك مسيرة خمسين عاما فيكون مسيرى بك مدة خمسة أيام ولكن اذا بلغت مطلوبك من الطير وأتيت به فلا تنسانى حتى أعفرك إلى عند أبيك لأن أخوانك يحسدونك ويريدون قتلك فانا بعون الله احفظك منهم ثم انها حملته على كتفها كما تحمل الوالدة ولدها ورفرفت فى الهواء يوم وليلة ونزلت وأتت له بغزالة وأوقدت له النار فذبحها وشواها وأكل وأكلت هى الباقى وحملته ثانيا وثالثا هكذا خمسة أيام فاقبلت به على واد أخضر نضر وأتت به الى صومعة وأقعدته على بابها فطلع له الشيخ عبد الحق وقال له اهلا وسهلا واعطى له بساطا وقال له اقعد على يوديك الى أخى عبد السلام فى خمسة أيام فهو يبلغك المرام واقرئه منى السلام فلما وصل الى الشيخ عبد السلام اعطاه خاتما وقال له ضعه فى يمينك فانه يوديك الى محل مطلوبك عند أخى الشيخ محمد فلما وصل اليه واذا

هو بساط صغير فا عطى له دائرة من الخوص وقال له اقعد فيها فانها توديك الى البستان فاذا وصلت الى الباب ادخل وامش خمسة عشر قدما واحفر فى الارض تجد قوسا ونبلة معه فاضرب العامود بالنبلة يميل ويقع تجد المقصورة فادخل ولا تمش الشجرة حتى تصل الى جانب البحر افحت تجد مطرقة وسندال دق تلاث دقات يأتيك فليون مسوق انزل فيه يوديك الى منضرة تجد لها سبع دهاليز وتجد فى أول دهليز برابير وفى الثانى قانات أعجام وفى الثالث ناس مسلحة وفى الرابع ضباع وفى الخامس نمورة وفى السادس سباع وفى السابع فيه قاعة عجيبة فيها شجرة والقفص معلق فيها اقعد تحت القفص لما يجىء الطير وان كان هناك اقفل عليه القفص تسمع حس صرخات وعيطات فلا تخف واحمل القفص الى خارج الغيط واقعد فى الدائرة والقفص معك تبقى عندى فراح وفعل مثل ما قال له وجاء بالطير ورجع وأخذ الخاتم والبساط ونف المشايخ وسار الى الشجرة التى بين الطرق والصخرة المكتوبة ونسى اخته فرآه اخوته وهو مقبل الى ناحيتهم والطير معه فقالوا لبعضهم أخونا على جاء بالطير واذا وصل به الى أبينا أخذ السلطنة بعد موته وحكم علينا فقال محمد لاخيه أحمد خذ السجادة وافرشها على حلق هذا البئر لما يقعد عليها فيقع فى البئر فتردمها عليه ونأخذ الطير ونسافر الى ابينا ويكتب لنا السلطنة ثم قاموا يسلموا عليه بعد ما رضعوا السجادة على البئر وبعد السلام اتوا به الى السجادة فلما داس عليها نزل يهوى فى قاع البئر فردموا عليه الاحجار وأخذوا الطير ومضوا الى أبيهم فلما رآهم فرح بهم وأخذ الطير وسألهم عن أخيهم فأعلموه انه مات فحزن عليه وكتب السلطنة لهم شركة كل واحد يكون على الكرسى سنة والآخر سنة وأما على فانه لما وقع فى البئر علم انها مكيدة وتذكر أخته وماقالت له واذا باخته التى كانت حية اقبلت اليه خطفته قبل أن يقع الى قاع البئر وقالت سلامتك لا تخف أنا ماقلت لك لا تنسانى ثم انها أخذته الى بلدها وقالت لها ان ابى يقول لك تمنى على فقل له أتمنى عليك أن تطلعنى على شجرة الجلا فلما وصلت الى ابيها أعلمته بما فعل ذلك الشاب الانسى وحمى عرضنا فقال له يا انسى تمنى على فقال تمنى عليك أن تطلعنى على شجرة الجلا فقال يا ... اطلعه شجرة الجلا فرفعه الوزير الى شجرة عالية ولكنها ... واحد رشاق فى الطول قدر مائة قامة انسان ذلها ... ورقة ولكن الورقة عرضها قدر الترس ... رضعتها فى مكحلة ذهب ... الى ... دقة ... فأخذ ...

له يا على اعلم أن أباك عمى فاذا دخلت المدينة كن حكيما وهذا الكحل الذى معك يفتح العمى فلما بقى على باب مدينة أبيه سار إلى السوق ودخل إلى دكان مزين وحلق راسه وإذا برجل أعمى قال يا أسطى احلق لى راسى فقال له على ياشيخ تريد أن افتح لك عينيك فقال متى ياسيدى فقال على هذه الساعة ثم أنه وضع له فى عينيه من كحل الجلا ففتح عينيه فى وقته فتعجب المزين قال ياسيدى إذا كانت هذه صنعتك اعلم ان ملك بلادنا أعمى فاذا دخلت عليه وفتحت عينيه ينعم عليك غاية الانعام فانه والله ملك كريم ونسل الملوك الكرام فقال له امض اليه واعلمه فسار واعلم الملك ودخل على على أبيه وحط له فى عينيه ففتح عينيه ونظر ابنه فقال له أنت على فقال نعم فقال له أنت طيب ياولدى فقال له نعم ياأبى أنا طيب وما صدقت ان أراك واحمد الله الذى ارانيك سالما ولكن ياأبى تعبت فى سفرى الى بلاد بعيدة حتى أتيتك بالطير الناطق من خلف كنوز سيدنا سليمان وأخواتى محمد واحمد تعدوا على ورمونى فى بئر ولكن نجانى ربى صاحب المشيئة والتدبير فطلب الملك أولاده الكبار وقال لهما من الذى أحضر الطير فقالا نحن الذى جئنا به فقال لهم نسأل الطير فسأل الطير فصدق على كلام على فكتب له أبوه حجة بالسلطنة بعد موته ونفى أخواته لأجل نفاقهما فاغتاظا صبرا إلى الليل وقبضا على أخيهما على واخذ الطير واتيا به إلى جانب البحر وارادوا قتل أخيهما وان يدبحا الطير الذى شهد عليهما فمر عليهم غايون وفيه قبطان فدخلا عليه وقالا له خذنا إلى بلاد الروم فسألهما عن هذا المكتف فحكيا له على ما جرى فاطلقه منهم وقتلهم واخذ الطير وأتى به إلى القسطنطينية فاخذه منهم البب ميخائيل ففرح وتعجب من رؤيته وعلقه فى قصر من داخل سبع دهاليز فى كل دهليز عشر مهالك وكل مهلك يزيد على الآخر وها انا حكيت لك ياملك الدرقة حكاية السيف والطير وتدهيش راسك ياملك فى الرجال الذين سافروا ولم يبق يأتيك الا خبرهم فقال السلطان كانك ياشيحة مجنون انا والله عندى كل رجل من المجاهدين احسن من الف طير والف سيف وماهى مروءة ان ترمى أبطال الاسلام فى بحر الحمام وانما الحقهم ولا تريني وجهك الا بهم

فقال ياملك وأنا لابد لى ان أقتفى اثرهم بعد تمام الوعد التى حلفت عليها وبعد قضاء الوعدة توجه المقدم جمال الدين يقتفى اثر الرجال له كلام

[قال الراوى] ان الفداوية الذين سافروا كما ذكرنا كلا منهم طالب ان يأخذ الطير والسيف لأجل ان يأخذ سلطانة القلاع ولما وصلوا إلى القسطنطينية سكنوا فى خان واقاموا ثلاثة أيام حتى أخذوا الراحة من تعب السفر وبعد ذلك تشارطوا أن

يكونوا يداواحدة حتى يأخذون الطير فقام المقدم سعد يابنو عمى أنتم مساعدون لى
وانما أنا ماقصدى الابنت علاء الدين وأما السلطنة ماقصدى منها الا الذكر فقطواما
ابرادها يكون لكم فقالوا له هذا كلام مانسمعه فان كل منا يطلب ارتفاع مقامه وكل
منا بايع رقبته على بلوغ ارادته فبقى جماعة تتفق جماعة تختلف ودام بينهم الاخذ والعطا
بالكلام واختلفوا مدة أيام الى ان كان يوم من بعض الايام كان البب ميخائيل جالسا
واذا به دخل عليه بترك اختيار وهو يقرأ الانجيل ويفسر مافيه من التحريم والتحليل
فقام له البب ميخائيل وقبل يده وقال له ياأبانا من أين أتيت فقال له من دير نجران
ومن تلك الاقطار واسمى الحول الطيار فقال ميخائيل أهلا وسهلا وأقام عنده اياما الى
ليلة من الليالى قال البترك ياىب انافى هذه الليلة أتانى هاتف أعلمنى ان فرقة من المسلمين
يرمون ان ينزلوا على خزنتك بالليل ويسرقوا مالك وخيلك وهم من لصوص المسلمين
لكنهم كثير فقال ميخائيل ياأبانا وكيف العمل فقال له انا اقيم مع الحرس واقبض
لك عليهم فقال له البب مليح واحضر الحرس وامرهم باستماع مايقول هذا البترك
فقعد مع الحرس وصنع لهم شمعة من البنج ولعها وتحمل بضد البنج وفى هذه الليلة
طلعت الفداوية الى السراية كل واحد من ناحية فلما ركبوا على السور رأوا تلك الشمعة
فقصدرها واحدا بعد واحد فكل من قرب منها يتبنج حتى نا وا جميعا واماسعد الرصافى
فانه نزل فى الآخر وكان من حذره على نفسه تحمل بضد البنج واتى الى ذلك المكان
فرأى الفداوية جميعا قبضوا فأراد ان يتقدم واذا به رأى جارية تقول لاختها ادخلى
حطى للطير الناطق عشاه فقالت سمعا وطاعة فمشت وتبعها المقدم سعد الدين فدخلت
من محل الى محل وتاهت من قدامه فلم يعلم أين مضت وعاد الى محل مانظر فيه الرجال
فوجد الدنيا ظالمة

فقال فى نفسه لعلهم سبقونى وأخذوا الطير وسار ووقف لهم فى الطريق حتى طلع النهار
فلم يعد منهم أحد فقال سعد الدين أنا كنت واقعا مثلهم والجاريه هى التى منعتنى من
الوقوع وعند الصباح طلع المقدم سعد الدين الرصافى الى الديوان يكشف عن خبر
الرجال فرأى الدنيا منقلبة بقـــدوم جوان وقام ميخائيل وسلم عليه وأجلسه
الى جانبه ونظر شيحة الى جوان وأمعن فى البرنقش فقال له بالرموز ان أوقعنى
جوان فى هذه النوبة أنا مسيرى أخلص وأضربك انا بالسوط الغضبان فقال
البرنقش أنا اعمى عنك عيونه ولما نظر جوان الى شيحة فقال ساعدنى يا برنقش
فقال البرنقش أنت يا جوان كم من رأيته تقول هذا شيحة وانما هو يقول

انه طيار امسك عليه وقل له طر فقال له صدقت والتفت إلى البترك وقال له وقعته ياشيحة فقال له البترك كفرت يا جوان تنجس اسم البتاركة وأنا البترك الهول الطيار فقال جوان تعرف تطير قال نعم فقال جوان طير لما نشوف طيرانك فقال أنا أطير فى كل شهر مرة وهذا اليوم نصف الشهر فاذا انقضى الشهر أطير فقال جوان احبسه يا بب حتى يتم الشهر وننظر طيرانه كيف يكون فان كلامه كلام المجانين فعندها حبس شيحة وأقام فى الحبس إلى آخر ليلة من الشهر فقال شيحة يا حليم يا ستار وإذا بسيدى عبد الله المغاورى أتى له وقال له لا تخف ياشيحة خذ هذا البشت البسه وطير فان الله لك نعم النصير وأول ما هل الشهر أحضروا البترك الطيار قدام ميخائيل وجوان فطار إلى أعلى مكان فاندهشت القسيسون والرهبان وبعدمامال وقال يا أبناء النصرانية ها أنا نازل عليكم امسكونى وهذا الذى يدعى انه عالم الملة فانه كذاب فاقبضوا عليه وعلى وفتشونا وكل من رأيتم عليه آثار المسلمين افعلوا به ما تريدون ونزل فقال جوان اقبضوه فقبضوا الاثنين وفتشوا جوان فرأوه لابسا تبانا ومعه كشافية ومستحد ومعه اوراق مكتوب فيها نصر من الله وفتح قريب وفتشوا البترك فرأوا له فردتين ما بخرجهما قبان ووجدوا مشكل على عانته اشكال والوان فقالوا غلط يا ابانا أنت بترك وهذا شريحات الذى يدعى انه جوان فقال البرتقش هو شيحة وانا السابق فأركبوهم على ثورين وجرسوهم جرسة لانظير لها هذا والبرتقش يضحك على جوان ويقول له أنت شيحة وعامل نصرانى على شان الفداوية كان بخاطرهم وآخر النهار حبسوهم فى الحديد كل ذلك جرى والمقدم سعد الدين الرصافى ينظر ويرى وظن أن جوان هو شيحة واتفرج على جرسته ثم انه صبر حتى أقبل الليل ودخل إلى سراية البب ميخائيل فأرمى مفرده ودق السكك ومكن الرياحات وتساق فوق السور ورمى الاكرة ونزل عليها فرأى نفسه فى وسط دهليز رخام فخطا بقدمه فانفرك لوح من تحت رجله وانقلب فوقع الفداوى فى طابق غامق وانطبق عليه الغطا بقى مثل الطير فى القفص فقال سعد الدين والله ان هذه ما هى إلا وقعة قشرة وان ندمت على شيحة فشيحة محبوس وكيف يخلصنى ولكن عسى الله انت أين يا سلطان القلاعين وإذا بباب طاقة نور وقائل يقول تعال يا سعد الدين على فنظر إلى رجل بطريق اعور واقفا بشمعة فى يده بجانبه قفص كبير من الخشب الصاج فيه طير مزروق فقال له من تكون أنت فقال له انا خادم الطير الناطق خذه واطلع به من هنا حتى ألحقك بالسيف الساحق فتقدم المقدم سعد الدين واخذ القفص بالطير وسار به إلى الخارج وكان هذا شيحة لانه لما

حبس جوان وأقام مع البب ميخائيل الى الليل كان راود المحل بالنهار ودخل وبيده ماسكة المجس بجس الرخام ولا يضع رجله الا على الصحيح حتى وصل الى مقصورة البب ميخائيل ووضع الحجر على الاقفال ففتحها ودخل يجس الارض وتعلق على الحائط بصناعة حتى وصل الى القفص فقلعه من مكانه وطلع به فرأى المقدم سعد الدين طب فى المطمورة فخلصه وأعطاه القفص وعاد هو الى خزنة السلاح ففتحها وأخذ السيف ولحق الفداوى سلمه السيف وتركه وعاد إلى الحبس أطلق الرجال وأعطى المقدم إبراهيم الف دينار وقال يا أبو خليل الفداوية تصبروا فى الطريق على غير فائدة وسعد الدين الرصافى أخذ الطير الناطق والسيف الساحق وطلب المسير فاتبعه بالرجال حتى إذا لحقه اعداءه تكونوا مساعدين له فانكم أصدقاء فقال إبراهيم سمعا وطاعة وقال للفداوية سيروا بنا واستعدوا لمن يتبعنا وعاونوا سعد الدين ابن عمنا ثم أخذهم وطلب السفر [وأما] المقدم جمال الدين فانه دخل على الحبس الذى فيه جوان والبرتقش قبل دقن جوان بعدما بنجه وادخر دقنه فى طيز البرتقش وكتب تذكرة وعلقها فى رقبته وتركه مرمى وسار يقتفى أثر الفداوية وعند الصباح أفاق البب ميخائيل من المنام فلم يجد الطير فسأل عنه الخادم فلم أحد يعلمه بشىء هاتوا المسلمين لمارس رقابهم لانهم حرامية فراحوا إلى السجن فلم يجدوهم فقال هاتوا شيحة المحبوس فراحوا فلقوا البرتقش مكفى على وجهه ودقن جوان فى طيزه فضحكوا عليه وأعلموا ميخائيل فقام الى عندهم ورأى التذكرة فقرأها وقال له لما انت جوان وهذا البرتقش ومن وقع لك التيان ومن ألزم البرتقش يقول أنا السابق فقال البرتقش لما رأته طار وأنتم جميعا صدقتموه بقيت انا أكذب جميع الكرستيان وأصدق عالم الملة بعدما كذبتموه جميعا فقال ميخائيل يا ابانا كيف كيف الرأى الطير الناطق والسيف الساحق انسرقوا من عندى وانت الذى كنت السبب فى سرقتهم فقال جوان الخيل تتبعهم فيلحقوهم ويهلكوهم ويجىء الطير والسيف وإلا ينقل مقامك عند ملوك الروم فعندها ركبت الخيل وطلبوا البر الاقفر وقطعوا السهل والاوعار

[قال الراوى] وأما المقدم سعد الدين الرصافى والرجال الذين معه فانهم ساروا إلى الصباح وجدوا حتى تصاحى النهار وإذا بغبار ثار من خلفهم وعلا وسد الاقطار فاحدقوا اليه الرجال بالابصار فقال إبراهيم يا رجال ادركتنا الكفار وفى هذا اليوم يبان الفارس الكرار من الجبان الفرار وها نحن ما فينا الا كل بطل جبار وفارس قهار فما تم كلامه حتى تلاحقت بهم الخيل مثل قطع السيل فالتقتهم بنو اسماعيل تضربهم بكل سيف صقيل وغنى الحسام وقل الكلام وانفلق الهام وبطل العتب

والملام وصبرت الكرام وفرت اللثام وتصايحت بنو اسماعيل بانسابها وافتخرت بطعانها وضرابها وثقل على بنى اسماعيل العدد وتزايد العدد وقل منهم الجلد والجرح المقدم سعد الدين فى ثلاث مواضع وهو يضرب بالحسام القاطع ويدافع عن نفسه ويمانع فزنقوه الكفار وكان العسكر كله طالبه لما راوا الطير على كتفه فاراد هلاكه وتلفه ولما رأى نفسه هالكا ولم يجد له سلامة فارمى نفسه فى البحر وأراد الموت ولم يسلم روحه إلى الاعداء ولا يفوته الطير ويأخذ منه الغير فلما وقع فى البحر وإذا بسيدى عبد الله المغاورى أقبل اليه ومد يده فاخذه والطير على كتفه وقال له لا تخف يا بطل الزمان فان الله ناصر أهل الايمان بسم الله مجراها وعلى منة يافا مرساها وقذف به فى البحر وإذا به على يافا وقال له اطلع يا ولدى وروح حلب وانتم هناك حتى يأتوك الرجال وكانت حجرة الفداوى لما وقع فى البحر وقعت معه ولما طلع طلعت معه فركبها وسار الى حلب وأما بنو اسماعيل فانهم قاتلوا الى آخر النهار هذا وميخائيل ملك القسطنطينية غاب صوابه ونزل الى صيوانه وقد فاقبل جوان وقال حاربوهم كان فى السيل فقال مخيائيل يا ابانا الذى معه الطير ما رايته واذا بوزير الوب ميخائيل قال له أنا رأيت الذى معه الطير ينزل البحر وطلع من تحت الجبل ودخل فى مغارة وهو واقف يعصر ثيابه على الجبل فامعن البيه ميخائيل فرأى بطريقا واقفا على الجبل يعصر ثيابه فاراد أن يطلع فقال جوان اصبر يابيه لما يدخل الليل فصبر وساروا الى الجبل وطلعوا فرأوا واحدا طالق نار وهو ينشف ثيابه عليها فقال جوان امسكه فكل من وصل الى المغاره ينام جنب النار وكان هذا السابق وأما الوزير فهو شيحة ولما تبنجوا اصاب جوان فى المغارة وضربه مائة سوط وقال لميخائيل أذوقك يا معلون طعم السوط فقال أنا عرضك فقال له إن بات فى هذه الأرض من عسكرك أحد [illegible] فقال له ياسيدى ولا ساعة واحدة فاطلقه واخذ بعضه ونزل الى [illegible] وأمرهم بركوب الخيل والمسير تحت الليل وعاد بهم الى القسطنطينية وأما شيحة [illegible] رلحق الفداوية وامرهم بالسفر وقال يا سعد الدين أنت أخذت الطير [illegible] فقال سعد الدين كيف ما اصحى له وأنا رميت نفسى فى البحر لاجله ولا اسلم فيه [illegible] الرجال طلعوا الدارى الخوال فقال الرجال يامقدم سعد الدين اذا [illegible] أنت سلطان من يكون باش كراخى عندك فقال لهم صخر بن [illegible] أقبل الليل نزلوا فى قرب المعرة وباتوا وعند الصباح عدم الطير [illegible] على وجهه وركب يقتفى أثره واذا بدا حد بدوى مقبل وقال له ياشيخ

تعرف تذبح فقال سعد الدين اذبح أيه فقال هذا الطير فتأمل سعد الدين وإذا به هو الطير
الناطق فقال من أين يا بدوى جاءك هذا الطير فقال من هذا المذبوح وكان السبب
فى ذلك أرجوان فى عودته التقاه عايق من بحيرة يغرة يقال له فريعة البغروى فسلطه
على أن يتبع المقدم سعد الدين فتبعه وصار مقارنه حتى بانت له الفرصة ففتح القفص
وأخذ الطير وطلع فلقاه البرتقش فلما رآه قال له كيف عملت قال أخذت الطير قال له
تعال إلى جوان فمشى قدامه فحط يده على خنجره وطعنه به فى نفذ ظهره من صدره وأخذ
الطير وعاد فالتقى سعد الدين فاعطاه له وكان هذا شيحة فقال له يا حاج شيحة أما أنا
فقد أطعتك ولا بقيت بعد ذلك أعصى عليك فقال لما تروح الى مصر ولما وصلوا إلى
طابرية قام المقدم سعد الدين ونزل فى وسط البركة ونصب المزارق فى وسطها وعلق
عليها قفص الطير وقعد هو والرجال على شاطىء البركة طول ليلهم سهارى ولا نام
منهم أحد حتى انشق الفجر وطلبوا ازالة الضرورة وكل منهم بقى على حد رأسه
واطمأنوا ولما أصبح نور الصباح وجدوا الرمح منصوبا مكانه وقفص الطير لم يكن
معلقا عليه فقال سعد الدين كذا يا رجال فقالوا طول الليل ساهرون فقال سعد
الدين ايش الفائدة فى سهرنا انت فين يا سلطان القلاعين والحصونين أدركنى وإذا
بالمقدم جمال الدين أقبل قائد جوان والبرتقش مكتفين والطير بقفصه على رأس
البرتقش ووضعه بين الرجال وقال يا بنو اسماعيل خاصموا حتكم من هذا اللعين
فمالوا عليه حتى أهلكوا بدنه بالضرب الشديد قال سعد الدين يا حاج شيحة أخبرنى
أيش عمل هذا الكلب قال أنا أعلمكم وهو أن جوان خلع ثيابه ونزل فى البركة
وقعد البرتقش ينتظره وسار وهو يسبح حتى وصل إلى القفص وأخذه من على الرمح
بفنه وبياقته وكان المقدم جمال الد[illegible] [illegible]اله معه وأرمى دخنة [illegible] [illegible]برتقش وقبضه
وقعد محله فلما قدم جوان أخذ الطير منه فقبض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] شيحة
الى جوان وقال له يا ملعون وحق الذى لا اله إلا هو إذا لم ترجع عن [illegible] وإلا
ان قبضتك ثانى مرة لابد من صرمك [illegible] البرتقش [illegible] الملا [illegible]
ما زلت تحرقنى معك [illegible] [illegible] [illegible] عرف
أن التعب ما هو نافع فسافر بالرجال وكذلك [illegible] [illegible] طالبا مصر
الى أن وصل الى رأس الوادى وقطعه [illegible] [illegible] مصر
فوجد بركة ملآنة من ماء النيل فقعد الفداوى يشرب [illegible] [illegible]
فى تلك البركة [illegible] خاص قال له طير الجان [illegible] [illegible]
[illegible] فقال له سعد الدين تريد أن تستحمى فقال له نعم [illegible] [illegible] وسمك

من أجنحته وحمى كل جثته وقال له انت ما أنت مرتاح لأنك مكتف والمكتف ما يسع في الحوم مراده فقال الطير صدقت وأطلق له جناحا فدعى له فاطلق له الثاني فلما علم الطير أن أجنحته مطلوقة تمطى وقفز وركب الهواء وإلى الجوار ارتفع واستوى وقال يا آدمي عزى نفسك بيدك نحوى ما بقت تطول ولا لك على أخذى وصول روح بلادك واقعد عند أهلك وأولادك فلطم الفداوى على وجهه وبكى كما تبكي الحرمة الثكلى وإذا بولد عبد حبشي خرج عليه من قلب الغيط وضربه بالكف على وجهه وقال له كذا يا كلب بعد تعبك سنة أنت والرجال تضيعه بالمحال فقال له في عرضك تضربني الف نعال فاني ما أستاهل إلا ضرب النبال فتركه العبد ومضى إلى الغيط وعاد ومعه حشيش ملون وصور نتاية الطير ووضعها في القفص هذا والطير عالى فقال للفداوى روح برات الغيط وقف فطلع الفداوى وأما الفداوى فقد نزل في قلب البركة وأطلع بوفا وتكلم كلام الطير من البوق وهو غاطس في البركة فلما سمع الطير ذلك ظن أنها انثاه فحن من العالى ثم نزل إلى الواطى فزاد له في اللغا ذلك العبد حتى نزل الطير على شجرة فزاد له في الكلام فنزل على ظهر القفص فقطع العبد الكلام فدخل الطير في القفص فقفز العبد اليه وقفل القفص عليه فقال المقدم سعد الدين الرصافي أكثر من هذه الحيلة لا يكون بعدما انطلق الطير وبقى في الخلا تحتال عليه حتى يدخل في القفص ويحبس روحه ثابا بالله يا عبيد ما أنت شيحة هى طاعة الخوند لك حتى تعرم الأحجار في مأوات البحر عدوا من عاداك وصديق من والاك فقال له المقدم جمال الدين يا فداوى لما تروحوا إلى مصر يبقى لله الأمر والتدبير فقال ها نحن في مصر فقال شيحة اسمع يا فداوى اقف داخل قدام السلطان وطالب السلطنة على القلاعين والحصونين وطالب زواج بنت الأمير علاء الدين وكان الشرط في الديوان على مجيء هذا الطير وهذا السيف والحمد لله حصلا معا وبقيا معك فخذهما وادخل بهما للملك الظاهر واطلب منه حجة بالسلطنة وإذا حضرت بعدك أنا أطلب منى بنت الأمير علاء الدين البيسرى ولا تخش من شيء أبدا فقال سعد الدين والله يا مقدم جمال الدين لم يكن لك في الدنيا نظير وأخذ الطير وسار به حتى دخل به على السلطان ودعى له بالعز والدوام وقال يادولتلي هذا الطير الناطق والسيف الساحق يش قلتم يابنو اسماعيل فقالوا والله تستاهل فقال ياملك الدولة اكتب لى حجة بالسلطنة حتى أفرح واعزل شيحه فقال له السلطان حتى يحضر ويصدق عليها شيحة وإذا بشيحة طالع قدام السلطان واستقبله

فقال له كتبت حجة لسعد الدين الرصافي بالسلطنة فقال شيحة أكتب له بحضرتك

فقام سعد وضرب الاطاعه وقال اشهدوا يا بنو اسماعيل انى أنا عبد طائع للمقدم جمال الدين وهى طائعة الخوندا لك والاسم الأعظم فكتب اسمه على شوا كرة وقال له جمال الدين شيحة ردمال الأمير علاء الدين الذى نهبته منه وحضر حالك واجمع رجالك وادخل على حسنة بنت علاء الدين فانى زوجتها لك ففعل ما أمره به المقدم جمال الدين واعمل فرحا شريفا واجتمعت المحبون فيه ودخل بها وتملى بجمالها وخلفت منه ولدا اسمه سيف القضاء فى كلام إذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[قال الراوى] وأقام السلطان على تخت قلعة الجبل إلى يوم من الايام طلع الامير قلاوون مضروب فسأله الملك فقال ضربنى واحد فداوى نصرانى وأخذ منى الف محبوب فقال السلطان دوروا لى على الخصم يا مقدم ابراهيم فنزل المقدم ابراهيم وفتش طول نهاره وعاد بلا فائدة فلما كان ثانى يوم حضر علاء الدين مضروبا وثالث يوم سنقر وطال الحال حتى ان الغريم ضرب جميع الأمراء ولا أحد قدر يعرف طريقه إلى يوم حضر المقدم جمال الدين شيحة فاخبره السلطان وطلب منه الغريم فنزل وصار يدور ستة أيام حتى ضاق صدره فسار إلى مغاير الداخلية وقعد مختفى وإذا بغلام أقبل فالتقى عليه المقدم جمال الدين شيحة البنج حتى قبضه وقال له أنت من اين فقال له أنا ابن يعقوب الغندور فقال له ولاى شىء تؤذى الامراء بالضرب فقال لكون أبى أسلم وتركنى هكذا يفعل الآباء بأولادهم فقال له الحق بيدك ولكن اما ان أخذتك إلى الديوان أخاف عليك من نقمة السلطان والأمراء وإنما روح اقعد فى بيت أبيك حتى أطلبك منه قدام الملك الظاهر واصحى تخالف أحسن ما يبقى لك عذر بعد ذلك وطلع المقدم جمال الدين إلى الديوان وقال يا مقدم يعقوب يا غندور أنت لك ولد قال نعم اسمه عبد الصليب فأخذ نصر الدين الطيار وعيسى الجامرى ونزلوا إلى بيت يعقوب الغندور فالتقوا الغلام فقالوا له قم كلم السلطان فسار معهم إلى الديوان وقال يعقوب يا ملك الاسلام هذا ولدى [illegible] الملك [illegible] على الأمراء وأخذت مالهم وضربة [illegible] فيهم أكل عيش السلطان لانهم [illegible] فعل معهم هذه الفعال قال السلطان [illegible] المروءة أنا اليوم ابن الذى [illegible] [illegible] فقال الملك [illegible] فهم

فأخذه الاثنان عندهما مدة أيام الى ليلة جمعة رأى في منامه سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال له اسلم ياولدى ولا تسمى نفسك عبد الصليب فلا يعبد الا الملك القريب المجيب فأصبح وأعاد مارأى على عيسى الجاهرى ونصر الدين الطيار فقالوا له اسلم أحسن اليك فان دين الاسلام محبوب ومرغوب فاسلم وأتوا به الى قدام السلطان واعلموه باسلامه فقال له تمنى على تعطى فقال ياملك اتمنى عليك انشد للمقدم عيسى الجاهرى وأكون في خدمتك ساعي في الميمنة والبس كما لبس بنو اسماعيل الشد والزنط فالتفت السلطان الى بنو اسماعيل وقال ايش تقولون في هذا الرجل الذى غرضه ان يكون منكم ويتخلق بأخلاقكم ويكون تابعا لكم فقالوا ياملكنا هذا لايجوز لاننا نحن ناس أولاد اسماعيل الفلك وهذا ماهو منا بقى كيف يدخل فينا بالانسب وأيضا نحن أولاد ولنا ناس اختيارية في القلاع يحكمون علينا فاذا كان كذلك فاطلبهم بادولتلى واعرض عليهم هذا القول ونحن مانخالفهم فكتب السلطان كتابا وأرسله مع المقدم سعد للمقدم سليمان الجاموس يأمره بالحضور وصحبته كبار بنى اسماعيل فسار سعد الى المعرة وأعطى الكتاب للمقدم سليمان الجاموس فلما قرأه زعقت القارون واجتمعت الرجال فقال لهم السلطان طالبكم في مصر فساروا جميعا الى مصر ولما حضروا قدام السلطان أكرمهم اكراما زائدا وقال لهم اعلموا يامقادم ان هذا الغلام كان نصرانيا وانه والله فارس وانه أسلم واشتهى ان يكون منكم ويتخلق بأخلاقكم ويتشد لعيسى الجاهرى ويلبس الشد والزنط مثلكم وهذا الذى من أجله طلبتكم فعند ذلك قالوا الرجال ياملك الاسلام لايبقى منا الا اذا بين لنا بابه وشطارته فاذا فعل ذلك يستحق ونحن نرضى به فقال السلطان هذ تمنية منتها له بعد ان أسلم وكان اسمه عبد الصليب فسميته محمدا فقالوا ياملك لابد ان نريا همته وشجاعته فقال المقدم محمد الفندور اش الذى تطلبوه منى حتى استحق ان أكون منكم وترضيوا عنى فقالوا له احضر لنا كلموش الحكيم لاهوق من الارض الفواصة والسائية القلاقة من كنز الدم فقال لهم اذا رحت لتلك الارض واتيتكم بذلك الكابوش ترضوا عنى فقالوا له نعم ويبقى لك مالنا وعليك ماعلينا قال المقدم محمد الفندور والاسم الاعظم لابد لى ان أجيبه فقال المقدم ابراهيم ياولدى ان أردت أن تسافر خذ معك هذا الكتاب وأعطه الى ابى حسن الحوراني في قلعة عوران [illegible] على المقدم حسن وأعطاه الكتاب [illegible] شروط ماهى قدرته فاذا كان فيك [illegible] والاخذة في اعانة [illegible] له طاسة بيض

بالسمن حتى يأكل ويرتاح منه فقال المقدم حسن ياولدى اقم عندى هنا ولاتشوف الرجال ولا الرجال تشوفك فقال له أنا ياخوند حلفت بالاسم الاعظم الا اروح بقى كيف اقعد بلا رواح من بعد ماحلفت فقال له توكل على الله وسافر والله تعالى ينصر من يشاء والله يا ولدى ماأحد يقدر أن يحصل الذى انت طالبه أبدا فان الارض الغواصة تبلع الانسان وأما الساقية القلابة تقلب من جميع الاكوان وترمى سما كسم الثعبان وأما الكنز فانه مهول وهذا شىء تحتار فيه العقول فقال لابد من سفرى الى تلك الارض والوديان وانا بعت نفسى لدين الايمان وتوكلت على العزيز الديان فلما طلع من قلعة حوران وطلب البرارى والوديان فبينما هو سائر واذا به التقى رجلا قد اقبل عليه من البر وقال له يامحمد ياغندور اين رايح تدور فتقدما اليه وقبل يده وحكى له على طلبه وقال لما انت تعلقت بدين الاسلام فيجب علينا أن نساعدك على ماأنت له طالب فان حقك علينا واجب وقال خذ هذا البابوج وحط رجليك فيه وسر فان الارض لا تغوص بك وأنت لابسه وخذ هذه الطاقية وضعها على راسك فانها تخفيك ولا احد يراك وبهذا تقضى حاجتك وتبلغ مناك وهذه المقرعة اضرب بها الارض تطوى ويهون عليك السفر فعند ذلك اخذ الجميع وسافر الى أن أتى الى الارض الغواصة وداس عليها فلم تغص ببركة سيدى على المكى ومادام سائرا حتى وصل إلى باب الكنز وضربه بالمقرعة فانفتح ودخل وهو لابس الطاقية فرأى الحكيم وهو جالس والكابوش على راسه فخطفه من على راسه وطلع من باب الكنز وضرب الارض فانطوت حتى خلص من الارض الغواصة وكان المقدم جمال الدين واقفا له فى الطريق فقال ياسلطان القلاعين خذ انت هذا الكابوش احفظه وأنا دعنى على مهلى فلربما تلحقنى الاعداء فاخذه شيحة وغطس ما ان واذا بالنصارى اقبلوا عليه من كل فج فقال لهم مرحبا بكم يا كلاب الكفر وقاتل ماقصر كانه الاسد القسور الى آخر النهار ولما أمسى المساء تركهم يخبطون فى بعضهم وطلب الارتحال حتى طلع النهار ولحقته الكفار فقاتلهم فبينما هو كذلك واذا به رأى عسكرا من حوران يقدمهم فاطمة الحورانية اخت المقدم ابراهيم بنت المقدم حسن الحورانى واقفردوا على عصبة الكفار وكان الذى أحضرهم المقدم جمال الدين لانه لما عطاه محمد الغندور الكابوش سافر مثل الطير الى حوران وقال [illegible] الحورانى قم خذ و[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] فاطمة الحورانية [illegible]

[illegible]

قلعة الجبل وقال يا ملك الاسلام خذ هذا الكابرش الذى طلبه منى بنو اسماعيل فأخذه السلطان وتفرج عليه وإذا به من الحرير الملون وحوله سبعة صفوف من اللؤلؤ الكبير وبينهم سبعة صفوف من الحجر الالماس وفى وسطه فص جوهر يخطف بنوره البصر فلما تفرج عليه السلطان أخذ الوزير وتفرج عليه وبعده تفرج عليه الأمراء ووزراء الديوان واحد بعد واحد وإذا بالأمير جعفر قام وطلع فى باب الديوان وقال فرحنى أنا الآخر عليه فأعطاه له فقال يا ملك الاسلام أتأذن لى أن أحطه على رأسى فقال السلطان البسه فوضعه على رأسه وقال يا مسلمين ما هى مروءة أن يأتى واحد منكم حتى يأخذ الكابرش وإنما الشطارة انى أخذته أنا من وسط الديوان وأنتم جميعا ناظرون اليه ونزل من الديوان وغطس ما بان فاغتم السلطان وحلف يمينا الا يركب على بلاد ذلك الملعون وأمر العساكر بالركوب وبرز إلى العادلية وسافر إلى مدينة العرقوب فلما وصل اليها أقبل محمد الغندور وقال يا ملك الاسلام حط بالعرضى هنا فان هذه الأرض غواصة ونخاف أن تغوص بالعسكر وإذا بالسابق أقبل وقال يا مولانا كلم أبى فى هذا الدير فان البلد لا تملك إلا منه فقام الملك وأكابر العسكر وعبروا إلى الدير فلقوا أرواحهم كلهم فى الحديد قدام ملك البلد وكان اسمه صلبون ملك مدينة العرقوب فلما رآهم أراد قتلهم فقال الملك إيش هذا يا ملعون فقال تأخذوا كلبوشى وتطلبون حربى لما اتيتكم وأخذته منكم فقال السلطان لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإذا بسيدى على البكى اقبل وبيده جريدة خضراء فضرب الملك صلبون بها فى صدره طلعت من ظهره فانطلق الملك ومن معه من الحديد فكبسوا على البلد وقتلوا كل من فيها ونهبوها وأخذوا الكابرش بعدما قتل صاحبه ورجع الملك إلى مصر وأمر بشد محمد الغندور لعيسى الجاهرى وضبته به من جميع الرجال وجلس السلطان يتعاطى الأحكام على تخت مصر

[قال الراوى] ان الغدارية طلعوا إلى الديوان يطلبون مواجب ثلاثة أشهر فقال السلطان [illegible] تأتى الجزية من بلاد الروم وأنا أصرف لكم فصاروا كل يوم يطلعون [illegible] ينتظرون قدوم الجزية من بلاد الروم إلى يوم من الأيام والملك جالس وإذا [illegible] بخط شيحة يقول فيه ان خزنة الأفلاق أخذتها [illegible] فى السلطنة فلما تم كلامه بقراءته حتى [illegible] مضى النهار حتى قدم ثلاثون كتابا [illegible] الملك فاغتاظ السلطان وإذا بشيحه طالع

فلما رآه الملك قبضه فقال شيحة يارجال اركبوا وروحوا صهيون وخذوا كل مالكم من ابى محمد السابق فركبت الرجال فقال الملك كيف تأخذ الخزن حتى فقال السلطان حقك ياخاين فقال ياجلاد فاتيل الجلاد فاعطاه شيحة وقال اصلبه على باب الديوان فصلبه وبلغ الخبر الى بنى اسماعيل فقالوا لبعضهم اذا كان شيحة اتشق ماتى لما الافتح بلادالروم بسيوفنا وتسلطن وأحدا منا علينا ثم انهم ساروا والسويدية فقال المقدم ابراهيم انا هذه الشغلة ماهى داخلة عقلى ولاأصدق ان شيحة مات أبدا وانما قبل كل شيء نسير الى بلاد الروم ننظر ان كان شيحة أخذ خراج الملوك صحيح فساروا وطلبوا حصن صهيون حكم ماقال لنا وان كان غير ذلك نطلب نحن الخراج نقبضه ونفرقه على بعضنا وننظر شيحة مات حقا والا كذب فانى انا قتلته وقطعت رأسه فى حران فاتانى براس غيرها والصقها واما اعرف كيف عمل وهذه النوبة لابدلها من شغلة كان هو الكلام واذا بعسكر قادمة تتلوا بعضها بعضا وهم مقدار ستين الفا ويقدمهم ستة ملوك فلما نظرهم ابراهيم أدفع حجرته ومسك واحدا الطريق وقال هذا مايلزم له العسكر لمن من الملوك وايش سبب ركوبه على بلاد الاسلام فقال له نحن طليعة العسكر القادم واما الركبة قادمة وراءنا فقال المقدم ابراهيم ومن هو الملك الذى هو قائد هذه العسكر فقال هو ملك ملوك النصارى وأكبر البطارقة والعياق فى هذا الزمان واسمه البب صاحب أبو قرون

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك ان الله خلق بلادا اسمها اسبانيه وفيها من الملوك اثنان واحد اسمه ناطرين والثانى اسمه مطرين وهما شركاء فى المدينة فأحدهما خلف له ولد اسمه صلبون والثانى خلف بنتا اسمها صلبونة فزوجوا البنت للولد فخلفا ولدين بعد موت الكبار فسموا ولدا عبد الصليب والثانى صلبون وماتت البنت والولد متزوج صليب لصلبون اختار ياأخى المال والمواشى مسم المملكة تسم وكانا اخوين متحبين فقال له يا أخى لا تكن بيننا قسمة مطلقا أبدا لا يعرف الى ... شيء المال والسلطنة لك

فقال له يا أخى وانا مثلك المال والمملكة لك والأ... [illegible]

وحبلت نساؤهم سواء ومات صلبون وجلس عبد الصليب على الكرسى [illegible]

أخيه فأقامت بعد موت زوجها أياما قلائل وماتت وكانت [illegible]

وأراد الله سبحانه وتعالى أنها وضعت القرن ولدا [illegible]

الذين فصار الولد يرضع حتى كبر وطالت أظفاره [illegible]

جانب ... حتى ... الى خارجه وأخذ له ... فصار فى ... [illegible]

أحد ينزل يقعد بجنب قفص أمه إلى يوم طلع الملك عبد الصليب يزور قبر أخيه وأبيه فنظر هذا الغلام فعارضه فرآه ينزل القبر فتبعه فعلم أن هذا ابن أخيه فأخذه ورباه فطلع طويل القامة مقدار اثنا عشر ذراعا فقام يربيه ويتعجب من طوله حتى بقى عمره عشر سنين إلى أن كان يوم عيد فقال الملك لابنه خذ ابن عمك وروح به إلى خارج البلد تفرج أنت وإياه فأخذه وطلع به وكان اسم ابن الملك صلبون واسم ابن عمه ضانج

فقال ضانج يا صلبون كيف أنت ثيابك جدد وأنا ثيابي قدم فقال أنا ابن الملك وأنت يتيم فقال وأنا أبي ما كان ملكا وأما الملك بعد أبي والملك لي فقال له كذبت المملكة لي أنا بعد أبي فهجم ضانج على صلبون ابن عمه ومسكه من رقبته وعصر عليه خنقه فهجم عليه البطارقة وقبضوه بعد ما قتل منهم احد عشر نفرا ودخلوا على عمه وأعلموه انه قتل ابنه فقال هو ابن أخي وقتل ابني وأنا ما معي أولاد إلا الذي قتل فإذا قتلت ابن أخي لم يبق لنا أولاد وإنما خذوه وروحوا به إلى جبل الأفيال وارموه هناك فأخذوا ضانج في الحال وراحوا به إلى جبل الأفيال ورجعوا فقعد ضانج في ذلك الجبل فصار يتبعهم ويمشي معهم ويأكل من الأعشاب كما يأكلون ويشرب من المطر حتى مضت أيام الشتاء وطلع الصيف فصار يركب الأفيال ويطردها في الجبال ويتعلم على ظهرها أبواب الحرب والقتال مدة أيام وبعد ذلك اخذ له فيلا وصنع على ظهره مقعدا من الشمس وركبه ونزل به من على الجبل الى واد عميق فصار يتفرج في ذلك الوادي حتى حمي عليه الحر فاراد ان يستظل من الشمس فاتى الى تحت جبل فراى مغارة فدخل في تلك المغارة وصار يتفرج فيها فراى كنزا فنزل في ذلك الكنز فراى فيه عدة افيال وعدة حصان وسيفا وعامودا من الحديد الصيني فتصور في عقله أن هذا العامود وهذا السيف لا يحملهما الا كل فارس فاخذ العدة وركبها على الفيل فجاءت عليه بالسواء فركب عليه واخذ العامود والسيف وصار قاصدا إلى عمه فدخل عليه وقال له انا ابن ذلك هذه البلاد وانا احق منك بها فقال عمه امسكوه فما تم الكلمة حتى ضربه ضانج بالعامود في راسه كسرها وهد منه اساسه وقتل من كان حوله من اهله وناسه والوزراء والعساكر بين يديه فقال قالوا له انت صاحب البلاد والحاكم على جميع العساكر والاجناد فانعم على انفسهم وبعد ما قتل عمه احتوى على مملكته وبعد ذلك تزوج بزوجته واقام ملكا على مدينة اسبانير ودانت له العباد واطاعته العساكر والاجناد واجتمع عليه اهل الضلال والفساد حتى دانت له رقاب الملوك النصارى وصاروا يهادونه ويتحاذرون من شره وبعد أيام دار الملعون جوان على مدينة اسبانير فرأى خلاف ما كان يعهد فقال يا برتقش بقي لي زمان ما دخلت اسبانير ولا اعلم من بها بسبب كبير

فقال له البرنقش زمان البلاد ماخربت ولا قتل من فيها من الملوك لانك يا جوان ماتحل ببلد الا وتخرب ولا أرى ملكا تجتمع عليه الا ويموت فقال جوان وايش يخلصنا اذا مات كل النصارى والمسلمين فقال البرنقش ياجوان افعل ماتريد وعظمه فقال جوان يابب ضابح أبقيت كبير فى النصارى وعندك عسكر بكثرة قم واركب على بلاد المسلمين واكسب لك غزوة لدين المسيح فقال له اركب على المسلمين ايش فعلوا معى من القبيح حتى احاربهم فقال جوان جهاد المسلمين فرضه عليك المارى جعلص وان خالفت يغضب عليك المسيح فقال ما اركب حتى أضرب تخت رمل وأنظر ثم انه ضرب الرمل فرأى انه مايبلغ من المسلمين غرضا ولا يشفى مرضا ما دام أن شيحة معهم فقال المقدم صابح شف ياأبانا جوان أنا سمعت أن شيحة هذا سراق من المسلمين ولا فى الدنيا واحد يعرف حيله وأنا ما أرضى أن واحد يحتال على ويهلكنى كما هلك غيرى وأما أنا وحق المسيح مادام شيحة طيب على وجه الدنيا ما أركب على بلاد المسلمين ولا أعاديهم أبدا [قال الراوى] وكان المقدم جمال الدين شيحة له كشافون تفتقى أخبار جوان دائما ويردون له بالاخبار عنه وكذلك جوان كان له ركايز على المقدم جمال الدين شيحة فاتفق ان جوان لما اجتمع مع ضابح ابو قرن كان جاسوس المقدم جمال الدين شيحة حاضر وسمع ماجرى اعاده لشيحة واعلمه لربما اتفق عليه ضابح ابو قرن وانه لا يركب على بلاد المسلمين الا بعد موت شيحة فجرت هذه الفتنة بين السلطان وشيحة وامر السلطان بشنق شيحة كما ذكرنا وكان جوان حاضرا فى ذلك اليوم فصبر لما دفن شيحة وحفر القبر وشق بطنه واخذ قلبه ومحاشمه وملح الجميع واخذها وسافر الى اسطانبر ودخل على ضابح ابو قرن واراه محاشم شيحة وقلبه وحلف له انه قطعهم بيده من جثة شيحة فركب الملعون وجمع له جوان ملوك الروم بعساكرهم حتى بقى ضابح فى ثلاثمائة الف مقاتل وقدم ستة ملوك بستين الفا قدام عسكره طليعة وهى التى وصلت الى السويدية ورآها بنو اسماعيل وجاء ابراهيم الى بطريق منهم وحكى له على هذه الحكاية كما ذكرنا فلما سمع ابراهيم ذلك الكلام قال له يا معلم وجوان مع ضابح قال له نعم فقال له ابراهيم روح خالك فقال له ياسيدى أنا كنت اظن انكم تقتلونى وها انا حكيت لكم واطلقتمونى فقال له ابراهيم وانت فعندها دخل جوان الى قدام ضابح ابو قرن [illegible] عليه فقام اليه واكرمه وقبل يده وقال ما ذنبك حتى نقتلك نحن لا نقتل احدا الا [illegible] [illegible] السلطان [illegible] بطريق وكان اسمه سارح ياسيدى اقول [illegible] اشهد ان [illegible] [illegible]

[illegible]

امسكوا العصا من الوسط شنق شيحة حيلة حتى يعمل مكيدة مع ضانج وجماعته وإن كان شيحة لم يطلع من هذه الجثة التى انشقت وراح فى جثة غيرها فلا تصالحوا مع الظاهر ولا مع شيحة فانهم مثل البصل والحمص فى طعام اليخنى الله يريحنا من الاثنين وأما المقدم موسى بن حسن القصاص فان أتباعه كانوا فى الصيد والقنص فأتوا بشىء كثير من الصيد وهم فرحانون فقال لا تفرحوا حتى ننظر آخر هذه الداهية وكتب كتابا وأرسله من السويدة مع تبع من أتباعه إلى الملك الظاهر فلما قرأ السلطان هذا الكتاب خاف على بلاد الاسلام وظن أن الفداوية لم تعاونه على الحرب والصدام فأمر بركبة ألفين عام من عرب وأكراد وترك واعجام وأمر الرعاية أن تصلح للجهاد فامتثلت جميع العباد وأقام يجهز الركبة ستة أشهر وسافر قاصدا السويدية فلم تتم الركبة إلا بعد سنة حتى حط على السويدية فنظر إلى بنى إسماعيل وهم واقفون تجاه العدو فقال ما شاء الله انظر ياوزير الفداوية كيف أنهم واقفون فى وجه الكفار فلاشك أنهم سباع الاسلام آه يا حسرة عليك يا مقدم جمال الدين فانه كان حصن للاسلام والله إن هذه الفتنة التى جرت ما هى إلا امتحان من الله تعالى اللهم أجرنا من الفتن وأقام السلطان حتى أمسى المساء وإذا بالمقدم إبراهيم مقبل فقال السلطان هاتوا إبراهيم فطلع واحد من الأكراد وقال يامقدم إبراهيم كلم السلطان فجاء إبراهيم حتى وقف بأزاء السلطان فقال السلطان يامقدم إبراهيم انت غضبان على أى شىء فقال له إبراهيم أنا ماغضبت ولاحصل لى شىء أنت يادولتلى طردتنا وبعد ماطردتنا شنقت سلطاننا فطلعنا وقصدنا قلاعنا فرأينا هذا العدو قاصدا بلاد الاسلام فما ساءنا أن نتركه يتمكن من بلاد الاسلام فقال السلطان أنا صحيح شنقت شيحة ومرادى أن أجعلك أنت مكانه فقال إبراهيم ارضى لكن يادولتلى أظن أنك خنقت جثة من أربعين جثة له وبكرة يأتى فى جثة غيرها وكل من تعرض للسلطنة سلحه فضحك السلطان وقال له هات لى الفداوية حتى تتم هذه الركبة وانا أصرف لهم مواجبهم فقال ابراهيم هانحن يادولتلى بين يديك ولا نبخل بأرواحنا فان الجهاد فرض لازم علينا فكتب السلطان كتابا وقال له خذ هذا الكتاب واعطيه الى ملك هذه الركبة صانح أبو قرن فقال ابراهيم سمعا وطاعة وأخذ الكتاب وسار الى ضانج وهدده حتى قام وأخذ الكتاب وقرأه بعد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك الأعلى ولعنة الله على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام الملك الظاهر الى ... أبادى ضانج ابو قرن ... اعلم أن ركوبك على بلاد الاسلام ما ينوبك منه الا الندم فان كنت تريد سلامة ... فاقبض على حران وتأتى به خاضعا

قليلا وأحاسبك على ما تكلفت الركبة وأبايعك نفسك بالمال وأرتب عليك الجزية والخراج فى كل عام فان فعلت ذلك كان لك الحظ الأوفر وإن خالفته سوف ترى هلاكك وهلاك من معك والسيف أصدق من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والسلام على نبى طللت على رأسه الغمام فلما قرأ الكتاب قال لجوان تأخذ تقرأ كتاب رين المسلمين قال أنا عارف الذى فيه كذا كذا كلام قرقيش لا فيش ولا عليش اكتب له بالحرب فكتب الملعون بالحرب وطلب ابراهيم حق الطريق وأعطاه فأعطاه الف دينار ورجع المقدم إبراهيم إلى السلطان الكتاب ورد جوابه فرآه بالحرب شرمطه ورماه وأمر بدق الطبل حربى حتى طلع النهار وبرزت الكفار فنزل أيدمر البهلوان وقاتل فارسا بعد فارس حتى قتل اثنى عشر وأسر تسعة وثانى يوم نزل المقدم حسن النسر بن عجبور فقتل ثلاثين وأسر ستة وعشرين ودام القتال على هذا الحال أياما طوال فضجت النصارى وقالوا يا أب ان المسلمين لم يمت منهم أحدا وأما النصارى ما أحد منهم ونزل يعود وهذا شىء ما لنا فيه فائدة ونحن جئنا نقتل المسلمين وإلا جئنا المسلمين يقتلونا فقال جوان لا تخافوا يا أولادى كل من مات يرجعه جوان ثانى مرة طيبا فقالوا له قم أحى الذين ماتوا حتى نطمئن فقال جوان لما يتكامل قدر مائة ألف أطبخهم مرة واحدة لأن القليل لا ينطبخ فقالوا علمنا انك كذاب وطعم الموت مر ما يصبر عليه عبد ولا حر فقال جوان يا أب ضابح انت عجزت عن النزول إلى الميدان أرسل أطلب لك نجدة وإعانة من ملوك الكرستيان فقال وأش رأيت من عجزى حتى قلت هذا الكلام فقال عادات الملوك وقت الحرب يتقدمون ويكسرون عزم أعدائهم وأنت قعدت وتوكلت على عساكرك مع ان عسكرك لا يبالى بالنصرة ولا بالكسرة قم انزل للمسلمين وعرفهم مقامهم ان كنت شجاعا وإن كنت عاجزا أنا ارسل البرتقش يأتينى بملك من ملوك النصارى يساعدنا على حرب المسلمين فقال له المقدم ضابح ياجوان أنا اقدر وحدى احارب المسلمين جميعا ولا أعود عنهم حتى افنيهم بالحسام ولا أبقى شيخا منهم ولا غلام وبكرة أوريك ياجوان ولما كان ثانى الأيام ركب ضابح أبو قرن ونزل الميدان وطلب الحرب والطعان فنزل اليه منصور العقاب بن كاسر وتقاتل معه ساعة زمانية حتى استوى معه ومسك العامود من طرفه وضرب به منصور العقاب وكانت ضربة جبار فخذفه عن السرج إلى الأرض والمهاد وضحك ضابح عليه وقال له قم يا كناس ولا بقيت تعود إلى القتال والا أقطع رأسك وأهدم أساسك فقام الفداوى خذلان فقفز اليه المقدم جبل ابن رأس الشيخ مشهد فتقاتل معه ساعة وأخرج رجله من الركاب ونزل إلى

الأرض وجرى حتى وصل اليه وضربه بالعامود فأرماه وقال له انت من فرسان المسلمين كلكم فشار فنزل صوان ابن الافعى كذلك عيبه ولو أراد قتله ما كان تركه وإنما الملعون على قدر قوته وطول اقامته نفخ الشيطان فى معاطفه وأوراه ان الخلق كلهم دونه ودام الامر كذلك حتى أركب وأنزل إلى هذا الشيطان فقال الوزير ياملك الاسلام اصبر فان عندنا الرجال واعلم أن المقدم إبراهيم المقدم سعدلم ينزلوا الميدان فقال السلطان أنت يا إبراهيم مكتوب عندى راحات الحرب إذا اشتد الكرب وهذا الكرب قد اشتد وأين عزمانكم ياسبوع الاسلام فقال إبراهيم يا دولتلى كلما اشتد الحرب هان وهاأنا إن شاء الله تعالى لابد ما أنزل إلى الميدان وأتقاتل مع هذا الشيطان مقام الحرب والطعان واربح منه أهل الايمان واكسيه من دمه حلة أرجوان وبعد قتله أخوض بحجرتى فى قلب هؤلاء الكفار أهل الطغيان وأشتت شملهم فى البرارى والوديان وأفنيهم بالسيف اليمان

ثم إن المقدم إبراهيم بن حسن صاح على المقدم على ابن الشباح وقال له قدم لى حجرتى فقام وركب حجرته بعد ما لبس عدته وتقلد بشاكريته وأسبل على جسده درعا داودى صنعة نبى الله داود عليه السلام وبرز إلى حومة الميدان وقال لضابح جشنك ياعدو الرحيم الرحمن

فقال ضابح انت من فرسان المسلمين فقال إبراهيم وايش قصدك بمعرفتى هل أنت رايح تناسبنى دونك والقتال فان الرمح المعتدل القوام وانطبق إبراهيم على البب ضابح أبو قرن انطباق الجبال وأخذا فى الحرب والقتال وطعن الرماح الطوال وغرقوا فى بحور الاهوال وكانت لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويشيب من هولها الطفل المولود ويعلم الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود ثم انهما انطبقا انطباق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود وهمهما بعضهما على بعض همهمة الاسود فقام الملعون ضابح فى ركابه وهو كأنه قطعة جلمود وصفح المقدم إبراهيم بذلك العامود وأراد أن يعدمه نفسه بعد الوجود فأخذها فى الطارقة فنزل العامود كأنه صاعقة فكسر الطارقة فحط يده إبراهيم فى ذور الحياة وقد أيقن بالممات وصاح على ضابح ومال عليه فضربه بالعامود ثانيا فزاغ إبراهيم عن الضربة وتقاتل معه إلى آخر النهار فضربه ضابح ثالث مرة بالعامود فالتقاه على ذو الحياة فطار ثلثه فضربه بالثلثين اللذان فى يده ورجع ازاغ عن الضربة اللعين بمعرفته فشى الليل واندق طبل الانفصال رجع المقدم إبراهيم بن حسن من الميدان وهو من الغيظ ملآن حتى وقف قدام السلطان لكنه خجلان فقال للسلطان أهلا وسهلا تقبل منك الغزايا

يا سبع الاسلام فتقدم وقبل يده فقال الملك والله يا بوخليل ماقصرت فى حرب الملعون وما هو والله الاجبار فقال المقدم ابراهيم ياملك الدولة بركادين الاسلام تساعدنا على هذا الشيطان وأما ضابح فانه رجع مغتاظ حتى وقف قدام جوان فقال له جوان يا مقدم ضابح هذا المسلم الذى حاربك اليوم اسمه ابن الحورانى فلا تخف منه لانه فشاور ولا يعرف شيئا الا أن كان المطاوباتو إلى ذلك الحال وأما ملك الاسلام فانه مقيم بعد العشاء وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل فقال إبراهيم حديد قزبر سبع معادن أنا قلت شيحة ما يموت ومولانا السلطان يقول انشق وأنا ضيعته فى حوران بيدى وما أعرف من أين جاه له رأس غير الذى قطعتها تقولون القطط لها سبعة أرواح وشيحة سبعمائة روح فقال الوزير يا مقدم جمال الدين ايش الخبر فى هذه الفتنة فحكى شيحة للوزير كون أن هذا الملعون ضابح حلف ما يركب الا بعد موت شيحة فعملت هذه الحيلة حتى أن السلطان يشنقنى والسابق ابن الجلاد وشاع الخبر بموت صيحة وبلغ أمره جوان وبالليل نزل التربة وأخذ عاشم اليهودى الذى شنقناه مع قلبه وراح إلى ضابح هذا وركبه وأتى به إلى بلاد الاسلام حتى أن الله تعالى يجعل له الحمام وننتقم منه غاية الانتقام فقال السلطان أما حيلك ياشيحة لم يكن سبقك لها أحـــد لا من هو قبلك ولا من بعدك قال شيحة حتى يرتاح خاطرك يا ملك الاسلام وتغضب على وتشنقنى فضحك السلطان وقال له وهذا الوقت ايش يا أخى يكون العمل فى هذا الملعون ضابح فقال شيحة أنا اروح اليه والامر بيد الله وطلع المقدم جمال الدين فاطلع مرآة الانقلاب وتصور بصورة ولدا مرد جميل عمره خمسة عشر سنة وسار إلى عرضى ضابح ابو قرن بعد ماصنع له طرطورا بجناجل مزوق بالودع والخرز الاخضر والاصفر وفيه من جميع الاشكال ولما دخل على ضابح كان جوان قاعدا بجنبه فنظر اليه وتغابط حاله وقال يابرنقش ساعدنى فى هذا الشابردى المقبل ما هو شيحة قال البرنقش هذا ايش تقول شيحة دفن قدامك وأنت قطعت قلبه وبالوصه وكيف طلع ثانيا يكون من اولاده فقال جوان ما هو من أولاده أما أن كان شيحة حبى كنت أقول هذا هو هذا وضابح ابو قرن لما نظر إلى الشابردى ونظر ا جوان وهو يتروا د مع البرنقش فقال يا جوان ايش تقول للبرنقش فقال يابب تراولت من هذا الشاردى لا يكون شوبحات فقال ضابح والحجة التى أخذتها عليك بموته وقلبه وبالوصه الذى جئت بهم الى عندى حتى ركبت كانى عندك مسخرة وحق كانا ميتا أن قلت لى أن شيحة طيب ولا مات اضربك

بهذا العامود فى رأسك وأريح منك المسلمين والنصارى قال البرتقش قل طيب شيحة خليه يأخذك عمر لأجل ما يرتاح المسلمين من عشيتك فقال جوان شيحة مات وانقضى حاله وانفسد كتاب اليونان هذا والشابورى صار يلعب قدام ضابح أبوقرن حتى أذهله من اللعب وجوان كلما يراه يفعل ذلك يغتاظ وأخيرا أخذ قلنسوة جوان برجله وحذفها فى الهواء والقفها برجله ثم ردها على رأسه ثانيا وجوان ينظر ذلك ونفسه كادت تخرج من جثته وما دام كذلك إلى أن طلع النهار وكانت هذه الليلة كلها ضحك ولعب فبطل الحرب ذلك اليوم واجتمعوا على ذلك الشابردى طول النهار إلى آخر النهار فقال المقدم ضابح ياشابردى أنت نم تحت سريرى فقال مليح وراح جوان الى مكانه ولما جن الليل قام المقدم جمال الدين شيحة وبيده على خنجر امضى من القضاء والقدر وضرب ضابحا فى لبته فاستحس الملعون وهم قبل وصول الخنجر اليه ومد يده فقبض على شيحة وهو الشابردى فقال له أصدقنى فى الكلام بحق دينك وما تعبد أنت من المسلمين فقال له أنا المقدم شيحة جمال الدين وهاأنا وقعت فى يدك فاقض ما أنت قاض فقال اخبرنى جوان أن شيحة قد مات فقال كذب جوان وإنما أغراك على هلاكك وفناك وخراب بلادك وقطع عساكرك وأجنادك فقال ضابح هاتوا جوان فأسرعت الخدمة وأتوا به فقال ضابح ياجوان انت قلت أن شيحة مات وهذا شيحة طيب وكذبت لى حجة بالكذب وأغريتنى حتى ركبت على المسلمين فقال جوان يا بنى اقتله فقال وأنت ما أفعل فيك ثم أمر بحبس شيحة فى الحديد ووكل عليه ثلاثمائة غفير وقال هاتوا العدة لجوان فقال جوان يا بنى إذا ضربت جوان تكفر فقال ضابح المسيح عالم بى وبك أنك تستحق القتل فأنا أكرمك بلا قتل ولكن أضربك ألف كرباج وارماه تحت العدة وضربه ألف كرباج وحطه هو والبرتقش فى الحبس ورتب عليه الغفرا وعند الصباح ركب المقدم ضابح وبرز الى حومة الميدان ونادى بأعلى صوته وقال يامعاشر المسلمين اعلموا أنى قبضت على شيحة ووضعته فى الحديد وحبست جوان ولكن أى شىء هذا الطول وسفك الدماء حرام فى كل الاديان أنا طالب ملك المسلمين وملك المسلمين طالبى وها أنا نزلت الى الميدان ومرادى انفصال الحرب والطعان فليبرز لى ملك المسلمين اما قتلنى أو أسرنى انفصل القتال وان أنا أسرته وقتلته افعل به ما أريد من الفعال ولا تكلموا فى غيرنا خوفا من الهلاك والوبال فقال السلطان من هو فى فليجب هات الحصان يا عثمان فقدم له الحصان وركب ونزل الى الميدان وقال تلك يا ملعون ها أنا الملك الظاهر فانطبقا الاثنان على بعض وأدهشت أصواتهم مثل الرعد وخرجا من الهزل الى الجد ووسع المجال طولا وعرضا

فتمايلا على السروج واندفقا كالمروج وتعلمت الفرسان منهما كيف الدخول للحرب وكيف الخروج ومالا على بعضهما كأنهما جبلين وافترقا كأنهما بحرين وحان عليهما الحين وزعق على رؤوسهما غراب البين سبق بينهما الضدين قاطعين قاتلين واصلين إلى إلى البدنين فأما ضربة الملك الظاهر فانها كانت بالت الدمشقي خلا عنها ضابح أبو قرن فوقعت على قربوص سرجه فانكسر وداخ الحصان من ثقل الضربة وتعتع فنزل ضابح إلى الارض واسلت حربة من البولاد وحذفها فجاءت فى فخذ الحصان فشكته فى جنب الحصان فلما حس الحصان بسن الحربة فى جنبه فطار بالسلطان كأنه من بعض العيار وقصد الى عرضى الكفار والتهى السلطان بنفسه فما شعر الا وهو فى وسط الكافرين فداروا به شمالا ويمين وأنزلوا من على الحصان وهو غائب عن الوجود وأما ضابح فانه اراد أن يفتك بالاسلام فاعترضه إبراهيم بن حسن وحاربه إلى آخر النهار فاندق طبل الانفصال وعاد ضابح إلى خيمته ونظر الى السلطان فرآه مجروحا فحبسه عند المقدم جمال الدين شيحة هذا ما جرى ونظر الاغاشاهين إلى هذا الحال فأيقن بالنكال وقال يا بطال الاسلام اعلموا أن مولانا السلطان بقى ميسورا وكذلك شيحة وهذه أعداؤنا ناس كثير ما هم قليل فالنوم لا يكون إلا بالسهر ولا أحد قط يتخاف عن رفيقه وينام وحده فان الاعداء محتاطون بنا فهم كذلك واذا ثلاثة مقبلين قابضين على خناق بعضهم ومتشابكين فقال الوزير ما الخبر وتبينهم واذا بهم أولاد شيحة فقال الوزير على أى شيء تتقاتلون فقالوا على اثنين ما لك السلطان وأبينا المقدم جمال الدين ومرادنا ياوزير أن تكون معنا فى هذا التدبير حتى تخاصمهم وأنت تشهد علينا فقال الوزير أما أنا اذا رحت معكم فلا فائدة فى رواحى لانى لا أعرف الحيل مثلكم فاذا مسكونى أبقى أنا الثالث والوجه الثانى انى أنا نائب السلطان على العرضى فقال صدقت يا دولتلى فقال نور الدين يا خوندات انبعونى وأنا أدلكم على الطرقات وسار فتبعته السابق ونورد ونوبرد حتى وصلوا مفرق الطرق وطلع بهم الى الجبل ونزل من خلف عرضى الكفار وقال تفرقوا والاجتماع يكون عند صيوان ضابح أبو قرن وكل منهم طلب فريقا وداموا حتى اجتمعوا عند ... الصيوان بتاع ضابح اما السابق فانه جاء من قدام الغفر وشاغلهم حتى أرمى البنج النار التى بين أيديهم ونورد دخل من خلف الصيوان بعد ما [illegible] الصيوان ما خلع وندا ونوبرد فعل مثله وخلع وتد ودخل واحد فلك شيحة [illegible] وأما المقدم نورد فانه لاحت منه التفاتة فرأى العجل الادهم [illegible]

قائم على بابها فتنام جنبه ونحره من أعنه الى آذنه فكان السلطان وشيحة طلعوا إلى خارج عرضى الكفار فقال الملك أنا خلصت منهم ولكن لاأقدرامشى بالليل وإنما كا خلصتمونى! سرقوا لى بعض الخيل فقال نور الدين يادرلتلى اركب حصانك فأنا ما كان شغلى فى هذه الليلة الاهو فركب السلطان وسار الى عرضى الاسلام تحت جنح الظلام وبات فلما أصبح جمع الرجال الفداوية والامراء الظاهرية وقال يارب الدولة اعلموا أن هذا الملعون ضابح أبو قرن رجل جبار ولاعليه فى الحرب عيار وكل من سن لى حربة ويحمل طعنه وضربه فله عشرة آلاف دينار ان غلبه فلما سمع المقدم إبراهيم هذا الكلام فقال له اعطنى عليك سندا يامالك الاسلام وأنا أضمن لك قتل الملعون ولا أعود من الميدان إلا إن هدمت أساسه وأعدمه أهله وناسه واعفر بالتراب خده والعن له أباه وجده فكتب له بذلك حجة فأخذ الحجة ابراهيم ونزل طالبا الميدان هذا ما جرى

وأما المقدم ضابح فانه لما أصبح ولم يلق لاالسلطان ولا شيحة فاغتاظ وصاح على السجانين واحضرهم بين يديه وضرب رقابهم أجمعين وبعدها أحضر جوان وضربه حتى مزق بالضرب جلده ثم انه ركب وطلب الميدان واختلط عقله بالجنان ونادى يامسلمون انا أسركم وانتم تهربوا وللحرب تطلبوا ودينى كل من وقع فى يدى ما بقيت أتركه إلا بقطع رأسه وخمد انفاسه فما تم كلامه حتى صار المقدم ابراهيم بن حسن قدامه وقال له لاتفتخر ياملعون انت اسرت من الحرب والقتال وهرب منك يا ابن الانذال دونك ومقام النزال ان كنت من الابطال فانطبق الاثنان وهاجا على بعضهما كما تهيج فحول الجمال وهمهما همهمة الاسود فى الدحال وطال بينهما المطال وهما فى حرب وقتال وطعن ونزال تارة يكونا فى الميمنة وتارة يكونا فى الميسرة وتارة تجرى بهما الخيل خببا وتارة قهقرة وانعقدت على رؤوسهما الغبرة وكانت لهما ساعة عسرة اذهلت من الشجاع بصره ودام بينهما القتال إلى ان اذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال واندق الانفصال ورجعا عن القتال ودخل ابراهيم بن حسن على السلطان فهناه بالسلامة وبات وأصبح نزل إلى الميدان وتقاتل مع ضابح أبو قرن كما كان ودام الأمر كذلك سبعه عشر يوما فتضايق السلطان فقال سعد بن دبل يامقدم إبراهيم ما أنت قياس هذا الرجل اتركه خلى غيرك ينزل يقاتله أولا تأخذ لك راحة وثانيا تعرف الناس ان الحمل الذى تحمله أنت ثقيل على غيرك فانى أنا أول الناس دخلنى فى قتاله الطمع فقال المقدم ابراهيم يا عفاق أنا لى ثمانية عشر يوما احارب هذا الملعون فان كنت انت طمعان فى

قتاله دونك هذا اليوم فقفز المقدم سعد إلى الميدان والطم ضابح ابو قرن فالتقاه ولم يعرف انه طيار فقاتله وطاوله حتى بانت له منه فرصة فضربه بالعامود حكم الضرب على قفاه فوقع إلى الارض والفلاه وأراد ضابح أن ينزل بالحسام عليه وإذا بنصر الدين صار بين يديه فقاتله ساعة زمانية فأيقن بالبلاء والرزية ونظر المقدم سعد إلى ولده فأراد أن يدركه فسبقه المقدم عيسى الجماهرى ونظر إبراهيم ذلك فخاف على ولده من المهالك وكان ذلك فى نصف النهار فلما خاف على ولده من الرزية صرخ بين آذان السلمختية والطم ضابحا ابو قرن لطمة مكدرة تعتعة باعا وذراعا إلى ورائه وكان ضابح تمكن من عيسى الجماهرى وأراد أن يقتله ولولا أن أدركه المقدم ابراهيم والا كان ضابح اسقاه كاس الحمام فقال ضابح لاى شىء منعت منى غريمى يا ابن الجورانى فقال له هذا صبى جاهل ما هو معدود من الرجال وأنت طالب حرب الملوك الثقال فدونك والحرب معى وخلى عنك المحال ثم انه انطبق عليه وقاتل قتال جبار ودام معه على هذا العيار إلى آخر النهار فضربه ضابح بالعامود وكان باقى ثلثيه فوقف المقدم ابراهيم فى الركاب وتوكل على رب الارباب فجاء اليه المقدم ابراهيم بقطعة من حجر المنجنيق وله حفيف وزهيق فاختطفه المقدم ابراهيم من الهواء وأعطاه الله تعالى الحيل والقوى وصاح يا سيدى غوث يا ساكن حلب وحذفه بالعامود فوقع على رأسه كسر الخودة وفلق رأسه وهشم رقبته ومات من وقته وساعته وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ونظر جوان الى ذلك الحال فهز الشنشانين وقال دا لى يا أبناء النعم انية فركبت الكفرة اللئام فالتقتها ابناء الاسلام وغنا الحسام وانفلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام وبطل العتب والملام ونصر الله الاسلام ونظر جوان الى هذه الاشارة ولقى نصرة الاسلام وهلاك النصارى فصاح ابرنقش داهية الحارة كبيرة أو هربه وضاق فى وجهه كل مذهب فبينما هو طالب الحرب واذا هو بعساكر قادمة مثل الطيور الحائمة فعند ذلك فرح جوان بتقدم الامم وسأل من يكونوا وقدمهم من يكون فقال له هذا كيحية المقدم ضابح واسمه لتدم صهيون ومعه خمسة وأربعون الف بطريق كل واحد منهم كأنه نار الحريق ففرح بهم جوان وقاد معهم وايقن بالامان وحكى لهم أن ضابحا مات وطلب منهم أن يأخذوا له بالثار من المقدم صهيون ودينى لم ابق من المسلمين من يمشى على قدم واذبحهم ذبح الغنم هذا ما جرى [ما] لك الاسلام فانه اعطى نواب البلاد قسمها فى الغنيمة ثم امرهم أن يروحوا الى اماكنهم وأعطى الادرسية حتى ارضاهم وامرهم ان يروحوا الى قلاعهم ولم يبق الا السلطان الابن اسماعيل وعزم بعد ذلك على الرحيل واذا بالمقدم صهيون قادم اليهم بعساكر

كالقربان ومعه جوان والبرتقش الخوان فأقام الملك بعد ما كان نوى الرحيل وكتب كتابا وأعطاه إلى المقدم إبراهيم وقال له روح به إلى هذا الملعون وهات منه رد الجواب فسار الفداوى بالكتاب حتى دخل إلى ذلك المرعى ودخل على المقدم إصبيون وقال قاصد ورسول فقال هات كتابك وخذ رد جوابك فقال المقدم ابراهيم قم على حيلك وخذ كتاب السلطان واقرأه وهات رد الجواب وحق الطريق بادب وإلا أوريك مقامك بين عساكرك وأقوامك فقام المقدم صبيون وأخذ الكتاب فوجد فيه يا ملعون أن ضابح قدمات فان كنت تعتبر بموته ارجع عن العناد وتعال إلى عندى خاضعا أباعك نفسك بالمال واحمد عليك الجزية مثل ملوك الروم فهو خير لك وان خالفت ألحقتك بضابح والسيف أصدق من الكلام والسلام فقال جوان أكتب بالحرب فكتب به فقال ابراهيم هات حق الطريق فقال المقدم صبيون اعطيك حق الطريق لكن أنت الذى قتلت ضابحا فقال له نعم وألحقك به عن قريب إذا لم تخضع لملك الاسلام وإلا اسقيك بشرب كاس الحمام ولا ينفعك جوان ولا صابح ولا أحد من جميع الانام والليل امسى

[قال الراوى] قال المقدم صبيون انت الذى قتلت ضابحا فقال إبراهيم نعم وسوف ألحقك به عن قريب لانا الذى أقتلك واجعلك مرمى فى القفار وآخذ للمقدم ضابح بالثار فقال إبراهيم بن حسن أنت هات حق الطريق وخلينى أروح من قدامك بامان وعندما تنزل إلى الميدان ها أنا حاضر ليس غائب القى املك ماتريد قال صدقت وكان له خمسة وأربعون مقدما فامرهم كل واحد منهم يعطى للمقدم ابراهيم الف دينار فاخذ ابراهيم الاموال عاد إلى السلطان فاعطاه الكتاب ورد الجواب فالتقاه بالحرب فشرمطه وأمر بدق الطبل الحربى فلما كان عند الصباح كان عند المقدم صبيون خمسة وأربعون فداوى نصرانى كل فداوى يتبعه الف بطريق فامر واحدا منهم أن ينزل الى الميدان فنزل وقاتل فاسر خمسة من الامراء وعاد فقال صبيون اى شىء عملت فقال اسرت خمسة قال كل هذه شطارتك فى كلب ضربه بالحسام على وريديه فاطاح رأسه من على كتفيه فقال له المعادم لاى شىء قتلته فقال هذا ماهو نافع وانا ما اريد الا الذى تكون فيه شجاعة زائدة وأطلق الخمسة المأسورين فذا وجوان التفت الى البرتقش وقال ياسيف الروم اى شىء هذا الحال فقال البرتقش طاوعنى خلينى أحوك الك الحركة فلا عاقة من شيحة هذه المرة وان كنت محتاجا الى العاقة خليك لما تاكلها فقال جوان اصبر واحضر اثنين كاخوين من اتباع صبيون قد دونكم ونوى على الاسلام الحقوه واقتلوه قبل ما يقاتلكم ثم ان جوان قام به شاغله هو والبرتقش حتى يتجوه اعطوا الى الاثنين

وقالوا لهما روحوا به إلى ذلك الجبل واقتلوه فاخذه الاثنان تحت الليل وطلعا به كما امرهما جوان لما بقيا فوق الجبل فايقظاه فنظر لهما وهو مكتف فقال لهما لأى شيء فعلتما هذه الفعال فقالا له يامقدم صهيون انت صبات إلى المسلمين وقد ظهر لنا الدليل لكونك قتلت الذى حارب المسلمين والاسرى اللذين جاء بهم اطلقتم فعلمنا أنك مسلم والبركة جوان أمرنا ان ناخدك ونقتلك فى هذا المكان فقال لهما المقدم صهيون أما الاسلام لابدلى منه لان المسلمين ماعندهم خيانة مثل الكرستيان وأنا نذرت لله نذرا أن خلصت من أيديكما اروح إلى المسلمين واقيم معهم واجاهد فى النصارى وان قتلتمانى فانى أقول أشهد ان لاإله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فما تم كلامه الا وفارس مقبل كانه الاسد وقال حاس يا كلاب الكفار وضرب اول واحد بالشاكرية فى وسط قامته فشرطه إلى حد سرته وضرب الثانى على كتفه اليسار فاخذ رقبته وكتفه اليمين طار ونزل إلى الذى فى الارض فتاه له وإذا به المقدم صهيون فقال المقدم إبراهيم أى شيء أتى بك إلى هذا المكان ولك مقادم وديوان فقال له يامقدم ابراهيم هذه افعال جوان وانا فى عرضك خلصنى حتى أكبس هؤلاء تحت الليل فانهم خائنون ففكه المقدم ابراهيم وقام قبل يده وقال أشهد ان لاإله الا الله وان محمدا رسول الله ثم انه دخل الى عرضيه وجرد شاكريته وقال الله أكبر وصاح المقدم إبراهيم الله أكبر ووقع الجنك فى الظلام سمعت ابطال الاسلام واقبل المقدم سعد بالبياسنة ومعه ولده نصر الدين الطيار وسمع المقدم عيسى الجاهرى فاقبل بالحوارنة وهجموا على خيام الكفرة اللئام وضربوهم بكل سيف صمصام فكانت ليلة مظلمة معتمة فما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاء الا وجميع الكفرة بين قتيل واسير ولا نجا منهم الا الذى تحته جواد سابق وفى أجله تأخير فاحضروا الاسارى قدام السلطان واعرضوا عليهم الاسلام فاسلم منهم الفان والباقى ضربوا رقابهم فقال السلطان المقدم صهيون تمنى فقال يامك الاسلام أتمنى على الله وعليك ان تامرنى أعمر لى قلعة وأقيم فيها برجالى وأنشد المقدم ابراهيم فانعم عليه السلطان بما طلب وضمن له المقدم ابراهيم بناء القلعة من ماله وحضر المقدم سليمان الجاموس وأنشد المقدم صهيون المقدم ابراهيم وبنى له القلعة وهى الى الآن بجانب حوران اسمها قلعة صهيون وأما السلطان فانه سافر الى مصر وانعقد له الموكب وصرف إلى الرجال مواجبها بعد قسم الغنيمة وجلس السلطان على تخت مصر بقلعة الجبل يحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف [قال الراوى] ان جوان لما علم باسلام صهيون ووقع الفناء فى عسكره مالقى له نجاة الا الهروب ومازال فى هزيمته حتى وصل الى المراحل فقال

له البرتقش يا جوان أنا خايف من المسلمين يلحقونا ويقبضون علينا ويهلكونا ،
فنزلوا فى مركب وسافروا قاصدين بحيرة يفرة من البحر فخرجت عليهم شعله ريح
فمنعتهما عن مطلوبهما وابعدتهما إلى أوسع البحار فما هما كذلك حتى أبعد ونام الهوى
باذن فالق الحب والنوى وأقبل غليون حربى كبير لحارب مركب جوان وأورثهم
الهوان فأخذوها أسارى وقادوا أهله أذلاء حيارى فقال البرتقش لجوان هذا كمبك
حتى المركب أخذها العدا وانت ماتحل فى مكان إلا ويخرب فلما سمع جوان هذا الكلام
فرد خنجره وقرأ قداس بصوت حنون فامتحن النصارى منه وقالوا للبرتقش ما اسم
هذا البترك فقال لهم هذا عالم ملة الروم والامر المختوم البركة جوان فقالوا له نحن
لنا مدة تسعة أشهر دائرين عليه ولا نعلم به فى اى مكان وقالوا لنا ملوك الجزاير انه
تارة يكون فى الارض وتارة يكون فى غيرها وماصدقنا اننا نراه فى هذه المكان بقينا
نعود به الى الجزاير السود للملك الصهيج فانه أرسلنا فى طلبه وها نحن دائرون عليه
فقال لهم جوان سيروا وأنا معكم فساروا مدة ايام حتى وصلوا إلى الجزائر السودة
وطلعوا وجوان معهم والبرتقش صحبته فلما قدم جوان قام الملك له وأكرمه اكراما
زائدا وقال له يا ابانا لولا قدومك والا وقع السيف فى بلادى وفنيت عساكرى
واجنادى فقال جوان على اى شىء هذه الفعال فقال الملك الصهيج يا ابانا جوان كان
لى اخ اسمه البهيج مات لكنه خلف ولدين الكبير اسمه طوانج والصغير اسمه ميرونش
فطلع ميرونش جبارا اجبر من اخيه وجعل سبحه صيد الوحوش وكبس البرارى
والبقاع ودخوله الاجمات وصيد السباع إلى يوم من الايام كان يصطاد فطرد خلف
غزالة وهى هاربة وهو طالبها فدخلت مغارة ودخل ميرونش خلفها فالتقى فى المغارة
باب كنز فنزل فيه فالتقى طير وهو من خالص البولاد بجوهر وقبضته ابنوس مصفحة
بالذهب الاحمر فاخذه ميرونش وطلع به من الكنز ثم انه تأمله فرآه باربعة وجوه
على كل وجه مرآة من الجوهر نورها يأخذ البصر فلما ملك ميرونش هذا الطير ما بقى
احد يقدر عليه ابدا وعندما طلع عندى يكلمنى ترى عينه تقدح شرارو شواربه تقول
وانا الطاز ا[illegible] يقتلنى دام كذلك [illegible] مكرطوانج نظر نوره ومار على سرير [illegible] وبنتى اسمها
ميرونة [illegible] فطلع الى الديوان وخطبها منى فادعت نعم له بهاالا وميرونش اخوه
طالها وخطبها منى

فقال طوانج انا خطبتها قبله وقال ميرونش انا ما دزعنها الا السيف ولا اسمع كلام
بترك ولا راهب ولا شماس ولا حج عزرت اجدا ان ارضى احى قتلته وان ما ارضى
عمى قتلته وما قدرت اخاصمه لكنه اذا شورته يقتلنى او يقتل اخاه فقلت حتى

يجيء عالم الملة والذى يفعله أبونا جوان يمشى علينا وأرسلت طلبك والآن حضرت عندنا فالمطلوب من أبينا جوان أن يفصل هذه القضية فقال جوان احضر البنت لما اشوفها فلما حضرت قال لها جوان أنت تأخذى من قالت آخذ طوليج فهم فى الكلام وإذا بميرونش مقبل من الصيد فلما أقبل طلع الى الديوان ودخل على الملك الصبيج فقال له أنا طلبت منك بنت عمى وانت لم ترض بتزويجى لها لأى شىء وأنالم أرض بخاصمتك لكونك ربيتنى فقال له أنا ماقلت لك أنا وكان أبانا جوان رهدا أو أنا جوان حضر دونك وإياه فعند ذلك تقدم ميرونش إلى جوان وقال له أنا خاطب منك ميرونة الشمسية بنت الملك الصبيج الذى أنت الوكيل عليها فقال جوان مرحبا بك ولكن هات مهرها فقال له ومامهرها فقال جوان مهرها راس ملك المسلمين وإذا قتلته واتيت براسه زوجتك بها ولا لك فيها معارض لا مانع فطلع ميرونش من قدام جوان على هذا الشرط وطلب عسكره وبقى منهم اربعة آلاف طريق كل كافر زنديق ونزل فى المراكب مدة ايام إلى خارج ... بدية ... من السو... ية ... حتى يزل على حلب فنظر باشة حلب إلى هذه العساكر فكتب إلى ملك الاسلام يعلمه بذلك الذى قدم ومن معه الكفار اللئام فأمر السلطان بتجهيز العساكر وتوجه طالبه حلب وارسل إلى الفداوية وإلى الملك عرنوس واجتمعت الطائفتان على حلب بعض الأمراء والفدارية ونصبت الخيام واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وانفتح باب الحرب من غير مكاتبة ونزلت الامراء ... عسكر النصارى ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع قدم عرنوس ومعه ... مسية الرخام ... تام ... والا كام اذ اطمه ميرونش لا سلام ولا كلام ... ورايه وشاراه فقام ميروش فى ركابه ... الملك عرنوس ... السلاح وانزل الطير على الفرس ... الملك عرنوس ... وأراد ميرونش أن يثنى عليه فصاح عرنوس فى ذات ... مثل الطير وأخذ فى الجريان إلى باب دير كان هناك ... حلب فدخل عرنوس ذلك الدير فالتقاه ... له لا بأس عليك أنا ... فتقدم له وكشف جرحه ... ميرونش ... اخرج عرنوس ... عليك ابانا ... جرحت الدنيا ...

ساعة من النهار فضرب ميرونش هرنوسا بالطبر فالقاه فى الترس فانشك فيه وأراد ميرونش أن يجذبه فنزع عرنوس قائم الحديد غلية فسيب الطبر وهرب الى البر الاقفر ونظر جوان إلى هروب ميرونش فهز الشنبار فحملت عساكر ميرونش وتلقتها عساكر الاسلام وعمل الرمح والحسام وقلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام ودام الحرب إلى آخر النهار ورجع الملك عرنوس منصور مؤيدا وأما ميرونش فانه لما بعد عن العسكر فقال فى باله يمنه لولا ان المسلمين على الحق لما كانوا انتصروا على الكرستيان وعاد راجعا إلى أن كان وقت الصباح رأى عساكره ما بين قتيل وأسير وهاج فى البر والهجير فدخل على السلطان وقبل الارض وقال يا ملك الاسلام ان كان أغرانى على حربك جوان فها أنا بقيت بين يديك فقال السلطان أنت مخير اما انك يترتب عليك الخراج مثل ملوك الروم والا تقتل ان عصيت على وطاوعت جوان فقال وان اسلمت ماذا استوجب فقال الملك الظاهر ان اسلمت يبقى جميع ما فعلته ينمحى عنك ولا تؤاخذك عما سبق منك فاسلم قدام السلطان وطلب طبره فاعطاه له الملك عرنوس وفرح باسلامه وبعد كسر النصارى سافر السلطان الى مصر وأخذ معه ميرونش أبو طبر واما الملك عرنوس فانه توجه إلى مدينة الرخام ولما وصل السلطان إلى مصر لبس ميرونش صنجق سلطان أمير مائة مقدم على جيش الف وصار يطلع يومى من جملة الامراء الى الديوان الى يوم من الايام نزل قاصدا بيته فقابله رجل اختيار وقال له يا أمير أنت من دون الامراء ما تصيف اهل العلم فقال له ياسيدى انا مالى بك معرفة تفضل معى إلى بيتى فسار معه ذلك الاختيار حتى دخل معه الى بيته فقال له الاختيار يا ولدى الملاعبة بالدين [illegible] وصار يذكر له فضائل عيسى المسيح ومريم فقال ميرونش ياشيخ انت سوف ميرونش ان دين النصارى ثانيا فقال له وما المانع لك اعلم ان الدق قدامك جوان [illegible] الملك جميع بلاد المسلمين ويبقى لك الفضل على ملوك الروم الذى [illegible] فقال له وكيف يكون العمل فقال له كل يوم تهزم اميرا ولكن [illegible] ذا بقى عندك تقبضه واحدا بعد واحد حتى تقبض الا [illegible] ادبر لك على قبض السلطان وتملك بلاده ولا [illegible] رجع ميرونش على دينه القديم [illegible] صباح [illegible] جوان [illegible] المقدم ابراهيم [illegible] بالملك الاسلام واغراه [illegible] قال السلطان اتق الله يا مقدم ابراهيم [illegible] ميرونش وقال اقتلو شرانى

غريب من دون الامراء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال السلطان ياعلماء الاسلام ميرونش هذا يقول عليه المقدم إبراهيم نصرانى وأنتم ماذا تقولون فيه فقالوا نقول انه مسلم فقال السلطان أسكت ياميرونش وأنت يا مقدم إبراهيم لا تقذف حق المؤمن حرام عليك فسكت إبراهيم وأما ميرونش فانه صار يصاحب الامراء إلى يوم قال لهم أنا قصدى أعمل ليلة لله تعالى لعل الله أن يمحى عنى ايام الكفر وتكون ليلة جمعة فاذا كان يحصل منكم مجابرة تأتوا إلى عندى ليلا تسمعون القرآن والذكر فقالوا له وهو كذلك وصار فى علمهم إلى يوم الجمعة وأحضر الفقهاء وأقعدهم يقرأون القرآن وجاء بأولاد الليالى ودوروا ذكرا وانشادا طول الليل ودخل الامراء وشربوا شربات ومدلهم سماطا وأكلوا وكانت ليلة عظيمة وكذلك ثانى جمعة والثالثة جعل لهم البنج فى الطعام وكانوا خمسة واربعين اميرا وخمسة عشر فداوى فأكلوا جميعا وتبنجوا فصاح جوان لرهطه ووضعهم جميعا فى الحديد وانزلهم فى مطمر كانت فى بيت ميرونش وكان فى قناطر السباع بناها هذا الملعون ميرونش بتدبير جوان وعند الصباح ظهر الخبر أن الامراء خمسة واربعون وأولهم فلاوون وآخرهم علاء الدين لم يظهر لهم خبر فالتفت السلطان وقال يا مقدم إبراهيم ابن العريم فقال إبراهيم الغريم ميرونش ولا لنا خلافه غريم فقال السلطان أنت يا إبراهيم ما تطلع فى شرح لم ترجع عنه أبدا فقال يادولتلى أنا قلت بما نظرت وانت اوسع نظرا والله اعلم بالسرائر فحصل عند الملك اشتغال لما يعلم من صدق نظر المقدم إبراهيم فكتم سره الليل وتزيا بزى درويش ونزل من السراية وحده وسار إلى بيت ميرونش فنظر إلى ناس فقراء داخلين وشحاتين يأكلون ويشربون فقال الملك هذا رجل من أهل الخير ولكن إبراهيم ظالمه ثم انه دخل مع العالم كان جوان قاعدا يحيى [illegible] وعرف الملك وهو داخل فوضع له البنج فى الشراب فلما بنج قبضه واخرج الناس واختلى ميرونش وجوان واحضروا السلطان فقال جوان وقعت يارئيس المسلمين فأفاق السلطان قال لميرونش أنت من فقال له نصرانى ابن [illegible] لك حتى قبضتك فقال الملك حقيقة خاب من يكذب نظرك يا إبراهيم وانت [illegible] منى فقال جوان يكفيك الذى أخذته ولا بقى الا المطار فقال ميرونش لا اقتلك الا فى بلادى حتى افتخر بموته على جميع ملوك الروم والافرنج ثم انه انزل السلطان فى المطمورة عند الفداوية والامراء فقام الملعون جوان وقال له اكتب لى كتابا الى اخيك الب خوانج حتى يأتى بالعساكر فتملكوا بها بلاد المسلمين [illegible] وسافر الملعون جوان يقطع الارض من اماكن لا تعرفها الا الجن وما [illegible] حتى وصل

إلى اسبانير ودخل على الملك الصبيح وأخبره بما فعل ابن أخيه ميرونش وكيف كان
اسلم وعاد ثانيا نصرانى بتدبير جوان وهذا كتاب منه يطلب منك ركبة حتى يملك
بلاد الاسلام ففيها الافتخار على جميع ملوك الروم فعندها أحضر طويلانج وأمره أن
يركب وجهز له خمسة الف بطريق وأمره أن يكون تحت امر جوان فسار كما أمره الملك
الصبيح حتى وصل إلى حلب فلما نظر باشة حلب إلى هذا العسكر القادم عليه قفل أبواب
البلد وقام الحصار وضرب الاعداء بالنار وكتب كتابا وأرسله إلى مصر يعلم السلطان
فلما وصل الكتاب وقرأه الوزير فقال يا مؤمنين حلب تحت الحصار فما تقولون فى
الركوب فقال المقدم ابراهيم هذه كيدة يادوانلى وزير والذى فعلها ميرونش هذا وجوان
والله تعالى عد بالنصر أهل الايمان فقال ميرونش يا ابو خليل حيث انك اتهمتنى
وأنا وحياة رأس السلطان ما يروح لهذا العسكر إلا أنا فقال المقدم ابراهيم واجبه
عليك وأنا كان أروح معك لاجل ما أرى مثل بنو عمى فركب ميرونش ومعه جماعته
الذين أسلموا معه وركب ابراهيم بألف حورانى فقط وسافروا وكان عدة الركبة ومعه
جماعته الذين أسلموا معه وركب ابراهيم بن حسن بالف حورانى والمقدم ميرونش بالذين
كلهم مسلمون وساروا إلى حلب بات ميرونش وأصبح نزل إلى الميدان فتحدروا اليه
النصارى فقاتل فيهم وقتل منهم وثانى الايام كذلك فقال ابراهيم ارأيت أحدا يقاتل
أهله إلا أنت يا مقدم ميرونش وهذه حيلة ماهى نافعة وعاقبها مذموم فاغتاظ ميرونش
من كلامه هذا ما جرى

[وأما] النصارى فانهم شكوا إلى طويلانج كون أن البب ميرونش يقتل منهم جملة
ونحن ما نرضى بالموت لاجل حيلته فقال جوان لطويلانج انزل اليه وانظر ما قصده فنزل
طويلانج إلى الميدان والتقى أخيه وتحارب معه حتى انعقد عليهم الغبار واخفاهم عن
النظر فقال له طويلانج انت رسلت إلى أن اجىء أعاونك على قتال المسلمين فلاى شىء
عمال تقاتلنا وجوان أعلمنى انك حبست رؤس المسلمين وحبست قبله جماعة من الامراء
والمداوية فقال له صحيح وأما قصدى انى أقبض عليك لكن يكون نكره وفى حال ما أقول
امسك انزع على وخذ الطير من يدى واضربنى به صفحا فاهرب من قدامك فخذ الطير
وعد وأنا أجيئك الليلة فنشل عالم الله جوان يدبرنا على حيلة فعاد طويلانج معتدلا على
كلام أخيه ميرونش ودخل على جوان وأعلمه بما اتفق عليه مع أخيه فلما كان ثانى الايام
ركب ميرونش ونزل إلى الميدان فقاتل أخاه وارسه إلى أن تم عسكر الاسلام ومسك فى خناقه
وصاح على العسكر فلما نصت اليه بعد لان ابراهيم أعلمهم أنها حيلة فعندهم طويلانج
عليه وقبض فى الطير وخلص وسحبه من يده وضربه بالطير صفحا وأراد أن يثنى عليه

أخيه بالحد فانهزم ميرونش إلى عرضى الاسلام وقال للعسكر لأى شىء ما عاونتمونى فقال ابراهيم هذه حيلة ياميرونش وعرفناها فاغتاظ ميرونش وأما طويلنج بعدما أخذ وأراد الرجوع وإذا بالغبار غبر وعلا إلى الصفا وتكدر وانكشف عن عساكر اسلامية الطير وبيارق محمدية وهم يدفعون الخيول دفعا ويشتاقون الجهاد شوقا منهم وطمعا وهم خمسمائة فارس يتقدمهم الليث العبوس والبطل الناموس من حاز الشجاعة والفروسية أفرس من تفخذ على ظهر القربوص وضرب أعداه باللات والطبر والدبوس الملك محمد سيف الدين عرنوس وكان السبب فى مجيئه انه لما أعطى الطير لميرونش وعاد إلى مدينة الرخام صعب عليه أخذ ذلك الطير فلما وصل إلى محل مملكته أخبر عمه بذلك الطير فقال المقدم اسماعيل يا ابن أخى إذا كان صاحبه أسلم فلا يجوز أخذه منه والحق فى يد الملك الظاهر باعطائه له وأما إذا كان كافرا فانت أولى به منه فصار الملك عرنوس يترقب أخبار ذلك الملعون وجاعل له عليه عيون حتى أتاه الجاسوس وأعلمه بما جرى فى مصر من الامراء والفداوية والسلطان وركوب طويلنج على حلب وعلم انه خو ميرونش فقال هذه حيلة وأخذ معه خمسمائة فارس وان كما ذكرنا وعند اقباله رأى طويلنج وقد عاد من قدام أخيه والطير فى يده فعارضه الملك عرنوس ولطمه لطمة جبار قاسى النوائب والاخطار فضربه طويلنج بالطير فاخذه فى الترس وضربه الملك عرنوس بقاسم الحديد على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه وأخذ الطير وعاد إلى عرضى الاسلام فقام ميرونش على الاقدام والتقى الملك عرنوس وفرح واغتم فقال له ياميرونش أخوك قتلته وهذا الطير أخذته منه السيف بعدو به فيصير حقك والاحق فقال ميرونش الطير جبا لخاطرك وأنا يا دولتلى معتوق سيفك فقال عرنوس ياملعون هو جبا من عندك وأنا أخذته فى القتال بقى كيف يكون جبا وهو لى حلال فقال المقدم ابراهيم مرقت هذا ملعون وابوه ملعون قال عرنوس كيف ياابراهيم هذا هو نصرانى فقال ابراهيم هو نصرانى ابن نصرانى لكن عمك الظاهر لا يصدقنى فقال عرنوس انا اصدقك امسك هذا الملعون فهم ابراهيم وقبض على ميرونش وإذا بغبار ثار وانكشف عن بيرق المظلل بالغمام وتحته الملك الظاهر بيبرس بعساكر الاسلام مقبلون وهم كأنهم أسود الآجام وكان السبب فى مجيئهم أن شيحة طلع إلى الديوان فلم يجد لسلطان فسأل عنه فأعلمه الوزير بعدمه وعدم الامراء والفداوية فقال شيحة وابراهيم أى شىء قال فقال له اتهم فى ميرونش فقال شيحة صدق ابراهيم ثم انه نزل إلى بيته [illegible] كم التقدم ميرونش [illegible] فى [illegible] [illegible] طالب [illegible] إلى [illegible] النصارى [illegible] هناك [illegible]

شيحة فقالوا له سمعا وعلم وقعد معهم حتى عرف المطمورة ونزلها ليلا وأطلق السلطان ومن معه من الأمراء والفداوية ولما طلع السلطان قبض على كل ما كان في البيت ونهبه وقطع رؤوس كل من كان فيه من المنافقين وركب السلطان والأمراء والفداوية وسافر بهم حتى وصل إلى حلب صادف حضور السلطان بالقبض على ميرونش وعرنوس وإبراهيم كانوا قبضوا عليه فنظر السلطان اليه وهو في يد إبراهيم فقال والله يا إبراهيم ما أنت إلا صاحب نظر ومن يكذب نظرك فهو مجنون فقال إبراهيم الكلمة هذه يأخذها الخباز ويعطيني رغيفا فقال الملك مال ميرونش كله لك ولكن علقه على صاري خيمتي وتضربه العساكر بالنبال وإذا بأولاد شيحة وهم السابق ونورد ومعهم جوان والبرتقش الخوان فقال الملك حطوهم في الحديد ودارت الرجال حول ميرونش يضربونه بالنبال فتركهم الملك عرنوس وسار إلى خيمة جوان الذى هو مسجون فيها وقال له سلامات ياجوان فقال جوان الله يسلمك فقال عرنوس يعني يا جوان ها أنت وقعت والآن تأكل من الضرب حتى تزعل أى شيء مكسبك من الضرب يا جوان

فقال جوان تقدر تخلصني وأنا أهاديك بهدية لا نظير لها فقال وما هي الهدية

فقال لما تسيبني فقال عرنوس والله أسيبك فقال له اعلم يا عرنوس أن أصل مجيء ميرونش كان خطب بنت الصهبج وهي التي كانت سبب موته وموت أخيه ولكن يا ديابرو عرنوس لا تصلح إلا اليك فانها والله بديعة الجمال كاملة القد والاعتدال ان ملكتها نسيت كل ما حوته يدك من البنات أرباب البها وتم الجمال فقال عرنوس وما اسمها يا جوان .

فقال اسمها ميروقة الشمسية بنت البب الصهبج صاحب مدينة الصخر في الجزائر السود فتعلق آمال الملك عرنوس بها فسيبه وأخذه إلى السلطان وقال يا ملك الاسلام هذا الملعون وقف لأجل خاطري فأطلقه الملك وراح لحاله جوان والسلطان نهب ترغى شور لنج والنصارى منهم من قتل ومنهم من هرب وسافر الملك الظاهر إلى مصر وعرنوس قال لعمه المقدم إسماعيل خذ العسكر وسافر به إلى مدينة الرخام وأنا أقعد مع السلطان حتى يتوجه لأجل ما أودعه والحقكم عن قريب فسافر المقدم إسماعيل كما أمره الملك عرنوس وأما عرنوس فانه ركب على ظهر جواده ليلا وطلب البرارى والقفار وما دام يقطع السهول والأوعار الليل والنهار حتى وصل إلى الجزائر السود ودخل إلى بستان بجانب مدينة صخر ونزل عن الحصان تركه يرعى وجاء إلى فسقية القصر التي في وسط البستان ونام على جنب الفسقية فكانت الملكة ميرونة الشمسية

فى قلب ذلك القصر قاعدة تتسل ومعها بعض الجوار فنظرت إلى البستان فرأت حصان الملك عرنوس فقالت للجوار لمن هذا الحصان فقالوا لها صاحبه نائم على الفسقية فقالت واحدة منكم تنزل تحضره إلى عندى حتى أعرف من أى أرض هو وإيش أتى به إلى هذه البلاد فنزلت جارية وأقبلت إلى الملك عرنوس وهو نائم فنظرت اليه وقالت ياغندار قم كلم ستى مرينة فقال وأين هى فقالت فى القصر فقال عرنوس وطلع إلى القصر فقامت الملكة ميرونة اليه وسلمت عليه وأجلسته على الفراش وأحضرت له الطعام وبعدها المدام وباسطته فى الكلام فرأته فصيحا .

فقالت له من أى البلاد أنت

فقال لها أنا من دير نجران وأصل تربيتى فى الغابة ودابر سواح فى البلاد أمرنى المسيح بالسياحة فقالت دستور وايش اسمك

تم الجزء الثامن والعشرون ويليه الجزء التاسع والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء التاسع والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال لها أنا اسمى عزم المسيح القاطع قالت اسم المسيح يحفظك ولما دار بينهم المدام وأخذ الخمرة فى عقولهم قامت البنت إلى عرنوس وقعدت على حجره ومالت على خده تقبله فاخذ القبلة فى كمه فاغتاظت منه وقالت له أنا يا غندار جئت بك وأردت أن أقبلك فلم ترض كأنك ما حببتنى مثل ما حببتك فقال لها أنا حببتك ولكن ما ارضى أن يجىء فمك على وجهى من خوف النجاسة فقالت وأين النجاسة وأنا كل يوم أدخل الحمام ولا أطلع إلا بعد النظافة التامة بالصابون المسك فقال لها ان الصابون ينظف الجلد ولم يطهر لأن صابون القلوب التوحيد ثم أعاد عليها فعلمت ما هو عليه وقال لها ان أسلمت تكونى نور العيون فأسلمت على يد الملك عرنوس وتولعت بهواه فاعطاها عقد جوهر وعاقدها على نفسها وازال بكارتها وتملى بجمالها وأقام عندها وهو فى هناء وسرور مقام مدة أيام ولم يسئل عن مملكته ولا على مدينة الرخام إلى يوم من الايام وعرنوس جالس فرأى الملك الصبيح راكبا فى جماعة عسكره قاصدا الصيد والقنص فقالت له ميرونة هذا أبى كان وأنا نصرانية والآن لا أعده أبى فقال الملك عرنوس وأين راكب أبوكى فقالت راكب يصطاد فنزل الملك عرنوس بعدما قلب شاياته وركب على ظهر حصانه ولحق الملك الصبيح وانحشر بين العساكر وسار معهم إلى محل الصيد فلما بقوا فى محل الصيد اصطاد الملك وعساكره وأما عرنوس فانه سار يضرب الغزال فيصيبه ولم يقبضه فباتوا البطارقة له يأخذونه إلى وقت القيلولة نزل الصبيح فى صيوان وأما العساكر فانهم تفرقوا فى الوديان وإذا بسبع قد خرج عليهم من الوادى كأنه الثور الكبير وله زمجرة وهدير ونظر إلى العسكر فقصد نحوهم واغتاظ من اجتماعهم فمال عليهم وزعق فى وجوههم فجفلت الخيل من زعقته وخافت العساكر من هيبته فخطف

رجلا بيده وضرب به الارض فرض أعضاءه طولا وعرضا وخطف ثانى وضرب به اثنين فمات الثلاثة فى الحين وخطف رجلا آخر وضرب به وهو فى يده حتى قتل تسعة أنفار ورماه من يده فانهزمت الافرنج وقالوا للملك الصبيح قم اهرب والا يقتلك هذا السبع فقام ووقف على باب الصيوان وكان السبع لما هرب البطارقة من بين يديه قعد على ركبتيه فنظر الملك الصبيح اليه من بعيد وقال هذا سبع شديد ولم يبق منكم أحد يقدر عليه هيادرنكم واياه اضربوه بالسهام فرقفوا نحوه السهام فلما رأى السهام فوقفت نحوه صاح بصوت عالى اذهل العسكر وهجم عليه كأنه القضاء والقدر وصار يخطفهم مثل لمح البصر وكل من وقع بجمله عبرة وموعظة للبشر فساروا هاربين فاغتاظ الملك الصبيح وقال لهم ما هذه الارزية اقتلوه يا أبناء النصرانية والا فنانا نزل بنا الرزيه فقالوا يا ابي ما أحد منا له عليه وصول وكل من قدم عليه جعله مقتولا فقال الصبيح وكيف العمل كل من قتل هذا السبع واسقاه المنية ازوجه بنتى الملكة ميرونة الشمسية فسمع الملك عرنوس كلامه وكان واقفا يتفرج عليهم فنزل عن ظهر جواده وشمر أذياله فى المنطقة وجذب نامم الحديد ن يمينه وترسه فى شماله وخطا الى نحو السبع ونظره السبع وهو قادم عليه فصاح صوتا أ..وى منه السهل والجبل وتكيب للوثوب عليه فجاوبه الملك عرنوس بزعقة أقوى من زعقته والتقاه فى وثبته وضربه بقاسم الحديد فى وسط جبهته فخرج من وسط سلسلته فانشق نصفين كأنه انقسم بمنشار او انقسم بيكار فلما رأى الملك الصبيح تلك الضربة انذعر وعلم ان هذا فارس من دون العسكر شجاع لم يوجد مثله فى جميع الاقطاع فاحضره الى بين يديه وسأله من أى البلاد هو فقال يا ابى انا من دير بحران وسائح أمر المسيح فى جميع البلدان

فقال له وما اسمك فقال اسمى عرم المسيح القاطع فقال ..تزردولولا انك زمرا لمسيح ما كنت قتلت هذا السبع وما كنا منه نستريح وبعد ذلك أحضر الطعام وكل منه وعادوا من الصيد الى المدينة وأخذه عنده وجعله من أعز أصدقائه واد..له عن بنته بعد الافراح وكان عرنوس قضى وطره منها قار بعد ذلك البسه وزير ارا اقام الملك عرنوس بالنهار فى الديوان وبالليل عند الملكة ميرونة مدة أيام الى يوم وعرنوس جالس واذا بـ .. ى جوان طالعا الى الديوان فقام الملك الصبيح واستقبله وكذلك عرنوس آمن .. لانه مثيه من قدام السلطان فلما كان ذلك اليوم أتى جوان فسأله الصبيح وقال .. .. دبرت على .. لاخى حتى منعتهم فقال جوان يا ابى أولاد اخوك كانوا قصدهم .. فقار .. فانه أخبرنى بذلك الجوارى وقد .. عليهم يتمنترو أولاد الملك الصبيح .. الحصن

منهم واما لو عاشوا كانوا يقتلونك فقال الملك عرنوس صادق جوان وفى آخر النهار قام الملك عرنوس وأخذ جوان معه الى قصره وأكرمه وقال ياجوان انا باديتك بالمعروف وخلصتك من حبس السلطان فلا تقطع حظى وخليني أنهنا بعيرونة كام يوم فقال جوان أنا مسافر ياسيدى ما أنا مقيم هنا فنفى به ما يعجبك وركب جوان حمارته وأخذ البرتقش واظهر لعرنوس انه مسافر ودخل على الصهيج ليلاً وقال له ياأبت ان الذى قتل اولاد أخيك طويلنج وأخيه ميروش هو الذى عندك واسمه الديابرا عرنوس فقال له ياأمانا وكيف العمل فى قبضه فقال جوان أنا أقبضه لك ثم انه أعطى له قرص بنج وقال له ضعه فى الشراب وخبينى عندك حتى يشرب ويتبنج ودخل جوان فى مخدع وثانى يوم طلع عرنوس الى الديوان فقام اليه الملك الصهيج واستقبله وقدم له كاسات شربات فشربه وانقلب فطلع جوان كتفه ووضعه فى الحديد

[قال الراوى] ثم ان جوان بعد ان وضع عرنوس فى الحديد شممه ضد البنج فعطس وقال أشهد ولا أجحد أما فين فقال جوان انت عند الصهيج الذى قتلت اولاد اخيه واخذت بنته عملتها جنافة قم يا ب مترة فقال البرتقش تمنتره يجىء لك نصير النمر واسماعيل أبو السباع وبين المسلمين بابب المتك لم تحمل دم الديابرو عرنوس فقال الملك الصهيج احبسوه فوضعوه فى السجن فقام جوان مغتاظ وتخاصم مع البرتقش وقال له ياسيف الروم لاى شيء ما كنا نمنع عرنوس ثم ان جوان سافر الى كاهنة يقال لها الكاهنة السيدة ودخل عليها وقال ياكاهنة ان الديابرو عرنوس أخذ بنت الصهيج عملها جناقة بعدما قتل أولاد أخيه وها انى قبضت أنا عليه وكان قصدى انه فارضى الصهيج قتله وها أنا جئت اعلمك فقالت له ما له عندى وأنا جوان اقتله فقال أعطينى كتابا للصهيج انه تسلمه لى فكتبت كتابا وارسلته اليه مع فأتى الى الصهيج فقرأه واذا فيه المغير ان الديابرو عرنوس عندك فارسله لى مع جوان تسلمه لجوان واخذه ودخل على الكاهنة فلما رأته طلبت منه ان يجامعها فلم يرض بذلك فلاتته بسلاسله التى عليه وقالت له أنا شفقت عليك بدال مرتك احرث فى هذه الارض القائمة وما يقرب أعذلك وطلع جوان تكشف البر فرأى اسماعيل ونصير النمر قادمين فزاع صدره دخل على الكاهنة واعلمها فقامت الى بيت رصدها وأمرت رهط من خدامها طارد من خدمهم وأتى بهم الى بين يديها كان السبب فى مجيئهم ان المقدم اسماعيل لما أمره الملك عرنوس أن أخذ عسكر ويسير الى مدينة الرخام انتظر قدومه فلم يحتهم

فقال المقدم نصير النمر عمن مجيء أى ... له من بدب ثم ان طالب الع ... لم على

هل تعلمتم أى جهة قصد الملك عرنوس فقالوا جميعا ياخوند لم نعلم له خبرا فقال مملوك من المماليك اسمه عارف وكان واقفا مع الملك عرنوس لما تكلم مع جوان أنا سمعت الملعون جوان يذكر له بنت اسمها ميرونة الشمسية بنت الصويج صاحب الجزائر السود

فقال المقدم إسماعيل لاشك ابن أخى ماغاب إلا وقد راح اليها لأنه مولع دائما بحب البنات فقال المقدم نصير الامر الواجب أننا نلحقه يا مقدم إسماعيل ولا نتراخى عنه

ثم إنهم ركبوا خيولهم وطلبوا طالبين الجزاير السود حتى وصلوها وأخذوا الأخبار فأعلموهم النصارى بالكاهنة السودة فساروا حتى وصلوا إلى ذلك الملك ونظرهم الملعون جوان فأرسلت الأرهاط وأخذوهم الاثنين كما ذكرنا ولما وقفا قدام الكاهنة

فقالت وأنتم من أى بكم هذا المكان يامسلمين فقال المقدم إسماعيل نحن جئنا خلف ملكنا ننظر وأما ما جرى عليه إن كان فى خير نهنيه وإن كان فى شر أرواحنا نفديه

فقالت وأى شىء عملتم ها أنتم وقعتم معه فى الحديد فقالوا الله يفعل ما يريد فانه أوعدنا النصر والتأييد ووضعتهم فى نقطة الدم وأرادت هلاكهم وإذا بموكب بطارقة مقبلون وبينهم غلام أمرد جميل دخل قدام الكاهنة وقال يا أمى ما الذى فعلت ومن هؤلاء الناس الذين عندك فى محل الموت ومن هذا الذى قاعد جنبك ما يكرن فقالت له أما الذى قاعد جنبى فهو عالم الملة كلها وهو البركة جوان وهذا غلامه البرتقش سيف الروم وأما الذى تراهم قدامى فانهم مسلمون وأنا قبضت عليهم ومرادى قطع رؤسهم

فقال لها وما ذنبهم الذى أوجب قتلهم فقالت دخلوا بلادى يريدون ملكهم الديابرو عرنوس فقال لها ملك المسلمين قالت أنا ما أعلم وإنما الذى يعرفهم جوان فقال البرتقش هذا يامقدم اسمه الديابرو عرنوس ملك من جملة الملوك الذين تحت يد رين المسلمين وأما ملك المسلمين عنده مثله كثيرا وإنما كان هذا قتل أولاد أخى الملك الصويج وتحايل على بنته عملها جناقة بعد ماأسلمت وجوان قال للصويج عليه قبضه له بالسحر وقال له اقتله فما رضى خوفا من رين المسلمين يبحث عليه فجاء به للكاهنة تقتله وهؤلاء أقاربه أتوا فى طلبه فقبضت عليهم فقال الغلام وكان اسمه مركن وباقى المسلمين فى أى مكان هم فقال البرتقش فى بلادهم فقال تعرف يا برتقش بلادهم قال نعم فقال احبسوا هؤلاء حتى أركب انا فى عسكرى واغزى بلاد المسلمين ولا أخلى جنس مسلم على وجه الأرض أبدا حتى تبقى الدنيا كلها نصرانية والملة مسيحية

فقالت الكاهنة المسيح ينصرك ويقوم معك ثم انها فرحت به و لبسته بدلة الملك عرنوس وأعطته سيفا مطلسم وأركبته على حصان يجرى من خيل البحر وقلدته سيف مطلسم وركبت معه سبع ملوك من ملوك الجزائر ومعهم سبعون ألف بطريق وقالت لهم سيروا مع ولدى مركن وطاوعوه فهو الملك عليكم جميعا وأنتم

تكونوا له طائعين ولقوله سامعين فامتثلوا كلامها لعلمهم بشرها ومكرها وسحرها وقالت لولدها قبل كل شيء أملك مدينة الرخام فأنا قصدى أقعد فيها لأنها كانت للكاهنة مشمشيئة والمسلمون قتلوها وأخذوها منها فأوعدوها مركن ابنها أن يبلغها مقصودها وسافر وسار معه الملعون جو . يغريه على الطغيان هذا ما جرى وأما ما كان من الملك محمد الطي ورصونش فانه مقيم وإذا باثنين مقبلين عليه وقالوا له اعلم يا ملك أن الملك عرنوس والمقدمين اسماعيل ونصر النمر أخذوها فى الجزائر السود عند كاهنة ساحرة وقام عليكم ابنها المقدم مركن ومعه سبعة ملوك سبعين الف كافر فخذوا الحذر لأنفسكم فان الامر جسيم والبلاء عظيم فاستحفظوا على المال والحريم فأعطاهم ألف دينار وقام من ذمن وقته وساعته فركب حريم الملك عرنوس وأولادهم وحريمه وحريم أولاد ملوك البرتقان فى تخوت على البغال وأمرهم بالتوجه إلى برصة والأربعون ملك أولاد ملوك البرتقان بصحبتهم وأمرهم بالسير إلى برصة وبعدها فتح مطامير يعرفها ونزل بها جميع المتاع والمال وركب فى جميع ماعنده من الفرسان وساق الرعايا بين يديه إلى برصة ولم يخلى فى مدينة الرخام شيئا ظاهرا مطلقا وسافر إلى برصة ودخل على الملك مسعود بك وحكى له على ما سمع وما فعل وقال أتيت إلى هنا لنكون يدا واحدة وعلى قتال الاعداء مساعدة فقال الملك مسعود مرحبا بك وأهلا وسهلا نعم ما فعلت وأما ما كان من المقدم مركن فانه لما سافر يقطع الأراضى والآكام حتى وصل إلى مدينة الرخام فرآها كما قال القائل

ساروا وسار الربع بعد به العرى ان قلت باتوا أين مثلك باتوا
فاسأل منازلهم تجيبك يا فتى كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فالتفت إلى جوان وقال له أين المسلمين الذين أتينا لقتالهم يا جوان فقال له جوان خافوا منك وتركوا تلك البلد وهربوا فقال المقدم مركن فان كان ينجيهم الهرب فأنا خلفهم فى الطلب فقال جوان حط فى مدينة الرخام ملكا من الملوك الذين معك وسير أنت بالعساكر حتى تملك بهم برصة فعندها أجلس مكانا من الملوك خمسة آلاف بطريق وسار قاصد مدينة برصة فلما وصل اليها ونزل بالعساكر عليها رآه الملك مسعود بك ونظر إلى تلك العساكر فطلع عساكره ونصب خيامه وكذلك قار أصلان المغربى طلع ببيارقه وأعلامه والملك الطى ورصونش وأولاد ملوك البرتقان واصطفت منهم الصفوف المئات والالوف وركب قار اصلان المغربى فى وسط عساكره فنظر إلى بدلة الملك عرنوس على المقدم مركن فطار عقله وقال والله ان هذا الابن الكافر طمع فى سباع الاسلام وخرج اليه كأنه النمر الحردان وقال له يا ابن الكافرة كيف تلبس بدلة رجل مجاهد فى سبيل الله تعالى وأنت ملعون ابن ملعون والله يا ابن الكلب ان هذا النهار مشؤوم عليك فلعن الله والديك فقال له أنت

يامسلم لسانك طويل وما أنت إلا جبان فى الحرب ذليل ثم انه انطبق عليه طبقات العدم والتلف وفزع فيه والضرب بينهم ائتلف وهم المقدم مركن وضرب قار اصلان بالسيف المطلسم فأخذ الضربة قار اصلان على الطارقة فقطعها السيف نصفين وشق الخوذة قدها من على جبهته وجرحه فى قامته، قبض على خناقه ورمى رجله من على ظهر جواده وتكاثر عليه الافرنج أوثقوه شداد فنزل أولاد مسعود بك واحد بعد واحد وهو يأسرهم وبعده نزل له الملك محمد الطن وردونش فتقاتل معه إلى آخر النهار فالتقاه فارس اجبار وفى الحرب ماعليه عيار فانفصلوا على سلامة وعاد المقدم مركن إلى خيامه وهو فرحان مسرور حتى وصل قدام جوان فقام اليه جوان وقال له ياولدى لا تخلى الاسرى هنا عندك ابعثهم عند أمك فقال مركن يا أبا نا أمى قالت لى ان مرادها أن تأخذ مدينة الرخام وأنا قصدى أرسل هذه الاسرى الى عندها تعترهم بيدها ثم كتب كتابا وأعطاه لباشة البطارقة وقال له رح الى الكاهنة فأعطيها هذا الكتاب مع الاسرى وقل لها تأخذ مدينة الرخام تسكن فيها حكم مرغوبها فسار طريق البطارقة من الليل يقطع السهول والجبال حتى وصل الى الجزائر السود فدخل على الكاهنة وأعطاها الكتاب فقرأته وفرحت بما فيه ومافعل ولدها وأنعمت على باشة البطارقة وأكرمته وأجلسته بجنبها فقعد يسامرها ويحكى لها على دخولهم مدينة الرخام وهروب المسلمين منها وكيف لحق ولدها مركن المسلمين على برصة وحارب المسلمين وأسر منهم هذه الاسرى وهى تسمع وتستعيد منه الكلام حتى أدركها المنام فاضطجعت على ظهرها وثقل نومها فلما نظر باشة البطارقة إلى نومها تقدم اليها بقلب أقسى من الحجر بيده خنجر أمضى من القضاء والقدر وتمكنها فذبحها وزاح رأسها عن جثتها وقام من على صدرها ودخل الى سرايتها فرأى جارية واقفة فى محراب تصلى فاختفى عنها حتى صلت ورفعت يديها الى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى ثقتى ورجاى أنت الذى أهديتنى لدين الاسلام والايمان وحكمت على بالاسر عند هؤلاء الكافرين والطغاة ورزقتنى هذا المولود بقدرتك يامعبود اللهم ارده الى طرق الابرار واجمع بينه وبين أبيه يارحيم يا رحمن انك على شىء قدير

فلما سمع باشة البطارقة كلامها تقدم اليها فقالت له أنت من واردت أن تصيح عليه فقال لها لا بأس عليك فأنا مثلك وان شاء الله زال عنك الشر والضرر ونجاك الله تعالى من الخوف والحذر قالت له وأنت من تكون من المسلمين فقال لها أنا المقدم شيحة جمال الدين فقالت يا سيدى أدركنى أنا جارية الملك مسعود بلم بن عثمان ووالدى المقدم مركن هو مسلم وأبوه الملك قار اصلان الذى فرح بها المقدم

جمال الدين وقال لها وأين الأسارى فقالت أخاف عليكم من الكاهنة فقال لها ذبحته
فأخذته وأدخلته إلى السجن ففك الأسرى وأعلم قار أصلان المغربى بزوجته واحضره
إلى عندها وأخرج أولاد الملك مسعود بك وانزلهم ليلا وأحضر لهم خيولهم وسار
قدامهم وفك الملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع والمقدم نصير البر وأمرهم
أن يضربوا أهل الكاهنة بالحسام ونزل هو وسار إلى برصة ودخل على مركن
وأعطاه الكتاب اشارة من امه انها عن قريب قادمة إلى مدينة الرخام وصبر لما جن
الليل ونام المقدم مركن فأخذ السيف وكسره ورماه فى البحر وقبض على جوان
والبرتقش والمقدم مركن ونزل على باقى الملوك وكتب لكل واحد تذكرة وعلقها فى
رقبته مكتوب فيها اعلموا أن الكاهنة قتلت وأما ابنها فقد اخذناه اسيرا لأنه مسلم
وابن مسلم وها أنتم هذه الليلة نبهتكم وإن قمتم إلى الليلة الثانية ذبحتكم وأنا المقدم جمال
الدين شيحة وجوان أخذته عندى هو والبرتقش لما أصبح الملوك لكل منهم قرأ
التذكرة نادوا فى عساكرهم بالرحيل فركبت عساكر برصة وعساكر عرنوس من خلفهم
وضربوا فيهم بالحسام والتقاهم الملك عرنوس ومن معه من قدام فكانت وقعة يحتار
فيها الدليل ساروا بين قتيل وأسير ونجا منهم إلا من كان جواده سابق وعمره طويل
وفرغ النهار حتى هلكت الكفار ونصر الله الاسلام ودخل قار أصلان المغربى
على ولده وأخذ أمه معه وأعلمته امه بالصحيح وأنه مسلم وهذا أبوه الملك قار أصلان
فأهداه الله إلى الايمان ولبس مثل لباس أبيه وخلع بدلة الملك عرنوس وظهرة
الملك جمال الدين شيحة وسأل عن السيف فقال له أبوه يا بنى نحن مالنا فى السحر
رغبة ولا نتوكل إلا على الله لأنه أوعدنا بالنصر على أعداه فقال له صدقت وسافر
إلى مدينة الرخام فكان الذين بها علموا بما جرى فركبوا ليلا وطلبوا بلادهم خوفا
على أرواحهم ودخل الملك عرنوس ومعه الملكة ميرونة الشمسية التى كانت أصل
هذه القضية وكتب الملك مسعود كتابا والملك عرنوس أيضا كتب كتابا
وأرسلوهم إلى السلطان بعد ما جمعوا أموال الملوك فأخذوا منه النصف وأرسلوه
إلى السلطان وأخذوا الربع الآخر أخذه الملك عرنوس ومن تبعه وسار به الملك
عرنوس إلى مصر وسلم على السلطان وحكى له على ما جرى وسلمه جوان فوضعه
فى الحبس وعاد الملك عرنوس إلى مدينة الرخام وانفصلت هذه النوبة باكرام

[قال الراوى] وكان الملك جالس ذات يوم من الايام وإذا قد ورد عليه كتاب من
الاسكندرية ذكر فيه ان فى هذه الأيام أقبل فى البحر غليون لكنه كبير جدا قدر القلعه
وأكبر وذلك الغليون مقدمه من الذهب ومؤخره من الفضة وباقى بدنه من الخشب
الصندل لكنه عجيب من العجائب رئيه واحد وزير ولكن لم يطلع على المينة بل انه مقيم فى

البحر فأرسلناه له وقلنا له من أى البلاد أنت فقال أنا وزير واحد من الملوك ولم يقل لنا على اسمه فقلناله ولأى شيء أتيت إلى هذه البلاد فلم يعلمنا بمقصوده ومعه خمسة وأربعون بطريقا فقط يخدمون فى المركب ويقضون حوائجه فأرسلنا نعلمك بالخبر لتكون على بصيرة وتأمرنا بما يقتضيه رأيك إما نطرده من المينة أو نبقيه أمرك أطال الله فى عمرك والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام فلما سمع السلطان هذا الكتاب تعجب غاية العجب وقال الوزير أى شيء يكون نظرك فى هذا يا وزير فقال الوزير يا مولانا هذه أظن فتنة الناس والله تعالى ينجى المؤمنين فقال السلطان لا بد لى ما أروح اسكندرية وطلع على هذه القضية ثم انه ركب وسار إلى اسكندرية وطلع وحده حتى دخل على محمد فارس باشة اسكندرية فقام اليه وقبل الارض بين يديه وسأله السلطان عن ذلك الغليون فقال هذا هو قدامنا خارج المينة فنظر السلطان فرآه صحيح وفى وخر الغليون قصر من الفضة وفى مقدمه قصر من الذهب فاشتاق السلطان للفرجة على ذلك الغليون وطلب صندلا ونزل فيه وخرج من المينة ووصل إلى ذلك الغليون فنزل اثنين مماليك حملوا الملك وطلعوه فى قلب الغليون وسار قدامهم وهم يدلونه على الطريق حتى طلع إلى القصر فقام الوزير على قدميه وأخذ يد الملك وقبلها وسلم عليه فقال له السلطان أنت من أى البلاد وما الذى أتى بك إلى هذا المكان فقال له انا وزير الكاهن عامر صاحب جزائر الانكليز وقد ارسلنى اليك لأحضر بك إلى بين يديه وها أنا حضرت ونحن مسافرون اليه فنظر الملك رأى الغليون مد ودا أقلاعه وهو سافر فقال أى شيء هذا يا وزير فقال الوزير يا رين المسلمين اسكت أحسن لك حتى تروح إلى الذى طلبك وأنت معزوز مكرم وأما أن تكلمت أخذناك مكتفا فسكت السلطان وصبر على قضاء الرحمن فساروا يخدمونه خدمة كاملة وهو فى غاية الراحة حتى وصل إلى مدينة عظيمة ولكن بعد ستة أشهر فطلع إلى تلك المدينة وسار إلى ديوان متكامل فطلع صاحب ذلك الديوان وقبل أيادى السلطان وعمل له ضيافة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عقد للسلطان موكب وركب فيه الملك الظاهر وسار إلى ديوان أكبر من الاول وفيه ملك أحسن من الاول فعمل له ضيافة ثلاثة أيام وفى رابع يوم أركبه فى موكب وسار فى ركابه إلى ملك ثالث فأقام فى ضيافته ثلاثة أيام

فقال الملك الظاهر أنت على أى شيء أرسلت الى وأخذتنى

فقال ما هو أنا الذى طالبك وإنما أنا من جملة أتباع الكاهن وهكذا يا مولاك بعدم الاهانة أنا وغيرى حتى تصل اليه فركب رابع يوم وهكذا اثنى عشر ملك حتى وصل إلى الكاهن عامر ولكن بعد عشرين سنة فلما دخل الملك الظاهر على ذلك الكاهن

قال له أهلا وسهلا بك يا ملك المسلمين فقال السلطان أنت الذي أرسلت أخذتني من بلادي
قال نعم فقال له السلطان لأي شيء فعلت ذلك الفعال وأنت تدعي أنك ملك كبير والملوك
عادتها الانصاف وهذا الذي فعلته من باب الاسراف فقال يا ملك المسلمين أما أنا ما أرسلت
لك وأخذتك بتلك الفعال إلا من عسكري فان كل منهم يقول ان ملك المسلمين أقوى من كل
الملوك فقلت لهم وأقوى مني أنا فقالوا نعم فقلت وهل عنده قادم تحضر الحرب مثل ما عندي
فقالوا نعم عنده رجال عندهم الحياة عدم والموت غنم وهم الفداوية وعنده اثنان
مقادم سماة كبار وهم المقدم ابراهيم والمقدم سعد فمن ذلك أرسلت اليك وأحضرتك وما أنت
بقيت عندي وأريد منك حاجة فان تممت لي بها فأنت رفيقي وان خالفتني فها أنت
رأيت عسكري فان كنت تقدر على حربي أحاربك بعد ما أرسلك ثانيا الى بلادك وتبقى
بين عساكرك وتجاهدك فقال له السلطان وما هي الحاجة يا كافر الرحمن قال تعطي ابراهيم
وسعد يخدماني لاني ما أرسلت أحضرتك الا من أجلهم فقال الملك ان ابراهيم
وسعد [illegible] فانهما [illegible] الانكليز وأنت
ما تحكم على شيحة حتى الملك [illegible] بهذا القدر [illegible] على شيحة وأنا أحكم [illegible]
ثم انه أشار [illegible] ففتح باب [illegible] لأي شيء هذا فنظر الملك فرأى المقدم جمال الدين
شيحة [illegible] السلطان [illegible] الدمشقي [illegible] صاح الله أكبر [illegible] الانكليز [illegible]
عن الضرب [illegible] له أنت [illegible] عسكري و[illegible] وأنت [illegible] عندهم شيحة
[illegible] وأقتلهم وخاص [illegible] الملك الظاهر والتمشة
وصار يضرب بها [illegible] ويقتل في الكفار حتى أجرى [illegible] مثل البحار والا [illegible]
من المحل الذي فيه شيحة [illegible] رجله [illegible] وهم [illegible] الكرسي في
وسط الديوان [illegible] الفداوية [illegible] ميمنة وميسرة و[illegible] اليه
[illegible] السلطان [illegible] ابراهيم [illegible] كم يوم [illegible] ادوا الى [illegible]
أمر [illegible] هذا [illegible] الملك [illegible] معه
شيئا [illegible] ابراهيم من [illegible] الله يا ملك الاسلام [illegible] شيء جرى
فحكى [illegible] ابراهيم [illegible] هذا [illegible] من الله [illegible] من
بلادهم وفي ذلك الوقت [illegible] الانكليز [illegible] للملك
وقال يا ملك [illegible] الكتاب [illegible] وأخذ الكتاب الملك
يجد فيه يا رئيس [illegible] شيحة [illegible] أرسلت
اليك شيحة والا [illegible] شيحة [illegible] قال العجائب وان أرسلته

معك ابراهيم وسعد ترسل لي شيحة فقال له يبقى الأمر بيد الكاهن فحط يده ابراهيم على ذو الحيات وضرب النجاب فقسمه نصفين فاغتاظ السلطان وقال النجاب يقتل فقال إبراهيم اياك أروح معه عند قشقش ودنهش فقال الملك والله العظيم الاتروح أنت وسعد وابنك عيسى وابن سعد وترابعكم وكل السعادة اما تهلكون أو تعودون

فقال ابراهيم نعود ان شاء الله تعالى يادولتلي لكن مافى رواحنا الا التعب من غير شيء أما ربنا ان وعدنا النصر ان الله لا يخلف الميعاد سر بنا ياسعد وناصر الدين ابنك وعيسى ابنى وأتباعنا مثل محمد الفندور ويعقوب الهدبر فنزلوا جميعا من قدام السلطان

فقال المقدم ابراهيم كيف العمل قال سعد سر بنا الى السويدة حتى ننظر كيف يفعل الله بنا فساروا الى السويدة فرأ را الغليون والوزير واقف فنزلوا فيه من تلقاء أنفسهم فالتقاهم الوزير وقال لهم أهلا وسهلا وأطلعهم القصر وسار الغليون بهم فقال ابراهيم أصبروا فقال الوزير اقعدوا فى أدبكم والا أكتفكم فسكتوا جميعا وسار بهم الى قدام الكاهن فقال الكاهن يا مقدم ابراهيم انت قتلت نجابى الذى أرسلته لرين المسلمين ولم تخف منى ولكن أنا ما أواخذكم بذنوبكم بل أريد منكم أن تخدمونى فقال ابراهيم يا ملعون كيف أكون مؤمنا مجاهدا وأخدم عندك وأنت كافر وجاحد فقال له ومن الذى يمنعنى عن قتلكم وأنتم فى حكمى فقال ابراهيم لا بد أن الحاج شيحة سلطان الحصونين أن يأتى اليك ويخلصنا من يديك ويلعن أجدادك ووالديك ولا ينفعك قشقمى ولا دنهش الذى تستعين بهما على الاسلام وقد تم دا النصر من الملك العلام

فقال انظر فوق رأسك فرفع رأسه فرأى شيحة فى شبكة بولادو أهل الكفر محتاطون حوله مثل الجراد فقال ابراهيم لولا عفاريتك يا كلب ما بلغت من أحد مقصود ولكن الأمر بيد الله الواحد المعبود فقال له هذا سلاحك معك قاتل ان نفذت من وسط عسكرى أعطيتك شيحة وأرسلتك الى بلادك فحط يده المقدم ابراهيم على قبضة هاكريته وصاح الله أكبر

إذا طمعت جيوش الكفر فيه | وجاءوا فيئة من بعد فيه
تورنى التقى كرب المنايا | بقلب صادق وبصفر تيه
أكر على جيوش الكفر كرا | على جرة تسمى ملختيه
بحولى من بنى اسماعيل مثلى | سباع لا يبالون الديه
إذا ما جردوا يوم التواضى | يمدوا البيض بالجنود الشديه
نخى يا سعد [illegible] | تكرن [illegible] قاتل بالسوية

ونصر الدين ذا الطيار يسمى يطير كل جمجمة دليه
وعيسى فهو لى ولد شفوق تربى فى بلاد الجهوريه
فنحن الغالبون إذا التقينا على ظهر الخيول الأعوجيه
كذا أولادنا مع من صحبنا على يوم القتال لهم شجيه
وصلى الله ربى كل وقت على نور الهدى خير البريه

[قال الراوى] فلما سمع المقدم سعد ذلك النظم أجابه بقوله

فداك الروح والنفس الزكية وأموالى وما تملك يديه
فأنت ذخيرتى ورجا فؤادى لأنك صاحب الهمة العليه
أنا سعد الذى قد زاد سعدى على مثلى ولى فى الحرب غيه
ترى الأبطال تقتحم المنايا على ظهر الخيول الضمريه
وأنا لا ألتقى الهيجاء إلا على ساق وأقدام عتيه
أسوق الخيل سوقا فوق ساق له فى محل الهيجا سجية
فكم ليل قطعت البر فيه وكوكبه تفاديه السريه
خدمت الظاهر المنصور حقا بقلب صادق مع صفو نيه
ونصر الدين ابنى فهو مثلى كصقر يجعل الأعدا رميه
فميلوا ياكلاب الكفر نحوى وذوقوا من شرابات المنيه
وصلى ذا الجلال على محمد نبينا صاحب الهمم العليه

[قال الراوى] وتبعه ناصر الدين وعيسى الجاهرى ومحمد الغندور ومن معهم كل منهم قاتل ماقصر كانه الليث القصرر رموا رؤسا كالاكر وكفوفا كاوراق الشجر رغنى الحسام وقل الكلام وبطل العتاب والملام كان يوما بعدأيام ونظر الكاهن إلى فعالهم فتعجب من قتالهم فقال حقيقة إن الذى وصفهم ما أ صفهم هدا ولو راهم يخترق الصفوف ويبرى بشا كريته الجماجم والكفوف ويلوح القحوف والزبد على أشداقه كانه القطن المندوف كذلك المقدم سعد الفارس الموصوف أفنى المشركين وجاهد فى سبيل رب العالمين وكذلك عيسى الجاهرى ونصر الدين ومن معهم من المؤمنين وما زالوا كذلك إلى عصارى النهار وكل منهم طمع فى هلاك الكفار وخلاص المقدم جمال الدين من الاسر والاضرار فما يشعروا إلا وهم فى قلعة الجبل والدم على دروعهم كانه أكباد الابل وشواكرهم بأيديهم مشهورة وهم فى صورة وأى صورة
فقال السلطان ايش الخبر يا مقدم ابراهيم نحن فى أى مكان

فقال السلطان كأنك لم تعرف اى مكان أنت فيه فقال إبراهيم يا دولتى أنظر حالى وانظر هذه الدماء اما أنا والله ما اعلم ان كنت نائما أو يقظانا ولا أعلم ان كان هذا عقل أو جنان ولكن يادولتلى ماهر كثير على هذا المدور كيف انه [illegible] وصلنا الى بلادنا بقى لنا ستة أشهر فقال السلطان انت البارحة كنت عندى فقال ابراهيم يا دولتلى هذا شىء بقى مفهوم أمره ان هذا الكافر يلعب بنا وقصده يطير عقولنا فالصواب انك تجهز عساكرك وتروح إلى السويدة وإذا رأينا هذا الفاجر [illegible] ضرب عليه المدافع حتى ننظروا أى شىء يجرى منه فقال الملك وأنا على ذلك دولتلى ثم ان السلطان أجلس السعيد ابنه على تخت مصر وأمر العساكر برزوا إلى الريدانية وضرب مدافع السفر وسافر إلى السويدية وبات وأصبح يلتقى فى الريدانية فاغتاظ السلطان [illegible] ثانيا السويدية فما شعر الا هو فى الريدانية وهاكذا [illegible] مرات فضايق السلطان فرفع يديه إلى مكون الاكوان وقال

يامن عواتده الجميل بفضله   من الذى جلال جدك [illegible]

يا إله العرش يارب السما   يا [illegible] العباد قد [illegible]

إلهى أنت تعلم ما فى الضمير وأنت على كل شىء قادر [illegible] لنا [illegible] ولا نصير اللهم أجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا يا [illegible] بجاه [illegible] فلما تم كلامه ودعاءه إذا بالاستاذ سيدى عبد الله المغاورى [illegible] يخف الطاهر أنت على السويده ما أنت فى الريدانية

ان لله رجالا [illegible] طلاروا الدنيا [illegible]

يستقلونها ولا [illegible] كيف [illegible] مقام [illegible]

انما الدنيا كسوق [illegible] [illegible] [illegible] فى دار [illegible]

كل من لاذ اليها هالك [illegible] الا [illegible]

ثم ان الاستاذ نادى وقال تعال إلى هنا يا بطريق [illegible] [illegible] تقالون النصر من رب الارباب فما شعر السلطان الا والافرنجى [illegible] قبة ذات الابراج والشاهق والسحاب والسيور وفى [illegible] [illegible] وهى [illegible] قطعة خشب وطلع ابو بكر البطرق وقبل يد الاستاذ [illegible] فقال الملك من اين اتيت قال يامولاى من الاسكندرية [illegible] فصحت على مراكب الاسلام وقلت [illegible] خرجت من الاسكندرية [illegible] ما أشعر الا أنا هنا وكذلك المراكب معنا فقال [illegible] ونزل [illegible] فى ذلب السنورة وقال للبطريق هات طرف حبل من عندك [illegible] [illegible]

وتوكلوا على الذى أفرض علينا الفرض خالق السماء والأرض وانزلوا يامعشر الاسلام وتوكلوا على الملك العلام خالق الضياء والظلام فنزلوا وقطروا المراكب فى بعضهم والسنورة مقدمهم ثم ان الأستاذ قذف وقال بسم الله مجراها وعلى جزيرة الانجليز مرساها فما يشعروا الاسلام إلا وهم على مينة البلد فى مقدم الجزيرة والأستاذ قال البر يامعشر الاسلام وتوكلوا على الملك العلام فطلعوا جميعا ونصبوا الخيام ونظر الكاهن غامرين فقال متى جاءنا المسلمين فقال جوان جاءت بهم الحواريون فقال الكاهن مرادى يا عالم ملة الروم ان أزيلك قدام المسلمين وأرجمهم عليك حتى تذوب منهم الأكباد ويعلموا انك بلغت المراد لانك يا جوان سيسانى لامسلم ولانصرانى ثم انه ركبه فى تخت وأرخى عليه ستاير وركبه على أرهاط الجان وامرهم أن يدوروا به الجزائر ويفرجوا عليه الانكليز وبعدها يمروا به على المسلمين

[قال الراوى] وبعد ذلك أرقفه على رأس الميدان وبرز الكاهن غامرين وهو راكب على ظهر شيطان فى صفة حصان ونادى يا ملك المسلمين فى هذا النهار انقضت ايام الهزل لا بقى إلا الجد فما تم كلامه إلا والأستاذ لمغاورى صارى قدامه وقال له يا ابن الكافرة ياكافر يا مغرور يا متكبر على الله العزيز الغفور ها أنا أقل خلق الله ما أنا ملك بل أنا عبد من جملة العبيد لله الملك المجيد ان الله إذا أوهب لخلقه سرا من أسراره يقولون للمتصل انفصل ينفصل باذن الله تعالى وضربه فى يده بجريدة خضراء وإذا برأسه قد تدحرج على الغبرا ثم قال لجوان اقف مكانك ياابن الكافرة حتى تنفذ أحكام ربى صاحب القدرة فوقف جوان والبرتقش ولا يتحركون كانهم خشب مسندة ونادى يا مسلمين أنظروا شيحة واقفا فى باب البلد فهجموا عليه فهجمت الاسلام وضجوا بتوحيد الملك العلام وصاحوا الله أكبر والقى الله الرعب فى قلوب الكافرين وانفكت الأسحار وغاب الغليون المصنوع فى البحار ولا تم ذلك النهار إلا والحى الله عصبة الكفار ونصر الله المسلمين الأبرار ونهبوا الجزائر والمدينة ووضعوا اموالها فى المراكب وفرح السلطان ونال كل الآمال وامر نمساكر بالنزول فى البحر والصقلم الأستاذ إلى الاسكندرية ومنها إلى مصر وطلع السلطان بالموكب إلى القلعة ودام إلى يوم من الأيام والملك جالس وإذا بكتاب مقبل من قلعة حوران للمقدم ابراهيم بن حسن يذكر فيه يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمون إذ ورد علينا اربعة ملوك حطوا على حوران وهم الشامخ بهود والكند فرون الأشقر وهدبر الرهود فقال ابراهيم كان الكفار ظنوا ان حوران حلب اتوا يملكونها حتى تبقى لهم هيا بنا يا سعد واخذ ابنه عيسى ونصر الدين

و الغندور ومحمد وقال السلطان يا دولتلي أنا أستأذن فقال السلطان اصبر لما اجهز العساكر وأروح معك فقال يامولانا نحن بسيفك نضرب وبهيبتك نغلب وسافروا طالبين قلعة حوران هذا ماجرى لابراهيم بن حسن [قال الراوى] وكان السبب لذلك هو أن الملك عرنوس كان جالسا فى مدينة الرخام فسمع مدفعا ضرب فى البحر فقال يامقدم اسماعيل اكشف الخبر فطلع المكدم اسماعيل إلى المينة فالتقى مركب نصارى روم وهى قائمة بنديرة الامان فأمر لها بدخول المينة فدخلت فسال القبطان عن الخبر فقال أنا رسول من الملك البب الفاق جار بن الجار سليم صاحب مدينة البشقاط ومعى كتاب وهدية للملك عرنوس والهدية هذه المركب ومافيها فنزل المقدم اسماعيل فالتقى المركب ملآنة جوخ وشقق حرير ونحاس ومعادن وعنبر فاخذ كل مافيها وقدمه للملك عرنوس وقدم له الكتاب ففتحه وقرأه يجد فيه من عند الملك الفاقجار بن الجار سليم صاحب مدينة البشاط إلى بين أيادى الملك عرنوس الملك ان جوان سابقا اغرانى حتى ركبت على بلاد الاسلام وجرى لى ما جرى وأسرنى ملك المسلمين وأراد قتلى وتشفعت لى انت ياملك عرنوس ودفعت عنى خزنة الف ومائتين كيس ذهب وأطلقتنى وسافرت إلى بلادى فتولعت أنا بمحبتك مدة ماأنا مقيم حتى اعترانى الضعف وبقيت سقيم وأتانى رجل حكيم وعرف دائى وقال لى انت عاشق فقلت له نعم عاشق الديابرو عرنوس فصنع لى صورتك واخذتها معى لا أنام ولا أقوم إلا وهى معى ولا أصبر عليها ولا أسلوها وإذاقعدت فى الديوان تكون بحنبى وإذا نمت تكون فى حضنى فتسليت بها ونسيت عيالى ومعى بنت اسمها عين المسيح سالتنى ولامتنى بالكلام فاريتها صورتك فتعلقت بمحبتك وقالت أنا مابقيت اعطى هذه الصورة لاحد أبدا فقلت لها ان اخذتيها منى تقتلينى فقالت وأنا ان اخذتها منى تقتلنى فصنعت لنا صورة مثلها فحلفت انها لاتسيبها حتى ترى صورة صاحبها وأقمنا على ذلك أيام حتى أتانى كتاب على غفلة من عند الملك الشامخ صاحب ملك اليشمخ يخطب منى بنتى فاعلمته أن بنتى مخطوبة والملك الديابرو عرنوس ولايمكنى ازوجها لغيره فلم يقتنع بذلك وجهز عساكره وهو قادم على يحاربنى وأنا خايف منه لا يملك بلادى ويهلك عساكرى وجميع أجنادى فكتبت هذا اليك وأنا فى عرضك تنجدنى وترده عنى وأزوجك بنتى وأقاسمك فى جميع نعمتى فلما قرأ الملك عرنوس هذا الخطاب سال عمه المقدم اسماعيل فقال له ياولدى دائما الناس تطلب النجدة من بعضها ولكن أخاف أن تكون مكيدة عملها الملعون

فقال عرنوس لا بد لى من الرواح على كل حال وانجد الفاقجار ولو أعرت واشرب

كاس البرار وقام الملك عرنوس وأخذ هدية ونزل فى غليون وسافر إلى بلاد البشقاط وأما المقدم اسماعيل صبر لما سافر عرنوس وأخذ المقدم نصير النمر وسافر فى البر طالبا بلاد البشقاط هذا ما جرى وأما عرنوس فانه لما وصل إلى مينة ملك البشقاط فطلع له الملك الفلفجار وأخذه بالأحضان وسلم عليه وقبل هديته وعقدله موكبا وأخذه إلى سرايته وعمل له ضيافة سبعة أيام وأجلسه على تخت مدينته وأقام بواجب خدمته وبعد ذلك أحضر أكابر دولته وعتق خمسمائة أسير كانوا فى مملكته وأمر بنته بالاسلام باذنه وعمل وليمة للأسارى وفرح ببنته وزفها وأدخل عليها الملك عرنوس والذى عقد العقد بعض الأسارى أهل قرآن وعلم واقام

[قال الراوى] وكان بعض كبراء الديوان بطريق يقال له بولص بن لفلفون اغتاظ من تلك الفعال وأرسل كتابا إلى الملك الشامخ وأعلمه بما فعل الفلفجار فاغتاظ الشامخ وقال بقى الفلفجار عنده المسلم أحسن من الشامخ ثم انه برز بخيامه وأراد الركوب على ملك البشقاط فقال له وزيره قبل كل شيء أحضر عالم الملة جوان فانه يعرف تدبير الحرب على كل حال فما تم كلامه إلا وجوان مقبل فقال الشامخ هذه من جملة السعادة بحلول قدوم جوان فطلع اليه واستقبله وأخبره بما جرى فقال جوان يا بنى الفلفجار ارتفض من دين النصارى وغضب عليه المسيح والترك زواره وأنت يا ولدى إذا قاتلته ينصرك المسيح عليه حتى تأخذ ما بين يديه لأنه نفى النصارى واحتظى بهذا المسلم الديابرو عرنوس الذى كان نصرانى وارتفض من دين النصارى قم يابنى اركب واكسب الغزو فيهم فاغتر الشامخ بكلام جوان وركب فى عسكره وسافر وحط على مدينة الفلفجار وهى مدينة البشقاط ونظر الفلفجار إلى ذلك الحال فقال للملك عرنوس كيف الرأى ياملك قال عرنوس اصبر ولا تخف فان هذا رجل باغى والبغى له مصرع فكتب الملك عرنوس كتابا على لسان الملك الفلفجار وأعطاه لنجاب وقال أعطه للشامخ وهات رد الجواب فأخذه وراح إلى الملك الشامخ وأعطاه الكتاب فقرأه وجد فيه من البب الفلفجار إلى البب الشامخ ما أصل هذه المداوة التى تجددت وسفك الدماء لا شك حرام عند جميع الملل وان كنت طالبا بنتى فقد أسلمت وتزوجها الملك عرنوس الذى تعود بزواج بنات النصارى وأنت وغيرك تعرف حملاته وسطواته فانزل اليه وقاتله وبعد قتله تزوج أنت بزوجته وان هو قتلك تكن أنت الباغى وهذا عاقبة البغى فلما قرأ الكتاب أوراه لجوان

فقال له هذا خط الديابرو عرنوس اصحى لروحك منه فبات متكدر ولما أصبح الصباح كتب رد الجواب بالحرب فلما رد الجواب إلى عرنوس بات تلك الليلة فلما اصبح

نزل الملك عرنوس إلى الميدان وقال يا أبناء النصرانية من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا غير خفي أنا الملك عرنوس الديابرو فكتب الافرنج من نزولها إلى الميدان فأغرام وبخهم جوان فنزل أول بطريق إلى الميدان وأراد أن يقاتل عرنوس فما خلاه يقتل المدان بل طعنه بالرمح فى صدره طلع من ظهره والثانى الحقه بما قبله والثالث خبله والرابع فى التراب زمله والخامس عجل من الدنيا مرتحله والسادس عفر فى التراب خده وأما السابع فانه لعن أباه وجده والثامن خرق بالسنان كبده والتاسع قد بالحسام عدمه وجلده والعاشر شرب كاس المنية وحده ودام الامر على هذا العيار إلى آخر النهار فقتل عرنوس سبعين وأسر عشرين واندق طبل الانفصال وثانى يوم كذلك قتل وأسر قدر أول يوم وثالث ورابع مدة عشرة أيام فضجت منه الافرنج ودخلوا على جوان وقالوا له ما دام الديابرو عرنوس كل يوم يحاربنا فما فينا من يقدر عليه فقال جوان يا بب أنت عجزت عن قتال الديابرو عرنوس أقوم أنا أدور لك على ملك يحاربه وإلا تنزل أنت تحاربه وأنا أقرأ لك جبنيوت تتعاون به عليه فقال الشامخ يا أبانا أنا أنزل إلى الميدان وأحاربه على أى وجه كان اما أن اقتله واسقيه كاس الهوان أو أموت أنا وأروح كامس مضى وكان فقال له جوان قم انزل ولا تخف فقام وركب ونزل إلى مقام الحرب والطعان وصدم الملك عرنوس وتقاتل هو وإياه وكان لها ساعة يشيب لهولها المولود ويذيب لها الحجر الجلمود وداموا كذلك إلى نصف النهار فوقف الشامخ فى ركابه وضرب الملك عرنوس بالحسام اخذه على قاسم الحديد فانكسر السيف وضربه الملك عرنوس بالسيف فلق الخوذة والرفادة ولولا كان الضرب بعيدا والا كان فلقه نصفين وغاص طرف الحسام وسط راسه فانجرح جرحا لما اشرف منه على الهلاك والدمار ونظر جوان إلى ماجرى فهز الشنيار فخرجت عساكر الشامخ وانعقد الغبار وغنى البتار وقل الانصار وكان يوم مهول هلكت الرجال والخيول وامتلأت الارض بالقتلى عرضا وطولا وجرت الدماء مثل السيول إلى آخر النهار اندق طبل الانفصال وعاد الملك عرنوس من الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من دماء الفرسان فالتقاه الفلفجار وهناه بالسلامة وقال له يا ملك عرنوس انا مرادى ان اكون مسلما فكيف العمل فى اسلامى فقال له عرنوس الله يقبلك وتكون قد سبقت لك السعادة من صاحب المشيئة والارادة

فقال له كيف يكون العمل فى اسلامى فقال اسلم ولا تخف من باس فان الله تعالى قال فى الكتاب المبين كان حقا علينا نصر المؤمنين فاسلم الفلفجار على يد الملك عرنوس وارسل ليلا خلف ارباب دولته فاسلموا وقالوا له اعلم يا بب ان المسلمين كلهم ارقهم وإنا

محذور يخلصوا ببركة نبيهم واما النصارى إما ان يموتوا والايحط منهم الاموال حتى أنهم يخلصوا الاغلال فاسلم تلك الليلة ثلاثون من أكابر عسكر الفلقجار والذى أسلم احتال على قريبه حتى أسلم مثله ولا طلع النهار حتى اسلم الجميع وبقت المدينة كلها اسلام يوحدون الملك العلام هذا ماجرى واما الشامخ فانه لما عاد وهو مجروح تلقاه جوان وسأله عن حاله فقال ياجوان أنت شايف ماجرى بقى احكى لك على ايه هذا الديابرو عرنوس كانت منه ملوك الروم وقاسوا منه الهموم والغموم وأنت تقول أنه يغلب من أحد ملوك الروم فقال جوان يا ابى أنا أعمل الحيلة عليه واقبضه لك وتقتله بيدك فقال له الشامخ وماهى الحيلة التى تعملها فقال تحفر له حفيرة فى الميدان وبعد حفرها تغطيها وتنطرد أنت قدام الديابروا عرنوس وهو يتبعك فيقع فيها ثم قام جوان وأخذ معه جماعة من البطارقة وراح ليلا الى وسط الميدان وحفر حفرة وعمقها وسقفها بمعرفته وعند الصباح نزل الشامخ وطلب عرنوسا فنزل الملك عرنوس وهو لم يدر ما كتب له فى عالم الغيب وكان الملعون جوان علمه المكر والخداع فصار يخادع فى الميدان ويتجنب الحفير حتى ان الملك عرنوس طرد الحصان فطلب فى قلب الحفيرة هنالك هز جوان الشنيار وأطبقت النصارى على الملك عرنوس ونظر الملقجار الى ذلك فصاح الله أكبر وكبس بعسكره ولكن الشامخ أكثر رجالا واثبت فى الحرب والقتال فقبضوا الملك عرنوس وأخذوه باليد أسيرا وقاتل الفلقجار حتى فرغ النهار فالتقى العدد عليه كثير فعاد آخر النهار وهدم خيامه ودخل البلد وغلق الابواب وركب المدافع على الاسوار ومنع العدو عن بلده يرى النار وقام تحت الحصار فنظر الشامخ الى ذلك فقال لجوان كيف العمل ياأبانا فقال جوان اعطى الديابرو عرنوس حتى آتيك بعسكر يملا وجه الفضا فسلمه عرنوسا فوضعه فى صندوق وسار به حتى دخل على ملك بنى الاصفر الملك يهوده ابن الشماس وقرأ قدامه قداس وقال له ياأب يهوده اعلم ان ابناء المسلمين ملكوا البلاد وأهلكوا العباد والبب الشامخ ركب على الفلقجار بكونه أسلم وزوج بنته للديابرو عرنوس وهاهو قبضه وسلمه لى وقال لى خليه يقتله البب يهوده ويشف منه قلوب النصارى وبنى الاصفر

فقال له وهذا من فى المسلمين فقال له هذا عرنوس وأراد ان يقتله واذا بفرقة عساكر شباب مقبلون كأنهم زهر البستان وبينهم غلام أمرد جميل وهو كأنه القمر اذا بدر ليلة أربعة عشر على وجه ذلك الغلام سبع جدزيات مثل الملك الظاهر مدة صغره فلما نظر جوان قال يا برتقش ان هذا الغلام فيه روائح المسلمين ثم التفت الى يهوده وقال من أين لك

هذا الفليون اعلمني بالخبر فقال ياجوان هذا ابني واسمه الطوفرين أبو طير فقال البرتقش يا جوان نحن جينا حدهنا من بنات المسلمين فقال جوان الله نعم يا برتقش أنا اعلم ان هنا دورملك اخت رين المسلمين زوجة أيدمر البهلوان فقال البرتقش هذا ابنها وهو يشبه خاله في الفروسية فقال جوان صبر يا برتقش وأنا أخليه اول مايقتل يقتل اباه وبعدها خاله هذا والطوفرين اقبل وسط الديوان ونظر الى عرنوس ونظر الى جوان وقال ليهوده من دول يا بيب فقال هذا جوان عالم الملة والبرتقش سيف الروم واما الذي مرادنا نقتله فهو اسمه الديابرو عرنوس فقال وايش عمل هذا حتى تقتله فقال إنه مسلم وحكى له على مافعل في النصارى في الحرب وكيف احتال عليه جوان وحفر له حفرة حتى قبضه فقال الطوفرين وايش فيها فخر لمن تعمل الك حيلة على واحد ما تقدر شي تحاربه تحفر له حفرة تمسكه بها ومن خوفك من المسلمين هربت وأتيت الى هذه البلاد وتريد ان تقتلني واحدة ولا يراه واحد من جنده وديني ما أحد يقتله حتى اركب انا وامالك جميع بلاد المسلمين واجعل البيب يهوده يملك بلادهم بعد قتل ملوكهم وكبرتهم احبسوا هذا الديابرو عرنوس حتى أغزي بلاد الاسلام فاحبس عرنوس واما الطوفرين فانه ركب في أربعة آلاف بطريق من الافرنج وسافر طالبا بلاد البشقاط ليعاون الشامخ على أخذها من الفلفجار [قال الراوي] وان الفلفجار بعدما سافر جوان بالملك عرنوس قالت له بنته عين المسيح يا أبو خذ هذه البدلة من بدل الملك عرنوس البسها وارزل قدام عسكرك وقل اقه اكبر فان قلت ذلك فان النصارى ينكسرون فعزم على ذلك وجمع دولته وأمرهم ان يظهروا اسلامهم ويلبسوا لباس الاسلام ففعلوا ما امرهم وركبوا خيولهم وركب هو قدامهم وكبسوا على عساكر الشامخ حتى أهلكوا أكثر من نصفهم والقى الله الرعب في قلب الشامخ فانهزم وطلب البراو الآكام وتبعه الفلفجار وهو يضرب في عسكره بالحسام مقدار ثلاثة ايام وعاد الفلفجار الى بلاده وبقي الشامخ في الخلا بباقي جنده فهو كذلك واذا بجوان قد اقبل ومعه الطوفرين ابو طير ومعه العساكر كما ذكرنا فالتقى بالشامخ وحكى له على ماجرى وعاد مع الطوفرين ونزلوا على البلاد ليلا وأصلح جوان الحفرة التي كان وقع فيها عرنوس وبات الشامخ وأصبح صف عساكره وكذلك الطوفرين صف عساكره وعند الصباح نظر الفلفجار الى هذه الجموع فقال لعسكره اركبوا على خيولكم واوضعوا السيف في اعدائكم فركبوا وقاتلوا الى ان حمي الحر وانفصل القتال واندفعت عسكر الشامخ الى وراهم فطمع الفلفجار فيهم ودعس خلفهم فوقع هو واكابر عسكره في الحفرة فطبق عليه الشامخ بعسكره وأخذوهم أسارى وأما الطوفرين فانه كبس مدينة البشقاط بعسكره

وملكها وأخذ زوجة عرنوس وأسر جماعة كثيرة من أهل البلد واسر الفلقجار
وزوجة عرنوس واربعون أسيرا وركب الطوفرين والشامخ وعادوا إلى ملك بنى
الاصفر وهو البب يهود فقال الطوفرين احبسوهم جميعا عندعرنوس وأراد الطرفرين
أن يحضر ويأخذ الشامخ ويسافر إلى بلاد الاسلام فقال البب يهوده ياطرفرين انت
اخذت دورك اقعدهنا لما اركب أنا اكتسب لى غزوة فى المسلمين فقال الطوفرين قبل
كل شىء بنت الفلقجار اطلعوها عندأمى فى السراية فانى احبيتها فطلعت عند الملكة درملك
فقال يهوده أنالابدلى من السفر إلى بلاد المسلمين وانت هنا بدلى تحمى البلاد وإذ بموكب
منعقد ومقبل بطل يقال له الكندفرون الاشقر فلما أقبل وكان اخو يهوده فلما اقبل فى موكبه
سال عن الخبر فاعلمه بماجرى وتدبر فقال لهم وأنا وهم اركب معكم واكتسب لى غزوة
فى دين المسيح والتفقيرا الثلاثة وجوان رابعهم الشامخ ويهوده والكندفرون وسار
بهم جوان يقطع بهم البرارى والتلال على رأى من قال

إذا رعق الغراب فقلت خيرا	منين الخير على فم الغراب
إذا كان الغراب دليل قوم	يدل بهم على الدور الخراب

[قال الراوى] وسار جوان فرحا بذلك الجمع والعساكر والملوك خلفه متتابعة
فر على حصن الغضبان وكان بهم مقدم جبار وفارس كرار يقال له المقدم هدير الرعود
ابن لهب فنظر إلى تلك المواكب المتتابعة فارسل من طرفه تباعا يسأل عن الخبر فعاد
وأعلمه انهم راكبون على بلاد المسلمين وصحبتهم جوان والبرنقش الخوان فامر المقدم
هدير الرعود باحضار جوان فاتى تابع لجوان وقال ان المقدم هدير الرعود طالبك
تقوم تروح اليه والا نسوقك بين يديه فقال جوان أقوم فقام معه إلى قدام هدير الرعود
فقال له ياجوان أى شىء هذه الركبة فقال يا ابى بلاد النصارى خربت والذى خربها
ببرس وشيحة وكل ماوقع على ملك ملوك الروم وتروح يحارب المسلمين يرتب عليه
الجزية والخراج فيمتثل لهم وهذا من عجز النصارى حتى غضب عليهم المسيح ومريم
العذرا ولابقى للنصارى راس تنشال من كثرة ماقاسيت أنا ركبت هؤلاء الثلاثة ملوك
وهانحن سائرون وقاصدين بلاد المسلمين فقال المقدم هدير الرعود يا جوان انت
مسكين وكل هذا من فزعك وخوفك من المسلمين وأنا وحق دينى ان أردت ان آخذ
المسلمين لم أخل لهم علما ينشر ولا ذكرا يذكر لكن انت يا جوان ما أتيت إلى عندى
ولا اعتنيت بى فقال جوان يا سيدى أنا فى عرضك أنا يا سيدى اتمناك ان تكون
معنا فقال له يا ملعون اذا سرت معك أكون تابعا لهؤلاء

فقال جوان كلهم يكونون تابعين لك وتحت أمرك ونهيك ولا يعدوا الاعلى رضاك فقال اسالهم ان كانوا يرعدوا بذلك اسير معكم فنزل جوان وقال يا أولادى اعلموا ان هدير الرعود تعرفوه فقال له ياابانا اذا كان معنا قاتل كلنا بين يديه ولا نبخلوا بارواحنا عليه فاتى بهم جوان وعقد لهم العهود والايمان وبعده جمع هدير الرعود من توابعه خمسة وأربعين مقدم من كل اسد ضيغم وفارس غضنفر فقال للملوك قبل كل شيء اعلموا ان زين المسلمين أجنحته الفداوية فالرأى عندى أن ناخذهم قبل تملك القلاع والحصون يبقى ملك المسلمين مثل طير بلا أجنحة فقال جوان صدقت ولكن أول الاخذ يكون قلعة حوران وبعدها بيسان وبعدها القلاع والحصون حتى ناخذوا حصن صهيون فركب هدير الرعود واخذ فى صحبته الخمسة وأربعين مقدم وخمسة عشر رؤساء كراخيه وهم أبطال شداد معدود بخوض المعامع وحضور الوقائع ثم انه سار من قلاع الغضبان يقطع البرارى والقيعان حتى حط على قلعة حوران فنظر المقدم حسن الحورانى إلى قدومهم فاغلق القلعة وحصن الاسوار وضرب المدافع على الكفار أبعدهم على قدر رمى النار وكتب كتابا إلى مصر يعلم المقدم ابراهيم فركب ابراهيم وأتى معه المقدم عيسى الجاهرى ونصر الدين الطيار ومحمد الفندور والتقت الجمعان وطلعت ابطال حوران وسباع بيسان فارسل المقدم هدير الرعود إلى المقدم ابراهيم ابن حسن يقول له اعلم انى هدير الرعود وانت اسمك مشهور فى بلاد المسلمين فلا تتكل على غيرك ولا انا اتكل على غيرى فننزل إلى الميدان وكل من أخذ صاحبه نال كلما يطلبه فاجابه المقدم ابراهيم على مايريد وثانى يوم ركب المقدم ابراهيم ونزل إلى الميدان فالتقاه المقدم هدير الرعود وكان لقتالهم يوم مشهود فتطبقوا مثل انطباق جبال الاخدود وافترقوا افتراق وادى زرود وداموا فى أخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد وارعاد وابراق وشباط وخناق حتى ضاقت الأخلاق وتضاربوا بالسيوف والرقاق وتطاعنوا بالرماح الدقاق والحرب بينهم على قدم وساق ودام الامر كذلك إلى آخر النهار وعادوا عن بعضهم بعد دق طبل الانفصال هذا والمقدم ابراهيم ينظر الى هدير الرعود شذرا ويرقبه حذرا فراح هدير الرعود الى جوان وأخبره بما رأى من المقدم ابراهيم وباتوا الى ثانى يوم فتقاتلوا وثالث يوم وهكذا خمسة عشر يوما وسادس عشر أقبل الملك الظاهر بالامراء والفداوية وانفصل الحرب بين المقدم هدير الرعود حتى ينزل غيرهم الى الميدان لان الحرب لم يكن الاثنين فقط بل كل مجاهد له حق فى الجهاد ونزل الملك الشامخ فطلعه المقدم حسن الاسمر بن عجور فتقاتل معه فى الميدان وكان لهما يوم عظيم الشان فتضاربا بكل سيف يمانى وتطاعنا

بكل رمح وسنان إلى آن تضاحى النهار فكل المقدم حسن النسر ومل وانمحى رسم قواه واضمحل وسطا عليه الملك الشامخ وضايقه وطبقه فى جلباب درعه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا ونزل بعده سيف الساعى وخالد البراعى وسفر الوالى ومقر الهجان وأخذ من الفداوية عشرة وانفصل الحرب وثانى الايام نزل الكندفرون وقاتل فى الأمراء وأسر منهم عشرة أولهم أيدمر البهلوان وآخرهم قلاوون وثالث يوم نزل صدران بن الافعى فاسره الشامخ وأسر بعده خمسة مقادم ودام الامر كذلك عشرة ايام حتى أسر خمسين أميرا وثلاثين فداوى وتضايق السلطان وكان الملعون جوان كل من أسر يرسله إلى بنى الأصفر عند الملك عرنوس

[قال الراوى] أعجب ما وقع فى هذا الديوان ان عين المسيح بنت الفلقجار لما اطلعها الطوفرين ابو طبر عند أمه وقال لها أنا قصدى اجعلها ضجيعتى فقالت له امه اصبر لما ينفصل القتال فقال لها أنا قتال المسلمين لم يخطر على بالى فقالت له اذا كان ماأنت خائف من المسلمين أريد منك أن تأتينى بواحد منهم وهو الذى أخاف عليك منه فقال لها ومن هو من المسلمين فقالت اسمه الأمير أيدمر البهلوان فلما سمع كلامها قال لها لأى شىء من دون المسلمين ماخصمك إلا هو فقالت له ياولدى اعلم انه جرحنى فى أيام الصبا جرحا لم يبرأ إلا بعد الموت فاذا أنت أتيت لى به آخذ منه بالثار وادعى لك بالليل والنهار فركب الطوفرين على ظهر الحصان وطلب البر فالتقى به كافر من بنى الأصفر يقال له المقدم سهيل فلما رآه الطوفرين قال له ماالذى اعلمك فاعلمه أن معه خمسين أميرا وثلاثين فداوى فلما علم بذلك سال عن اسمائهم فكان أيدمر البهلوان منهم فقال له انت الذى جرحت أمى فى أيام صباها وفى هذا اليوم آخذ منك بالثار فقال أيدمر انا ماأعرف أمك قال له هى تعرفك يامردوس ثم أمر بوضع الجميع فى السجن إلا أيدمر فانه أخذه وطلع به إلى أمه فكانت قاعدة مع الملكة عين المسيح تحدثها فلما رأته قالت له ضمه فى قلب تلك الأوضة وقالت انزل احبس الباقى واحرز عليهم فتركها ونزل فدخلت على أيدمر البهلوان وقالت له هكذا ياأمير تفعل معى وتتركنى هذه المدة الطويلة ولم تسأل عنى

تقطعت الرسائل وانقسينا   وعدنا مثل زوار القبور

ولا خبر يجى من عند خلى   ولا أنا طير اطير مع الطيور

فقال الامير ايدمر يا ستى من تكونى فقالت له انا درملك اخت الملك الظاهر وهذا الطوفرين ابو طبر ابنك وانا زوجتك وهو ابنك وتربى فى بلاد اليهود

الكفرة وأنت مقيم فى مصر ولم تعلم بما جرى ثم فكته وعانقها وعانقته وكان لهم ساعة ذاقوا فيها حلاوة التلاق ونسوا أيام الفراق هذا ما جرى وأما الطوفرين فانه بعد ما حبس الأسارى عاد إلى أمه لينظر مافعلت بأيدمر البهلوان فوجده مطوقا من الكتاف وقاعدا فى أعلى مكان فاحمر وجهه وغضب على أمه وسألها عن السبب فقالت له ياطوفرين يا بنى اعلم ان هذا بالصدق أبوك وأنا أمك وأنت مؤمن بن مؤمن وأنا أخت الملك الظاهر وهذا مسارع تخت السلطان فاترك يا ولدى الكفر والطغيان واعلم أن دين الاسلام هو أصدق الاديان فلا يغرك الشيطان ولا تجحد الايمان واتبع طريق الرشاد وهى طريق السعادة يرضى عليك ربك صاحب المشيئة والارادة [يا سادة] فلما سمع الطوفرين ذلك الكلام من امه زال همه وغمه ولانت جوارحه وحنت لدين الاسلام جوارحه وقال ياأمى لما أنا مسلم لأى شىء هذه المدة ما أعلمتينى مع أنى والله ماأشتهى صورة اليهود ولا بنى الاصفر ولم أعلم بذلك الخبر ولو علمت ذلك من زمان ماأقمت عندهم إلى الآن فقالت له يا ولدى كنت أخاف عليك من أن يقتلوك وأشرب نارك وأبقى تحسر عليك فقال ياأبى علمنى الاسلام فقال أيدمر قل اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال الطوفرين وأحسن الشهادتين وكتبت له السعادة فى الدارين ثم انه قام من عندهما ونزل إلى المحبوسين أطلقهم وأعلمهم أنه مسلم وأبوه ايدمر البهلوان فقال له الملك عرنوس ياطوفرين اعلم أن الملكة عين المسيح زوجتى فقال له بارك الله لك فيها ثم اعلمه فسلم عليها وأرسل الطوفرين وأحضر المقدم [illegible] وقبل كل شىء قطع رأسه وأمر الفداوية والأمراء جميعا أن يحملوا سلاحهم ويستعدوا لخلاصهم أرواحهم وهلاك أعدائهم فقال الملك عرنوس ياطوفرين هذا شىء لانحسب حسابه [illegible] ثم [illegible] يده على قائم الحديد وتبعوه ثلاثون فداوى وخمسون أميرا والملك [illegible] ومائتان من اتباعه والطوفرين أبوطبر ودعوا البلد ليلا وما أصبح الصباح حتى [illegible] من اليهود [illegible] سلاحهم وطلبوا الامان فقال الطوفرين لا أمان [illegible] إلا للمسلمين فمن أسلم [illegible] لم يسلم عدم وماطلع النهار حتى ملأوا الارض [illegible] وأخذوا أحسن الخيل فركبوها وركبت الملكة درملك وعين المسيح [illegible] أحسن الخيل إلا نائى الكحايل وباقى الخيول حملوا عليها الأموال وطلبوا قلعة [illegible] [قال الراوى] ان الملك الظاهر لما رأى الفداوية أسرت منهم ثلاثون والامراء أسرت منهم خمسون [illegible] [illegible] وأراد ان يركب هو بنفسه [illegible] الميدان [illegible] المقدم

إبراهيم يا ملك الدولة الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا فكيف ينزل للحرب تبدم
العساكر ويتأخرون الاتباع وأنا يادولتلي أصطلى نار الحروب بنفسى وأبارز مدير
الرعود حتى أبلغ منه المقصود والا أموت وأنا مقهور ومكمود وبعده يادولتلي افعل
ماتشاء فأكون انا خلصت من الواجب على ثم إن المقدم إبراهيم ركب على ظهر حجرته
ونزل إلى حومة الميدان فبرز اليه المقدم مدير الرعود كأنه البحر الحردان وتقاتل
معه الى آخر النهار وانفصلوا على سلامة وثانى الايام كذلك وفى اليوم الثالث نزل
المقدم مدير الرعود فاراد إبراهيم أن ينزل اليه وإذا بفارس من البر أقبل وبين يديه
عشره من الخيول الاصايل وعشرة حجورة كل حجرة أحسن من أختها والجميع بسروج
الذهب وقدم على المقدم إبراهيم وقال حى يا ابوخليل فنظر المقدم إبراهيم إلى تلك
الخيول وعددها وقال مقبول منك يافتى أما لا أرد الجى فقال له واطلب منك أن تعطى
هدية فقال إبراهيم أطلب ماتشاء فقال أطلب الميدان فى هذا اليوم حتى جرب روحى
مع مدير الرعود فقال وأنت من تكون أيها الفارس المأمور فقال له أنا ابن خالك عرنوس
فقال إبراهيم ياملك عرنوس أنا واقع الشرط بينى وبين مدير الرعود لاينفصل الحرب بيننا
الا باتلاف أحدنا فقال عرنوس أما أقول أنه تابع من اتباعك فقال إبراهيم إن كان هذا
مفيد دونك وماتريد فعندذلك برز عرنوس إلى الميدان حتى بقى قدام مدير الرعود فقال
من تكن أنت من الفرسان فقال من أتباع المقدم إبراهيم صاحب قلعة حوران فقال
له وهل أن لك اقتدار حتى تطلب هذا الشيء البعيد وهو عليك صعب شديد وإنما إذا
أتعبتنى وأسرتنى الملك عندى تمنى كل ماتريد وإن أنا أسرتك تكن لى من جملة العبيد فقال
عرنوس أكتب لى بخطك فكتب له بذلك ورقة وانطبق الاثنان ودوت أصواتهما
مثل الرعد ثم خرجا من الهزل الى الجد وأوسعا المجال طولا وعرضا كانت لهما ساعة بالها
من ساعة كشف الموت فيها قناعه ودام الامر حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك وكل
منهما أشرف على الموت والهلاك ومدير الرعود كل ومل وضعف رسم خواه واضمحل
وأبصر الملك عرنوس منه التقصير وعرف ذلك معرفة الخبير فجذب قاسم الحديد
وضرب رأس جواد مدير الرعود فبراها وطبق على جلباب درعه فاخذه أسيرا وساقه إلى
قدام الملك الظاهر وقال هذا الذى اسره تابع من أتباع المقدم ابراهيم فلما نظره الملك
الظاهر أمر له بالحديد فقال له لاتحكم بالحديد الاعلى الذى يستحق الحديد وأما الفرسان
لهم القتل أحسن من الهوان فقال السلطان يعنى ياملعون تملك بعيد عن رأسه ياإبراهيم
فقال له تامر الذى أسرنى أن يقتلنى بيده لاجل أن يكون الفخر له فى كذلك وإذا

بالملك عرنوس مقبل فقبل الأرض قدام السلطان وقال يادولتلى هذا لايجوز له القتل فانه بطل همام ولو كان على دين الاسلام ماكان له من يماثله فى الحروب والصدام فانه بطل درغام وفارس قمقام وانت كان يامقدم هدير الرعود لا تكن جاهلا وكن عاقلا فان هذا ملك الله الأرض طولها والعرض وأما قولك لايحكم عليك الا الذى أسرك فما هو الامن بعض عبيده وفى مملكته ومتشرف بخدمته ومتمتع فى نعمته فقال هدير الرعود ومن هو فقال الذى اسرك ماوقع بينك وبينه الشرط انه يكون له الهامخ بذات الحيات وقعت على فخذه قطعت الزرد وغاصت فى اللحم إلى حد العظم فهز جران الشناغير فطبقت الافرنج واليهود على المقدم إبراهيم فقفز بالحجرة دخل خيمة السلطان فعند ذلك حملت عساكر الاسلام ووقع الضرب بالحسام وصحت ابناء الكرام وفرت اللئام وكثر العدد على الاسلام وطمعت الكفرة اللئام والسلطان بقى يقاتل ساعة يمين وساعة يسار واقتحم هو ومن معه الغبار [اسمع ماجرى] للمقدم هدير الرعود فانه لما عاد من عند السلطان نظر اليه جران فرأى على وجهه انوار الايمان فسأله عن سبب خلاصه فقال له اشتريت نفسى من السلطان بخزنة مال فاعطاه كاس المدام وكان ممزوجا بالبنج فلما شربه انقلب فقيقه فعطس وقال اشهد قال جران قلتها قال نعم يامأمون والله ماقدره الله يكون فقال الستون مقدم اتباعه فاخذه مكتفا ونسير به إلى حصن الغضبان ان عاد نصرانى فهو منا والينا والان دام على الاسلام قتلناه واخذوه مكتفا وساروا به فالتقاهم عرنوس وكان راكبا وأتى يستعجل الطوفرين والفلقجار فانه كان تركهم وسبق إلى حوران وجرا له مع هدير الرعود ماجرى فاجتمع بالامراء والفداوية ومن معهم والفلقجار وفى عودتهم التقوا هدير الرعود وهو ماخوذ مكتف فصاح عرنوس الله أكبر فجاوبه الفلقجار والفداوية والامراء اطبقوا على الستين مقدم قتلوا خمسة وثلاثين وأسروا خمسة وهربوا عشرين وخلص هدير الرعود واركبه على ظهر الحصان وطلبوا قلعة حوران فلما وصلوا نظر الملك عرنوس السلطان يحوم على الكفرة كانه الصقر الحائم أو كواسر العقبان فصاح جئتك يامولانا السلطان وضرب بالسيف اليمان وفعلوا مثل فعاله ابطال الايمان وأما الطوفرين ابوطير فانه لبس هو والفلقجار ومن معه لباس اليهود واقبلوا على بنى الاصفر ويهوده الجحود فلما نظرهم يهوده ساق الجواد وقصد نحوهم باجتهاد لينظر من هم من أهل البلاد فرأى الطوفرين فى مقدمهم فقال له لاى شىء جئت يا ولدى فقال له ومن أين أنا ولدك ياعدو الرحمن مالى الاأيدمر البهلوان وأمى الست دور ملك أخت السلطان ووضع يده على الحسام وضربه من فوق يديه اطاح

وأسه بين كتفيه ونادى الله أكبر يالدين محمد القمر أنا الطوفرين ابو طابر وتبعه الفلق جار ومن معه من أهل الايمان الابرار وما دام حتى لحق الكندفرون وضربه على زنده اليمين جرحه جرحا مكين فولت اليهود والنصارى وهم منهزمين ونصر الله المؤمنين واجتمع ايدمر البهلوان بزوجته وابنه الملك الطوفرين واخذه ودخل وعلى السلطان فى الحال واعلمه بما كان ففرح بأخته وانزاحت عنه الهموم الثقال وكذلك الملك عرنوس تسلم وجته عين المسيح وفتشوا فى القتلى فأطلعوا الملك الشايخ مجروحا فبايعه الملك الظاهر نفسه بالمال واصلح بينه وبين الفلقجار وأخيه الكندفرون وراح إلى بلاده يكون جرحه بالنار ويقيم فى بلاده ويعمر الديار وأما جوان فانه هرب ولم يوجدله آثار وبعده جمعت الاسلام السلب والنهب والخيل الشاردة مع العدد المبددة وقسم السلطان الغنيمة وأعطى كل ذى حق حقه واخرج الثلث لبيت مال المسلمين وركب الملك دور ملك فى تخت وطلب الديار المصرية وأما عرنوس فانه كتب حجة لهدير الرعود انه ملك على مدينة الرخام من قبله واقام مع السلطان ثلاثة ايام وتودع منه وطلب مدينة الرخام وصحبته هدير الرعود وزوجته عين المسيح والفلقجار يقع لهم كلام [وأما] السلطان فانه توجه إلى مصر وطلعت أخته الملكة در ملك السراية وفرح باخته وعمل لها الولائم والافراح باجتماع الشمل وايدمر البهلوان افرح كل الناس بولده الطوفرين واحضر له المقدم شيحة جمال الدين فطهره وقطب له محل الطهارة وأقام السلطان يتعاطى الاحكام الشرعية ويزيل القصاص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم جد الاشراف [قال الراوى] إلى ليلة من ذات الليالى كان السلطان نائما والمقدم إبراهيم وسعد فى غفره فزعق السلطان فسمع إبراهيم زعقته فقال ياسعد السلطان رأى مناما ودخل إبراهيم فرأى الملك يتململ فى النوم فناداه بلطافة حتى افاق فرأى إبراهيم واقفا على رأسه فقال نوم العافية يادولتلى فقال السلطان يا مقدم إبراهيم أنا رأيت مناما فقال إبراهيم اجعله خيرا يادولتلى فقال الملك رأيت نفسى قاعدا فى بستان وذلك البستان فيه أشجار وأثمار واطيار والشجر طارح من جميع الزهورات وأنا قاعد على التخت فانقض على طير أسود أكلح اللون وأخذ التاج من على رأسى وطلع به سبع درجات واحده ورق فجاءت طيرة تشبه فى الخلقة وقد تسارعت مع ذلك الطير فارد الطيران يكسرها فارتجفت منه وارتخت اعضاؤها واذا بسبع مقبل ضرب الطير فى رأسه ورماه فاخذت التاج ثانيا وصحت فانتبهت فقال ابراهيم يا دولتلى

لما طلع النهار يأتوا العلماء إلى الديوان وتقص الرؤية عليهم والمنام فهم يفسرون لك الاحلام فقعد الملك يقرأ أوراده حتى انشق الفجر وصلى صلاة الافتتاح وتكامل الديوان واجتمعت ارباب الاحكام وحضرت علماء الاسلام فحكى السلطان منامه للعزبن عبد السلام فقال يا ملك الاسلام أما البستان فديوانك والازهار والاشجار عسكرك والأثمار ايراد مملكتك وأما التاج فهو ملكك والطير الذى أخذه فانه يأتيك رجل نصرانى يأخذ مملكتك ويحكمها أما سبع ساعات أو سبعة ايام أو سبعة اشهر أو سبعة أعوام وأما الطيره التى تاتى تجادله فانها حرمة من نسله ويهديها الله للاسلام وتتعب منه وأما السبع فهو من أولياء الله تعالى يعاونك عليه وتأخذ ملكك من يده ولكن بعد المدة المذكورة فسمع الملك هذا الكلام وسكت عن ذلك المنام واقام يتعاطى الاحكام الى يوم من الايام الملك جالس وإذا بكتاب قادم عليه من مدينة الرخام فاخذه وقراه وإذا هو من حضرة هدير الرعود والطى ورد نش يقولون فيه انه من حين ارسلت سابقا وأخذت الملك عرنوس والمقدم نصير النمر والمقدم اسماعيل أبو السباع الى هذا الوقت ماجاءنا منهم خبر ولا نعلم أن كانوا وصلوا أو ما صلوا وان كان وصلوا الى عندك فلأى شىء اقامتهم الى هذه الايام ان كان لشغل عرفونا لنكون على بصيرة والسلام فقال الملك أنا متى طلبت عرنوصا ومن معه فاراد أن يرد جواب الكتاب واذا بكتاب أتاني من حلب يذكر فيه انه من حين توجه باشة حلب الى مصر ماجاءنا خبر فالمراد الافادة عن سبب طول الاقامة وعدم العودة وكذلك من الشام ومن عسقلان وجميع البلاد الذى لما تراب سافرت منها ترابها الى مصر من طلب السلطان ولم يعودوا الى الآن فاحتار السلطان واذا بكتاب مقبل من غزة حسان فاخذه الملك وقرأه فوجد فيه الذى يعلم به مولانا السلطان انى فى بعض الليالى خرجت من البلد فرأيت قصرا من خارج غزة وهو من الذهب لكن لا أحد به وأصبحت ولم أرى به اثرا وثانى ليلة نزلت ليه رأيته فنمت على بابه حتى طلع النهار فرأيته شاهدا تربة ولما رأيت ذلك أتيت الليلة الثالثة فرأيت القصر على هيئته من الذهب فقعدت على بابه الى الصبح فوجدت نفسى قاعدا على تربة بين الشواهد وهكذا ثمانية أيام وهو الى الآن يظهر بالليل ويختفى بالنهار فأرسلت اعلم مولانا السلطان ليكون على بصيرة وان أراد مولانا يتفرج عليه الامر أمرك اطال المولى فى عمرك هذا ما عندى والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال من ... حتى ننظر هذا القصر ... الارا ... كاننا نروح حتى

تنظر هذا القصر الذى من الذهب فان هذا والله من أعجب العجب فعندها ركب السلطان والمقدم إبراهيم وسعد وباقى الفداوية وركب ايدمر البهلوان وعلاء الدين وسنقر وبشتك وباقى الامراء وسافروا يقطعون الارض والبلاد حتى عبروا على غزة فدخل السلطان فتلقاه الباشا أحسن ملتقى ودخل بموكب الى الميدان وضربت المدافع لقدوم السلطان وبعد ما أخذوا الراحة سأل عن القصر فقال له الباشا صحيح قصر من الذهب يظهر بالليل ويخفى بالنهار فقال الملك قصدى أشوفه قال بالليل تشوفه فلما فرغ النهار وأقبل الليل بدياجى الاعتكار طلع السلطان والباشا فقط فرأوا قصرا من الذهب فدار السلطان حواله دائر ما يدور فرآه قطعة واحدة من غير بابه فلما رآه كذلك علم محله وثانى ليلة أتى بالرجال الفداوية والامارة لقوه مثل ما كان وليس له باب والليلة الثالثة لقوه سبعة أبواب مقفولة فدار كل منهم على أن يفتح الباب فلم يقدروا وأقاموا الى الصباح فرأوا أنفسهم بين التراب على وجه الارض فقال السلطان ان هذا من أعجب العجب

فلما كان فى الليلة الرابعة راح السلطان والفداوية والامراء عن بكرة أبيهم حتى وصلوا الى ذلك القصر فلقوا بابا من الابواب مفتوحا فدخل الملك الظاهر ودخل وراءه ابراهيم وسعد والفداوية والامراء فلما دخلوا وجدوا شموعا موقودة أشكال وألوان وفرشات خاص على اللواوين وتصاوير ذهب وفضة جنس الحيوانات وبنات جالات وصبيان كانهن الحور والولدان وجوان قاعد على مرتبة من ريش النعام والبرتقش بين يديه وسائر الخدم يخدمون عليه وقاعد قدامه كاهن له صورة مقلوبة بوجه كانه قبة فرن وطوله كالعامود وعيناه كانهما سراجان يتوقدا نيران يخوف الله بها عباده فقال السلطان انت هنا ياجوان فقال جوان نعم أنا هنا عامل لكم هذه المكيدة حتى أرقعكم فيها لتعرفوا أن جوان يقطعكم ما أنتم تقطعونه فوضع يده السلطان على النمشة وأراد أن يضرب جوان فقال الكاهن امسكوا السلطان ومن معه من الخدمة والغلمان فتزلزل القصر وانهدم وهلك من كان فيه من الخدم وصار السلطان ومن معه جميعا فى الحديد ونظر السلطان فوجد نفسه فى مركب ومعه الفداوية جميعا والباشات ونواب البلاد والملك عرنوس واسماعيل أبو السباع ونصير النمر وهدير الرعود والطاز ودونش وجميع من كان متولى خدمة على طرف السلطان فقال الملك يا هل ترى شحة معنا فقال البرتقش نعم هو معكم ما فيكم أحد نفذ من تحت هذه الشبكة لا كلكم وقعتم فيها وجوان قاعد يتفرج عليكم فقال الملك

يا برتقش ومن أين هذه الداهية فقال البرتقش كلما نراه من جوان فقال الملك أى شيء عمل جوان فقال أما تنظر [أنت أين رايح فطل السلطان فرأى الجميع فى مركب والمركب مسافر فقال الى أين يا ترى هذا السفر فقال البرتقش أنا أحكي لك لكن بشرط ان وقعت فى يدك بعد هذه النوبة لم تضربني مثل ما تضرب جوان فقال له الملك طيب بس اعلمني

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن مدينة تسمى مدينة العروق والنهر الخرار وملكها اسمه الكاهن روميل وصورميل له بنت أراد روميل يتزوج بها مع أنها بنت أخيه وهذا عند النصارى حرام فقال أخوه لا يمكن ذلك إلا اذا رضى عالم الملة جوان فان كان جوان يرضى فلا مانع فقال الكاهن روميل أنا أجيء لك بجوان ثم انه أحضر رهطا من أرهاط الجان وطلب منه جوان فأحضروه من بحيرة بقره الى بين يديه فلما حضر قال له يا جوان أنا قصدى أتزوج ببنت أخي وهو ممتنع منها ولولا انه أخي كنت أهلكته واقتضى الامر الى حضورك حتى تعمل لنا تحليلا وتقرأ لنا فصلا من فصول الانجيل فقال يا أولادى هذا لا يجوز إلا فى كتاب الكنوز ولكن مهرها لا يكون الا رؤوس ملوك المسلمين وهم بيبرس وشيحة والدياب وعرنوس وابراهيم الحوراني وسعد وباقى الامراء والفداوية حتى يصح الجواز فان قدرت على ما قلت لك عليه جازت لك بنت أخيك وإلا لم تجز وتكون محرمة عليك فقال الكاهن روميل يا جوان أنت عليك تعرفنى عنهم بمعرفتك وأنا على أوقفهم فى حضرتك فقال جوان اسميهم لك هنا تعال معى الى بلادهم وأنا أذكرهم بين يديك فاصطنع القصر بالسحر والكهانة ونزل فى مركب من مدينة العروق والنهر الخرار وسافر الى غزة ووضع ذلك القصر قدامها يظهر بالليل للنظار ويخفى بالنهار وهو من علم الاسحار حتى رآه باشة غزة وأعلم السلطان وحضر وأتى ثلاث ليالى والليلة الرابعة فتح لهم الباب ودخلوا فنقل الجميع فى المركب ووضعهم فى الحديد كما ذكرنا وهذا الاصل والسبب فلما حكى البرتقش للسلطان قال السلطان نحن اذيتنا ما هى من جوان نحن اذيتنا من المقدم جمال الدين شيحة لانه كلما وقع جوان فى يدى واريد قتله يقول شيحة الوقت ندرى ولم ارض بقتله وطول جوان ما هو طيب كل يوم خبر جديد وانا اقسم بالله الذى لا إله إلا هو التواب الرحيم ان وقع فى يدى هذه الدربة لابد لى من قطعة ولو يجرى ما يجرى فقالت الامراء جميعا والفداوية والله العظيم لم يقطعه شيحة فلابد لنا من قطعة من شحمة اذنه بالشوا كرابش آخر هذه العمال [يا سادة] وسارت بهم المركب حتى وصلوا الى مينة مدينة العروق والنهر الخرار وفى طول الطريق يقعد جوان يسكر ويكتب ما فضل فى الكاس على المسلمين حتى حلفوا

كما ذكرنا ولما طلع الكاهن انعقد له موكب والمسلمون بين يديه مكتفين حتى وصل إلى ديوانه وجوان يقول يا برتقش فسد كتاب اليونان ها هو ذا الوقت يموت ملك المسلمين فقال البرتقش كتاب اليونان مايفسد شيء يا جوان والمسلمون يخلصوا من هذه القضية ويروحون إلى بلادهم كما كانوا على الآخر ويقطعونك ويلعنون أباك وأمك فاغتاظ جوان من كلام غلامه ولما جلس الكاهن روميل فى ديوانه قال ياجوان أنا جئت لك بالمسلمين فقال جوان وأنا أعمل بالمسلمين إيش أقتلهم وريح منهم الكرستيان فقال الكاهن منتار فقال الملك اصبر يامأمون حتى أطلب الفرج من صاحب هذه القبة الخضراء الذى ماقصدته عمرى وخيبنى أبدا فقال له اطلب الفرج فرفع قامته إلى السماء وهى قبلة الدعاء فقال يا رب

الشدة أودت بالمهج يا رب فعجل بالفرج
والأنفس أمست فى حرج وبيدك تفريج الحرج
يا من عودت اللطف أعد عادتك باللطف البهج
الفضل أعم ولكن قد قلت ادعونى فلنبتهج
ندعوك بقلب مجتهد ولسان بالشكوى لهج
هاجت لدعواك خواطرنا والويل لنا إن لم يهج
يا سيدنا يا خالقنا قد ضاق الحبل على الودج
اغلق ذا الضيق وشدته وافتح ما سد من الفرج
أغثنا من حكم الأعدا وأذقهم البأس السمج
أنت المقصود وأنت رجا القاصد يا نعم المنهج

[قال الراوى] فلما تم السلطان تلك الاستغاثة وقال يارب أغثنا بالفرج إنك على كل شيء قدير إلا والأستاذ الفاورى مقبل وهو يتضرع إلى الخالق الأكبر ولسانه من ذكر الله لايفتر فلما وصل قدام الكاهن أشار يذكر رب العالمين وأنشد يقول

يا من عوائده الجميل بفضله من ذا الذى لجلال مجدك ماطمع
يا إله العرش يا رب السما يا من على كل العباد قد اطلع

[ياسادة] ثم التفت إلى الكاهن روميل وقال ياعدوالها رب العالمين أنت على شان زواجك بنت أخيك وغرور جوان اللعين تريد هلاك أبطال المؤمنين المجاهدين وكانت بيده جريدة خضراء فضرب بها الكاهن فى صدره طلعت من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فانطلقت الاسلام من الاعتقال وأراد جوان أن يقوم فالتقى طيزه ملصوقة بالكرسى وكذلك البرتقش ولما خلص الله المؤمنين

قال السلطان الغارة على بلد هذا الكاهن الملعون وأنت يا مقدم جمال الدين التزم بالملعون جوان وهجم عساكر الاسلام وضربوا فى أهل الكفر اللئام حتى أفنوهم عن آخرهم كل هذا والملك الظاهر متعلق كل آماله بجوان حتى خلصوا من النهب والسلب وخربوا البلد عن آخرها وبعدها طلب السلطان جوان وحطه فى الحديد وقال للمقدم إبراهيم ياأبو خليل هذا تسلمك إن كنت باقى على محبتى فاحتفظ عليه فقال إبراهيم والاسم الأعظم ما أطلقه إلا بأمرك وسافر السلطان فى البر والمقدم جمال الدين يدل بالرجال على الطريق حتى أنزلهم على الريدانية فقال الملك ياشيحة قطع جوان فقال يامولانا لما تصل إلى محل حكمك ونعمل له عربية ونعلقه عليها ندوره فى البلد وبعده نقطعه فقال السلطان إيش هذا الكلام فقال شيحة الكلام هذا هو الصحيح فسكت السلطان وارسل واحضر عبد العز بن السلام وجمع علماء الاسلام وقال ياسادتنا ماقولكم فى رجل كافر دائما يفتح لى مهالك الاسلام وما قصده إلا إخفاء الملة الأسلامية وإشهار الملة النصرانية هو يغزى مع الكفار فى المسلمين الأبرار ووقع فى أيدينا هل نقنع منه بملقة نضربها له ونتركه يسير فى حاله ويفتح للاسلام مهالك بخبثه ومحاله فاتقولوا ياعلماء الاسلام فقالت العلماء هذا إتلافه صواب وإطلاقه عقاب ولم يرض باطلاقه إلا كل منافق كذاب أو خائن مرتاب فقال السلطان اعلموا المقدم جمال الدين ماقلتموه لعله يستطع لقولكم فقال العلماء يامقدم جمال الدين إيش الفائدة لك فى إطلاق ذلك الملعون فقال شيحة ياأستاذنا أنا مالى فيه فائدة وإنما هو إذا قطعتموه حكم طلب السلطان يظهر ضرر الاسلام ويأتى كافر يقال له قبطاريال الساحر يحكم بلادنا هذه ويأخذ السلطنة من ملكنا ويقع للمجاهدين مشقة فقال العلماء له هذا القول ورد عليك من حديث أو وحى نزل عليك أو اطلعت على الغيب فقال شيحة ورد على كتاب اسمه كتاب اليونان وحكماء الزمان فقال العلماء له كتاب اليونان هذا من جاء به من الأنبياء فقال ماهو من الأنبياء وإنما هو من حكماء الزمان القديم فقال العز بن عبد السلام ياشيحة ماأنت إلا جاهل وساعدوه العلماء فقال شيحة يا أبانا السعيد أنت سلطت على العلماء ولكن يا حسرتى عليك تندم ولا ينفعك الندم وأنا يامالك الدولة جوان ماهو غريمى حتى أمنعك عن تقطيعه ولكن هذا يحتاج عربية فأمر السلطان أن تعمل عربية وقام شيحة وعلق جوان بكلاليب من ابزازه الاثنين وأفخاذه الاثنين ثم انه قال يامولانا السلطان اعقد موكبك واركب حتى اقطع جوان بين يديك وأرسل شيحة الى البترك كرسافيز فى دير مصر العتيقة وأمره أن يجمع القسيسين والرهبان الأقباط حتى ينظروا ما يجرى على بترك الروم جوان فشرا فى أول الخلق وصار البترك يفشد رهم يردون عليه حيث قرأة

يا من جرى لك يا جوان حين قطعوك المسدان
يا ليتنى كنت الفدا أفديك من السوء والردا
ياما يقاسى فى غدا من مارى حنا المعمدا

وركب السلطان وابحر الموكب من الريدانية حتى دخل مصر من باب النصر وفات من الجمالية وأدام حتى فات من الغورية ووصل إلى السكرية كل هذا وجوان معلق على العربية وشيحة ماشى بجانبه فقال السلطان ياشيحة فى أى مكان [اقطع جوان أنا حلفت عن تقطيعه ياهل ترى مرادك احنث فى يمينى او أنزل انا أقطع جوان بيدى وانحمق السلطان فخاف شيحة ونظر إلى جوان وكان له فى يده اليمنى أصبع زائد فقطعه شيحة وقلاه فى الزيت وقال له كل ياملعون فاراد ان لايأكل فقرصه بالقراصات فأكل القطعة وإذا بشرار رفار ورجم بالاحجار واظلمت الاقطار وبدر صمت على جوان سمعته تسبح الاملاك فى مجارى الافلاك ياموءمن برب سواك وحد من لاينساك [قال الراوى]وكان السبب فى خطفة جوان وهو أن الله خلق مدينة فى بلاد الصعيد اسمها قلوصة وبها كاهن اسمه قبطاويل الساحر وله بنت اسمها تاج ناس فأراد ان يتزوجها فجمع علماء ملة الاقباط من قسيس وراهب وقال لهم كلوا لى ا كليل بنتى فقالوا له لا يجوز فقال ان لم تفعلوا ذلك أهلكتكم فقالوا له فى كتاب الاقباط لايجوز وانما فى كتاب الروم عند جوان كتاب اسمه كتاب الغنوز فيه البنت لابوها تجوز ولا أخيها تجوز فقال قبطاويل وجوان اين محله فقالوا له هو بلاد الروم فدخل بيت رصده وعزم بكهانته فرأى جوان مشبوحا على عربية عند المسلمين فأرسل ماردا يقال له سحاب المختطف الاسود وأمره أن يأتيه به سريعا فأتى وخطفه مع العربية كما ذكرنا ولما علا به فى الجو افاق جوان على نفسه وقال يامن هو حملنى أنت من تكون فقال انا اسمى سحاب المختطف أرسلنى اليك الكاهن قبطاويل الساحر احضريك إلى بين يديه فقال جوان قبل كل شىء حطنى على سور القلعة حتى أشرب نفسى دانى فى ضيق قريب من الموت ويروح تعبك عليك فانزله على سطح الديوان عند ما جرى

[وما] الملك الظاهر فانه لما سمع هذه الغارة التى جرت صاح على شيحة وقال له أنت طيب قال طيب ياموﻻنا هذا الذى كنت أحذره حتى وقعت فيه ولكن الحذر لا يمنع القدر الله تعالى يلطف بالاسلام وطلع السلطان إلى القلعة وقعد الملك فى الديوان وقعدت العساكر فى أماكنها واذهم بمياه سخنة نازلة عليهم من سقف الديوان فقالوا ما هذه المياه فقال جوان من الوصى فقال ماله تنجسنا ياملعون فقال جوان هو وانتم طاهرون

انتم نجستم دمي ولحمي وعظمي وأنا جئت لكم في هذه النوبة بداهية لانسدها الا وروسكم واولادكم ثم أنه رفعه كالسحاب المختطف حتى وضعه قدام قبطاويل الساحر فقال له انت جوان فقال نعم جوان الذي قضى عمره في الجهاد على الكرستيان الى هذا الاوان فقال له وماذنبك عند المسلمين حتى فعلوا بك هذا الفعال وقصدهم هلاكك فقال يا كاهن الزمان لكونه يجاهد على ملة الكرستيان فقال له أنا بلغني ان عندك كتاب يحلل البنت لابيها صحيح فقال له نعم لكن اذالم يقدر على مهرها قال وايش مهرها قال مهرها حرب المسلمين وأخذ بلادهم وهلاك رجالهم واولادهم وسبي نسائهم ونهب أموالهم فقال قبطاويل ياجوان أنا كلما اضرب رملا القى انى أملك بلاد الاسلام سبع سنين لكن بالسحر والكهانة وعلوم الاقلام فقال جوان وأنا أملكها لك بقية عمرك ماتةعام فعند ذلك أحضر الكاهن قبطاويل سريرا وقعد عليه ثم أمر جوان قعد بجنبه وضرب السرير بالمقرعة وقال له الى دير الطين فسار به السرير الى دير الطين ونزل هو وجوان واحضر من صنف المباطي الصرف عشرة وقال لهم سموا لي كبراء الديوان الذين يلوذون بالملك الظاهر فقال السلطان وابراهيم وسعد ونصر الدين وعيسى الجاهري وعثمان والقاضي يحيي الشماع ويعقوب الهدير ومحمد الفندور فتصور قبطاويل مثل الملك الظاهر وجوان مثل القاضي والبرتقش مثل سعد وسبعة من الكفرة مثل السبعة المذكورين ونزلوا على بيت علاء الدين فلما نظرهم تلقاهم فطلبوا الاكل فأكلوا . المدام فقال لم يكن عندي فقال السلطان في هذه الخزانة ففتحها فاطلع منها قزايز ملانة خمر فشربوا وبعده قال السلطان يا علاء الدين هات حريمك قال امان بعض شاه قال القاضي وهو جوان يا علاء الدين هات امرأتك واذا بزوجة علاء الدين مقبلة فلما رآها خرج عقله فقالوا له قم اخرج من هنا فقام خرج وهو ذاهل العقل فغاب ساعة وعاد فلم يجد أحدا فدخل حريمه فرآها نائمة فايقظها وقال لها أنت كان لك معهم ميعاد فقالت له من هم فقال لها الذين كانوا هنا فقالت له من هم فقال لها ماأعرف وكتم سره خوفا من السلطان ومن كان معه وفي الليلة الثانية وقع ذلك أيضا في بيت بشتك وكذلك في بيت سنقر والجاولي والخطيري وأيدمر وقلاوون وطال الامر حتى جرى ذلك لجميع الامراء حتى بقي الواحد منهم يقعد في الديوان يتجرع الغصص ويلتفت سرا الى القاضي يحيي الشماع ويقول له آه يامقلة صاحب الزغل ولم يعلم السلطان ولا من معه ذلك ولما أعياهم الامر حكموا للرزبر فقال لهم يوم الجمعة تكونوا عندي وقال السلطان عندي ختمة القرآن واريد منك يامالك الدولة ان تحضرها تسمع القرآن يحصل لنا السرور

ولما جلس الملك كانت عنده جارية عجمية فامرها أن تصنع المدام وتسقى السلطان فلما نظر السلطان ذلك ضرب الجارية فقتلها وقال ياوزير متى كنت معك نشرب الخمر ففعلت ذلك معى أو متى اطلعت على مع أن تربيتى كانت على يديك من عهد مولانا السلطان الصالح

فقال له أنا مارأيت منك ذلك ولا علمت إلا من الأمراء الذين تدخل بيوتهم انت وأتباعك حتى القاضى معك رماهم الأمراء يكابرونك تعالوا ياأمراء فخرجوا جيما وقالوا له صحيح انت والمقدمون إبراهيم وسعد وأولادهم وأتباعهم وعثمان والقاضى يقولون هات امرأتك هذا فى دين الاسلام لا يجوز ووضعوا أيديهم على السيوف وإذا بالمقدم جمال الدين طالع فقال السلطان الحقنى يا أخى فقال شيحة تستاهل لأن الدنيا قروض بوفاء وأنا منعتك عن تقطيع جوان فجمعت العلماء وتركتهم يقولون لى ماأجهلك ياشيحة ماأنت إلا جاهل وإنما يا أمراء مصر ان الذين دخلوا عندكم انا أوريهم لكم حتى يكمل عقلكم اطلعوا جيما هذه الليلة معى والسلطان والوزير معكم وسيروا معى أوريكم الذى يفعل هذه الفعال وان لم تروحوا فاقتلونى واقتلوا السلطان ان كان فعل هذه الفعال فقالوا إيش ياشيحة يبقى الذى جاءنا غير السلطان فقال شيحة الليلة تنظروا فقالوا جيما سر قدامنا فنزل بهم شيحة بعد المغرب من بيت الوزير وسار بهم إلى خط الدرب الاحمر وأوقفهم ميمنة وميسرة فما استقربهم الوقوف إلا وموكب منعقد اوله فداوية بنو إسماعيل فقال الامراء بك ياشيحة فقال لهم شيحة لا يتكلم أحد منكم وبعده فات الملك الظاهر وعلى يمينه وشماله سعاة الركاب إبراهيم وسعد وأولادهم وأتباعهم والقاضى يحيى الشباع راكب خلف السلطان وبعده أقبلت الأمراء أولهم قلاوون الألفى وأيدمر وعلاء الدين وسنقر وبشتك والجاولى والخطيرى وتمام الخمسة وسبعين أميرا راكبين خلف السلطان فالتفت المقدم جمال الدين شيحة وقال يا أمراء مصر انظروا ملككم الذى واقف بينكم والا هذا الذى راكب والأمراء انتم والذين راكبون خلف الملك فقال الامراء أماهذا شىء عجيب فقال السلطان ياأخى ياشيحة إيش الخبر فقال له اخلى القلعة وخذ حريمك وأولادك منها فان هذا سلطان على مصر غيرك اسمه قبطاويل الساحر فبات الملك واصبح احضر ابراهيم وسلمه الملكة تاج بخت واولاده السعيد واحمد سلامش والخضر العادل وحريمهم وقال قل يا مقدم ابراهيم خذ اختك واولادها عندك برج قلعة حوران فاخذهم إبراهيم وأمر الفداوية بالركوب ليلا إلى قلاعهم بعدما فرق عليهم السلطان اموالا تكفيهم وقال لعثمان ان

تركت حاجه فى السراية تلزم خلاصك فقال عثمان السراية ما فيها إلا السجادة التى تحتك فانى طرحتها ليلا وعالم بكل ما جرى وبيت غزية يا أشقر يعمى كلما نخاف عليه والمبرقعة تساعد الجدعان فاطمأن السلطان وقال خذ السجادة معك واسبقنى يا عثمان وطلع الملك على قصر يوسف يبكى فما رآه فيه غير الارض والحيطان والسقف فقال هكذا الدنيا :

يعاندنى دهرى ويعلم اننى ... خبير بأن النائبات تزول
أرى الدهر لا يسمع مقاله قائل ... ولا يعتنى من الزمان يقول
وأذهلى هذا الزمان وجوره ... وانى على جور الزمان حمول
ابات حزينا ثم أصبح ضاحكا ... واكمد ضحكى حاسدا وعزول
ويمنعنى شكواى للناس اننى ... أرى كل من اشكو اليه عليل
ويمنعنى شكواى لله انه ... عليم بما أشكوه قبل أقول
يرى حركات النمل فى حندس الدجا ... عليم بحال العالمين كفيل

[قال الراوى] ولما قعد الملك يتفكر أخذه النوم فنام وثقل فى النوم فبات نائم وقام آخر الليل فتوضأ وصلى ما عليه من الفرائض فلما أصبح الصباح نزل ماشيا على أقدامه وحيدا فريدا باكى العين يتجرع فرقة أولاده وزوال الملك من بين يديه حتى وصل إلى مقام الصالح أيوب ودخل فيه وقرأ الفاتحة وهو باسط يديه وقال يا سيدى أنت سبب ولايتى فساعدنى على رزيتى فسمع من البرزخ السلطان الصالح يقول له قم ياولدى هذا قضاء الله تعالى الله يحفظك بألطافه الخفية فطلع إلى خارج الجامع وإذا هو بالعساكر واقفة تنتظر خروجه فى موكب منعقد ورأى عثمان واقفا بالعجل الادهم وسعاه الركاب جميعا واقفون فاحتار فى نفسه فقال له عثمان اركب يا مولانا عدوك يهلك وأنت تمشى على مهلك فركب على ظهر الجواد فسمف الحصان بيديه وعلا وارتفع إلى العلى وسمع تسبيح الأملاك فى مجارى الأفلاك فقال إلى أين رايح بى ياهذا الجواد وما اسمك فى الجان فقال أنا السحاب المختطف الأسود أمرنى قبطاويل أن اوديك خلف جبل قاف وهو مسيرة خمسمائة عام فابتدأ السلطان فى قراءة آية الكرسى فقال العون يامولانا تحرقنى والأرض بعيدة عنك تهلك نفسك وهذا اعتراض على الله والامتثال للقضاء خير لك من الجهل فقال له أنا أشير لكن أريد منك أن تنزلنى اصلى الفرض الذى على فقال له لك ذلك أنا انزلك كل وقت تصلى فرضك ثم انه انزله صلى فرضه وشاله وسار بمدة أيام وهو فى كل وقت ينزله يصلى فرضه حتى

تعب السلطان فقال يا أخي هل الذي بقي من الطريق بعيد ام قريب فقال باقي مائتي سنة والذي مضى ثلاثمائة فأنزله على قلية وهو يقول نعم ياسيدي فقال صاحب القلية تعال يا ملك الاسلام فتقدم السلطان وسلم عليه وقال له يا سيدي كيف العمل في هذه الرزية فقال له اصبر فان الصبر أجمل ولا ينفعك الجدل فالمولى يفعل مايشاء ليس لأحد أن يمنع ما قضاه الله تعالى فاسئل الله اللطف في قضاه فانه يخلق في قضاه رحمته ولكن لك عندي ذخيرة وهي بدلة تلبسها لم يعلها وسخ ولا صديد ثم قام تحت خزانة وأخرج بدلة من القماش الطائفي فقال له البس وتوكل على الله فلبس السلطان البدلة وقال للشيخ وأنت من تكون يا سيدي فقال له أنا الجمال سافر بيمينك الملك الحق المتعال فاحتمله العون وسافر به إلى قبة كيخية القطب ونزل به فاكرمه إكراما زائدا وأقام عنده ثلاثة أيام فقال له انزل استحمي في الماء العذب الفرات فانه من الكوثر فتوضأ وصلى وبعده أخذه الكود وسافر به ثلاثة أيام فقطع به خمسين عاما ونزل به على قلية سيدي أحمد فعزمه تسعة أيام وقال له لا تخف فملكك مردود اليك فسافر حتى تنفذ الاحكام والقضايا وتوكل على رب البرايا ورفعه المارد ثلاثة أيام وإذا شهاب وقع على رأس العون فانزله على التراب ونزل الملك إلى الارض لكن على كثيب من الرمل فانكبس في بعضه فغمى عليه ساعة وأفاق فاخذ اللت الدمشقي يتوكأ عليه وتارة يمشي وتارة يقعد حتى أمسى المساء وإذا بثعبانين طاردين بعضهما بعضا فالمطرود أنثى فدخل تحت ذيل السلطان والطارد له فيه طمعان فعلم السلطان أن هذا عدو هذا فضرب الطارد بحد اللت في رقبته قطعها فانتفض الآخر وكانت أنثى وقالت له شكر الله فضلك وخلصك من المهالك كما انك حفظت عرضي وأرحتني من عدوي اعلم اني أنا اسمي يانة بنت الملك الابيض والذي قتلته اسمه لمع ابن الملك الاسود وهو كافر ولكن افترس بي وانا وحدي وكان قصده ان يتلف عرضي ولولاك والا كان اما افتضني والا قتلني ولكن أنت ما قال انك من الانس فاسلمها بحاله وما هو فيه وكيف اخذت بلاده فقالت له سر معي إلى عندي ابي فهو يبلغك مرادك ويردك إلى بلادك فسار معها حتى اوقفته قدام ابيها فقال اهلا وسهلا بملك الانس واكرمه وقال له اعلم ان خصمك هذا المعون يحكم على ذلك سبع سنين وقد مضى منها نصف سنة والقضاء ما له إلا انفاذه اقعد عندي حتى تمضي هذه الاحكام الذي قضاها الله الملك العلام فقال السلطان واي شيء فائدة جلوسي عندك وانا ليس من شكلك فقال له علم لي اولادي القرآن واحضرهم قدامه فقال السلطان قل بسم الله الرحمن الرحيم فتكبروا وراحوا إلى ابيهم صاغرين فقال لهم ما الخبر فقالوا له الانسي اراد ان يحرق جسدنا فقال له اقرأهم بلا بسملة فقام يقري

أولاده ثلاث سنين حتى انهم حفظوا غيبا القرآن فلما علم أن أولاده تعلموا القرآن قال له يا انسى تمنى على فقال أتمنى عليك أن توصلنى إلى بلادى فقال له مرحبا بك واحضر عونا من أعوان الجن وقال له ارفع هذا الانسى وبلغه إلى بلاد توريز العجم فحمله العون وسار به إلى توريز وتركه وعاد إلى حاله فقام يتوكأ على اللت الدمشقى حتى دخل البلد وسار إلى أن دخل على القان هلاوون فلما رآه قال له أهلا وسهلا واجلسه إلى جنبه واحضر له شربات وأسقاه وسلم عليه وهناه ولما حضر السماط أكل معه ونادمه إلى آخر النهار وأدخله فى سراية مفروشة وعاد القان هلاوون إلى قاعة جلوسه وأحضر وزيره رشيد الدولة إلى بين يديه فقال له قان العرب وصل إلى عندى أى شىء اصنع معه فقال يا قان الصواب عندى إكرامه يبقى جميلك عليه إذا تمدق بملكته ثانيا ما ينسى جميلك فتركه وكلامه وقال له وعلى هذا عزلت واصرفه وأحضر ثقلون طاز وقال له يا ثقلون طاز قان العرب صار فى حكمى أى شىء اصنع معه فقال له يا قان الزمان أنت له نظر ما كلفت ركبات وجهزت عساكر على انك تملكه أو تأسره فلم تقدر عليه وها هو بقى عندك اقتله واشف منه غليل صدرك فقال صدقت يا وزير فاحضر له اثنين عيارين وأمرهما أن يدخلا على قان العرب فى القاعة التى هو فيها ويقتلاه وأمر طومان من طوامينه بخمسمائة خيال يقفون خارج البلد إذا نفذ من العيارين يقتلونه كل هذا والسلطان جالس فى القاعة ولم يعلم ما كتب له فى علم الغيب وبعد ما صلى العشاء سمع دق الشاكوس على الباد فانتظر نزول السرياق واختفى حتى نزل الأول فقبضه من حلقه وعصر عليه فخنقه ونزل الثانى فضربه بالنمشة جعله نصفين وتعلق على السرياق وطلع خارج القاعة ولم المفرد وطلع به من السور وإذا بالطومان والخمسمائة أتباعه احتاطوا به فقاتلهم وهو على قدميه فثقل عليه العدد وهو فريد فطلب الاعانة من الملك المجيد وقال هيه يارب :

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا   وبت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة   يامن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها   مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد بسطت يدى بالذل خاضعة   اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة   فبحر جودك يروى كل من يرد

فما تم دعواه إلا وماشى بدوى مقلون كأنهم الأسود على خيول أخف من الطيور ومالوا على العجم وقالوا حاس تن دار العرب يا كلاب العجم فما كانت الا ساعة حتى فنوهم وقالوا له يسلم عليك رشيد الد[illegible]

الكتاب وقرأه فرأى فيه يامالك الاسلام لو دخلت على كان اولى الك من دخولك على هذا هلاوون ولكن حاذر منه على قدر اتقدر وها أنا أفديك بروحي من كل الضرر فشكره وأمر العساكران تأخذ سلب القتلى وأخذ هو الخيل وسار بهم تحت الليل وبات مسافرا وقصده ان يروح الى ملك خوارزم بلاد أبيه حتى يقضى الله ما هو قاض واذا واذا به التقى بين يديه خياما منصوبة وخيولا مجنوبة وأعلاما مركوزة وهم كلهم لابسين لباس الاسلام ومكتوب على بيارقهم لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رآهم اطمأن قلبه واقترب منهم فأتوه جماعة منهم وقالوا له تبيع هذه الخيل فقال لهم أبيعها فأخذوه الى قدام ملكهم فلما رآه سلم عليه وبكى فقال له لماذا تبكي ياقان فقال له ابكي على واحد يشابهك فى الذات والصفات وهو ابن قاننا القان شاه جهك صاحب ملك خوارزم وسيكسوارسلى أدور عليه فانه بلغنا أنه أخذ بلاده رجل كافر وهو تايه فى الدنيا ما أحد يعلم به والذى يأتى بخبره الى القان شاه جهك له الف ذهب بشارته خلاف الانعام فقال الظاهر طيب الملك فانا ملك العرب محمود عجم بيبرس عرب فقال أهلا وسهلا ثم قام له وسلم عليه وفرح به وطلب السماط فأكل معه وبعده الشرابات وغمز الساقى فادغر له البنج فشرب الملك فبنج فقبض عليه وأخذ الخيل منه وفيقه فلما أفاق السلطان ونظر بعد الدنيا تغيرت من الاسلام الى المجوس وكان غره الملبوس فقال له أنت من تكون قال رافضى ابن رافضى أنت قتلت عسكر القان هلاوون فارسل الى كتابا يأمرنى بالقبض عليك وارسالك اليه ثم انه أحضر قبطان عجمى وسلمه اليه وقال له ياعبد النار وديه الى توريز ولا تسلمه الا بيد خالى رقى له يسلم عليك ابن اختك كافر خان وها هو ارسل اليك قال العرب فانزله فى المركب وربطه فى الصارى فضاق صدر السلطان رفع قامته الى من يعلم متقلبه ومثواه وقال الهى أنت اللطيف الخبير العالم بما فى الضمير الهى اجبر كسر قلبي فمالى سواك نصير وأنت على كل شىء قدير فما تم دعاه حتى خرج من المشرق ريح اسود ظلمت منه الاقطار وتنغمت منه أمواج البحار وهدر البحر وقد ازداد الليل سوادا على سواد وقوى الهوى باذن من على العرش استوى باتت تلك الليلة فى أنحس بيت فلما طلع النهار خرجت عليهم مراكب ضرموهم بالمراكب واطلقوا عليهم أسرهم ونهبوهم والملك الظاهر بالجملة معهم وكان هؤلاء أعجام سفينة من الاسارى واوقفهم قدام والى المدينة وكان اسمه القان عبد الله فلما وقف الملك الظاهر قدامه تأمله فقال له انا أرى انت لست من أهل هذه البلاد أنت من أين فقال له من الزمان أناف به من حملة القرآن وقد قرأ له شيئا من القرآن فاعجبته قراءته

وقال له أنت مؤمن وأى شيء أوقعك مع الارفاض فقال له كنت قاصدا الحج فاستأثرت في أيديهم فقال له لا بأس عليك وأجلسه بجنبه فأقام عنده سنة كاملة الى يوم من الايام أراد القان ان يشق على بلاده فأجلس الملك الظاهر وقال له ياشيخ محمود أنت فى مكانى وخليفتى على دولتى فجلس السلطان مكانه وركب القان عبد الله يشرف على بلاده وسار الملك يجلس بالديوان بالنهار وبالليل يدخل محله الذى أفرده له القان عبد الله الى ليلة من الليالى نظرته محضية من الباب وهو داخل فتعلق قلبها بمحبته فنزلت له ليلا فوجدت باب القاعة مقفولا فطرقت الباب فقال الملك من بالباب فقالت انا افتح فانى قصدى اتحدث معك فقال لها عودى الى مكانك وان كانت لك حاجة فتعال نهارا جهارا فكررت عليه فشتمها وقال ياملعونة ماأنا ممن يكلم النساء ليلا سيما اذا كنت فى غير ملكى فعادت مغضبة وكتبت للقان عبد الله وقالت له ان الذى جعلته نايبك أراد منى الفاحشة ولاأحتشى صولتك ولولا انى نفرت منه والا كان أخذنى غصبا فلما سمع القان عبد الله هذا الكلام كتمه فى سره حتى عاد الى محله ودخل على محضيته وكان الملك عاقلا ذا ثبات فسألها عن الكتاب التى أرسلته فاخبرته بأن هذا الفقيه الذى هو مقيم عندك طلب منى الفاحشة ولولا امتناعى والا كان غصبنى فقال لها الحق علينا فانى لو تفكرت لكنت أعطيته جارية يتمتع بها ولكن قومى أنت روحى له فقد أوهبتك له فقامت ونزلت بعدما ازينت ولبست وبعد اللبس تطيبت وتكحلت ونزلت الى الملك الظاهر فقالت له ياسيدى أنا جئتك أولا فقلت الحرام لم أفعله ولم أقبله وهاهو سيدى أوهبنى لك لاكون محضيتك فافتح لى الباب وخذنى لك ضجيعة وأكون خادمة لك ولامرك مطيعة فقال لها من الذى أوهبك لى فقالت سيدى شاه عبد الله فقال لها روحى حتى اسمع منه أنه أوهبك فقالت وهو كذلك وعادت الى القان وقالت له لم يرض الا اذا سمع انك أوهبتنى له منك فطلب الملك القان عبد الله قال له ياملك محمود وهبتك هذه الجارية هبة منى لك ولا امن بالعطاء عليك فقام الملك وفتح الباب وضمها بالامشة فى بيت الحرام فرقمت نصفين فقال القان عبد الله أحسنت يامحمود شاه وسلم الله عينك وما فعلت الا الصواب فانها ارادت ان ترميك معى بالفتنه مع أنك برىء من هذه المحنة وكبر السلطان فى عين القان عبد الله أكثر ما كان وعلم أنه لا يفعل ذلك الامر كان صاحب قدر وعفافة وكرم وحسن شيم وأقام السلطان عند القان عبد الله فى مدينة الرفش [قال الراوى] وان القبطان عبد نار الذى كان أخذ الملك الظاهر بوصله الى القان هلاوون لما أخذ القان عبد الله مركبه ورمى بسهمه فى البحر تعلق على لوح من خشب فلذته الامواج حتى طلع البر وسار الى ملكه

توزبرود خل على القان هلاوون وقبل الارض وقال ياقان الزمان النار تحسك وتمسك وتسق الشعر الذى فى وشك وتكوى عصعوصة فلسك قال آمين فقال النار ترضى عنك يا قان الزمان ودخانها وشرارها يدخل فى عينيك قال آمين ايش الخبر فقال له ان القان كافر خان قبض على قان العرب وأرسله معى اليك فتغير علينا البحر فرمانا على مدينة الرقش فطلع القان عبدالله أخذمنا قان العرب ونهبنا فنزلت البحر وتعلقت على لوح وأتيت اليك أعلمك فقال له رها هو قان العرب واقف وراءك فالتفت لينظر وراءه فضربه بالحسام أرمى عنقه كرى الاقلام فضحك رشيد الدولة قال نعم ما فعلت ياقان الزمان فصاح هلاوون فى عسكره واخذ عشرة آلاف مقاتل وركب من توزبر حط على مدينة الرقش وأرسل من عنده كتاب مع نجاب الى القان عبدالله يقول له ياقان عبدالله اخرج قان العرب من عندك وسلمه لى حتى أرحل عن بلادك والا أخرب بلادك واحق جميع عساكرك واجنادك فلما قرأ الكتاب التفت الى النجاب وقال له وأين هو قان العرب الذى عندى فاشار له على السلطان فضربه بالحسام رماه نصفين وقام على حيله وقبل الارض قدام السلطان قال يا ملك الزمان تنكر نفسك منى هذه المدة وانا أجهلك حتى أتى هذا الملعون هلاوون يطلبك وأنا اقسمك بالله ان بروحى افديك ولو تطير رؤوسنا أنا وعسكرى بين يديك وهذه مملكتى نزلت لك عنها نزولا شرعيا واقاتل أعداءك وأكون أنا فداك فقال الملك الظاهر ياقان عبدالله اعلم ان دين الاسلام منصور والله تعالى يدبر الامور اطلع بعسكرك واصطفوا للقتال والنصر من عندالله الملك المتعال فعندها فتح باب البلد وبرزت العساكر واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وركب الملك الظاهر على ظهر الحصان ركبته المعروفة ووقف فى صدور الاعجام مثل وقفته المعروفة تحضرت له طوامير الاعجام فضربهم بحد الحسام أبرى أعناقهم والهام ودام على ذلك الخصام حتى اقبل الظلام فشكت العجم الى القان هلاوون من حربه وماقاسوا من طعنه وضربه فاغتاظ من ذلك تقلون ظاز وصبر الى الليل وقام وطلع الى الميدان وحفر حفرة وغطاها بعدما عمقها وثانى الايام نزل الملك الظاهر فخرج له تقلون ظاز وراوعه بالبراز معاه ماهو من رجاله ولا يعد من اشكاله وانطارد قدام السلطان وهو يتجنب الحفرة والسلطان لم يعلمها فوقع فيها وانطبقت عليه العجم وقبضوه باليد فنظر القان عبدالله وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وعاد بعسكره الى البلد وقفل أبوابها وحاصر الاسوار وركب المدافع وضرب على الاعداء بالنار واما القان هلاوون فانه لما أخذ السلطان أسيرا هدده بالقتل فقال الملك الظاهر ياقان هلاوون افتخر باسرى اذا كنت أخذتنى من سرجى بقوة باعك واما ايش ياكلب افتخارك

تفتح لى ثغرة وتقبضنى بها ولكن ان سلمت من يدك ووقعت فى يدى نشرتك بالمنشار من رجليك بعد ما أخرب بلادك واقطع عساكرك وأجنادك فقال القان هلاوون لما آخذ القان عبدالله وأصلبه معك على توريز ثم انه سلمه إلى قبطان وقال له سر به إلى توريز العجم وضعه فى السجن عند رشيد الدولة فقال سمعا وطاعة وسافر به القبطان وأقام هلوون على حصار القان عبد الله يقع له كلام [ياسادة يا كرام] إن القبطان الذى أخذ الملك الظاهر سافر طالبا توريز أقبل على مدينة ختيان غلب عليه الريح فمال على المدينة وكانت تلك المدينة ملكة يقال لها الملكة تيجان فنظرت من من شبابيك قصرها وقالت لقبطانها اسأل من هم الذين أرسوا على مينة بلادى فقالوا لها يا ملكة هذا قبطان القان هلوون فقالت هيا اقتلوهم وانهبوا جميع ما معهم ولا تبقوهم فمالت أهل المدينة وقتلوا القبطان وأهلكوا من معه فى الغليون ونهبوا المركب فرأوا الملك الظاهر فقالوا له أنت سنى أم رافضى فقال لو كنت رافضى ما كنت ابقى أسيرا عند الارفاض وما أنا إلا مسلم فسألوا بعض الاسارى عنه فقالوا لهم هذا قان العرب فأخذوه وقالوا له أنت قان العرب قال نعم ففكوه وأخذوه الى قدام الملكة تيجان وقالوا لها يا ملكة هذا قان العرب فقالت انت بيبرس فقال لها نعم فقالت خذوه الى الحمام فادخلوه الحمام فاخرجوا له بدلة تكاد أن تكون سرقت من كنز ولما طلع من الحمام البسته وأحضرت الطعام المفتخر واكلت معه وقالت له شرفت بلادى ياملك الاسلام ثم سألته عن سبب غربته ووقوعه فى يد القان هلاوون فحكى لها على قبطاويل الساحر وما فعل وعلى هلاوون وما فعل فقامت واحضرت الزايرجة وضربت الرمل وقالت له اعلم ياملك الاسلام ان هذا قضاء الملك العلام خالق الضياء والظلام ولكن ما بقى إلا شيء قليل ويحصل لك النصر من الملك الجليل ثم انها قامت على حيلها وقالت اجلس انت يا ملك الاسلام على الكرسى وهذه مملكتى ارهبتها لك ولا أبخل بروحى عليك وان اردت ياملك الاسلام زواجى فها انا بين يديك فقال السلطان ياملكة تيجان اما زواجك بى فما هو انصاف لانك بنت صغيرة وانا حالف ما اتزوج على تاج البخت ولا اغيظها واحتظى بجوار وانما انا عندى لك زوج جميل الصورة حسن الشيم وهو الذى بجماله افتن بنات الروم وبنات العجم وهو الملك عرنوس ملك مدينة الرخام فقالت له وانا ياملك سمعت وصفه وقلبى تعلق بمحبته ولا أطلب زواجى به الا منك فقال لها وهو كذلك ان شاء الله تعالى ولكن يا ملكة انا قلبى مشغول على القان عبد الله والملعون هلاوون لا اعلم ما فعل معه فقالت له فانا اجيء لك بهلاوون الى هنا وابلغك منه القصد والامانى ثم انها احضرت عيارا من عندها

وقالت له سر إلى مدينة الرقش وقل للقان هلاورون اعلم ان قان العرب عند الملكة تيجان فان اردت ان تاخذه تعال اليها وخذه منها فراح العيار واعلم هلاوون بذلك الحال فارتحل من مدينة الرقش ونزل على مدينة جتيان وطلب حرب الملك الظاهر يقع له كلام [قال الراوى] واما المقدم ابراهيم بن حسن فانه اقام بخدمة اولاد الملك الظاهر وحريماتهم والملكة تاج بخت واوفى بالواجب فى حقهم هذه المدة الطويلة فاطمة أخته بقت للملكة خادمة ونديمة وكذلك نافلة الحصون يعللوا فى مزاج الملكة ومن المغرب يركب حجرته ويطرف حول القلعة طول الليل ولا اعطى تهاونا فى الخدمة ولا ساعة واحدة واما بنو اسماعيل فانهم كانوا يجلبون اموالا من بلاد الروم ويوردون إلى بلاد الاعمار ويسلوا المقدم ابراهيم على ما يجرى فى الازمان إلى اليوم فقال المقدم ابراهيم يارجال ياهل ترى شيحة كان سلطانا علينا وكان يفتخر بسالخ الرجال اذا حصروا عليه ولاى شيء ما عمل حيلة وسلخ قبطاويل الساحر وكان يفتخر علينا وعلى الملك الظاهر فقال سعد يعنى شيحة لوكان له قدرة على ذلك الشأن لما كان صبر الى الآن فقال ابراهيم يعنى والسر الذى فيه لما يذكر يحضر ياهل ترى باق على عهده والا فرغ انده عليه ياسعد فقال سعد اين انت ياسلطان القلاع والحصون واذا بالبواب الذى على باب القلعة قال نعم فقال ابراهيم انت عامل هنا بواب فقال شيحة أهى كلها خدمة فقالوا له يا حاج شيحة هكذا يخلصك سبع سنين ونحن صابرون بقى كيف التدبير فقال التدبير لله اللطيف الخبير ولكن اشتغل باله وما هان عليه منصبه فنزل من قدامهم وسار الى خان يونس واذا بشخص نفخ عليه فرجع شيحة هاربا

[قال الراوى] ان قبطاويل كان عاملا فى كل الجهات اشخاصا مخافة من المسلمين لانه لما طلع السلطان مع العون الذى امره ان يوديه الى جبل قاف وبعده كجلس على راس قلعة الجبل ثلاثة ايام البس سعاة فى صفة ابراهيم وسعد واتباعهم من جنوده واما القاضى جوان فانه لما جلس قبطاويل على تخت مصر قال له يا ابى اعلم ان المسلمين يسكترن عن بلاده فلا تامن جانبهم فقال له يا جوان انا لو كنت احسب حساب المسلمين ما كنت اخذت منهم بلادهم ثم انه اقام ورشق على جميع الاودية حول مصر وجعل على كل طريق شخصا يمنع العابر المؤذى ينفخ عليه نارا والعابر الغريب يصيح ويقول دخل غريب يا قبطاويل ولما حضر شيحة ورأى ذلك الشخص عرف المقصود وامتنع عن الدخول وسار الى بركة ماء وتوضأ وصلى على شاطىء البركة ثم قام وتمشى من محل مجرى المياه الخليج النافذة على بركة حتى بقى فى قلب مصر

فطلع من عند الخليج المرخم فالتقى به قيطاريل الساحر وكان فى موكبه وعرفه معرفة خبير وحط يده على السيف وضربه ففزبه الحصان وبقى شيحة بعيداً عنه وعلم شيحة منه ذلك فأراد أن يزوغ فلم يقدر وصار ماشيا قدام الحصان حتى وصل إلى الديوان فقال قيطاريل سلم على صاحبك يا جوان فلما نظر جوان اليه ارتجف اعضاؤه وقال لقيطاريل من هذا فقال هذا صاحبك شيحة فتغير لون جوان وقال هذا الذى قصده يقطعنى فقال قيطاريل قطعه أنت قبل أن يقطعك ثم انه قال بوضع شيحة فى الحديد وقال الجوان أنت تل الطاقية التى على رأسك أكون شيحة فقال اكون شيحة فصار كانه شيحة وأما البرنقش بقى مثل السابق والبس شيحة قطية بقى مثل جوان وربط عربية وربطه عليها ونادى المنادى من كان يريد الفرجة على تقطيع جوان فليبادر بكرة الفرجة من أول النهار فاجتمع الناس ثانى يوم وركب الكافر قيطاريل مع أن أهل مصر لم يعلموا بما جرى واعتقادهم أن الملك الظاهر هو الذى يحكم بالقلعة وفى مدة قيطاريل حاكما بمصر إذا رأى رجلا يقرأ القرآن يضربه ومن رآه يصلى يؤذيه واذا رأى مسجدا يجعل قدامه خمارة ويوطه محششة وكثر الفساد حتى بقت الفساد يقولون لم يبق على وجه الأرض نظير الملك الظاهر الله يديم لنا ملكه وحكمه والناس أهل الايمان يقولون الله تعالى يصلح اهل الايمان ويصلح فساد دولة السلطان والا يفاصلنا فيه على أى وجه كان وما دام كذلك إلى أن كان فى ذلك اليوم وطلع الناس يتفرجون بتقطيع جوان وركب الكاهن فى صفة السلطان ودار فى البلد والناس يتفرجون وجوان لا بس بدلة السلخ كما يلبس شيحة وانعقد الموكب حتى بقى على القوم الف قدم إلى باب المتولى فاراد جوان أن يقطع صباع شيحة ويطعمه له كما فعل معه واذا بيد انحطت فى العربية رفعتها سمع شيحة تسبيح الاملاك فى مجارى الافلاك فقال شيحة من الذى حملنى فقال له أنا السحاب المختطف الابيض خادم الملكة تاج ناس بنت الملك قيطاريل الساحر وأنت مطلوب الى عندها فى مدينة القرصة فسكت شيحة وما دام العون سائرا به حتى وضعه قدام الملكة تاج ناس بنت قيطاريل فقالت له أنت شيحة فقال نعم خذوه الى الحمام فادخلوه الحمام وقدمت له بدلة ايما والبسته اياها واحضرت الطعام وأكلت معه وقالت له اعلم يا ملك القلاع أن ايام قيطاريل قد مضت وأنا كما اضرب تخت الرمل الاقى أن قتل أبى على يدى واكون من أهل الايمان واتزوج بالمقدم جمال الدين شيحة إلى أن كان فى ذلك اليوم احضرت خادمى السحاب المختطف الابيض وقلت له ابن

شيحة فقال لى ان أباك وضعه على عربية ويريد جوان أن يقطعه فقلت له حضره لى سريعا فأتى بك وها أنا حضرتك وأنت اى شيء تقول فقال لها أنا الك على كل ماتريدى فقالت قبل كل شيء علمنى كيف يكون الاسلام حتى أسلم فعلمها وقالت له تصدى أن تتزوج بى على رؤس الأشهاد فقال لها لابد من اثنين مؤمنين يعقدا لنا العقد فقالت له أجيء لك بقاضى مصر قم يا سحاب فنزل العون [يا سادة] وكان فى تلك الايام قليل الشكاوى عند القاضى فلما كان ذلك اليوم قال القاضى للرسول اطلع فتش لنا على دعوى فطلع الرسول فلقى رجلا ماشا قدرة لبن فأتى إلى القاضى فقال القاضى هات ياشيخ فرأى اللبن سخنا فقال ياشيخ من اى شيء هذا اللبن سخنا فقال ياسيدى غليته على النار فقال القاضى أنت تستحق التعزير هات الجريد يارسول فقال الرسول ياشيخ اعط القاضى حق الرز وفوت اللبن فأعطى له أربعة دراهم فضة فجاء بدرهمين خبز ودرهم سمن ودرهم عسل وطبخوا اللبن وفتتوا الخبز فى قصعة وأفرغوا عليه اللبن وأعطوا القدرة للبان فقال اللبان يارب لا تهنيهم على هذه الأكلة فطلعوا إلى دكة الجامع وقعدوا وأرادوا أن يأكلوا وإذا بالسحاب الخطف الأبيض خلع الدكة ورفعها وعليها القاضى والنايب والكتبة أربعة وأربعة شهود واثنين رسل فنظروا إلى أنفسهم وإذا بالدكة طائرة بهم فقال القاضى نحن تركنا الارض وارتفعنا إلى السماء وكان القاضى خدت فمده من جنب الدكة ينظر الارض بعيدة أو قريبة فظن العون أنه يريد أن يضربه بها فقشها منه ورماها فوقعت فى خط المقسم وكان رجلان اشتركا فى حمل فول أخضر كل واحد باع جانبه واحد جمع ستة دراهم والثانى اربعة دراهم

فقال له شريكه ياعجب أنت جمعت أربعة وأنا جمعت ستة فكشف رأسه وقال أسأل الله ان كنت خائنا يرزقنى بداهية من السماء فما تم كلامه إلا والخدت وقع فى وسط مخه فوقع قتيلا فقال الناس يا دافع البلاء السماء فى خشوت كل من حلف باطل يموت وأما العون فانه حط الدكة قدام الملكة تاج ناس فاعلمته بمطلوبها وقالت له يا قاضى مصر أنا بنت قبطاريل الساحر ملك مصر الآن واريد أن أتزوج بجمال الدين شيحة فكتب لها الكتاب وفرح شيحة بذلك وأنعمت على القاضى وراح إلى مكانه ودخل شيحة على الملكة تاج ناس وثانى الايام دخل الحمام ولما طلع من الحمام قال لها يا ملكة هل تعرفى أين هو الملك الظاهر فضربت تخت الرمل وقالت له انه يقاتل هلاوون على مدينة خيتان وهى بلاد الملكة تيجان فقال لها ودينى عنده فقالت على الرأس والعين ثم انها احضرت السرير وقعدت عليه واخذت شيحة

جنيا وقالت له روح بنا على مدينة خيتان فلما وصلوا اليها العجم منطبقين على السلطان فقالت تاج ناس يا اصحاب أرضنى وزوجى فى قصر المدينة وانزل على هؤلاء الاعجام الارفاص بالاحجار حتى تهلكهم عن آخرهم فأدخلها السراية وفعل ما أمرته فما يشعر ملاوون الا والاحجار نازلة عليه كالمطر فهلكت جميع العسكر وطلع هاربا على وجهه فى البر الاقفر وشتم النار التى لم تنصره على المسلمين الابرار ونظر الملك الظاهر الى ذلك فتعجب من تلك الفعال وطلعت عساكر الملكة تيجان فجمعوا السلب والنهب والخيل الشاردة وطلع المقدم جمال الدين وقابل السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جرى من قبطاويل الساحر وبنته فقال السلطان يا أخى حيث انك فعلت ذلك أريد منك الملك عرنوس أن يحضر الى عندى حتى أزوجه بالملكة تيجان كما أوعدتها فحكى لتاج ناس فأركبته على السرير وسارت معه الى الشام فأحضرت عرنوسا وأتباعه وفرقة من بنى اسماعيل ولما قربوا انعقد موكب لعرنوس ودخل على المدينة فنظرت الملكة تيجان اليه وقالت للسلطان من هذا يا ملك الاسلام فقال لها هذا ولدى الملك عرنوس ففرحت به فرحا شديدا وعملت وليمة مدة سبعة أيام وبعدها قام عرنوس وخطب الملكة تيجان من الملك الظاهر فأنعم له بزواجها وكتب كتابها ودخل عليها وبعد ذلك جمعت عساكرها وطلبوا السفر من ذلك اليوم فقعدت تيجان مع الملكة تاج ناس على السرير وساروا والعساكر يتلوا بعضها بعضا الى الشام وأقاموا بها مدة شهر حتى اجتمعت بنو اسماعيل والامراء كلهم كانوا مقيمين هذه المدة بالشام فلما لقوا السلطان قد حضر اجتمعوا وفرحوا بقدومه وبعد ذلك ركب الملك فى ركبة عظيمة وساروا بالعساكر الى ناحية مصر وكان الوزير مقيما فى برصة فعلم بذلك فأتى ومعه مسعود بك وقلاوون أصلان المغربى وعساكر برصة وما وصلوا الى راس حتى ضجت الارض من ركض الخيول تزلزلت طولا وعرضا لانها كانت خمسة وسبعين اميرا يتبعها خمسة وسبعون ألفا وأما الفداوية فكل مقدم يتبعه ثلاثة آلاف والبعض خمسة آلاف فكانوا ثمانين مقدم اسماعيلية وأربعين مقدم أدرعية والملك عرنوس وأتباعه ونصير النمر رجاله والمقدم اسماعيل أبو السباع وأولاد ملوك المرتقان والملك مسعود بك والوزير وأتباعهم فكانت الجملة ستمائة ألف مقاتل وما داموا الى رأس الوادى فزعقت الاشخاص من كل الجهات وقالوا يا قبطاويل دخل غريب وغريب وغريب وغريب وغريب فقال جوان الدنيا قد امتلأت بالغربة فقام قبطاويل ودخل محل رصده وعاد وقال يا جوان بقتى سلمت وجمعت المسلمين

وجاءت تريد حرابى فقال جوان الحق بيدها لانك وعدتها بالزواج وتركتها وطاله عليها الأمر لاانت عملتها جناقة ولازوجها لاحد على باكرها ففعلت هذه الأفعال. والحق عليك فقال البرتقش ياأبانا جوان آتيك بالحارة فقال جوان اصبر يا رتقش لما ننظر الآخر وأما قبطاويل فانه غضب على بنته غضبا شديدا وركب على سريره وأخذ جميع جنوده وطلع إلى راس الوادي فكانت الملكة تاج ناس قتلت الاشخاص الذين كان أبوها صنعهم ورجعت طالبة مصر فالتقاها أبوها وقال لها اسلمى يا تاج ناس وبعى دين الكرستيال وصبوتى إلى الايمان فقالت نعم ياملعون فقال لها انا الذي علمتك السحر فقالت وأنا أحاربك بما علمتنى والنصر من عندالله فمد يده وأخذ شعرة من دقنه وقال لها كونى حربة ادخلى من صدرها واخرجى من ظهرها ثم إنه حذفها فخرجت من يده كا لشهاب فقالت الملكة تاج ناس ارجعى شعرة بحق الاله العظيم صاحب العزة والقدرة فعادت كاكانت ولما راى قبطاويل ذلك أخذ من الارض رملا وقال يكون شرارا ونارا ويحرق هؤلاء الفجار فقالت تاج نور يرجع لاصله بقدرة الملك الجبار ودام الامر كذلك طول النهار حتى أن قبطاويل اغتاظ وألقى عليها باب السكينة ومسك اللسان فاحتارت فى ذلك ونظر الملك الظاهر ومن كان معه حاضر فرفع قامته إلى عالم السرائر وقال هيا يارب ادركنا بالفرج انك على كل شىء قدير

يارب انى إلى نصرتك محتاجا وأرتجى من جناب الله فراجا
يا فارج الهم فرج ما بليت به مالى سواك لهذا الهم فراجا

[قال الراوى] وإذا بحرمة ساحرة مقبلة بحلة خضراء قالت إلى متى ياعدو الله تفسد بلدى وأنا غفيرتها وجاءت إلى قدامه وضربته على وجهه فانعجم لسانه وقالت ياتاج ناس قولى لاإله إلا الله محمد رسول الله وما النصر إلا من عند الله فنطقت الملكة تاج ناس وأما قبطاويل فانه انعجم لسانه فتقدم اليه وقبض على خناقه وكتفه وضربه بالنشة فى وسط رأسه ضربة مشيمة فشقه إلى حد حزامه وأمر بصلبه وضربه بالبال ونصر الله الاسلام فأراد جوان أن يقوم فلقى نفسه ملصوقا بالكرسى فقال قومى ياسيف الرم فقال البرتقش قلت لك من الأول قم مارضيت خليك بقى لما تاكل العلقة واقبل المقدم جمال الدين على جوان وقال له سلامات يابذرة نجسة ياسلاسة ابليس يا عماد الكفر فقال جوان يا أبو محمد اعتقنى النوبة حلاوت رجودكم بلادكم وأنا أروح بحيرة بفره وأقيم فيها حتى تتم المدة فقال شيحة والله ياجوان أن عداوتك بليغة ولاارتاح الا بضربك ثم إنه مده وأراد أن يضربه فانخطف من بين يديه فقال شيحة

هذه نصبة ثانية وإذا بورقة وقعت على شيحة مكتوبة فاخذها فالقى فيها من قبطا أخو قبطاويل الى بين أيادى ملوك المسلمين اعلموا ان اخى قبطاويل اخذ الملك منكم وحكم بلادكم سبع سنين واما انا فلابد لى من قتلكم جميعا واخذ بلادكم طول العمر ولا ابقى على وجه الارض مسلما ابدا فاخذ الورقة شيحة واعرضها على السلطان وعلى تاج ناس فاغتم السلطان غما زائدا وقال ياجمال الدين كيف يكون العمل قال شيحة الامر بيد الله فقالت الملكة تاج ناس ياملك الاسلام سافر الى بلاده وان شاء الله تعالى الاسلام منصور واما قبطاويل فانه مااخذ البلاد إلا بقضاء الله تعالى والقضاء ياملك نفذ ولا بقى إلا كل الخير فقال الملك توكلنا على الله [قال الراوى] كان السبب فى ذلك ان الملعون قبطاويل له اخ اسمه قبطا لكن عنيد اعند من اخيه فكان يوم جالسا واذا به علم ان اخاه اخذ بلاد الاسلام وحكمها فقال انا ما اريد اخى يتعرض للمسلمين ولكن جهله اغراه ثم ضرب تخت الرمل لينظر ماسبب تعرض اخيه فرآه من بنته تاج ناس لكونه اراد ان يتزوج بها وقال له جوان لا يجوز لك إلا ان ملكت بلاد المسلمين فقال قبطا بنت الرجل لاتجوز له فى كل الاديان ولو قتل كل الدنيا وتركه على جهله هذه المدة حتى مضت السبع سنين فاراد ان يعلم اى شىء جرى على اخيه فضرب تخت الرمل فرأى ان اخاه قتل والذى قتله بنته فقال وحق الصليب وماصلب عليه لاارجع عن هذه العاهرة حتى احرمها ان تشم نسيم الدنيا فقالوا له بعض الخدمة ان الذى ملك قبطاويل البلاد هو جوان واما من غير جوان فما احد يقدر يفعل شيئا فامر عونا من اعوانه باحضار جوان فجاء وخطفه من قدام شيحة واعطى الورقة له كما ذكرنا ولما صار جوان قدام قبطا قال له ياجوان انت الذى قتلت اخى قبطاويل وحسرتنى عليه ياملعون فقال جوان حرام عليك هذا الكلام يبقى جوان يقتل انا اعرف شيئا من السحر حتى اقتل واحدا مثل اخيك كاهن ما قتله الا ابنته تاج ناس واسلمت وتزوجت بشيحة سلطان القلاع والحصون فان كان قصدك ان تاخذ بثار اخيك خذه من بنته ومن ملوك المسلمين اولهم بيبرس وآخرهم شيحة ان كنت قادرا وان كنت عاجزا ولا لك مقدرة فاقعد فى بلادك تحت الذل والخيبة ولا يبقى لك عند احد قدر ولا هيبة فقال قبطا وحق دينى ما ارجع عن المسلمين حتى اهلكهم اجمعين وبكره اوريك ياجوان ثم انه بات واصبح عازما على المسير الى المسلمين [قال الراوى] فى ذلك اليوم قدم الملك الظاهر على مدينة قلوصنة فرآها بلدا مكينة لها اربعة ابواب محكمة فقال السلطان على نذر ان ملكت هذه البلدة آخذ ابوابها الى مصر لانهم متمكنين وعند الصباح نزل قبطا الى الميدان

وقال يا مسلمين دونكم والميدان فأنا أحاربكم فارسا ولا أستعين عليكم بالسحر بل آخذكم من الميدان بالحرب والطعان فما تم كلامه الا وايدمر البهلوان صار قدامه وقال له دونك والميدان ان كنت من الفرسان فقاتله ساعة وأخذ ايدمر أسيرا وقاده ذليلا حقيرا ونزل بعده علاء الدين وبعده الأمير سنقر وبعده بشتك ونزل الجاولى فأسر الخمسة واندق طبل الانفصال وعاد قبطا وسيفه بيده مشهور فدخل شيحة على زوجته الملكة تاج ناس وقال لها ان عمك باغى وأنا قلبي مشغول على الذين أسرهم لا يقتلهم فقالت له لا تخف ثم انها أمرت خادمها سحاب المختطف الابيض وقالت له خذ خمسة من الاقباط وضعهم محل الامراء وهات الامراء الى عندى وبدل ملبوسهم ففعل ما امرته به وأما قبطا فانه لما نزل من على الحصان قال لجوان اقطع رؤوس الذين أسرتهم وارم بهم الى المسلمين لينكسر عزمهم فاحضرهم حالا وقطع رؤوسهم بيده ورماهم الى المسلمين فنظر السلطان الى الرؤوس فبكى وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واذا بشيحة مقبل فقال السلطان أنظر يا أخى فعل هذا الكافر فى أهل الايمان فقال شيحة يا ملك الدولة لا تتفكر فى ذلك فان الامراء طيبون وهؤلاء المقتولون اقباط من جماعة قبطا وحكى للسلطان على ما فعلت تاج ناس فقال السلطان والله ان هذه الحرمة ايمانها صادق ومساعدة للاسلام وفى ثانى الايام نزل فلاوون الالفى فأخذه قبطا من الميدان أسيرا ومن بعده نزل الخطيرى وبهاء الدين ومن بعدهم الامير حسين والامير خرهى قدم واندق طبل الانفصال فكانت تاج ناس مستحضرة على تبديلهم بغيرهم من الاقباط فلما عاد قبطا من الميدان قال جوان منتزهم ولا تبقى على مسلم أبدا فقطع رؤوسهم وفى ثالث يوم نزل الى الميدان فنزل له ايدمر البهلوان فقاتله وأسره وعاد به من الميدان فوضعه قدام جوان فقال جوان اصبر هذا قتلته أنت أول أمس وكيف حاربك ثانيا وأسرته ثانيا وما هذه الاغفلة معك فبطل الحرب وعاد ودخل بيت الارصاد وضرب الزايرجة وصرخ صرخة وقال يا جوان الذين قطعنا رؤوسهم أقباط وأما المسلمون طيبون ولا قتلنا منهم أحد وبنت أخى تاج ناس هى التى خلصت المسلمين فقال جوان كانك جئت تقتل النصارى فقال قبطا بنت أخى مادمت طيبة الا أبلغ اربا فقال جوان وانت ما تعرف حيلة عليها قال أعرف الف حيلة ثم انه احضر قبطية ووضعها على راسه قال أقسمت بما كتب عليك من الطلاسم والاسماء ان أكون فى صفة شيحة فانقلبت صورته فى صورة شيحة وسار حتى دخل على الملكة تاج ناس فقامت مثل ما تفعل مع زوجها ولم تدر ما كتب لها فى علم الغيب فطلب الطعام فوضعته بين يديه فأكل وقدمت له كاس شربات فشرب نصفها

وقال لها اشربي مثل ما شربت أنا فشربت باقي الكاس فشرقت ووقعت مغمى عليها فألماها في نفسها وأتى عليها باب السكتة ووكل بها عونا من أعوان الجن وأدخلها في مخدع وصلبها من شعرها وقال للعون عذبها [قال الراوى] ومن بعد اخذ تاج قاس دخل المقدم جمال الدين فلم يجد زوجته فخرج مثل المجنون ودخل على السلطان وأعلمه

فقال السلطان الله أقوى وأشد حيلا ينصر من يشاء وهو القوى العزيز فانه لشيحة ماأخذ زوجتى إلا هذا الملعون قبطا ثم انه خرج من قدام السلطان ودخل البلد وهو حائر ولهان رفى ذلك قال جوان يا كاهن الزمان أنا قلبي طاب اضرب لي تحت الرمل وانظر شيحة في أي مكان فضرب الرمل في الحال وقال شيحة نادم علينا ورفع رأسه وقال شيحة يكون في الحديد فصار شيحة في الحديد فقام على حيله جوان ورقص .

فقال البرتقش لم تنتصف يا جوان اعلم أن رب المسلمين يطلب الفرج من الله يأتيه سريعا فقال جوان مابقي شيء لا فرج ولا غيره قم ياكاهن قبطا اطلب الحرب فقام الملعون قبطا وأحضر أعوان الجن وقال لهم كل من كان راكبا على حصان سوقوه الى الميدان فصارت الخيل تنزل بركابها الى قدام قبطا والملعون يخطفهم السحر والكهانة حتى أخذ جميع الامراء والفداوية والاكراد والوزراء وماتم النهار حتى أسر السلطان وعرنوس ولم يبق الا المشاة الذين لاخيل لهم مثل المقدم سعد وابنه ناصر الدين الطيار وعاد قبطا وصف الجميع بين يديه وجذب الحسام وأراد أن يقطع رؤسهم فقال الملك الظاهر اصبر ياملعون حتى أطلب الفرج من الذى قال في الكتاب المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ورفع قامته الى قبلة الدعاء وهى سماء الدنيا وقال آه يارب .

يامن له الملك والملكوت قاطبة	وهو الكفيل لجمع الخلق يكفيها
يا من تنزه عن شكل وعن شبه	وعن مثال وجمع الخلق حاصيها
يا من له قدرة في الخلق نافذه	في سائر الخلق قاصيها ودانيها
يا من يرانا وليس غائبا عنا	ونرتجيه في رزايانا ليمحيها
يا ربنا أنت مولانا وسيدنا	وعالم السر والنجوى وما فيها
ضاقت بنا كل أسباب وحسبكما	تعلم أسارى رقادتها أعاديها
ولا لنا ناصر نرجوا الخلاص به	فالخلق لا تلتجى الا لباريها
انى دعوتك يا مولاى مضطرا	من شدة قد أصابتنا مرازيها
بحق خير البرايا الطاهر العربى	محمد سيد الكونين هاديها
عليه منى صلاة الله قاطبة	كذا سلام تحيات تم ديها

[قال الراوى] فلما تم السلطان دعاءه حتى أضاء المكان وتزلزلوا على قبطا الديوان وارتعب كل من كان حاضرا وأقبل سيدى عبد الله المغاورى يذكر الله ويقول

حارت الأفكار فى قدرة من   قد هدانا سبلنا عز وجل
كتب الموت على الخلق فكم   فلّ من أسر وأفنى من دول

ثم التفت إلى قبطا وقال له يا عدو الرحمن أنت اغتررت بما أوعدك به هذا الملعون جوان فهذا آخر زمانك ومصيرك إلى النار ثم قبض على خناقه بيده وقال قوموا جميعا ياعصبة الاسلام اقتلوا هذا الكافر مغرور الشيطان فاتهك السحر عن المؤمنين وقاموا أجمعين فأمرهم الاستاذ أن يبذلوا سيوفهم فى الملعون قبطا فضربه المقدم إبراهيم بذو الحيات جعله قسمين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وخلصت الملكة تاج ناس وشيحة فأمر السلطان بكبس البلد ونهب ما فيها وضرب المدافع على أسوارها وهدم أبراجها وأمر بأخذ الاربعة أبواب لاجل أن يجعلهم على قلعة الجبل فقالت الملكة تاج ناس لا تلزمهم منى إلا فى مصر فركب السلطان وسار إلى مصر فوجد الأبواب مركبة حكم مطلوبه ففرح بذلك السلطان وطلع إلى قلعة الجبل وأقام على تخت مصر فى أمان يتعاطى الأحكام [قال الراوى] لهذه الاحكام إلى ليلة من الليالى قلق السلطان من منامه وقام يتسلى فى السراية ليلا فسمع صوت ولده أحمد سلامش وهو يصرخ صرخات عاليات متتابعات وكان الملك طالعا من خلوة الاصابة من عند الملكة فسار إلى خلوة أحمد سلامش فالتقاه ساحب سيفه وهو دايرهايج فى المحل ففزع فيه السلطان فرآه منذهل العقل فراوغه مراوغة السراع فقبضه فى حضنه فصار فى يد أبيه يلتوى وهو غائب عن الدنيا وما دام كذلك إلى آخر الليل فقام الملك قضى عذره وصلى الافتتاح وقرا ورده وطلع إلى الديوان فكان ابنه افاق ولكنه ضعيف البدن فتأسف السلطان على ولده لانه أشجع أولاده وفى الليلة الثانية كذلك فعل مثل الليلة الاولى فقعد الملك عند رأسه طول الليل ونزل بالنهار يتعاطى الاحكام وفى الليلة الثالثة قام بعد العشا فأتاه أبوه وحضنه إلى ميعاده ودام كذلك سبعة أيام إلى أن ضاق صدر السلطان من ذلك إلى اليوم الثامن نظر إبراهيم فى وجه السلطان فقال يادولتلى لا بأس عليك ما الخبر فحكى له على ولده أحمد سلامش فقال إبراهيم يا ملك الدولة أنا عندى كتاب أنواع الحكمة كاملة فيه ولابدلى أن أعرف داءه ودواءه فقال السلطان اطلع يا إبراهيم وانظره فأخذ الطواشى قدامه يأخذ له دستور ودخل المقدم ابراهيم على الملك أحمد وتامل فيه وقال يا ملك أحمد أنا عرفت حالك وان قلت لأبيك ذلك يغضب عليك فان أفعالك هذه أفعال عشق وان حكيت لى بما أنت فيه والاسم الاعظم أجتهد

في قضاء حاجتك وابلغك أمنيتك وان خالفتني فانت وشلك أخبر فقال أحمد يا مقدم ابراهيم أما من جهة انى عاشق صدقت فانى بليت بحر نار الهوى وملكنى الشوق والصبابة والجوى وأصابنى الداء الذى ماله قط دواء فقال المقدم ابراهيم ياهل ترى مع بنت من الامراء ومن الغداوية ومن أولاد التجار المسمية فقال والله ياعم ما أعرف أنا عشقت من رجل امن هو الذى اذاقنى هذا العذاب المهين وأنا احكيلك على أصل بليتى من قبل أن أموت بحسرتى ولوعتى وهو انى رأيت فى المنام انى ماشى بين أشجار وانهار واثمار وأزهار فى بستان ماله حائط ولا جدار فمشيت فيه سبعة أيام حتى عبرت على باب مدينة وعلى باب المدينة برج من حجر الرخام فدخلت فى تلك المدينة وسكنت فى خان فبت فى الخان إلى الصباح فلما أصبحت لقيت بجنب الخان حماما فدخلت الحمام واستحميت وطلعت من الحمام فلقيت دكان رجل خياط يترقع فى العلو فرفعت عيني إلى فوق فرأيت كشكا فيه انثى وبيدها كوز نحاس أصفر تسقى زراعة خضراء والبلد بلد اسلام فلما نظرت تلك البنت هام بها قلبى وتبلبل خاطرى وابى فاعترانى هذا الجنون وها أنا حكيت لك ياابو خليل فقال ابراهيم يا احمد إذا كان التى عشقتها لم تعرف أهلها ولا مكانها فكيف تطلب أن تنالها بالجنون فهذا ياولدى شيء لا يكون ان طاوعتنى فانا أجمعك بها ولكن مع العقل والتدبير يسهل كل أمر خطير فقال أحمد أنا أطاوعك على كل ماتريد واكون لك من العبيد ومن علمنى على كل ماتقول فانا عن مرادك لا أحول فقال له عندما آتيك بحق ملآن حلاوة أكل منه وتقوم تلبس ثيابك وتترك هذا الذى أصابك ولما أغيب عنك اشكى بغايبك وإذا سألك أبوك اشكى له من مغص القلب وخل باقى الكلام على أنا فقال له طيب فقام ابراهيم فسأله السلطان ما الخبر فقال طيب وأنا أعمل له دواء فى حق يطيب عليه فأعطاه الملك الف دينار فصنع حقا من النحاس وملاه حلاوة مربية وأعطاه لأحمد فأكل منه قليلا وقام ولبس عمامته وملابسه وانتقل من الجنون إلى العقل والسكون فقال السلطان حقيقة يا مقدم ابراهم انك حكيم فقام السلطان وطلع السراية فالتقى ابنه راقد فقال له أحمد ما الخبر فقال خير رأسى سلم أما قلبى موجوع فقال السلطان هاتوا ابراهيم فنادى الاغا ريحان يا ابراهيم فلما حضر قال السلطان أحمد يشكى بقلبه فقال ابراهيم يا دولتلى أما عقله صح ما فيه شك ولا ريب وأما وجع القلب هذا له عشب فى الجبل اسمه عشب المعدة فقال السلطان خذ أموالا على قدر الكفاية من الخزنة وروح هات العشب الذى تقول عليه فقال ابراهيم يادولتلى العشب هذا يأكله الآدمى بفمه مثل ما يأكله الاغنام فهذا يبرأ من السقام فقال السلطان إذا كان هذا دواء

خذه معك وسافر به إلى ذلك الجبل وخذ معك عسكر لأجل المحافظة فى الطريق وخذ أموالا على قدر الكفاية فقال إبراهيم أنا ما أريد غفر يغفرنى ولا أريد إلا كتبا لجميع نواب البلاد انى كلما أحتاجه من أمول آخذه فكتب السلطان كما أراد وأخذ الكتاب المقدم إبراهيم وطلع من قدام السلطان وأخذ معه الملك أحمد سلامش على أنه يداريه كما وقع الاتفاق وركب إبراهيم حجرته وركب أحمد سلامش جوادا من أفخر خيوله ايه وجدوا فى المسير ولله المشيئة والتدبير فطافوا بلاد الشام بلدا بلدا وكلما يدخل بلدا يفرجه على أسواقها وعلى خاناتها وحماماتها فيقول له هذه ما هى التى رأيتها فى المنام وبعد ما خلصوا من بلاد الشام دخلوا بلاد الروم وصاروا يدلون بلدا بلدا كما فعلوا بأرض الشام فقال له أحمد يا عمى هذه البلاد كلها نصارى وأما التى رأيتها فى المنام فمدينة السلام.

فقال إبراهيم صدقت ولكن يا ملك أحمد ما يمكن أن أفوت مدينة حتى أدخل بك فيها وأدور بك فى أسواقها ونواحيها حتى تبلغ القصد والأغراض ويقضى الله ما هو قاض وبعد ما طافوا بلاد الأروام دخلوا بلاد الأعجام وطافوا بها مدة أيام حتى وصلوا إلى مدينة ختيان وهى مدينة الملكة تيجان زوجة الملك عرنوس.

فقال المقدم إبراهيم يا ملك أحمد انا اعرف ان هذه المدينة لها ملكة اسمها الملكة تيجان وهى زوجة الملك عرنوس فقال احمد سلامش يا عمى وانا مالى بها انا قلبى مولع بغيرها والله يا عم ان عقلى ضاع منى ولو علمت بحالى كنت تعذرنى

فقال المقدم ابراهيم لابد يا ولدى من القدوم عليها لأن الله يسبب اسبابا ما احد يعلمها فقال له ادخل بنا لعل الله يسهل لنا ثم انهم دخلوا على الملكة تيجان وكانت تعرف المقدم ابراهيم من نوبة ما كانت مع السلطان فى كلام قبطاويل وكانت لما وصلت الى مدينة الرخام ولقت الملك عرنوس له ازواج فما هان عليها ان تقعد معهم وتترك ملكها فقالت له انا لم اقدر افوت بلادى فأعطاها عقدا من الجوهر ومعضدا من الذهب وكتب لها نسبه فى لوح من الذهب وقال لها ان جاءتك بنت البسيها هذا العقد فى رقبتها وعلقى فيه هذا اللوح وان جاءك ولدا اربطى هذا المعضد على ذراعه فقالت سمعا وطاعة وركبت من مدينة الرخام وجاءت الى مدينتها واقامت بها

[قال الراوى] ولما دخل عليها المقدم ابراهيم بن حسن عرفته ولقيت الملك احمد سلامش بصحبته فرحبت بهم واستقبلتهم احسن استقبال واكرمتهم وقامت بواجب ضيافتهم وبعد ما قضوا ايام الضيافة سالتهم فقال المقدم ابراهيم يا ملكة هل سمعت فى بلاد العجم اوغيرهم مدينة لها سوق فيه خان وجنب الخان حمام وقدام الحمام حياط فى دكان وهى بلاد اسلام وايمان فقالت له اصبر حتى اسال لك من التجار

والسفار ثم إنها أرسلت من عندها أحضرت جميع التجار والسفار الذين فى بلدها وسألتهم فقالوا لها يا ملكة هذه صفة بلاد الخرزم دخلناها وإن ملكها يقال له الخرزم وله أخ يقال له محمود والاثنان فى المملكة سواء وأما المدينة اسمها مدينة الخرزم وبيننا وبينها مسيرة أربعة عشر يوما فقامت الملكة تيجان وأحضرت اليه كل ما يحتاجون اليه فى الطريق للسفر وركبت وزيرها وقالت له لا تعد إلا بكتاب منهم فقال سمعا وطاعة وسافروا حتى رأوا بستانا فقال أحمد هاهو البستان الذى رأيته فى المنام ومن هنا عرفت الطريق ولا بقينا نحتاج لرفيق فكتب المقدم ابراهيم كتابا للملكة تيجان بالسلام والاطمئنان وعاد الوزير وسار الملك أحمد فى ذلك البستان حتى وصل إلى باب المدينة وقال عم هذا البرج وهذا باب المدينة ثم انه دخل هو وإياه وضحك أحمد وقال هذا السوق الذى رأيته فى المنام وهذا الخان وهذا الحمام وهذا دكان الخياط لا كلام ثم إن أحمد قال يا عمى أنا قصدى أفعل كما فعلت فى المنام أول كل شىء ندخل هذا الخان نبيت فيه وغداة غد ندخل الحمام فقال له المقدم إبراهيم ادخل بنا فدخلوا وباتوا ليلتهم وعند الصباح خرجوا سواء ودخلوا الحمام فاستحموا وتنعموا ثم بعد ذلك خرجوا من الحمام فقعد الاثنان على دكان الخياط فقال أحمد يا عم ارفع رأسك وانظر إلى ذلك القصر فرأى كلامه يضاحى منامه فقال يا ملك أحمد لو لا أنها مؤمنة مسلمة والاسم الأعظم ما كنت أبيتك هذه الليلة إلا معها وكنت أذبح كل من كان يحجبها ولو كان من جن سليمان ولكن يا ملك أحمد هذه يلزمها طول البال حتى تبلغ الآمال .

فقال أحمد بلا شك صدقت ولكن آه

أمر ما ألقاه من ألم الجوى ... قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

تم الجزء التاسع والعشرون ويليه الجزء الثلاثون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فتعجب المقدم إبراهيم من فصاحته وكلامه بالأشعار وقال له يا ملك هذه لا تكون لك زوجة إلا بكتب الكتاب وعقد ومهر وصداق فانها مؤمنة ولا يجوز سرقتها فقال له احمد يا عم أنا تحت رأيك ولا تصريف إلا بمشورتك فصاروا كل يوم يطلعون من الخان ويقعدون على دكان الخياط مدة ثلاثة أيام إلى يوم من الأيام نظر المقدم إبراهيم إلى احمد فرآه مشغولا بالنظر إلى ذلك القصر فصبر عليه حتى خلى باله فبكى احمد فقال له إبراهيم ما أبكاك يا ملك فقال يا عمى انظر إلى التى تسقى الزراعة ماهى التى رأيتها فرفع إبراهيم رأسه إلى القصر وقال يا ملك هذه جاريتها وأنا أقول إن صح نظرى فيكون مثل ما رأيت أنت هذه البنت تكون رأتك مناما فانشغلت كما أنت مشغول وقد اعتراها السقام من حين رأتك فى المنام والرأى عندى أن تتخذ صنعة الحكمة ونجعلها لنا صناعة لعلنا أن نكسب فى هذه البضاعة ثم انه سأل له الخياط وقال له هل تعرف لنا دكانا نفتحه لنستعين فيها على المعيشة فقال له الخياط إيش صنعتك فقال انا حكيم وهذا ولدى وهو فى الحكمة فهيم فقال الخياط والله أنتم المطلوبون لأن الملك الخرزم له أخ يقال له القان محمود وله بنت اسمها فاطمة فاعتراها فى عقلها انذهال واحتارت الحكماء بما رأوا من هذه الأحوال وآخر ان الحكيم الكبير صنع صورة من الشمع ووضعها عندها فتارة تنظرها وينشرح صدرها وتارة تنظرها فيضيق منها صدرها وضاق صدر الملكين من أجلها فانه مالهم أولاد سواها وهى بديعة الجمال جل من خلقها وسواها [قال الراوى] فلما سمع المقدم إبراهيم هذا الكلام فرح بهذه الأحكام وقال له هل تعلم لنا مكانا نفتحه أو دكانا وإن كان هذا الملك يطلب لبنته دواء فنحن موجودون ولا يخفى علينا الهوى فقال له الخياط إن الدكان بجنبى تحت القصر كان فيها عطار وتوفى وهى الآن خالية من السكنى فخذها واجعلها وطنا فقال المقدم

ابراهيم هذ هو الصواب فعند ذلك قام الخياط وأحضر صاحب الدكان وأخذ لهم منه المفتاح وفتحوها ويضوها ونقشوها فبقيت مثل الروضة المزخرفة وأحضر المقدم ابراهيم أحقاقا صيني ومرتبانات ووضع فيها مربات وحلاوات ومعاجين من كل شيء فاخر وقعد احمد سلامش على باب الدكان وهو كانه فريد الغزلان أو بدر كامل فى نصف شعبان فانبهرت أهل المدينة وكل من رآه يقول سبحان الله الذى خلقه وسواه وصارت النساء يمرون عليه ويشكون له الآلام فيطعمهم من الحلاوات التى تشفى السقام ودام الأمر كذلك مدة أيام وشاع خبر الحكيم المصرى فى هذه المدينة حتى بلغ الخبر إلى الملك الخرزم وأخيه القان محمود فقال لأخيه يا أخى اطلب هذا الحكيم لعله يكون أهل فهم لكشف بليتى وعلى يديه تطيب ابنتى فعند ذلك ارسل طلب ابراهيم فلما حضر بين أيادى القان محمود قال له أريد منك أن تداوى بنتى من هذا الانذهال الذى أصابها فقال ابراهيم ياقان الزمان اعلمنى عن اسمها واسم امها احسب نجمها فقال هذا لايجوز ياحكيم ولايمكن بين أياديك ذكر الحريم فقال المقدم ابراهيم اذا لم يمكن ذلك فانا اريد اصنع لها صورة من الشمع المكرر الأبيض حتى اكتب عليها واضعها بين يديها فاعطاه اجازة على ماقال وقال له خذ ما تريد من الاموال فنزل ابراهيم بن حسن واجلس الملك احمد بين يديه وجمع من الشمع الابيض على قدر جثته وصار يتأمل ويضع صورته حتى تكاملت صفته وبقيت هذه الصورة كل كل من رآها لا تنقص عن الملك احمد الا نطق اللسان وتحريك الاعضاء واليدان وقام المقدم ابراهيم وقال ياقان الزمان ضع هذه الصورة بين يديها بعدما البسها أفخر الملبوس فقال القان محمود لاغا الحريم خذ دستور واطلع قدام الحكيم حتى يضع هذه الصورة فى مكان مستقيم فطلع الفداوى ووضعها فوق أعلى الفراشات نزل هذا ماجرى ماهنا

[قال الراوى] إن أصل شكيان فاطمة بنت القان محمود ذلك انها ليلة من الليالى وهى نائمة فرأت فى المنام انها واضعة تحت شبابيك قصرها زراعات ياسمين وبعيتران ولما وقفت تسقيها الماء نظرت إلى تحت القصر فرأت على دكان الخياط شابا جميلا قاعدا ووجهه مرفوع إلى جهة القصر فانشغلت برؤيته وفاقت من المنام فلم تجد لها صبرا على الجوى ونار الغرام وقد اشتد بها الهوى والهيام فانذهل عقلها وتاه فلما وجهت النظر فى ذلك الشباك شغلها واصنعت هذه الزراعة وحطتها جنب شباك القصر لأجل أن تسقيها بيدها وجعلت ذلك شغلها وطال عليها المطال وتناهى الهوى حالها واعتراها البلبال حتى كان ماكان وطلع المقدم ابراهيم بالصورة معه ووضعها

فى صدر المكان ونزل الى الدكان وبعد ما نزل ابراهيم طلعت البنت الى ذلك المكان ونظرتها فوجدتها هى الى اصل بليتها والتى فى المنام رأتها فمالت عليها بكليتها وانحنت عليها بقامتها واحضنها ضمتها وقد تعلقت بمحبتها وصارت تشاهدها وبرد جواها وعرفت امها واباها ففرح ابوها بذلك الحال واقامت على ذلك الحال فاندعك الشمع من النفس وساح بعضه من الدعس واللمس فصعب عليها وبكت لحصل عندها اشتغل ثانيا فدعا أبوها ابراهيم وقال يا حكيم ان الذى فعلته انفسد فقال ياقان الزمان أنا آتيك بصورة مثلها وضعها فى صندوق ونجعل لها طاقة من الزجاج اتراه منها فقال افعل ماتريد فاصطنع صندوقا وادخل فيه أحمد سلامش ووضعه محل الصورة فلما انشغلت بالنظر اليه وكان الصندوق ينفتح من داخله فلما جن الليل ونامت ففتح الصندوق وطلع لها ونظر إلى جمالها فاشفى قلبه بالمشاهدة اليها وهكذا ثلاث ليال وفى الليلة الرابعة حست به انه قبل فمها ولما تحركت دخل فى الصندوق فبقت بين المكذبة والمصدقة وفى الليلة الخامسة امتنعت من النوم وجعلت نفسها نائمة وهى مختفيه حتى طلع من الصندوق فقبضته بيدها وقالت له من أنت حتى وصلت إلى هذا المكان ودخلت الى محل أبناء الملوك ياشيطان

فقال لها ما انا شيطان انا الذى ابلانى الله تعالى بالحب والهيمان ونقلنى من ملك أبى الى ذلك المكان فى صفة غريب كئيب ولهان فقالت له وما اسمك بين الفتيان فقال لها أنا اسمى احمد سلامش وأبى الملك الظاهر وسبب مجيئى الى هنا انى رأيتك فى المنام فانذهلت وضاقت بى الدنيا فشكوت الى ساعى ميمنة أبى المقدم ابراهيم بن حسن وعمل لى حيلة حتى اوصلنى الى هذه الاقطار فقالت وأنا رأيتك فى المنام وجرت على هذه المصائب والاحكام فاطلبنى أبى فأنت على غاية مطلبى فقال لها كيف أقدر اروح لابيك واخطبك وانا داخل عندك فى صندوق

فقالت اخرجك من باب السر الى رفيقك الذى معك وتخبره بالقصة فانى لا أطيق عنك الصبر ولا ساعة وفتحت له باب السر فطلع الى المقدم ابرهيم وقد اخبره بما وقع له من الاتفاق فقال له إن أشهرتك فيشق على أبيك ونخاف أن تطمع الاعداء فيك ويقتلوك ولكن اصبر حتى تأتى المرضيات بالامور المقضيات فان الله يسبب الاسباب بما لم يكن فى الحساب فاقام احمد على مضض وهو صابر ثلاثة أيام فضاق صدر فاطمة وقالت كانه نسى ولكن أنا أفكره ثم انها تزينت وأخذت بعض طراشيها وصارت طالبة الحمام

بعدما أرسلت إلى الحامى أن يخليه اليها وأن لايدخل احدا غيرها وخدماتها فخرجت وقصدت الحمام

[قال الراوى] وبما وقع من الاتفاق أن ملكا فى بلاد العجم يقال له كافرخان وله وزير اسمه عبد نار وكافرخان له على مدينة الخرزم خزنة مال تحمل اليه فى كل عام وكان هذا الوزير عبد نار كافرا فاجرا وهو الذى يتكل عليه كافرخان فى كل شدائده لانه سيف نقمته ويرسله فى سائر مهماته وهو مولع بالبنات فاسق فاسد ملعون ويحب النساء البنات وهو مفتون فاتفق أنه جاء فى هذا العام يطلب الخراج من محمود شاه ملك الخرزم فصادف فاطمة وهى قاصدة الحمام كما ذكرنا فاخذها فى الطريق غصبا ونهبها نهبا وضرب أول طواشى فقتله وهرب الباقون فوقعت ضجة فسأل احمد سلامش الخبر فأعلموه الناس أن فاطمة بنت القان محمود خطفها هذا الوزير فقال احمد ومن أين أتى اليها فأعلموه بخبرته وهو قادم ومعه الف فارس من الاعاجم فمارضه الملك احمد وهو يهدر هدير الاسد

[يا سادة] لم يكن فى أولاد الملك الظاهر اشجع من احمد لان السعيد عالم وأحمد سلامش فارس وأما الخضر العادل فانه ولى قال الناقل لما وقع احمد سلامش قدام العجمى ونظر إلى صورته وكان الملعون يمشى تحت الرايتين فلما نظره تذكر راية الاواط فقال ما الذى تريد فقال اريد أن تطلق البنت من يدك لاجلى فقال انت المطلوب ثم تقدم اليه وهو يظن أنه محبوب فكلمه بكلام الفحش والفجور فضربه الملك احمد بالحسام على وريديه اطاح رأسه من بين كتفيه فتهاجمت الالف عجمى على الملك احمد فصاح المقدم إبراهيم حاس الله أكبر لغير اليوم يا اندال العجم وعبادين النار

دع التلاهى ولبس الخز والتنعيم إلى الاسنة التى قد طممت تطميم
كونوا ابرزوا المعامع واتركوا التوهيم ومن تتمرد فما خصمه سوى ابراهيم

[قال الراوى] وجذب المقدم ابراهيم ذات الحيات ومال على الالف عجمى كما يميل الجارح على الجراد وكان له يوم مهول بددهم على الارض عرضا وطولا وذاقوا منه الضربات التى منها المهلكات والطعنات النافذات ودام على ذلك إلى آخر النهار فولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتشتتوا فى فلوات القفار وعاد المقدم ابراهيم وهو يتمختر والدماء من حد شاكريته يتقطر وكان الخبر قد وصل إلى القان محمود شاه فركب وأتى الى المعمعة فرأى الفداوى ابن حسن اجلاها وأوقد نار الحروب واصطلاها واهلك الكفار وأجرى دماها

[قال الراوى] فقال القان محمود شاه لمن حوله ان هذا الحكيم اتانا نافعا ابنتي من كل الجهات أولا حماها وخلصها من العارض الذى كان اعتراها وهذا النهار خلصها من اعداها وأهلك عباد النار وافناها فترجل القان محمود اليه وقبل يده وقال صان الله عرضك كما صنت عرضى وأدخله الى الديوان وأجلسه فنظر الملك احمد ذلك نطاع اليه وكانت البنت دخلت الحمام قعد احمد سلامش على باب الحمام حتى خرجت ودخلت إلى سرايتها وطلع أحمد إلى الديوان ليلحق المقدم ابراهيم فلما طلع قام اليه وصاح وصل ابن ملك الدولة الملك الظاهر فقال القان محمود من هو هذا ياحكيم الزمان فقال هذا احمد سلامش ابن الملك الظاهر ملك مصر والشام وسائر بلاد الاسلام فقام القان محمود وملك الخرزم وسلموا عليه وعملوا له الضيافة فقال ابراهيم نحن جئناك ياقان محمود خاطبين وفى جنابك راغبين فقال أنا وبنتى وكل ماتملك يدى لمولانا الظاهر وبتى حبا للملك احمد فقال ابراهيم والله ما أخذها إلا بالمهر والصداق . لاندخل إلا فى بلاد السلطان فقال ابوها أولا نعمل فرحها هنا فقال ابراهيم وهو كذلك ثم انهم شرعوا فى الفرح هذا ما كان منهم [وأ اما كان] من الملك الظاهر فانه طال عليه غياب ابنه الملك احمد سلامش فقال سعد ماأخذه ابراهيم إلا يشحت على قبوله فعند ذلك ركب الملك الظاهر وأخذ معه سعاة ركابه سعد وابنه وعيسى وبقى السعاة وسار من مصر كلما ر ببلد يسأل عن ابراهيم فيخبرونه انه اخذ ا.و الاكداوسافر ، مادام على ذلك حتى وصل إلى مدينة خيتاز وسأل الملك نجان فأعلمته انهم راحوا إلى بلاد الخرزم فسار الملك حتى وصل إلى المدينة ودخل فى خان وأراد أن يشترى طعاما فقال الخانجى ان ابن قاز العرب هنا تزوج بنت القان محمود شاه وهى الست فاطمة الخرزمية فقام الملك الظاهر ومشى إلى الديوان فلما رآه المقدم ابراهيم قال يااحمد ابوك حضر ثم انه قام على الاقدام وقال وصل ملك الاسلام فقام كل من كان حاضرا فى ذلك المقام وتلقوا السلطان وقبلوا الارض بين يديه فالتفت إلى ابراهيم وقال له أى شىء تعمل هنا فقال يادولتلى أنا اعملت ضرورة أنا القيت ابنك يتكلم بالاشعار فعلمت انه عاشق محتار ففعلت هذه الفعال حتى ابلغه الآمال والمال الذى أخذته من البلاد فهو من اجل ابنك حتى يبلغ المراد فقال السلطان أما المال ساعحتك فيه فقال القان محمود شاه والله يا ملك الاسلام ان ابنك اضرم علينا نارا لا تطفى وهو الملعون كافرخان صاحب مدينة الهوى فانه قتل وزيره وقتل الف عجمى من عساكره وها نحن منتظرون قدوم عساكره فقال السلطان ولأى شىء ننتظر عساكره انا أركب وآخذ لك بلاده واهلك عساكره وأجناده فقال احمد سلامش خل عنك يا مولانا انا اركب عليه وأهلكه والعن والديه ثم انه اخذ سعاة الركاب وهم ابراهيم وسعد ونصر الدين وعيسى الجاهرى

ويعقوب المدير ومحمد الفندور وباقى سعاة الركاب واخذ الفين من مدينة الخرزم من
ارباب الحرب والقتال وركب الملك أحمد مقدم العسكر وعلى يمينه المقدم ابراهيم
ابن حسن وعلى يساره المقدم سعد بن دبل وساروا طالبين قلعة الهوى [وأما
ما كان] من أمر القوم الذين انهزموا من قدام ابراهيم بن حسن فانهم ساروا فى
هزيمتهم حتى دخلوا على القان كافرخان فى قلعة الهوى وهم يدعون بالويل والثبور
وعظائم الامور فسأل القان عن الخبر فحكوا له بقتل عبدنا وزيره فانحمق
وغضب غضبا شديدا وقال بلغ من قدر ملك الخرزم أن يقتل وزيرى ثم انه صاح
فى عساكره وركب فى خمسة الآف مقاتل وسار يطاوى الارض طالبا مدينة
الخرزم فبان غباره للملك أحمد فالتفت إلى المقدم إبراهيم وقال له أنظر ياعم هذا
العسكر فقال إبراهيم هذا شىء معلوم أمره وما بقى ينفع الاهمال وانما أنا اتقدم
وسعد ابن خالتى وعيسى ابنى ونصر الدين ونأخذ معنا ستة مقادم أولهم منصور
العقاب وآخرهم حسن النسر ابن عجبور ونقصد الاعلام حتى نصلوا اليها وباقى
الرجال من خلفنا وأنت يا ملك أحمد كن من خلف العسكر فقال الملك أحمد ايش هذا
الكلام أنا تأخر إلى وراء العسكر لاى شىء والله ما اكون إلا اولكم ثم انه ركب
رأسه فى قربوص سرجه وانفرد وتبعه ابراهيم ففعلت الفداوية مثل فعاله ونظر
كافرخان إلى هذه الطائفة القادمة عليه فاراد أن يرتب عساكره فما أحد امهله
لان الملك عرنوس والملك أحمد والمقدم إبرهيم والمقدم سعد ومن معهم صاروا
يبددوا الاعجام هبرا وينثروا رؤسهم نثرا وفرقوهم خمسة خمسة وعشرة عشرة
وداموا كذلك يضربوا بكل حسام صمصام حتى وصلوا إلى تحت الاعلام فتقدم
المقدم ابراهيم لحامل العلم فابرى عنقه كبرى القلم وسعد خطف العلم وأما الملك كافرخان فانه
لما راى نفسه فريدا أراد أن يولى فقال له الملك احمد إلى اين ياملعون وانكب عليه
بهمته وصرخ فى وجهه وضربه بالحسام فى جبهته فشقه الى حد سرته وفظرت باقى العساكر الى
ملكهم قتيلا وعلى وجه الارض جديلا فصاحوا على بعضهم الهرب الهرب والاجل بالاعجم
العطب ثم انهم ولوا مدبرين وإلى الفرار طالبين فانفرد المقدم سعد والمقدم نصر
الدين الطيار ومحمد الفندور وتبعهم جماعة من الفداوية وطلبوا قلعة الهوى وكان
السابق سعد او ابنه فملكوا الباب وضربوا من البوابين الرقاب وادركتهم الفداوية
على الاعقاب ووقع الضرب خطأ وصواب وجرى الدماء على التراب وبلوا الاعداء
بالعذاب وشكوهم الفداوية بالحراب وكانت وقعة يا لها من وقعة شابت منها

الشباب وحام على جثة القتلى اليوم والغراب وهلكت العجم وعادوا على وجه الارض رمم وجرى عليهم ماخط بالقلم وزالت عنه النعم وشربوا كاسات النقم وساروا بعد الوجود عدم فنادوا الامان الامان فقال الملك احمد لا أمان إلا لمن يسلم ويدخل فى دين الاسلام وأما الكافر ماله غير الضرب بالحسام فمن أسلم سلم والكفرة راحوا على براشق السيوف كالقطن المندوف وملك الملك أحمد قلعة الهوى وعلى الاموال والذخائر قد احتوى ثم انه كتب كتابا بما جرى وأرسله إلى أبيه الملك الظاهر مع المقدم سعد يخبره بما جرى فقال السلطان الملك الخرزم أنت فى قلب مدينتك وهذه قلعة الهوى خذها ياقان الزمان هدية من احمد ابنى فى نظير ماز وجته بنتك فقام الملكان على أقدامهما وقبلوا أيادي السلطان وقالا له ياملك الزمان نحن أخوين على الخير والشر سواء وها نحن من جملة عتقاء سيفك وسيف ابنك الذى حمى أعراضنا من الفساد وصان حريمنا والاولاد ثم أن القان محمود اجتهد فى جهاز ابنته من كل شىء فاخر وقال ياملك الاسلام أنا قصدي الحج إلى بيت الحرام وأسير تحت ركابك الى بلادك ومن هنا أنت تنعم على بالسفر إلى زيرة قبر الرسول فركب الرسول وركب أحمد واحضر العروسة تختروان وركب القان الخرزم لوداع السلطان ووداع أخيه وسار معهم ثلاثة أيام فحلف عليه السلطان ورجعه إلى بلاده وأما القان محمود فانه سار مع السلطان حتى نزلوا على مدينة الملكة تيجان فكانت لها عيون عليهم وهى منتظرة لقدومهم فعزمت السلطان ومن معه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلب السلطان الرحيل فقدمت له الملكة تيجان الهدايا والتحف وقدمت لفاطمة عمارية من الفضة تمشى على عجل من الخشب الصاج الهندى واربعة خيول كحايل وأهدت الملك احمد سيفا ساحة جرابه من الذهب الاحمر وقبضته من خالص الجوهر وودعتهم وسافر السلطان ليالى وأيام حتى وصل إلى أرض الشام وعند النزول نظر أحمد فى العربة فلم يجد زوجته فاطمة فحس أن مفاصله تفصلت وأن روحه من بدنه قد سلبت فصاح آه فقال الملك ما الخبر وقام السلطان على حس ابنه فالتقى فاطمة عدمت فقال ياولدى لا تحزن وحق الاله الازلى القديم المتجلى لا أنتقل من الشام إلا بزوجتك ثم انه نادى على العرضى بالاقامة وقال يا بنى اسماعيل كل من أتانى بزوجة ولدى له على تمنية يتمناها بكل ما يريد فطلعت الفداوية وطلبت الجبال يفتشوا على الست فاطمة الخرزمية وكذلك السلطان وابنه وباقى الخدام أقاموا بالشام

[قال الراوى] وكان الذى سرق فاطمة الملعون جوان ومعه البرتقش والسبب فى ذلك

أن جوان لما ضربة شيحة بعد موت قبطا أخو قبطاويل وأطلقه فصار بفيظه يدور على من يقوم مقامه من ملوك النصارى وطلب منهم أن يركبوا على بلاد الاسلام فلم يطعه أحد فصار كالمجنون وقال يا برتقش كيف العمل وملوك الروم عاصين علينا فقال البرتقش يعنى اذا قعدت فى بحيرة بقرة حتى ينقضى عمرك ويجىء شيحة يقطعك على العربية ماهو أحسن لك من هذا التعب فقال جوان يابرتقش مايرتاح جوان الا اذا رأى الدماء تجرى بين الاسلام والنصارى وأما إذا بطل ما يرتاح جوان أبدا ولكن نروح جهة الشام لعلنا نلتقى داهية نرميها على المسلمين ثم انه سار مسافرا حتى وصل الى حلب فالتقى تجارا قادمين من بلاد العجم فتزيا بزى العجم وتقدم وسأل عن البلاد فأخبروه بما جرى فى مدينة الخرزم وقلعة الهوى والملك الظاهر وزواج ابنه بنت القان محمود وهو قادم بالبنت وأبوها قاصد الحج الى بيت الله الحرام فعاد للبرتقش وأعلمه بالذى سمعه وقال يابرتقش مرادى أسرق البنت وأروح بها إلى بلاد النصارى فقال البرتقش وأى فائدة لك فى سرقتها قال جوان أذية المسلمين فرض على جوان ثم انهم انتظروا قدوم السلطان واختلطوا بالعساكر الاعجام الاسلام وعند دخولهم الشام اندك على العمارية وأطلق البنج على جميع الخدمة الذين حولها وبالجملة فاطمة واندك البرتقش لفها فى ثيابها وحملها وطلع ليلا وكان الحمل حط على باب الشام آخر الليل وجرى ما جرى للسلطان والرجال وأما فاطمة فانها لما أفاقت وجدت نفسها قدام جوان فوق جبل عالى فقالت أنا فى أى مكان فقال جوان أنت عندى لا تخافى من شيء وإنما نعملك جناقة فقالت جناقة يعنى أى شيء هو جناقة ولم تعلم ما قال فعرفها البرتقش فقالت للبرتقش أنا فى عرضك ياعم ان كنت من أهل المروءة فقال لها البرتقش لا تخافى فأراد جوان أن يفتضها فقال له البرتقش أنا الذى جئت بها امتنع عنها والا والاسم الاعظم ان تعرضت لها أفرى كرشك بالخنجر واطلع أول الكلمة التى تعرف انى أقولها فى كتاب اليونان فقال له جوان يا بختك يا برتقش يختم الك بخاتمة السعادة فقال يا جوان لما تعرف أن دين الاسلام سعادة أسلم أنت وانا حتى نفوز بالشهادة فقال يابرتقش أو ما ثم انهم أخذوا البنت وهى باكية الى دير اسمه دير بطرس قريب من الشام فرأوا فيه فصل من قاصل الافرنج وعلى رأسه شربوش وهو من صنعة الحكماء وهو منسوج من شرائط ملوك الذهب له أربع عصائب فى كل عصابة سبعة فصوص من الجوهر كل فص إذا تنوره يرجع بهاء بنى الاصفر وشابات كنزى بشرائط مرصعة بحجر الالماس نورها

يأخذ البصر ومحتزم بمنطقة مرسومة بقلائد وصلبان من صنعة ملكة القياصرة فتعجب جوان من تلك البدلة ومن ذلك الغلام الذى لابسها وقال يا برتقش أنا عمرى ما رأيت هذا الغلام ولا أعلم من أى البلاد هو فقال يا جوان قدم انحشر فيه لاجل أن يموت أو تخرب بلاده أو يسلم ويدخل عند المسلمين فقال جوان قبل كل شىء أنا أهاديه بهذه البنت لانه أحسن من ابن رين المسلمين ثم تقدم جوان وقرأ قداس وهو يغالط ويلحن يسب أهل اللعنة فى الحياة وبعد الممات فقال له القنصل من أنت فقال أنا عالم ملة الروم فقال عالم الملة كلها والا لها ترك غيرك فقال البترك غير جوان وأما هذا رأس البتاركة فى بلاد الروم فقال له ومن أين أتيت فاخبره انه سرق بنتا مسلمة فقال له نعم ما فعلت هذه من جملة المجاهدة فى دين المسيح ادخلوا فى ذلك المخدع فدخل جوان والبرتقش والبنت معهم فقال القنصل أما البنت هاتوها وأنتم محبوسون ونظر جوان وإذا بالباب مقفول عليهم والحديد فى أعناقهم وأرجلهم وأيديهم فقال البرتقش صبر يا فرج أنا أقول لك يا جوان ريح نفسك من التعب فما تسمع كلامى خليك لما يجيك شيحة يشبعك من السوط الغضبان هذه امرأته تاج ناس بنت قبطاويل فقال جوان وكيف العمل يا برتقش فقال البرتقش غير الضرب ما يجرى عليك حاجة

[وأما] الملك الظاهر فانه سار حتى وصل إلى باب الدير وطرق الباب فقال القنصل ينفتح الباب وإذا بالباب انفتح ودخل الملك الظاهر فرأى ذلك القنصل قاعدا كما ذكرنا ورأى زوجة ابنه فاطمة الخرزمية قاعدة بجنبه فلما رأى القنصل السلطان قام على حيله إجلالا له وقبل أيادى السلطان وقال أهلا وسهلا بملك القبلة والحرم فقال له السلطان إذا كان عندك على قدر هذا أدب فلأى شىء تجاسرت وأخذت زوجة ابنى بالسرقة ووضعتها فى هذا المكان فقال يا ملك الاسلام أنا ما يمكننى ان اتعرض لشىء مثل ذلك أنا جاريتك تاج ناس زوجة المقدم جمال الدين شيحة وأما الذى سرق زوجة ابنك فهو جوان وها هو عندى فى الحديد وأما أنا يا ملك الاسلام فانى جئت اليك أشتكى لك من المقدم جمال الدين لكونه يتركنى فى بلادى ولا أراه مطلقا مع انى أنا أقدر على أذيته ولكن حرام على لكونى صرت من أهل الاسلام

فقال السلطان وأنا من أين آتى بشيحة حتى أحكم بينكم فقالت له أنا أقدر آتى به روح يا سحاب هاته فغاب سحاب وأحضره من بيته ووضعه قدام السلطان فقال السلطان يا شيحة أنت ما تستحى اما تعلم أن هذه ملكة بنت ملك وجاهدت معنا فى دين الاسلام فما بقى لها علينا إلا الاكرام ولكن انت يامقدم جمال الدين قد أخطأت

والحق عليك فقال شيحة يا مولانا مالى بركة إلا هى والحق على فقالت وأنا سامحتك فى الحق لأجل خاطر مولانا السلطان هذه فاطمة خذوها وخذوا هذه الهدية كان من عندى احولوها وهى الملعون جوان والبرنقش فدخل ابراهيم فلق جوان ملان ثيابه من البول والغائط على نفسه لأن الملكة تاج ناس سلطت عليه جانبا البق ومن القاش وسلطت عليه عرقا من الأعوان يخض بطنه مثل خض قربة اللبن فأمر السلطان بحملهم على جمل إلى مصر وسافر السلطان حتى وصل إلى قلعة الجبل بعد انعقاد المركب من العادلية وجلس السلطان وأمر لجوان بالحبس فى العرقانة وشرع فى فرح الملك أحمد سلامش ثلاثين يوما والزينة فى مصر وبعدها دخل أحمد على الست فاطمة الخزرمية وبلغ كل الأمنية وبعد ذلك سارت الملكة تاج ناس بالمقدم جمال الدين إلى مدينة قلوصنة وأما الفان محمد فانه تودع من الملك الظاهر وسافر قاصدا الحجاز على طريق السويس يحج ويعود على بلاد الشام ويقيم فى بلاده عند أخيه الملك الخزرة وأما السلطان فانه جلس يوما فى الديوان فأتوه السجانين وأعلموه أن جوان عدم فقال السلطان إلى حيث القت وقام يتعاطى القصاص ويزيل القصاص إلى يوم من الأيام جاءه مكتوب من الطور خذه فقراه يجد فيه من حضرة شيخ عرب الطور إلى بين ايادى ملك الاسلام انه ورد علينا من ناحية بلاد الهند مركب فيها ستون وزيرا كل وزير معه هدية ومقصدهم الوصول إلى ملك الاسلام فامر الملك باحضارهم ورد بذلك الجواب فلما حضروا قدام السلطان وقبلوا الأرض بين يديه وقدموا الهديات اليه فقبلها وهى من قماش هندى وعود قمارى وسكر نبات وقضبان ذهب وفضة وشيء تحير العقول فقال لهم السلطان أنتم جميعا لكم دعوة واحدة أو كل واحد منكم له دعوة فقالوا له يا ملك الاسلام نحن جميعا لنا دعوة واحدة ولم يختلف احد عن احد فقال الملك استخبروا احدكم يحكى لى على تلك الدعوة فاختاروا كبيرهم

فقال اعلم يا ملك الاسلام اننا وزراء لستين ملكا من ملوك بلاد الهند والهند فيها مدينة كبيرة اسمها مدينة السن والكوكب والسبب فى اسمها انه كان ملكها حكيم اسمه لوكيان الحكيم ولم يكن له اولاد بل له تلاميذ وطلبة وفيهم واحد فهيم اسمه بحرم وكان الحكيم جاعلا له رمحا من الفضة وعليه كوكب مثل الشمس فى النهار وفى الليل مثل القمر وسن ذلك الرمح من الجوهر له نور يأخذ البصر فلأجل ذلك سميت مدينة السن والكوكب ولما اتاه مرض الموت ولى على المدينة بحرما وله اخ اسمه نكمدان فاعترى نكمدان هذا داء الورم حارت فيه الأطباء فاتى له حكيم

من بلاد الصين وصنع له طعامات يأكل منها فطاب وسافر الحكيم إلى بلاده وبعد أيام اعتراه الورم ثانيا فأرسل أخره وأتاه بالحكيم طبيه وهكذا خمس مرات وبعد ذلك سأله الحكيم بحرم وقال له يا حكيم خذ ما أردت من المال وعلمنا هذا الدواء فاعلمهم أنه لحم الموتى فصار بحرم يحفر القبور ويأتى بلحم الاموات لاخيه حتى صار غولا يأكل فى اليوم والليلة قنطارا من رمم بنى آدم وطال الحال فسموه نكمدان الغول وأرسل يطلب منا عوض الخراج رقيق سود وبيض فصرنا نشترى له ونرسل وكلما أرسلناه يأكله نكمدان الغول حتى ان جنس الرقيق ما بقى يأتى إلى بلادنا فامتنعنا فقال لنا ما أنا ابنى آدم منكم فقلنا هذا لا يجوز فصار يركب ويحاربنا فحاربناه ونصرنا الله عليه فاستعمل لنا من أبواب السحر امور الا مثل نار توقد فى بيوتنا وهدم أسوار البلاد وتكون قاعدين فنجد الدنيا تزلزلت وعجائب مثل هذه فسميناه بحرما أبا العجائب وعمل له ثورا من الذهب يعبده وطلب منا أن نفعل مثله ونصنع لنا ثورا نعبدها فامتنعنا فطلب أولادنا لاجل انه يطعمها لاخيه فلم يهن علينا ذلك فقال لنا الملوك كل من مات فى بلاده أحد يرسله اليه فصرنا نفعل ذلك فلم يكف ذلك أكل أخيه وضاقت بنا الحيل فورد علينا رجل درويش وسال عن حالنا وألح فى السؤال فحكينا له على هذه الاحوال فقال لنا ان أردتم أن تخلصوا من هذا الظالم الغادر فارسلوا إلى مصر واقصدوا جناب الملك الظاهر فانه فيه الهمة وله غيرة على المؤمنين ويجاهد فى سبيل رب العالمين وها نحن يا ملك الاسلام أتينا اليك واعتمدنا على الله ثم عليك فقال الملك خذهم عندك يا وزير حتى أطلبهم منك فاخذهم الوزير وتركهم عن باله ونسى فاقاموا فى بيت الوزير سنة وبعد السنة قالوا للوزير يا دولتلى طال علينا المطال ولم نعلم ما جرى فى بلادنا من الاحوال ما علم السلطان فاحضرهم إلى بين يديه وطيب خاطرهم وقال لهم سافروا أنتم وأنا الحقكم فسافروا وعلموا أن السلطان ماهو فيهم وإنما هو ملتهى فى قضاء أشغاله [قال الراوى] وترك الملك الظاهر هذه العبارة ولم يذكر لها اشارة وأقام السلطان على ذلك الحال اياما وليالى إلى يوم أتاه واحد عجمى ومعه هدية فقدمها إلى السلطان وقال ياملك الدولة أنا من أرض خوارزم العجم معى متجرا واريد أبيعه فقال له السلطان مرحبا بك فقعد يبيع متجره مدة أيام وبعد ما باع التجارة أقبل على السلطان وقال ياملك الاسلام انا مسافر إلى بلادى فقال الملك مع السلامة بعت تجارتك فقال له نعم بعت ولكن بقى عندى الك هدية وهو حصان كحيل صافى اصل امه جاءت به من خيل البحر عديم المثال وبيعه يا ملك لا انا خسارة لمن لا يعرفه فقال الملك هاته فأتى به وإذا به حصان

ادهم له لا نظير له فى الخيل فأمر الركبدار ان يركبه فقال عثمان ياجلارى هذا ماهو حصان هذه مكيدة من بلاد الهند وهذا جنى فلما سمع المقدم ابراهيم ذلك الكلام حط يده على ذات الحيات وضرب العجمى رمى عنقه فقال السلطان الالعنة الله والحصان وغطس ما بان كأنه ما كان فقال السلطان هذه مكيدة من ملك الهند فما تم كلامه الاوابن الرزاز يقول أوفى الله الى وزادفاعطاه السلطان الصرة وانتصب مقطع الخليج ونزل السلطان يتفرج فقدموا له فنجة النيل المزينة وعوموها الى وسط النيل واذا بسمك غليظ رفع رأسه من البحر وهو بجنب المركب وفى فمه كتاب فتعجب الملك من هذه الاسباب ومد يده يأخذ الكتاب فقبض السمك على زند السلطان وجذبه اليه فسقط السلطان فى البحر وغطس ما بان فحل بالناس الانذهال وأحضروا صيادين وغطاسين يفتشوا فى البحر على السلطان فلم يجدوا له خبر ولا جابة أثر فانقلبت الافراح باتراح وانزعجت الاقطار بالبكا والنواح هذا والسعيد لاطم على وجهه فقال المقدم ابراهيم ياملك محمد اظن ان هذه مكيدة من واحد سحار لانه عمرى ارأيت السمك يأتى للملوك بكتاب وارباب الحكمة واهل التورايخ يخبرون بأن الملك الظاهر وشيحة يقطعون جوان وجوان طيب صحيح فقال السعيد ولله خرق العوائد يبقى يعنى أرباب علم النجوم يعلمون الغيب والموالى ما أعطى سره لاحد وأرباب الفهم قالوا بيتين

قطعتم باذورات النجم علما ... على شىء ارق من الهباء
كنوز الارض لم تصلوا اليها ... فمن أعطا كم خبر السماء

[قال الراوى] انهم كذلك وأعناق الرجال تمايلت وقد سكت كل منكم انسد باب الديوان وطبله تدق والجاويش يقول صلى السلطان القلاع الاسماعيلية وملك الحصون القدوسية فقام السعيد يمشى مثل السلطان يلتقى شيحة قال له اقعد مكانك هذه طرفة ملك الاسلام فقال السعيد ادركنا ياسلطان الحصون فقال شيحة مالك اقعد محل أبيك حتى يعود بالسلامة فان أباك راح بلاد السن والكوكب وهى وسط بلاد الهند فهو راح محمول وانا رايح وراءه ماشى على رجلى والله تعالى يهون العسير فقال ابراهيم صدقت ياحج شيحة فانه كان جاءنا واحد بحصان وانا قتلته فقال الوزير نعم كان جاء من تلك البلاد وزراء ملوكهم يشتكون من ملك اسمه بجزم أبو العجائب وأخوه نكمدان الغول

فقال هذه بلاد بعيدة وانا ان شاء الله لابدلى ان أسافر اليها ولكن أنا اريد وكيلا لى على سلطنة القلاعين والحصونين والمقدم ابراهيم جعلته نائب ولكن يارجالى اذا علمتم

بموتى ابقوا اختاروا الكم سلطانا بمعرفتكم فنزل المقدم جمال الدين وسار الى مدينة قلوصنة ودخل على الملكة تاج ناس زوجته وحكى لها على خطف الملك الظاهر من البحر فقالت له اعلم ان الملك الظاهر خطفه واحد كاهن كافر فى بلاد الهند مقيم بمدينة السن والسكركب وان كنت تريد السفر اليه دونك وما تريد فقال لها هل تقدرى ان تساعدينى على ذلك الكافر فقالت له بشرط انك تحلف بالاسم الاعظم لم تترك على ذمتك زوجة غيرى فقال لها هذا لايكون أبدا فقالت له والله لو تعلم ما يجرى عليك لرضيت فقال انا بعت نفسى فى الجهاد فى طاعة الله تعالى وماأنا أقدر امتنع عن الجهاد ولا امنع نفسى عن خدمة الملك الظاهر وأناأعلم أن الله يعيننى على نصرة الاسلام فقالت والله يا سلطان القلاعين انا مالى حكم على تلك البلاد فنزل المقدم جمال الدين من قدامها متوكلا على الله تعالى

[قال الراوى] وكان السبب فى خطف الملك الظاهر ان الوزراء لما وصلوا الى بلادهم علم الكاهن بحرم أبو العجائب بقدومهم فارسل اليهم عونا من الاعوان يستمع ماهم عليه فاعلموا الملوك بماجرى وان الملك الظاهر وعدنا بانه قادم علينا فارسل نائبا من طرفه فى صفة عجمى تاجر وركبه على عون وأمره ان يدخل على السلطان بهدية ويدعى أنه تاجر ويهاديه بالحصان وجرى ذلك وقتله ابراهيم وعاد العون واعلم الكاهن بحرما أبا العجائب بقتل الانسى الذى راح معه فأمره ان يتصور هو فى أى صورة كانت والزمه أنه لايأتى الا بالسلطان فعاد وأراد ان يأخذه فلم يقدر لان السلطان دائما يقرأ أوراد فما امكنه ان يتعرض له الا فى يوم وفاء البحر والسلطان ملهى بالفرجة على البحر فتصور له واخذه كما ذكرنا ووضعه قدام الكاهن بحرم أبى العجائب فلما صار صار بين يديه قال له أنت الظاهر الذى ضمنت للملوك هلاكى أناوأخى نكمدان وتأخذ بلادى وترتب له الخراج الك أنت على الملوك أتباعى كيف تقدر على ذلك وأنا أرسلت خادما من عندى أتى بك الى عندى أسير فقال السلطان مافعلت الا الصواب وهذا يكون سبب هلاكك وأخذ بلادك لانى أنا مامنعنى عن المجىء اليك الا بعد البلاد والمشقة على عساكرى والاجناد وأنا لما بقيت عندك أبشر بخراب بلادك وفناء فرسانك وأجنادك فاغتاظ بحرم أبو العجائب وأراد ان يطعمه لاخيه نكمدان فقال له الوزير يا ملك اصبر حتى ننظر من يلحقه ونبقى نقتلوا الجميع سواء

فقال يا ملك العرب فى رجالك أحد يقدر ان يأتى الى هذه البلاد فقال الملك كل رجالى يأتون اليكم فقال ومن يدلهم على الطريق فقال اعلم ان شيحة يعرف

طـ قات الجن التي لم تعرفوها وسوف يأتي ومعه الفداوية والأمراء وإن شاء الله ينصرهم الله عليكم ويخلصوني من بين أيديكم فقام الكاهن ودخل على بنته وقال هاتي مفتاح الكنز الأعتم فأعطته المفتاح فحبس السلطان فيه وقال له هذا قبرك دفنتك فيه بالحياه حتى تموت كمدا ولا يعلم بك أحدا هذا ما جرى هنا [وأما] المقدم جمال الدين فانه سافر على طريق الحجاز حتى وصل إلى أرض عرب يقال لها سلمى وكفاءة أراد أن يستريح فيها لأنه كان قد ضره التعب والظمأ فأقام إلى وقت العصر وإذا بجماعة عرب راكبين خيولهم فعملوا حلقة ملعب وساروا يتطاعنون الجريد على ظهور الخيل وفيهم شيخ كبير ولكن عارف أبواب اللعب وخبير علم جميع اشباب الذي في ذلك الملعب فنزل اليه غلام أمرد صغير السن ولاعب مع الاختيار وأتعبه في اللعب وأكربه وأخيرا ضربه جريدة حكمت في رأسه فوقعت عمامته فقال له الاختيار هكذا تفعل معي ولكن الحق على أنا الذي لاعبتك ولو كان لك أب معروف بين العرب كان يبقى عليك العتاب فقال ياعمي أنا ما هو ابي شيخ العرب حسن قال له حسن هذا جدك أبو أمك وأما ابوك لم يعلمه أحد فعاد الولد إلى محله باكيا ودخل على أمه وقال لها ياأماه ان كنت ولدتيني من الزنا أعلميني حتى أقتلك وأقتل نفسي وإن كان لي أب اعلميني به وأنا أدور عليه حتى أنسب اليه فقالت له ياياسر ياولدي ابوك أشرف الرجال واسمه المقدم عمار القدموسي صاحب قلعه الكهف والقدموس وأنت من الفداوية والكماطار اسمه المقدم جمال الدين شيحة فعند ذلك سمع المقدم جمال الدين هذا الكلام فنادى تعال ياغلام أكتب لك كتابا وخذ أمك معك وسافر إلى قلعة المعرا واعط الكتاب إلى سرميل فانه يفتح لك قلعة أبيك المقدم عمار القدموسي ثم التفت الى البدوية أم الغلام وقال لها انت فاطمة بنت حسن الثلمي فقالت له أنا هي ياسيدي وزوجي المقدم عمار القدموسي سافر مع السلطان ومات في الاسكندرية وسمعت أن الذي قتله سيرون الراهب فقال لها شيحة زوجك ما أعطاك امارة فقالت له نعم نسبته فيها صوره سلطة تحت ابط ولده هكذا فكتب له شيحة كتابا وقال سر الى المعره تجد المقدم سليمان الجاموس فاعطه الكتاب يسار بما فيه ففرح الغلام وأخذ امه وطلب بلاد الشام يقع له كلام إذا اتصلنا اليه نحكي عليه

[قال الراوي] وتوجه المقدم جمال الدين وصار يجد المسير حتى اتى جبلا عاليا والطريق على يساره فقال في نفسه ان هذه الطريق يسلكها الدواب وأنا ما معي دواب فطلع على الجبل وسار طول النهار فما وصل إلى آخره إلا في الليل ونزل بواد فسمع عوى الذئاب فعلم أن هذا محل ذئاب فكمن حتى دبر عليه ذئب فاحتال عليه

وقبضه وذبحه وسلخه ولبس جلدة ليلا وطلع عليه النهار فرأى نفسه فى صفة ديبة أنثى وأقبل عليه من الوادى ديب كبير يريد أن يعلوا عليها فأراد أن يضربه بالكشافة فرآه محاذراً منه على نفسه فقال فى باله هذا مامنه خلاص وفى هذا الوقت كنت احتاج ابنى السابق لأنه أدرى بهذه الامور فضحك الذئب وقال أنت أنثى وانا ذكر ولا بد لى ماأنطلق عليك فى هذا البر الاقفر أنا الذى ذكرته فقال انت السابق قال نعم ثم انهم ساروا إلى شاطئ البحر فرأوا اغليون هندى يريد أن يأخذ مياه من هذه الارض فقال لهم شيحة نحن ناس من الهند خذونا معكم وها نحن كل واحد منا يعطيكم عشرين ذهبا فأخذوهم وأخذوا منهم المائه دينار فلما بقوا فى المركب خرج عليهم الهواء فردهم إلى بحر جدة فطلعوا حتى برد الهواء ساروا وتاهت بهم المركب فقال البحارة والله ان هذين الشخصين هما أنحس خلق الله تعالى حطوهما المنبر فرموها فى قرب الطارمة فما يشعروا إلا وأربع هرايش احتاطوا بالمركب فقال اصحاب المركب قبل كل أعطوهم هذين الشخصين الغريبين فأطلعوا شيحة وقالوا له مااسمك قال انا الشيخ شىء زبوز وهذا رفيقى اسمه عنهاوز فقالوا لهما انظروا الى الهرايش فانهم أرادوا أن يهلكونا فان كنتما تقدران على ردهم بكراماتكما وإلا رمينا كما لهما فقال شيحة أنا أردها واطعمكم منهم اتيتم لى بأربعة أغنام فقالوا له خذ هذه الاغنام فأخذ خروفا وذبحه ووضع فيه نصا من السم وألقمه لواحدة فماتت لوقتها والثانية والثالثة مثلها والرابعة وضع فيها قرص بنج ورماها اليها فاكلته فصارت على وجه البحر لا تتحرك فقال لهم خذوها واجعلوها طعاما فقالوا له انزل واربطها فاخذ كلاليب وشكهم فى خاشيشها وجذبوها إلى المركب وذبحوها فكانت تغنى عن مائة خروف فقالوا له ياشيخ زبوز نعم مافعلت معنا فقال السابق لابيه يا أبى هؤلاء قوم ماهم من جنسنا ولم نجد الراحة معهم وإنما إذا أرسوا فى مرساة اطلع ونسير نحن وحدنا والله تعالى يساعدنا فقال له صدقت ثم انهما صبرا حتى أرسوا تحت جبل فطلع شيحة وابنه فى البر فرجدا نفسهما فى واد القرود فنظر شيحة إلى قرد كبير مقبل عليه يعرج برجله فوقف قدام شيحة ورفع له رجله الذى يعرج بها فنظر شيحة الى رجل القرد فرأى فيها شركة فتقدم اليه وأطلع الشوكة من رجله ودهن له محلها فبردت وطابت ففرح القرد وزعق فاجتمعت القرود وأشار لشيحة نبركب وركب السابق قردا ثانى وساروا بهما فى الوادى ساعة رغير واعلى رفقائهم وهكذا ثلاثة ايام وهم يأكلون من نبات الارض ويشربون من الغدران حتى فرغوا من واد القرود ووصلوا إلى واد الذئاب فقال السابق الى هؤلاء صورة بنى آدم فقال له شيحة افعل كما فعلنا ثم إن شيحة

رفع أثوابه ولعب في القيان وإذا بواحدة أقبلت قدر الجاموسة إلى قدام شيحة ونامت على ظهرها ورفعت رجليها باتكة على صدرها وبعده الكشافية فنزل بها على مقتلها ابراه فراح السابق إلى بعيد وفعل مثل ما فعل أبوه وذبح واحدة وسلخاهما ولبسا جلدهما وساروا في ذلك الوادى حتى قطعاه ثم وصلا إلى واد النمورة فرميا جلود الذئب وسارا إلى مغارة فوجدا جروان من أولاد النمورة فأخفياهما وأضرما نارا واختفيا من داخل المغارة فاقبلت نمرة ويتبعها نمر فرمى شيحة قرص بنج في النار فشماه النمران فتقبجا فقاما وذبحاهما ولبسا جلودهما وسارا حتى خرجا من هذا الوادى إلى واد الخرتيت وواد السباع وواد الافيلة فطلعا من تلك الاودية كلها إلى واد الافاعى والسموم فقال شيحة خذ هذه الحبة تحت لسانك وكذلك شيحة وضع تحت لسانه حبة وهما يقرآن آيات وأسماء وأقسما لمنع اذية الافاعى حتى خرجا إلى واد خضر نضر فقال شيحة هذه الأرض نرتاح فيها ثم انهما مشيا في بساتين وأكلا من أثمارها ودخلا إلى مدينة واستخبرا على مدينة السن والكوكب فدلهما الناس عليها فقال السابق ياأبى كل منا يمشى وحده والاجتماع في اليوم الذى يريده الله فتودعوا أما شيحة فانه سار حتى وصل إلى المدينة فدخل اليها فالتقى مدينة كاملة الاوصاف عامرة البناء والاماكن والاسواق والعقارات وجميع الاشكال فيها فقعد بجانب وفرش جلدا وعمل نفسه رمالا فما كان غير ساعة الا وموكب منعقد وكان موكب الملك بحرم أبى العجائب فلما جاء الملك ونظر شيحة فوقف هو من دون الناس ونزل من على ظهر الحصان وقال له يارمال امض معى إلى محل حكمى والا تقدر تقضين حاجتى هنا فقال يا ملك ان أردت هنا وان أردت في مكانك فما هناك خلاف بيننا فقال أريد منك أن تنظر لى اسما اوله شين وآخره حاء فقال هذا يبقى شيحة فقال ياشيخ تعرفه فقال يامولانا كيف أعرفه أنا رجل رمال فقال صدقت أنت رمال المحال روح إلى الحبس فما شعر شيحة ولا هو عند الملك الظاهر فقال الحمد لله رب العالمين

[قال الراوى] كان السابق واقفا ناظرا فلما رأى ذلك اندفع مع العسكر حتى عرف المحل الذى حبس فيه أبوه فصبر الى الليل وأتى ففتح الاقفال بالحجر ولما عرف الابواب فتحت ما فى الأرض ودخل وهو محبس الأرض بالجس حتى وصل إلى أبيه والسلطان فقال السلام عليكم فقالا له أهلا وسهلا فتقدم فكهما وقال اتبعانى ومشى قدامهما وهما خلفه طول الليل حتى طلع النهار فتأملوا فوجدوا أنفسهم في الحبس كما كانوا فقال السلطان احكى لى ياسابق أنت دخلت علينا من أين فقال من هذا فتأمل فوجد نفسه هو اياهما بين اربعة حيطان بغير باب

فقال السلطان أقعد ياسابق يأتى هذا أقضاء وقدر والعبد ماله منه

مهرب ولا مفر نقعد السابق ولكنه ندم كيف انه أوقع نفسه بنفسه فقال له السلطان سليمانى انت جئت من مصر الواى وكيف اجتمعت على أبيك وكيف كان أصل وقوعك فقعد محمد السابق يحكى السلطان وهم حيروسون

[قال الراوية] لما أخذ الكتاب ياسر بن عمار القدموسى وأخذ أمه وسار من سلدا وكفالة حتى وصل الى المعرة فاعطى الكتاب الى المقدم سليمان الجاموس فوضعه على راسه وقال له ياولدى ان ملكنا جعل له نائبا على السلطنة مقيما بمصر فالصواب الارسال اليه حتى يحضر ويامر رجال ابيك يكونوا تحت طاعتك ثم انه أرسل اعلم المقدم ابراهيم فركل بخدمة السعيد سعدا وتوجه هو حتى وصل الى قلعة المعرة فطلع المقدم سليمان الجاموس وسلم عليه وحكى له على كتاب شيحة فسار مع سليمان الجاموس الى قلعة القدموس وفتحوا القلعة وأخرجوا الاموال وزعقت القرون واجتمعت الرجال وأطلعوا ذخائر المقدم عمار فسلموها الى ابنه فالتقى ابراهيم هذه الاموال كثيرة فقال ابراهيم لياسر يامقدم ياسر ان أطعتنى فيما أقول لك وهو انه نشترى لك بهذه الاموال سلطنة القلاعين لان إيرادها كثير مثل ما ياخذ الملك الظاهر من ملوك الروم ومن ملوك العجم تاخذه أنت فقال ياسر والرجال يطيعونى اذا كنت أنا سلطان فقال المقدم ابراهيم أنا أعلمك كيف تطيعك لما تشترى فاشتراها منه باربعين صندوقا التى كانت فى القلعة مخلفات عمار القدموسى فقبضها ابراهيم وعمل جمعية على القدموسى وأحضر المقدم سليمان وأمره بجمع الرجال ووقع الشرط انه ينزل الى الميدان أن يبارز ابراهيم بن حسن وكل من غلب يستحق السلطنة وتطيعه الرجال ونزل الاثنان وكانت لهما ساعة وكان ابراهيم راكبا على حجره محمولة فشكها ياسر بالرمح فى جنبها فقتلها وساق المقدم ابراهيم بين يديه فقال المقدم ابراهيم هى طاعة الخوند لك حتى تعوم الجبال فاتبعونى ياانى اسماعيل فما أحد الا وأجاب فاول من أطاع سليمان الجاموس بمشورة المقدم ابراهيم وكذلك منصور العقاب وبعدهم جميع الرجال طاعت وانفض الحال وركب ياسر الى مصر وقابل الملك محمد السعيد فقال يا مقدم ياسر اذا جاء المقدم جمال الدين أطن ما أنت من قياسه فقال يا ملكنا يعطى الله السعد لمن يشاء وإذا بنجاب مقبل من حلب يخبر أن اقان هلاوون والب منويل بن ميخائيل ملك أنطاكية ركبوا وحطوا على حلب طامعين فى أخذ بلاد الاسلام لما علموا ان الملك الظاهر غائب ولا خبر له ولا أثر فاغتم الملك السعيد فقال المقدم ياسر ضمان الركتين على وركب واخذ بنى اسماعيل وسار حتى حط على حلب وكتب كتابين كتابا الى هلاوون وكتابا الى منويل وارسل واحدا مع المقدم ابراهيم الى هلاوون والثانى مع المقدم سعد الى الملك منويل

مضمون الكتابين من حضرة سلطان القلاع والحصون إلى ملك الروم وملك العجم بلغ من قدركم يا كلاب انكم ركبوا على بلاد الاسلام وطمعتم لما عاب أمير المؤمنين مع أن كل فارس من رجالنا له مقدرة أن يكسر جموعكم ولكن كان الذى كان فاذا أردتم أن تنفذوا امراجنيتم فيأتى كل منكم إلى عندى معلقا سيفه فى رقبته واحاسبه على كلفة الركبة ثم أبيعه نفسه بالمال وأضاعف الجزية عليكم طائعين والا الحرب بينى وبينكم والسلام فكتبوا له رد الجواب ماعندنا الا حرب بمد الجبال وطعن يقد النبال وأول الحرب يكون فى غداة غد فاعطوا سعاة الركاب حق طريقهم وعادوا له برد الجواب فأمر المقدم ياسر بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الروم والعجم ولما أصبح الله تعالى بالصباح على الناس قام جوان وراح إلى القان هلاوون وقال له ان كنت تتسارى مع النصارى فى الحرب وتأخذوا الاسلام مواسطة فقال هلاوون رضيت بذلك وعرض السؤال على تفلون طاز فقال هذا صواب فقال رشيد الدولة يا قان الزمان أنت تعلم أن الممالك فى كل الدنيا أصلها لجدك القان كسرى أنوشروان فاذا انت اتفقت مع ملك النصارى على السنية وأخذتم البلاد فيرجع ينازعك يقول أنا الذى أخذتها بسيفى فقال له هلاوون وكيف العمل يا رشيد الدولة فقال تتخلى عن الحرب وتترك النصارى يحاربون أهل السنة فاذا انتصروا السنية على النصارى نرجع نحن نحارب السنية ويكون ضعف قواهم فتملكهم ونبلغ مرادنا منهم وان انتصر ملك الروم كذلك اما يمتثل ويورد لك الخراج كما كان قيصر يورد للملك كسرى والا نحاربه فقال هلاوون صدقت يا رشيد الدولة وكلامك صواب ومنع الحرب هلاوون وارسل يقول أنا لا أحارب العرب إلا إذا عجزتم فأنا بعد ذلك أحاربهم فاغتاظ البب منويل وقال أنا ما أريد من العجم معاونة ثم انه فتح الحرب فأراد رجال بنى اسماعيل ان ينزلوا الى الميدان فقال المقدم ياسر يا رجال لا أحد ينزل أبدا الا بعد ما أعدم انا واروح مأسورا أو مقتولا وانا طول ما أنا ماأمسك العنان فما أحد غيرى ينزل الى الميدان فقالوا له يا خرند ونحن لا شيء وأتينا معك فقال اذا جاروا وتركوا الاصاب وحملوا فهذا الوقت أنتم احملوا ثم انه نزل إلى الميدان فنزل له أول فارس من النصارى قتله والثانى جندله والثالث زمله والرابع إلى المقابر أرحله ودام إلى آخر النهار قتل خمسين بطريق من الكفار وثانى يوم وثالث يوم ورابع يوم وهكذا سبعة أيام حتى ضجت الكفار فدخلوا على البب منويل وقالوا له يا بب ان المسلمين ماقراهم النصاصم والذى يحاربنا واحد فقط وكم بطريق قتل وهو لا يموت ولا ينجرح ولا

يصيبه شيء فقال منويل انا للمسلمين كفاية وأنا الذى أفنيهم ولا أخلى فارسا منهم يجول حتى أصيره على الارض مقتول

[قال الراوى] ان أصل هذا منويل أصل منشاه ان البب ميخائيل كان ركب عليه ملك الجرج وأتى له من بلاده فى عسكر عظيم وتحارب مع الملك ميخائيل مدة أيام حتى هلكوا عساكر شتى وبعدها أرسل ملك الجرج الى البب ميخائيل يقول له ان سفك الدماء فى جميع الأديان حرام وأنا مرادى منك أن تنزل إلى الميدان وتتقاتلا فان أسرتنى افعل بى ما تشاء وإن أسرتك أبايعك نفسك فأجابه الى ما طلب ونزل البب ميخائيل وتقاتل مع ملك الجرج فانتصر ميخائيل على ملك الجرج وأسره من الميدان وأخذه وسار به إلى بلاده ودخل معه مدينته واجلسه على كرسيه وقال له لو كنت انت اسرتنى كنت تبيعنى نفسى بالمال وها أنا اسرتك ولم اطلب منك مالا وإنما اطلب منك انْ تقعد فى بلادك وتعقل وتترك عنك الجهل فان الأمر كما قلته ان سفك الدماء حرام وانا ما آخذك بجهلك فانخجل ملك الجرج ولم ير شيئا يهاديه به إلا انه اعطاه بنته هدية فدخل بها وتركها وسافر إلى بلاده فظهر على البنت الحمل وأوفت ايامها فوضعت هذا الغلام منويل فطلع نارا موقدة وصاعقة مبرقة

ولما بلغ مبلغ الرجال صار يغزى الملوك ورتب الخراج على جميع البلاد الذى حول الجرج فمر جوان عليه واستخبر عنه وعرف ان هذا ابن البب ميخائيل فاغراه على ترك بلاد الجرج واخذه وامه فأوصلهم الى ميخائيل وقال له يا بب الى متى تصبر على مذلة المسلمين اعلم ان ملك المسلمين خطفه كاهن فى بلاد الهند اسمه مجرم ابو العجائب وما بقى يعود ابدا فاركب وخذ بلاد الاسلام فقال ميخائيل يا جوان اغريتنى كم مرة على المسلمين وانا اعود بالخيبة فقال منويل انا اركب فى هذه النوبة ضمان المسلمين على فجهزه فى عشرة آلاف بطريق واتى فى صحبته جوان والبرتقش الحوان هذا كان اصل سبب ركوبه واما ركوب القان هلاوون فانه بلغه ماجرى على ملك الاسلام من مجرم أبى العجائب فاتى طامعا فى اخذ بلاد الاسلام [قال الراوى] ولما اراد البب منويل ان يركب ويحارب المقدم ياسر بن عمار كما ذكرنا واذا بالغبار غبر وعلا الى الصفا وتكدر وانكشف وبان عن ابطال الاسلام ومقادم مدينة الرخام ومقدمهم الملك عرنوس بن معروف وعلى يمينه المقدم اسماعيل أبو السباع وعلى يساره المقدم نصير البر وخلفهم المقدم هدير الرعود وعلى رؤوسهم الرايات والبنود وخلفهم اولاد ملوك البرتقان كانهم الاغصان وعساكرهم خلفهم مثل ازهار البستان فعندها انقطع الحرب لقدومه وقال جوان يا بب منويل هذا الديابرو عرنوس ما احد من ملوك الروم يقدر

عليه فقال البرتقش اجيء الك الحارة يا جوان فقال جوان أنت يا برتقش دائما تقرأ دفاتر النحوسات على جوان [قال الراوى] وأما المقدم ياسر فانه لم يعرف عرنوس ولا احدا علمه به فقال المقدم ابرهيم قم باخو نداستقبل الملك عرنوس فدخل عليه الغرور وانه سار حتى وصل الغرور وظن فى باله أن الملك عرنوس فداوى مثل الفداوية وأما عرنوس فانه سار حتى وصل الى صيوان ياسر فلم يطلع ياسر اليه بل جميع الرجال طلعوا التقاه فقال لهم من هو الذى متولى أمر الركبة فاخبره منصور العقاب بالقصة التى جرت من اولها الى آخرها فدخل الملك عرنوس الى صدر الصيوان وقال لياسر قم يا كلب أى شيء اوصلك أن تجلس فى مراتب الملوك تثبت ولم يقم فمد يده الملك عرنوس الى خناقه وجذبه من على الكرسى ورماه وحط يده على سيفه قاسم الحديد وضربه حتى شعضبة تشعضبيه تقارب تشعضبية ابن حسن على جسر الانجبار فتقدم اسماعيل ابو السباع وقال يا ملك عرنوس يكفى ماجرى له ولا تقتله لان قتل المؤمن يا ولدى حرام وأنت من شرف من سادات الاسلام فقال عرنوس عدم قتله يكون كرامة لو قوفك أنت فقط بشرط انه يروح الى ملعة ابيه ويقعد فيها مثل الكلاب وأما والاسم الاعظم وحياة قبر ابى معروف شهيدا باب أنطاكية أن رأيته مختلطا مع الفداويه من قبل أن يكتب على سلاحه اسم سلطان الحصون لاقطع راسه وأخمد انفاسه هى سلطنة القلاع سائبة حتى يأخذها مثل هذا الكلب من الكلاب من قدامه وهو عادم النفع ووضعوه فى تابوت وارسلوه الى قلعة الكهف و القدموس وتورمت جراحه يقع له كلام [وأما] عرنوس فانه أرسل الى الملك محمد السعيد كتابا يذكر فيه أما تعلم يا سعيد أن الدولة طبعها النفاق حتى تأمر كلما تسل كلب تولى على تخت القلاع وثانيا ترسله فى وجه العدو وتتكل عليه يحمى بلاد الاسلام ماذا كانت هذه اعمالك وابوك طيب وانما جرى عليه وحد الله دليس ببعيد إذا مات الملك الظاهر وظهر أحد وجادلك فى تخت السلطنه تسلمه ويصح المثل ان النار لا تخلف الا الرماد وهذا عيب فى حقك اركب وصادر العدو نحن كلنا حواليك وروسنا تطير بين يديك وطوى الكتاب وارسله مع نجاب من طرفه وبات واصبح نزل الى الميدان [قال الراوى] وأما البب منويل فانه لما اعلمه جوان بالملك عرنوس بات مغلولا و لما طلع النهار ونزل الى الميدان فالتقاه الملك عرنوس ووقع بينهم حرب شديد يشيب الطفل الوليد فدخل منويل الطمع ن الملك عرنوس لم يعلم حاله ما له حتى اختبره فرآه نارا لا تصلى وجبلا كلما قرب منه شمخ وعلا فعلم ان الوصول اليه بعيد وقتاله صعب شديد فندم على نزوله اليه هذا والملك عرنوس ضايقه ولا معه وسد عليه طرقه وطرايقه

وقبض على خناقه وهزه واقتلعه من سرجه وجلد به الارض وإذا بيد انحطت فى منطقه الملك عرنوس اسمعته تسبح الأملاك فى مجارى قبب الافلاك فما صدق منويل بذلك حتى أنه عاد الى عسكره وهو يهنى نفسه بالسلامة فقال جوان يا ابنى أنا بالى معك وقلت للحوارى يخطفون اخطفه ففرح منويل واعتقد أن جوان صاحب كرامة وباتوا تلك الليلة وفى ثانى الايام نزل الى الديوان وقال ياجوان تأليف العمل فقال له انزل الى الميدان وكل من نزل اليك ورأيته جبارا عليك اخلى الحوارى تخطفه ولاتخف أبدا فنزل منويل الى الميدان فلطمه المقدم اسماعيل فانخطف اسماعيل وكذلك المقدم نصير النمر وهدر الرعود فضاقت صدور الاسلام فبينما هم كذلك وإذا بالملك محمد السعيد أقبل بعسكر الاسلام والامراء وانتصب العرضىء ووقع الحرب بين الفريقين

[قال الراوى] وكان السبب فى خطف الملك عرنوس وهو أن الملك مجرم أبا العجائب لما حبس شيحة وابنه الساق فى كنز الدم عند الملك الظاهر ضرب تخت الرمل ينظر هل بقى أحد يطلب منه قتالا فرأى انه يأتى واحد اسمه الملك عرنوس يقتله وأنه مقيم فى هذه الوقت على حلب فأرسل اليه عونا خطفه فلما أوقفه قدامه قال له أنت عرنوس الذى تقتلنى فقال له عرنوس أنا متى قتلتك ولا رأيتك الا فى هذا اليوم ولكن ان شاء الله أقتلك فقال له بقيت أقتلك أنا قبل ان تقتلنى فقال عرنوس بكره يأتوك رجالى ورجال السلطان أبطال الايمان يهلكونك وأما علم السحر فلا ينفعك بشىء فحلف مجرم أنه ماقتله الامع رجاله وادخله عند السلطان فى كنز الدم والوكيل على مفتاح الكنز بنته وكانت اسمها نورة ففى ليلة من الليالى سمعت عرنوسا يتشاجر مع المقدم جمال الدين ويقول له كنت عجزت عن سلطنة القلاعين فغيرك احق بها وأولى ولا تعطيها لمن يريدها فقال له أنا وكلت على السلطنة المقدم إبراهيم بن حسن والاسم الأعظم ان كان باعها لابيه فى بلاد النصارى باسم عبد رابيع معه ابن خالته المقدم سعد فقال عرنوس تحنث فى يمينك فقال يمينى أعرفه فدخلت عليهم نوره وفرجت على الملك عرنوس وطاعت ... ابها أبوها اسماعيل أبو السباع ونصير النمر فأنزلتهم عند عرنوس وطلعت ونامت فرأت فى منامها أن القيامة قد قامت وانتصبت الموازين وأمر بها للنيران فخافت من النار فاستجارت فى شخص فأخذها وأدخلها الجنة فقالت ياسيدى ما اسمك فقال معروف بن جمر وأنت زوجة ولدى عرنوس الذى عندك محبوس فاقتلى أباك فانه كافر وانطقى بكلمة الاسلام يذلك فضل واحترام وقرى بالشهادة لتكونى من أهل السعادة فلما افاقت عرفت حق الايمان فنزلت إلى كنز الدم واخبرت السلطان ومن معه واسلمت على أيديهم وقالت علمونى كيف

السبيل فقال شيحة أبوك من يطعمه قالت له انا قال لها خذى هذا الحق وضعيه له فى الطعام فاخذته وصبرت حتى جاء أبوها وطلب منها كاس شربات فناولته الكاس بعدما وضعت فيه السم كما علمها شيحة فاخذ الكاس وقال لها انا علمت الذى فعلتيه وهذا الشراب مسموم فاشربيه أنت فقالت له من أعلمك فقال لها اشربيه يافاجرة فاخذت الكاس فى يدها بقوة واهتمام وصاحت يا بركة دين الاسلام وطرشته بالكاس فى فى وجهه فدخل السم فى عينيه وفمه ومناخيره وسرى فى جثته فمات من وقته وساعته ونزلت الى الملك عرنوس وأحضرته وبما جرى أخبرته وقالت له ياسيدى بقى فاضل عمى نكمدان فأخذته ودخلت على عمها فرأته قاعدا على ركبتيه يأكل فى صدر حصان ميت فأراد الملك عرنوس أن يتقدم عليه فقفز نكمدان الغول وقبض على عرنوس فقالت بنورة أمسكه ياعم هذا هرب منى وأنا خائفة من أبى فقام معها وهو ماسك عرنوس وقال لها يابنورة أنا مرارا عديدة أطلب من أبيك أن يزوجنى بك فلم يرض فقالت له ياعم أنا قالت له لاتزوجنى إلا لعمى ولكن اباما أقدر أجادله لانه كان نعلم سحار وأخاف أن يقتلك ويحرمنى منك فقال لها أنا لايقتلنى إلا سيفى هذا وأما بغيره فلا يقطع فى سلاح فضحكت فى وجهه بنورة ودخلت فى صدره ثم قالت له سيفك أثقل والا سيف أبى فقال لها أنا سيفى مرصود على قتل نكمدان الغول فقط والا هو حديد ماضى وإنما هو صنعة أخى بالسحر والكهانة فقالت له ياحبيبى فرجنى عليه فجذبه من من جرابه وناوله لها فلما بقى فى يدها صاحت يا بركة دين الاسلام وضربت عمها بالسيف فى وسط جبهته شقته إلى حد سرته فقال عيديها يابنورة فقالت ما بقيت أقدر أعيدها وكان هذا بعد ما أدخلت عرنوسا الحبس ثانيا ولما دخل عرنوس على السلطان وشيحة وأخبرهم بموت مجرم أبى العجائب وبماجرى له مع أخيه نكمدان بقى السلطان يتفكر و شيحة يحسب ألف حساب يعنى إذا كان نكمدان يروح محل أخيه مجرم فيجده مقتولا كيف العمل والخلاص فى الامر والتدبير فبينما هم كذلك واذا بالملكة بنورة قادمة عليهم وبيدها شمعة فقالت لهم قوموا ياعصبة الاسلام قتلت نكمدان الغول فطلعوا معها الى السراية فالتقوا الاثنين مقتولين فقال شيحة تمام المطلوب على أنا حتى أملككم البلاد ثم انه أخفى جثة الاثنين ليلا وأطلع مرآة الانقلاب وجعل عرنوسا فى صفة مجرم أبى العجائب والملك فى صفة نكمدان الغول وعند الصباح جلسوا فى تخت الديوان وأحضر السابق وقال له خذ هذا الكتاب ودور على الستين مدينة وعضموه من حضرة الملك الظاهر الى ملوك الهند اعلموا أنى أنا أرسلتم الى وزرائكم سابقا

فستنجدونى على بجرم ونكمدان أخيه فها أنا أقبلت وقتلته فكل واحد منكم يأتى إلى مدينة السن والكوكب وكل ملك يكون معه مائتى فارس من أهل القتال والحذر ثم الحذر من المخالفة فدار السابق على الملوك فتعجبوا وسألوا السابق فأعلمهم بموت بجرم وأخيه وحلف لهم فصدقوه ولما وصلوا إلى المدينة أمر الملك بدخولهم مع عساكرهم ولما دخلوا أمرهم أن يضعوا فى دولة بجرم أبى العجائب السيف فما كان غير ساعة حتى صاح السلطان وأظهر للناس أن بجرما أبى العجائب مات وأخوه نكمدان الغول أيضا مات ولم يبق إلا الملك وهو يدعوكم إلى دين الاسلام فما تم النهار حتى صارت المدينة كلها إسلام

وطلع المقدم جمال الدين فك الكواكب وخلع الرمح الحديدوأنزل الكوكب وما حوله من الاسنة الذهب وقال للسلطان هذا عقله إن شاء الله تعالى على قبر النبى ﷺ فقالت الملكة بنورة ياملك الاسلام إن أبى له خادم يقال له السارح مرادى أحضره لكم فينقلكم إلى مدينة النبى ﷺ فان هذه الايام قد قرب أوان الحج فيها فقال شيحة وأنا معى وسيلة من الملكة تاج ناس فما تم كلامه إلا وسحاب المختطف الابيض قال له السلام عليكم فقال شيحة ياسحاب مرادنا تردينا إلى المدينة وقامت الملكة بنورة وأحضرت سرير من العاج الهندى وقعد عليه ستة أنفار وهم الملك عرنوس وإسماعيل ونصير وشيحة والسابق وحمل السرير سحاب وأمر السلطان ملوك الهند أن يكونوا تحت أمر الملكة بنورة وأعطاها معضدوقال لها إن وضعت فاجعليه فى عضده وحملهم سحاب إلى المدينة فزاروا قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وعلقوا الكواكب الدرى على المقام الشريف لى ساكنه أفضل الصلاة والسلام وبعد ذلك توجهوا إلى مكة وحجوا وعادوا بعد الحج على طريق الشام وفرق السلطان على أهل المدينة وأهل مكة أموالا جسيمة حتى ساوى الفقير بالامير ولما رجعوا على طريق الشام كان شيحة هو الدليل لهم لانهم لم يسافروا مع الحج بل سافروا على عجل وقلب السلطان على بلاد الاسلام هذا ما جرى لهؤلاء

[وأما] ما كان من عساكر السلطان فانه لما خطف عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع ونصير انه تضايقت الاسلام كما ذكرنا وأقبل الملك محمد السعيد واصطفت الاسلام مع الكفرة اللئام فأول ما نزل الملعون منويل وقاتل فى الاهوال وصار يأسر منهم حتى أسر خمسة فاغتاظ السعيد وقال المقدم إبراهيم كأنك خفت يامقدم إبراهيم أنى هذا اليوم يعطى الاهمال فى الجهاد أما تعلم أن الله حق فقال إبراهيم لا ياملكنا نحن مسلمون

أرواحنا القضاء والقدر ولا تتأخر عن قتال كل من كفر ثم ان المقدم إبراهيم نزل إلى الميدان فالتقاه منويل وقاتله ساعة من النهار حتى اختبره وكان المقدم ابراهيم خائفا على نفسه أن يختطف مثل غيره فقام فى ركابه وضرب منويلا بذات الحيات حكمت على كتفه هـ لته ولولا كان على بعد لا كان شطره شطرين ولكنما أجله باقى فولى منويل هاربا فبرز جوان الشقيار فحملت جميع الكفار على عصبة الاسلام الأبرار وحمل الملك محمد السعيد والوزراء والأمراء وكان يوما اسود عكار شاب فيه الغلام وغنى الحسام وقل الكلام وانفلق الهام واستظهروا عصبة الاسلام على الكفرة اللئام وردوهم إلى الخيام وأقبل الليل بالظلام وانفصلوا عن ضرب الحسام وثانى الايام كذلك فنظر منويل لعسكره ولنفسه وقال ياجوان ما كنت قاعد لاارمد حربا ولا لى معرفة بالمسلمين وأنت الذى بلاتنى بهذه البلية ورميتنى بهذه المصيبة والرزية وأنا قصدى أكاتب المسلمين وأصالحهم بالمال فانا مالى طاقة على القتال فقال جوان ان عملت ذلك لم يبق لك حق فى دين النصارى ويغضب عليك البعرك زرارة صاحب الدير وحماره فقال منويل وكيف العمل فقال جوان كاتب هلاوون وأنا أكون رسولا وقل له يعاونك ويجىء من خلف المسلمين حتى تفنوهم جميعا وتكون بعد ذلك من تحت إدارته وترد له خراجا منك فى كل سنة خزنة مال فقال رضيت بذلك فكتب للقان هلاوون بذلك وفى ثانى الايام حملت الاسلام على الكفرة اللئام ودار بين الفريقين ضرب الحسام فحمل القان هلاوون بعساكر الاعجام وجاءوا من خلف عساكر الاسلام فنظر الملك محمد السعيد إلى ذلك فاندهش وأراد أن ينهزم فقالت له الرجال يا ملكنا الثبات أحسن من الهزيمة فهم كذلك وإذا بحجارة نازلة من الهواء على الاعجام وعلى الروم فاظلم النهار وزاد الغم وبعدها ظهر ملك الاسلام والملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السبع والمقدم نصر وجاءوا من خلف الاعجام فنظر القان هلاوون إلى ذلك فالتفت إلى رشيد الدولة وقال يارشيد الدولة أنا ما قلت لك ان النار غضبانة على أعداء العجم هذا قان العرب قد حضر فقال له رشيد الدولة قان الزمان اعلم ان قان العرب كان عاقلا وعجز جئنا إلى بلاده وهو قد حضر مرارا وقمت فى مدد يبيعك ويشتريك فالرأى عندى الهرب فقال هلاوون صدقت يارشيد الدولة ثم انه لوى عنان جواده وصاح كركبات زلزلات بدقات فما كان الا دقيقة حتى ... ماطلهم من ... العدم فنظرت النصارى إلى الاعجام وقد انشقوا ... الكل دم ... لبعضهم الحب ... ولى ... المطر ... وفرقوا فى كل ... تلك الاشارة وانهزم العجم وتبعهم النصارى فقال الحقى يا ... باخذ ...

وطلب الحرب فاشتد فى وجهه كل مذهب وادركه قان قانات الحصون وقال يابرتاشر كتفه فقال سمعا وطاعة فقال جوان ياابا محمد أنافرحت بسلامتكم وقدومكم من بلاد الهند فقال شيحة يا ملعون أى شىء هذا الكلام إن الله الملك الأكبر وعدنا بالنصر والظفر وملك السلطان خيام القان هلاوون وخيام منويل هذا والبب منويل اعاقه جرحه الذى جرحه المقدم إبراهيم بن حسن فدخل نصر الدين الطيار إلى خيمته فلقاه ملقى على فراشه فصبر عنده حتى قدمت الرجال فقال لهم هذا أمرنى السلطان أن أحفظه بين يديه وكان منويل وقع فى عرضه ففعل تلك الفعال ولما قدم السلطان إلى صيوان منويل ورآه على ذلك الحال فقال للمقدم نصر الدين احفظه حتى جلس السلطان وطلبه وأمر المقدم جمال الدين فقطب له جراحاته فقال منويل يادين المسلمين وحق رب المسيح أناما درى ما كنت اعرف بلادك ولا اغرانى إلا جوان فقال الملك لا تكثر الكلام يا منويل انت ملعون وجوان ملعون يا كلب انت ركبت على بلادى وغيتى وكان قصدك خراب مملكتى زوال دولتى ولما وقعت قدمت الاعذار بجوان يعنى ربطك بحل كلمت ركبة ولدى خمسة خزاين وحق راسك ومداوة جرحك خزنة ودية من قتل من عسكرى خزنة تبقى سبع خزنات اكتب لأبيك يعجل بارسالها وإلا وحق النبى المنتخب أركب على بلاده واحرثها السكة والفدان واشنقه فيها واقطع راسه واعلقه تحتك فقال منويل يا ملك الاسلام السبع خزن عندى أنا أدفعهم وضمانى على المقدم جمال الدين الذى طيبنى فقال شيحة ضمانه على فأطلقه السلطان وأرسله إلى الاذقية وأعطاه كلما يحتاجه فى السفر فقط وأما جميع عرضيه دخل غنيمة لعساكر الاسلام كذلك عرضى القان هلاوون وسلب الاعجام. بعد ذلك طلب السلطان الرحيل إلى مصر فقال شيحة انى اسماعيل الحاضر منكم يعلم الغائب قسما الله الذى رفع السما بغير عمد وبسط الارض على ماء جمد ان لم يحضر ياسر بن عمار القدموسى إلى مصر خاضعاً ذليلا من دون تكبر لابد لى ان أسلحه وأعلق جلده على قلعة الكهف والقدموس وإن احتمى له أحد منكم يكون مثله وأما إبراهيم بن حسن وسعد بن دبل فلابد لى أن ابيعهما للنصارى بسعر العبيد الجلاليب وها أنا أعلمتكم وكل من عارضنى فى فعلى فهو خصمى فلما سمعت من كلام الرجال وقالوا الله يجيرنا من غضب الحاج شيحة وتفرقت الفداوية إلى قلاعها وأما المقدم ياسر فانه لما بلغه الخبر فاجتمع على الملك عرنوس فى الحال وقال له يا ملك عرنوس أنا فى عرضك وحكى له أصل العبارة وما فعله معه المقدم ابراهيم.

فقال له الملك عرنوس سلطان القلاع يا مقدم ياسر الواسطة روح إلى مصر وادخل على

السلطان وهو يطلب شيحة وتطيعه قدام السلطان فسار ياسر ودخل على السلطان وطاع شيحة غائبا رحاضرا فقال السلطان انده يا إبراهيم على شيحة فقال وأنا إيش عامل حتى انده عليه ينده عليه سعد وإذا بشيحة مقبل فى موكبه فقام السلطان واستقبله مثل العادة فقال المقدم ياسر هى طاعة الخوند لك حتى تعوم الجبال فكتب اسمه على سلاحه وقيد اسمه فى دفتر الرجال وقال له احلك بالصحيح قدام السلطان فحكى ياسر بالذى جرى والمال الذى أخذه منه المقدم إبراهيم فقال شيحة اعطه يامقدم إبراهيم ماله فقال إبراهيم أنا والله ما أعطى درهم واحد لاحد فقال حاذر على نفسك أنا حلفت ان ابيعك فقال له يا حاج شيحة أنا كان زعلت من عشرتك وإذا بعتنى إلى أحد تفدى عينك ما يطلع بيدك ونزل المقدم إبراهيم منطورمن قدام شيحة فقال سعد يبقى ياحاج شيحة نحن فى خدمتك السنين العديدة وأنت علينا سلطان وان خالى غلط غلطة واذنب ذنبا فلا يغفر له ذنبه وعلى أقل الشىء تعتمد على الغضب وأنا والله من غير المقدم إبراهيم ما اقيم فى الديوان ولا ساعة فقال الملك الحقه ، أنت ياشيحة الحقهم ولا ترينى وجهك ولا وجوههم حتى تفدى عينك منهم ولكن ياشيحة أنا ما استغنى عن رجالى فقال شيحة وأنا كيف يهون على سباع الاسلام فاعتمد السلطان على كلامه وأما إبراهيم وسعد فانهما اجتمعا على بعضهما وقالا لا نروح الى قلعة حوران فقال سعد يا اخى نخاف من شيحة يدخل علينا ويحتال وأنا أقول أن قلعتنا احسن وهى قلعة بيسان فقال إبراهيم أنت خايف من حوران وأنا خايف من بيسان والله ياسعد إن القلعتين ما يخفوا على شيحة والقائل قال فى حقهم

لحم الغنم أن طبخوه باليخنى ‍ ‍ اكله يخاف ريح يغشى العينين
اللحم طيب والضرر من غيره ‍ ‍ بصل وحمص يمسخ الله الاثنين

الله يعلن قلعة حوران وقلعة بيسان سواء أنا والله ما اقيم الا فى بلاد بعيده لا يدخلها شيحة ولا الملك الظاهر سرنا ياسعد فاخذه واجر على قادة الحوريه وركب ابراهيم حجرته واخذ سعدا فى صحبته وسار الاثنان الى قلعة حوران فلم يقدر ابراهيم ان يدخلها فارسل سعدا احضر اباه وحكى له انه غضبان من شيحة فقال المقدم حسن يا ولدى اخطأت فى كونك تبيع سلطنة القلاعين التى راحت عليها اعناق المقادم فقال إبراهيم والله ما أنا مقيم عند احد القلاع أبدا ثم انه سار الى السويدية فالتقى تجارا وبينهم أحمال زبيب وعسل شامى وكمثرى وتين وجبن فقال لهم لمن هذه الاحمال فقالوا له نحن متسببون نأخذ بضايع من القلاع ونبيعها فى جزاير قبرص وجزاير كريد والمشترى منهم لؤلؤا اقمشة ونأتى به فنبيعه بارض الشام فقال ابراهيم وهذه الجزاير

من أين يأتيها اللؤلؤ فقالوا له سكانها ينزلون البحار ويأتون به من أماكن يعرفونها ونحن نشتريها منهم ونعطيهم زبيبا وتينا وعسلا وجبنا فقال لهم وثمن العسل والتين مثل ثمن اللؤلؤ عندهم فقالوا له ما ثمن اللؤلؤة فبثمن التين وأما ثمن المرجان فبثمن الزبيب ويوجد عندهم جواهر اكن مايعطوها الا كل جوهرة باردب رز أبيض فقال المقدم ابراهيم واذا اشتريتم بالذهب قالوا ياسيدى مايعرفون الاموال فقال المقدم ابراهيم أنا اعلم ان جزاير جريدو جزاير قبرص عليها اعداد وخراج للملك الظاهر بيبرس كيف انهم يفوتون المال ويأخذون أرزاقا كما تقولون فقالوا له ياسيدى المال للسلطان على المدائن واما هؤلاء ناس تجار لا يعرفون المدائن ولا يدخلونها ولا ينتقلون من أماكنهم بجوار البحر فقال ابراهيم ياسعد الله وكيل ان التجارة لنا أحسن من خدمة الظاهر ونبقى حكام أنفسنا ولا لأحد يحكم علينا فقال سعد ونحن لانعرف أمر التجارة ولا نعرف الا سرقة الخيل الذى ربينا عليها فقال ياابراهيم ايام الجهل فاتت لاتذكرها أبدا ثم ان الفداوى اشترى زبيبا وتينا وارزا وعسلا وأتى الى السويدية واستأجر مركبا بخمسمائة دينار من السويدية الى جزائر قبرص وقال للقبطان أنت تعرف محل صيادين اللؤلؤ والمرجان فقال ياسيدى هؤلاء على البحر ولهم مغاير يأوون اليها فى الجبال فقال المقدم ابراهيم لاترسى بنا الاعندهم فقال له سمعا وطاعة وسافر القبطان بالغليون الى جزيرة قبرص وارسى فى بر منقطع فتأمل ابراهيم وسعد يلتقى اثنين أتيا الى البحر فوقف أحدهما على البر والثانى غطس فى البحر غاب شيئا قليلا وطلع وفى يديه اربع محارات فاعطاها للذى على البر فاخذها وفتحها واطلع منها ثلاثة ملآنين حب لؤلؤ والرابعة قال هذه لم تستو ثم رماها فى البحر ثانيا فقال له الذى كان فى البحر انزل هات نوبتك فنزل الثانى وغاب شيئا قليلا وطلع ومعه محارتين ثم أعطاها لصاحبه فلقاها مستويتين فاطلع منهما اللؤلؤ الذى كان فيهما فقال لرفيقه سر بنا الى محل المرجان فقال له يكفى هذا اليوم وساراهذا يجرى وابراهيم قال ياسعد أنا قلبى يحدثنى ان هؤلاء الاثنين أعداء لنا فقال سعد من أين يعرفونا فقال ابراهيم اطلع انظر هذه جزائر عامرة أو خالية فطلع سعد وتفرج وعاد الى ابراهيم وقال له ياأخى هذه أرض واسعة وأماكن منقطعة فطلع ابراهيم فلقى رجلا من الجزيرة وطلب منه ان يبيع له لؤلؤ فقال له نحن هذا العام لانبيع الا بثمن وهذه الايام جمع البضاعة من البحر فعاد ابراهيم الى ريس المركب وأمره بالاقامة ويعطيه كل يوم دينارا وأكل البحارة على ابراهيم فرضوا بذلك وأقاموا يومين ثم ان القبطان قال له لانا كل الا معكم فانكم تاكلون فى بعض الاوقات وتتركونا فقال المقدم

ابراهيم اطبخ لنا ونأكل سواء فقال القبطان سمعا وطاعة وطلع معه الى الجزيرة واصطاد القبطان سمكة كبيرة ووضعها فى المركب وأمر رجاله فقطعوها ووضعوها على النار حتى شووها وأكل الجميع فتبنجوا وطلع القبطان فكتف ابراهيم وسعد ووضعهما فى عنبر الغليون يومين وطل عليهما فى آخر اليوم الثالث وقال لهم أنتم يامسلمين قصدكم تبوظوا علينا تجارتنا وتشتروها من الجزيرة على ذمتكم موتوا بقى فى العنبر ولما تموتوا أرميكم فى البحر للسمك فقال سعد هربنا من الذى بيبعنا أتينا لمن يقتلنا فقال أنا لو عرفت من الاول كنت قتلت هذا المعرص القبطان ولا كنت اصبر حتى وقعت معه هذه الوقعة فقال سعد أنت نطاوعنى انده على شيحة خليه يقتله ويخلصنا فقال ابراهيم ياسعد البلاء كله من شيحه ثم صاح ابراهيم يامعلم اطعمنا فاتى لهم بسمكة كبيرة مشوية وقعد يطعمهم منها حتى أكلوها فصار الاثنان مثل الغربان وخرجت لهم شفايف مثل شنايف البقر وورمت أعينهما وبقوا عبرة لمن يراهما ومن نظرهما يقول عنهما عبيد والبسهما لباس خيش وتركهما فى العنبر ولما جاعا عطاهما سمكة كبيرة صفرة اكلاها فثقل لسانهما فسأل ابراهيم عن اسمه فقال اسمى بريم وسعد قال سعيد فتركهما فى العنبر ودخل الى مدينة قبرص ومشى فى أسواقها فراى رجلا حدادا وهو يشغل مراسى المراكب ولكن عنده اربعون صانعا يدقون على السندال وينفخون على الكور فقال له يا معلم أنا عندى اثنان من العبيد يقومان مقام هؤلاء الجميع اللذين عندك واحد للدق وواحد للنفخ فقال له هاتهما أشتريهما فقال له هما جبابرة لايشتغلان الا وهما فى الحديد فقال حتى انظرهما فأخذه وأنزله فى المركب وفرجه عليهما فباعهما له بمائتى دينار بشرط انه ان تهاون عنهما قتلوه فأخذهما الى الدكان وشك القيود فى أرجلهما ومنطقهما بمناطق بولاد بسلاسل قوية بشباحات خارجة من برى الدكان وقال القبطان روح بقى الى حالك فمسك سعد الكور وقال له انفخ واما ابراهيم مسكه مرزبة أربعين وقة وضربه بالشاحوط الحديد وهو حامى بالنار وقال له دق فقال ابراهيم استاهل أنا الذى عاديت رجلا ماأنا من قياسه حتى وقعت فى مكايده فقال سعد هات بقى المال الذى أخذته يشتغل مطرحك ولكن انت بعت السلطنة وانا عملت إيش فقال ابراهيم يا سعد اسمع

من لعب الثعبان فى كفه	هابت مايأمن من لدغته
من أعلم الناس على سره	قد زحزحه الناس عن رتبته
من عاشر الجاهل على جهله	هابت مايقع فى حسرته

من عاند السلطان فى حكمه اضحى نزيع الرأس عن جثته
واذا رأى ذا رحمة شافع هلبت ما ينفذ من نقمته

وأقام ابراهيم بن حسن وسعد بن دبل عند ذلك الحداد فى أشد الذل اما سعد فانه امتثل القضاء والقدر واما المقدم ابراهيم فانه بقى فى بعض الاوقات يعصى عند الدق فيعاقبه بالحديد وهو حامى فيرجع الى الدق على غيظ منه واقام على ذلك الحال واذا نظرهما احد لم يعرفهما [قال الراوى] وكان المقدم نصر الدين الطيار والمقدم عيسى الجاهرى ممتزجين مع بعضهما مثل امتزاج ابراهيم وسعد اباهما الى يوم من الايام قال المقدم عيسى يا مقدم نصر الدين ان ابونا طال عليهما المطال وهما غائبين ونحن مالنا بطش الا بآبائنا وانه طال غضبهما وشيحة لم يصالحهما ولا الظاهر فنحن ايضا نغضب ونلحقهما فقال نصر الدين بكرة الجمعة انا ادعى انى عيان واروح الى حوران واسأل ان كان ابى وابوك يعودان الى خدمة السلطان والا نغضب نحن ايضا على غضبهما فلما كان عند الصباح توجه نصر الدين الى قلعة حوران وسأل عن ابيه وعمه فأخبروه بما جرى وأنهما نزلا من السويدية وهذا آخر عهدنا بهم ولا نعرف أى البلاد قصدا ولا أحدا أعلمنا فى أى مدينة رأوهما فى الروم أو فى العجم وانشغل المقدم دبل وقال له يا نصر اعلم يا ولدى ان ما ضيع أبوك الآن كان شيحة لان المقدم ابراهيم باع السلطنة لياسر بن عمار القدموسى قال نصر الدين وأى شىء عمل أبى ثم انه عاد الى مصر وهو يتقلى على لظى الجمر ودخل على عيسى الجاهرى واعلمه بما سمع من الاخبار وقال له ان أبى وأباك اما تحت الارض أو فوق السماء لان بين الارض والسماء توابع المقدم موسى بن حسن القصاص يقتفون آثار الرجال فلم يعلموا بأخبارها ولو علموا بهما كان لابد ان يعلمونا فقام عيسى الجاهرى ودخل على السلطان وبكى بين يديه وقال يا ملك الدولة هان عليك أبى وعمى قتلهما الحاج شيحة مع انه لا ذنب لهما يستحقان عليه القتل وان كان ذنبا ذنبا فاحشا فانت يا مولانا يجب عليك العفو لانهما من أتباعك وقطعا شبابهما فى خدمتك فقال السلطان انا لا أعلم ما جرى عليهما ولا لى علم ولا دراية بهما فقال يا دولتلى نحن ما لنا خصم الا الحاج شيحة فقال انده عليه فصاح المقدم نصر الدين أنت فى أى مكان يا سلطان القلاعين واذا بالمقدم جمال الدين طالع فسأله السلطان عن المقدم ابراهيم والمقدم سعد فقال يا ملك الاسلام والله لولا أنهما من المجاهدين ما سألت عنهما ولكن أنا لاجلك سامحتهما وخليتهما يعودان الى خدمتك وضمانهما على فقال نصر الدين وهما فى أى مكان فقال له روح هاتهما من أين ما كانا نانا عفوت عنهما فقال السلطان اذا كنت عفوت عنهما

فراتهما لنا حتى يطمئن خاطرنا ولا تنزل من هنا إلا وأنا معك ولا نعود ان شاء الله
تعالى إلا بهم ان كان قلبك صافى عليهم لا تبيع رجالك بجهلهم ولا تعاملهم بعملهم فقال
شيحة أنا أدور عليهم فقال السلطان وأنا معك فقال نصر الطيار وعيسى الجاهرى وظهر
بنو اسماعيل فانتخب شيحة أربعين مقداما وأخذهم وسافر إلى السويدية والسلطان معهم
وهو يؤكد على شيحة لا بد من البحث عنهم فأخذهم مركبا وعباها بضائعا وأغلالا
وسافروا على قبرص وطلعوا على المينة ولبس شيحة فى صفة تاجر والملك جعله قبطان
ودخلوا البلد حتى وصلوا إلى دكان الحداد فسألوه على مائة مرساة فقال وكان الملعون
عنده شيء كثير فاشترى منه مائة مرساة ودفع له الثمن عشرين الف دينار وقال أريد
نقلهما إلى المينة فقال له ما عندى أحد ينقلهما فقال هذه الصناعية هم الذين ينقلونها فقال
أخاف أن يهربوا فقال أنا الضامن لهم وان هربوا اعطيك أثمانهم وإلا خذ هذا عقد
جوهر بعشرة آلاف دينار فان لم يعودوا اليك وإلا فهو قيمة ثمنهم فقسمهم وحمل كل
واحد مرساة وانزلوهم فى المراكب وثانى دور والثالث فنظر ابراهيم بن حسن فعرف
السلطان فاراد أن يتقدم اليه فتركه السلطان لعدم معرفته به فظن ابراهيم أن السلطان غضبان
عليه فبكى فقال له شيحة تستاهل يا قليل الأدب لأنك ناقص التربية فقال السلطان من
هو هذا فقال هذا ابراهيم والثانى سعد يا ملك الاسلام فقال السلطان اطلقهم بقى لأجل
خاطرى فقال فاضل لنا عشر مراسى لما يجيبوهم فقالت الرجال نحن نجيبهم وطلع منصور
العقاب وحسن النسر وتمام الاربعين وساروا إلى مخزن الحداد فنهبوه وأخذوا جميع
ما فيه من الذخائر وأتوا به إلى المركب وفردوا القماش وخرجوا من الجزيرة وطاب لهم الهواء
وكان مال الحداد شيء كثير فقسمه شيحة بين ابراهيم وسعد وابراهيم وعيسى ابنه أخذ النصف
وسعد ونصر الدين أخذ النصف وأما الفداوية أخذ كل واحد الف دينار وقام شيحة
وجاء بسمكة شواها وأطعمها لابراهيم وسعد فما دراكما كانوا فقال ابراهيم يا حاج شيحة
نعم ان الملوك تغضب على خدامها ولكن والله ما عكر مزاجى إلا ذلك الحداد فقال شيحة ها هو
معنا فاعرض عليه الاسلام اما ان يسلم والا بعته لك بيعا تاما فقال ابراهيم رضيت بذلك
ثم فيقوا الحداد وأعرضوا عليه الاسلام فابى فضربه ابراهيم بذى الحيات قسمه نصفين وراح
إلى لعنة الله تعالى ثم سافروا إلى الاسكندرية وانتقلوا من المالح إلى الحلو حتى دخلوا مصر
وطلع السلطان إلى قلعة الجبل فاطلق من فى الحبس ومنع المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ
الرعية وقلة الأذية [قال الراوى] يوم طلع الخواجة شمس الدين السحترى وقال يا ملك الدولة آن
أوان السفر وقد حضر فامر السلطان بخزنة مال فأخذ المال الخواجة ونزل بها فشهل حاله واشترى

البضائع التي تصلح للبيع بارض الشام بعد ما تم أشغاله طلع يأخذ خاطر السلطان فاعطى له ايدغمش ابن أخت السلطان عقد من الجوهر يساوي عشرة آلاف دينار وقال يا خواجة أريد منك أن تشتري لي جارية بهذا العقد وان احتجت أزيد من ذلك أدفع عني من عندك واذن أكمل لك فقال له سمعا وطاعة فقال احمد بن أيبك هات لي معك أنا أيضا جارية وعند قدومك أعطيك حقها فقال طيب وسافر الخواجة وعند فوتانه خط الجمالية عارضته حسنة الشريفة ولقبها أم العيال وهي معتادة منه بالصدقة فاعطاها خمسة دنانير فقالت ياسيدي انظر عيالي أيتام وعريانين فقال لها ان أوهبني الله السلامة فلك عندي طاقة بفتة وطاقة شاش وشقة حرير ومقطع قماش فقالت له بلغك الله السلامة وكفيت شر البؤس والندامة وتوجه الخواجة حتى وصل إلى أرض الشام وهو كل ما أرسى على بلد يبيع فيها بضائع ويشتري بضائع وكان آخر مرساته الشام فباع بها ما فضل من البضاعة المصرية وأخذ عوضها بضاعة شامية من شقق الحرير والمحازم والعبي ومن أصناف البضائع القادمة من بلاد العجم مثل كشمير ومن مريات وابندار وسيوف محلاة ومثل ذلك حتى تمم المتجر أربع خزنات كوامل كلها بضائع وأبقى جانبا للمصروف وبعد تمام ذلك افتكر العقد الذي اعطاه له ايدغمش ابن أخت السلطان فوضعه في عبه وركب على بغلته وسار يتفرج في خانات الشام وقال في الدور الثاني نشتري الجارية ان أراد الملك العلام وأخذ معه جانبا من الدراهم للصدقة على ماجرت عادته كل مرة وسار في الطريق فسمع واحدا يقول لرفيقه أنا راحت مني مائة دينار مع انه والله لو كان معي مائة ومائة ومائة دينار لكنت أدفع الجميع فقال لهم الخواجة شمس الدين في أي شيء تدفع مائة دينار فقال واحد منهم يا خواجة جارية مع سمسار وصاحبها عجمي والذي يتفرج عليها يدفع مائة دينار فقال له الخواجة شمس الدين إذا كان الذي يتفرج على هذه الجارية يدفع مائة دينار فكيف يكون ثمنها بين الجوار ومن هو السمسار الذي هي معه فاعلموه به فقال يا سمسار أنا قصدي أنظر الجارية التي عندك للبيع فقال السمسار يا خواجة هذا واحد بازرجان عجمي مجوسي ومعه جارية ولكن لها طواشيه أربعة ولها جوار نهد أبكار كانهن الأقمار شيء كثير وفراشات وطرازات ومطابخ وكرار إذا رأيت البيت يتهيأ لك ان هذا بيت وزير أو أمير أو مشير والبازرجان يقول الذي يشتري كلما في البيت وانا مالي إلا بغلتي التي اركبها فقط كما امرني صاحبها ويقول انها ماتريا مشتري زابن المشتري هذه من جملة ما معها خمسون مملوكا بخيلهم وسلاحهم فما يشتريها إلا ملك او وزير وإذا اتى واحد يتفرج يقول لا احد يتفرج

إلا إذا أعطانى مائة محبوب ذهبا وإذا كان مرادك أن تتفرج روح ياخواجة وانظر ترى العجب فقال الخواجة شمس الدين خذ هذه خمسون دينارا لك وأرنى التاجر فقال سمعا وطاعة ومشى قدامه إلى محل يجد بابا مقوسا كبيرا بمكشلين وقاعد على بابه البازرجان فتقدم اليه الخواجة شمس الدين وقال له أنا قصدى أتفرج على الجارية فقال له هات مائة دينار فدفع له مائة محبوب فصاح يا ولد فخرج له كبير الطواشية وقال نعم فقال له خذ هذا التاجر وسر قدامه خليه يتفرج على ستكم فقال سمعا وطاعة ودخل قدام الخواجة فرأى خيلا على مرابطها فى الحوش فقال هذه الخيل للملك وتوابع الجاريه ثم دخل به إلى قاعة وإذا فيها عشر جوار تسعة واقفات وواحده قاعدة بينهم فقال له هى هذه ستك يا أغا قال يا سيدى هذه وكيلة الخرج وقاعة ثانية وبها عشرة أحسن من الأول والذى بينهم كانها الهلال إذا اكتمل فقال الطواشى هذه الخادمة وهؤلاء توابعها وقاعة ثالثة بها عشرة فقال الطواشى وهذه الفراشة وتوابعها وقاعه رابعة وبها عشرة وهى الطباخة وتوابعها وقاعة خامسة وفيها عشر جوار فقال الطواشى هذه الشربدارية وتوابعها وقاعة سادسة بها عشرة فقال الطواشى هذه القهوجية والتتنجية وتوابعها وقاعة سابعة على بابها ستارة كشمير طرخان وىكانها مقصورة من مقاصير الجنان وعلى بابها أربعة طواشية وقوف فلما أقبل الخواجة قال الطواشى انى هذا يريد أن ينظر ستنا فسقف الطواشى فطلعت له بنت كانها الشمس الضاحية والسماء الصاحية فنظرت للخواجة شمس الدين وقالت أنت الذى تريد أن تنظر ستى فقال نعم فقالت له وأنا ما انستحى انك تتجاسر إلى هذا المكان وتريد يا قليل الادب ان تنظر ابنة ملوك ملوك الزمان فقال لها وأى شىء ضر إذا أنا رأيتها فقالت له والله ما انت إلا تحين الصدع ولكن اصبر وأنا أستاذن لك فى الدخول عليها حتى تنظرها فراحت الجارية وعادت وقالت له ادخل فقد أذنت ستى لك فى الدخول فسر الخواجة ملقى فى قلب تلك القاعه فراشات من القطيفه الملونه ما بين اخضر وأصفر واحمر وصينى وازرق واسود وشىء من العجائب وبابات فوق الفرش من الحرير المحلى بشرائط منسوجة من القصب المخيش بالبندق الاحمر والمخدات كذلك من القطيفه لون الفراشات وحشوهم من ريش النعام وشىء من الامتعة تحير فيه الافهام وفى وسط تلك القاعة سرير من الفضة وله قوائم من العود القمارى منقوشات بسلوك الذهب وعليه شكل من اللؤلؤ منظوم فى سلوك من الذهب وهى أعجب من كل عجب وحوله عشر بنات نهد ابكار كانهن الاقمار وقاعد على ذلك السرير جارية على راسها تاج مرصوم بفصوص الالماس وفى وسطه فص جوهر يأخذ بالبصر ونور جبينها من تحت ذلك التاج ضوى من الشمس

والقمر وهى فريدة فى الجمال عديمة المثال كاملة القد والاعتدال حوت من الغزال لفتاته ومن النمر هفواته ومن النسيم حركاته ومن البدر كماله ومن غصن البان ميله واعتداله الليل شعرها والشهد ثغرها وهى فتنة لكل من ينظرها جل من خلقها وصورها فلما نظرها الخواجة شمس الدين زادت به الفكر وقال جل الخالق الأكبر فان هذه الجارية فتنة الدنيا اللهم احمينا منها ثم انه تقدم منها وبدأها بالسلام فردت سلامه بتحية واكرام ورفعت رأسها فغاب عن الوجود وغشى عليه فلما أفاق على نفسه قال لها يا بديعة الجمال ارخ ستراً على وجهك فانه يسبى عقول الرجال فقالت له انى أراك ذو عقل وإرشاد فاخبرنى أنت من أى البلاد فقال لها أنا من مصر يا بنت الأجواد فقالت له وانت تاجر فقال نعم وشريكى مولانا السلطان الملك الظاهر فقالت وأنت تريد أن تشترينى لنفسك فقال لا يا مليكة وإنما للأمير ايدغمش بن اخت السلطان فقالت له وهو فى مصر فقال نعم فقالت هات ثمنى وأنا أبيع لك نفسى فان هذا باذنى فقال لها أما الثمن فما يقوم مقامه شيء مما عندى من الحطام وأنا عمرى ما رأيت مثلك فى مدائن ولا فى أمصار لا جوار ولا أحرار فقالت يا شيخ الذى وصاك أن تشترى الجارية ما أعطاك شيئاً فقال أعطانى عقداً من الجوهر فقالت أرنى العقد حتى أنظره فاطلع المقدم العقد وأعطاه لها فقالت له إن الجوارى الذى عندى كل جارية منهم لها عقد مثل هذا العقد أنا أقول انه عقدى وانت أخذته من بعض جوارى فلما سمع شمس الدين كلامه بهت وحار فقالت لا بأس عليك ولكن احلف لى بالله العظيم انك تشترينى لايدغمش بن أخت السلطان فحلف لها فقالت له اطلع خذ من الارض بيدك تراباً وضعه بيد البازرجان وقل له هذا ثمن الجارية وما معها وأنا اشتريتها بكذا فطلع الخواجة إلى باب البيت فرأى البازرجان قاعداً فأخذ التراب ووضعه فى يده وقال له اشتريت الجارية بكذا فقال وأنا معك البيت بما فيه ماعدا الأرض والسقف والحيطان فقال الخواجة اكتب لى بذلك حجة فكتب له حجة الجارية وما تبعها فصارت ملك الخواجة شمس الدين المصرى والبازرجان أخذ ثمن الجميع وقام البازرجان ولم يأخذ من المحل إلا بغلته التى يركبها فقط وطلع من البيت خالص بعدما دفع أجرة البيت لأصحابه ومضى إلى حال سبيله فقالت الجارية للخواجة انت متى تسافر فقال يا ستى حالتى مجهزة لكن أنا بقى مرادى أجيء بجمال لك لأجل حمل فراشاتك وأمتعتك وجوارك ففتحت صندوقاً من جنبها وأعطته خمسة اكياس فى كل كيس الف دينار وقالت له اشترى جمالاً وبغالاً ولكن حاذر على جوز بغال يحملون بختى وعكام شاطر فقال لها على الرأس والعين وفى ظرف خمسة أيام قضى الاشغال وحماها الله ذو الجلال وبرز حوله فكانت حملتها أكثر من

حموله وسافر أرضا بعد أرض حتى وصل إلى العادلية وكان دخوله وقت العصر فساق الحمل بعد أثقال الدواب وعلقوا الحملة على الجمال وأمرهم بالمسير لأجل أن يتاوى المال فى المخازن فلما وصل إلى النحاسين فالتقاه أحمد بن أيبك وكان قادما من الأمير حوش قدم فى عزومة فاقبلت المشاعل وتأمل أحمد بن أيبك وقال ياخواجة انت جبت لى جارية فقال لا فقال وهذه التى فى التخت لمن هى فقال هذه جارية عجمية للأمير ايدغمش زاخت السلطان فقال له ياخان ابن اخت السلطان تشترى له جارية وأنا ما إنا ابن الملك ايبك التركمانى ثم انه ساق الحملة بما فيها حملة الخواجة والجارية وتبعها وكان قد نظرها فى تخيلها فتولع بحبها فلما ساق الحمل دخل الخواجة فى المندرة حبسه وأمر بالجارية دخلت عند أمه فانبهرت أمه منها وقالت سبحان من خلقها [قال الراوى] وكانت حسنة الشريفة التى كان وعدها الخواجة عند عودته أن يكسيها ويعطيها الاحسان تنظره وهو فايت عليها من الجمالية فلما طلع النهار سارت إلى بيته تطلب ما وعدها به فلم تجده فسألت عنه فلم يعلمها أحد بقدومه فقالت جاز على فى هذه الليلة من الجمالية وها أنا أتيت اطلب منه ما وعدنى به فطلبتها حريم الخواجه وسألتها فأعلمتها فنزلت وركبت على حمار مكارى وسارت الى القلعة ودخلت على الملكة تاج بخت وأعلمتها بالذى سمعته عن الخواجة الاعاريحار إلى الملك فقدم له البابوج إشارة إلى انه مطلوب للحريم فقام الملك وطلع فتقدمت زوجة الخواجة وقبلت الايادى وقالت له خادمك شمس الدين السحرتى فات ليلا بحموله ومتاجره من الجمالية وعدم قبل وصوله للنحاسين كان بلعته الأرض ولا أحد يعرف له مكانا وهو خادمك وها أنا جئت أعلمتك وأنت صاحب المال وملك الرجال فنادى الملك إلى الديوان وقال يا امراء الخواجة شمس الدين السحرتى دخل مصر العشاء بعد أن تقدم الجمال فسرق فى مصر هو ومن معه من الاحمال فقال ابراهيم يامولانا بلعته الارض وما هو حرامى فنقول إن له عدوا يقتله وهذا فى مصر كان الاولى فى الجبال فقال السلطان وانت يا ابراهيم صنعتك ايه ما انت صيرفى هذا الديوان هات الخواجة والا انت معزول من الصيرفية :

يا صيرفى عمرك ذهب وانصرف أنفقت ما فى الجيب ولا شىء حصل
أصبحت فى مستقبح المعصية تمرح لرد الجيد وقبض الزغل
قم حرر الباقى وتب واعتبر من نصبة الميزان وقبح العمل
ومن يكن فى صنعته صيرفى ينظر بعين الحق فى معقده
يعلم بأن الله حاكم بصير ايش دا ورد يوم الحساب ينقده

يا سادة ثم قال السلطان انزل هات شمس الدين حالا فقال إبراهيم على راسى فنأ...

فى الديوان التى الخواجة فى عين أحد ابيك فقال إبراهيم اتصى جرته فنزل لبيت احمد أبيك وفتحه وقال للحريم كذا يفعل ولدك قالت هو ولدى بماعون الحمل وابنك بالموت وافعل ما أنت أهله فدخل على الخواجة شمس الدين وقال ياخواجة احمد جاهل وحصل منه ذلك أى ذنب جرى بينك وبينه فحكى له على الجارية فأمر ابراهيم بانزالها وركوبها فى تختها وقال ياخواجة سامح احمد من أجل خاطرى أنا وإذا سألك السلطان قل له انا كنت فى عزومة عند بعض الخواجات ولا تعكر مزاج السلطان على احمد ولا توقع فتنة فقال على الرأس والعين ثم انه سار إلى بيت الأمير ايدغمش وادخل الجارية بما يتبعها وأما متاجره فأدخلها فى مخازنه وما يليق للبيت ادخله إلى بيته وطلع إلى السلطان وقبل يده وسلم عليه فقال السلطان اين كنت البارحة ياخواجة فقال يامولانا كنت معزوما عند بعض أصحابى فصدقه السلطان فقال الأمير ايدغمش اين الجارية يا خواجة التى طلبتها منك فقال له أنت أعطيتنى عقداً يساوى الفين دينارا اعلم انى أرسلت اليك مالكة لها سبعون جارية وخمسون مملوك بخيلهم وسلاحهم وكرار ومطابخ وحملة وزراجرة حملها من الشام إلى هنا الفين دينار ولكن والله ياسيدى غير العقد الذى أخذته منك مادفعت إلا مائة دينار على قبول الفرجة لأن كل من رام أن يتفرج عليها يدفع مائة دينار ثم حكى حكاية الجارية من الاول إلى الآخر فتعجب السلطان غاية العجب وقال لابد أن يكون لهذه الجارية سبب قم ياأمير أيدغمش انظرها فقام ايدغمش فرحانا ووصل إلى بيته ورأى ذلك الملك العظيم فدخل على الجارية فوجدها كما قيل

هيفاء لو خطرت فى جفن ذو رمد ... لم يستحس له من مشيها ألم
خفيفة الظل لو ماست بقامتها ... رقصا على الماء لم يبلل لها قدما

[قال الراوى] فتقدم باسها فباسته الاخرى وبكت فلم يلتفت لبكاها ونزل فرحانا فقبل يد السلطان وقال أمان ياملك فى هذه الليلة تكون الدخلة فقال السلطان له اعمل لك فرحا استاذن يعنى ماهو عايز فرح فشخط فيه السلطان وقال له لا تدخل عليها الليلة إلا ان كان عندى فى سرايتى فقال وهو كذلك ثم انزل وامرها أن تروح بخدمها ومن يتبعها إلى سراية السلطان فسارت وأخلت المالكة سرايتها برسمها وأوقدت فيها الشموع ومنع السلطان الامراء وبنى اسماعيل من الرواح فى تلك الليلة وأمر بسماط تماظ جميع الخاص والعام وحضرت فى تلك الليلة علماء الاسلام وعتق الجارية الامير ايدغمش بأمر السلطان وعقد له عقدها شيخ الاسلام وتوكل الملك واقبض المهر وأدخلوها الحمام واجلت للدخلة ولا بقى كلام الى ساعة الحلوة طلع الامير أيدغمش بن المالكة ورد قاز وأبوه اقتن عبد الله صاحب المدينة

البيضاء فقال لهم نعم فقالت حيث أنك ابن اخت السلطان اماتعلم ان عادات الملوك اذا تزوج أحدهم عروسة جديدة تتمنى عليه قبل ان يتصل بها فقال لها تمنى فقالت له آتمنى على الله وعليك ان ترنى الملك الظاهر قبل ان تدخل علي ينظرنى وانظره فقال لها وهو كذلك فانه خالى ولم يخيب آمالى ثم انه طلع من عندها ودخل على السلطان وقبل الارض فقال الملك ما الخبر فقال ايدغمش بامالك ان الجارية تمنت على ان تنظر مولانا السلطان وينظرها قبل دخولى عليها فقال السلطان ولاى شيء ذلك فقال المقدم ابراهيم يادولتلى هذه صورتها ماهي صورة جارية والله تعالى ماخلق فى الدنيا أحسن من جبر الخواطر وأنت مسئول عن رعيتك وهذه البنت صارت فى حوزك وتحت سوابغ نعمك فقام السلطان ودخل سراية العروسة فتقدمت له وقبلت يده وبكت وقالت له ياخال يجوز عندك ان تزوجنى لاخى وهذا حرام فى دين لاسلام فقال لها من أنت فقالت له أنا اسمى صفاء الود وأمى اسمها الملكة وردقان بنت القان شاه جك فقال أيدغمش وانا ابن الملكة وردقان فأنت حقيقة أختى

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك ان الست ايق أم الملك الظاهر بعدما خلفت الملك الظاهر وكان اسمه محمود وخلفت بعده بنتا اسمها وردقان فلما كبرت كان قريب من خوارزم مدينة اسمها المدينة البيضاء وبها ملك اسمه القان عبد الله خطب وردقان من أبيها وتزوج بها فخلفت منه ايدغدى وايدغمش وكانت الملكة ايق معها طقطمر خلفته بعد وردقان وكبر ونشا ولما كبروا أولاد وردقان صاروا يلوفون على خالهم اكثر من أبيهم فطلب طقطمر ان يروح الى مصر عند أخيه الملك الظاهر فتعلق به أولاد اخته أيدغدى وايدغمش وساروا معه وبقيت أمهم حزينة على فراقهم مدة أيام ووضعت هذه البنت وسمتها صفاء الود لكونه مابقى لها غيرها من الاولاد فلما كبرت طلبت من أبيها ان يجعل لها سراية وحدها فبنى لها سراية وحدها وصار كلما يلتقى جارية جميلة يرسلها عندها حتى بقى عندها سبعون بنتا نهدا ابكارا كأنهن الاقمار فرتبتهم لخدمتها بمعرفتها وصار يودها فجعل فى حوش سرايتها خمسين غلاما مماليك صغار وجعل لهم خيولا صنداوى من أفخر خيول العجم بأسلحة مثمنة وعدد مزينة وصار يتفرج عليهم وكلما ادخر شيئا يضعه فى سرايتها [قال الراوى] واتفق ان فى بلاد العجم ملك يقال له عبدنار وهو ملك جبار فى قلعة اسمها مدينة الملك فماتت زوجته فغسلوها وكفنوها وحملوها نربية من نار وحرقوها وأقام بعدها اياما فقال الوزير ياقان الزمان ان ملوك العجم يقولون عنك إنك تطلب المماليك الحسان بعد انفضاض الديوان تعلمهم مرزبان فقال لا وحق النار فقال له الوزير تزوج ياقان الزمان فان الزواج راحة الابدان فقال

أين التي تصلح للزواج حتى أخطبها وأقضي الفريضة فقال الوزير أخطب بنت القان عبد الله صاحب المدينة البيضاء فقال صدقت وان لم يرسلها إلى مكرمة سبيتها سبي الامة بعد ما أخرب بلاده وأهلك عساكره واجناده فكتب الى القان عبد الله يطلب منه بنته صفاء الود فأرسل يقول له نحن إسلام وأنتم كفرة ولا يجوز ذلك فاغتاظ الملعون عبدنار وركب على المدينة البيضاء فخرج له القان عبد الله وتقاتل معه فاستشهد القان عبد الله على يد ذلك الملعون فلما علمت الملكة وردقان بموت زوجها لبست ملابس الرجال وقالت ان الجهاد حلال ونزلت إلى الميدان ثم قاتلت الملعون عبدنار فضربته بالحسام فقطعت يمينه فعاد من قدامها مهزوما وكان له عبد اسمه المقدم سعيد الهايش لما رأى انهزام القان ثبت العساكر للقتال وحمى الميدان فبرزت الملكة وردقان وقاتلته إلى آخر النهار فجرحتها جرحين بالغين أشرفت منهم على الموت وعادت من قدامه في أشد الكروب فلما وصلت إلى فراشها انضجعت فماتت في ليلتها وعند الصباح نزل الملعون سعيد الهايش وطلب الحرب فلم يقدر أحد يبارزه فكبس على العسكر وضرب فيهم ضربا شديدا فذاقوا منه الموت الاحمر فتشتتوا في البر الاقفر واحتوى سعيد الهايش على جميع المدينة وما فيها وبالجملة قصد صفاء الود فلما دارت يده عليها قالت له يا ملعون أنت قتلت والدتي وأكمدتني بحسرتها فما الذي تريد أن تفعل ان كان قصدك المال فها هو بين يديك واجعلني محترقة حتى أدخل عند أحد من أهل الايمان ولا أقيم عند عباد النيران فقال لها أنت بنت القان عبد الله فقالت له نعم وسيدك قتل والدي وأنت قتلت والدتي فاستحى عبد نار وخجل كونه بارز حرمة وقتلها لان هذه من عدم المروءة فقال لها وحق النار ذات الشرار لم يقبض مني من مالك ولا من جوارك ولا من كل سرايتك شيء ولا ابيعك إلا في بلاد الاسلام وتحتك على حرام ثم انه أحضر بازرجان مؤمن وقال له خذ هذه الجارية بما معها من الجوار والمالك والطواشية وكل ما يحتويه قصرها وسافر بها الى بلاد العرب وبعها عندهم ودعها تقبض ثمنها بيدها ولا تأخذه منها ولا تبيعها الا للذي ترضى به أن يشتريها وأنت خذ هذه الف دينار لجيبك اجرك بشرط لا تقبلك منها لا فضة ولا ذهب ولا تبيعها إلا في بلا العرب وان خالفت فلابد من هلاكك والاف مهجتك وخراب ديارك وسلب نعمتك وكان قصد عبد نار بذلك أن يغربها في بلاد العرب بما لها وما معها لاجل أن لا يعلم بها أحد وأما قصد سعيد الهايش اكرامها حتى يبرأ من قتل أمها وذلك إنعام من الله عز وجل حتى تنفذ بمالها وتجتمع باخواتها وخالها وكان الامر كذلك وجاءت إلى بلاد الشام واشتراها شمس الدين

السحرة وجرى ما سمعتموه بإكرام [ولما] سمع السلطان بذلك الخبر تعجب من هذا السبب وقال لها هذه السراية التي أنت فيها نهبي برسمك حتى تتزوجي بمن يكون فيه قسمتك وشاع الخبر بأن هذه الجارية بنت أخت السلطان وسمع أحمد بن ايبك التركمان فقال المقدم إبراهيم أتاني عرضك يا أبو خليل أتزوج بها ولك حق مساعدتك خمسة آلاف دينار فقال له لا تطلب زواجها الا مني ولما كان ثاني الايام قال المقدم ابراهيم يا أمير أحمد قم أخطب وباقي الكلام على فتقدم أحمد بن أيبك ووقف قدام السلطان وقال يامالك الاسلام أدام الله عليك جزيل الانعام وخلد الله دولتك طول الايام وأمدك الله بالعمر الطويل كأمد نوحا بعمر قال فيه شفا ثم وضع يده على صدره وقال العبد أتى خاطبا وراغبا في الست المصونة والدرة المكنونة صفاء الود يكن بجناب مولانا السلطان فان ساعدني الزمان وقال مولانا وجب فأنا ضامن للمهر كلما طلب فسكت السلطان ولم رد على أحمد جواب فقال المقدم إبراهيم مرحبا بك ياأمير أحمد نعم من خطب وكما رغبت فنحن فيك أرغب فقال السلطان يامقدم ابراهيم هي بنتك وإلا أنت فضولي حتى تتعرض فيما ليس لك فيه شيء هذه بنت أختي وأنا صاحب أمرها وأنت أي شيء قدمك فقال المقدم إبراهيم صدقت يامالك الدولة وإنما على ما تعلم أن أحمد بدايتي ومشدودي ويجب على العم أن يساعد بدايته فقال السلطان ان كنت وكيله تقدم قدامي واخطب بطريق التوكيل فقال ابراهيم أنا وكيله واطلب مني ما تشاء وأنا وحياة رأسك يامالك الاسلام عندي في حوران أربع مطامر ملآنين من الذهب فاطلب مهرها بقدر ما تريد وأنا أورد لك اوفى مزيد فقال السلطان هذا أصله مخروع في مدتي ولو غضبت عليك ونهبته فما أحد يمنعني ولكن أنا غني عنه وإنما انا قصدي الذي يتزوج هذه البنت يأتيني براس عبد نار صاحب قلعة الملك قطعت يده أمها ويأتيني بذلك العبد الذي اسمه سعيد الهايش حتى اسلخ جلده والعن أباه وجده ويفتح قلعة الملك فقال المقدم إبراهيم هذا واجب علينا حقا وصدقا انزل بنا ياأميرا حمد فنزل المقدم ابراهيم وأخذ أحمد ومعه الف مملوك والف من عساكر أبيه ايبك التركمان والمقدم إبراهيم أخذ معه سعدا وعيسى ونصر الدين والف حوراني والف يماني وطلبوا السفر الى بلاد العجم وبعد سفرهم أمر السلطان بتبريز العرضي الى العادلية وسافر طالبا بلاد العجم ومدينة الملك على اثر المقدم ابراهيم واما ابراهيم فانه سار الى قلعة حوران فارتاح فيها يومين وحكى لابيه المقدم حسن الحوراني فقال المقدم حسن وانا اروح معك بألف حوراني والمقدم دبل بألف يماني وساروا مدة ايام حتى وصلوا الى قلعة الملك فضربت المدافع

ويمنعوهم عن القامة وثانى الايام نزل المقدم سعيد الهايش وطلب الميدان فنزل المقدم إبراهيم وتقاتل هو وإياه طول النهار وانفصلوا فقال إبراهيم لابيه والله يا أبي إن ذلك الكافر قوى الاوصال خبير بمواضع الحرب والقتال وكان سحارا لانه متى بان لى فيه مقتل وأريد طعنه اوضربه فما يطاوعنى قلبي على قتله ولا لى اليه وصول وما أعلم أى شىء سبب ذلك ولكن النصر من عند الله ثم بات ثانى يوم تحارب إبراهيم وسعيد الهايش وهكذا سبعة أيام وفى اليوم الثامن أشرف ركب السلطان ومعه عساكر الاسلام ومفرود على رأسه بيرق المظال بالغمام وانتصب العرضى فنظر المقدم سعيد إلى عرضى السلطان وزاد غيظه على المقدم ابراهيم ومال عليه بكليته وأراد أن يعجز امره ويعدمه ومهجته فرآه حجرا مائلا وجبلا صامخا وكلما قاربه شمخ وعلا فتاخر عنه إلى بعيد وحذفه بحربة ماضية وقعت فى كتفه جرحته جرحا بالغا فأراد أن يضربه بمثلها نزاع المقدم إبراهيم فنظر المقدم إبراهيم فما هان عليه فاراد أن يخرج اليه فسبقه المقدم حسن الحورانى ولطم المقدم سعيد الهايش وكان تعبانا من حرب المقدم إبراهيم فزاده تعبا على تعبه وضايقه ولاصقه وسدعليه طرقه وطرايقه ومدله زندا ملآن تقوى وايمان وقبض على خناقه وقرط على أزياقه وهزه فقلعه من سرجه ورجله الى الأرض وهو قابض على خناقه حتى أرقفه قدام السلطان فقال السلطان هذا الذى قتل أخى كاس فرموه فى نطعة الدم وانتدب المقدم سعد على رأسه وطلب الاذن من السلطان فقال الملك اقطع رأسه وإذا بجارية سوداء أقبلت ووقفت على باب صيوان السلطان وقالت مظلومة ياملك الاسلام فقال الملك هاتوا الجارية فشدها حسن الحورانى وقدمها إلى السلطان فقال السلطان من الذى ظلمك قالت ظلمنى المقدم حسن الحورانى هذا لأنى كنت جارية عنده فاتصل بى نحملت منه فباعنى بحملى وهذا ابنه فوضعته فى بلاد العجم وربيته حتى بلغ مبلغ الرجال وبعده أخذه ليقتله عمدا ويحرمنى من ولدى ويحرق عليه كبدى

فقال الملك وأين هو ابنك الذى يريد قتله حسن الحورانى فقالت سعيد الهايش هذا فقال حسن الحورانى من أنت فقالت أنا سعدة الجارية فقال المقدم حسن يامولانا بقيت اخبرك على تلك العبارة [قال الراوى] ان المقدم حسن الحورانى لما تزوج هو والمقدم دبل اخوات المقدم معروف نحملت زوجة المقدم دبل وزجة المقدم حسن لم تحمل فاغتاظت وقالت يا خوند اظن أنك انت بيضك رائق ولكن خذ جاريتى سعدة فانى أوهبتها لك فواصلها فاذا حملت يكون العيب منى أنا فى عدم الحمل

فأخذها وجامعها فغارت زوجته وأتت اليه وأخذته إلى عندها وكمل ليلته معها فبالأمر المقدر حملوا الاثنين فقالت له بع هذه الجارية ولا تخليها عندى فانى لا أقدر أن انظرها فأعطاها الى تاجر عجمى فباعها فى بلاد العجم ووضعت ذلك الغلام هناك وربته فى مدينة الفلك وكانت أم عبد نار وهذا رضعت فسلمته إلى الجارية مع ولدها فأرضعته وطلع الاثنان وكبرا فمات أبو عبد نار وتولى عبد نار على تخت قلعة الملك وتداولت الأيام حتى جرى ماجرى وأسره حسن الحورانى وما كان حسن الحورانى أفرس من ولده وإنما شهامة الوالد ترخى أعضاء الولد وبسبب هذا أسره لكونه أبوه فحكت الحكاية وسمعها المقدم سعيد العايش فقال يا أمى ومن حيث أنى أنا مؤمن لأي شىء ما أعلمتينى حتى كنت اجىء من هذه البلاد وأقيم عند أبى وأخى فقالت ياولدى كان الذى كان وآن الاوان فتقدم حسن الحورانى وقبل أيادى السلطان فأمره باطلاق ابنه وأعرض عليه الاسلام فأسلم وفرح به السلطان لأنه يزيد فى الفروسية عن أخيه فقال له الملك إتمنى فقال أتمنى أن تأمرنى أنزل إلى الميدان أفتح هذه البلاد وأقتل الملعون عبدنار وبعده أكون خادمك مع أخى المقدم إبراهيم فأنعم عليه السلطان بما طلب وثانى الايام نزل عبد نار الى الميدان وطلب الحرب والطعان فنزل له المقدم سعيد العايش وقال له ياقان عبد نار أدخل فى دين الاسلام واعبد الملك العلام فسبه وشتمه فالتقى معه المقدم سعيد وحمل عليه حملة جبار عنيد وضايقه ولاصقه وضربه بالسيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه ومال على عسكره بالحسام وتبعته عصبة الاسلام وغنا الحسام حتى أظلم الظلام وخفيت مواضع الاقدام وانفصلوا عن ضرب الحسام وعاد الملك إلى الخيام وإذا بتذكرة نزلت قدامه فاخذها السلطان وإذا فيها من المقدم جمال الدين شيحة باب البلد مفتوح والمدافع طلت والعفر ذبحوا أوكب وادخل البلد واترك التطبيل فقال الملك الخيل يا أربابها فارتفعت على تلك السروج ركابها فكبس الملك البلد فلم يفيقوا العجم إلا والسلطان فى قلب السراية فطلبوا الامان فقال السلطان لا أمان إلا لمن يسلم فمن أسلم سلم ومن لم يسلم عدم ولا طلع النهار على السلطان الا والبلد فى يده فنصب كلما بها من الامراز وأجلس بها نائبا من تحت يده من أهلها اسمه عبد الله وطلب السلطان الرحيل الى مصر وامتد الموكب الى قلعة الجبل فاطلق من فى الحبوس وأبطل المظالم والمكوس ونادى بحفظ الرعية وقلة الاذية وبعد ما استقر به القرار تقدم الامير أحمد بن ايبك وطلب الملكة صفاء الود وأنعم له السلطان بما طلب وقام الملك على قدر مقامه وعمل فرحا ثلاثين يوما وليلة قبة الوقاف دخل عليها فوجدها درة لم تثقب ومطية لم يركبها

لم تركب تملاًمنها بالحسن والجمال وثانى الايام عمل ولائم الصباحية وأقام معها وهو في خدمة السلطان [قال الراوى] ولما مضت السنة وهل شهر رمضان فرق السلطان القفاطين لنواب البلاد والذين يستحقون التبديل أبدله والذين يستحقون العزل أعزله وأرباب الديوان على حالهم بما لهم من الالتزامات وآخر النهار نزل كل أمير قاصدا بيته فكان الامير محمد فارس قطاية بعد مالبس قفطانه ونزل الديوان قاصدا بيته ففات على بيت الامير حسين وارتبك من الزحمة فنمل عليه ماء فرفع رأسه إلى محل مانزل منه الماء فرأى بنتا ذات حسن وجمال وقد وبهاء ودلال فلما نظرها نظرة اعقبته الف حسرة فوصل الى بيته وهو على غير الاستوى وتمكنت منه الصبابة والهوى وكانت له داية ربته من صغره فاحضرها الى عنده وقال لها يا أمى أنا بليت بشىء لا أقدر أصبر عليه فقالت له ماهو ياولدى فخبرها بمارأى فقالت له ياولدى وهذا الوقت ماالذى تريد فقال لها تروحى الى بيت الامير حسين وتسألى عن هذه البنت ان كانت خالية من الزواج فانا أخطبها بس انت اعرفى لى هى بنت الامير أم ضيفة عندهم وان كان عندها مثل ماعندى فقالت سمعا وطاعة ونزلت العجوز وسارت الى بيت الامير حسين وهى كانها زائرة فرأت فى البيت ناس داخلين حريمات فسألت عن الخبر فاعلموها أن الست حسنة بنت الامير عيانة فقالت أنا اعرف العيلوا سعى فى مصالح الطب والحكمة لان أبى كان اصله حكيما وعلمنى اداوى كل مريض وسقيم فقالت ادخلى يا ستاه لعل الشفاء يكون على يدك فانى اراك اهل معرفة فدخلت على الست حسنة وصارت تقلب يديها ورأسها وتقرأ الفواتح والمعوذتين والصمدية تارة على رأسها وتارة على صدرها حتى ملكت فرصة منها واستغفلت القاعدين ووضعت فمها على اذنها وقالت لها انا مرسولة اليك من عند الامير محمد ومرادى اختلى معك وأقصها عليك فاجعلى نفسك انك شفيتى على يدى وانا اكون الواسطة بينك وبينه ففتحت عيناها وقالت لها يا أمى أنا رأيت الراحة على يد هذه الست فلا تفارقنى حتى اطيب فقالت لها الست سمعا وطاعة واقامت عندها الى آخر النهار وهى تتقلا على الرجوع حتى اطمانت عليها امها وتركت العجوز عندها وراحت الى قضاء شغلها فلما خلا المكان قالت حسنى يا اماه فى عرضك سلى لى عليه واخبريه بما انا فيه فقالت لها لا تخافى وانا رائحة الى عنده وراجعة لك اول النهار وخرجت الداية وسارت الى بيت الامير محمد واعلمته بما رأت وعاينت وسمعت فبرد قلبه وبات واصبح طلع الديوان وطلب ان يخطبها فقال كاتخدان العاور وكان اميرا من جملة الامراء والله ان الزواج ما فيه الا التعب فقال الامير حسين

يا امير كلخان انت مرقدك مرقد الكلاب فاغتاظ منه وقال اما تستحي ان تخاطبني بهذا الخطاب فقال له بما انك عازب لان الزواج يا امير كلخان ثلثي الدين فقال له صدقت ولكن انا سمعت كلامك فزوجني بنتك فقال مرحبا بك اخطب فقال له جئتك خاطبا فقال له السلطان اكتب له يا قاضي فقام القاضي يحي الشماع يكتب الكتاب بحضرة السلطان فصاح الامير آه ياقلبي وغشي عليه فقال الملك انظروه فقال ابراهيم يادولتلي هذا ضعيف فقال السلطان روحوا به إلى بيته فلما راحوا به إلى بيته لزم الفراش وزادت به الامراض فجاءت العجوز وقالت له اخبرني بحالك فقال لها هذا حالي يا امي روحي فاكشفي لي عن الخبر من قبل ان اموت واقبر فراحت العجوز الى بيت الامير حسين [قال الراوي] واما الامير كلخان فانه ارسل النشان مع الطواشي من اغوات حرم السلطان ولما دخل النشان إلى بيت الامير حسين وعلمت حسنى ان هذا نشان اتى لها من الامير كلخان غشي عليها ولزمت البكا والتعداد وفي ثاني الايام جاءت لها العجوز ورأت حالها فاعلمتها بما جرى على قلب الامير من اجلها وقالت لها لا تخافي فاذا تكاملت المواعيد وليلة الزفاف انا البسه حرمة واقعده معك في العراية ويكون معك صباحا ومساء ولا تخشي من بؤس وامي فاطمأنت لكلامها ودام الامر كذلك حتى اتم الفرح الى ليلة الدخلة فاتت العجوز الى الامير محمد والبسته لباس حريم وادخلته الى مكان الخلوة وطلعت تجد الامير كلخان طالعا . فلما علت بطلوعه فتحت باب السر وانزلته على البستان فلما نزل ترك بابوجه في الدرقاعة ونزل لابس الشراب والخف فقط فلما دخل الامير كلخان يجد بابوجين في الدرقاعة فقال يا بنت اين صاحب هذا البابوج فقالت ما له صاحب الا انا فقال والبابوج الثاني فقالت لي فقال البسيه فلبسته حتى انظره فلبسته فوجد واحدة قدها والثاني كبيرا عليها فاخذه ولفه في منديل ودخل مخدعا بات فيه وتركها ولم يقتنصها ولا دخل بها وطلب جارية من جوارها وكان اسمها فتنة وهددها بالكلام وسحب عليها الحسام فقالت ان ستي تحب محمد فارس من زمان وكان عندها وانزلته من البستان فكتم حاله ونزل الى الامير حسين وقال له خذ بنتك ودفع له مؤخر صداقها فاغتاظ الامير وارسل اخذ بنته وكشف عليها فوجدها بكرا على حالها فعاد اليه وقال له لم تعجبك بنتي انا ما قلت لك انك لم تعرف شيئا في الحريم فقال ما اعجبتني وبات واصبح طالع الى الديوان فقال الملك نهار مبارك فقال طلقتها يا بعض شاه فقال له الملك لماذا يا امير طلخان هذا حرام عليك يا طلخان ودخلت البارح وطلقتها اليوم فقال يا بعض شاه عدم الزواج احسن كيف اتزوج بنت بكر وليلة دخلتي عليها قبلي

ما ابتكرها الا انى عندها الامير محمد فارس قطايا وان كنت ماتصدقنى يا ملك هذا بابوجه فى منديل وأخرج المنديل فنظر الامراء البابوج وقالوا نعم هذا بابوج محمد فارس صحيح فقال الملك هذا ضعيف اقول يا مقدم ابراهيم هاته فنزل المقدم ابراهيم واخذ معه الامير قلاوون واخذوا معهم ابو البخت الأمير حسين فلم يجدوا محمد فارس لا فى بيته ولا فى محلات أحد فعادوا وأعلموا السلطان فقال السلطان يا امراء اعلموا أن الأمير محمد فارس الدين قطايه معزول من ديوانى ومقطوع ديوانه وكل من رآه يقبض عليه ويأتى به إلى عندى حتى اقابله بما يستحقه | قال الراوى ا وبات الملك وأصبح سمع الصراخ فى السراية فسأل عن الخبر فقال الجوار محمد السعيد صبحنا نجده جثة بلا رأس فقام الملك وسار الى محل مبيت ابنه فرأى جثته والرأس عدمت وتذكرة مكتوبة ما فعل ذلك الا محمد فارس الدين وشاع الخبر وطلع المقدم ابراهيم بامر السلطان ونظر الجثة فقال يا ملك الاسلام لا تخف فان هذه ما هى جثة السعيد وانما هى جثه كافر نصرانى والأمير محمد فارس الدين لم يفعل هذه الفعال وسوف يظهر لك الحق من المحال فقال السلطان يارجل أنت كذاب محمد فارس قتل ولدى وكل ما رآه يقبض عليه ونادى فى مصر كل من خباه يصلبه على بيته وارسل كتابا الى جميع البلاد بهذا الخبر (يا ساده) فعلم الأمير محمد فارس انه مغضوب عليه ومطلوب للقتل وسمع ايضا بخبر السعيد فدخل بيته واخذ جانبا من المال وخرج وسار الى الخانكة فسمع أن الطلب عليه فأخفى نفسه وسار الى بلد غيرها وصار كلما عبر على بلد يسمع الاخبار بالتفتيش عليه فيخفى نفسه ومادام كذلك حتى وصل الى السويدية فدخل خانا وهو مدارى نفسه بصفة عجمى فقير وصار يتنشق الاخبار وقلبه خائف محتار لان طعم الموت مر ما يرضاه عبد ولا حر فاجتمع على رجل قبطان رومى فقال أنت قاصد أى البلاد فقال أنا بطال ولا لى شغل فى بلادى وانما قصدى محلا اعيش فيه فى باب التجارة فقال له القبطان أنت معك مال للتجارة قال نعم فقال انزل معى الى بلاد الروم اشترى منها اقمشة وجوخا وحريرا وبع فى بلاد العرب وخذ من هناك دمياطى من دمياط وثمرا من بلاد الصعيد يكسب الطاق ثلاثة فنزل معه فى الغليون واذا بجوان والبرتقش الخوان نزلا ومعهما صندوق ففتحا الصندوق وأطلعا منه الملك محمد السعيد فلما نظره محمد فارس قال له يا ملك السعيد أنا طفشت من مصر بسببك فان السلطان اطلع فى حقى دور عمومى كل من رآنى يمسكنى وها أنا طفشت وتركتنى بيتى وعزلنى أبوك من الديوان بالظلم والعدوان وان هذا استحق انا من ابيك لاجرم ان الله يعاقبه فيك فقال جوان انت عزلك زين المسلمين ولو وقعت فى يده لقتلك

ولا يعلم ان كنت ظالما أو مظلوما هذا جزاء ما نزل قدامه فى الحرب وتقول الله أكبر
وتقتل فى النصارى ولو تطاوع جوان كنت أجعلك ملكا أحسن منه وأملكك بلاد، اذا
طاوعتنى وان كنت ما تطاوع جوان تبقى بين طريقين اما ان النصارى يأخذونك أسيرا
والا اذا رجعت المسلمين قتلك بيبرس فقال محمد فارس أطاوعك يا جوان فقال له اذا
طاوعتنى وقبلت كلامى قم واضرب السعيد فقال له وأى شىء ينفع ضرب السعيد لانه
ما عمل معى شيئا فقال جوان لاجل أنى أعرف أنك ما بقيت تخاف من أبيه وبقيت من حزب
جوان فقام محمد فارس وضرب السعيد وذلك من خوفه لانه يعلم ان جوان فى بلاد النصارى
مسموع الكلمة فطاوعه وضرب السعيد ولكن متأسف فى الباطن وفرحان فى الظاهر وسافروا
حتى وصلوا الى الجزيرة الصما والعقبة السودا وكان بها كاهنة ساحرة اسمها الكاهنة
الزرقة فطلع جوان الى تلك الكاهنة وقال لها يا كاهنة أنت صاحبة مملكة على قدر كذا ولم
تكفيك تلك غزوة فى دين المسيح فقالت له ما عندى من يفتح لى باب الحرب للمسلمين
وانت لو تفتح لى باب الحرب كنت أحاربهم فقال جوان اعلمى ان معى غلاما ابن دين
المسلمين وهو اكبر أولاده خذيه واقتليه فاذا عرف أبوك قتلت ابنه فلا بد ان يأتى اليك ويحاربك
وجوان يساعدك حتى تملكى بلاده ثم انه اعلمها بالامير محمد فارس الدين انه يكون معها وقال
لها يا كاهنة اذا أخذت بلاد المسلمين من تحت يدك اجعله نائبا عليها فقالت له وهو كذلك
ففرح محمد فارس بذلك الكلام واعتمد على تلك الكافرة أنها تجعله ملكا على بلاد الاسلام واما
السعيد فانه قدمته الى بين يديها وأمرت محمد فارس ان يضرب رقبته فعند ذلك احتار
محمد فارس وعلم انه ان تأخر تقتله الكاهنة فجذب سيفه وقال للسعيد اين أبوك والله
ياسعيد لو تسمع الكاهنة منى ما تقطع الا رأس أبيك قبلك حتى تعلم ملوك الروم أنهم
عجزوا عنكم وهى التى أهلكتكم فقالت الكاهنة صدقت ولا اقتله الا مع ابيه وأمرت
بحبسه فقال للسعيد الحبس ولا القتل واما الكاهنة فانها أحضرت عونا من عوانها وكتبت
ورقة وقالت له خذ هذه الورقة وروح الى ملك مصر واعطيها له فى يده وعندما يأخذها
منك أخذته من على كرسيه وهاته الى عندى فطلع العون وجاء الى قاعة السلطان وقدم
له الورقة وهو فى صفة بنى آدم فأخذها الملك بيده فخطفه العون من وسط الديوان وعلا
به الى الجو فاراد السلطان ان يقرأ ما فيها لما اذا قرأت تقل لى ان ... قد علمك فان
وقعت ما تلحق الارض الا رأسك تقطع

فقال له من أنت وما تريد منى فقال له أنا من الكاهنة الزرقة صاحبة العقبة السودة
وجزيرة الصخر ابنك عندها محبوس وقد ارسلتنى أحضرك لها حتى تقتلك أنت وابنك

لأنه قال لها لم تقدرى على قتلى من أجل أبى فأمرتنى ان أحضرك الى عندها فقال الملك وابنى عندها طيب قال نعم ففرح السلطان بخبر ابنه وسكت حتى وصل عند العجوزة الساحرة فلما راته قالت له انت بيبرس رين المسلمين قال لها نعم ياملعونة انا رين المسلمين صاحب السيوف والمزارق احارب بهم الكفار واستعين بقدرة الملك الجبار ولا أعلم علم القلم ولا أسحار والله تعالى وعدنى النصر على الكافرين لقوله تعالى فى كتابه المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فقالت له انا كنت اعلم ان فى الدنيا غير ملة المسيح ومن حيث أنك نيك شهامة على قدر كذا مابقى لك الا الموت فقال جوان والعتاب منفعته لاى شىء اقتليه أحسن من حياته فقال الملك يا لمعون عمال تغريها على قتلى وأنا ورائى ابنى احمد سلامش وعسكر الاسلام فقال جوان فى ساعة واحدة تمتترهم الكاهنة فقالت الكاهنة أنت يارين المسلمين تيظن فى بالك انه بقى لك خلاص او تعود الى بلادك وتقعد بين دولتك وانما أهم رجالك قادمون وأنا أملى منكم السجن وأقتلكم فى يوم واحد جميعا فقال السلطان ان رحمة الله قريب من المحسنين فوضعته فى الحبس هذا ما جرى هنا |قال الراوى| كان نفر يقال له حسن الشمشاطى من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص مقيما الى ذلك اليوم الذى دخل اليه جوان فى العقبة السودة ومعه السعيد وجرى ماجرى من محمد فارس الدين فمادس ذلك المكان للمقدم وأعلمه بماجرى وكان فقال له المقدم حسن امض الى مصر واعلم السلطان فسار الى مصر ودخل الديوان فوجد أحمد سلامش بن السلطان فأعلمه بالقصة وان أخاه السعيد محبوس عند الكاهنة الزرقة فقال ابراهيم ولا شك ان السلطان ماخطفته الا تلك الملعونة فجهز أحمد سلامش الركبة وبرز الى العادلية واصبح فركب بالعساكر وسار طالب اعقة الصخر حتى وصل الى الشام وجمع بنى اسماعيل وسافر من الشام حتى حط على القلعة السودة فلما علمت الكاهنة بقدومهم احضرت جوانا وقالت له ادلنى أسماء كبار المسلمين حتى أنبصهم فصار يقول لها فلان وفلان وهى ترسل اليهم أعوان الجان حتى أخذت ثمانين أمير وستين فداوى فتضايق احـــــد سلامش وخاف على نفسه وعلى أبيه وأخيه وباقى الاسلام فرفع قامته الى العلى ونظر الى قبة السماء وقال

يامن عوائده الجيل بفضله   من ذا الذى لجلال بجدك ماخضع
يا إله العرش يارب السماء   يامن على كل العباد قد اطلع
يارب مالى غير بابك ملجا   ولك الارادة والانابة والصنع

اللهم بحرمة النبى المنتخب اسعد جميع العرب أن تسبب لاهل الايمان الفرج

وأقدم من يد أهل الكفر والطغيان انك أنت الحنان المنان وإذا بغبرة انعقدت وعجاجة قد ارتفعت وبان عن هدير أعوان وصراخ جان والملكة تاج ناس على سريرها حتى أقبلت إلى صيوان السلطان فلما قدمت فرح بها أحمد سلامش وطلع على سريرها وقد اعلمها بما جرى على أبيه وأخيه وكيف انه أتى بالعساكر فعاملتنا الملعونة بالسحر والكهانة فقالت له والله يا ملك أنا ضربت تخت الرمل فرأيت ماجرى عليكم وأتيت اليكم لأن هذه الكاهنة أعرف أنها جبارة فلاجل ذلك تقدمت عليكم من خوفي عليكم لكن اين المقدم جمال الدين ماهو معكم فقال الملك أحمد سلامش والله يا أختي مانعلم له مكانا فأمرت خادمها أن يحضر به حالا وكان المقدم جمال الدين في هذه الساعة طالع إلى الديوان يسئل عن السلطان فالتقاه الخضر العادل ابن الملك الظاهر وأخبره بما جرى على أخيه السعيد وكيف انه قتل على فراشه وأبوه السلطان انخطف من وسط الديوان فقال شيحة وهل تعلم أي مكان راح اليه السلطان فقال جاء لأخي أحمد تابع وأخبره انه رأى أخي محمد السعيد عنده كاهنة اسمها الورقاء في مدينة العقبة السودا وتوجه أخي أحمد بالعساكر والأمراء والفداوية فقال شيحه وأنا لابد ما ألحقهم فهو كذلك إلا وسحاب المختطف قال له ياسيدي أنت مطلوب لستي في عقبة السودا فقال احملني وسر فحمله وسار به حتى ضمه قدام الملكة تاج ناس فقامت وقبلت يده وقالت له ما هي عادتك يا ملك القلاعين أن تتخلا عن الاسلام فقال ان الاسلام لهم رب يحميهم وأنا ما بيدي شيء أفعله لأن الله يسبب الأسباب فقالت له واجب على كل مؤمن يجتهد وأنا أيضا أجتهد ثم انها أحضرت قطعة جلد وقصتها في الداير وصورتها سيفا وقالت يا سلطان الحصون خذ هذا في يدك اليمين وخذ هذه الورقة في يدك الشمال وسر من هاهنا وادخل على الكاهنة الورقاء واعطيها هذه الورقة فاذا فتحتها لتقرأها فاضربها بهذا السيف على عنقها فتموت من وقتها فاخذ شيحة السيف الجلد والورقة ودخل على الكاهنة الورقاء يجدها جالسة فلما رأته بهتت في رؤيته ولم تكلم فناولها الورقة فاخذتها وفتحتها ونظرت فيها فضربها بالسيف الجلد وإذا رأسها طارت فتقدم شيحة قبض على الملعون جوان فنظر الأمير محمد فارس الدين قطايا فقام يجري إلى السجن الذي فيه السلطان وانكب على رجليه قبلها وفك هو والسعيد وقبل يده وحكى له على فعل جوان وأخبره أن الكاهنة قتلت على يد شيحة جمال الدين وسأله السماح فسامحه السلطان وأحضر له محمد فارس جواده العجل الأدهم فركب وصاح في البلد الله أكبر :

إذا كان الاله لنا معينا على الكفار في يوم القتال

ومالت نحرنا الاعدا جيوشا	كما طنش الجراد فلا أبالى
فان الله أوعدنى بنصر	وتأييد على أهل الضلال
ألا يا معشر الاسلام ميلوا	على الكفار بالسمر العوالى
فانى الظاهر المنصور حقا	أنا بيبرس محمود الفعال
أجاهد فى سبيل الله جهدى	كما فرض المهيمن ذو الجلال
وأبطال الحصون خلف ظهرى	سباع الملتقى يوم المجال
كذا الاكراد والامرا جميعا	شداد العزم فى ضرب النصال
ولى فى الميمنة بطل همام	إبراهيم وسعد عن شمال
وصلى ذو الجلال على محمد	رسول الله من حاز الكمال

ومال السلطان على أهل الطغيان وغنى السيف اليمان فما كنت ترى إلا دماغ طائر ودماء فراعنة الكفر فائر وصاحت كل الامراء والفداوية وكان شيحة قابضا على جوان فأراد جوان أن يصيح على النصارى يخلصوه من شيحة فقال له البرنقش إن كانت النصارى لهم همة كانوا يخلصون أنفسهم ونظر أهل العقبة فلقوا الدنيا مطرت عليهم شرار ونار ورجم بالاحجار ولا فرغ النهار حتى هلكت جميع الكفار وبعدها تقدم محمد فارس الدين وقبل يد السلطان وطلب منه أن يعود إلى محل رتبته فانعم له السلطان وصالحه مع الامير طالحان فقال الامير حسين ياأمير محمد فارس أى شىء كان أصل دخولك على بنتنا فانكر وقال ياأمير محمد أنا مع ازدحام الفرح قمت أزيل ضرورة فتهت وأنا كنت مريضا وعيان فدخلت القاعة وجاء فى بالى أنها قاعة الرجال وكنت قلعت البابوج فمدت حاقى حقيقى واستحيت أن أرجع آخذ بابوجى فتركته فاصبح الامير طالحان يتكلم ودخل عنده الشك وطلق بنتك ولم يدخل عليها ووافق إعدام السعيد واتهمنى به فما قدرت أواجه مولانا السلطان وها أنا ياأمير حسين جئتك خاطبا راغبا قابضا ماهر اعليك ماتقول وجب وعلى ما اثقلها بالذهب ثم إنه تقدم إلى السلطان وقال يامالك الاسلام انا كنت رايح اقتل بسببها وانا احق بها فقال إبراهيم تستاهل يا امير محمد فارس فقالوا جميعا تستاهل وكانوا جميعا حبوه من عهد ما بشرهم بقتل الكاهنة وفكهم من القيود وصفت منهم القلوب ولا ركب من على الجزيرة حتى ان الامير حسين عقد لبنته على الامير محمد فارس قطايا والملكة تاج ناس قالت للمقدم جمال الدين اشف قلبك من جوان بقى واطلقه فقام ضربه علقة واطلقه وسافر السلطان إلى مصر وعمل فرحا على بنت الامير حسين لمحمد فارس الدين وليلة الزفاف دخل بها وبلغ مقصوده واقام الملك على تخت مصر فى خير وإنعام

[قال الراوى] الى يوم من الايام قال السلطان أنا فاتى عروض فتحق ونزل وكذلك ابراهيم وسعد نزلوا من قلعة الجبل إلى الرميلة فلقوا ازدحاما والناس واقفون وواحد مغرق يقول أنا ما افرج أحد إلا بخمسة دراهم فضة فى العجيبة التى ما لم يوجد مثلها تحت قبة السما فتقدم السلطان ودفع له خمسة دراهم فضة فرفع الغطا وقال حط عينيك على القزازة فنظر السلطان فلقى نفسه ماشيا فى قيسرية ودكاكين إلى سوق وفيه حمام فدخل فى ذلك الحمام وقلع ثيابه على المشلح ودخل إلى داخل فتلقوه الاسطارات كيسوه وصبنوه ودعكوه وبعد ما طلع الى خارج الحمام الى الليوان حكوا له رجليه ومرسوه وألبسوه ملابسه فأراد أن يدفع الاجرة فقال المعلم نحن لم نأخذ دراهم وكشفوا له عن محل فرأى صورة الملك الظاهر على كرسى قلعة الجبل وقالوا له اضرب هذه الصورة بهذه التاسومة فاغتاظ السلطان وأراد أن يقرع فلقى نفسه جنب الصندوق فقال يا إبراهيم طالب منك المغربى بصندوقه فى الديوان فقال سمعا وطاعة فقبض على خناق المغربى وقال يا سعد خذ الصندوق وساروا به الى الديوان فكان السلطان سبق وقلع ثياب التبديل ولبس ثياب الاحكام

تم الجزء الثلاثون ويليه الجزء الحادى والثلاثون
من سيرة الظاهر بيبرس
وبه ينتهى المجلد الثالث